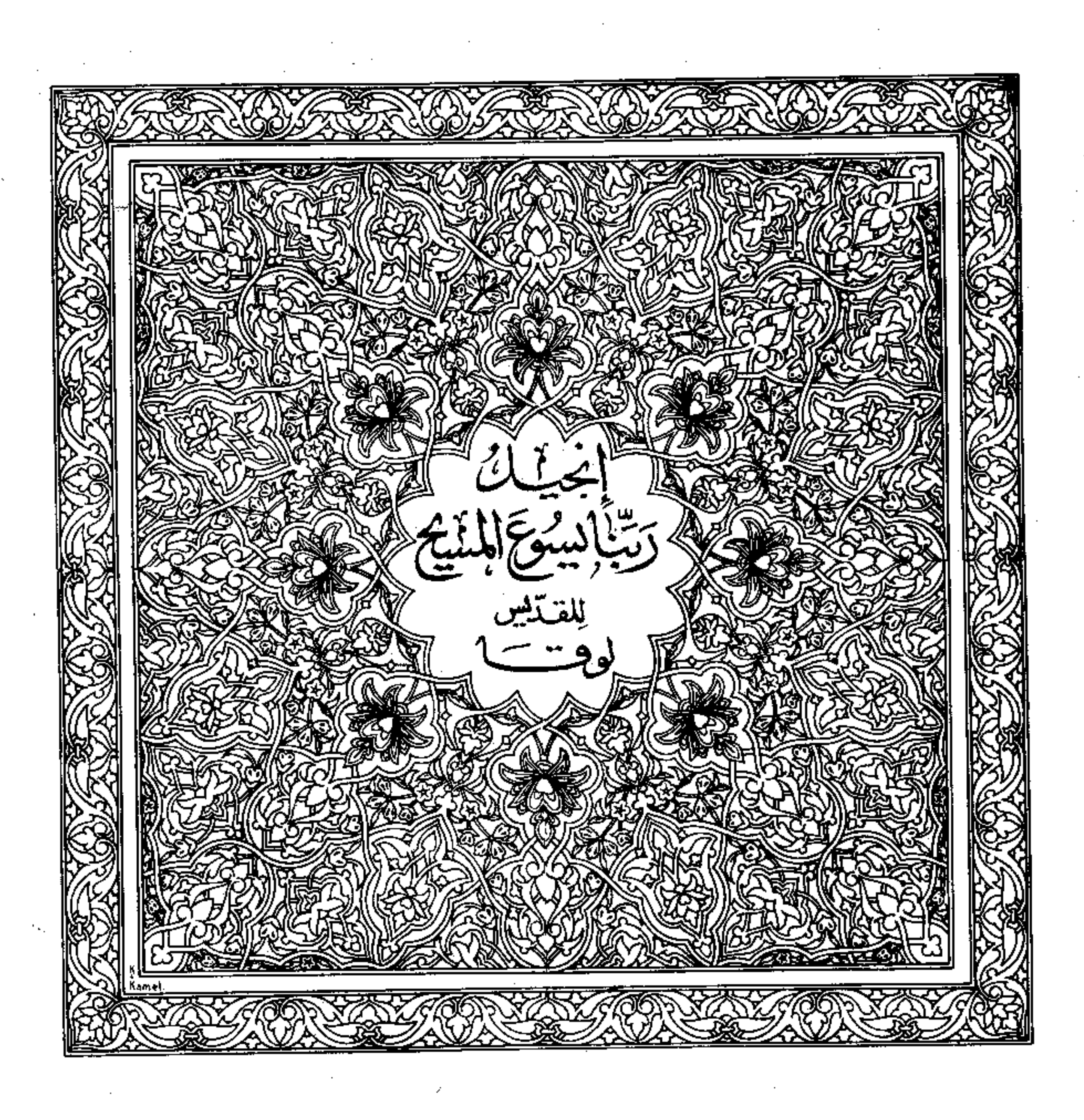


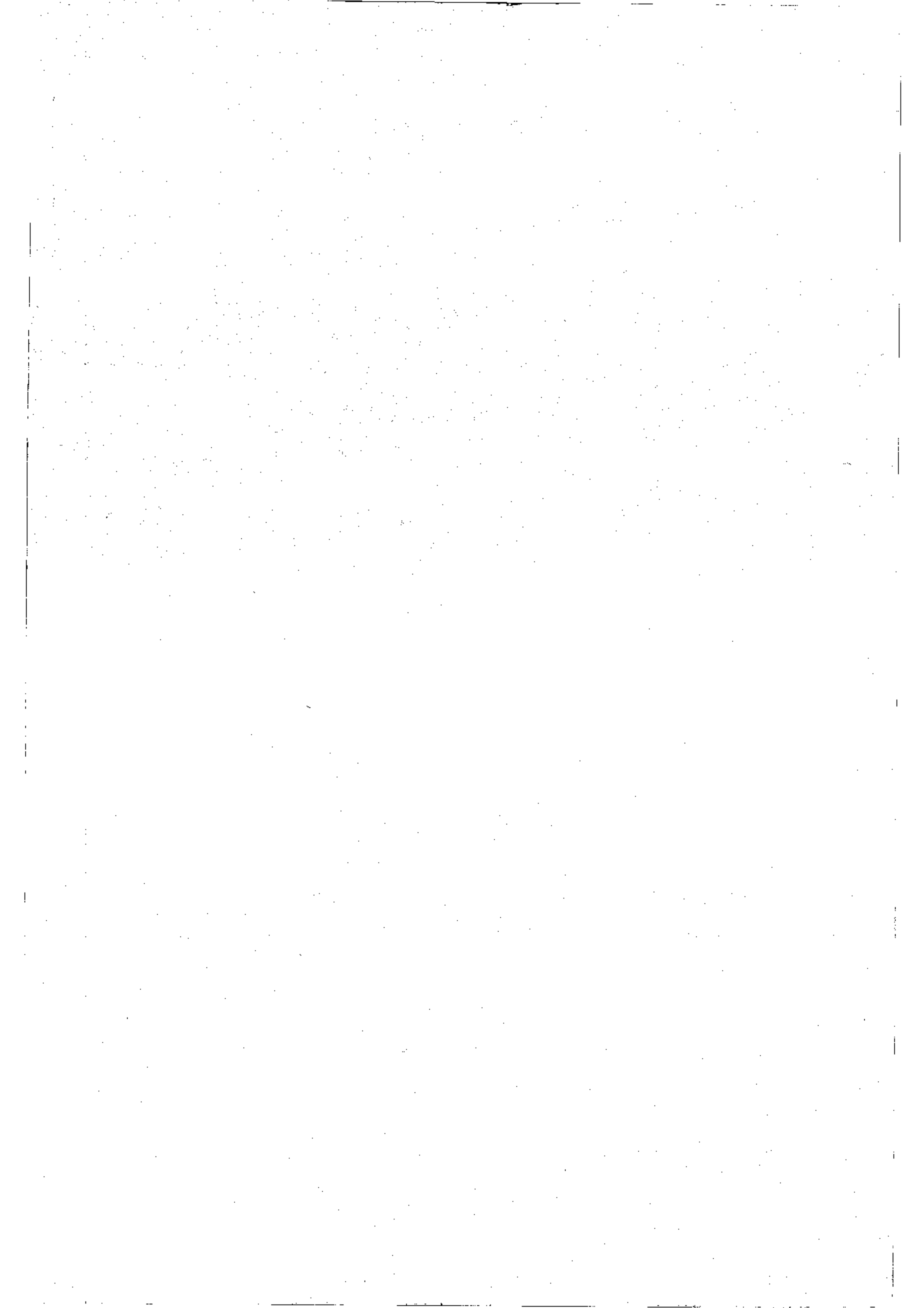


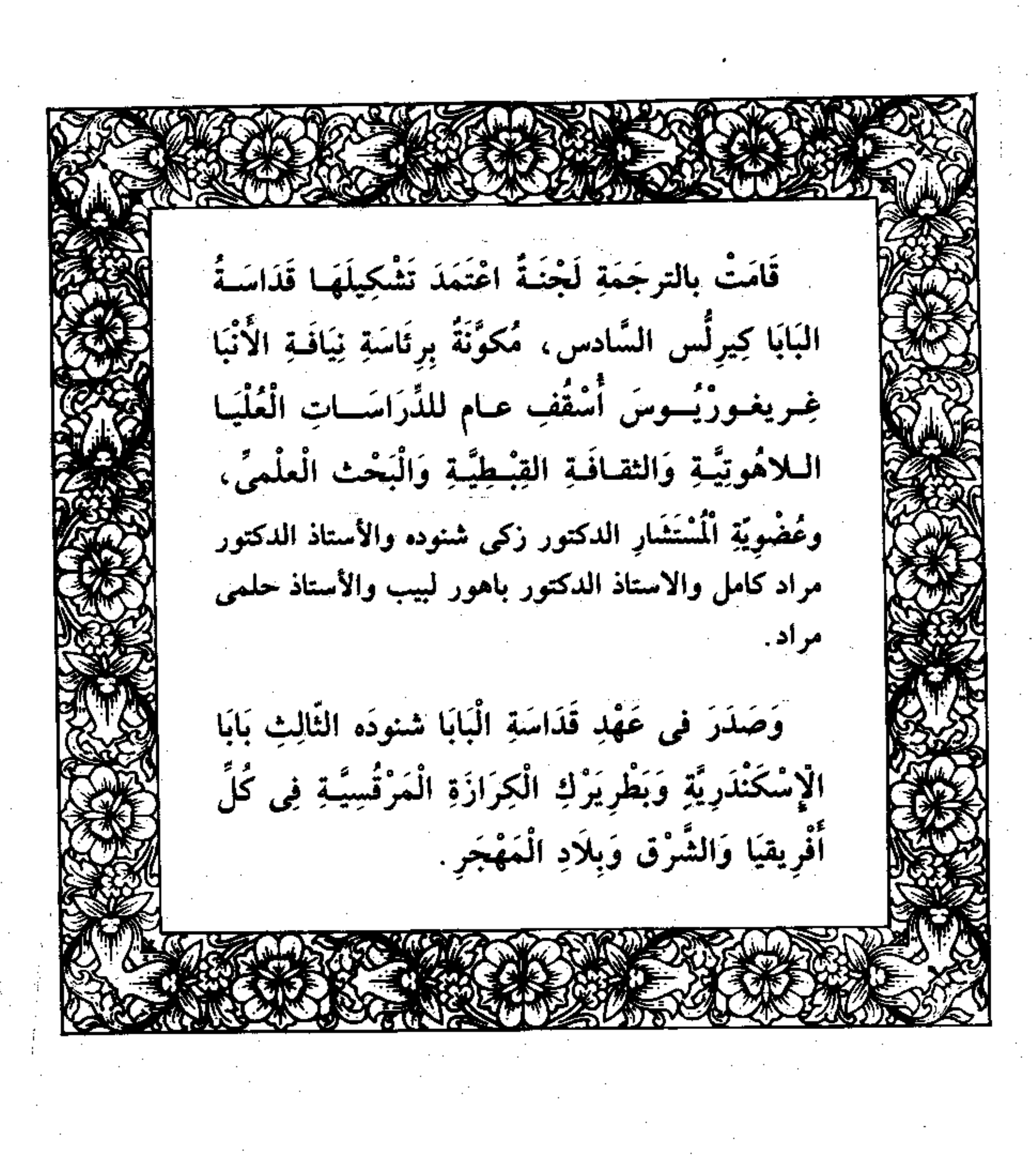
للقديس لوقا


إنجيل
ربنا يسوع المسيح
للقديس
لوقا
Kamel



« السيد المسيح » مأخوذة عن أيقونة أثرية بالمتحف القبطى بالقاهرة





قَامَتْ بالترجَمَةِ لَجْنَـةٌ اعْتَمَدَ تَشْكِيلَهَـا قَدَاسَـةُ البَابَا كِيرِلُس السَّادس، مُكوَّنَةٌ بِرِئَاسَةِ نِيَافَـةِ الأَنْبَا غِـريغـورْيُــوسَ أُسْقُفِ عـام للدِّرَاسَــاتِ الْعُلْيَا الـلاهُوتِيَّـةِ وَالثقـافَـةِ القِبْـطِيَّـةِ وَالْبَحْث الْعِلْمِيِّ، وعُضْوِيّةِ الْمُسْتَشَارِ الدكتور زكى شنوده والأستاذ الدكتور مراد كامل والاستاذ الدكتور باهور لبيب والأستاذ حلمى مراد.

وَصَدَرَ فى عَهْدِ قَدَاسَةِ الْبَابَا شنودَه الثَّالِثِ بَابَا الإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَبَطْرِيَرْكِ الْكِرَازَةِ الْمَرْقُسِيَّـةِ فِى كُلِّ أَفْرِيقيَا وَالشَّرْق وَبِلَادِ الْمَهْجَرِ.

قام بالتقاط صور الأيقونات الأثرية القبطية الفنان : سليم يوسف
وقام بتصوير الرسوم الزخرفية وتنفيذها الفنان : كيرلس كامل

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

مقـــدمة

١ - الإنجيل للقديس لوقا :

يقول القدِّيس «أمبروسيوس» أسقف (ميلان) فى افتتاحية كتابه «دراسة لإنجيل القديس لوقا» : "إنَّ رَبَّنَا (يسوع المسيح) يُصَوَّر فى أربعة الأناجيل برموز أربعة الحيوانات (غير الجسدانيين) فهو الإنسانُ، وهو الأسدُ، وهو الثورُ. وهو النَّسر. هو الإنسان لأنه وُلِد من مريم. وهو الأسدُ لأنه قوىّ. وهو الثور لأنه ضَحِيَّة. وهو النَّسر لأنه القيامة» (الافتتاحية، فقرة ٨).

ولذلك فإنَّ المتواتـر عن تقليد الكنيسـة أن يُصَوَّر القـديس لوقـا، وإلى جانبـه ثور رابض، لأنه قَدَّمَ لنا المسيح فى إنجيله، ذبيحـة وضحية. وقـد أبرز أكـثر من غيره من الإنجيليين صورةَ المسيح الفادى الذى جاء ليخلِّص الخطاة، فكان هو الذبيحـةَ، وهو الكاهنُ الذى قدَّمَ الذبيحةَ. ومما له دَلالة هنا أن القديس لوقا يفتتـح إنجيله بالكـلام عن الكهنوتِ، وعن الذبائح.

٢ - إلى مَن كُتِبَ الإنجيل للقديس لوقا ؟

كُتِبَ إنجيـلُ لوقـا إلى غيرِ اليهـود من الأُمم كما يقـول العـلاَّمـة «أوريجينـوس» ، و «يوسابيوس» القيصرى[1]. فهـو مُوَجَّـه إلى «صاحب العـزة (العزيـز) ثيئوفيلوس» (١ : ٣) فى الإسكندرية، ومن خلاله إلى اليونان جميعًا، لأنه كُتِبَ باليونـانية. ولهـذا اهتمَّ القديس لوقـا بإيـراد أقوالِ السيِّـد المسيح، والمـواقفِ التى يتضح فيهـا أنه جـاءَ لخلاصِ جميعِ النَّاسِ من كلِّ الأُممِ. ولا يَحْصُرُ خـلاصَهُ فى اليهـودِ وحدَهم. فقـد جاء فى قوله «كلُّ وادٍ سيمتـلئُ، وكُلُّ جَبـلٍ وكُلُّ تَـلٍّ سينخفضُ. . وَسَيُبْصِرُ كُلُّ بَشَرٍ خـلاصَ اللّهِ» (٣ : ٦). ومن أقوالـه : «وَبِحَقٍّ أَقولُ لَكُمْ إنَّ أرامِـلَ كَثيراتٍ كُنَّ فى

(١) تاريخ الكنيسة، الجزء ٦ فصل ٢٥ فقرة ٦.

إسرائيلَ فى أيامِ إيليَّا حينَ أُغْلِقَت السَّماءُ ثلاثَ سنواتٍ وستةَ أشهرٍ. . ولكنَّ إيليّا لم يُرسَلْ إلى واحدَةٍ منهُنَّ، إلاَّ إلى أرملةٍ فى صارفاتِ التى فى أرضِ صَيْدُون. وإنَّ بُرْصًا كثيرين كانوًا فى إسرائيلَ فى عهدِ أليشعَ النبىّ، ولم يَطْهُرْ واحدٌ منهم إلاَّ نعمانُ السُّوريانىّ» (٤ : ٢٥ - ٢٧). وَرَوَى الإنجيلُ أنَّ يوحَنَّا أحدَ التلاميذ الاثنى عشر قالَ للمُخلِّصِ : «يا مُعَلِّمُ، رَأَيْنا واحدًا يَطرُدُ الشياطينَ باسمِك فمنعناهُ لأنه غيرُ تابعٍ لنا». فقالَ له يسوع : «لا تمنعوهُ لأنه ليسَ ضِدَّكم. وَمَنْ ليس ضِدَّكم فهو معكم» (٩ : ٤٩ و ٥٠). كذلك يروى الإنجيلُ عن الرَّبِّ يسوعَ أنه «أرْسَلَ رُسُلاً أمامَهُ. فذهبوا ودَخَلوا قريةً للسّامريين كى يُعِدُّوا له. ولكنَّ هؤلاء لم يقبلوه. . فلمّا رأى ذلك تلميذاه يعقوب ويوحنَّا قالا له : «ياربّ، أتُريد أن نَطلبَ أن تَنْزِل نارٌ من السَّماءِ فتحرقَهم كما فَعَل إيليَّا؟» فالْتَفَتَ وانتهرهما قائلاً : «لستُما تعلمانِ من أىِّ روحٍ أنتُما، لأنَّ ابنَ الإنسانِ لم يأتِ ليُهلِكَ نفوسَ الناسِ، بل ليحييَها» (٩ : ٥٢ - ٥٦). وقد أَوْرَدَ هذا الإنجيلُ مَثَلَ السَّامِرِىِّ الصالحِ (١٠ : ٢٩ - ٣٧)، ومؤداه أنَّ قريبَ الإنسان هو مَنْ يصنعُ بِهِ خَيْرًا، بِغَضِّ النَّظَرِ عن جِنْسِهِ أو لَوْنِهِ، وهذا تعليمٌ بالأُخُوَّةِ العامَّة لجميع الناس. ثم أَوْرَدَ أيضًا مَثَل العَشَاء العظيم (١٤ : ١٥ - ٢٤)، حيثُ عَمَّمَ ربُّ البيت الدَّعوةَ إلى جميعِ الناسِ ليحضُروا عرسَ ابنهِ. ورَبُّ البيتِ هنا هو اللّهُ الذى يطلُبُ خلاصَ الكُلِّ. كذلك مَدَحَ الرَّبُّ يسوعُ الأبرصَ الَّذى شفاهُ لإنهُ رَجَعَ وقَدَّمَ المجدَ للّهِ على الرَّغمِ من أنَّهُ كانَ سامِريًّا (١٧ : ١٥ - ١٩)، ولم يمدحِ التِّسْعَةَ الآخَرين من بينِ اليهود. مما يبرهِنُ على أنَّ اللّهَ قد فَتَح سبيلَ الخلاصِ لجميعِ الناسِ من كُلِّ الأُمم. بل إنَّ القِدِّيسَ لوقا رَفَعَ فى إنجيلِهِ (٣ : ٢٣ - ٣٨) نَسَبَ الرَّبِّ يسوعَ المسيحِ لا إلى إبراهيمَ كما فَعَلَ القدِّيسُ مَتّى فى إنجيلِهِ (١ : ١ - ١٧)، وإنما إلى آدمَ أبى الجنسِ البَشَرِىِّ كُلِّهِ. ثم إنّه يُورِد قَولَ السَّيدِ المسيحِ له المجدُ «لِأنَّ ابنَ الإنسانِ إنَّما جَاءَ لِيَسْعَى فى طَلَبِ الَّذى قد ضَاعَ ويُخَلِّصَهُ» (١٩ : ١٠). وقوله «وينبغى أنْ يُبشَّرَ باسمِهِ بالتَّوبَةِ ومِغْفِرَةِ الخطايا بين كُلِّ الأممِ» (٢٤ : ٢٧).

ومِمَّا يُؤَيِّد أنَّ القِدِّيسَ لوقا كَتَبَ إنجيلَهُ إلى اليونان اهتمامُهُ بتفسير الألفاظِ العبرانيةِ بما يقابِلُها فى اليونانيةِ، ويشرحُ بعضَ المواقِعِ ويُحَدِّدُ أماكنَهَا فى بلادِ

فَلسِطين، مما ليسَ له فائدةٌ عِندَ اليهودِ : فمن ذلك قولُهُ «ثُمَّ انحدَرَ إلى كَفَرنَاحومَ، إحـدى مـدنَ الـجـليـل » (٤ : ٣١). وقـولُـهُ «ثُـمَّ أرسَـوا عـنـدَ أرض الجِرجِسيينَ على الشاطئ المقابلِ للجليلِ » (٨ : ٣٦). وقولُهُ «وبالليلِ يَخرُجُ ويَبيتُ فى الجَبَلِ المُسَمَّى جَبَلَ الزيتون» (٢١ : ٣٧). وقولُه «وهو من الرَّامَةِ إحدَى مُدُن الجليلِ » (٢٣ : ٥١). وقولُهُ «وكانَ اثنانِ من تلاميذِه منطلقَينِ فى ذلكَ اليومِ إلى قريةٍ تبعدُ عن أورشليمَ نحوَ سِتينَ غَلوةٍ اسمُهـا عِمّاوس» (٢٤ : ١٣).

هذا إلى أنَّ إنجيلَ القدّيس لوقـا تجنَّبَ كلَّ مـا يؤذى مشاعـرَ الأممِ غيرِ اليهـودية. فلم يُـورِدْ مَثَلاً قِصَّـةَ المرأةِ الفينيقيةِ الكَنعانيـةِ السُّوريَّـةِ اليونـانيةِ التى عنـدما تـوَسَّلَ التـلاميـذُ إلى معلِّمهم بشـأنها، قـال «مـا أُرسِلْتُ إلاَّ إلى الخِـرَافِ الضَّـالَّـةِ من بيتِ إسرائيلَ». ولما سألته هى قائلة «ياربُّ أَعِنِّى»، قالَ لها «لا يليقُ أن يُؤخَذَ خبـزُ البنين ويُلقَى للكلابِ» (متّى ١٥ : ٢٤ - ٢٦).

٣ - مَنْ هو كاتب الإنجيل للقديس لوقا؟

المعروفُ والمُقرَّر أنَّ القدّيسَ لوقا هو كاتبُ الإنجيلِ المنسوبِ إليه. وقد شَهِدَ بهـذا آبـاءُ الكنيسةِ نقـلاً عن التقليدِ المقـدَّس. ومن بين هؤلاءِ الآبـاءِ : القِـدّيسُ الشهيـدُ «يوستينوس» Justinus (نحو عام ١١٠-١٦٣م)، والقديسُ الشهيدُ «إيريناوس» Iraeneus الـذى مـاتَ شهيـدًا (نحـو عـام ٢٠٢م)، والعـلاَّمـةُ «تِـرتليـانـوس» Tertullianus (نحـو عـام ١٦٠ - ٢٢٠م). والعَـلاَّمـةُ «أوريجينـوس» (عـام ١٨٥-٢٥٣م)، والمؤرخُ «يـوسابيـوس» القيصرى (نحـو عـام ٢٦٣ - ٣٣٩م)، والقديسُ «إيرونيموس» Hieronymus أو «جيروم» (عام ٣٣٧-٤١٩ أو٤٢٠م).

ومن بين البَيِّنات الداخليةِ على أنَّ القدّيسَ لوقا هو كاتبُ الإنجيلِ المنسوبِ إليـهِ، أنهُ الإنجيلُ الوحيدُ الَّذى أوردَ قِصَّةَ تِلميذَى عِمَّاوُس اللَّذين التقيا بالربِّ يسوعَ بعـدَ قيامَتِهِ، وقد تناوَل الطعامَ معهـما. . «ثُمَّ أَخذَ يُفَسِّر لهـما مبتدِئـا من موسى وَمِنْ جَميـعِ الأنبيـاءِ الأمورَ المختصَّـةَابِهِ فى جَميـع الأسفارِ المقـدَّسةِ» (٢٤ : ٢٧). غـيرَ أنَّ كـاتبَ الإنجيلِ بعدَ أن وَصَفَ التلميذَينِ بأنَّهما «من تلاميذِهِ» (٢٤ : ١٣) ذَكَرَ اسمَ أحدِهما فقط قائِلاً «أجابَ أحدُهما وكانَ اسمُهُ كليوباس» (٢٤ : ١٨). ولم يذكرْ اسمَ الآخر،

مما يَدُلُّ على أَنَّ هذا الآخرَ هو القِدِّيس لوقا نفسُهُ، وقد امتنعَ عن ذِكْرِ اسمه تواضُعًا وإِخْفاءً لشخصه.

ويشهدُ الأسلوبُ واللغةُ أنّ كِاتبَ إنجيلِ لوقا هو بعينه كاتبُ سِفْرِ «أعمال الرُّسُل» المعروفِ أنه أيضًا للقديس لوقا، وقد كتبه إلى «صاحب العزة ثيئوفيلوس» بعينِهِ الذى كَتَبَ إليه إنجيله أَوَّلًا (قارن لوقا ١ : ٣ مع أعمال الرسل ١ : ١).

ويعتقدُ بعضُ العلماءِ، مستَنِدينَ إلى رَأْيٍ سائِدٍ فى الكنيسة السِّريانيةِ أنَّ القدِّيس لوقا كَتَبَ إنجيلَهُ فى الإسكندريةِ، فى الوقتِ الذى كانَ فيه القِدّيس بولس الرسولُ سَجينًا فى قيصريةَ، أى نحو سنة ٦٣ م، وأنه كَتَبَ سِفْرَ أعمالِ الرُّسُلِ فى نحو سنة ٦٤ م. وهناكَ قِلَّة آخَرُون يَعتقدونَ أنه كَتَبَهُ فى بلادِ اليونان أو فى أكائيَّة وبيوسيَّة.

ويتضحُ من الإنجيلِ نفسهِ أنَّه كُتِبَ باللغة اليونانية الفُصْحَى، فى أروع أسلوبٍ وأبلغ تعبيرٍ، حتى إن إرنست رينان RENAN (١٨٢٣ - ١٨٩٢ م)، وهو من أشَدِّ خُصومِ المسيحيةِ، قال عن إنجيل لوقا «إنه أجملُ كتابٍ فى سِجِلِّ اللغاتِ فى الوجود». ومن آياتِ بلاغةِ هذا الإنجيلِ أنَّ القدِّيس لوقًا تمكَّن من ترجمةِ التسابيحِ والأناشيدِ التى أنشدَتها مريمُ العذراء، وزكريًّا الكاهِنُ، وسمعان الشيخُ، والملائكةُ فى ليلةِ الميلادِ، وغيرها مما وَرَدَ فيه، إلى لغة يونانيةٍ جميلةٍ وسليمةٍ مع احتفاظِها بروحها العِبرانيَّة ولهجَتِها الآراميَّة، الأمر الذى أدهَشَ النَّاقدين فى كُلِّ العصور.

٤ - مميّزات الإنجيل للقديس لوقا :

للإنجيل بحسب ما كَتَبه القدّيس لوقا ميزات كثيرة، منها على الخصوص :

(أولاً) أنه الإنجيل الذى يقدِّم لنا سيرة كاملة للسيد المسيح على الأرض، منذ البشارة بميلاده إلى صُعودِه إلى السَّماء. وقد اشتمل على كثير مما رواه القدِّيس متَّى والقدِّيس مَرْقُس فى إنجيليهما، لكنه انفرد بتفصيلات كثيرة لم تتناولها الأناجيل الأخرى، نشير إلى بعضها فيما يلى :

ففى إنجيل القديس لوقا نجد الكلام تفصيلاً عن بشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم بِحَملِها للرَّبِّ يسوع بروح القُدس الذى حلَّ عليها (١ : ٢٦ - ٣٨). وعن زيارة العذراء مريم لِأليصابات زوجة زكريًّا الكاهن (١ : ٣٩ - ٤٥) الذى كان قد

بشَره الملاك جبرائيل نفسه بِحَبَلِ امرأتِهِ بيوحَنّا المعمدان (١ : ٥ - ٢٥). وعن تَسبحة العذراء مريم (١ : ٤٦ - ٥٦). وعن ولادة يوحنا السابق الصابغ (١ : ٥٧ - ٦٦)، وتسبيح زكريّا أبيه (١ : ٦٧ - ٧٩)، وولادة يسوع المسيح وظروف ولادته وزمانها ومكانها (٢ : ١ - ٧)، وما صَاحَبَ هذه الولادة من ظهور الملائكة للرُّعاةِ (٢ : ٨ - ٢٠). وعن خِتَانِ المسيح (٢ : ٢١)، وفقر العذراء مريم وتقديمها لابنها فى الهيكل (٢ : ٢٢ - ٢٤) ولقائهما مع سمعان الشيخ وحنّة ابنة فنوئيل (٢ : ٢٥ - ٣٨). وعن حداثة يسوع المسيح وكيف أنه نشأ وتربىّ فى الناصِرة (٢ : ٣٩). وعن طاعته لأُمِّهِ وليوسف (٢ : ٥١)، وعن حواره مع علماء الشريعة فى الهيكل وهو ابن اثنتى عشرة سنة (٢ : ٤١ - ٥٠). كما ذَكَر الإنجيل أنَّ الرَّبَّ يسوع كان يذهب إلى المجمع فى كلِّ يوم سبت، وأنه قام ليقرأ ثم أَخَذَ يَشرح ما قرأه من سِفْر إشعياء، مبيِّنًا ما جاء فيه من الإشارة إليه (٤ : ١٦ - ٣٠). ومن بين ما اهتمَّ بذِكْرِهِ القدّيس لوقا مَدْح الربِّ يسوع لمريم أخت لعازر التى جَلَسَتْ عند قَدَمَيْه تستمع لحديثه، فى حين انهمكت أختها مرثا فى إعداد الطعام. فلما جاءت إليه مرثا تشكو تَصَرُّفَ أُختها، قال لها «مرثا مرثا، إنَّكِ تهتمِّينَ مُضْطَرِبَةً بِأُمورٍ كَثيرةٍ، فى حينَ أَنَّ الحاجَةَ هى إلى قليلٍ أو إلى واحد. وقد اختارَتْ مريمُ النَّصيبَ الصَّالِح الذى لن يُنْزَعَ منها» (١٠ : ٣٨ - ٤٢).

كذلك اهتمَّ القدّيس لوقا بالنسبة لتجلِّى المسيح له المجد على الجبل، بأن ذَكَر موضوع الحديث الذى جَرَى بين المسيح وبين موسى وإيليَّا. فبينما اكتفى القديس متّى والقدِّيس مرقس بالقول «ثم ظَهَرَ لهم موسى وإيليَّا وكانا يتكلمان مع يسوع (مرقس ٩ : ٣)؛ (متى ١٧ : ٣) أضاف القديس لوقا فى إنجيله «وإذا رَجُلانِ يُخاطِبانِهِ، وَهُما مُوسَى وإيلِيّا، وَقَد تَراءَيا فى مجدٍ، وكانَا يَتَكَلّمانِ عن انطِلاقِهِ الّذى كان مزمِعًا أنْ يُتَمِّمَهُ فى أورشليمَ» (٩ : ٣٠ و ٣١).

ثم لقد انفرد الإنجيل للقديس لوقا بِذِكْر بعض التفصيلات التى لم تذكرها الأناجيل الأخرى فيما يختص برحلة الأسبوع الأخير من حياة السيد المسيح وهو أُسبوع الآلام. ومن ذلك قوله لتلميذه سمعان بطرس «سِمعانُ سِمعانُ هُوذا الشَّيطانُ قد سَعَى جاهِدًا لأَن يُغربِلكُم كالحِنْطَةِ. ولكِنَّنى دَعوتُ لَكَ أَلاَّيَفْنى إيمانُك، فَمَتى

اهتَدَيْتَ فشَجِّع إخوَتَك » (٢٢ : ٣١ و٣٢). ومن ذلك ذِكرهُ للعَرَقِ الذى تصبَّب من المخلِّص وهو يصلِّى بحرارة وصِراع فى بستان جثسيمانى « وكَـانَ عَرَقُـهُ كقَطَراتِ الـدَّم يتَسَـاقَطُ على الأرض » (٢٢ : ٤٤) وذِكـرُه لِخَبر الملاك الـذى ظَهَـرَ لـه وهـو يصـلِّى إذ يقول « وَظَهَرَ لَهُ ملاكٌ من السَّماء يقول لـه : « لك القـوة » (٢٢ : ٤٣). ومن ذلك أيضًـا ذكره إرسـال المخلِّص إلى هيرودس ليحـاكَمَ أمامـه، ومـا صَنَعَـه هيـرودس بـه واحتقـاره له واستهـزاءه به، وردَّه مـرة أخرى إلى بيـلاطس، وكيف أصبح بيـلاطس وهيرودس بعد هذا صديقين بسبب ذلك (٢٣ : ٦ - ١٢). ومنه ذِكرُهُ لخطاب الربِّ يسوع إلى النِسَوةِ من بناتِ أورشليم، وهو ماضٍ فى طريقـه إلى الصَّليب، إذ قال لهن « يا بَنَاتِ أورشليمَ لا تَبْكِينَ عَلَىَّ، بل ابكِينَ على أنفُسِكُنَّ وعلى أبنائِكُنَّ، لأنه هِىَ ذِى أيَّامٌ تأتى سَيَقولونَ فِيها ما أسْعَدَ العواقِرَ والبُطونَ التى لم تَلِدْ والثُّدِىَّ الَّتِى لم تُرضِـعْ . عِنْـد ذاكَ يَبْتَدِئُـونَ يَقولـونَ للجبالِ اسْقُطِى عَلَينا وللآكامِ غَـطِّينا. لأنَّهم إن كـانوا يَفْعَلونَ هذا بالعُـودِ الرَّطْبِ، فَكَمْ بـالأُخرىَ يفعلون بـاليابِس » (٢٣ : ٢٨ - ٣١). ومن ذلـك صلاة الـرب يسوع عـلى الصَّليب وطَلَبه الغفـران لصـالبيـه (٢٣ : ٣٤)، وكذلك تجديف اللص المصلوب عن شماله عليه، وتوبيخ اللصّ المصلوب عن اليمين لزميله اللص الآخر، ثم اعتراف اللص اليمين بالمسيح ربًّا وَمَلكًا بقوله « اذكُرْنى يارَبُّ مَتى جِئْتَ فى مَلَكُوتِكَ »، وقول الرب يسوع له « الحَقَّ أقولُ لَكَ إنَّكَ اليَوْمَ تَكونُ مَعِى فى الفِرِدَوسِ » (٢٣ : ٤٣، ٤٤).

ثم إن الإنجيـل للقدّيس لـوقا هـو الإنجيـل الـوحيـد الـذى ذَكرَ قصَّـةَ تلميـذى عمّاوس، ولقاءهما بالرب يسوع بعد قيامته، وتناوله الطعام معهما، وَشَرحه لهما ما وَرَدَ عنه فى أسفار العهد القديم (٢٤ : ١٣ - ٣٥).

هـذا إلى أنَّ فى الإنجيل للقِدِّيس لوقـا تفصيلات عن صعـود الـرب يسـوع إلى السماء ومُلابَسَـات هذا الصعـود، وما سَبَقَـه وما لَحِقَـهُ، مما لا نجـده فى الأناجيـل الأخرى، إذ يقول « ثُمَّ خَرَجَ بِهِم إلى بَيْتَ عَنْيا، وَرَفَعَ يَدَيْهِ وباركَهُم، وَفِيما هُوَ يُبارِكُهُم افتَرَقَ عَنْهُم وَصَعَدِ إلى السَّماءِ، فَسَجَدوا لَهُ، وَرَجَعُـوا إلى أُورَشليمَ بِفَرحٍ عَظيمٍ . وكانوا كُلَّ حينٍ فى الهيكلِ يُسَبِّحونَ اللَّهَ ويُبارِكُونَهُ » (٢٤ : ٥٠ - ٥٣).

(ثـانيًا) ومن أهمَ مميـزات الإنجيل للقَـديس لوقـا أنه أبـرز إنسانيـة المسيح لـه

المجد، مبيِّنًا كمال ناسوته ومشاركته للبَشَر فى كل ما للبشر ما عدا الخطيئة. فقد حُبِل به فى البطن، وَوُلِدَ طفلًا، وخُتن فى اليوم الثامن، وكان «يَتَقَدَّمُ فى القامَةِ والحِكْمَةِ والنِّعْمَةِ عِندَ اللَّهِ والنَّاسِ» (٢ : ٥٢).

وقد اهتمّ القدّيس لوقا أكثر من غيره بإيراد المرّات التى صَلَّى فيها المسيح، وذكر منها على الخصوص سبع مرّات.

الأولى : عند قبوله العِمَاد من يوحنا «وَفيما كَانَ يُصَلِّى انْفَتَحَتِ السَّماءُ» (٣ : ٢١).

الثانية : قوله «وَأَمَّا هُوَ فَكانَ يَعْتَزِلُ فى القِفارِ ويُصَلِّى» (٥ : ١٦).

الثالثة : قُبَيْل دَعْوَتِهِ لتلاميذه الأثنى عَشر، إذ يقول «وفى تِلْكَ الأيامِ صَعِدَ إلى الجبلِ لِيُصَلِّىَ، وَهُناكَ قَضَى فى الصَّلاةِ إلى اللَّهِ اللَّيلَ كُلَّهُ» (٦ : ١٢).

الرابعة : قبل أن يسأل تلاميذه عن اعتقادهِم فيه مَن يكون هو إذ قال «وفيما كانَ يُصَلِّى على انِفرادٍ وكانَ تَلاميذُهُ مَعَهُ، فَسأَلَهُمْ قائِلًا : مَنْ تَقولُ النَّاسُ إنِّى أنا؟» (٩ : ١٨).

الخامسة : عند التجلِّى على الجبل. إذ يقول «وَصَعِدَ إلى الجَبَلِ لِيُصَلِّىَ. وفيما هُوَ يُصَلِّى تَغَيَّرَ مَنظَرُ وَجْهِهِ» (٩ : ٢٨ و ٢٩).

السادسة : عندما عَلَّمَ تلاميذه الصلاة الربانية، إذ يقول «وكانَ يُصَلِّى فى بعض المواضِع. فَلَمَّا فَرَغَ قالَ أَحَدُ تَلامِيذِهِ : يارَبُّ عَلِّمْنا أَنْ نُصَلِّىَ.. فقالَ لَهُم : متى صَلَّيتُم فقولوا : أبانا...» (١١ : ١ و٢).

السابعة : صلاته وهو على الصَّليبِ من أجل صالبيه قائلًا : «يَا أَبَتَاهُ إغْفِر لَهُمْ لِأَنَّهُمْ لايَدْرونَ ما هُمْ فاعِلونَ» (٣٣ : ٣٤).

(ثالثًا) ثم إن الإنجيل للقديس لوقا قد أبرز مشاركة المسيح للبَشر فى آلامهم، فقد تَحَنَّنَ على أرملة نايين التى فَقَدَت وحيدها (٧ : ١٣)، وبكى على أورشليم (١٩ : ٤١)، وشارك الفقراء ظروفهم، فَوُلِدَ فقيرًا من عذراء فقيرة من أسرة فقيرة، فى ظروف ضيقة عسيرة (٢ : ٧ و١٢ و١٦ و٢٤). وأورد مَثَل الغنى ولَعَازَرَ الفقير المنطرح عند باب الغنىّ وقد امتلأ جسمه بالقروح وكان يشتهى أن يشبع من الفتات

الذى يسقط من مائدة ذلك الغنى فلم يكن يعطيه أحد. وإنما كانت الكلاب تأتي وتلحس قروحه (١٦ : ١٩-٢٢).

(رابعًا) كذلك أظهر الإنجيل للقديس لوقا اهتمامًا خاصًا بالمرأة، فأورد ذِكْر الكثيرات من النساء، ممن لم تذكرهن الأناجيل الأخرى، ومنهن على الخصوص إليصابات أمّ يوحنا المعمدان (١ : ٥ -٦٦). وحنَّة النبية (١ : ٣٦-٣٨)، ومريم العذراء (١ : ٢٦-٥٦)؛ (٢ : ٤-٥١) وأرملة نايين (٧ : ١١-١٧). والمرأة الخاطئة التى بلَّلت قَدَمَى المخلِّص بدموعها (٧ : ٣٧-٥٠). والمرأة التى رفَعَت صوتها من بين الجميع وطوَّبت العذراء مريم التى ولدته (١١ : ٢٧). ومرثا ومريم (١٠ : ٣٨-٤٢). وبعض النسوة اللاتي كان قد أبرأَهُنَّ من أرواح شريرة وأمراض، وهُنَّ مريم التى تُدْعَى المجْدَليَّة، وكان قد أخرج منها سبعة شياطين، وحنَّة زوجة خوزا أمين خزانة هيرودس، وأُخْرياتٍ كثيرات كُنَّ يبذلن من أموالِهنَّ فى خِدْمته (٨ : ٢ و٣).

(خامسًا) ومن بين مميزات الإنجيل للقدّيس لوقا أنه أَوْرَدَ عددًا من الأمثال التى قالها السيد المسيح، مما لم يَرِد فى غيره من الأناجيل. أما هذه الأمثال فهى :

١ - مَثَل المديونين الذى قاله الرب يسوع فى بيت سمعان الفرّيسى (٧ : ٤١ -٤٣).

٢ - مَثَل السَّامِرِىّ الصالح، الذى بيَّن فيه أَنَّ قريب الإنسان هو مَن يصنع به خيرًا، من أىِّ جِنْسٍ كان من أجناس البَشر (١٠ : ٢٥-٣٧).

٣ - مَثَل الصَّديق اللحوح، الذى بَرْهَنَ فيه على أهميَّة اللجاجة فى الصلاة (١١ : ٥-٨).

٤ - مَثَل الغَنِىّ الغَبِىِّ (١٢ : ١٦-٢١).

٥ - مَثَل شجرة التين غير المثمرة، الذى بيَّن فيه رحمة الله فى منح الإنسان فرصة للتوبة (١٣ : ٦-٩).

٦ - مَثَل الدِّرهَم المفقود، الذى شَرَحَ فيه فَرَحَ السماء بخاطئ واحد يتوب (١٥ : ٨-١٠).

٧ - مَثَل الابن الضالّ (١٥ : ١١-٣٢).

٨ - مَثَل الوكيل الخائن (١٦ : ١-١٣).
٩ - مَثَل الغنى ولَعَازَرَ (١٦ : ١٩-٣١).
١٠ - مَثَل القاضى الظَّالم (١٨ : ١-٨).
١١ - مَثَل الفَرِّيسى والعَشَّار (١٨ : ٩-١٤).

(سادسًا) كذلك انفَرَدَ الإنجيل للقدِّيس لوقا بإيراد معجزات للسيد المسيح لم يُورِدها غيره من الإنجيليين. وهذه المعجزات هى :

١ - معجزة صيد السمك الكثير فى الصَّباح، بعد اليأس من محاولة الصيد طوال الليل (٥ : ٤-١١).

١ - معجزة صيد السمك الكثير فى الصَّباح، بعد اليأس من محاولة الصيد طوال الليل (٥ : ٤-١١).

٢ - معجزة إقامة الشاب ابن أرملة نايين من الموت بعد أن حَمَلوه إلى المقبرة (٧ : ١١-١٧).
٣ - معجزة شفاء المرأة المنحنية الظهر لمدة ١٨ سنة (١٣ : ١١-١٧).
٤ - معجزة شفاء الرَّجُل المصاب بِدَاء الاستسقاء (١٤ : ١-٦).
٥ - معجزة شفاء عشَرَة الرِّجال البُرْصِ (١٧ : ١٢-١٩).
٦ - معجزة إبراء أُذن عَبْدِ رئيس الكهنة المقطوعة (٢٢ : ٥٠ و٥١).

٥ - القِدِّيسُ لوقا الإنجيلى :

تلك كلمة عن الإنجيل للقديس لوقا ومميزاته، وزمان ومكان كتابته, ولابُدَّ لنا هنا من كلمة عن القديس لوقا نفسه كاتب الإنجيل الذى يحمل اسمه.

١ - يقرّر التقليد المسلَّم للكنيسة أنَّ القديس لوقا هو أحد السبعين رسولاً. ومما هو جدير بالذكر أنَّ القديس لوقا هو الإنجيلى الوحيد الذى أورد خبر تعيين الربِّ يسوع للسبعين رسولاً، وذلك فى الفصل العاشر من بشارته. وقد شهد آباء الكنيسة أنَّ القديس لوقا كان من بين السبعين رسولاً. ومِمَّنْ قالوا بهذا الرَّأى العَلاَّمة أوريجينوس، والقديس ابيفانيوس (نحو عام ٣١٥-٤٠٢م) فى كتابه «الرد على الهرطقات» والقدّيس إيرونيموس أوجيروم، ثم غريغوريوس الكبير (عام

٥٩٠-٦٠٤م) كما شهد بذلك السنكسار تحت اليوم الثانى والعشرين من شهر بابه القبطى، وتحت اليوم الأول من شهر هاتور.

٢ - والقديس لوقا هو أحد التلميذين اللذين التقيا بالربِّ يسوع بعد قيامته من بين الأموات، وهما فى طريقهما إلى القرية التى تُسَمَّى عمَّاوس، وقد تناول الطعام معهما، وتحدَّث إليهما فى أقوال الكتب المقدَّسة التى أشارت إليه وأنبأت عنه.

٣ - وقيل فى سبب اهتدائه إلى المسيح إنه سمع بأنباء ظهوره فى بلاد فلسطين، وبأنه يشفى جميع الأمراض بغير دواء أو عقار، فَظَنَّ فى مبدأ الأمر أن ذلك وَهْمٌ وخِدَاع، فَقَصَد إلى حيث المسيح ليتحقق الخبر بنفسه، فرأى المسيح وآمَنَ بِهِ، وتَتَلْمَذ عليه، وصار واحدًا من السبعين رسولاً[١].

٤ - كان القديس لوقا من أصل غير يهودى، أى كان فى الأصل وثنيًا أُمَمِيًا. ويقول يعقوب الرهاوى إنه كان من مدينة الإسكندرية. وقال يوسابيوس القيصرى إنه كان من مدينة أنطاكية سورية[٢]، وكذلك قال القدّيس إيرونيموس[٣]. وأيًّا كان القول، فهو من أصل يونانى لا يهودى. ويشهد اسمه اليونانى على أصله، فهو باليونانية لوكاس LOUKAS ، وهو الاسم المختصر للاسم الكامل لوكانوس LOUKANOS ، فقد وُجِدَ بهذه ا لصورة الأخيرة فى عنوان الإنجيل الثالث فى النصوص اللاتينية القديمة[٤]، وعلى توابيت من القرن الخامس فى آرليس ARLES.

٥ - وبعد صعود المسيح له المجد، لازَمَ لوقا القدِّيس بولس الرسول وصار مرافقًا له فى أسفاره ورحلاته كما يتضح من سِفْر أعمال الرُّسُل، فقد صحبه فى رحلته الثانية من ترواس إلى ساموثراكى ونيابوليس، ثم إلى فيلبى فى مقاطعة مكدونية وهو كولونية (الأعمال ١٦ : ١٠-١٧)، ثم لازَمَه فى فيلبى. ولكن بعد خروج القدّيس بولس من فيلبى بقى القدّيس لوقا فيها يُبَشِّر ويُعَلِّم نحو سبع سنين، بدليل أنه فى الفصل السادس عشر من سِفْر أعمال الرسل كان القديس لوقا وهو

(١) كتاب «الدر الفريد فى تفسير العهد الجديد» تأليف العلاّمة مار ديونيسيوس يعقوب أمين الصليبى السّريانى مطران مدينة آمد (ديار بكر)، الجزء الثانى. المطبوع بمصر سنة ١٩١٤ صفحة١.

(٢) تاريخ الكنيسة الجزء الثالث فصل ٤ : ٦.

(٣) «مجموعة الآباء اللاتين» تأليف مينى Migne المجلد ٢٦. عمود ١٨.

(٤) Thw Vocabulary of the Greek Testament, Illustrated From the Papyri and Other Non-Literary Sources, By. J.H.Moulton and G. Milligan, London, 1952, P.350. b,381a.

كاتب هذا السِّفر يتكلم بصيغة جمع المتكلمين، وأما فى الفصل السابع عشر فصار يتكلَّم بصيغة الغائب، إلى أن عاد القديس بولس إلى فيلبى، ومِنْ ثمَّ رافقه القدّيس لوقا فى رحلته الثالثة إلى إسوس وميتيلينى وساموس وميليتس (الأعمال ٢٠ : ٥-١٦)، وكوس ورودس وباترا وصور وبتولمايس وقيصرية وأورشليم (الأعمال ٢١ : ١-١٥ و١٧ و١٨). ثم ذهب معه أيضًا إلى روما (الأعمال ٢٧ : ١)؛ (٢٨ : ١٦) وبقى معه كل المدة التى كان فيها القديس بولس مسجونًا سجنه الأول (كولوسى ٤ : ١٤)؛ (٢. تيموثيئوس ٤ : ١١).

٦ - ولقد ذكره القديس بولس الرسول فى عدة مواضع من رسائله، فوصفه مَرَّة بأنه «الأخ الذى مدحه فى الإنجيل فى جميع الكنائس. وليس ذلك فقط، بل هو مُنتخب أيضًا من الكنائس رفيقًا لنا فى السَّفَر» (٢. كورنثوس٨ : ١٨ و١٩) ومَرَّة أخرى بأنه« الأخ » (٢. كورنثوس ١٢ : ١٨). ويقول العلامة أوريجينوس إن « الأخ » هو القديس لوقا الإنجيلى. ويؤيد هذا ما وَرَدَ فى ملحق هذه الرسالة الثانية إلى كورنثوس، وذلك فى اليونانية ثم القبطية، أنها «كُتِبَتْ فى فيلبى التى لمقدونيا، وأُرسِلَتْ على يد تيطس ولوقا»، ووصفَه الرسول بولس مرة أخرى فى إحدَى رسائله بأنه «لوقا الطبيب الحبيب» (كولوسى ٤ : ١٤)، وَوَصَفَهُ كذلك بأنه الرفيق الوحيد، وذلك فى رسالته الثانية إلى تيموثيئوس، حيث قال «لوقا وحده معى» (٢. تيموثيئوس ٤ : ١١). وقال عنه فى رسالته إلى فيليمون بأنه وآخَرون «العاملون معه» (فيليمون : ٢٤).

٧ - وقد اشتهر القديس لوقا الإنجيلى بأنه كان طبيبًا. وقيل عنه إنه قبل تلمذته للمسيح، كان تلميذًا لأكبر علماء الطبّ فى زمانه. ومن المعروف أنه لم يكن يُسْمحَ لأحد أن يمارس مهنة الطب فى عهد الرّومان قبل أن يجتاز امتحانات على جانب كبير من الصعوبة والدِّقَّة. وبعد أن صار رسولاً وتلميذًا للمسيح، ورفيقًا للقديس بولس الرَّسول فى خدمته وأسفاره، لم يحرمه الرسول بولس من لَقَبِهِ كطبيب. فقد ذَكَرَه صراحةً فى رسالته إلى كولوسى بأنه «لوقا الطبيب الحبيب» (٤ : ١٤) بل إننا نرى أنه لابُدَّ أن يكون القدّيس لوقا الطبيب وراء النصائح الطبية التى أوردها الرسول بولس فى بعض رسائله، ومنها قوله إلى القديس تيموثيئوس

الرَّسول «لاتَكُن فيما يعد شرَّاب ماء، بل اشرب قليلاً من الخمر، من أجل معدتك وأمراضك الكثيرة» (١. تيموثيئوس ٥ : ٢٣)، وقوله «فإنَّ الرِّياضة البدنية فيها بعض النفع» (١. تيموثيئوس ٤ : ٨).

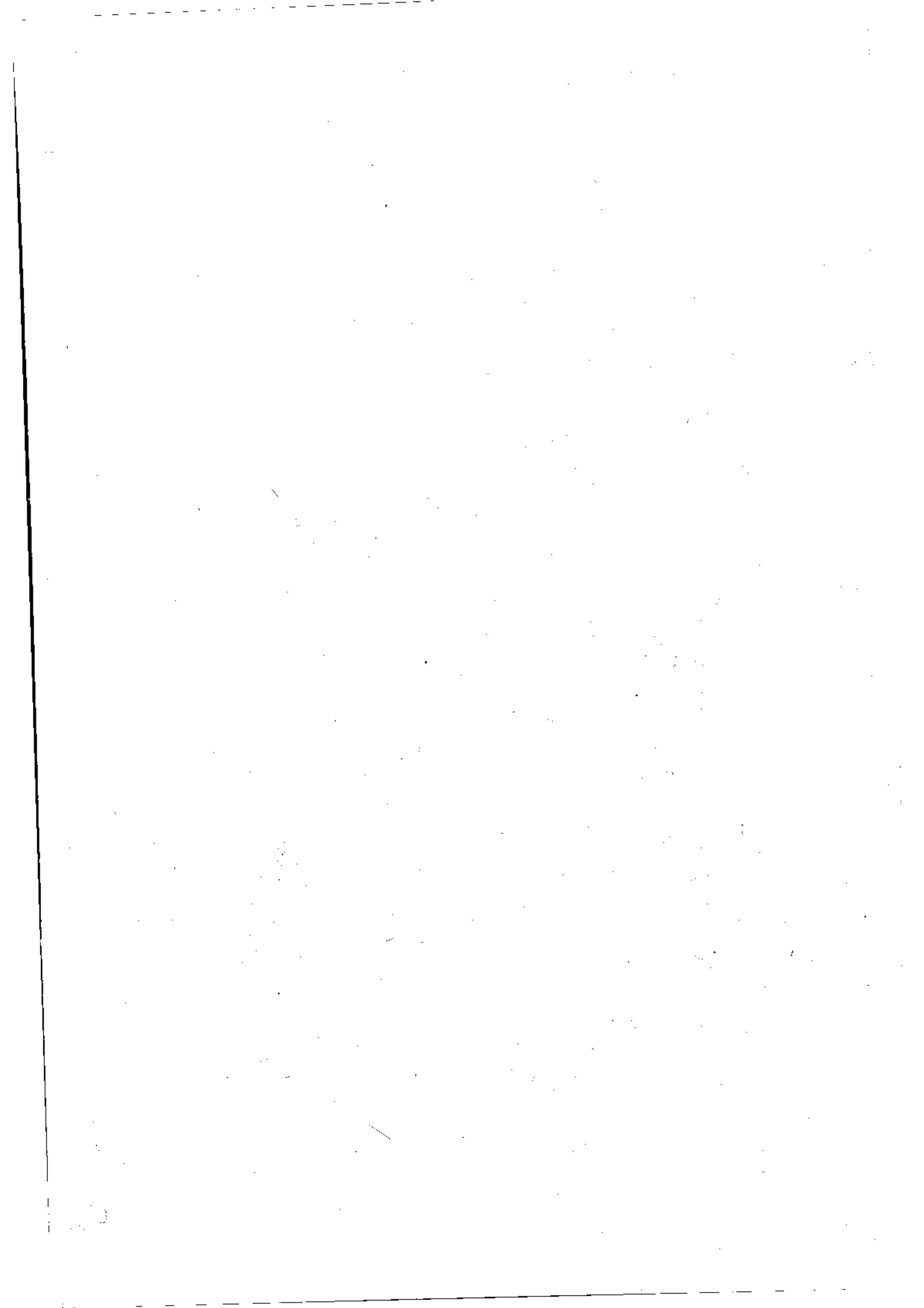
٨ - ولم يكن القدّيس لوقا طبيبًا فقط، بل كان مُصَوِّرًا أيضًا، كما يقول كثير من المؤرخين المسيحيين، ومنهم نيكوفورس. ولذلك فإنه يُصَوَّر عادة وإلى جانبه الثور من جهة، وأدوات التصوير من جهة أخرى. ولقد ذكر تاودروس القارىء فى الفصل الأول من الجزء الأول من كتابه فى تاريخ الكنيسة، أن أفدوكية الملكة أرسلت من أورشليم، فى نحو سنة ٤٠٠م، إلى بولخيريا فى القسطنطينية صورة للقديسة العذراء مريم، من عمل القديس لوقا (مجموعة الآباء اليونانيين تأليف مينى MIGNE المجلد ٨٦، الجزء الأول، عمود ١٦٥). ويقول توما الإكوينى أيضًا «ومن التقليد نعرف أنّ لوقا الطوباوى صوَّر صورة المسيح الموجودة فى رومية» (المجموعة اللاهوتية، الجزء الثالث، السؤال ٢٥، الباب الثالث، الجواب على الاعتراض الرابع)، وهى الصورة الموجودة الآن بروما فى كنيسة القديسة مريم Santa Maria Maggiore وجاء فى كتاب «مشكاة الطُّلَّاب فى حل مشكلات الكتاب» للأنبا إيسيذورس «وقد صوَّر (القديس لوقا الإنجيلى) صُور العذراء، وبحضنها الطفل يسوع. والمتواتر على الألسن أنّه توجد منها ثلاث صور، واحدة فى القدس، وأخرى فى رومية، والثالثة فى مصر»[١].

٩ - وبالإضافة إلى ذلك، كان لوقا الإنجيلى مُؤرِّخا دقيقًا، قد تَوَخَّى الدِّقة التامة فى كُل ما كَتَبَ، آخذًا مصادره ممَّن وصفهم بأنهم «رأوا بأعينهم وكانوا خُدَّامًا للكلمة» (١ : ٢). ولاشك أنه يشير هنا إلى العذراء مريم، أوَّلاً وبالذات، بقوله: «إذ كان كثيرون قد أخذوا يُدَوِّنونَ قِصَّةَ تِلكَ الأَحْداث الَّتى جَرَتْ يَقينًا بيننا، كما تَسَلَّمْناها من أُولئِكَ الَّذين رَأَوا بأَعيُنِهِم وكانوا خُدَّامًا للكَلِمةِ، رأيتُ أنا أيضًا إذْ قد تَتَبَّعْتُ كُلَّ شىء منذ الابتداء بِتدقيقٍ، أن أَكْتُبها لَكَ بِحَسَبِ تَرتيبِها» (١ : ١-٣). وتتضح دقة القديس لوقا الإنجيلى فى تأريخه للأحداث، وتحديد زمانها على وجه التخصيص. ومن ذلك قوله «كانَ فى أيَّام هيرودُس مَلِكِ اليهوديَّة، كاهِنٌ اسمُهُ

(١) «مشكاة الطُّلَّاب» للأنبا ايسيذورس، طبعة القاهرة، سنة ١٩٢٩. صفحة ٣٩٢.



« القديس لوقا كاتب هذه البشارة » مأخوذة عن أيقونة بكنيسة السيدة العذراء بمهمشة بالقاهرة



زَكَـرِيَّا، مِنْ فِـرْقَةِ أَبِيَّـا، وكـانَتْ زَوْجتُـهُ مِنْ بَنـاتِ هـارُونَ اسمُهـا اليصـابـاتُ. . » (١ : ٥). وقـوله « وَفِى تِلكَ الأيَّـامِ صَـدَرَ مَرْسـومٌ مِنْ أوغُسْـطُس قَيْصَـرَ بِـإجْـراءِ تَسجِيلٍ لِسُكَّانِ العالَمِ كُلِّهِ. وكانَ هـذا هو التَسْجِيـلُ الأوّلُ الَّذِى جَـرَى حين كانَ كيرينيُوسُ والِيًا على سُـرِيا » (٢ : ١ و ٢). وقولـه « وَفِى السَّنَةِ الخـامِسَةِ عَشْـرَةَ مِنْ حُكْمِ طِيبَارِيُوسَ قَيْصَرَ حِينَ كانَ بِيلاطُسُ البُنْطِىُّ والِيًـا على اليهوديَّـةِ، وهيرودُسُ حـاكِمًا على الجليـلِ، وفيلبُّس أخوهُ حـاكِمًـا فى إيـطورِيَّـةَ وأراضِى تَـرَاغُـونِيتِسَ، وليسانْيُوسُ حاكِمًا فى أبيلينيّةِ، وكان حَنَّـانُ وقِيافَـا رئيسَيْنِ لِلكَهَنَةِ، كـانَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ على يُوحَنَّا بنِ زَكَرِيّا » (٣ : ١و٢).

١٠ - والقـديس لوقـا هو بعينـه كاتب سِفـر « أعمـال الـرسـل »، وقـد كتبـه بعـد الإنجيل، ووجَّهه إلى « صاحب العزة ثيئـوفيلوس » الذى كَتَبَ إليـه إنجيله، إذ يقول « الكـلام الأول أنشأتـه يـاثيئـوفيلوس عن جميـع مـا ابتـدأ يسـوع يفعله ويعلِّم بـه » (الأعمال ١ :). والقدِيس لـوقا الإنجيلى هـو أيضًا الـذى قام بتـرجمة « رسـالة القديس بولس إلى العبرانيين » من اللغة العبرانية إلى اليـونانيـة، كما يشهـد بذلـك إكليمنضس الإسكندرى فى كتابه « المُجْمَل »، ويؤيده فى ذلك المؤرّخ أوسـابيوس القيصرى فى كتابه « تاريخ الكنيسة »[1].

١١ - وقد رافق قدِّيسنا لوقا الإنجيلى القدّيس بـولس فى أسفاره ورحـلاته، كمـا قلنـا، إلى أن استُشْهِدَ الـرَّسولان بـطرس وبولس فى روميـة على عهد الإمبـراطـور نيرون فى سنة٦٧م. وبعد استشهادهما ظلَّ القـدِّيس لوقـا يُبَشِّر فى نـواحى رومية. ويقـول بعض آباء الكنيسـة إنَّه بَشَّـر فى دلماتيـة وغاليـة وإيتاليـة ومكدونيـة وأكائيـة ومصر، فأبلغوا أمره إلى نيرون إمبَراطور الرومان، ووصفوه له بأنه ساحر، فاستـدعاه نيرون، وعندما بلغه أمر الإمبراطور، سَلَّم ما عنده من الكتب إلى رجل صيَّاد، وقال لـه « احتفظ بهذه الكتب فـإنهـا تنفعـك وتهـديـك إلى طـريق الله. فلمـا مثـل أمـام الإمبراطور، قال له هذا غاضبًا « إلى مَتَى تُضِلُّ الناس بسحرك ؟ ». أجـاب القدّيس لوقا « إنى لستُ بسَاحِرٍ، لكنى رسول سيِّدى يسوع المسيح ابن الله الحىّ ». وعندئذ

(١) « تاريخ الكنيسة » ليوسابيوس القيصرى، الجزء٦، فصل١٤ : ٢، الجزء ٣ فصل ٣٨ : ٢.

أَمَرَ نيرون بأن يقطعوا ساعده الأيمن، قائلاً « اقطعوا هذه اليد التى كان يكتب بها ». فلمَّا قطعوا يده قال القدِّيس وهو صابر « نحن لانكره موت هذا العالم، ولكن لكى تَعلَم أيها المَلِك قوَّة سيِّدى يسوع المسيح »، ثم تناول يده وألصقها فى مكانها فالتصقت، ثم فَصَلَهَا فانْفَصَلَتَ. فتعجَّبَ الحاضرون، وآمَنَ وزير الملك وزوجته وَجَمْعٌ كثير، فَأَمَرَ الملك فقطعوا رؤوسهم جميعًا. وأما القدّيس لوقا، فبعد أن قطعوا رأسه جعلوا جسده فى كيس من شَعر. ثم ألقوه فى البحر. وبتدبير من الله قَذَفَت به الأمواج إلى جزيرة، فوجده أحد المؤمنين، فأخذه وكفَّنه بما يليق[1]. وتُعيِّد له الكنيسة الأرثوذكسية فى مصر فى اليوم الثانى والعشرين من شهر بابه القبطى (وهو يقابل ١ أو٢ من نوفمبر). وتُعَيِّد له الكنيسة الغربية فى الثامن عشر من شهر أكتوبر.

١٢ - ويروى التاريخ أنَّ الإمبراطور قنسطنطيوس الثانى Constantius II أمر بنقل رفات القدّيس لوقا من طيبة Thepes فى بيتية Poetia إلى القسطنطينية حيث حُفِظَت فى كنيسةِ الرسل التى بُنِيَت بعد ذلك مباشرة.

ومن التقليد نعلم أنَّ القدّيس لوقا الإنجيلى عاش بتولاً، وأنه عندما استُشْهِدَ كان ابن ٨٤ سنة[2].

اللجنــة

(١) انظر السنكسار القبطى تحت اليوم الثانى والعشرين من شهر بابه القبطى.

(٢) The Oxford Dictionary of the Christian Church, Edited by F.L. Cross, London, 1963 p. 829 (a)


الإنجيل
للقديس
لوقا



الْفَصْلُ الأَوَّلُ

القِدِّيسُ لُوقَا يُسَجِّلُ أَحْدَاثَ الإِنْجِيلِ :

١ ✠ إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا يُدَوِّنُونَ قِصَّةَ تِلْكَ الأَحْدَاثِ الَّتِي جَرَتْ يَقِيناً بَيْنَنَا ٢ ✠ كَمَا تَسَلَّمْنَاهَا[١] مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ رَأَوْا بِأَعْيُنِهِمْ وَكَانُوا خُدَّاماً لِلْكَلِمَةِ[٢] ٣ ✠ رَأَيْتُ أَنَا أَيْضاً ، إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مُنْذُ الابْتِدَاءِ بِتَدْقِيقٍ ، أَنْ أَكْتُبَهَا لَكَ بِحَسَبِ تَرْتِيبِهَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثِيئُوفِيلُوسُ[٣] ٤ ✠ حَتَّى تَتَحَقَّقَ مِنْ صِحَّةِ تِلْكَ الأُمُورِ الَّتِي تَعَلَّمْتَهَا[٤] :

(١) العبرانيين ٢ : ٣ ؛ ١بطرس ٥ : ١ ؛ ٢بطرس ١ : ١٦ ؛ ١يوحنا ١ : ١

(٢) مرقس ١ : ١ ؛ يوحنا ١٥ : ٢٧

(٣) الأعمال ١ : ١

(٤) يوحنا ٢٠ : ٣١

(٥) متى ٢ : ١

١ مِيلادُ يُوحَنَّا المَعْمَدَانِ :

٥ ✠ كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ[٥] كَاهِنٌ

سنة ٦ ق م

اسْمُهُ زَكَرِيَّا ، مِنْ فِرْقَةِ[1] أَبِيَّا[2]. وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ مِنْ بَنَاتِ هَارُونَ اسْمُهَا أَلِيصَابَاتُ . ✠ ٦ وَكَانَا كِلاَهُمَا بَارَّيْنِ أَمَامَ اللهِ[3]، سَالِكَيْنِ بِلاَ لَوْمٍ فِي كُلِّ وَصَايَا الرَّبِّ وَفَرَائِضِهِ ✠ ٧ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا وَلَدٌ، إِذْ كَانَتْ أَلِيصَابَاتُ عَاقِرًا ، وَقَدْ كَانَا كِلاَهُمَا طَاعِنَيْنِ فِي السِّنِّ .

٨ ✠ وَفِيمَا كَانَ زَكَرِيَّا يَقُومُ بِمَرَاسِمِ الْكَهَنُوتِ أَمَامَ اللهِ فِي نَوْبَةِ فِرْقَتِهِ[4]، ٩ ✠ أَصَابَتْهُ الْقُرْعَةُ عَلَى مُقْتَضَى نِظَامِ الْكَهَنُوتِ لأَنْ يَقُومَ بِالتَّبْخِيرِ[5]، ١٠ فَدَخَلَ هَيْكَلَ الرَّبِّ . ✠ وَكَانَ الشَّعْبُ كُلُّهُ ١١ فِي الْخَارِجِ يُصَلِّي فِي وَقْتِ التَّبْخِيرِ[6]. ✠ وَإِذَا بِمَلاَكِ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ قَائِماً عَنْ يَمِينِ مَذْبَحِ الْبَخُورِ[7].

١٢ ✠ فَاضْطَرَبَ زَكَرِيَّا حِينَ رَآهُ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ ١٣ الْخَوْفُ[8]. ✠ فَقَالَ لَهُ الْمَلاَكُ « لاَ تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا ، فَإِنَّ دُعَاءَكَ قَدِ اسْتُجِيبَ ، وَزَوْجَتَكَ أَلِيصَابَاتَ سَتَحْبَلُ وَتَلِدُ لَكَ ابْناً فَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا[9].

١٤ ✠ وَتَفْرَحُ وَتَبْتَهِجُ ، كَمَا يَفْرَحُ كَثِيرُونَ بِمِيلاَدِهِ[10] ، ١٥ ✠ لأَنَّهُ سَيَكُونُ عَظِيماً أَمَامَ الرَّبِّ ، وَخَمْرًا أَوْ مُسْكِرًا لاَ يَشْرَبُ[11] ، وَمُنْذُ يَكُونُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ[12] ١٦ سَيَكُونُ مُمْتَلِئًا مِنْ رُوحِ الْقُدُسِ . ✠ وَسَيَرُدُّ

(١) كان كهنة اليهود منقسمين إلى ٢٤ فرقة بحسب الخدمة كل فرقة مرة أسبوعين .

(٢) ١.الأيام ٢٤ : ١٠ و ١٩ ؛ نحميا ١٢ : ٤ و ١٧

(٣) التكوين ٧ : ١ ؛ ١٧ : ١ ؛ ١.الملوك ٩ : ٤ ؛ ٢.الملوك ٢٠ : ٣ ؛ أيوب ١ : ١ ؛ الأعمال ٢٣ : ١ ؛ ٢٤ : ١٦ ؛ فيلبي ٣ : ٦

(٤) ١.الإيام ٢٤ : ١٩ ؛ ٢.الأيام ٨ : ١٤ ؛ ٣١ : ٢

(٥) الخروج ٣٠ : ٧ و ٨ ؛ ١.صموئيل ٢ : ٢٨ ؛ ١.الأيام ٢٣ : ١٣ ؛ ٢.الأيام ٢٩ : ١١

(٦) اللاويين ١٦ : ١٧ ؛ الرؤيا ٨ : ٣ و ٤

(٧) الخروج ٣٠ : ١

(٨) القضاة ٦ : ٢٢ ؛ ١٣ : ٢٢ ؛ دانيال ١٠ : ٨ ؛ لوقا ١ : ٢٩ ؛ الرؤيا ١ : ١٧

(٩) لوقا ١ : ٦٠ و ٦٣

(١٠) لوقا ١ : ٥٨

(١١) العدد ٦ : ٣ ؛ القضاة ١٣ : ٤

(١٢) أرميا ١ : ٥ ؛ غلاطية ١ : ١٥

كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِهِمْ[1].

١٧ ✠ وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَ الرَّبِّ بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِه[2] لِيَرُدَّ قُلُوبَ الآبَاءِ إِلَى أَبْنَائِهِمْ، وَالْعُصَاةَ إِلَى فِكْرِ الأَبْرَارِ، كَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْباً صَالِحاً».

١٨ ✠ فَقَالَ زَكَرِيَّا لِلْمَلاَكِ «بِمَ أَعْرِفُ هَذَا[3]. فَإِنِّي أَنَا شَيْخٌ، وَزَوْجَتِي قَدْ طَعَنَتْ فِي السِّنِّ؟».

١٩ ✠ فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَهُ «أَنَا جِبْرَائِيلُ الْوَاقِفُ أَمَامَ اللهِ[4]. وَقَدْ أُرْسِلْتُ لأُكَلِّمَكَ وَأُبَشِّرَكَ بِهَذَا.

٢٠ ✠ وَهَا أَنْتَ ذَا سَتَظَلُّ أَبْكَمَ فَلاَ تَسْتَطِيعُ الْكَلاَمَ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَتَحَقَّقُ فِيهِ هَذَا، لأَنَّكَ لَمْ تُصَدِّقْ كَلاَمِي الَّذِي سَيَتِمُّ فِي أَوَانِه».

٢١ ✠ وَكَانَ الشَّعْبُ كُلُّهُ فِي انْتِظَارِ زَكَرِيَّا، مُتَعَجِّبِينَ مِنْ إِبْطَائِهِ فِي الْهَيْكَلِ.

٢٢ ✠ فَلَمَّا خَرَجَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، فَأَدْرَكُوا أَنَّه قَدْ رَأَى رُؤْيَا فِي الْهَيْكَلِ، إِذْ كَانَ يُومِئُ بِالإِشَارَةِ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ ظَلَّ أَبْكَمَ.

٢٣ ✠ فَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ خِدْمَتِه[6] مَضَى إِلَى بَيْتِه.

٢٤ ✠ ثُمَّ لَمْ تَلْبَثْ زَوْجَتُهُ أَلِيصَابَاتُ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ أَنْ حَبِلَتْ، فَأَخْفَتْ نَفْسَهَا خَمْسَةَ أَشْهُرٍ قَائِلَةً

٢٥ ✠ «هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ مَعِي إِذْ عَطَفَ عَلَيَّ كَيْ يَنْزِعَ[7] عَنِّي الْعَارَ بَيْنَ النَّاسِ[8]».

(١) ملاخي ٤ : ٥ و٦
(٢) ملاخي ٤ : ٥ ؛ متى ١١ : ١٤ ؛ مرقس ٩ : ١٢
(٣) التكوين ١٧ : ١٧
(٤) دانيال ٨ : ١٦ ؛ ٩ : ٢١ و٢٢ و٢٣ ؛ متى ١٨ : ١٠ ؛ العبرانيين ١ : ١٤
(٥) حزقيال ٣ : ٢٦ ؛ ٢٤ : ٢٧
(٦) ٢-الملوك ١١ : ٥ ؛ ١-الأيام ٩ : ٢٥
(٧) لأن اليصابات كانت عاقراً أي لا تحبل ولا تلد وكان العقم عاراً عند اليهود
(٨) التكوين ٣٠ : ٢٣ ؛ إشعياء ٤ : ١ ؛ ٥٤ : ١ و٤

بِشَارَةُ الْمَلاكِ إلى الْعَذْرَاءِ الْقِدِّيسَةِ مَرْيَمَ بِمِيلادِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ : (٢)

٢٦ وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ الْمَلاكُ جِبْرَائِيلُ مِنَ اللهِ إلى مَدِينَةٍ فِي الْجَلِيلِ تُسَمَّى النَّاصِرَةَ ، ٢٧ إلى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ[١] ، وَكَانَ اسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمَ . ٢٨ فَدَخَلَ الْمَلاكُ إِلَيْهَا وَقَالَ لَهَا « السَّلامُ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُمْتَلِئَةُ نِعْمَةً[٢] . الرَّبُّ مَعَكِ[٣] . مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ » . ٢٩ فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ قَوْلِهِ[٤] ، وَأَخَذَتْ تُفَكِّرُ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مَعْنَى هَذِهِ التَّحِيَّةِ ؟ ٣٠ فَقَالَ الْمَلاكُ لَهَا « لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ ، لأَنَّكِ قَدْ نِلْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ . ٣١ وَهَا أَنْتِ ذِي سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا[٥] تُسَمِّينَهُ يَسُوعَ[٦] ، ٣٢ وَسَيَكُونُ عَظِيماً وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى[٧] ، وَسَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلَهُ عَرْشَ دَاوُدَ أَبِيهِ[٨] ٣٣ فَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ ، وَلَنْ يَكُونَ لِمُلْكِهِ انْقِضَاءٌ[٩] » .

٣٤ فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاكِ « كَيْفَ يَكُونُ لِي هَذَا وَأَنَا لا أَعْرِفُ رَجُلاً ؟ » . ٣٥ فَأَجَابَ الْمَلاكُ وَقَالَ لَهَا « إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ سَيَحِلُّ عَلَيْكِ[١٠] وَقُوَّةَ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْقُدُّوسَ الَّذِي سَيُولَدُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ[١١] . ٣٦ وَهَا هِيَ ذِي أَلِيصَابَاتُ الَّتِي هِيَ مِنْ بَنَاتِ جِنْسِكِ ، قَدْ حَبِلَتْ هِيَ أَيْضاً

(١) متى ١ : ١٨ ؛ لوقا ٢ : ٤ و ٥
(٢) دانيال ٩ : ٢٣ ؛ ١٠ : ١٩
(٣) القضاة ٦ : ١٢
(٤) لوقا ١ : ١٢
(٥) اشعياء ٧ : ١٤ ؛ متى ١ : ٢١
(٦) لوقا ٢ : ٢١
(٧) مرقس ٥ : ٧
(٨) ٢صموئيل ٧ : ١١ و١٢ ؛ المزمور ١٣٢ : ١١ ؛ اشعياء ٩ : ٦ و٧ ؛ ١٦ : ٥ ؛ ارميا ٢٣ : ٥ ؛ الرؤيا ٣ : ٧
(٩) دانيال ٢ : ٤٤ ؛ ٧ : ١٤ و ٢٧
(١٠) متى ١ : ٢٠
(١١) متى ١٤ : ٣٣ ؛ ٢٦ : ٦٣ و ٦٤ ؛ مرقس ١ : ١ ؛ يوحنا ١ : ٣٤ ؛ ٢٠ : ٣١ ؛ الأعمال ٨ : ٣٧ ؛ رومية ١ : ٤

بِابْنٍ فى شَيْخُوخَتِها. وَهَذَا هُوَ شَهْرُهَا السَّادِسُ ، تِلْكَ الَّتِى كَانَ يُقَالُ إنَّهَا عَاقِرٌ ✠ ٣٧ لأَنَّهُ لَيْسَ ثَمَّةَ مُسْتَحِيلٌ على اللهِ[1] » . ✠ ٣٨ فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاكِ « هَا أَنَا ذَا أَمَةُ[2] الرَّبِّ ، فَلْيَكُنْ لِي بِحَسَبِ قَوْلِكَ » وَانْصَرَفَ الْمَلاكُ مِنْ عِنْدِهَا .

٣ زِيَارَةُ الْعَذْرَاءِ لأَلِيصَابَاتَ :

✠ ٣٩ وَفِى تِلْكَ الأَيَّامِ قَامَتْ مَرْيَمُ وَذَهَبَتْ مُسْرِعَةً إلَى مَدِينَةٍ عَلَى الْجِبَالِ مِنْ مُدُنِ يَهُوذَا[3] ، ✠ ٤٠ وَدَخَلَتْ بَيْتَ زَكَرِيَّا وَسَلَّمَتْ عَلَى أَلِيصَابَاتَ . ✠ ٤١ فَمَا إِنْ سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلامَ مَرْيَمَ حَتَّى انْتَفَضَ[4] الْجَنِينُ فى بَطْنِهَا ، وَامْتَلأَتْ أَلِيصَابَاتُ مِنْ رُوحِ الْقُدُسِ ، ✠ ٤٢ فَصَاحَتْ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلَةً « مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِى النِّسَاءِ[5] ، وَمُبَارَكَةٌ هِىَ ثَمَرَةُ بَطْنِكِ . ✠ ٤٣ مِنْ أَيْنَ لِى هَذَا الشَّرَفُ أَنْ تَأْتِىَ أُمُّ رَبِّى إِلَىَّ ، ✠ ٤٤ فَإِنَّهُ مَا بَلَغَ أُذُنَىَّ صَوْتُ سَلامِكِ حَتَّى انْتَفَضَ الْجَنِينُ مُتَهَلِّلاً فِى بَطْنِى . ✠ ٤٥ فَطُوبَى لَكِ يَا مَنْ آمَنْتِ بِأَنَّهُ سَيَتِمُّ مَا قِيلَ لَكِ مِنَ الرَّبِّ » .

✠ ٤٦ فَقَالَتْ مَرْيَمُ « تُعَظِّمُ نَفْسِى الرَّبَّ[6] ، ✠ ٤٧ وَتَبْتَهِجُ رُوحِى بِاللهِ مُخَلِّصِى ، ✠ ٤٨ لأَنَّهُ عَطَفَ عَلَى أَمَتِهِ[7] فِى تَوَاضُعِهَا . فَإِنَّهُ هُوَ ذَا مُنْذُ الآنَ

(١) التكوين ١٨ : ١٤ ؛ ارميا ٣٢ : ١٧ ؛ زكريا ٨ : ٦ ؛ متى ١٩ : ٢٦ ؛ مرقس ١٠ : ٢٧ ؛ لوقا ١٨ : ٢٧ ؛ [رومية] ٤ : ٢١

(٢) الأَمَة هي : الجارية أو العبدة أو الخادمة .

(٣) يشوع ٢١ : ١١ و١٣

(٤) انتفض أو ارتكض بمعنى تحرك قافزاً .

(٥) القضاة ٥ : ٢٤ ؛ طوبيا ١٣ : ٢٣ ؛ لوقا ١ : ٢٨

(٦) ١صموئيل ٢ : ١ ؛ المزمور ٣٤ : ٢ و ٣ ؛ ٣٥ : ٩

(٧) ١صموئيل ١ : ١١

٤٩ كُلُّ الأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي[١] . ✠ لأَنَّ الْقَدِيرَ قَدْ صَنَعَ
٥٠ بِي عَظَائِمَ[٢] . قُدُّوسٌ[٣] اسْمُهُ ✠ وَرَحْمَتُهُ دَائِمَةٌ
٥١ إِلَى أَجْيَالٍ فَأَجْيَالٍ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ[٤] . ✠ أَتَى
أَعْمَالَ قُدْرَةٍ بِذِرَاعِهِ[٥] وَشَتَّتَ الْمُتَعَالِينَ بِأَفْكَارِ قُلُوبِهِمْ[٦] .
٥٢ ✠ أَنْزَلَ الأَعِزَّاءَ عَنْ عُرُوشِهِمْ ، وَرَفَعَ الأَذِلاَّءَ[٧] .
٥٣ ✠ أَشْبَعَ الْجِيَاعَ خَيْرَاتٍ ، وَصَرَفَ الأَغْنِيَاءَ
٥٤ فَارِغِي الأَيْدِي[٨] . ✠ عَاضَدَ عَبْدَهُ إِسْرَائِيلَ لِيَذْكُرَ
٥٥ رَحْمَتَهُ[٩] ✠ الَّتِي وَعَدَ بِهَا آبَاءَنَا إِبْرَاهِيمَ وَذُرِّيَّتَهُ[١٠]
٥٦ إِلَى الأَبَدِ » . ✠ وَقَدْ مَكَثَتْ مَرْيَمُ عِنْدَهَا نَحْوَ
ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا .

(١) ملاخي ٣ : ١٢ ؛ لوقا ١١ : ٢٧
(٢) المزمور ٧١ : ١٩ ؛ ١٢٦ : ٢
(٣) المزمور ١١١ : ٩
(٤) التكوين ١٧ : ٧ ؛ الخروج ٢٠ : ٦ ؛ المزمور ١٠٣ : ١٧
(٥) المزمور ٩٨ : ١ ؛ ١١٨ : ١٥ ؛ اشعياء ٤٠ : ١٠
(٦) المزمور ٣٣ : ١٠ ؛ ١بطرس ٥ : ٥
(٧) ١صموئيل ٢ : ٦ إلخ ؛ أيوب ٥ : ١١ ؛ المزمور ١١٣ : ٦ و ٧
(٨) ١صموئيل ٢ : ٥
(٩) المزمور ٩٨ : ٣ ؛ ارميا ٣١ : ٣

✠ ٤ ✠ مِيلاَدُ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ :

٥٧ ✠ أَمَّا أَلِيصَابَاتُ فَلَمَّا اسْتَوْفَتْ زَمَانَ
٥٨ وِلاَدَتِهَا ، وَلَدَتِ ابْناً ، ✠ وَسَمِعَ جِيرَانُهَا
وَأَقَارِبُهَا كَيْفَ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَجْزَلَ رَحْمَتَهُ لَهَا
٥٩ فَفَرِحُوا مَعَهَا[١١] ✠ وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ جَاءُوا لِخِتَانِ
الطِّفْلِ[١٢] ، وَسَمَّوْهُ زَكَرِيَّا عَلَى اسْمِ أَبِيهِ .
٦٠ ✠ فَأَجَابَتْ أُمُّهُ وَقَالَتْ « لاَ بَلْ يُسَمَّى يُوحَنَّا[١٣] » .
٦١ ✠ فَقَالُوا لَهَا « لاَ أَحَدَ فِي عَشِيرَتِكِ يُدْعَى بِهَذَا
٦٢ الاسْمِ ✠ ثُمَّ سَأَلُوا أَبَاهُ بِالإِشَارَةِ « مَاذَا تُرِيدُ أَنْ
٦٣ تُسَمِّيَهُ » ، ✠ فَطَلَبَ لَوْحاً وَكَتَبَ يَقُولُ « اسْمُهُ
٦٤ يُوحَنَّا[١٤] » . فَتَعَجَّبُوا جَمِيعاً . ✠ وَفِي الْحَالِ

(١٠) التكوين ١٧ : ١٩ ؛ المزمور ١٣٢ : ١١ ؛ رومية ١١ : ٢٨ ؛ غلاطية ٣ : ١٦
(١١) لوقا ١ : ١٤
(١٢) التكوين ١٧ : ١٢
(١٣) لوقا ١ : ١٣
(١٤) لوقا ١ : ١٣

انْفَتَحَ فَمُهُ ، وانْحَلَّتْ عُقْدَةُ لِسانِه ، وَتَكَلَّمَ[١] مُبَارِكاً اللهَ ، ✠ ٦٥ فَاعْتَرَى الْخَوْفُ جَمِيعَ جِيرَانِهِمْ وَجَرَى الْحَدِيثُ بِكُلِّ هَذِهِ الأُمُورِ فِي جَمِيعِ جِبَالِ الْيَهُودِيَّةِ[٢] . ✠ ٦٦ وَقَدْ رَاحَ كُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوهَا يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ[٣] قَائِلِينَ «مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هَذَا الطِّفْلُ ؟» ، فَإِنَّ يَدَ الرَّبِّ كَانَتْ مَعَهُ[٤] . ✠ ٦٧ وَقَد امْتَلأَ أَبُوهُ زَكَرِيَّا مِنْ رُوحِ الْقُدُسِ[٥] ، وَتَنَبَّأَ قَائِلاً ✠ ٦٨ «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ[٦] ، لأَنَّهُ تَفَقَّدَ شَعْبَهُ[٧] وَافْتَدَاهُ ، ✠ ٦٩ مُقِيماً لَنَا رُكْنَ خَلاصٍ[٨] مِنْ بَيْتِ عَبْدِهِ دَاوُدَ[٩] ، ✠ ٧٠ كَمَا أَعْلَنَ مُنْذُ الْقَدِيمِ عَلَى أَفْوَاهِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ[١٠] ✠ ٧١ أَنْ يُخَلِّصَنَا مِنْ أَعْدَائِنَا ، وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَنَا ، ✠ ٧٢ وَأَنْ يُسْبِغَ رَحْمَتَهُ عَلَى آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ[١١] ، ✠ ٧٣ ذَلِكَ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَهُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا[١٢] ، ✠ ٧٤ أَنْ يُنْعِمَ عَلَيْنَا بِأَنْ نَنْجُوَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا ، فَنَعْبُدَهُ[١٣] بِلا خَوْفٍ ، ✠ ٧٥ فِي قَدَاسَةٍ وَبِرٍّ أَمَامَهُ[١٤] كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِنَا . ✠ ٧٦ وَأَنْتَ أَيُّهَا الطِّفْلُ سَتُدْعَى نَبِيَّ الْعَلِيِّ ، لأَنَّكَ سَتَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ لِتُهَيِّئَ طُرُقَهُ ، ✠ ٧٧ وَلِتُعْطِيَ شَعْبَهُ مَعْرِفَةَ الْخَلاصِ بِمَغْفِرَةِ خَطَايَاهُمْ ✠ ٧٨ فَبِفَضْلِ رَحْمَةِ إِلَهِنَا

(١) لوقا ١ : ٢٠
(٢) لوقا ١ : ٣٩
(٣) لوقا ٢ : ١٩ و ٥١
(٤) التكوين ٣٩ : ٢ ؛ المزمور ٨٠ : ١٧ ؛ ٨٩ : ٢١ ؛ الأعمال ١١ : ٢١
(٥) يوئيل ٢ : ٢٨
(٦) ١. الملوك ١ : ٤٨ ؛ المزمور ٤١ : ١٣ ؛ ٧٢ : ١٨ ؛ ١٠٦ : ٤٨
(٧) الخروج ٣ : ١٦ ؛ ٤ : ٣١ ؛ المزمور ١١١ : ٩ ؛ لوقا ٧ : ١٦
(٨) حرفياً قرن خلاص ، والمقصود بالقرن هنا القوة التي يحمي بها الله شعبه من أعدائه
(٩) المزمور ١٣٢ : ١٧
(١٠) ارميا ٢٣ : ٥ و ٦ ؛ ٣٠ : ١٠ ؛ دانيال ٩ : ٢٤ ؛ الاعمال ٣ : ٢١ ؛ رومية ١ : ٢
(١١) اللاويين ٢٦ : ٤٢ ؛ المزمور ٩٨ : ٣ ؛ ١٠٥ : ٨ و ٩ ؛ ١٠٦ : ٤٥ ؛ حزقيال ١٦ : ٦٠ ؛ لوقا ١ : ٥٤
(١٢) التكوين ١٢ : ٣ ؛ ١٧ : ٤ ؛ ٢٢ : ١٦ و ١٧ ؛ العبرانيين ٦ : ١٣ و ١٧
(١٣) رومية ٦ : ١٨ ، ٢٢ ؛ العبرانيين ٩ : ١٤
(١٤) إرميا ٣٢ : ٣٩ و ٤٠ ؛ أفسس ٤ : ٢٤ ؛ ٢. تيموثاوس ١ : ٩ ؛ تيطس ٢ : ١٢

٧٩ تَفَقَّدَنَا الْمُشْرِقُ[١] مِنَ الْعَلاء ✥ لِيُضِيءَ
٨٠ لِلْجَالِسِينَ فِى الظُّلْمَةِ[٢] وَظِلاَلِ الْمَوْتِ ، وَيَقُودَ خُطَانَا فِى طَرِيقِ السَّلاَمِ » ✥ وَأَمَّا الطِّفْلُ فكَانَ يَنْمُو وَيَزْدَادُ قُوَّةً فِى الرُّوحِ[٣]. وَكَانَ يُقِيمُ فِى الْبَرَارِى إلى يَوْمِ ظُهُورِهِ لإِسْرَائِيلَ[٤] .

(١) العدد ٢٤ :١٧ ؛ اشعياء ١١ : ١ ؛ زكريا ٣ : ٨ ؛ ملاخى ٤ : ٢
(٢) اشعياء ٩ : ٢ ؛ ٤٢ : ٧ ؛ ٤٩ : ٧ ؛ متى ٤ : ١٦ ؛ الأعمال ٢٦ : ١٨
(٣) لوقا ٢ : ٤٠
(٤) متى ٣ : ١ إلخ ؛ ١١ : ٧ إلخ

الْفَصْلُ الثَّانِى

مِيلاَدُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ :

١ ✥ وَفِى تِلْكَ الأَيَّامِ صَدَرَ مَرْسُومٌ مِنْ أوغُسْطُسَ قَيْصَرَ بِإِجْرَاءِ تَسْجِيلٍ لِسُكَّانِ الْعَالَمِ[٥] كُلِّهِ.
٢ ✥ وَكَانَ هَذَا هُوَ التَّسْجِيلُ[٦] الأَوَّلُ الَّذِى جَرَى حِينَ كَانَ كِيرِينِيُوسُ وَالِياً عَلَى سُورِيَّا[٧] .

(٥) والمقصود هنا العالم التابع لحكم الدولة الرومانية وسلطان قيصر الرومان .
(٦) الأعمال ٥ : ٣٧
(٧) وهى سوريا القديمة وكانت تشمل كل البلاد الواقعة على ساحل البحر الابيض المتوسط التى يضم اليوم سوريا ولبنان وفلسطين.

٣ ✠ فَذَهَبَ الْجَمِيعُ لِتَسْجِيلِ أَسْمَائِهِمْ ، كُلُّ وَاحِدٍ فِى مَدِينَتِهِ . ✠ ٤ وَمِنْ ثَمَّ ذَهَبَ يُوسُفُ أَيْضاً مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ الَّتِى بِالْجَلِيلِ[1] إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ[2] الْمُسَمَّاةِ بَيْتَ لَحْمَ الَّتِى بِالْيَهُودِيَّةِ[3] ، إِذْ كَانَ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَمِنْ عَشِيرَتِهِ[4] ، ✠ ٥ لِيُسَجِّلَ اسْمَهُ مَعَ مَرْيَمَ خَطِيبَتِهِ[5] التى كَانَتْ حُبْلَى . ✠ ٦ وَفِيمَا كَانَا هُنَالِكَ حَانَ مَوْعِدُ وِلَادَتِها ، ✠ ٧ فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ[6] ، وَقَمَّطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فى مِذْوَدٍ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَكَانٌ فِى الْفُنْدُقِ .

(١) أى إقليم الجليل
(٢) ١صموئيل ١٦ : ١ و ٤ ؛ يوحنا ٧ : ٤٢
(٣) أى إقليم اليهودية
(٤) متى ١ : ١٦ ؛ لوقا ١ : ٢٧
(٥) متى ١ : ١٨
(٦) متى ١ : ٢٥
(٧) لوقا ١ : ١٢
(٨) التكوين ١٢ : ٣ ؛ متى ٢٨ : ١٩ ؛ مرقس ١ : ١٥ ؛ لوقا ٢ : ٣١ و ٣٢ ؛ ٢٤ : ٤٧ ؛ كولوسى ١ : ٢٣

الْمَلَاكُ يُبَشِّرُ الرُّعَاةَ بِمِيلَادِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ :

٨ ✠ وَكَانَ فِى تِلْكَ النَّاحِيَةِ رُعَاةٌ بِالْبَادِيَةِ يَتَنَاوَبُونَ السَّهَرَ بِاللَّيْلِ فى حِرَاسَةِ قُطْعَانِهِمْ . ✠ ٩ وَإِذَا بِمَلَاكِ الرَّبِّ يَظْهَرُ فَجْأَةً قُبَالَتَهُمْ ، وَمَجْدُ الرَّبِّ يُضِيءُ مِنْ حَوْلِهِمْ ، فَارْتَعَبُوا ارْتِعَاباً شَدِيداً[7] . ✠ ١٠ فَقَالَ الْمَلَاكُ لَهُمْ «لَا تَخَافُوا . فَهَا أَنَا ذَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ[8] ، ✠ ١١ إِذْ وُلِدَ لَكُمْ[9] الْيَوْمَ فِى مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ[10] هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ[11] . ✠ ١٢ وَإِلَيْكُمْ هَذِهِ الْعَلَامَةَ : إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ الطِّفْلَ مُقَمَّطاً وَمُضْجَعاً فى مِذْوَدٍ » . ✠ ١٣ ثُمَّ ظَهَرَتْ بَغْتَةً مَعَ الْمَلَاكِ كَوْكَبَةٌ مِنْ جُنْدِ السَّمَاءِ[12] يُسَبِّحُونَ اللهَ قَائِلِينَ ✠ ١٤ « الْمَجْدُ لِلهِ فِى الْأَعَالِى[13] ، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ[14] .

(٩) اشعياء ٩ : ٦
(١٠) متى ١ : ٢١
(١١) متى ١ : ١٦ ؛ ١٦ : ١٦
(١٢) التكوين ٢٨ : ١٢ ؛ ٣٢ : ١ و ٢ ؛ المزمور ١٠٣ : ٢٠ و ٢١ ؛ ١٤٨ : ٢ ؛ دانيال ٧ : ١٠ ؛ العبرانيين ١ : ١٤ ؛ الرؤيا ٥ : ١١
(١٣) لوقا ١٩ : ٣٨ ؛ الرؤيا ٥ : ١٣
(١٤) اشعياء ٥٧ : ١٩ ؛ رومية ٥ : ١ ؛ أفسوس ٢ : ١٧ ؛ كولوسى ١ : ٢٠

١٥ وَبِالنَّاسِ مَسَرَّتُهُ[١] » . ✠ فَلَمَّا ذَهَبَتْ عَنْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ مُنْطَلِقَةً إِلَى السَّمَاءِ ، قَالَ الرُّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ « هَلُمُّوا الآنَ إِلَى بَيْتَ لَحْمَ لِنُبْصِرَ هَذَا الْحَدَثَ الَّذِي أَنْبَأَنَا بِهِ الرَّبُّ » . ✠ ١٦ ثُمَّ جَاءُوا مُسْرِعِينَ فَوَجَدُوا مَرْيَمَ وَيُوسُفَ وَالطِّفْلَ مُضْجَعاً فِي الْمِذْوَدِ . ✠ ١٧ فَبَعْدَ أَنْ أَبْصَرُوا الطِّفْلَ طَفِقُوا يُخْبِرُونَ بِمَا قِيلَ لَهُمْ عَنْهُ . ✠ ١٨ فَتَعَجَّبَ كُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوا الرُّعَاةَ مِمَّا قَالُوهُ لَهُمْ . ✠ ١٩ وَأَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ تَحْتَفِظُ بِكُلِّ هذه الأُمُورِ فِي قَلْبِهَا[٢] مُتَأَمِّلَةً فِيهَا.

✠ ٢٠ وَقَدْ رَجَعَ الرُّعَاةُ وَهُمْ يُمَجِّدُونَ اللهَ وَيُسَبِّحُونَهُ مِنْ أَجْلِ كُلِّ مَا سَمِعُوهُ وَرَأَوْهُ ، وَفْقًا لِمَا قِيلَ لَهُمْ .

(١) حرفياً « وبالناس المسرّة » والمقصود بها مسرّة الله بالناس ؛ انظر الأمثال ٨ : ٣١ ؛ يوحنا ٣ : ١٦ ؛ ٢ . كورنثوس ٥ : ١٩ ؛ أفسوس ٢ : ٤ و ٧ ؛ ٢ . تسالونيكى ٢ : ١٦ ؛ ١ . يوحنا ٤ : ٩ و ١٠

(٢) التكوين ٣٧ : ١١ ؛ لوقا ١ : ٦٦ ؛ ٢ : ٥١

(٣) التكوين ١٧ : ١٢ ؛ اللاويين ١٢ : ٣ ؛ لوقا ١ : ٥٩ ؛ فيلبي ٣ : ٥ ؛ العبرانيين ٢ : ١٧

(٤) متى ١ : ٢١ و ٢٥ ؛ لوقا ١ : ٣١

(٥) اللاويين ١٢ : ٢ – ٦

✠ ٦ ✠ خِتَانُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَتَسْمِيَتُهُ بِيَسُوعَ :

✠ ٢١ وَلَمَّا بَلَغَ الطِّفْلُ يَوْمَهُ الثَّامِنَ ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَنْبَغِي فِيهِ خِتَانُهُ[٣] ، دُعِيَ اسْمُهُ يَسُوعَ[٤] ، كَمَا سَمَّاهُ الْمَلاَكُ قَبْلَ الْحَبَلِ بِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ .

تَقْدِيمُ الطِّفْلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ إِلَى الرَّبِّ فِي هَيْكَلِ أُورُشَلِيمَ :

✠ ٢٢ ثُمَّ لَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ التَّطْهِيرِ عَلَى مُقْتَضَى شَرِيعَةِ مُوسَى[٥] صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمَاهُ لِلرَّبِّ ، ✠ ٢٣ عَمَلاً بِمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي شَرِيعَةِ الرَّبِّ مِنْ أَنَّ كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ مِنَ الذُّكُورِ يُدْعَى مُكَرَّساً لِلرَّبِّ ، ✠ ٢٤ وَلِيُقَدِّمَا الذَّبِيحَةَ الَّتِي تَفْرِضُهَا شَرِيعَةُ الرَّبِّ[٦] ، وَهِيَ زَوْجَا يَمَامٍ أَوْ فَرْخَا حَمَامٍ[٧] .

(٦) الخروج ١٣ : ٢ ؛ ٢٢ : ٢٩ ؛ ٣٤ : ١٩ ؛ العدد ٣ : ١٣ ؛ ٨ : ١٧ ؛ ١٨ : ١٥

(٧) اللاويين ١٢ : ٢ و ٦ و ٨

سِمْعَانُ الشَّيْخُ يَرَى الطِّفْلَ يَسُوعَ وَيَتَنَبَّأُ عَنْهُ :

٢٥ وَكَانَ فِي أُورُشَلِيمَ رَجُلٌ بَارٌّ تَقِيٌّ اسْمُهُ سِمْعَانُ يَنْتَظِرُ تَعْزِيَةَ إِسْرَائِيلَ[١] ، وَكَانَ رُوحُ الْقُدُسِ عَلَيْهِ . ٢٦ وَكَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّهُ لَنْ يَرَى الْمَوْتَ[٢] قَبْلَ أَنْ يَرَى الْمَسِيحَ الرَّبَّ[٢] . ٢٧ فَأَقْبَلَ يَقُودُهُ الرُّوحُ[٣] إِلَى الْهَيْكَلِ. وَلَمَّا دَخَلَ بِالطِّفْلِ يَسُوعَ أَبَوَاهُ لِيُؤَدِّيَا عَنْهُ مَا كَانَتْ تَفْرِضُهُ الشَّرِيعَةُ ، ٢٨ حَمَلَهُ سِمْعَانُ عَلَى ذِرَاعَيْهِ ، وَبَارَكَ اللهَ ثُمَّ قَالَ ٢٩ « الآنَ أَطْلِقْ يَا سَيِّدِي عَبْدَكَ بِسَلَامٍ ، وَفْقاً لِكَلِمَتِكَ[٤] ٣٠ فَإِنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلَاصَكَ[٥] ٣١ الَّذِي أَعْدَدْتَهُ أَمَامَ كُلِّ الشُّعُوبِ. ٣٢ نُوراً يَتَجَلَّى لِلْوَثَنِيِّينَ[٦] ، وَمَجْداً لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ » .

٣٣ فَكَانَ يُوسُفُ وَأُمُّ الطِّفْلِ[٧] يَتَعَجَّبَانِ مِمَّا قِيلَ عَنْهُ ٣٤ وَقَدْ بَارَكَهُمَا سِمْعَانُ ، ثُمَّ قَالَ لِمَرْيَمَ أُمِّهِ « إِنَّ هٰذَا قَدْ جُعِلَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ[٨] ، وَسَيَكُونُ هَدَفاً لِلْمُقَاوَمَةِ[٩] . ٣٥ وَأَنْتِ أَيْضاً سَيَنْفُذُ فِي نَفْسِكِ سَيْفٌ[١٠] ، حَتَّى تَنْكَشِفَ نَوَايَا قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ »[١١].

حَنَّةُ النَّبِيَّةُ تَتَحَدَّثُ عَنْ يَسُوعَ بِاعْتِبَارِهِ الْمَسِيحَ الْمُنْتَظَرَ :

٣٦ وَكَانَ ثَمَّةَ نَبِيَّةٌ اسْمُهَا حَنَّةُ بِنْتُ فَنُوئِيلَ ، مِنْ سِبْطِ أَشِيرَ . وَكَانَتْ طَاعِنَةً فِي السِّنِّ ، وَقَدْ عَاشَتْ مَعَ زَوْجِهَا سَبْعَ سَنَوَاتٍ مُنْذُ بُكُورِيَّتِهَا . ٣٧ ثُمَّ ظَلَّتْ أَرْمَلَةً مُدَّةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً ،

(١) اشعياء ٤٠ : ١ ؛ مرقس ١٥ : ٤٣ ؛ لوقا ٢ : ٣٨
(٢) المزمور ٨٩ : ٤٨ ؛ العبرانيين ١١ : ٥
(٣) متى ٤ : ١
(٤) التكوين ٤٦ : ٣٠ ؛ فيلبي ١ : ٢٣
(٥) اشعياء ٥٢ : ١٠ ؛ لوقا ٣ : ٦
(٦) اشعياء ٩ : ٢ ؛ ٤٢ : ٦ ؛ ٤٩ : ٦ ؛ ٦٠ : ١ و ٢ و ٣ ؛ متى ٤ : ١٦ ؛ الأعمال ١٣ : ٤٧ ؛ ٢٨ : ٢٨
(٧) حرفياً « وأمه »
(٨) اشعياء ٨ : ١٤ ؛ هوشع ١٤ : ٩ ؛ متى ٢١ : ٤٤ ؛ رومية ٩ : ٣٢ و٣٣ ؛ ١. كورنثوس ١ : ٢٣ و٢٤ ؛ ٢. كورنثوس ٢ : ١٦ ؛ ١. بطرس ٢ : ٧ و٨
(٩) الأعمال ٢٨ : ٢٢
(١٠) المزمور ٤٢ : ١٠ ؛ يوحنا ١٩ : ٢٥
(١١) يوحنا ٩ : ٣٩

لاَ تَبْرَحُ الْهَيْكَلَ ، مُتَعَبِّدَةً بِالصَّوْمِ وَالصَّلاَةِ لَيْلاً وَنَهَاراً[١]

٣٨ ✠ فَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَقَدَّمَتْ نَحْوَهُ[٢] ، وَأَخَذَتْ تَحْمَدُ اللهَ بِشَأْنِهِ ، وَتُحَدِّثُ عَنْهُ كُلَّ مَنْ كَانَ يَنْتَظِرُ الْخَلاَصَ فِي أُورُشَلِيمَ[٣] .

حَيَاةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ فِي النَّاصِرَةِ :

٣٩ ✠ وَلَمَّا تَمَّمُوا كُلَّ شَيْءٍ وَفْقاً لِشَرِيعَةِ الرَّبِّ ، رَجَعُوا إِلَى مَدِينَتِهِمِ النَّاصِرَةِ فِي الْجَلِيلِ . ٤٠ ✠ وَكَانَ الطِّفْلُ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ ، مُمْتَلِئًا حِكْمَةً ، وَكَانَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ[٤] .

٧ — السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُنَاقِشُ الْعُلَمَاءَ فِي هَيْكَلِ أُورُشَلِيمَ :

٤١ ✠ وَكَانَ أَبَوَاهُ يَذْهَبَانِ كُلَّ سَنَةٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ[٥] . ٤٢ ✠ فَلَمَّا بَلَغَ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ ، صَعِدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ كَمَا هِيَ الْعَادَةُ فِي الْعِيدِ ، ٤٣ ✠ حَتَّى إِذَا رَجَعَا بَعْدَ انْقِضَاءِ أَيَّامِ الْعِيدِ بَقِيَ الصَّبِيُّ يَسُوعُ فِي أُورُشَلِيمَ ، وَأُمُّهُ وَيُوسُفُ لاَ يَعْلَمَانِ . ٤٤ ✠ وَإِذْ كَانَا يَظُنَّانِهِ ضِمْنَ الْقَافِلَةِ ظَلَّا مُسَافِرَيْنِ مَسِيرَةَ يَوْمٍ ، ثُمَّ رَاحَا يَبْحَثَانِ عَنْهُ عِنْدَ الأَقْرِبَاءِ وَالْمَعَارِفِ . ٤٥ ✠ فَلَمَّا لَمْ يَجِدَاهُ رَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ يَبْحَثَانِ عَنْهُ . ٤٦ ✠ وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ وَجَدَاهُ فِي الْهَيْكَلِ ، جَالِساً فِي حَلْقَةِ الْعُلَمَاءِ[٦] ، يَسْتَمِعُ إِلَيْهِمْ وَيَسْأَلُهُمْ . ٤٧ ✠ وَكَانَ كُلُّ الَّذِينَ يَسْمَعُونَهُ مَشْدُوهِينَ مِنْ عِلْمِهِ وَأَجْوِبَتِهِ[٧]

(١) الاعمال ٢٦ : ٧ ؛ ١تيموثاوس ٥ : ٥
(٢) أي نحو الطفل يسوع .
(٣) مرقس ١٥ : ٤٣ ؛ لوقا ٢ : ٢٥ ؛ ٢٤ : ٢١
(٤) لوقا ١ : ٨٠ ؛ ٢ : ٥٢
(٥) الخروج ٢٣ : ١٥ و ١٧ ؛ ٣٤ : ٢٣ ؛ التثنية ١٦ : ١ و ١٦
(٦) وهم حرفياً بالآرامية «الرابيون» جمع «رابي» وهو لقب كان ينادى به علماء الشريعة وفقهاؤها ومعلموها .
(٧) متى ٧ : ٢٨ ؛ مرقس ١ : ٢٢ ؛ لوقا ٤ : ٢٢ و ٣١ ؛ يوحنا ٧ : ١٥ و ٤٦

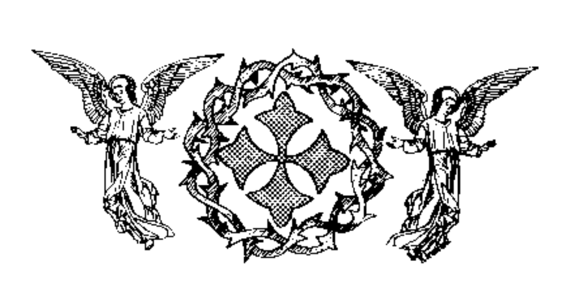
٤٨ ✥ فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ انْذَهَلاَ ، وَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ « لِمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا هَكَذَا يَا بُنَىَّ ؟ فَهَاهُوَذَا أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَبْحَثُ عَنْكَ مُعَذَّبَيْنِ » ٤٩ ✥ فَقَالَ لَهُمَا « وَلِمَاذَا تَبْحَثَانِ عَنِّى ؟ أَلاَ تَعْلَمَانِ أَنَّنِى لاَ بُدَّ أَنْ أَكُونَ فِيمَا هُوَ لِأَبِى[١] ؟ » . ٥٠ ✥ فَلَمْ يَفْهَمَا الْكَلاَمَ الَّذِى قَالَهُ لَهُمَا[٢] ٥١ ✥ ثُمَّ عَادَ مَعَهُمَا إِلَى النَّاصِرَةِ ، وَكَانَ طَائِعًا لَهُمَا ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تَحْفَظُ كُلَّ هَذِهِ الأُمُورِ فِى قَلْبِهَا[٣] مُتَأَمِّلَةً فِيهَا. ٥٢ ✥ وَكَانَ يَسُوعُ يَنْمُو فِى الْقَامَةِ وَالْحِكْمَةِ وَالنِّعْمَةِ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ .

(١) يوحنا ٢ : ١٦

(٢) لوقا ٩ : ٤٥ ؛ ١٨ : ٣٤

(٣) دانيال ٧ : ٢٨ ؛ لوقا ٢ : ١٩





الْفَصْلُ الثَّالِثُ

[٨] يُوحَنَّا المَعْمَدَانُ يُعِدُّ الطَّرِيقَ أَمَامَ المَسِيحِ :

١ ✠ وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ حُكْمِ طِيبَارْيُوسَ قَيْصَرَ ، حِينَ كَانَ بِيلاَطُسُ الْبُنْطِيُّ وَالِيًا عَلَى الْيَهُودِيَّةِ ، وَهِيرُودُسُ حَاكِماً[1] عَلى الْجَلِيلِ ، وَفِيلُبُّسُ أَخُوهُ حَاكِماً فِي إِيطُورِيَّةَ وَأَرَاضِي تَرَاخُونِيتِسَ ، وَلِيسَانْيُوسُ حَاكِماً فِي أَبِيلِينِيَّةَ . ٢ ✠ وَكَانَ حَنَّانُ وَقِيَافَا[2] رَئِيسَيْنِ لِلْكَهَنَةِ ، كَانَتْ كَلِمَةُ اللهِ عَلى يُوحَنَّا بْنِ زَكَرِيَّا فِي الْبَرِّيَّةِ ، ٣ ✠ وَقَدْ جَاءَ إِلَى كُلِّ نَوَاحِي الأُرْدُنِّ[3] ، يَدْعُو إِلَى مَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ[4] الْخَطَايَا ٤ ✠ وَفْقاً لِمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ

(١) حرفياً « رئيس رُبع » أى حاكماً على رُبع فلسطين بعد أن قسمها الرومان إلى أربعة أقسام لكل منها رئيس .

(٢) يوحنا ١١ : ٤٩ و ١٥ ؛ ١٨ : ٢٨ ؛ الأعمال ٤ : ٦

(٣) متى ٣ : ١ ؛ مرقس ١ : ٤

(٤) لوقا ١ : ٧٧

أَقْوَالِ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ «صَوتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ، أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ، مَهِّدُوا سُبُلَهُ[١]. ✠ ٥ كُلُّ وادٍ سَيَمْتَلِئُ، وَكُلُّ جَبَلٍ وَكُلُّ تَلٍّ سَيَنْخَفِضُ، وَالطُّرُقُ الْمُنْعَرِجَةُ سَتُصْبِحُ مُسْتَقِيمَةً، وَالْوَعْرَةُ سَتُصْبِحُ مُسْتَوِيَةً ✠ ٦ وَسَيُبْصِرُ كُلُّ بَشَرٍ خَلَاصَ اللهِ[٢]».

✠ ٧ وَكَانَ يَقُولُ لِجُمُوعِ الَّذِينَ كَانُوا يَأْتُونَ إِلَيْهِ لِيَعْتَمِدُوا مِنْهُ «يَاأَبْنَاءَ الأَفَاعِي، مَنْ أَشَارَ عَلَيْكُمْ بِالْهَرَبِ مِنَ الْغَضَبِ الآتِي[٣]. ✠ ٨ أَثْمِرُوا إِذَنْ ثَمَرًا يَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ، وَلَا تَرُوحُوا تَقُولُونَ فِي أَنْفُسِكُم أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ، لِأَنَّنِي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ مِنْ هَذِهِ الْحِجَارَةِ أَبْنَاءً لِإِبْرَاهِيمَ ✠ ٩ هَا إِنَّ الْفَأْسَ قَدْ وُضِعَتْ عَلَى أُصولِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لَا تُثْمِرُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ[٤]». ✠ ١٠ فَسَأَلَتْهُ الْجُمُوعُ «فَمَاذَا نَفْعَلُ[٥]؟». ✠ ١١ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ «مَنْ كَانَ لَدَيْهِ ثَوْبَانِ فَلْيُعْطِ مَنْ لَيْسَ لَدَيْهِ[٦]، وَمَنْ كَانَ لَدَيْهِ طَعَامٌ فَلْيَفْعَلْ هَكَذَا» ✠ ١٢ وَقَدْ جَاءَ أَيْضًا عَشَّارُونَ[٧] لِيَنَالُوا الْمَعْمُودِيَّةَ وَقَالُوا لَهُ «مَاذَا نَفْعَلُ يَا مُعَلِّمُ؟» ✠ ١٣ فَقَالَ لَهُمْ «لَا تَجْبُوا أَكْثَرَ مِمَّا هُوَ مُقَرَّرٌ لَكُمْ[٨]». ✠ ١٤ وَكَذَلِكَ سَأَلَهُ

(١) اشعياء ٤٠ : ٣ ؛ متى ٣ : ٣ ؛ مرقس ١ : ٣ ؛ يوحنا ١ : ٢٣

(٢) المزمور ٩٨ : ٢ ؛ اشعياء ٥٢ : ١٠ ؛ لوقا ٢ : ١١

(٣) متى ٣ : ٧

(٤) متى ٧ : ١٩

(٥) الأعمال ٢ : ٣٧

(٦) لوقا ١١ : ٤١ ؛ ٢ كورنثوس ٨ : ١٤

(٧) متى ٢١ : ٣٢ ؛ لوقا ٧ : ٢٩

(٨) لوقا ١٩ : ٨

بَعْضُ الْجُنْدِ قَائِلِينَ « وَنَحْنُ مَاذَا نَفْعَلُ ؟ » ، فَقَالَ لَهُمْ « لاَ تَظْلِمُوا أَحَدًا ، وَلاَ تَفْتَرُوا عَلَى أَحَدٍ[1] واقْنَعُوا بِأُجُورِكُمْ » .

١٥ ✠ وَإِذْ كَانَ كُلُّ الشَّعْبِ مُنْتَظِرًا ، وَالْجَمِيعُ يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ عَنْ يُوحَنَّا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَسِيحَ ، ١٦ ✠ أَجَابَ يُوحَنَّا الْجَمِيعَ قَائِلًا لَهُمْ « أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِالْمَاءِ[2] ، وَلٰكِنْ سَيَأْتِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي ، وَأَنَا لَسْتُ مُسْتَحِقًّا أَنْ أَحُلَّ أَرْبِطَةَ حِذَائِهِ ، ١٧ فَهُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَبِالنَّارِ ، ✠ ذٰلِكَ الَّذِي مِذْرَاتُهُ فِي يَدِهِ ، وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ ، وَيَجْمَعُ الْقَمْحَ فِي مَخْزَنِهِ[3] ، وَأَمَّا التِّبْنُ فَيَحْرِقُهُ بِنَارٍ لاَ تَنْطَفِئُ » ١٨ ✠ وَأُمُورٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ كَانَ يُبَشِّرُ بِهَا الشَّعْبَ ١٩ وَهُوَ يَعِظُهُمْ . ✠ بَيْدَ أَنَّ هِيرُودُسَ الْمَلِكَ[4] ، إِذْ كَانَ يُوحَنَّا يُوَبِّخُهُ بِسَبَبِ هِيرُودِيَّا زَوْجَةِ أَخِيهِ فِيلُبُّسَ[5] ، وَبِسَبَبِ كُلِّ الشُّرُورِ الَّتِي كَانَ هِيرُودُسُ ٢٠ يَرْتَكِبُهَا ، ✠ أَضَافَ إِلَى ذٰلِكَ كُلِّهِ أَنَّهُ أَلْقَى يُوحَنَّا فِي السِّجْنِ .

عِمَادُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ :

٢١ ✠ وَإِذِ اعْتَمَدَ جَمِيعُ الشَّعْبِ اعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيْضًا . ٢٢ وَفِيمَا كَانَ يُصَلِّي انْفَتَحَتِ السَّمَاءُ ، ✠ وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِي صُورَةِ جِسْمٍ يُشْبِهُ الْحَمَامَةَ

(١) الخروج ٢٣ : ١ ؛ اللاويين ١٩ : ١١
(٢) متى ٣ : ١١ الخ
(٣) ميخا ٤ : ١٢ ؛ متى ١٣ : ٣٠
(٤) حرفياً « رئيس الربع » .
(٥) متى ١٤ : ٣ ؛ مرقس ٦ : ١٧

وَجَاءَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ[1]» .

٩ سِجِلُّ أَنْسَابِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ :

٢٣ ✠ وَكَانَ يَسُوعُ حِينَ ابْتَدَأَ يُبَشِّرُ فِي الثَّلاثِينَ[2] مِنْ عُمْرِهِ . وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ النَّاسُ يَظُنُّونَهُ ابْنُ يُوسُفَ[3] ، بْنِ عَالِي ، ٢٤ ✠ بْنِ مَتَّاتَ ، بْنِ لاوِي ، بْنِ مَلْكِي ، بْنِ يَنَّي ، بْنِ يُوسُفَ ٢٥ ✠ بْنِ مَتَّاثْيَاهُو ، ابْنِ آمُوصَ ، بْنِ نَاحُومَ ، بْنِ حَسْلِي ، بْنِ نَجَّايَ ، ٢٦ ✠ ابْنِ مَحَّاتَ ، بْنِ مَتَّاثْيَاهُو ، بْنِ شِمْعِي ، بْنِ يُوسُفَ ، بْنِ يُودَا ، ٢٧ ✠ بْنِ يُوحَنَّانَ ، بْنِ رِيسَا ، ابْنِ زَرُبَّابِلَ ، بْنِ شَأَلْتِئِيلَ ، بْنِ نِيرِي ، ٢٨ ✠ بْنِ مَلْكِي ، بْنِ أَدِّي ، بْنِ قُوسَامَ ، بْنِ أَلْمُودَامَ ، بْنِ عِيرَ ، ٢٩ ✠ ابْنِ يَشُّوعَ ، بْنِ إِلِيعَازَرَ ، بْنِ يُورِيمَ ، بْنِ مَتَّاتَ ، ابْنِ لاوِي ، ٣٠ ✠ بْنِ شِمْعُونَ ، بْنِ يَهُوذَا ، بْنِ يُوسُفَ ، ابْنِ يُونَامَ ، بْنِ إِلْيَاقِيمَ ، ٣١ ✠ بْنِ مَلْيَا ، بْنِ مِينَا ، ابْنِ مَتَّاتَا ، بْنِ نَاثَانَ[4] ، بْنِ دَاوُدَ[5] ٣٢ ✠ بْنِ يَسَّى[6] ، ابْنِ عُوبِيدَ ، بْنِ بُوعَزَ ، بْنِ سَلْمُونَ ، بْنِ نَحْشُونَ ، ٣٣ ✠ ابْنِ عَمِّينَادَابَ ، بْنِ أَدْمِينَ ، بْنِ أَرْنِي ، ابْنِ حَصْرُونَ ، بْنِ فَارَصَ ، بْنِ يَهُوذَا ، ٣٤ ✠ بْنِ يَعْقُوبَ ، بْنِ إِسْحَاقَ ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، بْنِ تَارَحَ[7] ، ابْنِ نَاحُورَ ، ٣٥ ✠ بْنِ سَرُوجَ ، بْنِ رَعُو ، بْنِ فَالِجَ ،

(١) متى ٣ : ١٧ ؛ يوحنا ١ : ٣٢

(٢) العدد ٤ : ١٣ و٣٥ و٣٩ و ٤٣ و ٤٧

(٣) متى ١٣ : ٥٥ ؛ يوحنا ٦ : ٤٢

(٤) زكريا ١٢ : ١٢

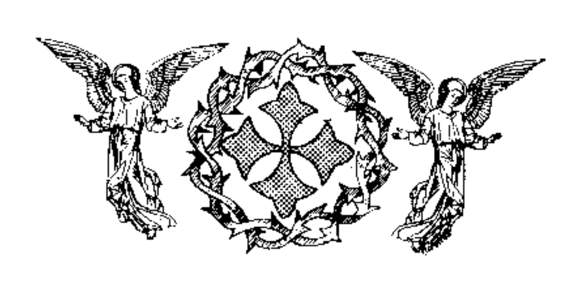
(٥) ٢ صموئيل ٥ : ١٤

(٦) راعوث ٤ : ١٨ الخ ؛ ١ الأيام ٢ : ١٠ إلخ

(٧) التكوين ١١ : ٢٤ و ٢٦

٣٦ ابْنِ عَابِرَ، بْنِ شَالَحَ، ✠ بْنِ قِينَانَ، بْنِ
٣٧ أَرْفَكْشَادَ[1]، بْنِ سَامَ[2]، بْنِ نُوحٍ، بْنِ لاَمَكَ، ✠ بْنِ مَتُوشَالَحَ، بْنِ أَخْنُوخَ، بْنِ يَارِدَ، بْنِ مَهْلَلْئِيلَ،
٣٨ ابْنِ قِينَانَ، ✠ بْنِ أَنُوشَ، بْنِ شِيتَ، بْنِ آدَمَ، ابْنِ اللهِ[3].

(١) التكوين ١١ : ١٢
(٢) التكوين ٥ : ٣٢ الخ؛ ١١ : ١٠ إلخ
(٣) التكوين ٥ : ١و٢



الْفَصْلُ الرَّابِعُ

السَّيِّدُ المسيحُ يُجَرَّبُ مِنَ الشَّيْطَانِ : [١٠]

١ ✠ وَرَجَعَ يَسُوعُ مِنَ الأُرْدُنِّ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ[4]، فَذَهَبَ بِهِ الرُّوحُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ[5]،
٢ ✠ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَإِبْلِيسُ يُجَرِّبُهُ، وَلَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ[6]، حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ جَاعَ أَخِيرًا،

(٤) متى ٤ : ١ إلخ؛ مرقس ١ : ١٢
(٥) لوقا ٢ : ٢٧؛ ٤ : ١٤
(٦) الخروج ٣٤ : ٢٨؛ ١ الملوك ١٩ : ٨

٣ فَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ « إِنْ كُنْتَ أَنْتَ ابْنَ اللهِ ، فَمُرْ هذَا الْحَجَرَ أَنْ يَصِيرَ خُبْزًا » ، ٤ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ قَائِلًا « مَكْتُوبٌ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ[1] ، بَل بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ »

٥ ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ شَاهِقٍ ، وَأَرَاهُ كُلَّ مَمَالِكِ الْعَالَمِ فِي لَمْحَةٍ مِنَ الزَّمَانِ. ٦ وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ « أُعْطِيكَ كُلَّ هَذَا السُّلْطَانِ وَمَجْدَهُ ، لأَنَّنِي أَمْلِكُهُ ، وَلِي أَنْ أُعْطِيَهُ مَنْ أَشَاءُ[2]. ٧ فَإِنْ أَنْتَ سَجَدْتَ لِي ، يَكُنْ هَذَا كُلُّهُ لَكَ » ٨ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ « إِلَيْكَ عَنِّي يَاشَيْطَانُ ، فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ لِلرَّبِّ إِلٰهِكَ تَسْجُدُ ، وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ[3] » .

٩ ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَأَوْقَفَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ[4] وَقَالَ لَهُ « إِنْ كُنْتَ أَنْتَ ابْنَ اللهِ ، فَأَلْقِ بِنَفْسِكَ مِنْ هُنَا إِلَى أَسْفَلَ ، ١٠ لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِيُحَافِظُوا عَلَيْكَ[5] ، ١١ فَيَحْمِلُوكَ عَلَى أَيْدِيهِمْ لِئَلَّا تُصْدَمَ بِحَجَرٍ قَدَمُكَ » .

١٢ فَأَجَابَ يَسُوعُ قَائِلاً لَهُ « إِنَّهُ قِيلَ لَا تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلٰهَكَ[6] » . ١٣ فَلَمَّا فَرَغَ إِبْلِيسُ مِنْ كُلِّ تَجْرِبَةٍ انْصَرَفَ عَنْهُ إِلَى حِينٍ[7].

١٢ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُبَشِّرُ فِي الْجَلِيلِ :

١٤ وَرَجَعَ يَسُوعُ بِقُوَّةِ الرُّوحِ إِلَى الْجَلِيلِ[8] ، وَهُنَاكَ

(١) التثنية ٨ : ٣
(٢) يوحنا ١٢ : ٣١ ؛ ١٤ : ٣٠ ؛ الرؤيا ١٣ : ٢ و٧
(٣) التثنية ٦ : ١٣ ؛ ١٠ : ٢٠
(٤) متى ٤ : ٥
(٥) المزمور ٩٠ [٩١] : ١١
(٦) التثنية ٦ : ١٦
(٧) يوحنا ١٤ : ٣٠ ؛ العبرانيين ٤ : ١٥
(٨) متى ٤ : ١٢ ؛ لوقا ٤ : ١٤ ؛ يوحنا ٤ : ٤٣ ؛ الأعمال ١٠ : ٣٧

١٥ ذَاعَ أَمْرُهُ فِي كُلِّ الأَنْحَاءِ الْمُحِيطَةِ . ✤ وَكَانَ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ فَيُمَجِّدُهُ الْجَمِيعُ.

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَذْهَبُ إِلَى وَطَنِهِ فَيَرْفُضُونَهُ وَيُحَاوِلُونَ قَتْلَهُ

١٦ ✤ ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ حَيْثُ نَشَأَ[1] ، وَذَهَبَ كَعَادَتِهِ[2]
١٧ إِلَى الْمَجْمَعِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ وَقَامَ لِيَقْرَأَ ، ✤ فَنَاوَلُوهُ سِفْرَ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ . وَلَمَّا فَتَحَ السِّفْرَ وَجَدَ الْمَوْضِعَ
١٨ الَّذِي كَانَ مَكْتُوبًا فِيهِ[3] ✤ « إِنَّ رُوحَ الرَّبِّ عَلَيَّ ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي وَأَرْسَلَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ . أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ ، وَأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِإِخْلاَءِ سَبِيلِهِمْ وَلِلْعُمْيَانِ بِالإِبْصَارِ ، وَأُطْلِقَ سَرَاحَ
١٩ الْمُكَبَّلِينَ[4] ✤ وَأُبَشِّرَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ[5] ».
٢٠ ✤ ثُمَّ طَوَى السِّفْرَ وَأَعَادَهُ إِلَى الْخَادِمِ وَجَلَسَ. وَكَانَتْ أَبْصَارُ جَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ شَاخِصَةً
٢١ إِلَيْهِ ، ✤ فَجَعَلَ يَقُولُ لَهُمْ « الْيَوْمَ تَمَّ هَذَا
٢٢ الْمَكْتُوبُ الَّذِي تُلِيَ عَلَى مَسَامِعِكُمْ » . ✤ فَكَانَ الْجَمِيعُ يَشْهَدُونَ لَهُ ، وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ كَلِمَاتِ النِّعْمَةِ الَّتِي كَانَتْ تَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ[6] ، قَائِلِينَ « أَلَيْسَ هَذَا هُوَ
٢٣ ابْنُ يُوسُفَ[7] ؟ ». ✤ فَقَالَ لَهُمْ « لاَ بُدَّ أَنَّكُمْ سَتَقُولُونَ لِي هَذَا الْمَثَلَ : أَيُّهَا الطَّبِيبُ اشْفِ نَفْسَكَ ، فَكُلُّ مَا سَمِعْنَا أَنَّكَ فَعَلْتَ فِي كَفْرَنَاحُومَ[8] افْعَلْ هُنَا
٢٤ أَيْضاً فِي مَدِينَتِكَ[9] » . ✤ ثُمَّ قَالَ « الْحَقَّ أَقُولُ

(١) متى ٢ : ٢٣ ؛ ١٣ : ٥٤ ؛ مرقس ٦ : ١
(٢) الأعمال ١٣ : ١٤ ؛ ١٧ : ٢
(٣) اشعياء ٦١ : ١ و ٢
(٤) اشعياء ٥٨ : ٦
(٥) اللاويين ٢٥ : ٨ - ١٧
(٦) المزمور ٤٥ : ٢ ؛ متى ١٣ : ٥٤
(٧) يوحنا ٦ : ٤٢
(٨) متى ٤ : ١٣ ؛ ١١ : ٢٣
(٩) متى ١٣ : ٥٤ ؛ مرقس ٦ : ١

لَكُمْ إِنَّهُ مَا مِنْ نَبِيٍّ مَقْبُولٌ فِي وَطَنِهِ[١]. ✠ ٢٥ وَبِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ أَرَامِلَ كَثِيرَاتٍ كُنَّ فِي إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِ إِيلِيَّا[٢]، حِينَ أُغْلِقَتِ السَّمَاءُ ثَلاَثَ سَنَوَاتٍ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ[٣]، وَحَدَثَتْ مَجَاعَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الأَرْضِ كُلِّهَا، ✠ ٢٦ وَلَكِنْ إِيلِيَّا لَمْ يُرْسَلْ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ، إِلَّا إِلَى أَرْمَلَةٍ فِي صَرْفَاتَ الَّتِي فِي أَرْضِ صَيْدُونَ. ✠ ٢٧ وَإِنَّ بُرْصاً كَثِيرِينَ كَانُوا فِي إِسْرَائِيلَ فِي عَهْدِ إِلِيشَعَ النَّبِيِّ[٤]، وَلَمْ يُطَهَّرْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلَّا نُعْمَانُ السُّورْيَانِيُّ[٥]» ✠ ٢٨ فَلَمَّا سَمِعَ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ هَذَا اسْتَشَاطُوا كُلُّهُمْ غَضَباً، ✠ ٢٩ وَقَامُوا وَرَاحُوا يَدْفَعُونَ بِهِ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ حَتَّى جَاءُوا بِهِ إِلَى قِمَّةِ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ مَدِينَتُهُمْ مُقَامَةً عَلَيْهِ كَيْ يَطْرَحُوهُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَسْفَلَ، ✠ ٣٠ وَلَكِنَّهُ مَرَّ فِي وَسَطِهِمْ وَمَضَى[٦].

مُعْجِزَةُ طَرْدِ الشَّيْطَانِ مِنْ رَجُلٍ فِي الْمَجْمَعِ:

✠ ٣١ ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى كَفْرِ نَاحُومَ[٧]، إِحْدَى مُدُنِ الْجَلِيلِ، وَكَانَ يُعَلِّمُهُمْ فِي السُّبُوتِ، ✠ ٣٢ فَكَانَتْ تَتَمَلَّكُهُمُ الدَّهْشَةُ مِنْ تَعْلِيمِهِ. لأَنَّ كَلاَمَهُ كَانَ بِسُلْطَانٍ[٨].

✠ ٣٣ وَكَانَ فِي الْمَجْمَعِ رَجُلٌ بِهِ رُوحُ شَيْطَانٍ نَجِسٍ[٩]، فَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ ✠ ٣٤ قَائِلاً «مَا لَكَ وَلَنَا يَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ؟ أَجِئْتَ لِتُهْلِكَنَا؟ أَنَا أَعْرِفُ

(١) متى ١٣ : ٥٧؛ مرقس ٦ : ٤؛ يوحنا ٤ : ٤٤

(٢) ١ الملوك ١٧ : ٩؛ ١٨ : ١؛ يعقوب ٥ : ١٧

(٣) دانيال ٧ : ٢٥؛ ١٢ : ٧؛ الرؤيا ١١ : ٢ و١٣؛ ١٢ : ٦ و١٤

(٤) ٢ الملوك ٥ : ١٤

(٥) أو الآرامي نسبة إلى بلاد آرام أو آشور التي اشتق منها لفظ السورياني

(٦) يوحنا ٨ : ٥٩؛ ١٠ : ٣٩

(٧) متى ٤ : ١٣؛ مرقس ١ : ٢١

(٨) متى ٧ : ٢٨؛ تيطس ٢ : ١٥

(٩) مرقس ١ : ٢٣

١٢

٣٥ مَنْ أَنْتَ[1] . أَنْتَ قُدُّوسُ اللهِ[2] » ✠ فَانْتَهَرَهُ يَسُوعُ قَائِلاً « اخْرَسْ وَاخْرُجْ مِنْهُ » فَصَرَعَهُ الشَّيْطَانُ فِي وَسَطِهِمْ وَخَرَجَ مِنْهُ ، دُونَ أَنْ يُلْحِقَ بِهِ أَذًى ،

٣٦ ✠ فَارْتَعَبَ الْجَمِيعُ ، وَرَاحُوا يُخَاطِبُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً قَائِلِينَ « مَا هَذَا ؟ إِنَّهُ بِسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ يَأْمُرُ الأَرْوَاحَ

٣٧ النَّجِسَةَ فَتَخْرُجُ » . ✠ وَمِنْ ثَمَّ ذَاعَتْ شُهْرَتُهُ فِي كُلِّ أَنْحَاءِ تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ .

مُعْجِزَةُ شِفَاءِ حَمَاةِ بُطْرُسَ وَكَثِيرِينَ آخَرِينَ : [١٣]

٣٨ ✠ وَقَامَ يَسُوعُ وَخَرَجَ مِنَ الْمَجْمَعِ ، ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَ سِمْعَانَ[3] . وَكَانَتْ حَمَاةُ سِمْعَانَ قَدْ أُصِيبَتْ بِحُمَّى

٣٩ شَدِيدَةٍ ، فَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِهَا . ✠ فَاقْتَرَبَ مِنْهَا وَزَجَرَ الْحُمَّى فَفَارَقَتْهَا ، وَقَامَتْ عَلَى الْفَوْرِ

٤٠ تَخْدُمُهُمْ . ✠ وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ كَانَ جَمِيعُ الَّذِينَ لَدَيْهِمْ مَرْضَى بِعِلَلٍ مُخْتَلِفَةٍ قَدْ جَاءُوا بِهِمْ إِلَيْهِ ، فَكَانَ يَضَعُ يَدَيْهِ عَلَى كُلٍّ مِنْهُمْ فَيَشْفِيهِمْ[4] .

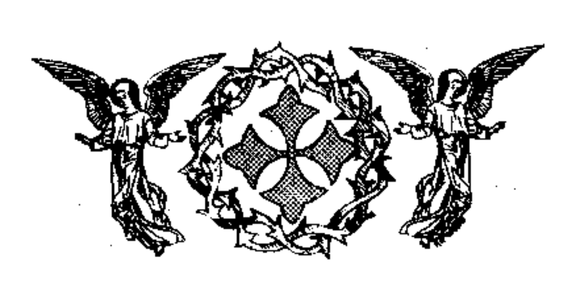
٤١ ✠ وَكَانَتِ الشَّيَاطِينُ أَيْضاً تَخْرُجُ مِنْ كَثِيرِينَ ، وَهِيَ تَصْرُخُ قَائِلَةً « أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ » فَكَانَ يَنْتَهِرُهَا ، وَلاَ يَسْمَحُ لَهَا بِأَنْ تَتَكَلَّمَ ، لِأَنَّهَا عَرَفَتْ أَنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ[5] .

٤٢ ✠ وَفِي الصَّبَاحِ خَرَجَ وَمَضَى إِلَى مَوْضِعٍ قَفْرٍ[6] ، فَرَاحَ النَّاسُ يَبْحَثُونَ عَنْهُ ، حَتَّى إِذَا وَجَدُوهُ تَشَبَّثُوا

(١) لوقا ٤ : ٤١
(٢) المزمور ١٦ : ١٠ ؛ دانيال ٩ : ٢٤ ؛ لوقا ١ : ٣٥
(٣) متى ٨ : ١٤ ؛ مرقس ١ : ٢٩
(٤) متى ٨ : ١٦ ؛ مرقس ١ : ٣٢
(٥) مرقس ١ : ٢٥ و ٣٤ ؛ لوقا ٤ : ٣٤ و ٣٥
(٦) مرقس ١ : ٣٥

بِهِ كَىْ لاَ يَذْهَبَ عَنْهُمْ ، ✠ فَقَالَ لَهُمْ « إِنَّهُ ٤٣ لاَ بُدَّ لِى أَنْ أُبَشِّرَ فِى الْمُدُنِ الأُخْرَى أَيْضاً بِمَلَكُوتِ اللهِ ، لأَنَّنِى لِهذَا أُرْسِلْتُ » . ✠ وَمِنْ ثَمَّ رَاحَ ٤٤ يُبَشِّرُ فِى مَجَامِعِ الْجَلِيلِ[1]

(١) مرقس ١ : ٣٩



الْفَصْلُ الْخَامِسُ

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَخْتَارُ تَلاَمِيذَهُ الأَوائِلَ : ١٤

✠ وَإِذْ كَانَتِ الْجُمُوعُ تَتَزَاحَمُ حَوْلَهُ لِسَمَاعِ ١ كَلِمَةِ اللهِ ، وَهُوَ وَاقِفٌ عِنْدَ بُحَيْرَةِ جِنِّيسَارْتَ[2] ، ✠ رَأَى سَفِينَتَيْنِ رَاسِيَتَيْنِ فِى الْبُحَيْرَةِ ، وَقَدْ ٢ خَرَجَ الصَّيَّادُونَ يَغْسِلُونَ شِبَاكَهُمْ ، ✠ فَاعْتَلَى ٣ إِحْدَى السَّفِينَتَيْنِ ، وَكَانَتْ لِسِمْعَانَ ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ

(٢) متى ٤ : ١٨

يبْتَعِد بِهَا قَلِيلاً عَنِ الْبَرِّ ، ثُمَّ جَلَسَ يُعَلِّمُ الْجُمُوعَ مِنْ فَوْقِ السَّفِينَةِ ، ✥ ٤ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنَ الْكَلامِ قَالَ لِسِمْعَانَ «تَقَدَّمْ إِلَى الْعُمْقِ وَأَلْقُوا شِبَاكَكُمْ لِلصَّيْدِ[1]» ✥ ٥ فَأَجَابَ سِمْعَانُ وَقَالَ لَهُ «يَا مُعَلِّمُ قَدْ تَعِبْنَا اللَّيْلَ كُلَّهُ ، فَلَمْ نَحْصُلْ عَلَى شَيْءٍ ، وَلَكِنَّنَا عَلَى كَلِمَتِكَ سَنُلْقِي الشِّبَاكَ.» ✥ ٦ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ حَصَلُوا عَلَى عَدَدٍ عَظِيمٍ مِنَ السَّمَكِ ، حَتَّى لَقَدْ أَخَذَتْ شِبَاكُهُمْ تَتَمَزَّقُ . ✥ ٧ فَأَشَارُوا إِلَى رِفَاقِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي السَّفِينَةِ الأُخْرَى لِيَأْتُوا وَيُعَاوِنُوهُمْ ، فَأَتَوْا وَمَلأُوا السَّفِينَتَيْنِ ، حَتَّى كَادَتَا أَنْ تَغْرَقَا. ✥ ٨ فَلَمَّا رَأَى سِمْعَانُ بُطْرُسُ ذَلِكَ خَرَّ عِنْدَ رُكْبَتَيْ يَسُوعَ قَائِلاً « امْضِ مِنْ عِنْدِي يَا رَبُّ ، لأَنَّنِي رَجُلٌ خَاطِئٌ[2] » ✥ ٩ إِذِ ارْتَعَبَ هُوَ وَكُلُّ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ لِكَثْرَةِ السَّمَكِ الَّذِي حَصَلُوا عَلَيْهِ. ✥ ١٠ كَمَا حَدَثَ ذَلِكَ لِيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا ابْنَيْ زَبَدِي اللَّذَيْنِ كَانَا رَفِيقَيْنِ لِسِمْعَانَ . فَقَالَ يَسُوعُ لِسِمْعَانَ « لاَ تَخَفْ ، وَإِنَّكَ مُنْذُ الآنَ سَتَكُونُ صَيَّادَ بَشَرٍ[3] » . ✥ ١١ وَلَمَّا جَاءُوا بِسَفِينَتِهِمْ إِلَى الْبَرِّ تَرَكُوا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعُوهُ[4].

مُعْجِزَةُ شِفَاءِ الأَبْرَصِ ١٥

✥ ١٢ وَدَخَلَ إِحْدَى الْمُدُنِ ، فَإِذَا رَجُلٌ يَمْلأُ الْبَرَصُ جَسَدَهُ ، حِينَ رَأَى يَسُوعَ ، خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَتَوَسَّلَ

(١) يوحنا ٢١ : ٦

(٢) ٢ صموئيل ٦ : ٩ ؛ ١ الملوك ١٧ : ١٨

(٣) متى ٤ : ١٩ ؛ مرقس ١ : ١٧

(٤) متى ٤ : ٢٠ ؛ ١٩ : ٢٧ ؛ مرقس ١ : ١٨ ؛ لوقا ١٨ : ٢٨

إِلَيْهِ قَائِلًا «يَارَبُّ ، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ فَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ تُطَهِّرَنِي[1] ». ١٣ ✠ فَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ قَائِلًا «أُرِيدُ فَاطْهُرْ» ، فَفِي الْحَالِ ذَهَبَ عَنْهُ الْبَرَصُ. ١٤ ✠ فَأَوْصَاهُ قَائِلًا «لَا تَقُلْ لِأَحَدٍ[2] ، وَإِنَّمَا اذْهَبْ إِلَى الْكَاهِنِ ، أَرِهِ نَفْسَكَ ، وَقَدِّمْ عَنْ تَطْهِيرِكَ الْقُرْبَانَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ مُوسَى ، شَهَادَةً لَدَيْهِمْ[3] ». ١٥ ✠ وَمِنْ ثَمَّ ازْدَادَ أَمْرُهُ ذُيُوعاً . فَتَوَافَدَتْ جُمُوعٌ عَظِيمَةٌ لِيَسْتَمِعُوا إِلَيْهِ وَيَنَالُوا الشِّفَاءَ بِهِ مِنْ أَمْرَاضِهِمْ[4] . ١٦ ✠ وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَعْتَزِلُ فِي الْقِفَارِ وَيُصَلِّي[5] .

✠ ١٦ مُعْجِزَةُ شِفَاءِ المَفْلُوجِ :

١٧ ✠ وَفِيمَا هُوَ يُعَلِّمُ ذَاتَ يَوْمٍ ، وَكَانَ يَجْلِسُ فَرِّيسِيُّونَ وَمُعَلِّمُونَ لِلشَّرِيعَةِ ، جَاءُوا مِنْ كُلِّ بِلَادِ الْجَلِيلِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَأُورُشَلِيمَ. وَقَدْ حَلَّتْ قُوَّةُ الرَّبِّ لِشِفَائِهِمْ ، ١٨ ✠ إِذَا رِجَالٌ قَدْ جَاءُوا يَحْمِلُونَ مَفْلُوجاً[6] عَلَى فِرَاشٍ ، وَكَانُوا يُحَاوِلُونَ أَنْ يَدْخُلُوا بِهِ وَيَضَعُوهُ أَمَامَهُ . ١٩ ✠ فَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا وَسِيلَةً لِلدُّخُولِ بِهِ بِسَبَبِ الزِّحَامِ صَعِدُوا إِلَى السَّطْحِ وَدَلَّوْهُ مَعَ فِرَاشِهِ مِنْ بَيْنِ قَوَالِبِ الْقِرْمِيدِ فِي الْوَسَطِ أَمَامَ يَسُوعَ . ٢٠ ✠ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ «أَيُّهَا الرَّجُلُ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ» . ٢١ ✠ فَأَخَذَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ يُفَكِّرُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ قَائِلِينَ «مَنْ هَذَا الَّذِي يُجَدِّفُ[7] ؟

(١) متى ٨ : ٢ ؛ مرقس ١ : ٤٠
(٢) متى ٨ : ٤
(٣) اللاويين ١٤ : ٤ و ١٠ و ٢١ و ٢٢
(٤) متى ٤ : ٢٥ ؛ مرقس ٣ : ٧ ؛ يوحنا ٦ : ٢
(٥) متى ١٤ : ٢٣ ؛ مرقس ٦ : ٤٦
(٦) متى ٩ : ٢ ؛ مرقس ٢ : ٣
(٧) متى ٩ : ٣ ؛ مرقس ٢ : ٦ و ٧

فَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ وَحْدَهُ[1] ؟ »

٢٢ ✠ فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ وَأَجَابَ قَائِلًا لَهُمْ « لِمَاذَا

٢٣ تَجُولُ هَذِهِ الْأَفْكَارُ فِى قُلُوبِكُمْ ؟ ✠ أَيُّهُمَا أَيْسَرُ . أَنْ يُقَالَ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ أَمْ أَنْ يُقَالَ قُمْ

٢٤ وَامْشِ ؟ ✠ وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لِابْنِ الْإِنْسَانِ السُّلْطَانَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا » . ثُمَّ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ « لَكَ أَقُولُ قُمِ احْمِلْ فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى

٢٥ بَيْتِكَ » . ✠ فَفِى الْحَالِ قَامَ أَمَامَهُمْ وَحَمَلَ مَا كَانَ رَاقِداً عَلَيْهِ وَذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ وَهُوَ يُمَجِّدُ اللهَ .

٢٦ ✠ فَذُهِلُوا كُلُّهُمْ وَمَجَّدُوا اللهَ وَهُمْ يَقُولُونَ وَقَدْ مَلَأَهُمُ الْخَوْفُ « قَدْ رَأَيْنَا الْيَوْمَ عَجَائِبَ » .

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَخْتَارُ لَاوِى وَهُوَ مَتَّى الْعَشَّارُ تِلْمِيذاً لَهُ : ١٧

٢٧ ✠ وَخَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ فَرَأَى عَشَّاراً اسْمُهُ لَاوِى جَالِساً فِى مَكْتَبِ جِبَايَةِ الضَّرَائِبِ[2] . فَقَالَ لَهُ « اتْبَعْنِى »

٢٨ ✠ فَتَرَكَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَامَ وَتَبِعَهُ . ✠ وَقَدْ

٢٩ صَنَعَ لَهُ لَاوِى وَلِيمَةً عَظِيمَةً فِى بَيْتِهِ[3] ، وَكَانَ ثَمَّةَ جَمْعٌ كَبِيرٌ مِنَ الْعَشَّارِينَ وَغَيْرِهِمْ[4] جَالِسِينَ مَعَهُ إِلَى

٣٠ الْمَائِدَةِ ✠ فَتَذَمَّرَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ عَلَى تَلَامِيذِهِ قَائِلِينَ « مَا بَالُكُمْ تَأْكُلُونَ وَتَشْرَبُونَ مَعَ الْعَشَّارِينَ

٣١ وَالْخُطَاةِ ؟ » . ✠ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ « لَا يَحْتَاجُ الْأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ . بَلِ الْمَرْضَى .

(١) المزمور ٣٢ : ٥ ؛ اشعياء ٤٣ : ٢٥

(٢) متى ٩ : ٩ ؛ مرقس ٢ : ١٤ ـ ١٧

(٣) متى ٩ : ١٠ ؛ مرقس ٢ : ١٥

(٤) لوقا ١٥ : ١

(١) متى ٩ : ١٣ ؛ ١ تيموثاوس ١ : ١٥

٣٢ فَمَا جِئْتُ لأَدْعُوَ أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ[1] ».

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَفْصِلُ بَيْنَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَالْعَهْدِ الْجَدِيدِ

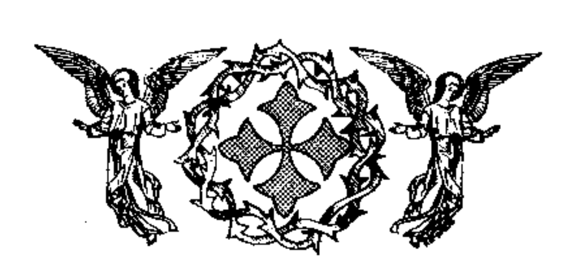
٣٣ وَقَالُوا لَهُ « لِمَاذَا يَصُومُ تَلاَمِيذُ يُوحَنَّا كَثِيراً وَيُصَلُّونَ. وَكَذَلِكَ تَلاَمِيذُ الْفَرِّيسِيِّينَ، وَأَمَّا تَلاَمِيذُكَ فَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ[2]؟ ». ٣٤ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ « أَيُمْكِنُكُمْ أَنْ تَجْعَلُوا بَنِي الْعُرْسِ يَصُومُونَ مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ ؟ ٣٥ لَكِنْ سَتَأْتِي الأَيَّامُ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ مِنْ بَيْنِهِمْ، فَعِنْدَئِذٍ يَصُومُونَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ ».

(٢) متى ٩ : ١٤ ؛ مرقس ٢ : ١٨

(٣) متى ٩ : ١٦ و ١٧ ؛ مرقس ٢ : ٢١ و ٢٢

٣٦ كَمَا ضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً[3] قَائِلاً « مَا مِنْ أَحَدٍ يَقْتَطِعُ رُقْعَةً مِنْ ثَوْبٍ جَدِيدٍ فَيَجْعَلُهَا فِي ثَوْبٍ قَدِيمٍ، وَإِلَّا فَيَكُونُ الْجَدِيدُ قَدْ تَمَزَّقَ وَلاَ تُلاَئِمُ الرُّقْعَةُ الْمَأْخُوذَةُ مِنَ الْجَدِيدِ الثَّوْبَ الْقَدِيمَ ٣٧ وَمَا مِنْ أَحَدٍ يَضَعُ خَمْراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ عَتِيقَةٍ، وَإِلَّا فَإِنَّ الْخَمْرَ الْجَدِيدَةَ تَشُقُّ الزِّقَاقَ، فَالْخَمْرُ تُرَاقُ وَالزِّقَاقُ تَتْلَفُ. ٣٨ وَإِنَّمَا يَجِبُ أَنْ تُوضَعَ الْخَمْرُ الْجَدِيدَةُ فِي زِقَاقٍ جَدِيدَةٍ فَتَكُونُ كُلُّهَا مَصُونَةً. ٣٩ وَمَا مِنْ أَحَدٍ كَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ يَشْرَبَ الْخَمْرَ الْمُعَتَّقَةَ يُرِيدُ عَلَى الْفَوْرِ أَنْ يَشْرَبَ الْخَمْرَ الْجَدِيدَةَ. لأَنَّهُ يَقُولُ إِنَّ الْمُعَتَّقَةَ هِيَ الأَطْيَبُ ».





الْفَصْلُ السَّادِسُ

[١٨] السَّيِّدُ الْمَسِيحُ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ:

١ وَفِي السَّبْتِ الثَّانِي بَعْدَ الَّذِي مَضَى ، كَانَ يَسِيرُ بَيْنَ الْحُقُولِ[١] ، وَقَدْ رَاحَ تَلَامِيذُهُ يَقْطِفُونَ سَنَابِلَ الْقَمْحِ وَيَفْرُكُونَهَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيَأْكُلُونَ . ٢ فَقَالَ لَهُمْ قَوْمٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ « لِمَاذَا تَفْعَلُونَ مَا لَا يَحِلُّ فِعْلُهُ فِي السُّبُوتِ[٢] ؟ » . ٣ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ « أَمَا قَرَأْتُمْ مَا فَعَلَ دَاوُدُ[٣] حِينَ جَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ . ٤ كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ اللهِ وَأَخَذَ خُبْزَ التَّقْدِمَةِ الَّذِي لَا يَحِلُّ أَكْلُهُ إِلَّا لِلْكَهَنَةِ وَحْدَهُمْ[٤] وَأَكَلَ مِنْهُ وَأَعْطَى كَذَلِكَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ ؟ » ٥ ثُمَّ

(١) متى ١٢ : ١ إلخ؛ مرقس ٢ : ٢٣ إلخ

(٢) الخروج ٢٠ : ١٠ ؛ ٢ كورنثوس ٦ : ٣

(٣) ١ صموئيل ٢١ : ٦

(٤) اللاويين ٢٤ : ٩

قَالَ لَهُمْ « إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ » .

١٩ مُعْجِزَةُ شِفَاءِ ذِى الْيَدِ الْيَابِسَةِ :

٦ ثُمَّ فِى سَبْتٍ آخَرَ دَخَلَ الْمَجْمَعَ وَأَخَذَ يُعَلِّمُ . وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَدُهُ يَابِسَةٌ[١] ٧ فَرَاحَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ يُرَاقِبُونَهُ لِيَرَوْا هَلْ يَشْفِيهِ فِى السَّبْتِ ، حَتَّى يَجِدُوا شِكَايَةً ضِدَّهُ[٢] ٨ وَلٰكِنَّهُ عَلِمَ أَفْكَارَهُمْ فَقَالَ لِلرَّجُلِ ذِى الْيَدِ الْيَابِسَةِ « قُمْ وَقِفْ هُنَاكَ فِى الْوَسَطِ » فَقَامَ وَوَقَفَ . ٩ ثُمَّ قَالَ يَسُوعُ لَهُمْ « إِنَّنِى أَسْأَلُكُمْ أَيَحِلُّ فِى السُّبُوتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَمِ الشَّرِّ ؟ تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَمْ إِهْلاَكُهَا ؟ » . ١٠ وَأَدَارَ نَظَرَهُ فِيهِمْ جَمِيعًا . ثُمَّ قَالَ لِلرَّجُلِ « امْدُدْ يَدَكَ » ، فَفَعَلَ ذٰلِكَ ، فَعَادَتْ يَدُهُ سَلِيمَةً كَالأُخْرَى . ١١ وَمِنْ ثَمَّ جُنَّ جُنُونُهُمْ ، وَرَاحُوا يَتَشَاوَرُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَاذَا يَفْعَلُونَ بِيَسُوعَ .

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَخْتَارُ تَلاَمِيذَهُ الاثْنَىْ عَشَرَ :

١٢ وَفِى تِلْكَ الأَيَّامِ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّىَ[٣] ، وَهُنَاكَ قَضَى فِى الصَّلاَةِ إِلَى اللهِ اللَّيْلَ كُلَّهُ . ١٣ فَلَمَّا طَلَعَ النَّهَارُ دَعَا إِلَيْهِ تَلاَمِيذَهُ وَاخْتَارَ مِنْهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ سَمَّاهُمْ رُسُلاً[٤] ، ١٤ وَهُمْ : سِمْعَانُ الَّذِى سَمَّاهُ كَذٰلِكَ بُطْرُسَ[٥] ، وَأَنْدَرَاوُسُ أَخُوهُ ، وَيَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا ، وَفِيلُبُّسُ وَبَرْثُلْمَاوُسُ ، ١٥ وَمَتَّى وَتُومَا ، وَيَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَى ، وَسِمْعَانُ الَّذِى يُدْعَى الْغَيُورَ ، ١٦ وَيَهُوذَا أَخُو يَعْقُوبَ[٦] ، وَيَهُوذَا الأَسْخَرْيُوطِىُّ الَّذِى خَانَهُ فِيمَا بَعْدُ .

(١) متى ١٢ : ١٠ ؛ مرقس ٣ : ١

(٢) لوقا ١٣ : ١٤ ؛ ١٤ : ١ - ٣ ؛ يوحنا ٩ : ١٦

(٣) متى ١٤ : ٢٣

(٤) متى ١٠ : ٢ ؛ مرقس ٣ : ١٤ الخ

(٥) يوحنا ١ : ٤٢

(٦) يهوذا ١

١٧ ✠ ثُمَّ نَزَلَ مَعَهُمْ وَوَقَفَ فِي مُنْبَسَطٍ مِنَ الأَرْضِ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَجُمْهُورٌ عَظِيمٌ مِنَ الشَّعْبِ[١] جَاءُوا مِنْ كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَأُورُشَلِيمَ، وَمِنْ سَاحِلِ صُورَ وَصَيْدَاءَ، لِيَسْمَعُوهُ وَلِيُبْرِئَهُمْ مِنْ أَمْرَاضِهِمْ. ١٨ ✠ وَالَّذِينَ كَانَتْ تُعَذِّبُهُمُ الأَرْوَاحُ النَّجِسَةُ ١٩ كَانَ يَشْفِيهِمْ ✠ وَكَانَ الْجَمِيعُ يَتَهَافَتُونَ عَلَيْهِ لِيَلْمِسُوهُ[٢] لأَنَّ قُوَّةً كَانَتْ تَخْرُجُ مِنْهُ فَتُبْرِئُهُمْ جَمِيعاً[٣].

٢٠ ✠ وَقَدْ رَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ تَلاَمِيذِهِ قَائِلاً لَهُمْ: «سُعَدَاءُ[٤] أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمَسَاكِينُ[٥]، فَإِنَّ لَكُمْ مَلَكُوتَ اللهِ. ٢١ ✠ سُعَدَاءُ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْجِيَاعُ الآنَ فَإِنَّكُمْ سَتَشْبَعُونَ[٦]. سُعَدَاءُ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْبَاكُونَ الآنَ فَإِنَّكُمْ سَتَضْحَكُونَ[٧] ٢٢ ✠ سُعَدَاءُ أَنْتُمْ إِذَا أَبْغَضَكُمُ النَّاسُ[٨] وَنَبَذُوكُمْ وَعَيَّرُوكُمْ وَأَهَانُوا اسْمَكُمْ مُفْتَرِينَ الشَّرَّ عَلَيْكُمْ مِنْ ٢٣ أَجْلِ ابْنِ الإِنْسَانِ[٩]. ✠ فَافْرَحُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَتَهَلَّلُوا[١٠]، فَإِنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاءِ، لأَنَّهُ هَكَذَا فَعَلَ ٢٤ آبَاؤُهُمْ بِالأَنْبِيَاءِ[١١]. ✠ وَلَكِنِ الْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا ٢٥ الأَغْنِيَاءُ[١٢] فَإِنَّكُمْ قَدْ أَخَذْتُمْ عَزَاءَكُمْ[١٣] ✠ الْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا الشَّبَاعَى[١٤] الآنَ، فَإِنَّكُمْ سَتَجُوعُونَ. الْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا ٢٦ الضَّاحِكُونَ الآنَ، فَإِنَّكُمْ سَتَحْزَنُونَ وَتَبْكُونَ ✠ الْوَيْلُ لَكُمْ إِذَا امْتَدَحَكُمْ جَمِيعُ النَّاسِ، فَإِنَّهُ هَكَذَا فَعَلَ آبَاؤُهُمْ

٢٠

كُلُّ مَرِيضٍ كَانَ يَلْمِسُ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ كَانَ يُشْفَى:

(١) متى ٤ : ٢٥ ؛ مرقس ٣ : ٧
(٢) متى ١٤ : ٣٦
(٣) مرقس ٥ : ٣٠ ؛ لوقا ٨ : ٤٦
(٤) مفهوم السعادة هنا هو السعادة الروحية التي تتضمن الغبطة والبركة

مَنْ هُمُ السُّعَدَاءُ الْحَقِيقِيُّونَ ؟ :

(٥) متى ٥ : ٣ ؛ ١١ : ٥ ؛ يعقوب ٢ : ٥
(٦) اشعياء ٥٥ : ١ ؛ ٦٥ : ١٣ ؛ متى ٥ : ٦
(٧) اشعياء ٦١ : ٣ ؛ متى ٥ : ٤
(٨) متى ٥ : ١١ ؛ ١ بطرس ٢ : ١٩
(٩) يوحنا ١٦ : ٢

مَنْ هُمُ الَّذِينَ لَهُمُ الْوَيْلُ ؟ :

(١٠) متى ٥ : ١٢
(١١) الأعمال ٧ : ٥١
(١٢) عاموس ٦ : ١ ؛ لوقا ١٢ : ٢١ ؛ يعقوب ٥ : ١
(١٣) متى ٦ : ٢ و ٥ و ١٦ ؛ لوقا ١٦ : ٢٥
(١٤) اشعياء ٦٥ : ١٣

التبشير بالمحبة والإحسان والتسامح والرحمة وانتهاج سبيل الكمال :

بالأنبياء الكذبة ✠ ٢٧ ولكنني أقول لكم أيها السامعون : أحبوا أعداءكم[١] ، أحسنوا إلى مبغضيكم . ✠ ٢٨ باركوا لاعنيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم[٢] . ✠ ٢٩ من لطمك على أحد خديك ، فاترك له الآخر أيضاً[٣] . ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضاً[٤] . ✠ ٣٠ كل من سألك فأعطه[٥] ، ومن أخذ مالك فلا تطالبه به . ✠ ٣١ وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم[٦] ✠ ٣٢ فإنكم إن أحببتم الذين يحبونكم . فأي فضل لكم[٧] . فإن الخطاة أيضاً يحبون من يحبونهم . ✠ ٣٣ وإن أحسنتم إلى الذين يحسنون إليكم فأي فضل لكم ، فإن الخطاة أيضاً يفعلون ذلك . ✠ ٣٤ وإن أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم ، فأي فضل لكم[٨] ، فإن الخطاة أيضاً يقرضون الخطاة ليستردوا منهم المثل . ✠ ٣٥ ولكن أحبوا أعداءكم[٩] . وأحسنوا إليهم ، وأعطوا[١٠] ولا تخيبوا رجاء أحد ، غير طامعين في استرداد شيء ، فسيكون أجركم عظيماً وتكونون أبناء العلي[١١] ، فإنه صالح مع الجاحدين والأشرار . ✠ ٣٦ فكونوا أنتم رحماء ، كما أن أباكم أيضاً رحيم[١٢] . ✠ ٣٧ لا تدينوا فلا تدانوا[١٣] ، ولا تحكموا ضد أحد

(١) الخروج ٢٣ : ٤ ؛ الأمثال ٢٥ : ٢١ ؛ متى ٥ : ٤٤

(٢) لوقا ٢٣ : ٣٤ ؛ الأعمال ٧ : ٦٠

(٣) متى ٥ : ٣٩

(٤) متى ٥ : ٤٠ ؛ ١. كورنثوس ٦ : ٧

(٥) التثنية ١٥ : ٧ و ٨ و ١٠ ؛ الأمثال ٢١ : ٢٦ ؛ متى ٥ : ٤٢

(٦) طوبيا ٤ : ١٦ ؛ متى ٧ : ١٢

(٧) متى ٥ : ٤٦ و ٤٧

(٨) متى ٥ : ٤٢

(٩) لوقا ٦ : ٢٧

(١٠) المزمور ٣٧ : ٢٦ ؛ لوقا ٦ : ٣٠

(١١) متى ٥ : ٤٥

(١٢) متى ٥ : ٤٨

(١٣) متى ٧ : ١

٣٨ فَلاَيُحْكَمُ ضِدَّكُمْ. اِغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ. ✠ أَعْطُوا تُعْطَوْا[١] كَيْلاً جَيِّداً مَضْغُوطاً مَهْزُوزاً فَائِضاً سَيُعْطُونَكُمْ فِى أَحْضَانِكُمْ[٢]. لِأَنَّهُ بِالْكَيْلِ الَّذِى بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ[٣] ».

٣٩ ✠ وَضَرَبَ لَهُمْ كَذَلِكَ مَثَلاً قَائِلاً « أَيَسْتَطِيعُ أَعْمَى أَنْ يَقُودَ أَعْمَى[٤]؟ أَمَا يَسْقُطَانِ كِلاَهُمَا فِى حُفْرَةٍ ؟

٤٠ ✠ لَيْسَ تِلْمِيذٌ أَرْفَعَ مِنْ مُعَلِّمِهِ[٥]. وَلَكِنَّ كُلَّ مَنْ ٤١ صَارَ كَامِلاً يُصْبِحُ كَمُعَلِّمِهِ. ✠ وَلِمَاذَا تَنْظُرُ إِلَى الْقَذَى الَّذِى فِى عَيْنِ أَخِيكَ ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِى ٤٢ فِى عَيْنِكَ أَنْتَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا[٦] ؟ ✠ وَكَيْفَ تَقْدِرُ أَنْ تَقُولَ لأَخِيكَ دَعْنِى يَا أَخِى أُخْرِجُ الْقَذَى الَّذِى فِى عَيْنِكَ ، فِى حِينِ أَنَّكَ أَنْتَ نَفْسَكَ لاَ تَرَى الْخَشَبَةَ الَّتِى فِى عَيْنِكَ أَنْتَ[٧] ؟ يَا مُرَائِى ، أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ أَنْتَ ، وَعِنْدَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّداً ٤٣ لِتُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ. ✠ لِأَنَّهُ مَا مِنْ شَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ تُعْطِى ثَمَراً رَدِيئاً ، وَمَا مِنْ شَجَرَةٍ رَدِيئَةٍ ٤٤ تُعْطِى ثَمَراً طَيِّباً[٨]. ✠ فَكُلُّ شَجَرَةٍ تُعْرَفُ مِنْ ثَمَرِهَا[٩]. لأَنَّهُمْ لاَ يَجْنُونَ مِنَ الشَّوْكِ تِيناً ، وَلاَ يَقْطِفُونَ ٤٥ مِنَ الْعُلَّيْقِ عِنَباً[١٠] ✠ فَالإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنَ الْكَنْزِ الصَّالِحِ فِى قَلْبِهِ يُخْرِجُ الصَّالِحَاتِ ، وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيرُ مِنَ الْكَنْزِ الشِّرِّيرِ فِى قَلْبِهِ يُخْرِجُ الشُّرُورَ. لأَنَّهُ مِنْ

(١) الأمثال ١٩ : ١٧
(٢) المزمور ٧٩ : ١٢
(٣) المزمور ٧ : ٢-٥ ؛ مرقس ٤ : ٢٤
٢١
(٤) متى ١٥ : ١٤
(٥) متى ١٠ : ٢٤ ؛ يوحنا ١٣ : ١٦
(٦) متى ٧ : ٣
(٧) الأمثال ١٨ : ١٧
(٨) متى ٧ : ١٦ و ١٧
(٩) متى ١٢ : ٣٣
(١٠) متى ٧ : ١٦

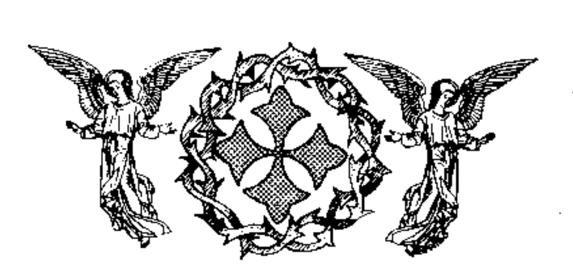
فَيْضِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ الْفَمُ[١] ✠ ٤٦ وَلِمَاذَا تَدْعُونَنِي يَارَبُّ يَارَبُّ وَلَا تَعْمَلُونَ بِمَا أَقُولُ لَكُمْ[٢]؟ ✠ ٤٧ إِنَّ كُلَّ مَنْ يَأْتِي إِلَيَّ وَيَسْمَعُ كَلامِي وَيَعْمَلُ بِهِ أُرِيكُمْ مَنْ يُشْبِهُ[٣]. ✠ ٤٨ إِنَّهُ يُشْبِهُ رَجُلاً بَنَى بَيْتاً فَحَفَرَ وَعَمَّقَ الْحَفْرَ وَوَضَعَ الأَسَاسَ عَلَى الصَّخْرِ، حَتَّى إِذَا انْهَمَرَ السَّيْلُ، لَطَمَ النَّهْرُ ذَلِكَ الْبَيْتَ بِعُنْفٍ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُزَعْزِعَهُ لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّساً عَلَى الصَّخْرِ. ✠ ٤٩ وَأَمَّا الَّذِي يَسْمَعُ كَلَامِي وَلَا يَعْمَلُ بِهِ فَيُشْبِهُ رَجُلاً بَنَى بَيْتًا عَلَى الرَّمْلِ بِغَيْرِ أَسَاسٍ، فَلَطَمَهُ النَّهْرُ بِعُنْفٍ فَسَقَطَ عَلَى الْفَوْرِ. وَكَانَ خَرَابُ ذَلِكَ الْبَيْتِ عَظِيماً» .

(١) متى ١٢ : ٣٤ و ٣٥

(٢) ملاخي ١ : ٦ ؛ متى ٧ : ٢١ ؛ ٢٥ : ١١ ؛ لوقا ١٣ : ٢٥

(٣) متى ٧ : ٢٤ إلخ





الْفَصْلُ السَّابِعُ

مُعجزَةُ شِفَاءِ عَبْدِ قَائدِ الْمِائَةِ : ٢٢

١ ✠ وَبَعْدَ أَنْ أَتَمَّ هَذِهِ الأَقْوَالَ كُلَّهَا فى مَسَامِعِ
٢ الشَّعْبِ دَخَلَ كَفْرَنَاحُومَ[١] . ✠ وَكَانَ لِقَائِدِ مِائَةٍ
عَبْدٌ مَرِيضٌ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ ، وَكَانَ عَزِيزاً عَلَيْهِ .
٣ ✠ فَلَمَّا سَمِعَ بِيَسُوعَ أَوْفَدَ إِلَيْهِ شُيُوخَ الْيَهُودِ
٤ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَأْتِيَ وَيَشْفِيَ عَبْدَهُ . ✠ فَجَاءُوا إِلَى
يَسُوعَ وَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ بِإِلْحَاحٍ قَائِلِينَ « إِنَّهُ يَسْتَحِقُّ
٥ مِنْكَ هَذَا الصَّنِيعَ ، ✠ لِأَنَّهُ يُحِبُّ أُمَّتَنَا ، وَهُوَ
٦ الَّذِى بَنَى لَنَا الْمَجْمَعَ » . ✠ فَمَضَى يَسُوعُ مَعَهُمْ ،
حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ غَيْرَ بَعِيدٍ مِنَ الْبَيْتِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ قَائِدُ

(١) مَتّى ٨ : ٥ إلخ

الْمائَة بَعْضَ الْأَصْدقَاءِ قَائِلًا لَهُ « يَا رَبُّ لَا تُتْعِبْ نَفْسَكَ ، فَإِنَّنِى لَسْتُ مُسْتَحِقًّا أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِ بَيْتِى ، ✠ ٧ وَمِنْ ثَمَّ لَسْتُ أَجِدُنِى مُسْتَحِقًّا أَنْ أَجِيءَ إِلَيْكَ[1] . لَكِنْ قُلْ كَلِمَةً فَيُشْفَى غُلَامِى . ✠ ٨ لِأَنَّنِى أَنَا أَيْضاً خَاضِعٌ لِسُلْطَانٍ ، وَلِى جُنْدٌ تَحْتَ أَمْرِى ، فَأَنَا أَقُولُ لِهَذَا اذْهَبْ فَيَذْهَبُ ، وَلِذَاكَ ائْتِ فَيَأْتِى ، وَلِعَبْدِى افْعَلْ هَذَ فَيَفْعَلُ » . ✠ ٩ فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ ذَلِكَ تَعَجَّبَ مِنْهُ وَالْتَفَتَ إِلَى الْجَمْعِ الَّذِى كَانَ يَتْبَعُهُ وَقَالَ « أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى لَمْ أَجِدْ لَدَى أَحَد فِى كُلِّ إِسْرَائِيلَ إِيمَاناً بِهَذَا الْقَدْرِ » . ✠ ١٠ فَلَمَّا رَجَعَ الْمُوفَدُونَ إِلَى الْبَيْتِ وَجَدُوا أَنَّ الْعَبْدَ الْمَرِيضَ قَدْ شُفِىَ .

✠ ٢٣ مُعْجِزَةُ إِقَامَةِ ابْنِ أَرْمَلَةِ نَايِينَ :

✠ ١١ وَفِى الْيَوْمِ التَّالِى ، ذَهَبَ إِلَى مَدِينَةٍ تُدْعَى نَايِينَ ، وَكَانَ يَصْحَبُهُ تَلَامِيذُهُ وَجَمْعٌ عَظِيمٌ . ✠ ١٢ فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ ، إِذَا مَيِّتٌ مَحْمُولٌ ، كَانَ هُوَ الابْنَ الْوَحِيدَ لِأُمِّهِ الَّتِى كَانَتْ أَرْمَلَةً ، وَكَانَ مَعَهَا جَمْعٌ كَبِيرٌ مِنَ الْمَدِينَةِ . ✠ ١٣ فَإِذْ رَآهَا الرَّبُّ تَحَنَّنَ عَلَيْهَا وَقَالَ لَهَا « لَا تَبْكِى » ، ✠ ١٤ ثُمَّ تَقَدَّمَ وَلَمَسَ النَّعْشَ ، فَوَقَفَ الَّذِينَ كَانُوا يَحْمِلُونَهُ ، فَقَالَ « أَيُّهَا الشَّابُّ لَكَ أَقُولُ قُمْ[2] » ✠ ١٥ فَجَلَسَ الْمَيِّتُ وَبَدَأَ يَتَكَلَّمُ ، فَسَلَّمَهُ إِلَى أُمِّهِ . ✠ ١٦ وَقَدِ

(١) يوحنا ١ : ٢٧

(٢) لوقا ٨ : ٥٤ ؛ يوحنا ١١ : ٤٣ ؛ الأعمال ٩ : ٤٠ ؛ [رومية] ٤ : ١٧

اسْتَوْلَى الْخَوْفُ عَلَى الْجَمِيعِ ، وَمَجَّدُوا اللهَ[١] قَائِلِينَ « قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ[٢] ، وَقَدْ تَفَقَّدَ اللهُ شَعْبَهُ[٣] » ١٧ ✤ فَذَاعَ عَنْهُ هَذَا الأَمْرُ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّوَاحِي الْمُحِيطَةِ بِهَا .

(١) لوقا ١ : ٦٥
(٢) لوقا ٢٤ : ١٩ ؛ يوحنا ٤ : ١٩ ؛ ٦ : ١٤ ؛ ٩ : ١٧
(٣) لوقا ١ : ٦٨

٣٤ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ يُوفِدُ رَسُولَيْنِ إلَى السَّيِّدِ الْمَسِيحِ :

١٨ ✤ وَأَخْبَرَ يُوحَنَّا تَلامِيذُهُ بِهَذَا كُلِّهِ[٤] ، ١٩ ✤ فَدَعَا يُوحَنَّا اثْنَيْنِ مِنْ تَلامِيذِهِ وَأَوْفَدَهُمَا إلَى يَسُوعَ لِيَقُولاَ لَهُ « أَأَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخرَ ؟ » ٢٠ ✤ فَجَاءَ الرَّجُلاَنِ إِلَيْهِ وَقَالاَ « إِنَّ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانَ قَدْ أَوْفَدَنَا إِلَيْكَ لِنَسْأَلَكَ : أَأَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخرَ ؟ » .

(٤) متى ١١ : ٢

٢١ ✤ وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ شَفَى كَثِيرِينَ مِنْ أَمْرَاضِهِمْ وَعِلَلِهِمْ وَمِنَ الأَرْوَاحِ الشِّرِّيرَةِ ، وَوَهَبَ الْبَصَرَ لِعُمْيَانٍ كَثِيرِينَ .

٢٢ ✤ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمَا « اذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا رَأَيْتُمَا وَسَمِعْتُمَا[٥] : الْعُمْيُ يُبْصِرُونَ ، وَالْمُقْعَدُونَ يَمْشُونَ ، وَالْبُرْصُ يَطْهُرُونَ ، وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ[٦] ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ ، وَالْمَسَاكِينُ يُبَشَّرُونَ[٧] . ٢٣ ✤ وَمَغْبُوطٌ مَنْ لاَ يَشُكُّ فِيَّ » .

(٥) متى ١١ : ٤و٥
(٦) اشعياء ٣٥ : ٥
(٧) لوقا ٤ : ١٨

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَمْدَحُ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانَ :

٢٤ ✤ ثُمَّ لَمَّا انْصَرَفَ رَسُولاَ يُوحَنَّا ، أَخَذَ يَسُوعُ يَقُولُ لِلْجَمْعِ عَنْ يُوحَنَّا[٨] « مَاذَا خَرَجْتُمْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِتَرَوْا ؟ أَقَصَبَةً تَهُزُّهَا الرِّيحُ ؟ ٢٥ ✤ بَلْ مَاذَا خَرَجْتُمْ

(٨) متى ١١ : ٧ إلخ

لِتَرَوْا ؟ أَإِنْسَاناً يَرْتَدِى ثِيَاباً نَاعِمَةً ؟ هَاهُمْ أُولَاءِ الَّذِينَ يَرْتَدُونَ ثِيَابَ التَّرَفِ وَالنَّعِيمِ يُقِيمُونَ فِى قُصُورِ الْمُلُوكِ . ✠ ٢٦ بَلْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَرَوْا ؟ أَنَبِيًّا ؟ نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ وَأَكْثَرَ مِنْ نَبِيٍّ ✠ ٢٧ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الَّذِى كُتِبَ عَنْهُ : هَاأَنَاذَا أَبْعَثُ أَمَامَ وَجْهِكَ رَسُولِي الَّذِى يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ أَمَامَكَ[1] . ✠ ٢٨ لِأَنَّنِى أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ . غَيْرَ أَنَّ الْأَصْغَرَ مِنْهُ فِى مَلَكُوتِ اللهِ أَعْظَمُ مِنْهُ » ✠ ٢٩ فَلَمَّا سَمِعَ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَالْعَشَّارُونَ أَقَرُّوا بِأَنَّ اللهَ حَقٌّ[2] ، حَيْثُ كَانُوا قَدِ اعْتَمَدُوا بِمَعْمُودِيَّةِ يُوحَنَّا[3]. ✠ ٣٠ وَأَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ وَعُلَمَاءُ الشَّرِيعَةِ فَقَدْ رَفَضُوا مَشُورَةَ اللهِ[4] فِيهِمْ ، إِذْ لَمْ يَعْتَمِدُوا مِنْهُ .

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُنَدِّدُ بِأَبْنَاءِ ذَلِكَ الْجِيلِ :

✠ ٣١ وَقَالَ الرَّبُّ « بِمَاذَا أُشَبِّهُ أُنَاسَ هَذَا الْجِيلِ ؟ مَنْ يُشْبِهُونَ ؟ ✠ ٣٢ إِنَّهُمْ يُشْبِهُونَ صِبْيَةً جَالِسِينَ فِى السُّوقِ يُنَادِى بَعْضُهُمْ بَعْضاً قَائِلِينَ : زَمَّرْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَرْقُصُوا ، نُحْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَبْكُوا[5] . ✠ ٣٣ فَقَدْ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدانُ لَا يَأْكُلُ خُبْزاً وَلَا يَشْرَبُ خَمْراً فَقُلْتُمْ إِنَّ بِهِ شَيْطَاناً[6] . ✠ ٣٤ وَجَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ فَقُلْتُمْ هُوَذَا رَجُلٌ أَكُولٌ وَشِرِّيبُ

(١) ملاخى ٣ : ١

(٢) المزمور ٥١ : ٤ ؛ متى ١١ : ١٩ ؛ [رومية] ٣ : ٤

(٣) متى ٣ : ٥ و ٦ ؛ لوقا ٣ : ١٢

(٤) الاعمال ٢٠ : ٢٧

(٥) متى ١١ : ١٦

(٦) متى ٣ : ٤ ؛ مرقس ١ : ٦ ؛ لوقا ١ : ١٥

٣٥ خَمْرٍ ، مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ. ✠ بَيْدَ أَنَّ الْحِكْمَةَ قَدْ تَبَيَّنَ بِرُّهَا لِكُلِّ أَبْنَائِهَا »[1].

[٢٥] السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَغْفِرُ لِلْمَرْأَةِ الْخَاطِئَةِ :

٣٦ ✠ ثُمَّ دَعَاهُ أَحَدُ الْفَرِّيسِيِّينَ لِيَتَنَاوَلَ الطَّعَامَ مَعَهُ ، فَدَخَلَ بَيْتَ الْفَرِّيسِيِّ وَجَلَسَ إِلَى الْمَائِدَةِ[2] ، ٣٧ ✠ وَإِذَا بِامْرَأَةٍ خَاطِئَةٍ فِي الْمَدِينَةِ ، حِينَ عَلِمَتْ أَنَّ يَسُوعَ جَالِسٌ فِي بَيْتِ الْفَرِّيسِيِّ جَاءَتْ بِقَارُورَةِ طِيبٍ ٣٨ ✠ وَوَقَفَتْ مِنْ وَرَائِهِ عِنْدَ قَدَمَيْهِ بَاكِيَةً ، وَأَخَذَتْ تُبَلِّلُ قَدَمَيْهِ بِدُمُوعِهَا ، وَتَمْسَحُهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا ، وَتُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ وَتُضَمِّخُهُمَا بِالطِّيبِ . ٣٩ ✠ فَلَمَّا رَأَى الْفَرِّيسِيُّ الَّذِي دَعَاهُ ذَلِكَ قَالَ فِي نَفْسِهِ « لَوْ كَانَ هَذَا نَبِيًّا لَعَلِمَ مَنْ هِيَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَلْمِسُهُ ، وَمَا هُوَ حَالُهَا ، وَأَنَّهَا خَاطِئَةٌ »[3] ٤٠ ✠ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ « يَا سِمْعَانُ عِنْدِي شَيْءٌ أَقُولُهُ لَكَ » فَقَالَ « قُلْ يَا مُعَلِّمُ » قَالَ ٤١ ✠ « كَانَ لِدَائِنٍ مَدِينَانِ ، يُدَايِنُ أَحَدَهُمَا بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ[4] ، وَالآخَرَ بِخَمْسِينَ. ٤٢ ✠ وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمَا مَا يَفِي بِالسَّدَادِ أَبْرَأَهُمَا كِلَيْهِمَا مِنَ الدَّيْنِ ، فَأَيُّهُمَا خَلِيقٌ بِأَنْ يُحِبَّهُ أَكْثَرَ ؟ » ٤٣ ✠ فَأَجَابَ سِمْعَانُ وَقَالَ « أَظُنُّ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَبْرَأَهُ مِنَ الأَكْثَرِ » . فَقَالَ لَهُ « بِالصَّوَابِ حَكَمْتَ » . ٤٤ ✠ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْمَرْأَةِ وَقَالَ

(١) متى ١١ : ١٩

(٢) متى ٢٦ : ٦ ؛ مرقس ١٤ : ٣ ؛ يوحنا ١١ : ٢

(٣) لوقا ١٥ : ٢

(٤) متى ١٨ : ٢٨

لِسِمْعَانَ « أَتَرَى هَذِهِ الْمَرْأَةَ ؟ لَقَدْ دَخَلْتُ بَيْتَكَ فَلَمْ تُعْطِنِي مَاءً لِقَدَمَيَّ ، وَأَمَّا هِيَ فَبَلَّلَتْهُمَا بِدُمُوعِهَا ، وَمَسَحَتْهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا . ✠ ٤٥ أَنْتَ لَمْ تُقَبِّلْنِي ، وَأَمَّا هِيَ فَمُنْذُ أَنْ دَخَلْتُ بَيْتَكَ لَمْ تَكُفَّ عَنْ تَقْبِيلِ قَدَمَيَّ . ✠ ٤٦ أَنْتَ لَمْ تَدْهُنْ بِالزَّيْتِ شَعْرِي[١] ، وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ ضَمَّخَتْ بِالطِّيبِ قَدَمَيَّ . ✠ ٤٧ لِذَلِكَ أَقُولُ لَكَ إِنَّ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةَ مَغْفُورَةٌ لَهَا ، لِأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيراً[٢] . وَأَمَّا الَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ فَإِنَّهُ يُحِبُّ قَلِيلاً » .

✠ ٤٨ ثُمَّ قَالَ لَهَا « مَغْفُورَةٌ لَكِ خَطَايَاكِ[٣] » . ✠ ٤٩ فَأَخَذَ الْجَالِسُونَ مَعَهُ إِلَى الْمَائِدَةِ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ « مَنْ هَذَا أَيْضاً الَّذِي يَغْفِرُ الْخَطَايَا ؟ » ✠ ٥٠ أَمَّا هُوَ فَقَالَ لِلْمَرْأَةِ « إِنَّ إِيمَانَكِ قَدْ خَلَّصَكِ فَاذْهَبِي بِسَلَامٍ[٤] »

(١) المزمور ٢٣ : ٥

(٢) ١ تيموثاوس ١ : ١٤

(٣) متى ٩ : ٢ إلخ ؛ مرقس ٢ : ٥ إلخ

(٤) متى ٩ : ٢٢ ؛ مرقس ٥ : ٣٤ ؛ ١٠ : ٥٢ ؛ لوقا ٨ : ٤٨ ؛ ١٨ : ٤٢





الْفَصْلُ الثَّامِنُ

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَجُولُ مُعَلِّمًا وَمُبَشِّرًا : ٢٦

١ وَأَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ يَجُولُ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ وَاعِظاً وَمُبَشِّراً بِمَلَكُوتِ اللهِ ، يَصْحَبُهُ الاِثْنَا عَشَرَ ، ٢ وَبَعْضُ النِّسْوَةِ[1] اللاَّتِي كَانَ قَدْ أَبْرَأَهُنَّ مِنْ أَرْوَاحٍ شِرِّيرَةٍ وَأَمْرَاضٍ ، وَهُنَّ مَرْيَمُ الَّتِي تُدْعَى الْمَجْدَلِيَّةَ ، ٣ وَكَانَ قَدْ أَخْرَجَ مِنْهَا سَبْعَةَ شَيَاطِينَ[2] ، وَحَنَّةُ زَوْجَةُ خُوزَا أَمِينِ خِزَانَةِ هِيرُودُسَ ، وَسُوسَنَّةُ ، وَأُخْرَيَاتٌ كَثِيرَاتٌ كُنَّ يَبْذُلْنَ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ فِي خِدْمَتِهِ .

مَثَلُ الزَّارِعِ :

٤ وَقَدِ اجْتَمَعَ جُمْهُورٌ عَظِيمٌ مَعَ أُولَئِكَ الآتِينَ إِلَيْهِ ٥ مِنْ كُلِّ مَدِينَةٍ ، فَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً[3] قَائِلاً «خَرَجَ

(١) متى ٢٧ : ٥٥ و ٥٦

(٢) مرقس ١٦ : ٩

(٣) متى ١٣ : ٣ إلخ ؛ مرقس ٤ : ٢ إلخ

الزَّارِعُ لِيَزْرَعَ بُذُورَهُ ، وَفِيمَا هُوَ يَزْرَعُ سَقَطَ الْبَعْضُ عَلَى الطَّرِيقِ فَوَطِئَتْهُ الأَقْدَامُ وَأَكَلَتْهُ طُيورُ السَّمَاءِ ،
٦ ✠ وَسَقَطَ الْبَعْضُ عَلَى الصَّخْرِ ، فَمَا إِنْ نَبتَ حَتَّى جَفَّ لانْعِدَامِ الرُّطُوبَةِ
٧ ✠ وَسَقَطَ الْبَعْضُ بَيْنَ الشَّوْكِ فَنَبَتَ الشَّوْكُ مَعَهُ وَخَنَقَهُ ،
٨ ✠ وَسَقَطَ الْبَعْضُ عَلَى الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَنَبَتَ وَأَعْطَى مِنَ الثَّمَرِ مائَةَ ضِعْفٍ » . قَالَ هَذَا وَنَادَى قَائِلاً « مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ » .
٩ ✠ فَسَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ « مَا هَذَا الْمَثَلُ[١] ؟ » ،
١٠ ✠ فَقَالَ لَهُمْ « إِنَّكُمْ أَنْتُمْ قَدْ أُعْطِيتُمْ مَعْرِفَةَ أَسْرَارِ مَلَكُوتِ اللهِ . وَأَمَّا الأَمْثَالُ فَلِمَنْ هُمْ سِوَاكُمْ ، لأَنَّهُمْ وَهُمْ مُبْصِرُونَ لا يُبْصِرُونَ ، وَسَامِعُونَ وَمَعَ ذَلِكَ لا يَسْمَعُونَ وَلاَ يَفْهَمُونَ[٢] .
١١ ✠ وَإِلَيْكُمْ هَذَا الْمَثَلَ[٣] : فَالزَّرْعُ هُوَ كَلِمَةُ اللهِ .
١٢ ✠ وَالَّذِينَ عَلَى الطَّرِيقِ هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ثُمَّ يَأْتِي إِبْلِيسُ فَيَقْتَلِعُ الْكَلِمَةَ مِنْ قُلُوبِهِمْ لِئَلاَّ يُؤْمِنُوا فَيَخْلُصُوا.
١٣ ✠ وَالَّذِينَ عَلَى الصَّخْرِ هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ وَيَقْبَلُونَهَا بِفَرَحٍ ، وَلَكِنَّهُمْ إِذْ لاَ جُذُورَ مُتَأَصِّلَةٌ فِيهِمْ ، يُؤْمِنُونَ إِلَى حِينٍ ثُمَّ فِي وَقْتِ التَّجْرِبَةِ يَضْعُفُونَ .
١٤ ✠ وَمَا سَقَطَ بَيْنَ الشَّوْكِ هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ، وَفِيمَا هُمْ مَاضُونَ تَخْنُقُهُمُ اهْتِمَامَاتُ الْحَيَاةِ وَغِنَاهَا وَمَلَذَّاتُهَا ، فَلاَ يَكُونُ

(١) متى ١٣ : ١٠ ؛ مرقس ٤ : ١٠
(٢) أشعياء ٦ : ٩ ؛ مرقس ٤ : ١٢
(٣) متى ١٣ : ١٨ ؛ مرقس ٤ : ١٤

١٥ ثَمَرُهُمْ كَامِلاً. ✣ وَأَمَّا مَا سَقَطَ فِي الْأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَهُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ بِقَلْبٍ أَمِينٍ صَالِحٍ ،
١٦ وَيَحْفَظُونَهَا ، وَمَعَ الصَّبْرِ يُثْمِرُونَ. ✣ مَا مِنْ أَحَدٍ يُوقِدُ سِرَاجًا ثُمَّ يُغَطِّيهِ بِإِنَاءٍ ، أَوْ يَضَعُهُ تَحْتَ سَرِيرٍ ، وَإِنَّمَا يَضَعُهُ عَلَى مَنَارَةٍ[1] ، لِكَيْ يَرَى الدَّاخِلُونَ النُّورَ .
١٧ ✣ فَإِنَّهُ مَا مِن خَفِيٍّ إِلَّا وَسَيُكْشَفُ ، وَمَا مِنْ
١٨ مَكْتُومٍ إِلَّا وَسَيُعْرَفُ وَيُعْلَنُ[2]. ✣ فَتَبَيَّنُوا كَيْفَ تَسْمَعُونَ ، لِأَنَّ مَنْ لَهُ سَيُعْطَى ، وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ ، فَحَتَّى مَا يَظُنُّ أَنَّهُ لَهُ ، سَيُنْتَزَعُ مِنْهُ[3] » .

(١) متى ٥ : ١٥ ؛ مرقس ٤ : ٢١ ؛ لوقا ١١ : ٣٣
(٢) متى ١٠ : ٢٦ ؛ لوقا ١٢ : ٢
(٣) مرقس ٤ : ٢٠

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُقَدِّمُ صِلاتِ الرُّوحِ عَلَى صِلاَتِ الْجَسَدِ :

١٩ ✣ وَجَاءَتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ[4] ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا
٢٠ الْوُصُولَ إِلَيْهِ بِسَبَبِ الْحَشْدِ ، ✣ وَإِذْ قِيلَ لَهُ « إِنَّ أُمَّكَ وَإِخْوَتَكَ وَاقِفُونَ فِي الْخَارِجِ يُرِيدُونَ أَنْ
٢١ يَرَوْكَ » ✣ أَجَابَ قَائِلاً « إِنَّ أُمِّي وَإِخْوَتِي هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلِمَةَ اللهِ وَيَعْمَلُونَ بِهَا » .

(٤) متى ١٢ : ٤٦ ؛ مرقس ٣ : ٣١

٢٧

مُعْجِزَةُ تَهْدِئَةِ الْعَاصِفَةِ :

٢٢ ✣ وَذَاتَ يَوْمٍ رَكِبَ سَفِينَةً مَعَ تَلاَمِيذِهِ ، وَقَالَ لَهُمْ « لِنَعْبُرْ إِلَى الضِّفَّةِ الْأُخْرَى لِلْبُحَيْرَةِ[5] » ، فَأَقْلَعُوا .
٢٣ ✣ وَفِيمَا هُمْ مَاضُونَ نَامَ ، ثُمَّ هَبَّتْ عَاصِفَةُ رِيحٍ نَزَلَتْ عَلَى الْبُحَيْرَةِ وَأَحَاطَتْ بِهِمْ فَغَمَرَتْهُمْ بِالْمِيَاهِ ،
٢٤ وَمِنْ ثَمَّ صَارُوا فِي خَطَرٍ ✣ فَتَقَدَّمُوا إِلَيْهِ وَأَيْقَظُوهُ قَائِلِينَ « يَامُعَلِّمُ ، يَامُعَلِّمُ ، قَدْ هَلَكْنَا » فَقَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ

(٥) متى ٨ : ٢٣ ؛ مرقس ٤ : ٣٥ الخ

وَالأَمْوَاجَ فَسَكَنَتْ وَسَادَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ . ✠ ٢٥ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ « أَيْنَ إِيمَانُكُمْ ؟ » فَخَافُوا وَذُهِلُوا وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ « مَنْ هُوَ هَذَا يَا تُرَى ؟ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ حَتَّى الرِّيَاحَ وَالْمِيَاهَ فَتُطِيعُهُ » .

مُعْجِزَةُ شِفَاءِ الْمَجْنُونِ فِي أَرْضِ الْجِرْجِسِيِّينَ : ٢٨

✠ ٢٦ ثُمَّ أَرْسَوْا عِنْدَ أَرْضِ الْجِرْجِسِيِّينَ عَلَى الشَّاطِئِ الْمُقَابِلِ لِلْجَلِيلِ[1] . ✠ ٢٧ فَمَا إِنْ نَزَلَ إِلَى الْبَرِّ حَتَّى اتَّجَهَ نَحْوَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ كَانَتْ بِهِ شَيَاطِينُ مُنْذُ زَمَانٍ طَوِيلٍ ، وَلَمْ يَكُنْ يَرْتَدِي ثَوْبًا . وَلاَ يُقِيمُ فِي بَيْتٍ ، وَإِنَّمَا فِي الْقُبُورِ . ✠ ٢٨ فَمَا إِنْ رَأَى يَسُوعَ حَتَّى صَرَخَ وَارْتَمَى عِنْدَ قَدَمَيْهِ قَائِلاً لَهُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ « مَا لَكَ وَلِي يَا يَسُوعُ ابْنَ اللهِ الْعَلِيِّ ؟ أَلْتَمِسُ مِنْكَ أَلاَّ تُعَذِّبَنِي » . ✠ ٢٩ إِذْ كَانَ قَدْ أَمَرَ الرُّوحَ النَّجِسَ بِأَنْ يَخْرُجَ مِنَ الرَّجُلِ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ مُنْذُ زَمَانٍ طَوِيلٍ ، فَكَانُوا يُكَبِّلُونَهُ بِالسَّلاَسِلِ وَيُصَفِّدُونَهُ بِالأَغْلاَلِ ، فَيُحَطِّمُ الْقُيُودَ وَيَسُوقُهُ الشَّيْطَانُ إِلَى الْبَرَارِي ، ✠ ٣٠ فَسَأَلَهُ يَسُوعُ قَائِلاً « مَا اسْمُكَ ؟ » فَقَالَ « فَيْلَقٌ[2] » لأَنَّ شَيَاطِينَ كَثِيرِينَ كَانُوا قَدْ دَخَلُوا فِيهِ ، ✠ ٣١ وَقَدْ تَوَسَّلُوا إِلَى يَسُوعَ أَلاَّ يَأْمُرَهُمْ بِالذَّهَابِ إِلَى الْغَوْرِ الَّذِي لاَ قَرَارَ لَهُ[3] . ✠ ٣٢ وَكَانَ هُنَاكَ قَطِيعٌ مِنَ الْخَنَازِيرِ يَرْعَى عِنْدَ الْجَبَلِ فَتَوَسَّلُوا

(١) متى ٨ : ٢٨ ؛ مرقس ٥ : ١

(٢) الفيلق كتيبة كبيرة كانت عند الرومان تضم عدداً عظيماً من الجنود يتجاوز أحياناً ستة آلاف جندي .

(٣) أي الهاوية أو العمق أو الجحيم - أنظر [رومية] ١٠ : ٧ ؛ الرؤيا ٩ : ١ و ٢ ؛ ١١ : ٧ ؛ ١٧ : ٨ ؛ ٢٠ : ١ و ٣

إلَيْهِ أنْ يَأْذَنَ لَهُمْ بِالدُّخُولِ فِيهَا فَأَذِنَ لَهُمْ ،
٣٣ ✠ فَخَرَجَتِ الشَّيَاطِينُ مِنَ الرَّجُلِ وَدَخَلَتْ فِي الْخَنَازِيرِ. فَانْدَفَعَ الْقَطِيعُ مِنْ فَوْقِ الْجُرْفِ وَغَرِقَ
٣٤ فِي الْبُحَيْرَةِ . ✠ وَإذْ رَأَى الرُّعَاةُ مَا حَدَثَ هَرَبُوا وَذَهَبُوا وَأَذَاعُوا الأَمْرَ فِي كُلِّ الْمَدِينَةِ وَفِي الضِّيَاعِ .
٣٥ ✠ فَخَرَجَ النَّاسُ لِيَرَوْا مَا حَدَثَ . وَلَمَّا جَاءُوا إلَى يَسُوعَ وَجَدُوا الرَّجُلَ الَّذِي خَرَجَتْ مِنْهُ الشَّيَاطِينُ جَالِسًا عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ ، وَقَدِ ارْتَدَى ثِيَابَهُ وَاسْتَرَدَّ
٣٦ عَقْلَهُ ، فَخَافُوا . ✠ وَقَدْ أَخْبَرَهُمُ الَّذِينَ شَاهَدُوا مَا حَدَثَ كَيْفَ شُفِيَ ذَلِكَ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ الشَّيَاطِينُ ،
٣٧ ✠ فَطَلَبَ إلَيْهِ كُلُّ الَّذِينَ فِي أَرْضِ الْجِرْجِسِيِّينَ وَنَوَاحِيهَا أنْ يَذْهَبَ عَنْهُمْ[1] . إذِ اعْتَرَاهُمْ خَوْفٌ
٣٨ عَظِيمٌ ، فَرَكِبَ السَّفِينَةَ وَرَجَعَ . ✠ وَقَدْ تَوَسَّلَ إلَيْهِ الرَّجُلُ الَّذِي خَرَجَتْ مِنْهُ الشَّيَاطِينُ أنْ يُلازِمَهُ[2] ،
٣٩ وَلَكِنَّ يَسُوعَ صَرَفَهُ قَائِلاً ✠ «عُدْ إلَى بَيْتِكَ وَحَدِّثْ بِمَا صَنَعَ اللهُ لَكَ» ، فَمَضَى وَأَخَذَ يُنَادِي فِي الْمَدِينَةِ كُلِّهَا بِمَا صَنَعَ يَسُوعُ لَهُ .

مُعْجِزَتَا إقَامَةِ ابنَةِ يَايرُوس وَشِفَاءِ نَازِفَةِ الدَّمِ : [٢٩]

٤٠ ✠ وَلَمَّا رَجَعَ يَسُوعُ اسْتَقْبَلَتْهُ الْجُمُوعُ ، فَقَدْ
٤١ كَانُوا جَمِيعًا يَنْتَظِرُونَهُ . ✠ وَإذَا رَجُلٌ اسْمُهُ يَايرُوسُ[3] ، وَكَانَ رَئِيساً لِلْمَجْمَعِ . جَاءَ وَخَرَّ عِنْدَ

(١) متى ٨ : ٣٤ ؛ الأعمال ١٦ : ٣٩
(٢) مرقس ٥ : ١٨
(٣) متى ٩ : ١٨ ؛ مرقس ٥ : ٢٢

قَدَمَىْ يَسُوعَ ، ضَارِعًا إِلَيْهِ أَنْ يَجِيءَ إِلَى بَيْتِهِ ، ✠ إِذْ كَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ وَحِيدَةٌ فِي نَحْوِ الثَّانِيَةَ ٤٢ عَشَرَةَ مِنْ عُمْرِهَا ، قَدْ أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَوْتِ . وَفِيمَا هُوَ ذَاهِبٌ مَعَهُ كَانَتِ الْجُمُوعُ فِي ازْدِحَامِهَا تَضْغَطُ عَلَيْهِ . ✠ وَإِذَا امْرَأَةٌ كَانَتْ مُصَابَةً بِنَزْفِ دَمٍ ٤٣ مُنْذُ اثْنَيْ عَشَرَ عَامًا[1] ، وَقَدْ أَنْفَقَتْ كُلَّ مَا تَمْلِكُ عَلَى الأَطِبَّاءِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ شِفَاءَهَا ، ✠ جَاءَتْ ٤٤ مِنَ الْخَلْفِ وَلَمَسَتْ طَرَفَ ثَوْبِهِ ، فَتَوَقَّفَ عَلَى الْفَوْرِ نَزْفُهَا ، ✠ فَقَالَ يَسُوعُ « مَنْ لَمَسَنِي ؟ » ، ٤٥ فَأَنْكَرَ الْجَمِيعُ ، وَقَالَ بُطْرُسُ وَالَّذِينَ مَعَهُ « يَا مُعَلِّمُ إِنَّ الْجَمْعَ يَتَزَاحَمُونَ مِنْ حَوْلِكَ وَيَضْغَطُونَ عَلَيْكَ ثُمَّ تَقُولُ مَنْ لَمَسَنِي ؟ » ✠ فَقَالَ يَسُوعُ « إِنَّ ٤٦ ثَمَّةَ مَنْ لَمَسَنِي لأَنَّنِي عَالِمٌ بِالْقُوَّةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنِّي[2] » . ✠ فَلَمَّا رَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ أَمْرَهَا لَمْ يَكُنْ خَافِيًا ٤٧ عَلَيْهِ ، جَاءَتْ مُرْتَعِدَةً وَارْتَمَتْ عَلَى قَدَمَيْهِ ، ثُمَّ اعْتَرَفَتْ أَمَامَ كُلِّ الشَّعْبِ بِالسَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ لَمَسَتْهُ ، وَكَيْفَ أَنَّهَا شُفِيَتْ عَلَى الْفَوْرِ . ✠ فَقَالَ لَهَا : ٤٨ « تَشَجَّعِي يَا ابْنَتِي ، إِنَّ إِيمَانَكِ قَدْ خَلَّصَكِ فَاذْهَبِي بِسَلاَمٍ » . ✠ وَبَيْنَمَا كَانَ يَتَكَلَّمُ جَاءَ وَاحِدٌ ٤٩ مِنْ بَيْتِ رَئِيسِ الْمَجْمَعِ وَقَالَ لَهُ « قَدْ مَاتَتِ ابْنَتُكَ

(١) متى ٩ : ٢٠

(٢) مرقس ٥ : ٣٠ ؛ لوقا ٦ : ١٩

٥٠ فَلاَ تُتْعِبِ الْمُعَلِّمَ[١] » . ✥ فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ ذَلِكَ أَجَابَهُ قَائِلًا « لاَ تَخَفْ ، وَإِنَّمَا آمِنْ فَقَطْ فَهِيَ

٥١ تُشْفَى » . ✥ وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْبَيْتِ لَمْ يَسْمَحْ لِأَحَدٍ بِالدُّخُولِ مَعَهُ إِلَّا لِبُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا وَأَبِي

٥٢ الصَّبِيَّةِ وَأُمِّهَا. ✥ وَكَانَ الْجَمِيعُ يَبْكُونَ عَلَيْهَا وَيَنْدُبُونَهَا ، فَقَالَ « لاَ تَبْكُوا فَإِنَّ الصَّبِيَّةَ لَمْ تَمُتْ ،

٥٣ وَلَكِنَّهَا نَائِمَةٌ[٢] » . ✥ فَضَحِكُوا مِنْهُ سَاخِرِينَ ،

٥٤ إِذْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهَا قَدْ مَاتَتْ ، ✥ وَلَكِنَّهُ أَخْرَجَهُمْ جَمِيعًا وَأَمْسَكَ بِيَدِهَا وَنَادَى قَائِلاً « يَاصَبِيَّةُ

٥٥ قُومِي[٣] » ✥ فَعَادَتْ رُوحُهَا إِلَيْهَا وَقَامَتْ عَلَى الْفَوْرِ ،

٥٦ فَأَمَرَ بِأَنْ يُعْطُوهَا لِتَأْكُلَ . ✥ وَقَدِ اسْتَوْلَتِ الدَّهْشَةُ عَلَى أَبَوَيْهَا فَأَوْصَاهُمَا بِأَلَّا يَقُولاَ لِأَحَدٍ بِمَا كَانَ[٤] .

(١) مرقس ٥ : ٣٥

(٢) يوحنا ١١ : ١١ و ١٣

(٣) لوقا ٧ : ١٤ ؛ يوحنا ١١ : ٤٣

(٤) متى ٨ : ٤ ؛ ٩ : ٣٠ ؛ مرقس ٥ : ٤٣





الْفَصْلُ التَّاسِعُ

٣٠ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُرْسِلُ تَلاَمِيذَهُ لِلتَّبْشِيرِ وَيُزَوِّدُهُمْ بِوَصَايَاهُ :

١ ثُمَّ دَعَا تَلاَمِيذَهُ الاِثْنَيْ عَشَرَ رَسُولاً ، وَأَعْطَاهُمْ قُوَّةً وَسُلْطَانًا عَلَى الشَّيَاطِينِ ، وَعَلَى شِفَاءِ الأَمْرَاضِ[1] ، ٢ وَأَرْسَلَهُمْ لِيُبَشِّرُوا بِمَلَكُوتِ اللهِ ، وَيَشْفُوا الْمَرْضَى[2] . ٣ قَائِلًا لَهُمْ « لاَ تَحْمِلُوا شَيْئًا لِلطَّرِيقِ ، لاَ عَصًا ، وَلاَ حَقِيبَةَ زَادٍ ، وَلاَ خُبْزاً ، وَلا مَالاً ، وَلاَ يَكُنْ لِوَاحِدٍ مِنْكُمْ ثَوْبَانِ[3] . ٤ وَأَيُّ بَيْتٍ دَخَلْتُمُوهُ فَهُنَاك أَقِيمُوا ، وَمِنْ هُنَاك امْضُوا[4] . ٥ وَمَنْ لاَ يَقْبَلْكُمْ ، فَاخْرُجُوا مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَانْفُضُوا الْغُبَارَ عَنْ أَقْدَامِكُم شَهَادَةً ضِدَّهُمْ[5] »

(١) متى ١٠ : ١ ؛ مرقس ٣ : ١٣ إلخ ؛ ٦ : ٧
(٢) متى ١٠ : ٧ و٨ ؛ مرقس ٦ : ١٢ ؛ لوقا ١٠ : ١ و٩
(٣) متى ١٠ : ٩ ؛ مرقس ٦ : ٨
(٤) متى ١٠ : ١١ ؛ مرقس ٦ : ١٠
(٥) متى ١٠ : ١٤ ؛ الأعمال ١٣ : ٥١

٦ ✠ فَمَضَوْا وَرَاحُوا يَطُوفُونَ فِي الْقُرَى يُبَشِّرُونَ بِالْإِنْجِيلِ، وَيَشْفُونَ الْمَرْضَى فِي كُلِّ مَكَانٍ[١].

٧ ✠ وَقَدْ سَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ[٢] بِكُلِّ مَا كَانَ يَجْرِي عَلَى يَدَيْهِ فَارْتَبَكَ، لِأَنَّ قَوْمًا كَانُوا يَقُولُونَ إِنَّ يُوحَنَّا قَدْ قَامَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ[٣]. ٨ ✠ وَقَوْمًا يَقُولُونَ إِنَّ إِيلِيَّا قَدْ ظَهَرَ، وَآخَرِينَ يَقُولُونَ إِنَّ أَحَدَ الْأَنْبِيَاءِ الْأَوَّلِينَ قَدْ قَامَ. ٩ ✠ فَقَالَ هِيرُودُسُ «إِنَّ يُوحَنَّا قَدْ قَطَعْتُ أَنَا رَأْسَهُ فَمَنْ هُوَ هَذَا الَّذِي أَسْمَعُ عَنْهُ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ؟» وَكَانَ يَبْتَغِي أَنْ يَرَاهُ[٤].

١٠ ✠ وَلَمَّا رَجَعَ الرُّسُلُ أَخْبَرُوهُ بِكُلِّ مَا فَعَلُوا[٥]. فَأَخَذَهُمْ مَعَهُ عَلَى انْفِرَادٍ إِلَى مَوْضِعٍ قَفْرٍ عِنْدَ مَدِينَةٍ تُدْعَى بَيْتَ صَيْدَا[٦]. ١١ ✠ غَيْرَ أَنَّ الْجُمُوعَ عَلِمُوا بِذَلِكَ فَتَبِعُوهُ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ وَكَلَّمَهُمْ عَنْ مَلَكُوتِ اللهِ، وَالْمُحْتَاجُونَ مِنْهُمْ إِلَى الشِّفَاءِ شَفَاهُمْ. ١٢ ✠ حَتَّى إِذَا بَدَأَ النَّهَارُ يَمِيلُ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ الِاثْنَا عَشَرَ وَقَالُوا لَهُ «اصْرِفِ الْجُمُوعَ حَتَّى يَذْهَبُوا إِلَى الْقُرَى وَالضِّيَاعِ الْقَرِيبَةِ لِيَبِيتُوا هُنَاكَ وَيَجِدُوا طَعَامًا[٧]، لِأَنَّنَا هُنَا فِي مَكَانٍ قَفْرٍ». ١٣ ✠ فَقَالَ لَهُمْ «أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا» فَقَالُوا «لَيْسَ لَدَيْنَا غَيْرُ خَمْسِ خُبْزَاتٍ وَسَمَكَتَيْنِ إِلَّا أَنْ نَذْهَبَ وَنَبْتَاعَ لِهَذَا الشَّعْبِ كُلِّهِ

الْمَلِكُ هِيرُودُسُ يَسْمَعُ بِأَعْمَالِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ فَيَرْتَبِكُ:

(١) مرقس ٦ : ١٣
(٢) حرفياً «رئيس الربع» لأنه كان يحكم إحدى ولايات فلسطين الأربع.
(٣) متى ١٤ : ١ ؛ مرقس ٦ : ١٤

مُعْجِزَةُ إِشْبَاعِ الْخَمْسَةِ الآلَافِ:

(٤) لوقا ٢٣ : ٨
(٥) مرقس ٦ : ٣٠
(٦) متى ١٤ : ١٣
(٧) متى ١٤ : ١٥ ؛ مرقس ٦ : ٣٥ إلخ ؛ يوحنا ٦ : ١ و ٥

٣١

طَعَامًا » ، ✠ ١٤ إِذْ كَانُوا نَحْوَ خَمْسَةِ آلاَفِ رَجُلٍ. فَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ « أَجْلِسُوهُمْ جَمَاعَاتٍ خَمْسِينَ خَمْسِينَ ». ✠ ١٥ فَفَعَلُوا ذلِكَ ، وَأَجْلَسُوهُمْ جَمِيعًا. ✠ ١٦ وَمِنْ ثَمَّ أَخَذَ الْخَمْسَ الْخُبْزَاتِ وَالسَّمَكَتَيْنِ ، ثُمَّ رَفَعَ نَظَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَبَارَكَهَا وَكَسَرَ وَأَعْطَى تَلاَمِيذَهُ لِيُقَدِّمُوا لِلْجَمْعِ ، ✠ ١٧ فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا جَمِيعًا ، ثُمَّ رَفَعُوا مِنَ الْكِسَرِ الَّتِي تَبَقَّتْ عَنْهُمُ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ قُفَّةً مُمْتَلِئَةً .

✠ ٣٢ مَنْ هُوَ يَسُوعُ ؟

✠ ١٨ وَفِيمَا كَانَ يُصَلِّي عَلَى انْفِرَادٍ وَكَانَ تَلاَمِيذُهُ مَعَهُ ، فَسَأَلَهُمْ قَائِلاً « مَنْ تَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا ؟[١] » ، ✠ ١٩ فَأَجَابُوا «إِنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّكَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ[٢] ، وَآخَرُونَ يَقُولُونَ إِنَّكَ إِيلِيَّا ، وَغَيْرُهُمْ يَقُولُونَ إِنَّكَ أَحَدُ الأَنْبِيَاءِ الأَوَّلِينَ قَدْ قَامَ ». ✠ ٢٠ فَقَالَ لَهُمْ « وَأَنْتُمْ مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا ؟ ». فَأَجَابَ بُطْرُسُ قَائِلاً « أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ اللهِ[٣] » . ✠ ٢١ فَنَهَاهُمْ مُنْتَهِرًا عَنْ أَنْ يَقُولُوا ذلِكَ لأَحَدٍ[٤] . ✠ ٢٢ قَائِلاً «لاَ بُدَّ لابْنِ الإِنْسَانِ أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا وَأَنْ يَنْبُذَهُ الشُّيُوخُ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَيَقْتُلُوهُ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ ». ✠ ٢٣ ثُمَّ قَالَ لِلْجَمِيعِ « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتْبَعَنِي فَلْيُنْكِرْ ذَاتَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ

(١) متى ١٦ : ١٣ ؛ مرقس ٨ : ٢٧ ؛
(٢) متى ١٤ : ٢ ؛ لوقا ٩ : ٧ و ٨
(٣) متى ١٦ : ١٦ ؛ يوحنا ٦ : ٦٩
(٤) متى ١٦ : ٢٠
(٥) متى ١٦ : ٢١ ؛ ١٧ : ٢٢ و ٢٣

٢٤ وَيتْبَعَنِي[١] ، ✠ لأَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّص حَيَاتَهُ يُهْلِكُهَا ، وَمَنْ أَهْلَكَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يُخَلِّصُهَا .
٢٥ ✠ لِأَنَّهُ مَاذَا يَسْتَفِيدُ الْإِنْسَانُ لَوْ أَنَّهُ رَبِح
٢٦ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَأَهْلَكَ نَفْسَهُ أَوْ خَسِرَهَا[٢]؟ ✠ فَإِنَّ مَنْ خَزِيَ مِنِّي وَمِنْ كَلامِي ، سَيَخْزَى مِنْهُ ابْنُ الْإِنْسَانِ مَتَى جَاءَ فِي مَجْدِهِ ، وَمَجْدِ أَبِيهِ وَمَلائِكَتِهِ الْقِدِّيسِينَ[٣].
٢٧ ✠ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ بَعْضَ الْحَاضِرِينَ هُنَا لَنْ يَذُوقُوا الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا مَلَكُوتَ اللهِ[٤] » .

مُعْجِزَةُ التَّجَلِّي: ٣٣

٢٨ ✠ وَبَعْدَ هَذَا الْكَلامِ بِنَحْوِ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ أَخَذَ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا وَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ[٥] ،
٢٩ ✠ وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي تَغَيَّرَ مَنْظَرُ وَجْهِهِ ، وَصَارَتْ
٣٠ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ مُتَأَلِّقَةً كَالْبَرْقِ ، ✠ وَإِذَا رَجُلانِ
٣١ يُخَاطِبَانِهِ ، وَهُمَا مُوسَى وَإِيلِيَّا ، ✠ وَقَدْ تَرَاءَيَا فِي مَجْدٍ ، وَكَانَا يَتَكَلَّمَانِ عَنِ انْطِلاقِهِ[٦] الَّذِي كَانَ
٣٢ مُزْمِعًا أَنْ يُتَمِّمَهُ فِي أُورُشَلِيمَ . ✠ أَمَّا بُطْرُسُ وَاللَّذَانِ مَعَهُ فَقَدْ كَانُوا مُثَقَّلِينَ بِالنَّوْمِ[٧] ، فَلَمَّا أَفَاقُوا
٣٣ رَأَوْا مَجْدَهُ ، وَالرَّجُلَيْنِ الْوَاقِفَيْنِ مَعَهُ ، ✠ وَفِيمَا هُمَا مُنْصَرِفَانِ عَنْهُ قَالَ بُطْرُسُ لِيَسُوعَ « يَا مُعَلِّمُ ، جَمِيلٌ أَنْ نَكُونَ هُنَا ، فَلْنَصْنَعْ ثَلاثَ مَظَالَّ : وَاحِدَةً لَكَ ، وَوَاحِدَةً لِمُوسَى ، وَوَاحِدَةً لإِيلِيَّا » ، وَلَمْ يَكُنْ

(١) متى ١٠ : ٣٨ ؛ ١٦ : ٢٤ ؛ مرقس ٨ : ٣٤ ؛ لوقا ١٤ : ٢٧
(٢) متى ١٦ : ٢٦ ؛ مرقس ٨ : ٣٦
(٣) متى ١٠ : ٣٣ ؛ مرقس ٨ : ٣٨ ؛ ٢. تيموثاوس ٢ : ١٢
(٤) متى ١٦ : ٢٨ ؛ مرقس ٩ : ١
(٥) متى ١٧ : ١ ؛ مرقس ٩ : ٢
(٦) ٢. بطرس ١ : ١٥
(٧) دانيال ٨ : ١٨ ؛ ١٠ : ٩

يَعِى مَا يَقُولُ . ✤ ٣٤ وَبَيْنَمَا هُوَ يَقُولُ ذَلِكَ إِذَا سَحَابَةٌ ظَهَرَتْ وَغَطَّتهُمْ فَخَافُوا وَهُمْ يَدْخُلُونَ فِى السَّحَابَةِ . ✤ ٣٥ وَإِذَا صَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ يَقُولُ « هَذَا هُوَ ابْنِى الَّذِى اخْتَرْتُهُ[1] ، فَلَهُ اسْمَعُوا[2] » . ✤ ٣٦ وَحِينَ مَضَى الصَّوْتُ رَأَوْا يَسُوعَ وَحْدَهُ ، فَلَزِمُوا الصَّمْتَ ، وَلَمْ يُخْبِرُوا أَحَدًا فِى تِلْكَ الْأَيَّامِ بِشَىْءٍ مِمَّا رَأَوْا[3] .

مُعْجِزَةُ شِفَاءِ المصابِ بالصَّرْعِ : ٣٤

✤ ٣٧ وَفِى الْيَوْمِ التَّالى ، إِذْ نَزَلُوا مِنَ الْجَبَلِ ، اسْتَقْبَلَهُ جَمْعٌ عَظِيمٌ[4] ، ✤ ٣٨ وَإِذا رَجُلٌ مِنَ الْجَمْعِ صَرَخَ قَائِلاً « يَا مُعَلِّمُ أَتضَرَّعُ إِلَيْكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى ابْنِى ، فَإِنَّهُ وَحِيدِى ، ✤ ٣٩ وَإِنَّ رُوحًا يَتَمَلَّكُهُ فَيَصْرُخُ بَغْتَةً وَيَهُزُّهُ بِعُنْفٍ وَيَصْرَعُهُ فَيَرْتَمِى وَهُوَ يُزْبِدُ ، ثُمَّ لَا يُغَادِرُهُ إِلَّا بِالْجُهْدِ مُرَضِّضًا إِيَّاهُ ، ✤ ٤٠ وَقَدْ طَلَبْتُ مِنْ تَلَامِيذِكَ أَنْ يَطْرُدُوهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا » . ✤ ٤١ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ « أَيُّهَا الْجِيلُ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُلْتَوِى ، حَتَّى مَتَى أَكُونُ مَعَكُمْ وَأَحْتَمِلُكُمْ ؟ أَحْضِرْ لِىَ ابْنَكَ هُنَا » ✤ ٤٢ فَفِيمَا هُوَ يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ صَرَعَهُ الشَّيْطَانُ وَهُوَ يَهُزُّهُ بِعُنْفٍ ، فَانْتَهَرَ يَسُوعُ الرُّوحَ النَّجِسَ وَأَبْرَأَ الصَّبِىَّ ، وَسَلَّمَهُ إِلَى أَبِيهِ . ✤ ٤٣ فَذُهِلَ الْجَمِيعُ مِنْ عَظَمَةِ اللهِ . وَفِيمَا كَانُوا

(١) متى ٣ : ١٧
(٢) الأعمال ٣ : ٢٢
(٣) متى ١٧ : ٩
(٤) متى ١٧ : ١٤ ؛ مرقس ٩ : ١٤ و١٧

كُلُّهُمْ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ كُلِّ مَا فَعَلَهُ يَسُوعُ ، قَالَ لِتَلامِيذِهِ . ٤٤ ✠ « أَمَّا أَنْتُمْ فأَوْدِعُوا هَذَا الْقَوْلَ فِي أَذْهَانِكُمْ : إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ[١] » . ٤٥ ✠ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا هَذَا الْقَوْلَ . وَكَانَ مُخْفًى عَنْهُمْ حَتَّى لَا يَفْهَمُوهُ ، وَتَهَيَّبُوا أَنْ يَسْأَلُوهُ عَنْهُ .

مَنْ هُوَ الأَعْظَمُ ؟ :

٤٦ ✠ وَخامَرَهُمُ الْفِكْرُ فِيمَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ هُوَ الأَعْظَمَ بَيْنَهُمْ[٢] . ٤٧ ✠ فَعَلِمَ يَسُوعُ فِكْرَ قُلُوبِهِمْ ، ٤٨ وَمِنْ ثَمَّ أَخَذَ طِفْلًا ، وَأَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ✠ وَقَالَ لَهُمْ « إِنَّ مَنْ يَقْبَلُ هَذَا الطِّفْلَ بِاسْمِي فَقَدْ قَبِلَنِي[٣] ، وَمَنْ قَبِلَنِي فَقَدْ قَبِلَ الَّذِي أَرْسَلَنِي ، لِأَنَّ الأَصْغَرَ بَيْنَكُمْ جَمِيعًا سَيَكُونُ هُوَ الأَعْظَمَ فِيكُمْ[٤][٥] » .

مَنْ لَيْسَ ضِدَّكُمْ فَهُوَ مَعَكُمْ :

٤٩ ✠ وَقَالَ يُوحَنَّا « يَا مُعَلِّمُ رَأَيْنَا وَاحِدًا يَطْرُدُ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِكَ فَمَنَعْنَاهُ ، لِأَنَّهُ غَيْرُ تَابِعٍ لَنَا » ٥٠ ✠ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ « لَا تَمْنَعُوهُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ ضِدَّكُمْ ، وَمَنْ لَيْسَ ضِدَّكُمْ فَهُوَ مَعَكُمْ[٦] » .

[٣٥] السَّيِّدُ الْمَسِيحُ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ بَلْ لِيُحْيِيَ :

٥١ ✠ وَعِنْدَمَا حَانَ الْوَقْتُ لِارْتِفَاعِهِ[٧] ، اعْتَزَمَ الْمُضِيَّ ٥٢ إِلَى أُورُشَلِيمَ ، ✠ وَأَرْسَلَ رُسُلًا أَمَامَهُ ، فَذَهَبُوا ٥٣ وَدَخَلُوا قَرْيَةً لِلسَّامِرِيِّينَ كَيْ يُعِدُّوا لَهُ ✠ وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَقْبَلُوهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ مُتَّجِهًا إِلَى أُورُشَلِيمَ[٨] .

(١) متى ١٧ : ٢٢
(٢) متى ١٨ : ١ ؛ مرقس ٩ : ٣٣
(٣) متى ١٠ : ٤٠ ؛ ١٨ : ٥ ؛ مرقس ٩ : ٣٧ ؛ يوحنا ١٢ : ٤٤ ؛ ١٣ : ٢٠
(٤) متى ٢٣ : ١١ و ١٢
(٥) العدد ١١ : ٢٨ إلخ ؛ مرقس ٩ : ٣٨
(٦) متى ١٢ : ٣٠ ؛ لوقا ١١ : ٢٣
(٧) مرقس ١٦ : ١٩ ؛ الأعمال ١ : ٢ و ١١
(٨) يوحنا ٤ : ٤

٥٤ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ تِلْمِيذَاهُ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا قَالاَ لَهُ « يَا رَبُّ أَتُرِيدُ أَنْ نَطْلُبَ أَنْ تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتَحْرِقَهُمْ كَمَا فَعَلَ إِيلِيَّا ؟ » ٥٥ فَالْتَفَتَ وَانْتَهَرَهُمَا قَائِلاً « لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا. ٥٦ لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ نُفُوسَ النَّاسِ ، بَلْ لِيُخَلِّصَهَا[١] » . فَمَضَوْا إِلى قَرْيَةٍ أُخرَى .

التجرُّدُ والتفرُّغُ مِن شُرُوط الخِدْمَة الرَّسُولِيَّةِ :

٥٧ وَفِيمَا كَانُوا سَائِرِينَ فِي الطَّرِيقِ ، قَالَ لَهُ وَاحِدٌ « يَارَبُّ أَتْبَعُكَ أَيْنَمَا تَمْضِ[٢] » ٥٨ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ « إِنَّ لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةً ، وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارًا ، وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ مَوْضِعٌ يُسْنِدُ إِلَيْهِ رَأْسَهُ » .

٥٩ وَقَالَ لآخَرَ « اتْبَعْنِي » ، فَقَالَ « يَا رَبُّ ائْذَنْ لِي أَوَّلاً أَنْ أَذْهَبَ لأَدْفِنَ أَبِي[٣] » . ٦٠ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ « دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ ، وَأَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ وَبَشِّرْ بِمَلَكُوتِ اللهِ » .

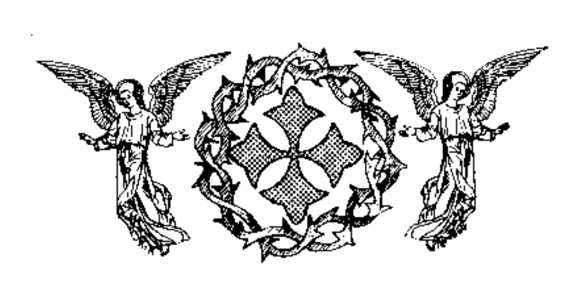
٦١ وَقَالَ لَهُ آخَرُ أَيْضًا « يَارَبُّ سَأَتْبَعُكَ ، وَلَكِنِ ائْذَنْ لِي أَنْ أَذْهَبَ أَوَّلاً كَيْ أُوَدِّعَ أَهْلَ بَيْتِي[٤] » . ٦٢ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ « مَا مِنْ أَحَدٍ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَكُونُ أَهْلاً لِمَلَكُوتِ اللهِ » .

(١) يوحنا ٣ : ١٧ ؛ ١٢ : ٤٧

(٢) متى ٨ : ١٩

(٣) متى ٨ : ٢١

(٤) ١ الملوك ١٩ : ٢٠



الفَصْلُ الْعَاشِرُ

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُرْسِلُ تَلاَمِيذَهُ السبعين لِلتَّبْشِيرِ، وَيُزَوِّدُهُم بِوَصَايَاهُ : [٣٦]

١ ✠ وَبَعْدَ ذَلِكَ عَيَّنَ الرَّبُّ سَبْعِينَ آخَرِينَ ، وَأَرْسَلَهُمُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ[١] أَمَامَهُ إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ وَمَوْضِعٍ كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهِ ٢ ✠ قَائِلاً لَهُمْ « إِنَّ الْحَصَادَ كَثِيرٌ وَأَمَّا الْعُمَّالُ فَقَلِيلُونَ ، فَاضْرَعُوا إِلَى رَبِّ الْحَصَادِ أَنْ يُرْسِلَ عُمَّالاً لِحَصَادِهِ[٢]. ٣ ✠ اذْهَبُوا. هَا أَنَاذَا أُرْسِلُكُمْ كَحُمْلاَنٍ بَيْنَ ذِئَابٍ[٣]. ٤ ✠ لاَ تَحْمِلُوا كِيسًا وَلاَ حَقِيبَةَ زَادٍ وَلاَ حِذَاءً[٤]. وَلاَ تُسَلِّمُوا فِي الطَّرِيقِ[٥] عَلَى أَحَدٍ ٥ ✠ وَأَيُّ بَيْتٍ دَخَلْتُمُوهُ ، فَقُولُوا أَوَّلاً : السَّلاَمُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ[٦]. ٦ ✠ فَإِنْ

(١) متى ١٠ : ١؛ مرقس ٦ : ٧
(٢) متى ٩ : ٣٧ و ٣٨ ؛ يوحنا ٤ : ٣٥ ؛ ٢ تسالونيكى ٣ : ١
(٣) متى ١٠ : ١٦
(٤) متى ١٠ : ٩ و ١٠ ؛ مرقس ٦ : ٨ ؛ لوقا ٩ : ٣
(٥) ٢ الملوك ٤ : ٢٩
(٦) متى ١٠ : ١٢

كَانَ هُنَاكَ ابْنُ السَّلاَمِ فَسَلاَمُكُمْ يَحِلُّ عَلَيْهِ ، وَإِلاَّ يَرْتَدُّ إِلَيْكُمْ . ✠ ٧ وَأَقِيمُوا فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ آكِلِينَ وَشَارِبِينَ مِمَّا لَدَيْهِمْ ، لِأَنَّ الْعَامِلَ مُسْتَحِقٌّ أُجْرَتَهُ[١]. لاَ تَنْتَقِلُوا مِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتٍ. ✠ ٨ وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ دَخَلْتُمُوهَا وَقَبِلُوكُمْ فَكُلُوا مِمَّا يُقَدَّمُ إِلَيْكُمْ ، ✠ ٩ وَاشْفُوا الَّذِينَ فِيهَا[٢] مِنَ الْمَرْضَى ، وَقُولُوا لَهُمْ قَدِ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ[٣]. ✠ ١٠ وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ دَخَلْتُمُوهَا وَلَمْ يَقْبَلُوكُمْ ، فَاخْرُجُوا إِلَى سَاحَاتِهَا وَقُولُوا : ✠ ١١ حَتَّى الْغُبَارُ الْعَالِقُ بِأَرْجُلِنَا مِنْ مَدِينَتِكُمْ نَنْفُضُهُ عَلَيْكُمْ[٤]. وَلَكِنِ اعْلَمُوا أَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ قَدِ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ . ✠ ١٢ وَإِنَّنِي لَأَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ سَتَكُونُ لِسَدُومَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً مِمَّا لِتِلْكَ الْمَدِينَةِ[٥] . ✠ ١٣ الْوَيْلُ لَكِ يَا كُورَازِينُ . الْوَيْلُ لَكِ يَا بَيْتَ صَيْدَا[٦]. لأَنَّهُ لَوْ جَرَتْ فِي صُورَ وَصَيْدُونَ الْمُعْجِزَاتُ الَّتِي جَرَتْ فِيكُمَا لَتَابَتَا مِنْ قَدِيمٍ جَالِسَتَيْنِ فِي الْمُسُوحِ وَالرَّمَادِ[٧]. ✠ ١٤ وَلَكِنَّهُ سَتَكُونُ لِصُورَ وَصَيْدُونَ فِي يَوْمِ الدَّيْنُونَةِ حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً مِمَّا لَكُمَا . ✠ ١٥ وَأَنْتِ يَا كَفْرَنَاحُومُ[٨] ، أَتَحْسَبِينَ أَنَّكِ سَتَرْتَفِعِينَ إِلَى السَّمَاءِ[٩] ؟ إِنَّكِ سَيُهْبَطُ بِكِ إِلَى الْجَحِيمِ[١٠]. ✠ ١٦ مَنْ سَمِعَ مِنْكُمْ فَقَدْ سَمِعَ مِنِّي[١١] .

(١) متى ١٠ : ١٠ ؛ ١ . كورنثوس ٩ : ٤ إلخ ؛ ١٠ : ٢٧ ؛ ١ . تيموثاوس ٥ : ١٨

(٢) لوقا ٩ : ٢ إلخ

(٣) متى ٣ : ٢ ؛ ٤ : ١٧ ؛ ١٠ : ٧ ؛ لوقا ١٠ : ١١

(٤) متى ١٠ : ١٤ ؛ لوقا ٩ : ٥ ؛ الأعمال ١٣ : ٥١ ؛ ١٨ : ٦

(٥) متى ١٠ : ١٥ ؛ مرقس ٦ : ١١

(٦) متى ١١ : ٢١

(٧) حزقيال ٣ : ٦

(٨) متى ١١ : ٢٣

(٩) التكوين ١١ : ٤ ؛ التثنية ١ : ٢٨ ؛ اشعياء ١٤ : ١٣ ؛ ارميا ٥١ : ٥٣

(١٠) حزقيال ٢٦ : ٢٠ ؛ ٣٢ : ١٨

(١١) متى ١٠ : ٤٠ ؛ مرقس ٩ : ٣٧ ؛ يوحنا ١٣ : ٢٠

وَمَنِ ازْدَرَاكُمْ فَقَدِ ازْدَرَانِي[1] . وَمَنِ ازْدَرَانِي فَقَدِ ازْدَرَى الَّذِي أَرْسَلَنِي[2] » .

١٧ ✠ وَقَدْ رَجَعَ السَّبْعُونَ[3] بِفَرَحٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ « يَا رَبُّ ، حَتَّى الشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا بِاسْمِكَ »

١٨ ✠ فَقَالَ لَهُمْ « إِنِّي رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِنَ

١٩ السَّمَاءِ[4] كَالْبَرْقِ . ✠ وَهَا أَنَاذَا أُعْطِيكُمُ السُّلْطَانَ لِتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ[5] ، وَلَا

٢٠ يُصِيبُكُمْ شَيْءٌ بِضَرَرٍ . ✠ وَلَكِنْ لَا تَفْرَحُوا بِهَذَا ، بِأَنَّ الْأَرْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ ، وَإِنَّمَا افْرَحُوا لِأَنَّ أَسْمَاءَكُمْ قَدْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاءِ[6] » .

٢١ ✠ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَهَلَّلَ يَسُوعُ بِالرُّوحِ وَقَالَ « أَشْكُرُكَ أَيُّهَا الْآبُ رَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذَا عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْأَذْكِيَاءِ وَكَشَفْتَهُ لِلْأَطْفَالِ . نَعَمْ أَشْكُرُكَ أَيُّهَا الْآبُ لِأَنَّهُ هَكَذَا حَسُنَ لَدَيْكَ[7] » .

٢٢ ✠ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى تَلَامِيذِهِ قَائِلاً « كُلُّ شَيْءٍ قَدْ سُلِّمَ لِي مِنْ أَبِي[8] ، وَلَا أَحَدَ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ الِابْنُ إِلَّا الْآبُ ، وَلَا مَنْ هُوَ الْآبُ إِلَّا الِابْنُ ، وَمَنْ أَرَادَ

٢٣ الِابْنُ أَنْ يَكْشِفَ لَهُ[9] » . ✠ ثُمَّ عَادَ فَقَالَ لِتَلَامِيذِهِ عَلَى انْفِرَادٍ « طُوبَى لِلْأَعْيُنِ الَّتِي تُبْصِرُ

٢٤ مَا تُبْصِرُونَ[10] ✠ لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ أَنْبِيَاءَ

(١) ١ تسالونيكى ٤ : ٨
(٢) يوحنا ٥ : ٢٣
(٣) لوقا ١٠ : ١
(٤) اشعياء ١٤ : ٩ – ١٥ ؛ يوحنا ١٢ : ٣١ ؛ ١٦ : ١١ ؛ الرؤيا ٩ : ١ ؛ ١٢ : ٧ – ١٢
(٥) التكوين ٣ : ١٥ ؛ المزامير ٩١ : ١٣ ؛ مرقس ١٦ : ١٨ ؛ الأعمال ٢٨ : ٥
(٦) الخروج ٣٢ : ٣٢ ؛ المزمور ٦٩ : ٢٨ ؛ اشعياء ٤ : ٣ ؛ دانيال ١٢ : ١ ؛ رومية ٨ : ١٦ ؛ فيلبى ٤ : ٣ ؛ العبرانيين ١٢ : ٢٣ ؛ الرؤيا ١٣ : ٨ ؛ ٢٠ : ١٢ ؛ ٢١ : ٢٧
(٧) متى ١١ : ٢٥ – ٢٧
(٨) متى ٢٨ : ١٨ ؛ يوحنا ٣ : ٣٥ ؛ ١٧ : ٢ ؛ ٢٧ : ٥
(٩) يوحنا ١ : ١٨ ؛ ٦ : ٤٤ و ٤٦
(١٠) متى ١٣ : ١٦

٣٧

وَمُلُوكًا كَثِيرِينَ اشْتَهَوْا أَنْ يَرَوْا مَا أَنْتُمْ تَرَوْنَ فَلَمْ يَرَوْا ، وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ فَلَمْ يَسْمَعُوا[١] »

[٣٨] مَاذَا يَعْمَلُ الإِنْسَانُ لِيَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ ؟ :

٢٥ ✠ وَإِذَا وَاحِدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ قَامَ فَقَالَ لَهُ لِيُحْرِجَهُ « يَا مُعَلِّمُ مَاذَا أَعْمَلُ لِكَيْ أَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ[٢] ؟ » . ٢٦ ✠ فَقَالَ لَهُ « مَا الْمَكْتُوبُ فِي الشَّرِيعَةِ ؟ مَاذَا تَقْرَأُ فِيهَا ؟ » ٢٧ ✠ فَأَجَابَ قَائِلاً « أَنْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلٰهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ[٣] وَتُحِبَّ قَرِيبَكَ حُبَّكَ لِنَفْسِكَ[٤] » . ٢٨ ✠ فَقَالَ لَهُ « بِالصَّوَابِ أَجَبْتَ . اِفْعَلْ هٰذَا فَتَحْيَا[٥] » . ٢٩ ✠ وَلٰكِنَّهُ إِذْ أَرَادَ أَنْ يُزَكِّيَ نَفْسَهُ[٦] قَالَ لِيَسُوعَ « وَمَنْ هُوَ قَرِيبِي ؟ » .

قَرِيبُ الإِنْسَانِ هُوَ الَّذِي يُسْدِي إِلَيْهِ الرَّحْمَةَ :

٣٠ ✠ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ : « رَجُلٌ كَانَ نَازِلاً مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَرِيحَا ، فَوَقَعَ بَيْنَ لُصُوصٍ فَجَرَّدُوهُ مِنْ ثِيَابِهِ وَأَصَابُوهُ بِجِرَاحٍ ، ثُمَّ مَضَوْا تَارِكِينَهُ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ . ٣١ ✠ وَقَدِ اتَّفَقَ أَنَّ كَاهِنًا نَزَلَ فِي ذٰلِكَ الطَّرِيقِ فَأَبْصَرَهُ ، وَلٰكِنَّهُ تَجَاوَزَهُ وَمَضَى[٧] . ٣٢ ✠ وَكَذٰلِكَ لَاوِيٌّ بَلَغَ الْمَكَانَ فَأَبْصَرَهُ ، وَلٰكِنَّهُ تَجَاوَزَهُ وَمَضَى . ٣٣ ✠ ثُمَّ مَرَّ بِهِ سَامِرِيٌّ[٨] مُسَافِرٌ فَلَمَّا رَآهُ أَشْفَقَ عَلَيْهِ ، ٣٤ ✠ وَتَقَدَّمَ نَحْوَهُ وَضَمَّدَ جِرَاحَهُ وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتًا وَخَمْرًا ، وَحَمَلَهُ عَلَى دَابَّتِهِ

(١) التكوين ٤٩ : ١٨ ؛ ٢ صموئيل ٢٣ : ١ — ٥ ؛ ١ بطرس ١ : ١٠

(٢) متى ١٩ : ١٦ ؛ ٢٢ : ٣٥ ؛ مرقس ١٢ : ٢٨ إلخ

(٣) التثنية ٦ : ٤

(٤) اللاويين ١٩ : ١٨

(٥) اللاويين ١٨ : ٥ ؛ نحميا ٩ : ٢٩ ؛ حزقيال ٢٠ : ١١و١٣ و٢١ ؛ رومية ١٠ : ٥

(٦) لوقا ١٦ : ١٥

(٧) الخروج ٢٣ : ٤ و ٥ ؛ التثنية ٢٢ : ١ — ٤ ؛ المزمور ٣٨ : ١١ ؛ اشعياء ٥٨ : ٧

(٨) يوحنا ٤ : ٩

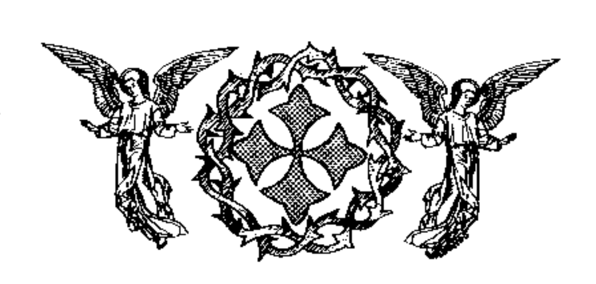
٣٥ وَجَاءَ بِهِ إِلَى فُنْدُقٍ وَاعْتَنَى بِهِ . ✠ ثُمَّ فِي الْغَدِ ، وَقَدْ أَزْمَعَ الرَّحِيلَ ، أَخْرَجَ دِينَارَيْنِ[1] وَدَفَعَهُمَا إِلَى صَاحِبِ الْفُنْدُقِ قَائِلاً لَهُ : اعْتَنِ بِهِ ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ زِيَادَةً
٣٦ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّنِي عِنْدَ عَوْدَتِي أَدْفَعُهُ لَكَ . ✠ فَأَيُّ هَؤُلاءِ الثَّلاثَةِ فِيمَا تَظُنُّ صَارَ قَرِيبًا لِذَلِكَ الَّذِي
٣٧ وَقَعَ بَيْنَ اللُّصُوصِ؟ » . ✠ فَقَالَ « الَّذِي أَسْدَى إِلَيْهِ الرَّحْمَةَ » . فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ « اذْهَبْ أَنْتَ أَيْضًا وَافْعَلْ هَكَذَا » .

(١) متى ٢٠ : ٢

الاستماع إلى كلمة الله أولى بالاهتمام من الأمور الدنيوية : [٣٩]

٣٨ ✠ وَفِيمَا هُمْ سَائِرُونَ دَخَلَ قَرْيَةً ، فَرَحَّبَتْ بِهِ
٣٩ امْرَأَةٌ اسْمُهَا مَرْثَا[2] فِي بَيْتِهَا . ✠ وَكَانَتْ لَهَا أُخْتٌ اسْمُهَا مَرْيَمُ ، جَلَسَتْ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ
٤٠ تَسْتَمِعُ إِلَى كَلامِهِ[3] . ✠ فِي حِينِ كَانَتْ مَرْثَا مُنْهَمِكَةً جِدًّا فِي الْخِدْمَةِ . وَمِنْ ثَمَّ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ وَوَقَفَتْ قَائِلَةً « يَارَبُّ أَمَا يَعْنِيكَ أَنَّ أُخْتِي تَرَكَتْنِي أَخْدُمُ
٤١ وَحْدِي ؟ قُلْ لَهَا أَنْ تُسَاعِدَنِي » ✠ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا « مَرْثَا مَرْثَا . إِنَّكِ تَهْتَمِّينَ مُضْطَرِبَةً
٤٢ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ . ✠ فِي حِينَ أَنَّ الْحَاجَةَ هِيَ إِلَى قَلِيلٍ ، أَوْ إِلَى وَاحِدٍ[4] . وَقَدِ اخْتَارَتْ مَرْيَمُ النَّصِيبَ الصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا »

(٢) يوحنا ١١ : ١-٤١ : ١٢ : ٢ و ٣
(٣) لوقا ٨ : ٣٥؛ الأعمال ٢٢ : ٣؛ ١-كورنثوس ٧ : ٣٢ إلخ
(٤) المزمور ٢٧ : ٤



الْفَصْلُ الْحَادِىَ عَشَرَ

٤٠ الصَّلاَةُ الرَّبَّانِيَّةُ :

✠ وَكَانَ يُصَلِّى فِى بَعْضِ الْمَوَاضِعِ ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ لَهُ أَحَدُ تَلاَمِيذِهِ « يَارَبُّ عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّىَ ، كَمَا عَلَّمَ يُوحَنَّا تَلاَمِيذَهُ » ✠ فَقَالَ لَهُمْ « مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا[1] : أَبَانَا الَّذِى فِى السَّمَاوَاتِ . لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ . لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ فِى الأَرْضِ كَمَا هِىَ فِى السَّمَاءِ . ✠ خُبْزُنَا الآتِى[2] أَعْطِنَا الْيَوْمَ ، ✠ وَاغْفِرْ لَنَا مَا عَلَيْنَا ، كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضًا لِمَنْ أَسَاءَ إِلَيْنَا ، وَلاَ تُدْخِلْنَا فِى تَجْرِبَةٍ ، لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ » .

مَثَلُ اسْتِعَارَةِ الأَرْغِفَةِ مِنَ الصَّدِيقِ :

✠ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ « إِذَا كَانَ

(١) متى ٦ : ٩ إلخ

(٢) أى خبزنا الذى للدهر الآتى [أو الزمان الآتى أو العالم الآتى] ، بمعنى خبزنا الذى هو زادنا الروحى ، وقوتنا السماوى الذى سنحيا به وعليه فى الحياة الأخرى ، نطلب أن نأخذ منه فى يومنا الحاضر .

لِأَيٍّ مِنْكُمْ صَدِيقٌ ، فَيَذْهَبُ إِلَيْهِ عِنْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ وَيَقُولُ لَهُ : أَيُّهَا الصَّدِيقُ أَعِرْنِي ثَلاثَةَ
٦ أَرْغِفَةٍ ، ✥ لِأَنَّ صَدِيقًا لِي جَاءَ إِلَيَّ مِنْ سَفَرٍ
٧ وَلَيْسَ عِنْدِي مَا أُقَدِّمُ لَهُ ، ✥ فَإِنَّهُ يُجِيبُ مِنَ الدَّاخِلِ قَائِلاً : لَا تُزْعِجْنِي ، فَإِنَّ الْبَابَ الآنَ مُغْلَقٌ ، وَأَطْفَالِي مَعِي فِي الْفِرَاشِ ، فَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ
٨ أَقُومَ وَأُعْطِيَكَ . ✥ أَقُولُ لَكُمْ : إِنْ لَمْ يَقُمْ وَيُعْطِهِ لِكَوْنِهِ صَدِيقَهُ ، فَإِنَّهُ مِنْ أَجْلِ إِلْحَاحِهِ
٩ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ[1] . ✥ وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ : اطْلُبُوا تُعْطَوْا . ابْحَثُوا تَجِدُوا . اِقْرَعُوا
١٠ يُفْتَحْ لَكُمْ . ✥ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ يَطْلُبُ يُعْطَى ،
١١ وَمَنْ يَبْحَثُ يَجِدُ وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ[2] . ✥ فَأَيُّ أَبٍ مِنْكُمْ إِذَا طَلَبَ مِنْهُ ابْنُهُ خُبْزًا ، يُعْطِيهِ حَجَرًا[3] ؟ أَوْ طَلَبَ مِنْهُ سَمَكَةً يُعْطِيهِ أَفْعَى بَدَلَ
١٢ السَّمَكَةِ ؟ ✥ أَوْ إِذَا طَلَبَ بَيْضَةً يُعْطِيهِ
١٣ عَقْرَبًا ؟ ✥ فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ كَيْفَ تُعْطُونَ أَبْنَاءَكُمْ عَطَايَا حَسَنَةً ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ يُعْطِي رُوحَ الْقُدُسِ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ ؟[4] » .

مُعْجِزَةُ طَرْدِ الشَّيْطَانِ مِنَ الأَخْرَسِ : (٤١)

١٤ ✥ وَكَانَ يَطْرُدُ شَيْطَانًا مِنْ رَجُلٍ أَخْرَس ، فَمَا إِنْ طَرَدَ الشَّيْطَانَ حَتَّى تَكَلَّمَ الأَخْرَسُ ، فَتَعَجَّبَتِ

(١) لوقا ١٨ : ١ إلخ
(٢) متى ٧ : ٧ ؛ ٢١ : ٢٢ ؛ مرقس ١١ : ٢٤ ؛ يوحنا ١٥ : ٧ ؛ يعقوب ١ : ٥ و٦ و٧ ؛ ١-يوحنا ٣ : ٢٢
(٣) متى ٧ : ٩
(٤) متى ٧ : ١١
(٥) متى ٩ : ٣٢ ؛ ١٢ : ٢٢

١٥ الْجُمُوعُ . ✠ وَلَكِنَّ بَعْضاً مِنْهُمْ قَالُوا إِنَّهُ بِبَعْلَ
١٦ زَبُولَ رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ يَطْرُدُ الشَّيَاطِينَ[١]. ✠ وَطَلَبَ
١٧ مِنْهُ آخَرُونَ آيَةً لِيُجَرِّبُوهُ[٢] ، ✠ وَإِذْ كَانَ يَعْلَمُ أَفْكَارَهُمْ[٣]
قَالَ لَهُمْ « كُلُّ مَمْلَكَةٍ تَنْقَسِمُ عَلَى ذَاتِهَا تَخْرَبُ ،
١٨ وَكُلُّ بَيْتٍ يَنْقَسِمُ عَلَى ذَاتِهِ يَسْقُطُ[٤]. ✠ فَإِذَا
انْقَسَمَ الشَّيْطَانُ عَلَى ذَاتِهِ فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَمْلَكَتُهُ ؟ .
لأَنَّكُمْ تَقُولُونَ إِنَّنِي بِبَعْلَ زَبُولَ أَطْرُدُ الشَّيَاطِينَ .
١٩ ✠ فَإِنْ كُنْتُ أَنَا بِبَعْلَ زَبُولَ أَطْرُدُ الشَّيَاطِينَ ،
فَبِمَنْ يَطْرُدُهُمْ أَبْنَاؤُكُمْ ؟ لِذَلِكَ هُمْ سَيَكُونُونَ
٢٠ قُضَاتَكُمْ . ✠ أَمَّا إِنْ كُنْتُ أَنَا بِإِصْبَعِ اللهِ[٥]
أَطْرُدُ الشَّيَاطِينَ ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ .
٢١ ✠ إِنَّ الْقَوِيَّ الَّذِي يَتَسَلَّحُ لِيَحْرُسَ دَارَهُ تَكُونُ
٢٢ أَمْتِعَتُهُ فِي أَمَانٍ[٦] ، ✠ وَلَكِنَّهُ مَتَى جَاءَ عَلَيْهِ ذَلِكَ
الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنْهُ ، تَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَنَزَعَ مِنْهُ كُلَّ
أَسْلِحَتِهِ الَّتِي كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا وَيُوَزِّعُ غَنَائِمَهُ[٧] .
٢٣ ✠ مَنْ لَيْسَ مَعِي فَهُوَ ضِدِّي ، وَمَنْ لَا يَجْمَعُ
٢٤ مَعِي فَهُوَ يُشَتِّتُ[٨]. ✠ إِنَّ الرُّوحَ النَّجِسَ إِذَا
خَرَجَ مِنْ إِنْسَانٍ مَضَى هَائِماً فِي الْقِفَارِ يَلْتَمِسُ رَاحَةً[٩] ،
وَإِذْ لَا يَجِدُ يَقُولُ أَرْجِعُ إِلَى دَارِي الَّتِي بَارَحْتُهَا
٢٥ ✠ فَإِذَا جَاءَ يَجِدُهَا مَكْنُوسَةً مُزَيَّنَةً .

(١) متى ٩ : ٣٤ ؛ ١٢ : ٢٤
(٢) متى ١٢ : ٣٨ ؛ ١٦ : ١
(٣) يوحنا ٢ : ٢٥
(٤) متى ١٢ : ٢٥ ؛ مرقس ٣ : ٢٤
(٥) الخروج ٨ : ١٩
(٦) متى ١٢ : ٢٩ ؛ مرقس ٣ : ٢٧
(٧) إشعياء ٤٩ : ٢٤ و ٢٥ ؛ ٥٣ : ١٢ ؛ كولوسي ٢ : ١٥
(٨) متى ١٢ : ٣٠
(٩) متى ١٢ : ٤٣

٢٦ ✠ وَعِنْدَئِذٍ يَذْهَبُ وَيَأْخُذُ مَعَهُ سَبْعَةَ أَرْوَاحٍ آخَرِينَ أَكْثَرَ مِنْهُ شَرًّا ، فَيَدْخُلُونَ وَهُنَاكَ يُقِيمُونَ ، فَتَكُونُ أَوَاخِرُ ذَلِكَ الإِنْسَانِ أَسْوَأَ مِنْ أَوَائِلِهِ[1] » .

٢٧ ✠ وَفِيمَا هُوَ يَقُولُ هَذَا رَفَعَتِ امْرَأَةٌ صَوْتَهَا مِنْ بَيْنِ الْجَمْعِ قَائِلَةً لَهُ « مُبَارَكٌ هُوَ الْبَطْنُ الَّذِي حَمَلَكَ وَمُبَارَكَانِ هُمَا الثَّدْيَانِ اللَّذَانِ أَرْضَعَاكَ[2] »

٢٨ ✠ أَمَّا هُوَ فَقَالَ لَهَا « بَلْ مُبَارَكُونَ هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلِمَةَ اللهِ وَيَحْفَظُونَهَا[3] » .

[٤٢]

[٤٣] السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَرْفُضُ أَنْ يُعْطِيَ آيَةً لِذَلِكَ الْجِيلِ الشِّرِّيرِ :

٢٩ ✠ وَإِذِ ازْدَحَمَتْ حَوْلَهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ ، أَخَذَ يَقُولُ « إِنَّ هَذَا الْجِيلَ شِرِّيرٌ يَطْلُبُ آيَةً فَلَا يُعْطَى

٣٠ إِلَّا آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ[4] . ✠ لِأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ آيَةً لِأَهْلِ نِينَوَى[5] ، هَكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ

٣١ لِهَذَا الْجِيلِ . ✠ إِنَّ مَلِكَةَ الْجَنُوبِ سَتَقُومُ فِي يَوْمِ الدَّيْنُونَةِ مَعَ أُنَاسِ هَذَا الْجِيلِ وَتَدِينُهُمْ ، لِأَنَّهَا أَتَتْ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ لِتَسْمَعَ حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ[6] ،

٣٢ وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ سُلَيْمَانَ هُنَا . ✠ وَأَهْلُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي يَوْمِ الدَّيْنُونَةِ مَعَ هَذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ ، لِأَنَّهُمْ تَابُوا عِنْدَمَا أَنْذَرَهُمْ يُونَانُ[7] ، وَهُوَذَا

٣٣ أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ هُنَا . ✠ مَا مِنْ أَحَدٍ يُوقِدُ سِرَاجًا ثُمَّ يَضَعُهُ فِي مَكَانٍ خَفِيٍّ ، أَوْتَحْتَ مِكْيَالٍ ، وَإِنَّمَا

(١) يوحنا ٥ : ١٤ ؛ العبرانيين ٦ : ٤ ؛ ١٠ : ٢٦ ؛ ٢بطرس ٢ : ٢٠
(٢) لوقا ١ : ٢٨ و٤٨
(٣) متى ٧ : ٢١ ؛ لوقا ٨ : ٢١ ؛ يعقوب ١ : ٢٥
(٤) متى ١٢ : ٣٨ و ٣٩
(٥) يونان ١ : ١٧ ؛ ٢ : ١٠
(٦) ١ملوك ١٠ : ١
(٧) يونان ٣ : ٥

عَلَى مَنَارَةٍ حَتَّى يَرَى الدَّاخِلُونَ نُورَهُ[١] . ٣٤ سِرَاجُ جَسَدِكَ هُوَ عَيْنُكَ ، فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ طَاهِرَةً[٢] ، كَانَ جَسَدُكَ كُلُّهُ نَيِّرًا. أَمَّا إِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ شِرِّيرَةً فَإِنَّ جَسَدَكَ كُلَّهُ يَكُونُ مُظْلِماً[٣] . ٣٥ فَاحْذَرْ إِذَنْ أَنْ يَكُونَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظَلَامًا ، ٣٦ لأَنَّهُ إِنْ كَانَ جَسَدُكَ كُلُّهُ نَيِّرًا لَيْسَ فِيهِ جُزْءٌ مُظْلِمٌ ، كَانَ مُنِيرًا كُلُّهُ ، كَمَا لَوْ أَضَاءَ لَكَ السِّرَاجُ بِنُورِهِ السَّاطِعِ » .

٤٤ مَعْنَى الطَّهَارَةِ الْحَقِيقِيَّةِ :

٣٧ وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ طَلَبَ إِلَيْهِ أَحَدُ الْفَرِّيسِيِّينَ أَنْ يَتَنَاوَلَ الطَّعَامَ عِنْدَهُ ، فَدَخَلَ وَجَلَسَ إِلَى الْمَائِدَةِ[٤] . ٣٨ فَلَمَّا رَأَى الْفَرِّيسِيُّ أَنَّهُ لَمْ يَغْتَسِلْ أَوَّلاً قَبْلَ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ تَعَجَّبَ قَائِلاً فِي نَفْسِهِ « مَا بَالُهُ لَمْ يَغْتَسِلْ أَوَّلاً قَبْلَ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ[٥] ؟ » ٣٩ فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ « أَنْتُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ تُطَهِّرُونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ[٦] فِي حِينَ أَنَّ بَاطِنَكُمْ مُمْتَلِئٌ نَهْبًا وَخُبْثًا[٧] . ٤٠ أَيُّهَا الأَغْبِيَاءُ أَلَيْسَ الَّذِي صَنَعَ الْخَارِجَ هُوَ الَّذِي صَنَعَ الدَّاخِلَ أَيْضًا ؟

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُنَدِّدُ بِرِيَاءِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَعُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ :

٤١ فَالأَحْرَى بِكُمْ أَنْ تُعْطُوا مَا عِنْدَكُمْ صَدَقَةً[٨] ، وَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ طَاهِرًا لَكُمْ ٤٢ وَلَكِنِ الْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ لأَنَّكُمْ تُؤَدُّونَ عُشُورَ النَّعْنَعِ وَالسَّذَابِ وَسَائِرِ الْبُقُولِ ، وَتُغْفِلُونَ الْعَدْلَ

(١) متى ٥ : ١٥ ؛ مرقس ٤ : ٢١ ؛ لوقا ٨ : ١٦
(٢) أو نقية أو صافية أو سليمة أو بسيطة . وفي هذه الحالة بمعنى النظرة البسيطة وهي غير الخبيثة وغير النجسة .
(٣) متى ٦ : ٢٢
(٤) حرفياً اتكأ طبقاً لعادة الآكلين في ذلك الزمان
(٥) مرقس ٧ : ٣
(٦) متى ٢٣ : ٢٥
(٧) تيطس ١ : ١٥
(٨) إشعياء ٥٨ : ٧ ؛ دانيال ٤ : ٢٧ ؛ لوقا ١٢ : ٣٣

وَمَحَبَّةَ اللهِ . كَانَ يَجِبُ أَنْ تَعْمَلُوا هَذِهِ وَلَا تَتْرُكُوا

٤٣ تِلْكَ[١] ✥ الْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ لِأَنَّكُمْ تُحِبُّونَ الْمَقَاعِدَ الْأُولَى فِي الْمَجَامِعِ وَالتَّحِيَّاتِ فِي

٤٤ الْأَسْوَاقِ[٢]. ✥ الْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاءُونَ لِأَنَّكُمْ تُشْبِهُونَ الْقُبُورَ الْمُخْتَفِيَةَ الَّتِي يَمْشِي

٤٥ فَوْقَهَا النَّاسُ وَهُمْ لَا يَدْرُونَ[٣] » . ✥ فَأَجَابَ وَاحِدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ قَائِلاً لَهُ « يَا مُعَلِّمُ

٤٦ إِنَّكَ بِقَوْلِكَ هَذَا تَشْتُمُنَا نَحْنُ أَيْضًا » . ✥ فَقَالَ « وَالْوَيْلُ لَكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً يَا عُلَمَاءَ الشَّرِيعَةِ لِأَنَّكُمْ تُحَمِّلُونَ النَّاسَ أَحْمَالاً يَعْسُرُ حَمْلُهَا ، وَأَنْتُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا تَمَسُّونَ هَذِهِ الْأَحْمَالَ بِإِحْدَى أَصَابِعِكُمْ[٤] .

٤٧ ✥ الْوَيْلُ لَكُمْ لِأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الْأَنْبِيَاءِ

٤٨ وَآبَاؤُكُمْ هُمُ الَّذِينَ قَتَلُوهُمْ . ✥ فَأَنْتُمُ الشُّهُودُ عَلَى أَعْمَالِ آبَائِكُمْ وَأَنْتُمْ عَنْهَا رَاضُونَ ،

٤٩ لِأَنَّهُمْ هُمْ قَتَلُوهُمْ ، وَأَنْتُمْ تَبْنُونَ قُبُورَهُمْ ✥ لِذَلِكَ قَالَتْ حِكْمَةُ اللهِ : إِنَّنِي أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلاً ،

٥٠ فَبَعْضَهُمْ تَقْتُلُونَ وَبَعْضَهُمْ تَضْطَهِدُونَ[٦] ، ✥ لِكَيْ يُطْلَبَ مِنْ هَذَا الْجِيلِ دَمُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِي سُفِكَ

٥١ مُنْذُ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ ، ✥ مِنْ دَمِ هَابِيلَ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَاخِيَا الَّذِي قُتِلَ بَيْنَ الْمَذْبَحِ وَالْهَيْكَلِ[٧] .

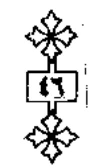
(١) متى ٢٣ : ٢٣
(٢) متى ٢٣ : ٦ ؛ مرقس ١٢ : ٣٨و٣٩
(٣) متى ٢٣ : ٢٧
(٤) متى ٢٣ : ٤
(٥) متى ٢٣ : ٢٩
(٦) متى ٢٣ : ٣٤
(٧) التكوين ٤ : ٨ ؛ ٢.الأيام ٢٤ : ٢٠و٢١

٤٥

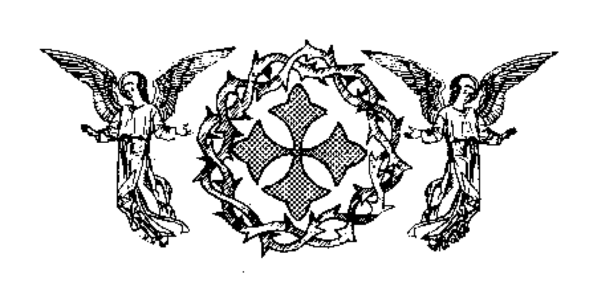
نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يُطْلَبُ مِنْ هَذَا الْجِيلِ .
٥٢ ✠ الْوَيْلُ لَكُمْ يَاعُلَمَاءَ الشَّرِيعَةِ لأَنَّكُمْ أَخَذْتُمْ مِفْتَاحَ الْمَعْرِفَةِ ،فَلَمْ تَدْخُلُوا أَنْتُمْ وَالدَّاخِلُونَ مَنَعْتُمُوهُمْ[١] » .

٥٣ ✠ وَإِذْ قَالَ هَذَا جَعَلَ الْكَتَبَةُ وَالفَرِّيسِيُّونَ يَحْنَقُونَ عَلَيْهِ حَنَقًا شَدِيدًا ، وَيُلْحِفُونَ عَلَيْهِ لِيَتَكَلَّمَ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ، ٥٤ ✠ مُتَرَصِّدِينَ لَهُ عَسَى أَنْ يَتَصَيَّدُوا مِنْ فَمِهِ كَلِمَةً يَشْتَكُونَهُ بِسَبَبِهَا[٢] .

(١) متى ٢٣ : ١٣



(٢) مرقس ١٢ : ١٣



الْفَصْلُ الثَّانِي عَشَرَ

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُحَذِّرُ تَلاَمِيذَهُ مِنْ رِيَاءِ الْفَرِّيسِيِّين :

١ ✠ وَفِي هَذِهِ الأَثْنَاءِ تَزَاحَمَتْ عَشَرَاتُ الأُلُوفِ مِنَ الشَّعْبِ حَتَّى لَقَدْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَدُوسُ بَعْضًا ،

فَجَعَلَ يَسُوعُ يَقُولُ لِتَلَامِيذِهِ[١] « احْذَرُوا قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ
٢ مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ[٢] الَّذِي هُوَ الرِّيَاءُ ✥ لِأَنَّهُ
مَا مِنْ مَكْتُومٍ إِلَّا سَيُكْشَفُ ، وَمَا مِنْ مَخْفِيٍّ إِلَّا سَيُعْلَمُ[٣] .
٣ ✥ فَمَا قُلْتُمُوهُ فِي الظَّلَامِ سَيُسْمَعُ فِي النُّورِ ،
وَمَا هَمَسْتُمْ بِهِ لِلْأُذُنِ فِي الْمَخَادِعِ سَيُنَادَى بِهِ عَلَى
٤ السُّطُوحِ . ✥ بَيْدَ أَنَّنِي أَقُولُ لَكُمْ يَا أَحِبَّائِي
لَا تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ ، ثُمَّ لَا يَسْتَطِيعُونَ
٥ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْئًا[٤] أَكْثَرَ مِنْ هَذَا . ✥ وَإِنَّمَا أُرِيكُمْ
مِمَّنْ تَخَافُونَ . خَافُوا مِنْ ذَلِكَ الَّذِي بَعْدَ أَنْ يَقْتُلَ ،
يَمْلِكُ السُّلْطَانَ أَنْ يُلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ . نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ
٦ مِنْ هَذَا خَافُوا . ✥ أَلَيْسَتْ خَمْسَةُ عَصَافِيرَ
تُبَاعُ بِمِلِّيمَيْنِ[٥] وَمَعَ ذَلِكَ فَوَاحِدٌ مِنْهَا لَيْسَ مَنْسِيًّا أَمَامَ
٧ اللهِ ؟ ✥ بَلْ إِنَّهُ حَتَّى شَعْرُ رُءُوسِكُمْ مَعْدُودٌ كُلُّهُ .
فَلَا تَخَافُوا إِذَنْ فَإِنَّكُمْ أَثْمَنُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ .
٨ ✥ كَمَا أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي أَمَامَ
النَّاسِ ، سَيَعْتَرِفُ بِهِ ابْنُ الْإِنْسَانِ أَمَامَ مَلَائِكَةِ اللهِ[٦] .
٩ ✥ أَمَّا مَنْ يُنْكِرُنِي أَمَامَ النَّاسِ فَسَوْفَ أُنْكِرُهُ
١٠ أَنَا كَذَلِكَ أَمَامَ مَلَائِكَةِ اللهِ . ✥ وَمَنْ قَالَ كَلِمَةً
ضِدَّ ابْنِ الْإِنْسَانِ يُغْفَرُ لَهُ . أَمَّا مَنْ جَدَّفَ عَلَى الرُّوحِ
١١ الْقُدُسِ فَلَنْ يُغْفَرَ لَهُ[٧] . ✥ فَمَتَى سَاقُوكُمْ إِلَى الْمَجَامِعِ

(١) متى ١٦ : ٦ ؛ مرقس ٨ : ١٥
(٢) متى ١٦ : ١٢
(٣) متى ١٠ : ٢٦ ؛ مرقس ٤ : ٢٢ ؛ لوقا ٨ : ١٧
(٤) اشعياء ٥١ : ٧ و ٨ و ١٢ و ١٣ ؛ إرميا ١ : ٨ ؛ متى ١٠ : ٢٨ ؛ يوحنا ١٥ : ١٤ و ١٥
(٥) حرفيا فِلْسين وكان الفِلس أصغر عملة معروفة
(٦) متى ١٠ : ٣٢ ؛ مرقس ٨ : ٣٨ ؛ ٢.تيموثاوس ٢ : ١٢ ؛ ١.يوحنا ٢ : ٢٣
(٧) متى ١٢ : ٣١ و ٣٢ ؛ مرقس ٣ : ٢٨ و ٢٩ ؛ ١.يوحنا ٥ : ١٦

وَالْحُكَّامِ وَذَوِي السُّلْطَانِ فَلَا يُهِمُّكُمْ كَيْفَ أَوْ بِمَاذَا تُجِيبُونَ ، أَوْ مَاذَا تَقُولُونَ[١] ، ١٢ ✠ لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ سَيُلْهِمُكُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا يَنْبَغِي أَنْ تَقُولُوا » .

(١) متى ١٠ : ١٩ ؛ لوقا ٢١ : ١٤
(٢) الخروج ٢ : ١٤ ؛ يوحنا ١٨ : ٣٦

٤٧ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ لا يُمَارِسُ اخْتِصَاصَاتِ السُّلْطَاتِ الأَرْضِيَّةِ :

١٣ ✠ وَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمْعِ « يَا مُعَلِّمُ قُلْ لِأَخِي أَنْ يُقَاسِمَنِي الْمِيرَاثَ » ١٤ ✠ فَقَالَ لَهُ « أَيُّهَا الرَّجُلُ مَنْ أَقَامَنِي قَاضِيًا عَلَيْكُمَا أَوْ مُقَسِّمًا بَيْنَكُمَا[٢] ؟ »

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُحَذِّرُ مِنَ الْجَشَعِ :

١٥ ✠ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ « انْتَبِهُوا وَاحْذَرُوا مِنَ الْجَشَعِ[٣] ، لأَنَّ حَيَاةَ الإِنْسَانِ لَيْسَتْ فِي كَثْرَةِ مَا يَمْلِكُ »[٤] . ١٦ ✠ وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا قَائِلًا « إِنَّ رَجُلًا غَنِيًّا أَخْصَبَتْ أَرْضُهُ ، ١٧ ✠ فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ قَائِلاً : مَاذَا أَفْعَلُ فَإِنَّنِي لَا مَكَانَ عِنْدِي أَجْمَعُ فِيهِ ثِمَارِي ؟ ١٨ ✠ ثُمَّ قَالَ : هَذَا مَا أَفْعَلُ ، أَهْدِمُ مَخَازِنِي وَأَبْنِي أَكْبَرَ مِنْهَا ، وَهُنَاكَ أَجْمَعُ ثِمَارِي وَخَيْرَاتِي ، ١٩ ✠ وَأَقُولُ لِنَفْسِي يَا نَفْسُ إِنَّ لَكِ خَيْرَاتٍ وَفِيرَةً مُدَّخَرَةً لِسِنِينَ كَثِيرَةٍ[٥] ، فَاسْتَرِيحِي وَكُلِي وَاشْرَبِي وَتَنَعَّمِي . ٢٠ ✠ وَلَكِنَّ اللهَ قَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْغَبِيُّ ، فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ تُسْتَرَدُّ نَفْسُكَ مِنْكَ[٦] ، فَلِمَنْ يَكُونُ هَذَا الَّذِي أَعْدَدْتَهُ[٧] ؟ ٢١ ✠ هَكَذَا الَّذِي يَكْنِزُ لِنَفْسِهِ ، وَلَا يَكُونُ غَنِيًّا فِيمَا لِلهِ[٨] » . ٢٢ ✠ ثُمَّ قَالَ لِتَلَامِيذِهِ « لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ لَا يَشْغَلْكُمُ الْهَمُّ لأَجْلِ

(٣) ١ تيموثاوس ٦ : ٧ إلخ
(٤) متى ٤ : ٤
(٥) الجامعة ١١ : ٩ ؛ ١ كورنثوس ١٥ : ٣٢ ؛ يعقوب ٥ : ٥
(٦) أيوب ٢٠ : ٢٢ ؛ ٢٧ : ٨ ؛ المزمور ٥٢ : ٧ ؛ ابن سيراخ ١١ : ١٩ و ٢٠ ؛ يعقوب ٤ : ١٤
(٧) المزمور ٣٩ : ٦ ؛ إرميا ١٧ : ١١
(٨) متى ٦ : ٢٠ ؛ لوقا ١٢ : ٣٣ ؛ ١ تيموثاوس ٦ : ١٧–١٩ ؛ يعقوب ٢ : ٥

حَيَاتِكُمْ بِشَأْنِ مَا عَسَاكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا ، أَوْ لِأَجْلِ
٢٣ جَسَدِكُمْ بِشَأْنِ مَا عَسَاكُمْ أَنْ تَلْبَسُوا[1] . ✠ فَإِنَّ
الْحَيَاةَ أَهَمُّ مِنَ الطَّعَامِ ، وَالْجَسَدَ أَهَمُّ مِنَ اللِّبَاسِ .
٢٤ ✠ تَأَمَّلُوا الْغِرْبَانَ ، فَإِنَّهَا لَا تَزْرَعُ وَلَا تَحْصُدُ
وَلَيْسَ لَهَا مَخَادِعُ وَلَا مَخَازِنُ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ اللهَ
يَقُوتُهَا[2] . فَكَمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلُ مِنَ الطُّيُورِ ؟
٢٥ ✠ وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا أَقْلَقَهُ الْهَمُّ يَسْتَطِيعُ أَن
٢٦ يُضِيفَ إِلَى قَامَتِهِ ذِرَاعًا وَاحِدَةً[3] ؟ ✠ فَإِنْ كُنْتُمْ
لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَفْعَلُوا هَذَا الَّذِي هُوَ أَقَلُّ الْأُمُورِ
٢٧ فَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِمَا عَدَاهُ ؟ ✠ اُنْظُرُوا إِلَى
الزَّنَابِقِ كَيْفَ تَنْمُو . لَا تَكِدُّ وَلَا تَغْزِلُ . وَمَعَ ذَلِكَ
أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ سُلَيْمَانَ نَفْسَهُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ لَمْ
٢٨ يَلْبَسْ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا . ✠ فَإِنْ كَانَ الْعُشْبُ
الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ فِي الْحَقْلِ وَفِي الْغَدِ يُطْرَحُ فِي
التَّنُّورِ يُلْبِسُهُ اللهُ هَكَذَا ، فَكَمْ بِالْأَحْرَى يُلْبِسُكُمْ
٢٩ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الْإِيمَانِ ؟ ✠ فَلَا تَطْلُبُوا أَنْتُمْ
٣٠ مَا تَأْكُلُونَ أَوْ مَا تَشْرَبُونَ وَلَا تَقْلَقُوا . ✠ فَإِنَّ
هَذَا كُلَّهُ يَطْلُبُهُ الْوَثَنِيُّونَ فِي الْعَالَمِ ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَبُوكُمْ
٣١ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَى هَذَا . ✠ وَلَكِنْ بِالْأَحْرَى
اطْلُبُوا مَلَكُوتَ اللهِ فَيُعْطِي لَكُمْ فَوْقَ هَذَا ذَلِكَ كُلَّهُ[4] .

(١) متى ٦ : ٢٥

(٢) أيوب ٣٨ : ٤١؛ المزمور ١٤٧ : ٩

(٣) القامة هي القد وقد تفيد أيضاً الحياة كلها ، والمعنى في هذه الحالة : لا يمكن للإنسان أن يزيد على حياته فترة أخرى منها

(٤) متى ٦ : ٣٣

٤٨

٣٢ ✠ لَا تَخَفْ أَيُّهَا الْقَطِيعُ الصَّغِيرُ، فَإِنَّهُ قَدْ حَسُنَ لَدَى أَبِيكُمْ أَنْ يُعْطِيَكُمُ الْمَلَكُوتَ[1] ٣٣ ✠ بِيعُوا ما تَمْلِكُون وَتَصَدَّقُوا[2]. أَعِدُّوا لِأَنْفُسِكُمْ أَكْيَاساً لَا تَبْلَى وَكَنْزاً فِي السَّمَاءِ لَا يَنْفَدُ، حَيْثُ لَا يَقْرُبُهُ سَارِقٌ وَلَا يُفْسِدُهُ سُوسٌ[3]، ٣٤ ✠ لِأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكُمْ، هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكُمْ أَيْضاً. ٣٥ ✠ لِتَكُنْ أَحْقَاؤُكُمْ مَشْدُودَةً وَمَصَابِيحُكُمْ مُوقَدَةً[4]. ٣٦ ✠ وَكُونُوا كَأُنَاسٍ يَتَرَقَّبُونَ عَوْدَةَ سَيِّدِهِمْ مِنَ الْعُرْسِ. حَتَّى إِذَا جَاءَ وَقَرَعَ يَفْتَحُونَ لَهُ عَلَى الْفَوْرِ. ٣٧ ✠ سُعَدَاءُ أُولَئِكَ الْخُدَّامُ الَّذِينَ مَتَى جَاءَ سَيِّدُهُمْ يَجِدُهُمْ يَقِظِينَ[5]. الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يَتَمَنْطَقُ وَيُجْلِسُهُمْ إِلَى الْمَائِدَةِ ثُمَّ يَقِفُ وَيَخْدُمُهُمْ. ٣٨ ✠ وَإِذَا جَاءَ فِي الْهَزِيعِ الثَّانِي أَوْ جَاءَ فِي الْهَزِيعِ الثَّالِثِ[6] وَوَجَدَهُمْ يَفْعَلُونَ هَكَذَا، فَطُوبَى لِأُولَئِكَ الْخُدَّامِ ٣٩ ✠ وَلَكِنِ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ الْبَيْتِ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ يَأْتِي اللِّصُّ، لَظَلَّ سَاهِرًا، فَلَمْ يَسْمَحْ لِأَحَدٍ بِأَنْ يَقْتَحِمَ بَيْتَهُ[7]. ٤٠ ✠ فَكُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مُسْتَعِدِّينَ لِأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لَا تَتَوَقَّعُونَها يَأْتِي ابْنُ الْإِنْسَانِ[8]».

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُوصِي بِالاسْتِعْدَادِ الدائم لمجيئه الثاني:

مُكافَأَةُ الْوَكيلِ الأمينِ ومُجَازَاةُ الْوَكيلِ الشِّرِّيرِ:

٤١ ✠ فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ «يَا رَبُّ أَتَقُولُ لَنَا نَحْنُ هَذَا الْمَثَلَ أَمْ لِلْجَمِيعِ ؟». ٤٢ ✠ فَقَالَ الرَّبُّ

(١) متى ١١ : ٢٥ و ٢٦

(٢) متى ١٩ : ٢١ ؛ الأعمال ٢ : ٤٥ ؛ ٤ : ٣٤

(٣) متى ٦ : ٢٠ ؛ لوقا ١٦ : ٩ ؛ ١.تيموثاوس ٦ : ١٩

(٤) متى ٢٥ : ١ إلخ ؛ أفسوس ٦ : ١٤ ؛ ١.بطرس ١ : ١٣

(٥) متى ٢٤ : ٤٦

(٦) الهزيع فترة من الليل قدرها ثلاث ساعات . فالهزيع الثاني هو الفترة ما بين الساعة التاسعة مساء ومنتصف الليل . والهزيع الثالث هو فترة الساعات الثلاث التالية لمنتصف الليل

(٧) متى ٢٤ : ٤٣ ؛ ١. تسالونيكي ٥ : ٢ ؛ ٢.بطرس ٣ : ١٠

(٨) متى ٢٤ : ٤٤ ؛ ٢٥ : ١٣ ؛ مرقس ١٣ : ٣٣ ؛ لوقا ٢١ : ٣٤ و ٣٦ ؛ ١.تسالونيكي ٥ : ٦ ؛ ٢.بطرس ٣ : ١٢

« مَنْ تُرَاهُ ذَلِكَ الْوَكِيلُ الأَمِينُ الْحَكِيمُ الَّذِى يُقِيمُهُ سَيِّدُهُ عَلَى عَبِيدِهِ لِيُقَدِّمَ لَهُمْ مَا يَخُصُّهُمْ مِنَ الطَّعَامِ

٤٢ فِى حِينِهِ[1]؟ ✤ مَغْبُوطٌ ذَلِكَ الْعَبْدُ الَّذِى مَتَى

٤٤ جَاءَ سَيِّدُهُ وَجَدَهُ يَفْعَلُ هَكَذَا . ✤ الْحَقَّ أَقُولُ

٤٥ لَكُمْ إِنَّهُ سَوْفَ يُقِيمُهُ عَلَى كُلِّ أَمْوَالِهِ[2] . ✤ أَمَّا إِنْ قَالَ ذَلِكَ الْعَبْدُ فِى قَلْبِهِ إِنَّ سَيِّدِى سَيُبْطِئُ فِى مَجِيئِهِ وَرَاحَ يَضْرِبُ الْعَبِيدَ وَالإِمَاءَ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَسْكَرُ[3] ،

٤٦ ✤ فَإِنَّ سَيِّدَ ذَلِكَ الْعَبْدِ يَأْتِى فِى يَوْمٍ لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُهُ وَفِى سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهَا ، فَيَشْطُرُهُ

٤٧ نِصْفَيْنِ[4] ، وَيَجْعَلُ نَصِيبَهُ مَعَ الجاحدين . ✤ إِنَّ ذَلِكَ الْعَبْدَ الَّذِى عَلِمَ مَشِيئَةَ سَيِّدِهِ فَمَا اسْتَعَدَّ وَمَا

٤٨ عَمِلَ بِمَشِيئَتِهِ سَيُضْرَبُ كَثِيرًا[5] . ✤ أَمَّا ذَلِكَ الَّذِى لَمْ يَعْلَمْ وَارْتَكَبَ مَا يَسْتَوْجِبُ الضَّرْبَ فَسَيُضْرَبُ قَلِيلاً[6] . فَكُلُّ مَنْ أُعْطِىَ كَثِيرًا يُطْلَبُ مِنْهُ الْكَثِيرُ ، وَمَنْ أُودِعَ كَثِيرًا يُطَالَبُ بِمَا هُوَ أَكْثَرُ .

الدَّعوَةُ المَسِيحِيَّةُ سَتُؤَدِّى إلى انقِسَامَاتٍ وَمُنَازَعَاتٍ :

٤٩ ✤ « لَقَدْ جِئْتُ لأُلْقِىَ عَلَى الأَرْضِ نَارًا[7] ، فَمَاذَا

٥٠ أُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ قَدِ اضْطَرَمَتْ ؟ ✤ وَلِى مَعْمُودِيَّةٌ لأَصْطَبِغَ بِهَا ، وَمَا أَشَدَّ مَا أُعَانِى حَتَّى تَتِمَّ[8] .

٥١ ✤ أَتَظُنُّونَ أَنِّى جِئْتُ لأَجْلِبَ عَلَى الأَرْضِ سَلاَمًا[9] ؟

٥٢ أَقُولُ لَكُمْ كَلاَّ ، بَلِ انْقِسَامًا[10] . ✤ فَإِنَّهُ مُنْذُ

(١) متى ٢٤ : ٤٥ ؛ ٢٥ : ٢١

(٢) متى ٢٤ : ٤٧

(٣) متى ٢٤ : ٤٨ إلخ

(٤) متى ٢٤ : ٥١

(٥) العدد ١٥ : ٣٠ ؛ التثنية ٢٥ : ٢ ؛ يوحنا ٩ : ٤١ ؛ ١٥ : ٢٢ ؛ الأعمال ١٧ : ٣٠ ؛ يعقوب ٤ : ١٧

(٦) اللاويين ٥ : ١٧ ؛ ١ تيموثاوس ١ : ١٣

(٧) لوقا ١٢ : ٥١

(٨) متى ٢٠ : ٢٢ ؛ مرقس ١٠ : ٣٨

(٩) متى ١٠ : ٣٤ ؛ لوقا ١٢ : ٤٩

(١٠) ميخا ٧ : ٦ ؛ يوحنا ٧ : ٤٣ ؛ ٩ : ١٦ ؛ ١٠ : ١٩

الآنَ سَيَكُونُ خَمْسَةٌ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مُنْقَسِمِينَ ، ثَلاثَةٌ ضِدُّ اثْنَيْنِ ، وَاثْنَانِ ضِدُّ ثَلاثَةٍ[١] . ✠ ٥٣ فَيُعَادِي الأَبُ ابْنَهُ ، وَالاِبْنُ أَبَاهُ ، وَتُعَادِي الأُمُّ ابْنَتَهَا ، وَالاِبْنَةُ أُمَّهَا ، وَالْحَمَاةُ زَوْجَةَ ابْنِهَا ، وَزَوْجَةُ الاِبْنِ حَمَاتَهَا » .

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُوَبِّخُ الْيَهُودَ لأَنَّهُمْ لَمْ يُدْرِكُوا مِنْ نُبُوءَاتِ أَنْبِيَائِهِمْ حَقِيقَةَ شَخْصِيَّتِهِ :

✠ ٥٤ وَقَالَ أَيْضًا لِلْجُمُوعِ « مَتَى رَأَيْتُمْ سَحَابَةً تَطْلُعُ مِنَ الْمَغْرِبِ قُلْتُمْ عَلَى الْفَوْرِ إِنَّ الْمَطَرَ سَيَأْتِي ، فَيَكُونُ كَذَلِكَ[٢] . ✠ ٥٥ وَمَتَى هَبَّتْ رِيحُ الْجَنُوبِ قُلْتُمْ سَيَكُونُ حَرٌّ ، فَيَكُونُ . ✠ ٥٦ يَا مُرَاءُونَ تَعْرِفُونَ أَنْ تُمَيِّزُوا وَجْهَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَأَمَّا هَذَا الزَّمَانُ فَكَيْفَ لا تَعْرِفُونَ أَنْ تُمَيِّزُوهُ ؟ ✠ ٥٧ وَلِمَاذَا لا تَحْكُمُونَ بِالْحَقِّ مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِكُمْ ؟»

✠ ٥٨ « إِذَا ذَهَبْتَ مَعَ خَصْمِكَ إِلَى الْحَاكِمِ فَاجْتَهِدْ وَأَنْتَ فِي الطَّرِيقِ أَنْ تُرْضِيَهُ كَيْ تَتَخَلَّصَ مِنْهُ[٣] ، لِئَلَّا يَسُوقَكَ إِلَى الْقَاضِي ، فَيُسَلِّمَكَ الْقَاضِي إِلَى الشُّرْطِيِّ ، وَيُلْقِي بِكَ الشُّرْطِيُّ فِي السِّجْنِ . ✠ ٥٩ أَقُولُ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَخْرُجَ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى تُوفِيَ آخِرَ مِلِّيمٍ »[٤] .

(١) متى ١٠ : ٣٥

(٢) متى ١٦ : ٢

(٣) المزمور ٣٢ : ٦ ؛ الأمثال ٢٥ : ٨ ؛ أشعياء ٥٥ : ٦ ؛ متى ٥ : ٢٥

(٤) مرقس ١٢ : ٤٢ ؛ لوقا ٢١ : ٢





الْفَصْلُ الثَّالِثَ عَشَرَ

مَثَلُ شَجَرَةِ التِّينِ غَيْرِ الْمُثْمِرَةِ : [٤٩]

١ وَجَاءَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَوْمٌ أَنْبَأُوهُ بِأَمْرِ الْجَلِيلِيِّينَ الَّذِينَ خَلَطَ بِيلَاطُسُ دِمَاءَهُمْ بِذَبَائِحِهِمْ.

٢ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ : « أَتَحْسَبُونَ أَنَّ أُولَئِكَ الْجَلِيلِيِّينَ كَانُوا أَكْثَرَ إِثْمًا مِنْ سَائِرِ الْجَلِيلِيِّينَ إِذْ أَصَابَهُمْ هَذَا الْبَلَاءُ[١] ؟

٣ إِنِّي أَقُولُ لَكُمْ كَلَّا فَإِنَّكُمْ مَا لَمْ تَتُوبُوا فَسَتَهْلِكُونَ بِالْمِثْلِ جَمِيعًا.

٤ أَوَ تَحْسَبُونَ أَنَّ أُولَئِكَ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ الَّذِينَ سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْبُرْجُ فِي سِلْوَامَ[٢] فَقَتَلَهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ شَرًّا مِنْ كُلِّ السَّاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ ؟

٥ إِنِّي أَقُولُ

(١) التكوين ٤٢ : ٢١ ؛ الأعمال ٢٨ : ٤

(٢) نحميا ٣ : ١٥ ؛ يوحنا ٩ : ٧

لَكُمْ كَلَّا فَإِنَّكُمْ مَا لَمْ تَتُوبُوا تَهْلِكُوا بِالْمِثْلِ جَمِيعًا ».

٦ ✠ ثُمَّ ضَرَبَ هَذَا الْمَثَلَ قَائِلًا « كَانَتْ لِرَجُلٍ شَجَرَةُ تِينٍ مَغْرُوسَةٌ فِي كَرْمِهِ[1] ، وَقَدْ جَاءَ يَبْحَثُ فِيهَا عَنْ ثَمَرٍ فَلَمْ يَجِدْ ، ٧ ✠ فَقَالَ لِلْبُسْتَانِيِّ[2] هَا أَنَاذَا قَدْ جِئْتُ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ مُتَوَالِيَةٍ بَاحِثاً عَنْ ثَمَرٍ فِي شَجَرَةِ التِّينِ هَذِهِ فَلَمْ أَجِدْ ، فَاقْطَعْهَا . لِمَاذَا تُعَطِّلُ الْأَرْضَ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ؟ ٨ ✠ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُ : يَاسَيِّدِي دَعْهَا هَذِهِ السَّنَةَ أَيْضًا حَتَّى أَحْفِرَ مِنْ حَوْلِهَا وَأَضَعَ سِمَادًا ، ٩ ✠ لَعَلَّهَا تُثْمِرُ فِي السَّنَةِ الْقَادِمَةِ وَإِلَّا فَاقْطَعْهَا ».

✠ ٥٠ ✠ مُعْجِزَةُ شِفَاءِ الْمَرْأَةِ الْمُنْحَنِيَةِ

١٠ ✠ وَكَانَ يُعَلِّمُ فِي أَحَدِ الْمَجَامِعِ يَوْمَ السَّبْتِ ، ١١ ✠ وَإِذَا امْرَأَةٌ كَانَ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا رُوحٌ أَصَابَهَا بِمَرَضٍ[3] مُنْذُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَامًا ، فَكَانَتْ مُنْحَنِيَةً وَلَمْ تَكُنْ لِتَسْتَطِيعَ أَنْ تَنْتَصِبَ الْبَتَّةَ ١٢ ✠ فَلَمَّا رَآهَا يَسُوعُ دَعَاهَا إِلَيْهِ وَقَالَ لَهَا « أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ إِنَّكِ مَحْلُولَةُ الْوَثَاقِ مِنْ مَرَضِكِ » ١٣ ✠ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهَا[4] ، فَفِي الْحَالِ انْتَصَبَتْ قَائِمَةً وَمَجَّدَتِ اللهَ .

١٤ ✠ فَأَجَابَ رَئِيسُ الْمَجْمَعِ وَهُوَ مُغْتَاظٌ لِأَنَّ يَسُوعَ شَفَاهَا فِي السَّبْتِ . وَقَالَ لِلْجَمْعِ « إِنَّ لَكُمْ سِتَّةَ أَيَّامٍ يَحِلُّ فِيهَا الْعَمَلُ[5] ، فَفِيهَا تَعَالَوْا وَاطْلُبُوا الشِّفَاءَ وَلَيْسَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ »[6] . ١٥ ✠ فَأَجَابَهُ

(١) إشعياء ٥ : ٢ ؛ متى ٢١ : ١٩

(٢) التكوين ٦ : ٣ ؛ يوحنا ١٤ : ١٦ ؛ [رومية] ٨ : ٢٦ و ٢٧

(٣) لوقا ١٣ : ١٦

(٤) مرقس ١٦ : ١٨ ؛ الأعمال ٩ : ١٧

(٥) الخروج ٢٠ : ٩

(٦) متى ١٢ : ١٠ ؛ مرقس ٣ : ٢ ؛ لوقا ٦ : ٧ ؛ ١٤ : ٣

الرَّبُّ وَقَالَ « أَيُّهَا الْمُرَاءُونَ أَلَا يَحُلُّ كُلُّ مِنْكُمْ فِي يَوْمِ السَّبْتِ ثَوْرَهُ أَوْ حِمَارَهُ مِنَ الْمِذْوَدِ وَيَمْضِي بِهِ فَيَسْقِيهِ[١] ؟ ١٦ ✥ وَهَذِهِ ابْنَةُ إِبْرَاهِيمَ[٢] وَقَدْ رَبَطَهَا الشَّيْطَانُ ثَمَانِي عَشَرَةَ سَنَةً ، أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُحَلَّ مِنْ هَذَا الرِّبَاطِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ؟ ». ١٧ ✥ فَلَمَّا قَالَ هَذَا خَزِيَ كُلُّ الَّذِينَ كَانُوا يُقَاوِمُونَهُ . وَأَمَّا الشَّعْبُ فَكَانَ يَفْرَحُ كُلُّهُ بِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ الَّتِي كَانَتْ تَجْرِي عَلَى يَدَيْهِ .

(١) لوقا ١٤ : ٥
(٢) لوقا ١٩ : ٩

٥١ مَثَلُ حَبَّةِ الْخَرْدَلِ :

١٨ ✥ ثُمَّ قَالَ « مَاذَا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ ، ١٩ وَبِمَاذَا أُمَثِّلُهُ[٣] ؟ ✥ إِنَّهُ يُشْبِهُ حَبَّةَ خَرْدَلٍ أَخَذَهَا رَجُلٌ وَغَرَسَهَا فِي بُسْتَانِهِ ، فَنَمَتْ وَصَارَتْ شَجَرَةً عَظِيمَةً ، وَأَوَتْ طُيُورُ السَّمَاءِ إِلَى أَغْصَانِهَا » .

(٣) متى ١٣ : ٣١ ؛ مرقس ٤ : ٣٠

مَثَلُ الْخَمِيرَةِ :

٢٠ ✥ وَقَالَ أَيْضًا « بِمَاذَا أُشَبِّهُ مَلَكُوتَ اللهِ ؟ ٢١ ✥ إِنَّهُ يُشْبِهُ خَمِيرَةً أَخَذَتْهَا امْرَأَةٌ وَخَبَّأَتْهَا فِي ثَلَاثَةِ أَكْيَالٍ مِنَ الدَّقِيقِ حَتَّى اخْتَمَرَ كُلُّهُ[٤] » .

(٤) متى ١٣ : ٣٣

٥٢ مَنْ هُمُ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ ؟ :

٢٢ ✥ وَكَانَ يَمُرُّ بِالْمُدُنِ وَالْقُرَى يُعَلِّمُ ، وَهُوَ فِي ٢٣ طَرِيقِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ . ✥ فَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ « يَا رَبُّ أَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ ؟[٥] » فَقَالَ لَهُمْ ٢٤ ✥ « اجْتَهِدُوا أَنْ تَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ[٦] ، فَإِنَّنِي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَلْتَمِسُونَ الدُّخُولَ ٢٥ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ[٧] ، ✥ حِينَ يَكُونُ رَبُّ الْبَيْتِ قَدْ

(٥) متى ٩ : ٣٥ ؛ مرقس ٦ : ٦
(٦) متى ٧ : ١٣
(٧) يوحنا ٧ : ٣٤ ؛ ٨ : ٢١ ؛ ١٣ : ٣٣ ؛ [رومية ٩ : ٣١]

قَامَ[1] وَأَغْلَقَ الْبَابَ[2] وَأَخَذْتُمْ وَأَنْتُمْ وَاقِفُونَ خَارِجًا تَقْرَعُونَ الْبَابَ قَائِلِينَ : رَبَّنَا رَبَّنَا[3] افْتَحْ لَنَا . فَيُجِيبُكُمْ قَائِلاً : لَا أَعْرِفُكُمْ . مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ[4] ؟ . ٢٦ ✠ فَتَأْخُذُونَ عِنْدَئِذٍ تَقُولُونَ : إِنَّنَا أَكَلْنَا وَشَرِبْنَا أَمَامَكَ وَقَدْ عَلَّمْتَ فِي شَوَارِعِنَا . ٢٧ ✠ فَيُجِيبُكُمْ : إِنِّي أَقُولُ لَكُمْ ، لَا أَعْرِفُكُمْ . مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ[5] ؟ اِذْهَبُوا عَنِّي جَمِيعًا يَا فَاعِلِي الإِثْمِ[6] . ٢٨ ✠ هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَالصَّرِيرُ عَلَى الأَسْنَانِ[7] . إِذْ تَرَوْنَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلَّ الأَنْبِيَاءِ فِي مَلَكُوتِ اللهِ[8] وَأَنْتُمْ مَطْرُوحُونَ خَارِجًا . ٢٩ ✠ وَسَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ، وَمِنَ الشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ وَيَجْلِسُونَ إِلَى مَوَائِدَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ . ٣٠ ✠ فَهَاهُمْ أُولَاءِ آخِرُونَ سَيَكُونُونَ أَوَّلِينَ ، وَأَوَّلُونَ سَيَكُونُونَ آخِرِينَ »[9] .

✠ ٥٣ ✠ الْمَلِكُ هِيرُودُس يُهَدِّدُ بِقَتْلِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ :

٣١ ✠ وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ جَاءَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْفَرِّيسِيِّينَ وَقَالُوا لَهُ « اخْرُجْ وَامْضِ مِنْ هُنَا فَإِنَّ هِيرُودُس يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَكَ » ٣٢ ✠ فَقَالَ لَهُمْ « اذْهَبُوا وَقُولُوا لِهَذَا الثَّعْلَبِ : هَا أَنَاذَا أَطْرُدُ الشَّيَاطِينَ وَأُنْجِزُ أَعْمَالَ الشِّفَاءِ الْيَوْمَ وَغَدًا وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ سَأُكَمِّلُ[10] . ٣٣ ✠ غَيْرَ أَنَّنِي يَنْبَغِي لِي أَنْ أُوَاصِلَ مَسِيرَتِي الْيَوْمَ وَغَدًا وَالْيَوْمَ الَّذِي يَلِيهِ ثُمَّ أَمْضِي ، لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ

(١) المزمور ٣٢ : ٦ ؛ إشعياء ٢٥ : ٦
(٢) متى ٢٥ : ١٠
(٣) لوقا ٦ : ٤٦
(٤) متى ٧ : ٢٣ ؛ ٢٥ : ١٢
(٥) متى ٧ : ٢٣ ؛ ٢٥ : ٤١ ؛ لوقا ١٣ : ٢٥
(٦) المزمور ٦ : ٨ ؛ متى ٢٥ : ٤١
(٧) متى ٨ : ١٢ ؛ ١٣ : ٤٢ ؛ ٢٤ : ٥١
(٨) متى ٨ : ١١
(٩) متى ١٩ : ٣٠ ؛ ٢٠ : ١٦ ؛ مرقس ١٠ : ٣١
(١٠) فيلبي ٣ : ١٢ ؛ العبرانيين ٢ : ١٠

٣٤ أَنْ يَهْلِكَ نَبِيٌّ خَارِجَ أُورُشَلِيمَ. ✠ يَا أُورُشَلِيمُ يَاأُورُشَلِيمُ يَاقَاتِلَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا ، كَمْ مِنْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ بَنِيكِ كَمَا تَجْمَع الدَّجَاجَةُ

٣٥ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا فَلَمْ تُرِيدُوا[١] . ✠ هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا[٢]. الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْنِي مُنْذُ الْآنَ حَتَّى الْوَقْتِ الَّذِي تَقُولُونَ فِيهِ : مُبَارَكٌ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ »[٣] .

(١) متى ٢٣: ٣٧

(٢) اللاويين ٢٦: ٣١ و ٣٢ ، المزمور ٦٩ : ٢٥ ؛ إشعياء١: ٧ ؛ دانيال ٩: ٢٧ ؛ ميخا ٣ : ١٢

(٣) المزمور ١١٨: ٢٦؛ متى ٢١: ٩ ؛ مرقس ١١ : ١٠ ؛ لوقا ١٩ : ٣٨ ؛ يوحنا ١٢ : ١٣



الْفَصْلُ الرَّابِع عَشَرَ

مُعْجِزَة شِفَاءِ الرَّجُلِ الْمُصَابِ بِدَاءِالاستِسقَاء:

١ ✠ وَدَخَلَ بَيْتَ أَحَدِ رُؤَسَاءِ الْفَرِّيسِيِّينَ فِي يَوْمِ

٢ السَّبْتِ لِتَنَاوُلِ الطَّعَامِ وَكَانُوا يُرَاقِبُونَهُ. ✠ فَإِذَا

٣ أَمَامَهُ رَجُلٌ مُصَابٌ بِدَاءِ الاسْتِسْقَاءِ . ✤ فَخَاطَبَ يَسُوعُ عُلَمَاءَ الشَّرِيعَةِ وَالفَرِّيسِيِّينَ قَائِلًا « أَيَحِلُّ الإِبْرَاءُ فِي يَوْمِ السَّبْتِ[١] أَمْ لَا يَحِلُّ؟ » . ✤ فَصَمَتُوا ، ٤ فَأَمْسَكَهُ وَأَبْرَأَهُ وَصَرَفَهُ . ✤ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ ٥ « مَنْ مِنْكُمْ يَسْقُطُ حِمَارُهُ أَوْ ثَوْرُهُ فِي بِئْرٍ فَلَا يُسَارِعُ إِلَى انْتِشَالِهِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ[٢] ؟ » ✤ فَلَمْ ٦ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُجِيبُوهُ عَنْ هَذَا .

الْمُتَوَاضِعُ يَجِدُ كَرَامَةً : [٥٤]

٧ ✤ وَضَرَبَ مَثَلًا لِلْمَدْعُوِّينَ ، إِذْ لَاحَظَ كَيْفَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَخْتَارُونَ الْمَقَاعِدَ الأُولَى[٣] ، قَائِلًا لَهُمْ ٨ ✤ « إِذَا دَعَاكَ أَحَدٌ إِلَى وَلِيمَةِ عُرْسٍ فَلَا تَجْلِسْ فِي الْمَقْعَدِ الأَوَّلِ لِئَلَّا يَجِيءَ مِنَ الْمَدْعُوِّينَ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ مِنْكَ مَنْزِلَةً ، ✤ فَيَأْتِيَ الَّذِي دَعَاكَ وَإِيَّاهُ ٩ وَيَقُولَ لَكَ أَعْطِ الْمَكَانَ لِهَذَا . فَتَقُومُ عِنْدَئِذٍ وَأَنْتَ خَجِلٌ وَتَأْخُذُ الْمَقْعَدَ الأَخِيرَ ، ✤ وَإِنَّمَا إِذَا ١٠ دُعِيتَ فَامْضِ وَاجْلِسْ فِي الْمَقْعَدِ الأَخِيرِ[٤] ، حَتَّى إِذَا جَاءَ الَّذِي دَعَاكَ يَقُولُ لَكَ يَاصَدِيقِي قُمِ اجْلِسْ فِي الْمَكَانِ الأَعْلَى . فَعِنْدَئِذٍ تَنَالُ كَرَامَةً فِي أَعْيُنِ الْجَالِسِينَ مَعَكَ . ✤ لأَنَّ كُلَّ مَنْ رَفَعَ نَفْسَهُ ١١ اتَّضَعَ ، وَمَنْ تَوَاضَعَ ارْتَفَعَ »[٥] .

الإِحْسَانُ إِلَى الفقراءِ والضُّعفَاءِ :

١٢ ✤ ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي دعَاهُ « إِذَا أَوْلَمْتَ وَلِيمَةَ غَدَاءٍ

(١) متى ١٢ : ١٠

(٢) الخروج ٢٣ : ٥ ؛ التثنية ٢٢ : ٤ ؛ لوقا ١٣ : ٥

(٣) متى ٢٣ : ٦

(٤) الأمثال ٢٥ : ٦ و ٧

(٥) أيوب ٢٢ : ٢٩ ؛ المزمور ١٨ : ٢٧ ؛ الأمثال ٢٩ : ٢٣ ؛ إشعياء ١٤ : ١٣ – ١٥ ؛ متى ٢٣ : ١٢ ؛ لوقا ١٨ : ١٤ ؛ فيلبي ٢ : ٥ – ١١ ؛ يعقوب ٤ : ٦ ؛ ١. بطرس ٥ : ٥

أَوْعَشَاءٍ فَلاَ تَدْعُ أَصْدِقَاءَكَ وَلَا إِخْوَانَكَ ، وَلَا أَقْرِبَاءَكَ ، وَلَا جِيرَانَكَ الْأَثْرِيَاءَ لِئَلَّا يَدْعوكَ هُمْ أَيْضًا فَتكُونَ قَدْ نِلْتَ مِنْهُمُ الْمُكَافَأَةَ . ١٣ ✠ وَإِنَّمَا إِذَا أَوْلَمْتَ وَلِيمَةً فَادْعُ الْفُقَرَاءَ وَالضُّعَفَاءَ وَالْمُقْعَدِينَ وَالْعُمْيانَ[1] ، ١٤ ✠ فَتكُونَ مَغْبُوطًا ، لِإِنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ مَايُكَافِئُونَكَ بِهِ ، وَمِنْ ثَمَّ تَنَالُ مُكَافَأَتَكَ عِنْدَ قِيَامَةِ الْأَبْرَارِ »[2] .

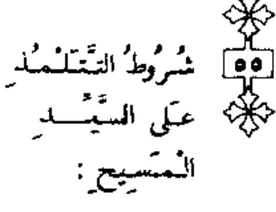
مَثَلُ المَأْدُبَة :

١٥ ✠ فَلَمَّاسَمِعَ ذَلِكَ أَحَدُ الْجَالِسِينَ مَعَهُ إِلَى الْمَائِدَةِ ، قَالَ لَهُ « طُوبَى لِمَنْ يَأْكُلُ خُبْزًا فِي مَلَكُوتِ اللهِ »[3] . ١٦ ✠ فَقَالَ لَهُ « إِنَّ رَجُلًا أَقَامَ مَأْدُبَةً عَظِيمَةً ١٧ وَدعَا كَثِيرِينَ[4] ✠ وَأَرْسَلَ عَبْدَهُ فِي وَقْتِ الْعَشَاءِ لِيَقُولَ لِلْمَدْعُوِّينَ : هَلُمُّوا فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُهَيَّأٌ[5] . ١٨ ✠ فَطَفِقُوا كُلُّهُمْ وَاحِدًا فَوَاحِدًا يَعْتَذِرُونَ . فَقَالَ لَهُ أَوَّلُهُمْ : إِنَّنِي اشْتَرَيْتُ حَقْلاً ، وأَنَا مُضْطَرٌّ لأَنْ ١٩ أَذْهَبَ وَأُعَايِنَهُ فَأَرْجُوكَ إِعْفَائِي . ✠ وَقَالَ آخَرُ : إِنَّنِي اشْتَرَيْتُ خَمْسَةَ أَزْوَاجٍ[6] مِنَ الْبَقَرِ وَإِنَّنِي ذَاهِبٌ ٢٠ لأَخْتَبِرَهَا ، فَأَرْجُوكَ إِعْفَائِي . ✠ وَقَالَ آخَرُ : إِنَّنِي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً فَلاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَجِيءَ[7] . ٢١ ✠ وَمِنْ ثَمَّ عَادَ الْعَبْدُ وَأَخْبَرَ سَيِّدَهُ بِهَذَا ، فَغَضِبَ عِنْدَئِذٍ رَبُّ الْبَيْتِ وَقَالَ لِعَبْدِهِ : اخْرُجْ سَرِيعًا إِلَى شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ وَأَزِقَّتِهَا وَائْتِ إِلَى هُنَا بِالْفُقَرَاءِ

(١) نحميا ٨ : ١٠ و ١٢
(٢) طوبيا ٤ : ٧ و ١٠ و ١٧
(٣) الرؤيا ١٩ : ٩
(٤) متى ٢٢ : ٢ إلخ
(٥) الأمثال ٩ : ٢ و ٥
(٦) حرفياً « خمسة فدادين بقر » وفدان البقر زوج من الثيران يجمع بينهما مقرن واحد لجر المحراث
(٧) التثنية ٢٤ : ٥

وَالضُّعَفَاءِ وَالْعُمْيِ وَالْعُرجِ . ✠ فَقَالَ الْعَبْدُ : يَا سَيِّدُ لَقَدْ تَمَّ مَا أَمَرْتَ بِهِ ، وَمَعَ هَذَا لَا يَزَالُ ثَمَّ مَكَانٌ . ✠ فَقَالَ السَّيِّدُ لِلْخَادِمِ : اخْرُجْ إِلَى الطُّرُقِ ، وَالسِّيَاجَاتِ وَشَدِّدْ عَلَيْهِمْ لِيَأْتُوا حَتَّى يَمْتَلِئَ بَيْتِي . ✠ لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أُولئِكَ النَّاسِ الْمَدْعُوِّينَ سَيَذُوقُ عَشَائِي[1] » . ٢٢ ٢٣ ٢٤

(١) متى ٢١ : ٤٢ ؛ ٢٢ : ٤٨ ؛ الأعمال ١٣ : ٤٦



شُرُوطُ التَّتَلْمُذِ عَلَى السَّيِّدِ الْمَسِيحِ : (٥٥)

✠ وَكَانَتْ جُمُوعٌ عَظِيمَةٌ تَسِيرُ مَعَهُ ، فَالْتَفَتَ وَقَالَ لَهُمْ ✠ « مَنْ يَأْتِي إِلَيَّ وَلَا يُبْغِضُ[2] أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَزَوْجَتَهُ وَأَبْنَاءَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ[3] ، بَلْ نَفْسَهُ أَيْضًا ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا[4] . ✠ وَمَنْ لَا يَحْمِلُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُنِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا[5] ✠ فَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَبْنِيَ بُرْجًا ، لَا يَجْلِسُ أَوَّلاً وَيَحْسِبُ النَّفَقَةَ . وَهَلْ يَمْلِكُ مَا يَكْفِي لإِتْمَامِهِ[6] . ✠ لِئَلاَّ يَضَعَ الأَسَاسَ ثُمَّ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُكَمِّلَ . فَيَأْخُذُ كُلُّ الَّذِينَ أَبْصَرُوا ذَلِكَ يَسْخَرُونَ مِنْهُ قَائِلِينَ : ✠ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ شَرَعَ يَبْنِي وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُكَمِّلَ . ✠ أَوْ أَيُّ مَلِكٍ ذاهِبٍ لِيُحَارِبَ مَلِكًا آخَرَ ، لَا يَجْلِسُ أَوَّلاً وَيُشاوِرُ نَفْسَهُ فِيمَا إِذا كَانَ يَسْتَطِيعُ بِعَشَرَةِ آلَافٍ أَنْ يُلاقِيَ الَّذِي يَأْتِي إِلَيْهِ بِعِشْرِينَ أَلْفاً ؟ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١

(٥٦)

(٢) التثنية ١٣ : ٦ ، ٣٣ : ٩ ؛ متى ١٠ : ٣٧

(٣) يوحنا ١٢ : ٢٥

(٤) الرؤيا ١٢ : ١١

(٥) متى ١٦ : ٢٤ ؛ مرقس ٨ : ٣٤ ؛ لوقا ٩ : ٢٣ ؛ ٢. تيموثاوس ٣ : ١٢

(٦) الأمثال ٢٤ : ٢٧

٣٢ ✠ وَإِلاَّ فَإِنَّهُ مَا دَامَ هَذا بَعِيدًا يُرْسِلُ سُفَرَاءَ
٣٣ عَنْهُ وَيَسْعَى فِى طَلَبِ الصُّلْحِ ؟ . ✠ هَكَذَا فَإِنَّ أَيًّا مِنْكُمْ لَا يَنْبُذُ كُلَّ مَا يَمْلِكُ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَكُونَ
٣٤ لِى تِلْمِيذًا . ✠ إِنَّ الْمِلْحَ جَيِّدٌ[1] ، وَلكِنْ إِذَا فَسَدَ الْمِلْحُ فَأَىُّ شَىْءٍ يَرُدُّهُ مِلْحًا مِنْ جَدِيدٍ ؟
٣٥ ✠ إِنَّهُ لَا يَعُودُ يَصْلُحُ لِلتُّرْبَةِ وَلَا لِلسَّمَادِ ، فَيَطْرَحُهُ النَّاسُ خَارِجًا . مَنْ لَهُ أُذُنانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ » .

(١) متى ٥ : ١٣ ؛ مرقس ٩ : ٥٠

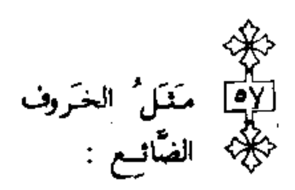


الْفَصْلُ الخَامِسَ عَشَرَ

السَّيِّدُ المَسِيحُ يُعَاشِرُ الخُطَاةَ لِيَدْعُوَهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ :

١ ✠ وَكَانَ جَمِيعُ الْعَشَّارِينَ[2] وَالْخُطَاةِ يَدْنُونَ مِنْهُ
٢ لِيَسْمَعُوهُ[3] . ✠ فَتَذَمَّرَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ قَائِلِينَ

(٢) جباة العشور وهى الضرائب .
(٣) متى ٩ : ١٠



٥٧ مَثَلُ الخروفِ الضَّائعِ :

«إنَّ هَذَا يَقْبَلُ الْخُطَاةَ وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ[1]» ۞ ٣ فَخَاطَبَهُمْ بِهَذَا الْمَثَلِ قَائِلًا ۞ ٤ «أَىُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ يَمْلِكُ مِائَةَ خَرُوفٍ، إذَا ضَاعَ وَاحِدٌ مِنْهَا لاَ يَتْرُكُ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ فِى الْبَرِّيَّةِ وَيَذْهَبُ وَرَاءَ ذَلِكَ الضَّالِّ بَاحِثًا عَنْهُ حَتَّى يَجِدَهُ[2]. ۞ ٥ فَإِذَا وَجَدَهُ يَحْمِلُهُ عَلَى كَتِفَيْهِ فَرِحًا، ۞ ٦ وَيَجِيءُ إلَى الْبَيْتِ فَيَدْعُو أَصْدِقَاءَهُ وَجِيرَانَهُ قَائِلًا لَهُمُ افْرَحُوا مَعِى فَإِنِّى وَجَدْتُ خَرُوفِيَ الضَّالَّ[3]. ۞ ٧ إِنَّنِي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ هَكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِى السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِمَّا يَكُونُ بِتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا لا يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ[4]

مَثَلُ الدِّرْهَمِ الضَّائعِ :

۞ ٨ أَمْ أَيَّةُ امْرَأَةٍ تَمْلِكُ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ، إِذَا ضَاعَ وَاحِدٌ مِنْهَا، لَا تُوقِدُ سِرَاجًا[5] وَتَكْنُسُ الْبَيْتَ بَاحِثَةً عَنْهُ بِاهْتِمَامٍ حَتَّى تَجِدَهُ. ۞ ٩ فَإِذَا وَجَدَتْهُ تَدْعُو صَاحِبَاتِهَا وَجَارَاتِهَا قَائِلَةً : افْرَحْنَ مَعِى فَإِنِّى وَجَدْتُ دِرْهَمِى الضَّائعَ. ۞ ١٠ إِنَّنِى أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ هَكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ أَمَامَ مَلَائِكَةِ اللهِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ».

٥٨ مَثَلُ الابْنِ الضَّالِّ :

۞ ١١ ثُمَّ قَالَ : «كَانَ لِرَجُلٍ ابْنَانِ ۞ ١٢ فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لِأَبِيهِ : يَاأَبِى أَعْطِنِى نَصِيبِى الَّذِى يَخُصُّنِى مِنَ الْمَالِ[6]. فَقَسَّمَ بَيْنَهُمَا ثَرْوَتَهُ[7]. ۞ ١٣ وَبَعْدَ أَيَّامٍ

(١) الأعمال ١١ : ٣؛ غلاطية ٢ : ١٢

(٢) حزقيال ٣٤ : ٦ و ١١ – ١٥؛ متى ١٠ : ٦؛ ١٨ : ١٢

(٣) إشعياء ٤٠ : ١١؛ متى ٩ : ٣٦؛ ١. بطرس ٢ : ١٠ و ٢٥

(٤) لوقا ٥ : ٣١

(٥) الأمثال ٢٠ : ٢٧؛ صفنيا ١ : ١٢

(٦) التثنية ٢١ : ١٧

(٧) مرقس ١٢ : ٤٤

غَيرِ كَثِيرَةٍ جَمَعَ الِابْنُ الْأَصْغَرُ كُلَّ شَيْءٍ لَهُ وَرَحَلَ إِلَى بَلَدٍ بَعِيدٍ ، وَهُنَاكَ بَدَّدَ كُلَّ أَمْوَالِهِ عَائِشاً فِي فُجُورٍ.

١٤ حَتَّى إِذَا أَنْفَقَ كُلَّ مَا عِنْدَهُ ، وَقَعَتْ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مَجَاعَةٌ فَظِيعَةٌ ، فَبَدَأَ يَحْتَاجُ ،

١٥ وَمِنْ ثَمَّ ذَهَبَ وَالْتَحَقَ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْبَلَدِ ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى حَقْلِهِ لِيَرْعَى الْخَنَازِيرَ ،

١٦ وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمْلَأَ بَطْنَهُ مِنَ الْخَرْنُوبِ[1] الَّذِي كَانَتْ تَأْكُلُهُ الْخَنَازِيرُ فَلَمْ يَكُنْ يُعْطِيهِ أَحَدٌ .

١٧ فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ : كَمْ لِأَبِي مِنْ أُجَرَاءَ يَتَوَافَرُ لَهُمْ مِنَ الْخُبْزِ مَا يَكْفِيهِمْ وَيَفِيضُ عَنْهُمْ وَأَنَا أَمُوتُ جُوعًا هُنَا. ؟

١٨ إِنَّنِي سَأَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ : يَا أَبِي قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَأَمَامَكَ .

١٩ وَلَمْ أَعُدْ مُسْتَحِقًّا أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا ، فَاجْعَلْنِي كَأَحَدِ أُجَرَائِكَ

٢٠ ثُمَّ قَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ ، وَإِذْ كَانَ لَا يَزَالُ عَلَى مَسَافَةٍ شَاسِعَةٍ رَآهُ أَبُوهُ ، فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِ وَرَكَضَ وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ[2] .

٢١ فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : يَا أَبِي قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَأَمَامَكَ[3]. وَلَمْ أَعُدْ مُسْتَحِقًّا أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا

٢٢ أَمَّا الأَبُ فَقَالَ لِعَبِيدِهِ : أَسْرِعُوا وَأَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الْأُولَى[4] وَأَلْبِسُوهُ إِيَّاهَا[5] ، وَضَعُوا

(١) الخرنوب ثمر شجرة معروفة فى الشرق يأكله أحياناً الفقراء المعدمون فى سوريا وفلسطين ويستخدم عادة فى تسمين الخنازير .

(٢) الأعمال ٢ : ٣٩ ؛ أفسس ٢ : ١٣ و ١٧ ؛ يعقوب ٤ : ٨

(٣) المزمور ٥١ : ٤

(٤) الحلة الأولى هنا يعنى أفضل الثياب وأفخرها .

(٥) إشعياء ٦١ : ١٠ ؛ زكريا ٣ : ٤ و ٥ ؛ الرؤيا ٣ : ١٨

٢٣ خَاتَمًا فِي يَدِهِ وَحِذَاءً فِي قَدَمَيْهِ[١] ، ✠ وَهَاتُوا
٢٤ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ ، فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ ✠ لِأَنَّ
ابْنِي هَذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَادَ إِلَى الْحَيَاةِ ، وَكَانَ ضَالاًّ
٢٥ فَوَجَدْنَاهُ[٢] . فَأَخَذُوا يَفْرَحُونَ . ✠ وَكَانَ ابْنُهُ
الْأَكْبَرُ فِي الْحَقْلِ . فلمَّا جَاءَ وَاقْتَرَبَ مِنَ الْبَيْتِ
٢٦ سَمِعَ أَصْوَاتَ غِنَاءٍ وَرَقْصٍ ، ✠ فَاسْتَدْعَى أَحَدَ
٢٧ الْغِلْمَانِ وَسَأَلَهُ : مَا هَذَا ؟ ✠ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ
أَخَاكَ قَدْ جَاءَ ، فَذَبَحَ أَبُوكَ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ ، لِأَنَّهُ
٢٨ عَادَ إِلَيْهِ سَالِمًا. ✠ فَغَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ.
٢٩ فَخَرَجَ أَبُوهُ وَرَاحَ يَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ ✠ فَأَجَابَ وَقَالَ
لِأَبِيهِ : هَا أَنَا ذَا أَخْدُمُكَ هَذِهِ السِّنِينَ كُلَّهَا ، وَلَمْ
أَعْصِ لَكَ أَمْرًا قَطُّ ، وَمَعَ ذَلِكَ مَا أَعْطَيْتَنِي فِي يَوْمٍ
٣٠ مِنَ الْأَيَّامِ جَدْيًا لِأَفْرَحَ مَعَ أَصْحَابِي. ✠ وَلَكِنَّكَ
مَا إِنْ جَاءَ ابْنُكَ هَذَا الَّذِي بَدَّدَ ثَرْوَتَكَ مَعَ الزَّانِيَاتِ ،
٣١ حَتَّى ذَبَحْتَ لَهُ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ . ✠ فَقَالَ لَهُ :
يَا بُنَيَّ ، أَنْتَ دَائِمًا مَعِي ، وَكُلُّ مَالِي فَهُوَ لَكَ .
٣٢ ✠ إِلاَّ أَنَّنَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنَبْتَهِجَ ،
لِأَنَّ أَخَاكَ هَذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَادَ إِلَى الْحَيَاةِ ، وَكَانَ
ضَالًّا فَوَجَدْنَاهُ[٣] .

(١) زكريا ١٠ : ١٢ ؛ أفسس ٦ : ١٥

(٢) لوقا ١٥ : ٣٢ ؛ أفسس ٢ : ١ ؛ ٥ : ١٤ ؛ الرؤيا ٣ : ١

(٣) لوقا ١٥ : ٢٤



الْفَصْلُ السَّادِسَ عَشَرَ

مَثَلُ الْوَكِيلِ غَيْرِ الأَمِينِ :

١ ✠ وَقَالَ يَسُوعُ أَيْضاً لِتَلاَمِيذِهِ : « كَانَ لِرَجُلٍ غَنِيٍّ وَكِيلٌ ، وَقَدْ بَلَغَتْهُ وِشَايَةٌ عَنْهُ أَنَّهُ يُبَدِّدُ أَمْوَالَهُ. ٢ ✠ فَدَعَاهُ إِلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا الَّذِى أَسْمَعُهُ عَنْكَ ؟ قَدِّمِ الْحِسَابَ عَنْ وَكَالَتِكَ ، لِأَنَّكَ لاَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ وَكِيلاً بَعْدَ الآنَ ٣ ✠ فَقَالَ الْوَكِيلُ فِى نَفْسِهِ : مَاذَا أَفْعَلُ فَإِنَّ سَيِّدِى سَيَعْزِلُنِى عَنْ وَكَالَتِى ، وَلَسْتُ قَادِرًا عَلَى الْفِلاَحَةِ ، كَمَا أَنَّنِى أَخْجَلُ أَنْ أَسْتَعْطِىَ ؟. ٤ ✠ قَدْ عَرَفْتُ مَا أَفْعَلُ حَتَّى إِذَا عُزِلْتُ عَنِ الْوَكَالَةِ يَقْبَلُنِى النَّاسُ فِى بُيُوتِهِمْ. ٥ ✠ ثُمَّ

اسْتَدْعَى إِلَيْهِ كُلاًّ مِنْ مَدِينِي سَيِّدِهِ ، وَقَالَ لِلأَوَّلِ : كَمْ عَلَيْكَ لِسَيِّدِي؟ ٦ ✠ قَالَ : مِائَةُ مِكْيَالٍ[١] مِنَ الزَّيْتِ . فَقَالَ لَهُ : خُذْ صَكَّكَ وَاجْلِسْ سَرِيعًا وَاكْتُبْ خَمْسِينَ. ٧ ✠ ثُمَّ قَالَ لآخَرَ : وَأَنْتَ كَمْ عَلَيْكَ ؟ قَالَ مِائَةُ مِكْيَالٍ[٢] مِنَ الْقَمْحِ . فَقَالَ لَهُ : خُذْ صَكَّكَ وَاكْتُبْ ثَمَانِينَ . ٨ ✠ فَأَثْنَى السَّيِّدُ عَلَى الْوَكِيلِ غَيْرِ الأَمِينِ . إِذْ تَصَرَّفَ بِفِطْنَةٍ . لأَنَّ أَبْنَاءَ هَذَا الدَّهْرِ أَكْثَرُ فِطْنَةً فِي زَمَانِهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ النُّورِ[٣]. ٩ ✠ وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ : اجْعَلُوا لأَنْفُسِكُمْ أَصْدِقَاءَ بِالْمَالِ الَّذِي لاَ يَحِقُّ لَكُمْ[٤] ، حَتَّى إِذَا فَنِيَ يَقْبَلُونَكُمْ فِي الْمَسَاكِنِ الأَبَدِيَّةِ . ١٠ ✠ إِنَّ الأَمِينَ فِي الْقَلِيلِ أَمِينٌ أَيْضاً فِي الْكَثِيرِ . وَغَيْرَ الأَمِينِ فِي الْقَلِيلِ غَيْرُ أَمِينٍ أَيْضاً فِي الْكَثِيرِ[٥]. ١١ ✠ فَإِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ أُمَنَاءَ فِي الْمَالِ غَيْرِ الْحَقِّ ، فَمَنْ يَأْتَمِنُكُمْ عَلَى الْمَالِ الْحَقِّ ؟ ١٢ ✠ وَإِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ أُمَنَاءَ فِيمَا هُوَ لِلْغَيْرِ ، فَمَنْ يُعْطِيكُمْ مَا هُوَ لَكُمْ ؟

لا يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ خِدْمَةِ اللهِ وَخِدْمَةِ الْمَالِ :

١٣ ✠ مَا مِنْ خَادِمٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْدُمَ سَيِّدَيْنِ ، فَإِنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ أَحَدَهُمَا وَيُحِبَّ الآخَرَ ، وَإِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِأَحَدِهِمَا وَيَنْبُذَ الآخَرَ ، لاَ يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَخْدُمُوا اللهَ وَالْمَالَ مَعًا »[٦] .

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُنَدِّدُ بِرِيَاءِ الْفَرِّيسِيِّينَ :

١٤ ✠ وَكَانَ الْفَرِّيسِيُّونَ الَّذِينَ كَانُوا مُحِبِّينَ لِلْمَالِ[٧]

(١) حرفياً « مائة بَثْ » وهو مكيال عبراني للسوائل يعادل ٢٣ لتراً تقريباً – أنظر إشعياء ٥ : ١٠ ؛ حزقيال ٤٥ : ١٠ و ١١ و ١٤

(٢) حرفياً « مائة كُرّ » والكُرّ أكبر مكيال عبراني للحبوب يعادل عشرة أضعاف البَثْ – أنظر ١. الملوك ٤ : ٢٢ ؛ ٢. الأيام ٢ : ١٠ ؛ ٢٧ : ٥ ؛ حزقيال ٤٥ : ١٤

(٣) يوحنا ١٢ : ٣٦ ؛ رومية ١٣ : ١٢

(٤) ابن سيراخ ١٤ : ١٣ ؛ متى ٦ : ١٩ ؛ ١٩ : ٢١ ؛ لوقا ١١ : ٤١ ؛ ١٢ : ٣٣ ؛ ١. تيموثاوس ٦ : ١٧ – ١٩

(٥) متى ٢٥ : ٢١ ؛ لوقا ١٩ : ١٧

(٦) متى ٦ : ٢٤

(٧) متى ٢٣ : ١٤

يَسْمَعُونَ هُمْ أَيْضًا هَذا كُلَّهُ ، فاسْتهْزَءُوا بِهِ ،

١٥ ✠ فَقَالَ لَهُمْ « أَنْتُمْ تُظْهِرُونَ أَنْفُسَكُمْ أَمَامَ النَّاسِ أَبْرَارًا[1] ، وَلكِنَّ اللهَ يَعْرِفُ قُلُوبَكُمْ[2] ، لأَنَّ الْمُتَعَالِى بَيْنَ النَّاسِ مَكْرُوهٌ عِنْدَ اللهِ ✠

١٦ لقدْ قامَتِ الشَّرِيعَةُ وَالأَنْبِيَاءُ حَتَّى زَمَنِ يُوحَنَّا ، ثُمَّ مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ بَدَأَتِ الْبِشارَةُ بِمَلَكُوتِ اللهِ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ يَشُقُّ طَرِيقَهُ عَنْوَةً إِلَيْهِ[3]. ✠

١٧ وَإِنَّهُ لأَيْسَرُ أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ مِنْ أَنْ تَسْقُطَ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الشَّرِيعَةِ[4].

١٨ ✠ كُلُّ مَنْ طَلَّقَ زَوْجَتَهُ وتَزَوَّجَ أُخرَى فَقَدْ زَنَى ، وَكُلُّ مَنْ تَزَوَّجَ الَّتِي طَلَّقَهَا زَوْجُهَا فَقَدْ زَنَى[5] » .

١٩ ✠ « كَانَ ثَمَّةَ رَجُلٌ غَنِيٌّ يَرْتَدِى الأُرْجُوَانَ

٢٠ وَالْبَزَّ[6] وَيَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مُتَرَفِّهًا ✠ وَكَانَ رَجُلٌ فَقِيرٌ اسْمُهُ لَعَازَرُ مُنْطَرِحًا عِنْدَ بَابِهِ ، وَقدِ امْتلأَ جِسْمُهُ بِالقُرُوحِ ، ✠

٢١ وَكانَ يَشْتَهِى أَنْ يَشْبَعَ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِى يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ ذَلِكَ الْغَنِيِّ ، فَلَمْ يَكُنْ يُعْطِيهِ أَحَدٌ ، وَإِنَّمَا كَانَتِ الْكِلاَبُ تَأْتِى وَتَلْحَسُ قُرُوحَهُ.

٢٢ ✠ ثُمَّ مَاتَ الْفَقِيرُ فَحَمَلَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ[7] إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ . وَمَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضًا وَدُفِنَ . ✠

٢٣ وَفِى الْجَحِيمِ[8] رَفَعَ عَيْنَيْهِ وَهُوَ يُقَاسِى الْعَذَابَ ، فَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلَعَازَرُ فِى حِضْنِهِ. ✠

٢٤ فَنَادَى

خُلُودُ الشَّرِيعَةِ :

تَحْرِيمُ الطَّلاَقِ :

✠ قِصَّةُ لَعَازَرَ الْفَقِيرِ وَالرَّجُلِ الْغَنِيِّ : [٥٩] ✠

(١) لوقا ١٠ : ٢٩

(٢) المزمور ٧ : ٩

(٣) متى ٤ : ١٧ ؛ ١١ : ١٢و١٣ ؛ لوقا ٧ : ٢٩ ؛ ١٠ : ١

(٤) المزمور ١٠٢ : ٢٦ و ٢٧ ؛ إشعياء ٤٠ : ٨ ؛ ٥١ : ٦ ؛ متى ٥ : ١٨ ؛ ١. بطرس ١ : ٢٥

(٥) متى ٥ : ٣٢ ؛ ١٩ : ٩ ؛ مرقس ١٠ : ١١ ؛ ١. كورنثوس ٧ : ١٠و١١

(٦) الرؤيا ١٨ : ١٢

(٧) متى ١٣ : ٤١ ؛ ١٨ : ١٠ ؛ العبرانيين ١ : ١٤

(٨) المزمور ٩ : ١٧ ؛ مرقس ٩ : ٤٣ ؛ الرؤيا ١٨ : ١

وَقَالَ : يَا أَبِي إِبْرَاهِيمُ ارْحَمْنِي وَأَرْسِلْ لَعَازَرَ لِيَغْمِسَ فِي الْمَاءِ طَرَفَ إِصْبَعِهِ وَيُبَرِّدَ لِسَانِي[١] ، لأَنَّنِي أَتعَذَّبُ فِي هَذَا اللَّهِيبِ[٢] . ✠ ٢٥ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : تَذَكَّرْ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ فِي حَيَاتِكَ قَدِ اسْتَوْفَيْتَ مَسَرَّاتِكَ[٣] ، وَأَمَّا لَعَازَرُ فَقَدِ اسْتَوْفَى بَلاَيَاهُ ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ الآنَ يَتعَزَّى ، وَأَنْتَ تَتعَذَّبُ . ✠ ٢٦ وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ فَإِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ هُوَّةً عَظِيمَةً رَاسِخَةً ، بِحَيْثُ إِنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْعُبُورَ مِنْ هُنَا إِلَيْكُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ، كَمَا لاَ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْعُبُورَ مِنْ عِنْدِكُمْ إِلَيْنَا . ✠ ٢٧ فَقَالَ : أَتوَسَّلُ إِلَيْكَ إِذَنْ يَا أَبَتَاهُ أَنْ تُرْسِلَهُ إِلَى بَيْتِ أَبِي ، ✠ ٢٨ حَيْثُ لِي خَمْسَةُ إِخْوَةٍ ، حَتَّى يُنْذِرَهُمْ لِئَلاَّ يَجِيئُوا هُمْ أَيْضًا إِلَى مَكَانِ الْعَذَابِ هَذَا . ✠ ٢٩ فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : إِنَّ لَدَيْهِمْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءَ . فَلْيَسْتَمِعُوا إِلَيْهِمْ[٤] . ✠ ٣٠ قَالَ : كَلاَّ يَا أَبِي إِبْرَاهِيمُ ، لَكِنَّهُمْ إِذَا ذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَحَدُ الْمَوْتَى يَتُوبُونَ . ✠ ٣١ فَقَالَ لَهُ : إِنْ كَانُوا لَمْ يَسْتَمِعُوا إِلَى مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ ، فَإِنَّهُمْ وَإِنْ قَامَ أَحَدُ الْمَوْتَى لاَ يَقْتَنِعُونَ[٥] » .

(١) زكريا ١٤ : ١٢

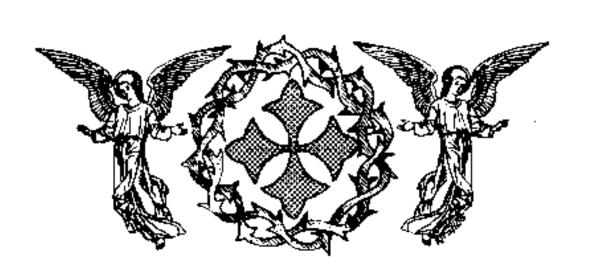
(٢) إشعياء ٦٦ : ٢٤ ؛ مرقس ٩ : ٤٤ إلخ

(٣) أيوب ٢١ : ١٣ ؛ لوقا ٦ : ٢٤

(٤) إشعياء ٨ : ٢٠ ؛ ٣٤ : ١٦ ؛ يوحنا ٥ : ٣٩ و ٤٥ ؛ الأعمال ١٥ : ٢١ ؛ ١٧ : ١١ ؛ رومية ١٠ : ١٧

(٥) يوحنا ١٢ : ١٠ و ١١





الْفَصْلُ السَّابِعَ عَشَرَ

الْوَيْلُ لِمَنْ تَأْتِى بِوَاسِطَتِهِ الْعَثَرَاتُ : [٦٠]

١ وَقَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ «لاَبُدَّ أَنْ تَأْتِيَ الْعَثَرَاتُ ، وَلَكِنِ الْوَيْلُ لِذَلِكَ الَّذِى تَأْتِى الْعَثَرَاتُ بِوَاسِطَتِهِ[١].

٢ كَانَ أَجْدَرَ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِى عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَا وَيُطْرَحَ فِى الْبَحْرِ ، مِنْ أَنْ يَتَسَبَّبَ فِى إِعْثَارِ أَحَدِ هَؤُلاَءِ الصِّغَارِ .

وُجُوبُ الْمَغْفِرَةِ

٣ اِحْتَرِسُوا لأَنْفُسِكُمْ ، فَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَوَبِّخْهُ[٢]. فَإِنْ تَابَ فَاغْفِرْ لَهُ[٣].

٤ وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِى الْيَوْمِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ قَائِلاً إِنَّنِى تَائِبٌ فَاغْفِرْ لَهُ » .

قُوَّةُ فِعْلِ الإِيمَانِ :

٥ فَقَالَ الرُّسُلُ لِلرَّبِّ « زِدْنَا إِيمَانًا » .

٦ فَقَالَ الرَّبُّ

(١) متى ١٨ : ٦ و٧ ؛ مرقس ٩ : ٤٢ ؛ ١ كورنثوس ١١ : ١٩

(٢) اللاويين ١٩ : ١٧ و ١٨ ؛ الأمثال ١٧ : ١٠ ؛ متى ١٨ : ١٥ و ٢١ ؛ يعقوب ٥ : ١٩ و ٢٠

(٣) ابن سيراخ ٩ : ١٣

« لَوْ كَانَ لَدَيْكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ مِثْلُ حَبَّةِ الْخَرْدَلِ[١] ، لَقُلْتُمْ لِشَجَرَةِ التُّوتِ هَذِهِ انْقَلِعِي مِنْ جُذُورِكِ وَانْغَرِسِي فِي الْبَحْرِ فَتُطِيعَكُمْ . ٧ ✠ مَنْ مِنْكُمْ إِنْ كَانَ لَهُ عَبْدٌ يَحْرُثُ أَوْ يَرْعَى ، إِذَا عَادَ مِنَ الْحَقْلِ يَقُولُ لَهُ مِنْ فَوْرِهِ : هَلُمَّ اجْلِسْ إِلَى الْمَائِدَةِ ؟ ٨ ✠ أَلَا يَقُولُ لَهُ بِالْأَحْرَى هَيِّئْ لِي الْعَشَاءَ ، ثُمَّ تَطَوَّقْ بِحِزَامٍ وَاخْدُمْنِي حَتَّى آكُلَ وَأَشْرَبَ[٢] ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تَأْكُلُ أَنْتَ وَتَشْرَبُ ؟ ٩ ✠ فَهَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَشْكُرَ ذَلِكَ الْخَادِمَ لِأَنَّهُ فَعَلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ ؟ . ١٠ ✠ هَكَذَا أَنْتُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا تُؤْمَرُونَ بِهِ ، فَقُولُوا إِنَّنَا عَبِيدٌ لَا نَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ[٣] ، لِأَنَّنَا إِنَّمَا فَعَلْنَا مَا كَانَ وَاجِبًا عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَهُ » .

وُجُوبُ أَدَاءِ الْوَاجِبِ نَحْوَ اللهِ :

٦١ مُعْجِزَةُ شِفَاءِ الْعَشَرَةِ الْمُصَابِينَ بِالْبَرَصِ :

١١ ✠ وَفِيمَا هُوَ ذَاهِبٌ إِلَى أُورُشَلِيمَ[٤] مَرَّ فِي وَسَطِ السَّامِرَةِ وَالْجَلِيلِ . ١٢ ✠ وَإِذْ دَخَلَ إِحْدَى الْقُرَى قَابَلَهُ عَشَرَةُ رِجَالٍ مُصَابِينَ بِالْبَرَصِ . وَقَدْ وَقَفُوا عَنْ بُعْدٍ[٥] ١٣ ✠ وَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ قَائِلِينَ « يَا يَسُوعُ الْمُعَلِّمُ ارْحَمْنَا » . ١٤ ✠ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ لَهُمْ « اذْهَبُوا أَرُوا أَنْفُسَكُمْ لِلْكَهَنَةِ[٦] » . فَفِيمَا كَانُوا ذَاهِبِينَ طَهُرُوا . ١٥ ✠ وَإِذْ رَأَى وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَنَّهُ بَرِئَ رَجَعَ يُمَجِّدُ اللهَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ ، ١٦ ✠ وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ

(١) متى ١٧ : ٢٠ ؛ ٢١ : ٢٠ و ٢١ ؛ مرقس ٩ : ٢٣ ؛ ١١ : ٢٣
(٢) لوقا ١٢ : ٣٧
(٣) أيوب ٢٢ : ٣ ؛ ٣٥ : ٧ ؛ المزمور ١٦ : ٢ ؛ متى ٢٥ : ٣٠ ؛ رومية ٣ : ١٢ ؛ ١١ : ٣٥ ؛ ١ كورنثوس ٩ : ١٦ و ١٧ ؛ فليمون : ١١
(٤) متى ١٩ : ١ ؛ لوقا ٩ : ٥١ و ٥٢ ؛ يوحنا ٤ : ٤
(٥) اللاويين ١٣ : ٤٦ ؛ العدد ٥ : ٢
(٦) اللاويين ١٣ : ٢ ؛ ١٤ : ٢ إلخ ؛ متى ٨ : ٤ ؛ لوقا ٥ : ١٤

١٧ عِنْدَ قَدَمَيْهِ شَاكِراً إِيَّاهُ ، وَكَانَ سَامِرِيًّا. ✥ فَأَجَابَ
يَسُوعُ وَقَالَ « أَلَيْسَ الْعَشَرَةُ قَد طَهُرُوا . فَأَيْنَ التِّسْعَةُ
١٨ الْآخَرُونَ ؟ . ✥ أَمَا مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ رَجَعَ لِيُمَجِّدَ
١٩ اللهَ إِلَّا هَذَا الْمُخْتَلِفُ الْجِنْسِ[١] ؟ » ✥ ثُمَّ قَالَ لَهُ
« انْهَضْ وامْضِ فِي سَبِيلِكَ . إِنَّ إِيمَانَكَ قَدْ خَلَّصَكَ[٢] ».

مَتَى يَأْتِي مَلَكُوتُ اللهِ ؟ :

٢٠ ✥ وَسَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ « مَتَى يَأْتِي مَلَكُوتُ اللهِ ؟ » ،
فَأَجَابَهُمْ وَقَالَ « إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ لَا يَأْتِي بِتَرَقُّبٍ[٣]
٢١ ✥ فَلَا يُقَالَ هُوَذَا هُنَا أَوْ هُوَذَا هُنَاكَ ، لِأَنَّ
مَلَكُوتَ اللهِ إِنَّمَا هُوَ فِي دَاخِلِكُمْ[٤] » .

الْمَجِيءُ الثَّانِي لِلسَّيِّدِ الْمَسِيحِ لِلدَّيْنُونَةِ :

٢٢ ✥ وَقَالَ لِتَلَامِيذِهِ « سَتَأْتِي أَيَّامٌ تَشْتَهُونَ فِيهَا
أَنْ تَرَوْا يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ أَيَّامِ ابْنِ الْإِنْسَانِ فَلَا تَرَوْنَ[٥] .
٢٣ ✥ وَسَيَقُولُونَ لَكُمْ إِنَّهُ هُنَا أَوْ هُنَاكَ ، فَلَا
٢٤ تَذْهَبُوا وَلَا تَتْبَعُوهُمْ[٦] . ✥ لِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ
الَّذِي يَبْرُقُ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ السَّمَاءِ يُضِيءُ فِي النَّاحِيَةِ
الْأُخْرَى مِنْهَا ، هَكَذَا سَيَكُونُ مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ
٢٥ فِي يَوْمِهِ[٧] . ✥ وَلَكِنَّهُ يَنْبَغِي أَوَّلاً أَنْ يُعَانِيَ
٢٦ آلَامًا كَثِيرَةً وَأَنْ يَرْفُضَهُ هَذَا الْجِيلُ[٨] . ✥ وَكَمَا
كَانَ فِي أَيَّامِ نُوحٍ[٩] ، هَكَذَا سَيَكُونُ أَيْضًا فِي أَيَّامِ ابْنِ
٢٧ الْإِنْسَانِ . ✥ فَقَدْ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ
وَيَتَّخِذُ الرِّجَالُ زَوْجَاتٍ وَتَتَّخِذُ النِّسَاءُ أَزْوَاجًا ، إِلَى يَوْمِ

(١) ٢ الملوك ١٧ : ٢٤ – ٤١
(٢) متى ٩ : ٢٢ ؛ مرقس ٥ : ٣٤ ؛ ١٠ : ٥٢ ؛ لوقا ٧ : ٥٠ ؛ ٨ : ٤٨ ؛ ١٨ : ٤٢
(٣) لوقا ١٤ : ١
(٤) يوحنا ١ : ٢٦ ؛ [رومية] ١٤ : ١٧
(٥) متى ٩ : ١٥ ؛ يوحنا ١٧ : ١٢
(٦) متى ٢٤ : ٢٣ ؛ مرقس ١٣ : ٢١ ؛ لوقا ٢١ : ٨
(٧) متى ٢٤ : ٢٧
(٨) مرقس ٨ : ٣١ ؛ ٩ : ٣١ ؛ ١٠ : ٣٣ ؛ لوقا ٩ : ٢٢
(٩) التكوين ٧ ؛ متى ٢٤ : ٣٧

أَنْ دَخَلَ نُوحٌ الْفُلْكَ ، فَجَاءَ الطُّوفَانُ وَأَهْلَكَ الْجَمِيعَ.
٢٨ ✠ وَكَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ لُوطٍ ، إِذْ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَشْتَرُونَ وَيَبِيعُونَ وَيَغْرِسُونَ[1] وَيَبْنُونَ .
٢٩ ✠ ثُمَّ يَوْمَ أَنْ خَرَجَ لُوطٌ مِنْ سَدُومَ أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ نَارًا وَكِبْرِيتًا فَأَهْلَكَتِ الْجَمِيعَ[2] ، ٣٠ ✠ هَكَذَا يَكُونُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ سَيَظْهَرُ ابْنُ الإِنْسَانِ[3] .
٣١ ✠ فَمَنْ كَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى السَّطْحِ ، وَأَمْتِعَتُهُ فِي الْبَيْتِ فَلاَ يَنْزِلْ لِيَأْخُذَهَا ، وَمَنْ كَانَ فِي الْحَقْلِ فَلاَ يَرْتَدَّ أَيْضًا إِلَى الْوَرَاءِ[4]. ٣٢ ✠ تَذَكَّرُوا زَوْجَةَ لُوطٍ[5].
٣٣ ✠ لأَنَّ مَنْ سَعَى لأَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا ، وَمَنْ أَهْلَكَهَا يُحْيِيهَا[6] ٣٤ ✠ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ سَيَكُونُ اثْنَانِ فِي فِرَاشٍ وَاحِدٍ ، فَيُؤْخَذُ أَحَدُهُمَا وَيُتْرَكُ الآخَرُ[7] ٣٥ ✠ وَسَتَكُونُ اثْنَتَانِ تَطْحَنَانِ مَعًا ، فَتُؤْخَذُ إِحْدَاهُمَا وَتُتْرَكُ الأُخْرَى. سَيَكُونُ اثْنَانِ فِي الْحَقْلِ فَيُؤْخَذُ أَحَدُهُمَا وَيُتْرَكُ الآخَرُ» .
٣٦ ✠ فَأَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ « أَيْنَ يَارَبُّ ؟ » . فَقَالَ لَهُمْ « حَيْثُمَا تَكُنِ الْجُثَّةُ فَهُنَاكَ تَجْتَمِعُ النُّسُورُ »[8] .

(١) التكوين ١٩
(٢) التكوين ١٩ : ١٦ - ٢٥
(٣) ٢ . تسالونيكي ١ : ٧
(٤) متى ٢٤ : ١٧ و ١٨ ؛ مرقس ١٣ : ١٥ و ١٦
(٥) التكوين ١٩ : ٢٦
(٦) متى ١٠ : ٣٩ ؛ ١٦ : ٢٥ ؛ مرقس ٨ : ٣٥ ؛ لوقا ٩ : ٢٤ ؛ يوحنا ١٢ : ٢٥
(٧) متى ٢٤ : ٤٠ و ٤١ ، ١ . تسالونيكي ٤ : ١٧
(٨) أيوب ٣٩ : ٣٠ ؛ متى ٢٤ : ٢٨





الْفَصْلُ الثَّامِنَ عَشَرَ

مَثَلُ الْقَاضِي الظَّالِمِ : ٦٢

١ ✠ وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً فِي أَنَّهُمْ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلُّوا كُلَّ حِينٍ وَلَا يَفْتُرُوا[1] . ٢ ✠ قَائِلاً « كَانَ فِي مَدِينَةٍ قَاضٍ لَا يَخَافُ اللهَ وَلَا يَهَابُ إِنْسَانًا . ٣ ✠ وَكَانَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَرْمَلَةٌ لَا تَفْتَأُ تَجِيءُ إِلَيْهِ قَائِلَةً : اقْتَصَّ لِي مِنْ خَصْمِي . ٤ ✠ فَظَلَّ زَمَانًا لَا يَشَاءُ ذَلِكَ . بَيْدَ أَنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ فِي نَفْسِهِ : وَإِنْ كُنْتُ لَا أَخَافُ اللهَ وَلَا أَهَابُ إِنْسَانًا ، ٥ ✠ فَإِنَّنِي مِنْ أَجْلِ أَنَّ هَذِهِ الْأَرْمَلَةَ لَا تَفْتَأُ تُزْعِجُنِي ، سَأَقْتَصُّ لَهَا حَتَّى لَا تُرْهِقَنِي[2] بِمَجِيئِهَا الْمُسْتَمِرِّ » . ٦ ✠ ثُمَّ

(١) لوقا ١١ : ٥ ؛ ٢١ : ٣٦ ؛ [رومية] ١٢ : ١٢ ؛ أفسس ٦ : ١٨ ؛ كولوسي ٤ : ٢ ؛ ١ تسالونيكي ٥ : ١٧

(٢) لوقا ١١ : ٨

٦

قَالَ الرَّبُّ « اسْمَعُوا مَا يَقُولُ الْقَاضِي الظَّالِمُ ،

٧ ✠ أَفَلَا يَقْتَصُّ اللهُ لِمُخْتَارِيهِ الَّذِينَ يَصْرُخُونَ إِلَيْهِ نَهَارًا وَلَيْلًا ؟ أَيَتَمَهَّلُ عَلَيْهِمْ[١] ؟ ٨ ✠ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يَقْتَصُّ لَهُمْ سَرِيعًا[٢] . وَمَعَ ذَلِكَ مَتَى جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ يَا تُرَى فَهَلْ يَجِدُ إِيمَانًا عَلَى الْأَرْضِ ؟ » .

[٦٣] مَثَلُ الْفَرِّيسِيِّ وَالْعَشَّارِ :

٩ ✠ ثُمَّ ضَرَبَ هَذَا الْمَثَلَ لِقَوْمٍ يَثِقُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهُمْ أَبْرَارٌ وَيَزْدَرُونَ غَيْرَهُمْ[٣] ، قَائِلًا ١٠ ✠ « صَعِدَ رَجُلَانِ إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا فَرِّيسِيًّا وَالْآخَرُ عَشَّارًا . ١١ ✠ فَوَقَفَ[٤] الْفَرِّيسِيُّ لِيُصَلِّيَ فِي نَفْسِهِ قَائِلًا : اللَّهُمَّ أَشْكُرُكَ عَلَى أَنَّنِي لَسْتُ كَسَائِرِ النَّاسِ الْمُغْتَصِبِينَ الظَّالِمِينَ الْفَاسِقِينَ[٥] ، وَلَا كَهَذَا الْعَشَّارِ . ١٢ ✠ فَإِنَّنِي أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الْأُسْبُوعِ ، وَأُؤَدِّي الْعُشُورَ عَنْ كُلِّ مَا أَمْلِكُ . ١٣ ✠ أَمَّا الْعَشَّارُ فَوَقَفَ عَنْ بُعْدٍ وَلَمْ يَجْرُؤْ حَتَّى عَلَى أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَإِنَّمَا أَخَذَ يَقْرَعُ صَدْرَهُ قَائِلًا : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الْخَاطِئُ . ١٤ ✠ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هَذَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرًّأً أَكْثَرَ مِنْ ذَاكَ . لِأَنَّ كُلَّ مَنْ رَفَعَ نَفْسَهُ اتَّضَعَ ، وَمَنْ خَفَضَ نَفْسَهُ ارْتَفَعَ[٦] » .

[٦٤] السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَدْعُو إِلَيْهِ الأَطْفَالَ :

١٥ ✠ وَقَدَّمُوا كَذَلِكَ إِلَيْهِ أَطْفَالًا لِيَلْمِسَهُمْ ، فَلَمَّا رَآهُمُ التَّلَامِيذُ انْتَهَرُوهُمْ[٧] ١٦ ✠ أَمَّا يَسُوعُ فَدَعَاهُمْ

(١) ٢ بطرس ٣ : ٩ و ١٥ ؛ الرؤيا ٦ : ١١

(٢) العبرانيين ١٠ : ٣٧ ؛ ٢ بطرس ٣ : ٨

(٣) لوقا ١٠ : ٢٩ ؛ ١٦ : ١٥

(٤) المزمور ١٣٥ : ٢

(٥) إشعياء ١ : ١٥ ؛ ٥٨ : ٢ ؛ الرؤيا ٣ : ١٧

(٦) أيوب ٢٢ : ٢٩ ؛ متى ٢٣ : ١٢ ؛ لوقا ١٤ : ١١ ؛ يعقوب ٤ : ٦ ؛ ١ بطرس ٥ : ٥ و ٦

(٧) متى ١٩ : ١٣ ؛ مرقس ١٠ : ١٣

إِلَيْهِ وَقَالَ « دَعُوا الأَطْفَالَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلَا تَمْنَعُوهُمْ ، لِأَنَّ
١٧ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ مَلَكُوتَ اللهِ[1] ✥ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ
إِنَّ مَنْ لَا يَقْبَلُ مَلَكُوتَ اللهِ مِثْلَ طِفْلٍ فَلَنْ يَدْخُلَهُ »[2] .

١٨ ✥ وَسَأَلَهُ أَحَدُ الرُّؤَسَاءِ قَائِلًا « أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ
١٩ مَاذَا أَعْمَلُ كَيْ أَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ ؟[3] » . ✥ فَقَالَ
لَهُ يَسُوعُ « لِمَاذَا تَدْعُونِي الصَّالِحَ ؟ فَإِنَّهُ لَيْسَ الصَّالِحُ
٢٠ إِلَّا وَاحِدٌ هُوَ اللهُ . ✥ أَتَعْرِفُ أَنْتَ الْوَصَايَا :
لَا تَزْنِ . لَا تَقْتُلْ . لَا تَسْرِقْ . لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ[4] . أَكْرِمْ
٢١ أَبَاكَ وَأُمَّكَ ؟ »[5] . ✥ فَقَالَ « كُلُّ هَذَا قَدْ حَفِظْتُهُ
٢٢ مُنْذُ حَدَاثَتِي » . ✥ فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ ذَلِكَ
قَالَ لَهُ « يُعْوِزُكَ مَعَ ذَلِكَ شَيْءٌ آخَرُ . بِعْ كُلَّ مَا تَمْلِكُ
وَوَزِّعْهُ عَلَى الْفُقَرَاءِ ، فَتَقْتَنِي لَكَ كَنْزًا فِي السَّمَاءِ[6] ،
٢٣ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي » ✥ فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ اغْتَمَّ لِأَنَّهُ
٢٤ كَانَ غَنِيًّا جِدًّا . ✥ وَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ ذَلِكَ قَالَ
« كَمْ هُوَ عَسِيرٌ عَلَى ذَوِي الثَّرَوَاتِ[7] أَنْ يَدْخُلُوا مَلَكُوتَ
٢٥ اللهِ ✥ إِنَّهُ لَأَسْهَلُ أَنْ يَدْخُلَ الْجَمَلُ فِي ثَقْبِ
الإِبْرَةِ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ فِي مَلَكُوتِ اللهِ » .
٢٦ ✥ فَقَالَ السَّامِعُونَ « فَمَنْ يَسْتَطِيعُ إِذَنْ أَنْ
٢٧ يَخْلُصَ ؟ » . ✥ فَقَالَ « غَيْرُ الْمُسْتَطَاعِ عِنْدَ
٢٨ النَّاسِ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ »[8] . ✥ فَقَالَ بُطْرُسُ

(١) ١ . كورنثوس ١٤ : ٢٠ ؛ ١ . بطرس ٢ : ٢
(٢) مرقس ١٠ : ١٥

مَاذَا يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَعْمَلَهُ كَيْ يَرِثَ الحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ ؟

(٣) متى ١٩ : ١٦ ؛ مرقس ١٠ : ١٧
(٤) الخروج ٢٠ : ١٢ – ١٦ ؛ التثنية ٥ : ١٦ – ٢٠ ؛ [رومية] ١٣ : ٩
(٥) أفسس ٦ : ٢ ؛ كولوسي ٣ : ٢٠
(٦) متى ٦ : ١٩ و ٢٠ ؛ ١٩ : ٢١ ؛ ١ . تيموثاوس ٦ : ١٩

عَسِيرٌ عَلَى الأَغْنِيَاءِ دُخُولُ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ

(٧) الأمثال ١١ : ٢٨ ؛ متى ١٩ : ٢٣ ؛ مرقس ١٠ : ٢٣
(٨) إرميا ٣٢ : ١٧ ؛ زكريا ٨ : ٦ ؛ متى ١٩ : ٢٦ ؛ لوقا ١ : ٣٧

جَزَاءُ الَّذِينَ يَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَتْبَعُونَ السَّيِّدَ المَسِيحَ :

« هَا نَحْنُ أُولَاءِ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ[1] » .

٢٩ فَقَالَ لَهُمْ « الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ تَرَكَ بَيْتًا أَوْ زَوْجَةً أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَبَوَيْنِ أَوْ أَبْنَاءً مِنْ أَجْلِ مَلَكُوتِ اللهِ[2] ، ٣٠ إِلاَّ وَيَنَالُ فِي هَذَا الزَّمَانِ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً[3] ، وَفِي الدَّهْرِ الآتِي الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ » .

(١) متى ١٩ : ٢٧
(٢) التثنية ٣٣ : ٩

٦٥ السَّيِّدُ المَسِيحُ يَتَنَبَّأُ بِمَوْتِهِ وَقِيَامَتِهِ :

٣١ ثُمَّ انْتَحَى بِالاِثْنَيْ عَشَرَ وَقَالَ لَهُمْ « هَا نَحْنُ أُولَاءِ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ[4] وَسَيَتِمُّ كُلُّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ بِالأَنْبِيَاءِ عَنِ ابْنِ الإِنْسَانِ[5] ، ٣٢ فَإِنَّهُمْ سَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الْوَثَنِيِّينَ ، وَيَهْزَءُونَ بِهِ وَيُهِينُونَهُ وَيَبْصُقُونَ عَلَيْهِ[6] . ٣٣ وَبَعْدَ أَنْ يَجْلِدُوهُ يَقْتُلُونَهُ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ » . ٣٤ فَلَمْ يَفْهَمُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا[7] ، إِذْ كَانَ هَذَا الْقَوْلُ مَحْجُوبًا عَنْهُمْ فَلَمْ يَفْقَهُوا[7] شَيْئًا مِمَّا قَالَهُ لَهُمْ .

(٣) أيوب ٤٢ : ١٠
(٤) متى ١٦ : ٢١ ؛ ١٧ : ٢٢ ؛ ٢٠ : ١٧ و ١٨ ؛ مرقس ١٠ : ٣٢
(٥) المزمور ٢٢ ؛ إشعياء ٥٣

٦٦ مُعْجِزَةُ شِفَاءِ الأَعْمَى فِي أَرِيحَا :

٣٥ وَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ أَرِيحَا كَانَ رَجُلٌ أَعْمَى جَالِسًا فِي مَدْخَلِ الطَّرِيقِ يَسْتَعْطِي[8] . ٣٦ فَلَمَّا سَمِعَ الْجَمْعَ وَهُمْ مُجْتَازُونَ سَأَلَ : « مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هَذَا ؟ » ، ٣٧ فَأَخْبَرُوهُ بِأَنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ مُجْتَازٌ ، ٣٨ فَصَرَخَ قَائِلاً « يَا يَسُوعُ ابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِي » . ٣٩ فَانْتَهَرَهُ الَّذِينَ كَانُوا يَسِيرُونَ فِي الْمُقَدِّمَةِ لِيَسْكُتَ ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَ يَصْرُخُ أَكْثَرَ

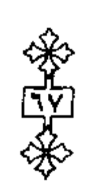
(٦) متى ٢٧ : ٢ ؛ لوقا ٢٣ : ١ ؛ يوحنا ١٨ : ٢٨ ؛ الأعمال ٣ : ١٣
(٧) مرقس ٩ : ٣٢ ؛ لوقا ٢ : ٥٠ ؛ ٩ : ٤٥ ؛ يوحنا ١٠ : ٦ ؛ ١٢ : ١٦
(٨) متى ٢٠ : ٢٩ إلخ ؛ مرقس ١٠ : ٤٦ إلخ

٤٠ فَأَكْثَرَ قائِلاً « يَابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِى » ✠ فَوَقَفَ يَسُوعُ وَأَمَرَ بِأَنْ يَأْتُوا بِهِ إِلَيْهِ . فَلَمَّا اقْتَرَبَ سَأَلَهُ
٤١ قَائِلاً : ✠ « مَاذا تُرِيدُنِى أَنْ أَفْعَلَ لَكَ ؟ » .
٤٢ فقالَ « يَا رَبُّ أَنْ أُبْصِرَ » . ✠ فَقَالَ لهُ يَسُوعُ
٤٣ « أَبْصِرْ . إِنَّ إِيمَانَكَ قدْ خَلَّصَكَ[1] » . ✠ فَأَبْصَرَ عَلَى الْفَوْرِ وَتبِعَهُ وَهُوَ يُمَجِّدُ اللهَ[2] ، وَإِذْ رَأَى الْجَمْعُ ذَلِكَ أَخَذُوا يُسَبِّحونَ اللهَ .

(١) لوقا ١٧ : ١٩
(٢) لوقا ٥ : ٢٦ ؛ الأعمال ٤ : ٢١ ؛ ١١ : ١٨



الْفَصْلُ التَّاسِعَ عَشَرَ



٦٧

إيمَانُ زَكَّا العَشَّارِ :

١ ✠ ثُمَّ دَخَلَ يَسُوعُ أَرِيحَا ، وَإِذْ كَانَ مَاشِياً
٢ فِيهَا ، ✠ إذا بِرَجُلٍ اسْمُهُ زَكَّا ، كَانَ رَئِيساً

لِلْعَشَّارِينَ[١] ، وَكَانَ غَنِيًّا . ✠ وَقَدْ تَطَلَّعَ لأَنْ ٣
يَرَى يَسُوعَ مَنْ عَسَاهُ يَكُونُ ، فلمْ يَسْتطِعْ ذلِكَ بِسَبَبِ
الزِّحَامِ ، لأَنَّهُ كان قَصِيرَ الْقَامَةِ ، ✠ فَرَكَضَ ٤
مُتَقَدِّمًا الْجَمْعَ وَتَسَلَّقَ شجَرَةَ جُمَّيْزٍ لِيَرَاهُ ، إِذْ كَانَ
مُزْمِعًا أَنْ يَمُرَّ مِنْ هُنَاكَ . ✠ فلمَّا بَلَغَ يَسُوعُ ٥
ذَلِكَ الْمَوْضِعَ رَفَعَ عَيْنَيْهِ وَرَآهُ ، فَقَالَ لَهُ « يَازَكَّا
أَسْرِعْ وَانْزِلْ ، لأَنَّنِي يَنْبَغِي أَنْ أُقِيمَ الْيَوْمَ فِي
بَيْتِكَ » . ✠ فَأَسْرَعَ وَنَزَلَ واسْتَقْبَلَهُ بِفَرَحٍ . ٦
✠ فَلَمَّا رَأَى الْجَمِيعُ ذَلِك تَذَمَّرُوا قَائِلِينَ إِنَّهُ ٧
دَخَلَ ضَيْفًا فِي بَيْتِ رَجُلٍ خاطِئٍ[٢] . ✠ أَمَّا زَكَّا ٨
فَوَقَفَ وَقَالَ لِلرَّبِّ « هَا أَنَاذَا يَارَبُّ سَأُعْطِي الفُقَرَاءَ
نِصْفَ أَمْوَالِي . وَإِنْ كُنْتُ قَدْ غَبَنْتُ[٣] أَحَدًا فِي شَيْءٍ
فَسَأَرُدُّ لَهُ أَرْبَعَةَ أَضْعَافِهِ[٤] » . ✠ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ ٩
« الْيَوْمَ قدْ صَارَ الْخَلَاصُ لِهَذا الْبَيْتِ ، إِذْ أَنَّهُ هُوَ أَيْضًا[٥]
ابْنُ إِبْرَاهِيمَ[٦] . ✠ لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ إِنَّمَا جَاءَ ١٠
لِيَسْعَى فِي طَلَبِ الَّذِي ضَاعَ وَيُخَلِّصَهُ[٧] » .

٦٨ مَثَلُ الوَزَنَاتِ :

✠ وَإِذْ سَمِعُوا هَذَا أَضَافَ إِلَيْهِ فَضَرَبَ مَثَلاً ، ١١
لأَنَّهُ كَانَ قَرِيبًا مِنْ أُورُشَلِيمَ وَكَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ
مَلَكُوتَ اللهِ سَيَظْهَرُ فِي الْحَالِ[٨] . ✠ فَقَالَ « إِنَّ ١٢
رَجُلاً مِنَ الأَشْرَافِ ذَهَبَ إِلَى بَلَدٍ بَعِيدٍ[٩] لِيَنَالَ الْمُلْكَ

(١) العشارون هم جباة العشور ، أي الضرائب .

(٢) متى ٩ : ١١ ؛ لوقا ٥ : ٣٠

(٣) لوقا ٣ : ١٤

(٤) الخروج ٢٢ : ١ ؛ ١ صموئيل ١٢ : ٣ ؛ ٢ صموئيل ١٢ : ٦

(٥) رومية ١٤ : ١١ ؛ ١٢ : ١٦ ؛ غلاطية ٣ : ٧

(٦) لوقا ١٣ : ١٦

(٧) متى ١٠ : ٦ ؛ ١٥ : ٢٤ ؛ ١٨ : ١١

(٨) الأعمال ١ : ٦

(٩) متى ٢٥ : ١٤ ؛ مرقس ١٣ : ٣٤

١٣ لِنَفْسِهِ وَيَعُودَ . ✠ فَدَعَا عَشَرَةَ خَدَمٍ لَهُ وَأَعْطَاهُمْ عَشْرَ وَزَنَاتٍ مِنَ الْفِضَّةِ[1] ، وَقَالَ لَهُمْ تَاجِرُوا
١٤ بِهَا حَتَّى أَجِيءَ . ✠ وَلَكِنَّ أَهْلَ بَلَدِهِ إِذْ كَانُوا يَكْرَهُونَهُ أَرْسَلُوا فِي إِثْرِهِ سُفَرَاءَ عَنْهُمْ يَقُولُونَ :
١٥ لَا نُرِيدُ أَنْ يَمْلِكَ هَذَا عَلَيْنَا[2] . ✠ فَلَمَّا عَادَ بَعْدَ أَنْ نَالَ الْمُلْكَ ، أَمَرَ بِاسْتِدْعَاءِ أُولَئِكَ الْعَبِيدِ الَّذِينَ أَعْطَاهُمُ الْفِضَّةَ لِيَعْرِفَ مَاذَا فَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي تِجَارَتِهِ .
١٦ ✠ فَجَاءَ الْأَوَّلُ قَائِلًا : يَا سَيِّدِي إِنَّ وَزْنَتَكَ قَدْ
١٧ رَبِحَتْ عَشْرَ وَزَنَاتٍ . ✠ فَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ ، وَإِذْ كُنْتَ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ ،
١٨ فَلْيَكُنْ لَكَ السُّلْطَانُ عَلَى عَشْرِ مُدُنٍ[3] ✠ ثُمَّ جَاءَ الثَّانِي قَائِلًا : يَا سَيِّدِي إِنَّ وَزْنَتَكَ قَدْ رَبِحَتْ خَمْسَ
١٩ وَزَنَاتٍ . ✠ فقالَ لِهَذَا كَذَلِكَ : فَلْتَكُنْ أَنْتَ
٢٠ أَيْضًا عَلَى خَمْسِ مُدُنٍ . ✠ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ قَائِلاً : هَا هِيَ ذِي وَزْنَتُكَ مَوْضُوعَةٌ عِنْدِي وَقَدْ صَرَرْتُهَا فِي مِنْدِيلٍ ،
٢١ ✠ فَإِنَّنِي خِفْتُ مِنْكَ لِأَنَّكَ رَجُلٌ قَاسٍ تَأْخُذُ
٢٢ مَا لَمْ تُودِعْ ، وَتَحْصُدُ مَا لَمْ تَزْرَعْ[4] . ✠ فَقَالَ لَهُ : مِنْ ذَاتِ فَمِكَ سَأَدِينُكَ أَيُّهَا[5] الْعَبْدُ الشِّرِّيرُ . مَادُمْتَ تَعْرِفُ أَنَّنِي رَجُلٌ قَاسٍ آخُذُ مَا لَمْ أُودِعْ ،
٢٣ وَأَحْصُدُ مَا لَمْ أَزْرَعْ . ✠ فَلِمَاذَا لَمْ تُودِعْ

(١) حزقيال ٤٢ : ١٢
(٢) يوحنا ١ : ١١
(٣) متى ٢٥ : ٢١ ؛ لوقا ١٦ : ١٠
(٤) متى ٢٥ : ٢٤
(٥) ٢صموئيل ١ : ١٦ ؛ أيوب ١٥ : ٦ ؛ متى ١٢ : ٣٧

فِضَّتِي مَائِدَةَ الصَّيَارِفَةِ[١] ، حَتَّى إِذَا جِئْتُ أَسْتَرِدُّهَا مَعَ رِبْحِهَا ؟ ✠ ثُمَّ قَالَ لِلْوَاقِفِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ : خُذُوا ٢٤ مِنْهُ الْوَزْنَةَ وَأَعْطُوهَا لِلَّذِي عِنْدَهُ الْعَشْرُ الْوَزَنَاتِ .
✠ فَقَالُوا لَهُ : يَا سَيِّدُ إِنَّ عِنْدَهُ عَشْرَ وَزَنَاتٍ . ٢٥
✠ قَالَ : إِنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ سَيُعْطَى . ٢٦ وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ ، فَحَتَّى الَّذِي عِنْدَهُ سَيُؤْخَذُ مِنْهُ[٢] .
✠ فَأَمَّا أَعْدَائِي أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ ٢٧ عَلَيْهِمْ ، فَجِيئُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَاذْبَحُوهُمْ أَمَامِي » .

٦٩ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَدْخُلُ أُورُشَلِيمَ مُنْتَصِراً :

✠ وَبَعْدَ أَنْ قَالَ يَسُوعُ هَذَا تَقَدَّمَ صَاعِداً[٣] إِلَى ٢٨ أُورُشَلِيمَ . ✠ حَتَّى إِذَا اقْتَرَبَ مِنْ بَيْتَ فَاجِي ٢٩ وَبَيْتَ عَنْيَا عِنْدَ الْجَبَلِ الْمُسَمَّى جَبَلَ الزَّيْتُونِ ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلَامِيذِهِ[٤] ، ✠ قَائِلًا « اذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ ٣٠ الَّتِي تِجَاهَكُمَا ، فَحِينَ تَدْخُلَانِهَا سَتَجِدَانِ جَحْشاً مَرْبُوطاً لَمْ يَرْكَبْهُ أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ ، فَحُلَّاهُ وَجِيئَا بِهِ ،
✠ وَإِنْ سَأَلَكُمَا أَحَدٌ لِمَاذَا تَحُلَّانِهِ ، فَقُولَا لَهُ ٣١ هَكَذَا : إِنَّ الرَّبَّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ » . ✠ فَمَضَى ٣٢ الرَّسُولَانِ فَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا . ✠ وَفِيمَا هُمَا ٣٣ يَحُلَّانِ الْجَحْشَ قَالَ لَهُمَا أَصْحَابُهُ « لِمَاذَا تَحُلَّانِ الْجَحْشَ ؟ » . ✠ فَقَالَا « إِنَّ الرَّبَّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ » . ٣٤
✠ ثُمَّ جَاءَا بِهِ إِلَى يَسُوعَ وَأَلْقَيَا ثِيَابَهُمَا عَلَى ٣٥

(١) متى ٢١ : ١٢ ؛ ٢٥ : ٢٥ و ٢٧
(٢) متى ١٣ : ١٢ ؛ ٢٥ : ٢٩ ؛ مرقس ٤ : ٢٥ ؛ لوقا ٨ : ١٨
(٣) مرقس ١٠ : ٣٢
(٤) متى ٢١ : ١ ؛ مرقس ١١ : ١

٣٦ الْجَحْشِ وَأَرْكَبَا يَسُوعَ[١] . ✠ وَفِيمَا هُوَ مَاضٍ

٣٧ بَسَطُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ[٢] . ✠ وَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ مُنْحَدَرِ جَبَلِ الزَّيْتُونِ أَخَذَ جَمِيعُ جُمْهُورِ التَّلامِيذِ يَتَهَلَّلُونَ وَيُسَبِّحُونَ اللهَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ مِنْ أَجْلِ كُلِّ أَعْمَالِ الْقُدْرَةِ

٣٨ الَّتِي شَاهَدُوهَا . ✠ قَائِلِينَ « مُبَارَكٌ الْمَلِكُ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ[٣] . السَّلامُ فِي السَّمَاءِ وَالْمَجْدُ فِي الأَعَالِي »[٤] .

٣٩ ✠ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْفَرِّيسِيِّينَ مِنْ بَيْنِ الْجَمْعِ

٤٠ « يَا مُعَلِّمُ انْتَهِرْ تَلامِيذَكَ » ✠ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ « أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ إِنْ سَكَتَ هَؤُلاَءِ صَرَخَتِ الْحِجَارَةُ »[٥] .

٤١ ✠ وَلَمَّا اقْتَرَبَ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَبَكَى عَلَيْهَا[٦]

٤٢ قَائِلًا ✠ « لَوْ أَنَّكِ أَنْتِ أَيْضاً كُنْتِ تَدْرِينَ عَلَى الأَقَلِّ فِي هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي هُوَ لَكِ مَا هُوَ لأَجْلِ سَلاَمِكِ ؟ . وَلَكِنَّهُ الآنَ مَحْجُوبٌ عَنْ عَيْنَيْكِ .

٤٣ ✠ فَإِنَّهُ سَتَأْتِي عَلَيْكِ أَيَّامٌ يُحِيطُ بِكِ فِيهَا أَعْدَاؤُكِ بِالْمَتَارِيسِ[٧] ، وَيُطَوِّقُونَكِ وَيُحَاصِرُونَكِ مِنْ

٤٤ كُلِّ جِهَةٍ ، ✠ وَيَدُكُّونَكِ وَبَنِيكِ فِيكِ[٨] ، فَلَا يَتْرُكُونَ فِيكِ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ[٩] ، لِأَنَّكِ لَمْ تَعْرِفِي زَمَانَ افْتِقَادِكِ »[١٠] .

٤٥ ✠ ثُمَّ دَخَلَ الْهَيْكَلَ وَشَرَعَ يَطْرُدُ الَّذِينَ كَانُوا

٤٦ يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ بِدَاخِلِهِ[١١] ، ✠ قَائِلاً لَهُمْ « مَكْتُوبٌ

(١) ٢-الملوك ٩ : ١٣ ؛ متى ٢١ : ٧ ؛ مرقس ١١ : ٧ ؛ يوحنا ١٢ : ١٤

(٢) متى ٢١ : ٨

(٣) المزمور ١١٨ : ٢٦ ؛ لوقا ١٣ : ٣٥

(٤) لوقا ٢ : ١٤ ؛ أفسس ٢ : ١٤

(٥) حبقوق ٢ : ١١

(٦) يوحنا ١١ : ٣٥

(٧) حرفيا « بمترسة » وهي مجموعة من المتاريس والاستحكامات الحربية . أنظر إشعياء ٢٩ : ٣ و ٤ ؛ إرميا ٦ : ٣ و ٦ ؛ لوقا ٢١ : ٢٠

(٨) ١-الملوك ٩ : ٧ و ٨ ؛ ميخا ٣ : ١٢

(٩) متى ٢٤ : ٢ ؛ مرقس ١٣ : ٢ ؛ لوقا ٢١ : ٦

(١٠) دانيال ٩ : ٢٤ ؛ لوقا ١ : ٦٨ و ٧٨ ؛ ١-بطرس ٢ : ١٢

(١١) متى ٢١ : ١٢ ؛ مرقس ١١ : ١١ و ١٥ ؛ يوحنا ٢ : ١٤ و ١٥

أَنَّ بَيْتِى هُوَ بَيْتُ الصَّلاَةِ[1] وَلكِنَّكُمْ جَعَلْتُمُوهُ وَكْرَ لُصُوصٍ »[2] .

٤٧ ✠ وَكَانَ يُعَلِّمُ كُلَّ يَوْمٍ فِى الْهَيْكَلِ فَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَكُبَرَاءُ الشَّعْبِ يَبْتَغُونَ أَنْ يُهْلِكُوهُ[3].

٤٨ ✠ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَفْعَلُوا شَيْئًا ، لأَنَّ الشَّعْبَ كُلَّهُ كَانَ مُتَعَلِّقًا بِهِ ، وَبِالاِسْتِمَاعِ إِلَيْهِ .

(١) إشعياء ٥٦ : ٧
(٢) إرميا ٧ : ١١
(٣) مرقس ١١ : ١٨؛ يوحنا ٧ : ١٩؛ ٨ : ٣٧



الْفَصْلُ العِشْرُون

٧٠ رُؤَسَاءُ اليَهُودِ يَتَصَدَّوْنَ لِلسَّيِّدِ المَسِيحِ فِى الهَيْكَلِ :

١ ✠ وَإِذْ كَانَ فِى أَحَدِ الأَيَّامِ يُعَلِّمُ الشَّعْبَ فِى الْهَيْكَلِ وَيُبَشِّرُ بِالإِنْجِيلِ ، تَصَدَّى لَهُ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ مَعَ الشُّيُوخِ

٢ ✠ وَخَاطَبُوهُ قَائِلِينَ « قُلْ لَنَا

بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هَذَا ؟ أَمْ مَنِ الَّذِى أَعْطَاكَ هَذَا السُّلْطَانَ ؟ »[١]. ٣ ✥ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ « وَأَنَا كَذٰلِكَ أَسْأَلُكُمْ قَوْلاً وَاحِدًا فَأَجِيبُونِى : ٤ ✥ أَكَانَتْ مَعْمُودِيَّةُ يُوحَنَّا مِنَ السَّمَاءِ أَمْ مِنَ النَّاسِ ؟ » ٥ ✥ فَتَدَاوَلُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِلِينَ « إِذَا قُلْنَا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ فَلِمَاذَا إِذَنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ ؟. ٦ ✥ وَإِذَا قُلْنَا مِنَ النَّاسِ يَرْجُمُنَا الشَّعْبُ كُلُّهُ لأَنَّهُمْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ يُوحَنَّا نَبِيٌّ[٢] ، ٧ ✥ فَأَجَابُوا بِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ كَانَتْ. ٨ ✥ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ « وَلَا أَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا » .

(١) متى ٢١ : ٢٣ ؛ مرقس ١١ : ٢٨ ؛ الأعمال ٤ : ٧ ؛ ٧ : ٢٧

(٢) متى ١٤ : ٥ ؛ ٢١ : ٢٦ ؛ لوقا ٧ : ٢٩

✥ [٧١] مَثَلُ رَبِّ الْكَرْمِ وَالْكَرَّامِينَ الْخَائِنِينَ : ✥

٩ ✥ ثُمَّ أَخَذَ يُخَاطِبُ الشَّعْبَ بِهَذَا الْمَثَلِ قَائِلاً « غَرَسَ رَجُلٌ كَرْمًا وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَّامِينَ ، وَرَحَلَ زَمَانًا طَوِيلاً[٣]. ١٠ ✥ وَفِى أَوَانِ الثَّمَرِ أَرْسَلَ إِلَى الْكَرَّامِينَ خَادِمًا لِيُعْطُوهُ مِنْ ثَمَرِ الْكَرْمِ ، وَلَكِنَّ الْكَرَّامِينَ ضَرَبُوهُ وَصَرَفُوهُ فَارِغَ الْيَدَيْنِ . ١١ ✥ فَعَادَ وَأَرْسَلَ خَادِمًا آخَرَ فَضَرَبُوهُ أَيْضاً وَأَهَانُوهُ وَصَرَفُوهُ فَارِغَ الْيَدَيْنِ . ١٢ ✥ ثُمَّ عَادَ فَأَرْسَلَ ثَالِثًا ، فَطَرَحُوا هَذَا أَيْضًا فِى الْخَارِجِ جَرِيحًا . ١٣ ✥ وَمِنْ ثَمَّ قَالَ رَبُّ الْكَرْمِ : مَاذَا أَفْعَلُ ؟ أُرْسِلُ ابْنِى الْحَبِيبَ لَعَلَّهُمْ إِذَا رَأَوْهُ يَهَابُونَهُ » . ١٤ ✥ وَلَكِنَّ الْكَرَّامِينَ حِينَ

(٣) متى ٢١ : ٣٣ ؛ مرقس ١٢ : ١

رَأَوْهُ تَآمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِلِينَ « هُوَذَا الْوَارِثُ . هَلُمَّ نَقْتُلْهُ فَيَصِيرَ الْمِيرَاثُ لَنَا » . ✠ ١٥ وَمِنْ ثَمَّ طَرَحُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ وَقَتَلُوهُ ، فَمَاذَا يَفْعَلُ بِهِمْ رَبُّ الْكَرْمِ ؟ ✠ ١٦ إِنَّهُ يَأْتِي فَيُهْلِكُ أُولَئِكَ الْكَرَّامِينَ وَيُعْطِي الْكَرْمَ لِآخَرِينَ » . فَلَمَّا سَمِعُوا قَالُوا « مَعَاذَ اللهِ »[1] . ✠ ١٧ فَنَظَرَ إِلَيْهِم وَقَالَ « فَمَا هُوَ ذَلِكَ الْمَكْتُوبُ : إِنَّ الْحَجَرَ الَّذِى نَبَذَهُ الْبَنَّاءُونَ هُوَ الَّذِى أَصْبَحَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ[2] ✠ ١٨ وَكُلُّ مَنْ سَقَطَ عَلَى هَذَا الْحَجَرِ تَهَشَّمَ . أَمَّا مَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَسْحَقُهُ[3] » ✠ ١٩ فَهَمَّ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِأَنْ يَقْبِضُوا عَلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُمْ خَافُوا مِنَ الشَّعْبِ ، إِذْ أَدْرَكُوا أَنَّهُ قَالَ هَذَا الْمَثَلَ عَلَيْهِمْ .

✠ ٧٢ أعطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا للهِ للهِ : ✠

✠ ٢٠ ثُمَّ رَاحُوا يُرَاقِبُونَهُ ، وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ جَوَاسِيسَ يَتَظَاهَرُونَ بِأَنَّهُمْ أَبْرَارٌ لِكَيْ يَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ فَيُسَلِّمُوهُ إِلَى حُكْمِ الْوَالِي[4] وَسُلْطَانِهِ . ✠ ٢١ فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ « يَا مُعَلِّمُ نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ بِالِاسْتِقَامَةِ تَتَكَلَّمُ وَتُعَلِّمُ وَلَا تُحَابِي وَجْهَ إِنْسَانٍ ، وَإِنَّمَا تُعَلِّمُ طَرِيقَ اللهِ بِالْحَقِّ . ✠ ٢٢ أَيَحِلُّ لَنَا أَنْ نُعْطِيَ جِزْيَةً لِقَيْصَرَ أَمْ لَا يَحِلُّ ؟ » . ✠ ٢٣ بَيْدَ أَنَّهُ فَطَنَ لِخُبْثِهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ ✠ ٢٤ « لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي ؟ أَرُونِي

(١) أى « نعوذ بالله مما تقول »

(٢) المزمور ١١٨ : ٢٢ ؛ متى ٢١ : ٤٢ ؛ مرقس ١٢ : ١٠

(٣) دانيال ٢ : ٣٤ و ٣٥ ؛ متى ٢١ : ٤٤

(٤) متى ٢٢ : ١٥ إلخ ؛ مرقس ١٢ : ١٣ إلخ

دِينَارًا » . فَأَرَوْهُ .فَقَالَ لَهُمْ « لِمَنْ هَذِهِ الصُّورَةُ الَّتِي عَلَيْهِ ، وَهَذِهِ الْكِتَابَةُ ؟ » . فَأَجَابُوا وَقَالُوا « إِنَّهُمَا لِقَيْصَرَ » .

٢٥ فَقَالَ لَهُم « أَعْطُوا إِذَنْ مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ » .

٢٦ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَأْخُذُوا عَلَيْهِ كَلِمَةً أَمَامَ الشَّعْبِ ، وَتَعَجَّبُوا مِنْ إِجَابَتِهِ وَصَمَتُوا.

لَيْسَ اللهُ إِلَهَ أَمْوَاتٍ وَإِنَّمَا هُوَ إِلَهُ أَحْيَاءٍ :

٢٧ ثُمَّ جَاءَ إِلَيْهِ قَوْمٌ مِنَ الصَّدُّوقِيِّينَ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الْقِيَامَةَ[1] وَسَأَلُوهُ

٢٨ قَائِلِينَ « يَا مُعَلِّمُ قَدْ كَتَبَ لَنَا مُوسَى[2] أَنَّه إِنْ مَاتَ رَجُلٌ مُتَزَوِّجٌ بِغَيْرِ وَلَدٍ ، فَلْيَأْخُذْ أَخُوهُ زَوْجَتَهُ لِتُقِيمَ نَسْلًا لأَخِيهِ .

٢٩ وَقَدْ كَانَ ثَمَّةَ سَبْعَةُ إِخْوَةٍ ، فَتَزَوَّجَ الأَوَّلُ ثُمَّ مَاتَ بِغَيْرِ وَلَدٍ ،

٣٠ فَتَزَوَّجَهَا الثَّانِي ، ثُمَّ مَاتَ بِغَيْرِ وَلَدٍ ،

٣١ فَتَزَوَّجَهَا الثَّالِثُ. وَهَكَذَا السَّبْعَةُ وَلَمْ يُخَلِّفُوا نَسْلاً وَمَاتُوا .

٣٢ ثُمَّ آخِرَ الْكُلِّ مَاتَتِ الزَّوْجَةُ أَيْضًا .

٣٣ فَفِي الْقِيَامَةِ لِمَنْ مِنْهُمْ تَكُونُ زَوْجَةً ، لأَنَّ السَّبْعَةَ قَدْ تَزَوَّجُوهَا ؟ »

٣٤ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ « إِنَّ أَبْنَاءَ هَذَا الدَّهْرِ يَتَزَوَّجُونَ وَيَتَزَوَّجْنَ .

٣٥ أَمَّا الَّذِينَ اسْتَحَقُّوا أَنْ يَنْعَمُوا بِالدَّهْرِ الآتِي وَبِالْقِيَامَةِ مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاتِ ، فَلاَ الرِّجَالُ يَتَزَوَّجُونَ وَلاَ النِّسَاءُ يَتَزَوَّجْنَ .

٣٦ ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَمُوتُوا ثَانِيَةً . لِأَنَّهُمْ مُسَاوُونَ

(١) متى ٢٢: ٢٣؛ مرقس ١٢ : ١٨ ؛ الأعمال ٢٣: ٦ و ٨

(٢) التثنية ٢٥: ٥

لِلْمَلاَئِكَةِ[١] ، وَهُمْ أَبْنَاءُ اللهِ ، لِكَوْنِهِمْ أَبْنَاءَ الْقِيَامَةِ[٢] .

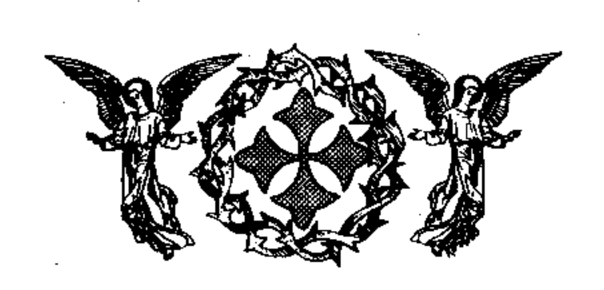
٣٧ ✠ أَمَّا أَنَّ الْمَوْتَى يَقُومُونَ فَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ مُوسَى فِي كَلاَمِهِ عَنِ الْعُلَّيْقَةِ[٣] ، إِذْ يَقُولُ إِنَّ الرَّبَّ هُوَ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ . ٣٨ ✠ فَاللهُ لَيْسَ إِلَهَ أَمْوَاتٍ وَإِنَّمَا هُوَ إِلَهُ أَحْيَاءٍ ، لأَنَّ الْجَمِيعَ لَدَيْهِ أَحْيَاءٌ »[٤]. ٣٩ ✠ فَأَجَابَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ قَائِلِينَ « يَا مُعَلِّمُ حَسَنًا قُلْتَ » . ٤٠ ✠ وَلَمْ يَجْرُؤُوا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَسْأَلُوهُ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ .

✠ ٧٣ ✠ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ هُوَ ابْنُ دَاوُدَ وَرَبُّهُ :

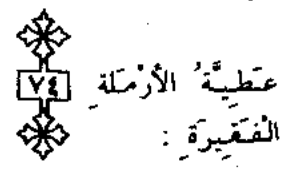
٤١ ✠ أَمَّا هُوَ فَقَالَ لَهُمْ « كَيْفَ تَقُولُونَ إِنَّ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ دَاوُدَ[٥] ، ٤٢ ✠ فِي حِينَ أَنَّ دَاوُدَ نَفْسَهُ يَقُولُ فِي سِفْرِ الْمَزَامِيرِ[٦] : قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي ٤٣ ✠ حَتَّى أَجْعَلَ أَعْدَاءَكَ تَحْتَ قَدَمَيْكَ . ٤٤ ✠ فَدَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبَّهُ فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ ؟ » .

٤٥ ✠ ثُمَّ قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ[٧] عَلَى مَسْمَعٍ مِنْ كُلِّ الشَّعْبِ ٤٦ ✠ « احْذَرُوا مِنَ الْكَتَبَةِ الَّذِينَ يَشْتَهُونَ الْمَشْيَ بِالْحُلَلِ الضَّافِيَةِ وَيُحِبُّونَ التَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ وَالْمَجَالِسَ الْعُلْيَا فِي الْمَجَامِعِ وَالْمَقَاعِدَ الأُولَى فِي الْوَلاَئِمِ[٨] ، ٤٧ ✠ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ بِزَعْمِ أَنَّهُمْ يُطِيلُونَ صَلَوَاتِهِمْ . لِذَلِكَ سَيَنَالُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ[٩] .

(١) ١ كورنثوس ١٥ : ٤٢ و٤٩ و٥٢ ؛ ١ يوحنا ٣ : ٢
(٢) رومية ٨ : ٢٣
(٣) الخروج ٣ : ٦
(٤) رومية ١٤ : ٨ و٩
(٥) متى ٢٢ : ٤٢ ؛ مرقس ١٢ : ٣٥
(٦) المزمور ١١٠ : ١ ؛ الأعمال ٢ : ٣٤
(٧) متى ٢٣ : ١ ؛ مرقس ١٢ : ٣٨
(٨) متى ٢٣ : ٦ ؛ لوقا ١١ : ٤٣
(٩) متى ٢٣ : ١٤



الْفَصْلُ الْحَادِى وَالعِشْرُونَ



٧٤ عَطِيَّةُ الأَرْمَلَةِ الفَقِيرَةِ :

١ ✠ وَتَطَلَّعَ يَسُوعُ فَرَأَى الأَغْنِيَاء يُلْقُونَ عَطَايَاهُمْ فِي الْخِزَانَةِ[١]. ٢ ✠ ثُمَّ رَأَى أَرْمَلَةً فَقِيرَةً أَلْقَتْ فِيهَا فَلْسَيْنِ[٢] ٣ ✠ فَقَالَ «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هَذِهِ الأَرْمَلَةَ الْفَقِيرَةَ قَدْ أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنَ الْجَمِيعِ[٣] ٤ ✠ لأَنَّ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ أَلْقَوْا عَطَايَا لِلّٰهِ مِمَّا فَضُلَ عَنْهُمْ ، وَأَمَّا هِيَ فَمِنْ عَوَزِهَا أَلْقَتْ كُلَّ مَا تَمْلِكُ»

٧٥ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَتَنَبَّأُ بِخَرَابِ الْهَيْكَلِ وَأُورشَلِيمَ وَبِيَوْمِ الْقِيَامَةِ :

٥ ✠ وَتَحَدَّثَ الْبَعْضُ عَنِ الْهَيْكَلِ وَعَمَّا ازْدَانَ بِهِ مِنَ الأَحْجَارِ الضَّخْمَةِ وَتُحَفِ[٤] النُّذُورِ ، فَقَالَ ٦ ✠ «هَذِهِ الَّتِي تَرَوْنَهَا سَتَأْتِي أَيَّامٌ لَنْ يُتْرَكَ مِنْهَا

(١) مرقس ١٢ : ٤١

(٢) مرقس ١٢ : ٤٢ والفلسان يساويان مليماً واحداً

(٣) ٢. كورنثوس ٨ : ١٢

(٤) متى ٢٤ : ٤١ مرقس ١٣ : ١

حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ إِلَّا يُهْدَمُ[١] » . ✠ فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ ٧
« مَتَى يَحْدُثُ هَذَا يَا مُعَلِّمُ ، وَمَا هِيَ الْعَلَامَةُ الَّتِي سَتُنْبِئُ
بِهَذَا حِينَ يُوشِكُ أَنْ يَحْدُثَ ؟ » . ✠ فَقَالَ ٨
« احْذَرُوا مِنْ أَنْ يُضِلَّكُمْ أَحَدٌ . فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ
بِاسْمِي قَائِلِينَ : إِنِّي أَنَا هُوَ الْمَسِيحُ[٢] ، وَإِنَّ الْوَقْتَ قَدِ
اقْتَرَبَ[٣] ، فَلَا تَذْهَبُوا وَرَاءَهُمْ . ✠ وَإِنْ سَمِعْتُمْ ٩
بِحُرُوبٍ وَاضْطِرَابَاتٍ ، فَلَا تَجْزَعُوا لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ
يَحْدُثَ هَذَا أَوَّلاً ، وَلَكِنَّ النِّهَايَةَ لَنْ تَعْقُبَ ذَلِكَ
فَوْرًا » . ✠ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ « سَتَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ ، ١٠
وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ[٤] ، ✠ وَتَقَعُ زَلَازِلُ عَنِيفَةٌ ١١
فِي أَمَاكِنَ شَتَّى ، وَتَحْدُثُ مَجَاعَاتٌ وَأَوْبِئَةٌ ، وَتَظْهَرُ
فِي السَّمَاءِ مَنَاظِرُ مُرْعِبَةٌ وَعَلَامَاتٌ مَهُولَةٌ . ✠ بَيْدَ ١٢
أَنَّهُ قَبْلَ أَنْ يَحْدُثَ ذَلِكَ كُلُّهُ ، سَيَقْبِضُونَ عَلَيْكُمْ[٥]
وَيَضْطَهِدُونَكُمْ وَيُقَدِّمُونَكُمْ إِلَى الْمَجَامِعِ وَيُلْقُونَ بِكُمْ
فِي السُّجُونِ[٦] وَيَسُوقُونَكُمْ إِلَى الْمُلُوكِ وَالْوُلَاةِ مِنْ أَجْلِ
اسْمِي[٧] ، ✠ فَيَئُولُ ذَلِكَ إِلَى ظَفَرِكُمْ بِالشَّهَادَةِ[٨] . ١٣
✠ فَوَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى أَلَّا يُسَاوِرَكُمُ الْهَمُّ بِشَأْنِ ١٤
مَا عَسَاكُمْ أَنْ تُجِيبُوا بِهِ[٩] ، ✠ لِأَنَّنِي سَأُعْطِيكُمْ ١٥
طَلَاقَةَ فَمٍ وَحِكْمَةً ، لَنْ يَسْتَطِيعَ كُلُّ خُصُومِكُمْ أَنْ
يُقَاوِمُوهَا أَوْ يُنَاقِضُوهَا[١٠] . ✠ وَسَيَخُونُكُمْ آبَاؤُكُمْ ١٦

(١) لوقا ١٩ : ٤٤

(٢) متى ٢٤ : ٤ ؛ مرقس ١٣ : ٥ ؛ أفسوس ٥ : ٦ ؛ ٢. تسالونيكي ٢ : ٣ والعبارة حرفياً « إني أنا هو » .

(٣) متى ٣ : ٢ ؛ ٤ : ١٧

(٤) متى ٢٤ : ٧

(٥) مرقس ١٣ : ٩ ؛ الرؤيا ٢٥ : ١٠

(٦) الأعمال ٤ : ٣ ؛ ٥ : ١٨ ؛ ١٢ : ٤ ؛ ١٦ : ٢٤

(٧) الأعمال ٢٥ : ٢٣ ؛ ١. بطرس ٢ : ١٣

(٨) فيلبي ١ : ٢٨ ؛ ٢. تسالونيكي ١ : ٥

(٩) متى ١٠ : ١٩ ؛ مرقس ١٣ : ١١ ؛ لوقا ١٢ : ١١

(١٠) الأعمال ٦ : ١٠

وَإِخْوَتُكُمْ وَأَقَارِبُكُمْ وَأَصْدِقَاؤُكُمْ[١] ، وَيَقْتُلُونَ أُنَاساً

١٧ مِنْكُمْ[٢] ، ✠ وَتَكُونُونَ مَكْرُوهِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ

١٨ أَجْلِ اسْمِي[٣] . ✠ بَيْدَ أَنَّ شَعْرَةً وَاحِدَةً مِن

١٩ رُؤُوسِكُمْ لَنْ تَهْلِكَ . ✠ فَبِثَبَاتِكُمْ تَكْسَبُونَ

٢٠ أَنْفُسَكُمْ . ✠ وَمَتَى رَأَيْتُمْ أُورُشَلِيمَ قَدْ أَحَاطَتْ

٢١ بِهَا الْجُيوشُ فَاعْلَموا أَنَّ خَرَابَهَا قَرِيبٌ[٤] ✠ وَعِنْدَئِذٍ

فَلْيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلى الْجِبَالِ ، وَالَّذِينَ فِي

دَاخِلِهَا فَلْيُبَارِحُوها ، وَالَّذِينَ فِي الرِّيفِ خَارِجَهَا فَلَا

٢٢ يَدْخُلُوهَا ✠ لِأَنَّ هَذِهِ سَتَكُونُ أَيَّامَ انْتِقَامٍ[٥] لِيَتِمَّ

٢٣ كُلُّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ[٦] . ✠ وَالْوَيْلُ لِلْحَبَالَى

وَالْمُرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ، فَإِنَّه سَيَكُونُ ضِيقٌ عَظِيمٌ

فِي الْأَرْضِ ، وَسُخْطٌ عَلَى هَذَا الشَّعْبِ[٧] .

٢٤ ✠ وَسَيَسْقُطُونَ بِحَدِّ السَّيْفِ وَيُؤْخَذُونَ أَسْرَى إِلى

كُلِّ الْأُمَمِ ، وَتَكُونُ أُورُشَلِيمُ مَدُوسَةً مِنَ الْأُمَمِ إِلى أَنْ

٢٥ تَنْقَضِيَ أَزْمِنَةُ الْأُمَمِ[٨] . ✠ وَسَتَكُونُ ثَمَّةَ عَلَامَاتٌ

فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ[٩] ، وَيَكُونُ عَلَى الْأَرْضِ كَرْبٌ

لِلشُّعُوبِ وَبَلْبَلَةٌ ، وَيَضِجُّ الْبَحْرُ وَتَزْأَرُ الْأَمْوَاجُ .

٢٦ ✠ وَيُغْشَى عَلَى النَّاسِ مِنَ الرُّعْبِ وَمِنْ تَوَقُّعِ

مَا قَدْ يَنْزِلُ بِالْعَالَمِ . لأَنَّ قُوَّاتِ السَّماوَاتِ تَتَزَعْزَعُ[١٠] .

٢٧ ✠ وَعِنْدَئِذٍ سَيَرَوْنَ ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِياً فِي السَّحَابِ

(١) ميخا ٧ : ٦ ؛ مرقس ١٣ : ١٢

(٢) الأعمال ٧ : ٥٩ ؛ ١٢ : ٢

(٣) متى ١٠ : ٢٢

(٤) متى ٢٤ : ١٥ ؛ مرقس ١٣ : ١٤

(٥) لوقا ١٨ : ٧ و ٨

(٦) دانيال ٩ : ٢٦ و ٢٧ ؛ زكريا ١١ : ٦ ؛ ١٤ : ١ و ٢

(٧) متى ٢٤ : ١٩

(٨) دانيال ٩ : ٢٧ ؛ ١٢ : ٧ ؛ رومية ١١ : ٢٥

(٩) متى ٢٤ : ٢٩ ؛ مرقس ١٣ : ٢٤ ؛ ٢ . بطرس ٣ : ١٠ و ١٢

(١٠) متى ٢٤ : ٢٩

٢٨ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ عَظِيمٍ[١]. ✠ فَمَتَى بَدَأَ هَذَا يَحْدُثُ ، فَتَطَلَّعُوا إِلى الأَعَالِي رَافِعِينَ رُؤُوسَكُمْ ، لِأَنَّهُ عِنْدَئِذٍ يَكُونُ خَلاصُكُمْ قَدِ اقْتَرَبَ[٢] ». ✠ ٢٩ وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً قَائِلاً « تَأَمَّلُوا شَجَرَةَ التِّينِ وَسَائِرَ الأَشْجَارِ[٣] ، ✠ ٣٠ فَإِنَّهَا مَتَى أَوْرَقَتْ تُدْرِكُوا مِنْ أَنْفُسِكُمْ إِذْ تَرَوْنَهَا أَنَّ الصَّيْفَ قَدِ اقْتَرَبَ . ✠ ٣١ هَكَذَا أَيْضاً مَتَى رَأَيْتُمْ هَذِهِ الأُمُورَ تَحْدُثُ ، فَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ قَرِيبٌ .

✠ ٣٢ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَنْ يَمْضِيَ هَذَا الْجِيلُ ، حَتَّى يَحْدُثَ كُلُّ هَذَا. ✠ ٣٣ تزُولُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ ، أَمَّا كَلامِي فَلاَ يَزُولُ[٤]. ✠ ٣٤ فَانْتَبِهُوا لِأَنْفُسِكُمْ لِئَلاَّ تَصِيرَ قُلُوبُكُمْ مُثْقَلَةً بِالتُّخْمَةِ وَالسُّكْرِ وَالانْغِمَاسِ فِي الْمَشَاغِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، فَيُفَاجِئَكُمْ ذَلِكَ الْيَوْمُ بَغْتَةً[٥]. ✠ ٣٥ لِأَنَّهُ سَيُطْبِقُ كَالْفَخِّ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الأَرْضِ كُلِّهَا[٦]. ✠ ٣٦ فَاسْهَرُوا[٧] إِذَنْ ، مُوَاظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ فِي كُلِّ حِينٍ[٨] ، كَيْ تَصِيرُوا أَهْلاً لِلنَّجَاةِ مِنْ كُلِّ هَذَا الْمُزْمِعِ أَنْ يَكُونَ ، وَلِأَنْ تَقِفُوا بَيْنَ يَدَيِ ابْنِ الإِنْسَانِ[٩] »

[٧٦]

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُعَلِّمُ فِي الهيكل :

✠ ٣٧ وَكَانَ يَسُوعُ بِالنَّهَارِ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ[١٠] ، وَبِاللَّيْلِ يَخْرُجُ وَيَبِيتُ فِي الْجَبَلِ الْمُسَمَّى جَبَلَ الزَّيْتُونِ[١١] ✠ ٣٨ وَكَانَ كُلُّ الشَّعْبِ يُبَكِّرُونَ إِلَيْهِ فِي الْهَيْكَلِ ، لِيَسْتَمِعُوا إِلَيْهِ .

(١) متى ٢٤ : ٣٠ ؛ الرؤيا ١ : ٧ ؛ ١٤ : ١٤
(٢) رومية ٨ : ١٩ و ٢٣
(٣) متى ٢٤ : ٣٢ ؛ مرقس ١٣ : ٢٨
(٤) متى ٢٤ : ٣٥
(٥) رومية ١٣ : ١٣ ؛ ١ . تسالونيكي ٥ : ٦ ؛ ١ . بطرس ٤ : ٧
(٦) ١ . تسالونيكي ٥ : ٢ ؛ ٢ . بطرس ٣ : ١٠ ؛ الرؤيا ٣ : ٣ ؛ ١٦ : ١٥
(٧) متى ٢٤ : ٤٤ ؛ ٢٥ : ١٣ ؛ مرقس ١٣ : ٣٣
(٨) لوقا ١٨ : ١
(٩) المزمور ١ : ٥ ؛ أفسس ٦ : ١٣
(١٠) يوحنا ٨ : ١ و ٢
(١١) لوقا ٢٢ : ٣٩



الْفَصْلُ الثَّانِي وَالعِشْرُون

(١) متى ٢٦ : ٢ ؛ مرقس ١٤ : ١

(٢) المزمور ٢ : ٢ ؛ يوحنا ١١ : ٤٧ ؛ الأعمال ٤ : ٢٧

(٣) متى ٢٦ : ١٤ ؛ مرقس ١٤ : ١٠ ؛ يوحنا ١٣ : ٢ و٢٧

(٤) الأعمال ٤ : ١

(٥) زكريا ١١ : ١٢

٧٧ رُؤَسَاءُ الْيَهُودِ يَتَآمَرُونَ عَلَى السَّيِّدِ الْمَسِيحِ لِيَقْتُلُوهُ :

١ ✠ وَاقْتَرَبَ مَوْعِدُ عِيدِ الْفَطِيرِ الْمُسَمَّى الْفِصْحَ[١] .
٢ ✠ وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ يَبْحَثُونَ كَيْفَ يَقْتُلُونَهُ[٢] ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا خَائِفِينَ مِنَ الشَّعْبِ .

يَهُوذَا الأَسْخَرْيُوطِي يَخُونُ مُعَلِّمَهُ :

٣ ✠ وَإِذْ دَخَلَ الشَّيْطَانُ قَلْبَ يَهُوذَا الْمُلَقَّبِ بِالأَسْخَرْيُوطِيِّ ، وَهُوَ أَحَدُ الاثْنَيْ عَشَرَ[٣] ، ٤ ✠ مَضَى وَتَحَدَّثَ مَعَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقُوَّادِ الْجُنْدِ[٤] بِشَأْنِ الْوَسِيلَةِ الَّتِي بِهَا يُسَلِّمُهُ إِلَيْهِمْ ، ٥ ✠ فَفَرِحُوا وَاتَّفَقُوا مَعَهُ عَلَى أَنْ يُعْطُوهُ فِضَّةً[٥] ، ٦ ✠ فَوَاعَدَهُمْ ، وَأَخَذَ يَتَرَقَّبُ فُرْصَةً لِيُسَلِّمَهُ إِلَيْهِمْ بَعِيداً عَنْ أَعْيُنِ الشَّعْبِ .

٧٨ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَحْتَفِلُ بالْفِصْحِ مَعَ تَلَامِيذِهِ :

٧ ثُمَّ جَاءَ يَوْمُ الْفَطِيرِ الَّذِى كَانَ يَنْبَغِى أَنْ يُذْبَحَ فِيهِ الْفِصْحُ[١] ، ٨ فَأَرْسَلَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا قَائِلاً « اذْهَبَا وَأَعِدَّا لَنَا الْفِصْحَ لِنَأْكُلَهُ » ٩ فَقَالاَ لَهُ « أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ نُعِدَّهُ ؟ » . ١٠ قَالَ لَهُمَا « مَتَى دَخَلْتُمَا الْمَدِينَةَ فَسَيَلْقَاكُمَا رَجُلٌ يَحْمِلُ جَرَّةَ مَاءٍ فَاتْبَعَاهُ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِى يَدْخُلُهُ ، ١١ وَقُولَا لِرَبِّ الْبَيْتِ : يَقُولُ لَكَ الْمُعَلِّمُ أَيْنَ الْقَاعَةُ الَّتِى فِيهَا سَآكُلُ الْفِصْحَ مَعَ تَلَامِيذِى ؟ ١٢ وَلَسَوفَ يُرِيكُمَا قَاعَةً عُلْيَا مُؤَثَّثَةً ، فَأَعِدَّاهُ هُنَاكَ » . ١٣ فَانْطَلَقَا وَوَجَدَا كَمَا ذَكَرَ لَهُمَا ، فَأَعَدَّا الْفِصْحَ .

١٤ وَلَمَّا حَانَ الْوَقْتُ جَلَسَ إِلَى الْمَائِدَةِ مَعَ الاِثْنَيْ عَشَرَ[٢] ، ١٥ وَقَالَ لَهُمْ « شَهْوَةً اشْتَهَيْتُ أَنْ آكُلَ فِصْحِى هَذَا مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ أَتَأَلَّمَ ، ١٦ لأَنِّى أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى لَنْ آكُلَهُ بَعْدَ الآنَ حَتَّى يَتِمَّ فِى مَلَكُوتِ اللهِ[٣] . ١٧ ثُمَّ تَنَاوَلَ كَأْساً ، وَشَكَرَ ، وَقَالَ « خُذُوا هَذِهِ اقْتَسِمُوهَا بَيْنَكُمْ ، ١٨ فَإِنِّى أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى لَنْ أَشْرَبَ مِنْ عَصِيرِ الْكَرْمَةِ بَعْدَ الآنَ حَتَّى يَأْتِىَ مَلَكُوتُ اللهِ »[٤] .

الْعَشَاءُ الرَّبَّانِيُّ :

١٩ وَأَخَذَ خُبْزًا وَشَكَرَ ، وَقَسَّمَهُ وَنَاوَلَهُمْ ، قَائِلًا

(١) متى ٢٦ : ١٧ ؛ مرقس ١٤ : ١٢
(٢) متى ٢٦ : ٢٠ ؛ مرقس ١٤ : ١٧
(٣) لوقا ١٤ : ١٥ ؛ الأعمال ١٠ : ٤١ ؛ الرؤيا ١٩ : ٩
(٤) متى ٢٦ : ٢٩ ؛ مرقس ١٤ : ٢٥

«هَذَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي يُبْذَلُ عَنْكُمْ[١] . اِصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي[٢].

٢٠ ✠ وَكَذَلِكَ نَاوَلَهُمُ الْكَأْسَ بَعْدَ الْعَشَاءِ قَائِلاً «هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ[٣].

٢١ ✠ إِلاَّ أَنَّ يَدَ الَّذِي سَيُسَلِّمُنِي هَا هِيَ ذِي مَعِي عَلَى الْمَائِدَةِ[٤].

٢٢ ✠ إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ[٥] ، وَلَكِنِ الْوَيْلُ لِذَلِكَ الَّذِي يُسَلِّمُهُ »

٢٣ ✠ فَأَخَذُوا يَتَسَاءَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ : مَنْ مِنْهُمُ الَّذِي سَيَفْعَلُ ذَلِكَ[٦]؟

الْعَظَمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ : [٧٩]

٢٤ ✠ كَمَا حَدَثَ بَيْنَهُمْ نِزَاعٌ فِيمَنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعَدَّ الأَعْظَمَ فِيهِمْ[٧].

٢٥ ✠ فَقَالَ لَهُمْ « إِنَّ مُلُوكَ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ[٨] ، وَالْمُتَسَلِّطِينَ عَلَيهِمْ يُحْسَبُونَ ذَوِي الْفَضْلِ فِيهِمْ.

٢٦ ✠ أَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَكَذَا فِيمَا بَيْنَكُمْ[٩] ، وَإِنَّمَا الأَعْظَمُ فِيكُمْ فَلْيَكُنْ كَالأَصْغَرِ[١٠] ، وَالرَّئِيسُ كَالَّذِي يَخْدُمُ .

٢٧ ✠ لأَنَّهُ مَنْ هُوَ الأَعْظَمُ : أَهُوَ الَّذِي يَجْلِسُ إِلَى الْمَائِدَةِ أَمِ الَّذِي يَخْدُمُ[١١] ؟ أَلَيْسَ الَّذِي يَجْلِسُ إِلَى الْمَائِدَةِ ؟ وَلَكِنَّنِي بَيْنَكُمْ كَالَّذِي يَخْدُمُ[١٢] .

٢٨ ✠ أَنْتُمُ الَّذِينَ ثَبَتُّمْ مَعِي فِي تَجَارِبِي[١٣] .

٢٩ ✠ قَدْ عَيَّنْتُ لَكُمْ مَلَكُوتًا[١٤] ، كَمَا أَنَّ أَبِي عَيَّنَ لِي مَلَكُوتًا ،

٣٠ ✠ لِتَأْكُلُوا وَتَشْرَبُوا عَلَى مَائِدَتِي فِي مَلَكُوتِي[١٥] ،

(١) متى ٢٦ : ٢٦ ؛ مرقس ١٤ : ٢٢
(٢) ١ . كورنثوس ١١ : ٢٣ – ٢٥
(٣) ١ . كورنثوس ١٠ : ١٦
(٤) المزمور ٤١ : ٩ ؛ متى ٢٦ : ٢١ ؛ مرقس ١٤ : ١٨ ؛ يوحنا ١٣ : ٢١ و ٢٦
(٥) متى ٢٦ : ٢٤ ؛ الأعمال ٢ : ٢٣
(٦) متى ٢٦ : ٢٢ ؛ يوحنا ١٣ : ٢٢ و ٢٥
(٧) مرقس ٩ : ٣٤ ؛ لوقا ٩ : ٤٦
(٨) متى ٢٠ : ٢٥ ؛ مرقس ١٠ : ٤٢
(٩) ١ . بطرس ٥ : ٣
(١٠) لوقا ٩ : ٤٨
(١١) لوقا ١٢ : ٣٧
(١٢) متى ٢٠ : ٢٨ ؛ يوحنا ١٣ : ١٣ – ١٧ ؛ فيليبي ٢ : ٧
(١٣) العبرانيين ٤ : ١٥
(١٤) لوقا ١٢ : ٣٢ ؛ ٢ . كورنثوس ١ : ٧ ؛ ٢ . تيموثاوس ٢ : ١٢
(١٥) متى ٨ : ١١ ؛ لوقا ١٤ : ١٥ ؛ الرؤيا ١٩ : ٩

وَتَجْلِسُوا عَلَى عُرُوشٍ لِتَدِينُوا أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَىْ عَشَرَ »[1] .

٣١ ✥ ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ « سِمْعَانُ سِمْعَانُ هُوَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ سَعَى جَاهِدًا لأَنْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ[2] ٣٢ ✥ وَلَكِنَّنِي دَعَوْتُ لَكَ أَلاَّ يَفْنَى إِيمَانُكَ[3] . فَمَتَى اهْتَدَيْتَ[4] فَشَجِّعْ[5] إِخْوَتَكَ[6] » .

٣٣ ✥ فَقَالَ لَهُ « يَا رَبُّ إِنَّنِي مُسْتَعِدٌّ أَنْ أَمْضِيَ مَعَكَ وَلَوْ إِلَى السِّجْنِ وَإِلَى الْمَوْتِ » . ٣٤ ✥ فَقَالَ « أَقُولُ لَكَ يَابُطْرُسُ إِنَّهُ لَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ الْيَوْمَ حَتَّى تَكُونَ قَدْ أَنْكَرْتَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَعْرِفُنِي[7] . أَقُولُ ذَلِكَ لِتَعْلَمَ » . ٣٥ ✥ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ « عِنْدَمَا أَرْسَلْتُكُمْ[8] بِغَيْرِ كِيسٍ وَلاَ حَقِيبَةِ زَادٍ وَلاَ حِذَاءٍ ، هَلْ أَعْوَزَكُمْ شَيْءٌ ؟ » . قَالُوا « لاَ » . ٣٦ ✥ فَقَالَ لَهُمْ « أَمَّا الآنَ ، فَمَنْ مِنْكُمْ لَهُ كِيسٌ فَلْيَحْمِلْهُ ، وَكَذَلِكَ حَقِيبَةُ زَادِهِ ، وَمَنْ مِنْكُمْ لَيْسَ لَدَيْهِ سَيْفٌ ، فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَلْيَشْتَرِ سَيْفًا[9] . ٣٧ ✥ لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ فِيَّ هَذَا الْمَكْتُوبُ : قَدْ أُحْصِيَ مَعَ الأَثَمَةِ[10] . لأَنَّ كُلَّ مَا يَخْتَصُّ بِي لاَ بُدَّ أَنْ يَتِمَّ » ٣٨ ✥ فَقَالُوا « يَا رَبُّ ، هُوَذَا هُنَا سَيْفَانِ » . قَالَ لَهُمْ « كَفَاكُمْ »[11] .

٣٩ ✥ ثُمَّ خَرَجَ وَمَضَى كَعَادَتِهِ إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ .

٨٠

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَتَنَبَّأُ بِإِنْكَارِ بُطْرُسَ لَهُ :

(١) المزمور ٤٩ : ١٤ ؛ متى ١٩ : ٢٨ ؛ ١ . كورنثوس ٦ : ٢ ؛ الرؤيا ٣ : ٢١

(٢) عاموس ٩ : ٩ ؛ ١ . بطرس ٥ : ٨

(٣) أى يتلاشى أو يضيع أو يزول

(٤) أى تبت أو رجعت إلى نفسك أو استرجعت إيمانك

(٥) أى قو قلب إخوتك أو ثبت إيمانهم

(٦) المزمور ٥١ : ١٣ ؛ يوحنا ٢١ : ١٥ – ١٧

(٧) متى ٢٦ : ٣٤ ؛ مرقس ١٤ : ٣٠ ؛ يوحنا ١٣ : ٣٨

(٨) متى ١٠ : ٩ ؛ لوقا ٩ : ٣ ؛ ١٠ : ٤

(٩) والمقصود بالسيف هنا سيف الروح كما جاء فى أفسس ٦ : ١٧ « خذوا . . سيف الروح الذى هو كلمة الله » .

(١٠) إشعياء ٥٣ : ١٢ ؛ مرقس ١٥ : ٢٨

٨١

(١١) أى « كفوا عن هذا الفهم الخاطئ » إذ أساؤوا فهم مقصوده عن سيف الروح

٤٠ وَتَبِعَهُ تَلَامِيذُهُ . ✥ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى هُنَاكَ قَالَ

٤١ لَهُمْ « صَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ[١] » . ✥ ثُمَّ نَأَى عَنْهُمْ[٢] نَحْوَ رَمْيَةِ حَجَرٍ ، وَخَرَّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى

٤٢ ✥ قَائِلاً « يَا أَبَتَاهُ إِنْ شِئْتَ فَجَنِّبْنِي هَذِهِ الْكَأْسَ .

٤٣ لَكِنْ لِتَكُنْ لَا مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَتُكَ »[٣] . ✥ وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ لَهُ « لَكَ الْقُوَّةُ »[٤] .

٤٤ ✥ وَإِذْ كَانَ يُكَابِدُ آلاَمًا عَنِيفَةً[٥] ، أَخَذَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ حَرَارَةٍ وَهُوَ جَاثٍ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَكَانَ عَرَقُهُ

٤٥ كَقَطَرَاتِ الدَّمِ يَتَسَاقَطُ عَلَى الأَرْضِ ✥ ثُمَّ نَهَضَ مِنَ الصَّلاَةِ وَجَاءَ إِلَى تَلَامِيذِهِ فَوَجَدَهُمْ نَائِمِينَ مِنْ

٤٦ فَرْطِ الْحُزْنِ . ✥ فَقَالَ لَهُمْ « مَا بَالُكُمْ نَائِمِينَ ؟ انْهَضُوا وَصَلُّوا ، لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ »[٦] .

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُصَلِّي فِي جَبَلِ الزَّيْتُونِ :

(١) متى ٦ : ١٣ ؛ ٢٦ : ٤١ ؛ مرقس ١٤ : ٣٨ ؛ لوقا ٢٢ : ٤٦
(٢) متى ٢٦ : ٣٩ ؛ مرقس ١٤ : ٣٥
(٣) يوحنا ٥ : ٣٠ ؛ ٦ : ٣٨
(٤) متى ٤ : ١١
(٥) يوحنا ١٢ : ٢٧ ؛ العبرانيين ٥ : ٧
(٦) لوقا ٢٢ : ٤٠

٤٧ ✥ وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْغَوْغَاءِ مُقْبِلَةٌ يَتَقَدَّمُهَا[٧] الْمَدْعُو يَهُوذَا ، أَحَدُ الاِثْنَيْ عَشَرَ ، وَقَدِ اقْتَرَبَ

٤٨ مِنْ يَسُوعَ لِيُقَبِّلَهُ ✥ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ « يَا يَهُوذَا

٤٩ أَبِقُبْلَةٍ تُسَلِّمُ ابْنَ الإِنْسَانِ ؟ » . ✥ فَلَمَّا رَأَى الَّذِينَ مَعَهُ مَا يَحْدُثُ قَالُوا لَهُ « يَا رَبُّ أَنَضْرِبُ

٥٠ بِالسَّيْفِ ؟ » . ✥ ثُمَّ ضَرَبَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَبْدَ

٥١ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذُنَهُ الْيُمْنَى[٨] . ✥ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ « كَفَى وَلَا تَزِدْ » ، وَلَمَسَ أُذُنَ الْعَبْدِ فَأَبْرَأَهَا

الْيَهُودُ يَقْبِضُونَ عَلَى السَّيِّدِ الْمَسِيحِ :

(٧) متى ٢٦ : ٤٧ ؛ مرقس ١٤ : ٤٣ ؛ يوحنا ١٨ : ٣
(٨) متى ٢٦ : ٥١ ؛ مرقس ١٤ : ٤٧ ؛ يوحنا ١٨ : ١٠

٥٢ ✠ ثُمَّ قَالَ يَسُوعُ لِرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقُوَّادِ جُنْدِ الْهَيْكَلِ[١] وَالشُّيُوخِ الْمُقْبِلِينَ عَلَيْهِ «كَأَنَّكُمْ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ[٢] . ٥٣ ✠ حِينَ كُنْتُ مَعَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ لَمْ تَمُدُّوا عَلَيَّ يَدًا. وَلَكِنَّ هَذِهِ هِيَ سَاعَتُكُمْ وَسُلْطَانُ الظُّلْمَةِ[٣] ». ٥٤ ✠ فَأَمْسَكُوهُ وَسَاقُوهُ وَجَاءُوا بِهِ إِلَى دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ . وَكَانَ بُطْرُسُ يَتْبَعُهُ مِنْ بَعِيدٍ[٤] . ٥٥ ✠ فَلَمَّا أَضْرَمُوا نَارًا فِي فِنَاءِ الدَّارِ وَجَلَسُوا حَوْلَهَا جَلَسَ بُطْرُسُ بَيْنَهُمْ[٥] . ٥٦ ✠ وَإِذْ رَأَتْهُ جَارِيَةٌ عَلَى ضَوْءِ النَّارِ تَفَرَّسَتْ فِيهِ وَقَالَتْ « إِنَّ هَذَا أَيْضاً كَانَ مَعَهُ » . ٥٧ ✠ فَأَنْكَرَهُ قَائِلاً « لَسْتُ أَعْرِفُهُ يَا امْرَأَةُ » . ٥٨ ✠ ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ رَآهُ آخَرُ فَقَالَ « أَنْتَ أَيْضاً مِنْهُمْ ». فَقَالَ بُطْرُسُ « لَسْتُ مِنْهُمْ يَا رَجُلُ[٦] » . ٥٩ ✠ ثُمَّ بَعْدَ نَحْوِ سَاعَةٍ قَالَ آخَرُ مُؤَكِّدًا « الْحَقُّ أَنَّ هَذَا أَيْضًا كَانَ مَعَهُ ، فَإِنَّهُ جَلِيلِيٌّ كَذَلِكَ »[٧] . ٦٠ ✠ فَقَالَ بُطْرُسُ « لَسْتُ أَدْرِي يَا رَجُلُ عَمَّ تَتَحَدَّثُ » . وَفِي الْحَالِ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ صَاحَ الدِّيكُ . ٦١ ✠ فَتَلَفَّتَ الرَّبُّ وَنَظَرَ إِلَى بُطْرُسَ فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ كَلِمَةَ الرَّبِّ[٨] إِذْ قَالَ لَهُ « لَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ الْيَوْمَ حَتَّى تَكُونَ قَدْ أَنْكَرْتَنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[٩] » .

٦٢ ✠ فَمَضَى بُطْرُسُ إِلَى الْخَارِجِ وَبَكَى بُكَاءً مُرًّا .

(١) لوقا ٢٢ : ٤
(٢) متى ٢٦ : ٥٥؛ مرقس ١٤ : ٤٨
(٣) يوحنا ١٢ : ٢٧
(٤) متى ٢٦ : ٥٧ و ٥٨ ؛ يوحنا ١٨ : ١٥
(٥) متى ٢٦ : ٦٩؛ مرقس ١٤ : ٦٦ و ٦٧ ؛ يوحنا ١٨ : ١٧ و ١٨
(٦) متى ٢٦ : ٧١؛ مرقس ١٤ : ٦٩ ؛ يوحنا ١٨ : ٢٥
(٧) متى ٢٦ : ٧٣؛ مرقس ١٤ : ٧٠ ؛ يوحنا ١٨ : ٢٦
(٨) متى ٢٦ : ٧٥؛ مرقس ١٤ : ٧٢
(٩) متى ٢٦ : ٣٤ و ٧٥ ، يوحنا ١٣ : ٣٨

٦٣ ✥ وَكَانَ الرِّجَالُ الَّذِينَ قَبَضُوا عَلَى يَسوعَ يَهْزَءُونَ

٦٤ بِهِ وَيَضْرِبُونَهُ[١] . ✥ وَقَدْ غَطُّوا عَيْنَيْهِ وَأَخَذُوا يَلْطِمُونَهُ عَلَى وَجهِهِ ثُمَّ يَسْأَلُونَهُ قَائلِينَ « تَنَبَّأْ لَنَا

٦٥ مَنْ هُوَ الَّذِى لَطَمَكَ ؟ » . ✥ وَوَجَّهُوا إِلَيْهِ إِهَانَاتٍ أُخْرَى كَثِيرَةً ، مُجَدِّفِينَ عَلَيْهِ .

الْيَهُودُ يَهْزَءُونَ بِالسَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَيَضْرِبُونَهُ :

فجر يوم الجمعة

٦٦ ✥ وَمَا إِنْ طَلَعَ النَّهَارُ حَتَّى اجْتَمَعَ شُيُوخُ الشَّعْبِ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَسَاقُوهُ إِلَى مَجْلِسِ السَّنْهِدْرِيم[٢] .

مُحَاكَمَةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَمَامَ مَجلِسِ السَّنْهِدْرِيمِ :

٦٧ ✥ ثُمَّ قَالُوا لَهُ «أَأَنْتَ الْمَسِيحُ؟ قُلْ لَنَا »[٣] . فَقَالَ

٦٨ لَهُمْ « إِنْ قُلْتُ لَكُمْ فَلَنْ تُصَدِّقُوا . ✥ وَإِنْ

٦٩ سَأَلْتُكُمْ فَلَنْ تُجِيبُوا ✥ إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ مُنْذُ الآنَ

٧٠ سَيَكُونُ جَالِساً عَنْ يَمِينِ قُدْرَةِ اللهِ »[٤] . ✥ فَقَالُوا جَمِيعًا « أَفَأَنْتَ إِذَنْ ابْنُ اللهِ ؟ » . قَالَ « نَعَمْ أَنا هُوَ

٧١ كَقَوْلِكُمْ »[٥] . ✥ فَقَالُوا « مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شَهَادَةِ شُهُودٍ[٦]؟ فَإِنَّنَا بِأَنْفُسِنَا قَدْ سَمِعْنَا مِنْ فَمِهِ هُوَ » .

(١) متى ٢٦ : ٦٧ و ٦٨ ؛ مرقس ١٤ : ٦٥

(٢) متى ٢٧ : ٤١ ؛ الأعمال ٤ : ٢٦ ومجلس السنهدريم هو مجلس شيوخ اليهود ومحكمتهم العليا وكان يتألف من رئيس الكهنة رئيساً له ومن سبعين عضواً

(٣) متى ٢٦ : ٦٣ ؛ مرقس ١٤ : ٦١

(٤) متى ٢٦ : ٦٤ ؛ مرقس ١٤ : ٦٢ ؛ العبرانيين ١ : ٣ ؛ ٨ : ١

(٥) متى ٢٦ : ٦٤ ؛ مرقس ١٤ : ٦٢

(٦) متى ٢٦ : ٦٥ ؛ مرقس ١٤ : ٦٣



يوم الجمعة :



الْفَصْلُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ

مُحَاكَمَةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَمَامَ بِيلاَطُسَ الْبُنْطِيِّ :

١ ✠ وَقَامُوا جَمِيعًا وَسَاقُوهُ إِلَى بِيلاَطُسَ[١] . ٢ ✠ وَأَخَذُوا يَتَّهِمُونَهُ قَائِلِينَ « إِنَّنَا وَجَدْنَا هَذَا يُفْسِدُ الأُمَّةَ[٢] وَيَقُولُ بِالامْتِنَاعِ عَنْ أَدَاءِ الْجِزْيَةِ لِقَيْصَرَ[٣] ، مُدَّعِيًا أَنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ الْمَلِكُ »[٤] . ٣ ✠ فَسَأَلَهُ بِيلاَطُسُ قَائِلًا « أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ[٥] ؟ » . فَأَجَابَهُ وَقَالَ « نَعَمْ أَنَا هُوَ كَقَوْلِكَ » . ٤ ✠ فَقَالَ بِيلاَطُسُ لِرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْجُمُوعِ « إِنَّنِي لاَ أَجِدُ شَرًّا فِي هَذَا الرَّجُلِ »[٦] . ٥ ✠ فَأَلَحُّوا فِي إِصْرَارٍ قَائِلِينَ « إِنَّهُ يُهَيِّجُ الشَّعْبَ وَيُعَلِّمُ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ ابْتِدَاءً مِنَ الْجَلِيلِ

(١) متى ٢٧ : ٢ ؛ مرقس ١٥ : ١ ؛ يوحنا ١٨ : ٢٨ و ٢٩
(٢) الأعمال ١٧ : ٧
(٣) متى ١٧ : ٢٧ ؛ ٢٢ : ٢١ ؛ مرقس ١٢ : ١٧
(٤) يوحنا ١٩ : ١٢
(٥) متى ٢٧ : ١١ ؛ ١ تيموثاوس ٦ : ١٣
(٦) ١ بطرس ٢ : ٢٢

يوم الجمعة

٦ إِلَى هُنَا ». ✠ فَلَمَّا سَمِعَ بِيلاَطُس ذِكْرَ الْجَلِيلِ
٧ سَأَلَ عَمَّا إِذَا كَانَ الرَّجُلُ جَلِيلِيًّا. ✠ فَمَا إِنْ عَلِمَ أَنَّهُ تَابِعٌ لِوِلاَيَةِ هِيرُودُس حَتَّى أَرْسَلَهُ إِلَى هِيرُودُس[1] الَّذِي كَانَ هُوَ أَيْضاً فِي أُورُشَلِيمَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ.

مُحَاكَمَةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَمَامَ الْمَلِكِ هِيرُودُس :

٨ ✠ وَلَمَّا رَأَى هِيرُودُس يَسُوعَ ابْتَهَجَ ابْتِهَاجًا عَظِيمًا ، لأَنَّهُ كَانَ يَتُوقُ لأَنْ يَرَاهُ[2] مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ ، بِسَبَبِ مَا كَانَ يَسْمَعُهُ عَنْهُ[3]. وَكَانَ يَوَدُّ أَنْ يَرَى
٩ إِحْدَى الْعَجَائِبِ الَّتِي تَجْرِي عَلَى يَدَيْهِ. ✠ وَقَدْ سَأَلَهُ بِكَلاَمٍ كَثِيرٍ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ .
١٠ ✠ وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَاقِفِينَ وَقَدْ
١١ أَخَذُوا يَتَّهِمُونَهُ بِعُنْفٍ ✠ فَهَزَأَ بِهِ هِيرُودُس مَعَ جُنُودِهِ وَسَخِرَ مِنْهُ[4]، وَأَلْبَسَهُ ثَوْبًا بَرَّاقًا ثُمَّ أَعَادَهُ إِلَى
١٢ بِيلاَطُس . ✠ فَأَصْبَحَ بِيلاَطُس وَهِيرُودُس صَدِيقَيْنِ[5] فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَقَدْ كَانَتْ بَيْنَهُمَا مِنْ قَبْلُ عَدَاوَةٌ

مُحَاكَمَةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَمَامَ بِيلاَطُس الْبُنْطِيِّ مَرَّةً أُخْرَى:

١٣ ✠ وَدَعَا بِيلاَطُس إِلَيْهِ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ وَالْعُظَمَاءَ
١٤ وَالشَّعْبَ[6]، ✠ وَقَالَ لَهُمْ « لَقَدْ جِئْتُمُونِي بِهَذَا الرَّجُلِ كَمُفْسِدٍ لِلشَّعْبِ[7]، وَهَا أَنَا ذَا قَدِ اسْتَجْوَبْتُهُ أَمَامَكُمْ فَلَمْ يَثْبُتْ لِي أَيُّ شَرٍّ[8] مِمَّا تَتَّهِمُونَ بِهِ هَذَا الرَّجُلَ.
١٥ ✠ وَلاَ ثَبَتَ هَذَا لِهِيرُودُس أَيْضاً إِذْ أَعَادَهُ

(١) لوقا ٣ : ١
(٢) لوقا ٩ : ٩
(٣) متى ١٤ : ١ ؛ مرقس ٦ : ١٤
(٤) إشعياء ٥٣ : ٣
(٥) الأعمال ٤ : ٢٧
(٦) متى ٢٧ : ٢٣ ؛ مرقس ١٥ : ١٤ ؛ يوحنا ١٨ : ٣٨ ؛ ١٩ : ٤
(٧) لوقا ٢٣ : ١و٢
(٨) لوقا ٢٣ : ٤

يوم الجمعة

إِلَيْنَا . فَهَا أَنْتُمْ أُولاءِ تَرَوْنَ أَنَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ يَسْتَوْجِبُ الْمَوْتَ قَدْ صَدَرَ عَنْهُ . ١٦ ✠ وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّنِي سَأَجْلِدُهُ ثُمَّ أُطْلِقُ سَرَاحَهُ[1] » . ١٧ ✠ وَقَدْ كَانَ لِزَامًا عَلَيْهِ أَنْ يُطْلِقَ لَهُمْ سَرَاحَ سَجِينٍ فِي كُلِّ عِيدٍ[2] ، كَمَا جَرَتْ بِذَلِكَ الْعَادَةُ . ١٨ ✠ فَصَرَخُوا جَمِيعًا بِصَوْتٍ وَاحِدٍ قَائِلِينَ « بَلِ اصْلِبْ[3] هَذَا وَأَطْلِقْ لَنَا سَرَاحَ بَارَابَاسَ[4] » . ١٩ ✠ وَكَانَ بَارَابَاسُ هَذَا قَدْ أُلْقِيَ بِهِ فِي السِّجْنِ بِسَبَبِ عِصْيَانٍ حَدَثَ فِي الْمَدِينَةِ وَاغْتِيَالٍ . ٢٠ ✠ بَيْدَ أَنَّ بِيلاَطُسَ ، إِذْ كَانَ يَرْغَبُ فِي إِطْلاَقِ سَرَاحِ يَسُوعَ نَادَاهُمْ مَرَّةً أُخْرَى ٢١ ✠ وَلَكِنَّهُمْ صَرَخُوا قَائِلِينَ « اصْلِبْهُ . اصْلِبْهُ » . ٢٢ ✠ فَقَالَ لَهُمْ لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ « أَيَّ شَرٍّ فَعَلَ ؟ إِنَّنِي لَمْ أَجِدْ فِيهِ عِلَّةً تَسْتَوْجِبُ الْمَوْتَ . لِذَلِكَ فَإِنَّنِي سَأَجْلِدُهُ وَأُطْلِقُ سَرَاحَهُ » .

٢٣ ✠ فَصَرَخُوا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ مُصِرِّينَ عَلَى صَلْبِهِ . وَقَدِ اشْتَدَّ صَخَبُهُمْ وَصَخَبُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ ٢٤ ✠ فَقَضَى بِيلاَطُسُ بِإِجَابَتِهِمْ إِلَى طَلَبِهِمْ[5] ، ٢٥ ✠ وَأَطْلَقَ لَهُمْ سَرَاحَ الرَّجُلِ الَّذِي أَرَادُوهُ ، ذَاكَ الَّذِي كَانَ مَسْجُونًا بِتُهْمَةِ الْعِصْيَانِ وَالاِغْتِيَالِ . وَأَمَّا يَسُوعُ فَسَلَّمَهُ إِلَيْهِمْ كَمَا أَرَادُوا . ٢٦ ✠ وَفِيمَا كَانُوا يَسُوقُونَهُ إِلَى الْخَارِجِ أَمْسَكُوا رَجُلاً قَيْرَوَانِيًّا يُسَمَّى



(١) متى ٢٧ : ٢٦ ؛ يوحنا ١٩ : ١٦

(٢) متى ٢٧ : ١٥ ؛ مرقس ١٥ : ٦ ؛ يوحنا ١٨ : ٣٩

(٣) حرفيا « إرفع (على الصليب) » .

(٤) الأعمال ٣ : ١٤

(٥) متى ٢٧ : ٢٦ ؛ مرقس ١٥ : ١٥ ؛ يوحنا ١٩ : ١٦

يوم الجمعة

سِمْعَانَ كَانَ آتِيًا مِنَ الْحَقْلِ وَوَضَعُوا عَلَيْهِ الصَّلِيبَ لِيَحْمِلَهُ خَلْفَ يَسُوعَ[1] .

٢٧ ✠ وَتَبِعَهُ جَمْعٌ عَظِيمٌ مِنَ الشَّعْبِ كَمَا تَبِعَتْهُ

٢٨ نِسْوَةٌ كُنَّ يَنْدُبْنَ وَيَنُحْنَ عَلَيْهِ . ✠ فَالْتَفَتَ يَسُوعُ إِلَيْهِنَّ وَقَالَ « يَابَنَاتِ أُورُشَلِيمَ لَا تَبْكِينَ عَلَيَّ ،

٢٩ بَلِ ابْكِينَ عَلَى أَنْفُسِكُنَّ وَعَلَى أَبْنَائِكُنَّ. ✠ لِأَنَّهُ هِيَ ذِي أَيَّامٌ تَأْتِي سَيَقُولُونَ فِيهَا مَا أَسْعَدَ الْعَوَاقِرَ وَالْبُطُونَ الَّتِي لَمْ تَلِدْ وَالثُّدِيَّ الَّتِي لَمْ تُرْضِعْ[2].

٣٠ ✠ عِنْدَ ذَاكَ يَبْتَدِئُونَ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ اسْقُطِي عَلَيْنَا

٣١ وَلِلْآكَامِ غَطِّينَا[3]. ✠ لِأَنَّهُمْ إِنْ كَانُوا يَفْعَلُونَ هٰذَا بِالْعُودِ الرَّطْبِ ، فَكَمْ بِالْأَحْرَى يَفْعَلُونَ بِالْيَابِسِ[4] ؟ »

صَلْبُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ :

٣٢ ✠ وَجَاءُوا بِاثْنَيْنِ مِنَ الْمُجْرِمِينَ لِيَقْتُلُوهُمَا مَعَهُ[5].

٣٣ ✠ فَلَمَّا بَلَغُوا الْمَوْضِعَ الْمُسَمَّى الْجُمْجُمَةَ[6] ، صَلَبُوهُ هُنَاكَ . وَصَلَبُوا مَعَهُ الْمُجْرِمَيْنِ ، أَحَدَهُمَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ .

٣٤ ✠ فَقَالَ يَسُوعُ « يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ[7] لِأَنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ مَاهُمْ فَاعِلُونَ »[8] . أَمَّا هُم فَاقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ بَيْنَهُمْ

٣٥ وَاقْتَرَعُوا عَلَيْهَا[9] ✠ وَوَقَفَتِ الْجُمُوعُ تَنْظُرُ[10] . كَمَا وَقَفَ الرُّؤَسَاءُ يَهْزَءُونَ بِهِ[11] قَائِلِينَ « قَدْ خَلَّصَ آخَرِينَ ، فَلْيُخَلِّصْ نَفْسَهُ إِنْ كَانَ هُوَ ابْنَ اللهِ الْمُخْتَارَ » .

(١) متى ٢٧ : ٣٢ ؛ مرقس ١٥ : ٢١ ؛ يوحنا ١٩ : ١٧
(٢) متى ٢٤ : ١٩ ؛ لوقا ٢١ : ٢٣
(٣) إشعياء ٢ : ١٩ ؛ هوشع ١٠ : ٨ ؛ الرؤيا ٦ : ١٦ ؛ ٩ : ٦
(٤) الأمثال ١١ : ٣١ ؛ إرميا ٢٥ : ٢٩ ؛ حزقيال ٢٠ : ٤٧ ؛ ٢١ : ٣ و ٤ ؛ ١ . بطرس ٤ : ١٧
(٥) إشعياء ٥٣ : ١٢ ؛ متى ٢٧ : ٣٨
(٦) متى ٢٧ : ٣٣ ؛ مرقس ١٥ : ٢٢
(٧) متى ٥ : ٤٤ ؛ الأعمال ٧ : ٦٠ ؛ ١ . كورنثوس ٤ : ١٢
(٨) الأعمال ٣ : ١٧ ؛ ١ . كورنثوس ٢ : ٨
(٩) متى ٢٧ : ٣٥ ؛ مرقس ١٥ : ٢٤ ؛ يوحنا ١٩ : ٢٣
(١٠) المزمور ٢٢ : ١٧ ؛ زكريا ١٢ : ١٠
(١١) متى ٢٧ : ٣٩ ؛ مرقس ١٥ : ٢٩

يوم الجمعة

٣٦ ✥ وَكَذَلِكَ الْجُنُودُ كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُ ، وَقَدْ دَنَوْا مِنْهُ وَقَدَّمُوا لَهُ خَلاًّ ، ٣٧ ✥ قَائِلِينَ لَهُ « إِنْ كُنْتَ أَنْتَ مَلِكَ الْيَهُودِ فَخَلِّصْ نَفْسَكَ » ٣٨ ✥ وَكَانَ ثَمَّةَ لاَفِتَةٌ مَوْضُوعَةٌ فَوْقَهُ وَقَدْ كُتِبَ عَلَيْهَا بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَاللاَّتِينِيَّةِ وَالْيُونَانِيَّةِ « هَذَا هُوَ مَلِكُ الْيَهُودِ[1] » .

٣٩ ✥ وَأَخَذَ أَحَدُ الْمُجْرِمَيْنِ الْمَصْلُوبَيْنِ مَعَهُ يُجَدِّفُ عَلَيْهِ[2] قَائِلاً « أَلَسْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ؟ إِذَنْ خَلِّصْ نَفْسَكَ وَخَلِّصْنَا » . ٤٠ ✥ فَأَجَابَ الآخَرُ وَانْتَهَرَهُ قَائِلاً « أَمَا تَخَافُ اللهَ وَأَنْتَ نَفْسُكَ تَحْتَ هَذَا الْقِصَاصِ بِعَيْنِهِ ؟ ٤١ ✥ نَحْنُ بِعَدْلٍ جُوزِينَا ، لأَنَّنَا نَنَالُ جَزَاءَ أَعْمَالِنَا . أَمَّا هَذَا فَلَمْ يَفْعَلْ سُوءًا » ٤٢ ✥ ثُمَّ قَالَ لِيَسُوعَ « اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ[5] » . ٤٣ ✥ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ « الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ[6] » . ٤٤ ✥ ثُمَّ فِي نَحْوِ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ[3] وَقَعَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا حَتَّى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ[4] ، ٤٥ ✥ وَقَدِ احْتَجَبَتِ الشَّمْسُ ، وَانْشَطَرَ حِجَابُ الْهَيْكَلِ إِلَى نِصْفَيْنِ .

الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الجمعة .

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُسْلِمُ الرُّوحَ عَلَى الصَّلِيبِ :

٤٦ ✥ وَصَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً « يَا أَبَتَاهُ فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي[6] » . وَإِذْ قَالَ هَذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ[7] .

٤٧ ✥ فَلَمَّا رَأَى قَائِدُ الْمِائَةِ مَا حَدَثَ مَجَّدَ اللهَ قَائِلاً

(١) متى ٢٧ : ٣٧ ؛ مرقس ١٥ : ٢٦ ؛ يوحنا ١٩ : ١٩

(٢) متى ٢٧ : ٤٤ ؛ مرقس ١٥ : ٣٢

(٣) وهي تقابل الساعة الثانية عشرة ظهراً بالتوقيت الحديث

(٤) وهي تقابل الساعة الثالثة بعد الظهر بالتوقيت الحديث – أنظر متى ٢٧ : ٤٥ ؛ مرقس ١٥ : ٣٣

(٥) متى ٢٧ : ٥١ ؛ مرقس ١٥ : ٣٨

(٦) المزمور ٣١ : ٥ ؛ ١ بطرس ٢ : ٢٣ ؛ ٤ : ١٩

(٧) متى ٢٧ : ٥٠ ؛ مرقس ١٥ : ٣٧ ؛ يوحنا ١٩ : ٣٠

الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الجمعة

٤٨ « حَقًّا كَانَ هَذَا الإِنْسَانُ بَارًّا »[1] ✠ وَكُلُّ الْجُمُوعِ الَّذِينَ احْتَشَدُوا عِنْدَ هَذَا الْمَشْهَدِ لَمَّا رَأَوْا مَا حَدَثَ
٤٩ رَجَعُوا وَهُمْ يَقْرَعُونَ صُدُورَهُمْ ✠ وَكَانَ كُلُّ مَعَارِفِهِ وَالنِّسْوَةُ اللاَّتِي تَبِعْنَهُ مِنَ الْجَلِيلِ وَاقِفِينَ مِنْ بَعِيدٍ يَشْهَدُونَ هَذَا كُلَّهُ[2] .

دَفْنُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ : [٨٣]

٥٠ ✠ وَإِذَا بِرَجُلٍ اسْمُهُ يُوسُفُ[3] ، كَانَ عُضْواً بِمَجْلِسِ
٥١ السَّنْهِدْرِيم[4] ، وَكَانَ رَجُلاً صَالِحًا بَارًّا . ✠ وَلَمْ يَكُنْ رَاضِيًا عَنْ رَأْيِهِمْ أَوْ عَمَلِهِمْ . وَهُوَ مِنَ الرَّامَةِ إِحْدَى مُدُنِ الْيَهُودِيَّةِ ، وَكَانَ هُوَ أَيْضًا يَنْتَظِرُ مَلَكُوتَ
٥٢ اللهِ[5] . ✠ وَقَدْ تَقَدَّمَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ
٥٣ يَسُوعَ . ✠ ثُمَّ أَنْزَلَهُ وَلَفَّهُ بِكَتَّانٍ وَسَجَّاهُ فِي قَبْرٍ كَانَ قَدْ نَحَتَهُ فِي الصَّخْرِ[6] ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ دُفِنَ فِيهِ
٥٤ أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ . ✠ وَكَانَ الْيَوْمُ هُوَ الْجُمْعَةَ[7] ،

مساء يوم الجمعة

٥٥ وَقَدْ بَدَأَ السَّبْتُ[7] . ✠ وَتَبِعَتْهُ النِّسْوَةُ اللاَّتِي كُنَّ قَدْ أَتَيْنَ مَعَهُ مِنَ الْجَلِيلِ[8] فَرَأَيْنَ الْقَبْرَ ، وَشَهِدْنَ جَسَدَهُ
٥٦ وَهُوَ يُسَجَّى فِيهِ[9] ، ✠ ثُمَّ رَجَعْنَ وَأَعْدَدْنَ عُطُورًا وَأَطْيَابًا[10] . ثُمَّ اسْتَرَحْنَ فِي السَّبْتِ عَمَلاً بِالْوَصِيَّةِ[11] .



(١) متى ٢٧ : ٥٤ ؛ مرقس ١٥ : ٣٩
(٢) المزمور ٣٨ : ١١ ؛ متى ٢٧ : ٥٥ ؛ مرقس ١٥ : ٤٠ ؛ يوحنا ١٩ : ٢٥
(٣) متى ٢٧ : ٥٧ ؛ مرقس ١٥ : ٤٣ ؛ يوحنا ١٩ : ٣٨
(٤) وهو مجلس شيوخ اليهود ومحكمتهم العليا
(٥) مرقس ١٥ : ٤٣ ؛ لوقا ٢ : ٢٥ ؛ ٣٨
(٦) متى ٢٧ : ٥٩ و٦٠ ؛ مرقس ١٥ : ٤٦
(٧) متى ٢٧ : ٦٢ والعبارة حرفياً يوم الاستعداد السابق على يوم السبت
(٨) لوقا ٨ : ٢
(٩) مرقس ١٥ : ٤٧
(١٠) مرقس ١٦ : ١
(١١) الخروج ٢٠ : ١٠

يوم الأحد



الْفَصْلُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ

[٨٤] قِيَامَةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَظُهُورُهُ لِبَعْضِ تَلاَمِيذِهِ:

١ ✠ وَفِي يَوْمِ الأَحَدِ أَوَّلِ أَيَّامِ الأُسْبُوعِ ، جِئْنَ مُبَكِّرَاتٍ عِنْدَ مَطْلَعِ الْفَجْرِ إِلَى الْقَبْرِ ، حَامِلاَتٍ الْعُطُورَ الَّتِي أَعْدَدْنَهَا[1] ، وَمَعَهُنَّ نِسْوَةٌ أُخْرَيَاتٌ ، ٢ ✠ فَوَجَدْنَ الْحَجَرَ قَدْ دُحْرِجَ عَنِ الْقَبْرِ[2] . ٣ ✠ وَدَخَلْنَ فَلَمْ يَجِدْنَ جَسَدَ الرَّبِّ يَسُوعَ[3] . ٤ ✠ وَفِيمَا كُنَّ مُتَحَيِّرَاتٍ فِي ذَلِكَ ، إِذَا بِرَجُلَيْنِ قَدْ وَقَفَا بِهِنَّ فِي ثِيَابٍ بَرَّاقَةٍ[4] ، ٥ ✠ وَإِذِ انْتَابَهُنَّ الْخَوْفُ وَنَكَّسْنَ وُجُوهَهُنَّ إِلَى الأَرْضِ قَالاَ لَهُنَّ «لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ ؟ ٦ ✠ إِنَّهُ لَيْسَ هُنَا ، وَإِنَّمَا قَدْ قَامَ . اُذْكُرْنَ مَا

(١) متى ٢٨ : ١ ؛ مرقس ١٦ : ١ ؛ لوقا ٢٣ : ٥٦ ؛ يوحنا ٢٠ : ١
(٢) متى ٢٨ : ٢ ؛ مرقس ١٦ : ٤
(٣) مرقس ١٦ : ٥ ؛ لوقا ٢٤ : ٢٣
(٤) يوحنا ٢٠ : ١٢ ؛ الأعمال ١ : ١٠

يوم الأحد

٧ كَلَّمَكُنَّ بِهِ وَهُوَ بَعْدُ فِي الْجَلِيلِ ، ✠ قَائِلاً إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يُسَلَّمَ إِلَى أَيْدِي أُنَاسٍ خُطَاةٍ وَيُصْلَبَ

٨ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ »[١] ✠ فَتَذَكَّرْنَ كَلاَمَهُ[٢] ،

٩ ✠ وَعُدْنَ مِنَ الْقَبْرِ وَأَخْبَرْنَ الأَحَدَ عَشَرَ وَالْبَاقِينَ

١٠ جَمِيعًا بِهَذَا كُلِّهِ[٣] . ✠ وَكَانَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَيُوَانَّا[٤] وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ ، وَمَنْ كُنَّ مَعَهُنَّ مِنَ النِّسْوَةِ

١١ الأُخْرَيَاتِ هُنَّ اللاَّتِي قُلْنَ ذَلِكَ لِلرُّسُلِ . ✠ فَبَدَا لَهُمْ كَلاَمُهُنَّ هَذَا كَالْهَذَيَانِ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُنَّ[٥] .

١٢ ✠ ثُمَّ قَامَ بُطْرُسُ وَرَكَضَ إِلَى الْقَبْرِ ، وَهُنَاكَ انْحَنَى فَرَأَى بِدَاخِلِهِ الأَكْفَانَ وَحْدَهَا[٦] مَوْضُوعَةً جَانِبًا . فَانْصَرَفَ إِلَى حَيْثُ كَانَ ، مُتَعَجِّبًا فِي نَفْسِهِ مِمَّا حَدَثَ .

✠ ٨٥ ✠

١٣ ✠ وَكَانَ اثْنَانِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ مُنْطَلِقَيْنِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى قَرْيَةٍ[٧] تَبْعُدُ عَنْ أُورُشَلِيمَ نَحْوَ سِتِّينَ غَلْوَةً[٨]

١٤ اسْمُهَا عِمَّاوُسُ . ✠ وَكَانَا يَتَحَدَّثَانِ مَعًا عَنْ هَذِهِ

١٥ الأَحْدَاثِ كُلِّهَا . ✠ وَفِيمَا هُمَا يَتَطَارَحَانِ الْكَلاَمَ وَيَتَنَاقَشَانِ ، اقْتَرَبَ يَسُوعُ نَفْسُهُ مِنْهُمَا ، وَسَارَ مَعَهُمَا[٩] .

١٦ ✠ وَلَكِنَّهُمَا كَانَ قَدْ أُخْفِيَ عَنْ أَعْيُنِهِمَا لِكَيْ

١٧ لاَ يَعْرِفَاهُ[١٠] . ✠ فَقَالَ لَهُمَا « مَا هَذَا الْكَلاَمُ الَّذِي

١٨ تَتَطَارَحَانِهِ ؟ » فَوَقَفَا مُكْتَئِبَيْنِ ✠ ثُمَّ أَجَابَ أَحَدُهُمَا وَكَانَ اسْمُهُ[١١] كِلْيُوبَاسَ ، وَقَالَ لَهُ « أَأَنْتَ

(١) متى ١٦ : ٢١ ؛ ١٧ : ٢٣ ؛ مرقس ٨ : ٣١ ؛ ٩ : ٣١ ؛ لوقا ٩ : ٢٢

(٢) يوحنا ٢ : ٢٢

(٣) متى ٢٨ : ٨ ؛ مرقس ١٦ : ١٠

(٤) أو «حَنَّة» أنظر لوقا ٨ : ٣

(٥) مرقس ١٦ : ١١ ؛ لوقا ٢٤ : ٢٥

(٦) يوحنا ٢٠ : ٣ و ٦

(٧) مرقس ١٦ : ١٢

(٨) الغلوة لغة رمية سهم ، وهي تساوي $\frac{1}{8}$ ميل إنجليزي أو ٦٠٦ قدماً وعلى ذلك فالمسافة بين أورشليم وعماوس كانت تساوي ١٠,٩٠٨ كيلومتراً

(٩) متى ١٨ : ٢٠ ؛ لوقا ٢٤ : ٣٦

(١٠) يوحنا ٢٠ : ١٤ ؛ ٢١ : ٤

(١١) يوحنا ١٩ : ٢٥

يوم الأحد

الْمُتَغَرِّبُ الْوَحِيدُ فِي أُورُشَلِيمَ الَّذِي لَا يَعْلَمُ بِالْأُمُورِ الَّتِي حَدَثَتْ هُنَاكَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ؟ » ✠ ١٩ فَقَالَ لَهُمَا « أَيُّ أُمُورٍ ؟ » . قَالاَ لَهُ « تِلْكَ الْمُخْتَصَّةُ بِيَسُوعَ النَّاصِرِيِّ ، الَّذِي كَانَ نَبِيًّا[1] مُقْتَدِرًا فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ لَدَى اللهِ وَكُلِّ الشَّعْبِ[2] ، ✠ ٢٠ وَكَيْفَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ وَحُكَّامَنَا قَضَوْا عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ وَصَلَبُوهُ[3] ، ✠ ٢١ وَقَدْ كُنَّا نَرْجُو أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُزْمِعَ أَنْ يُخَلِّصَ إِسْرَائِيلَ[4] . وَلَكِنْ مَعْ ذَلِكَ كُلِّهِ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ مُنْذُ أَنْ حَدَثَ ذَلِكَ . ✠ ٢٢ غَيْرَ أَنَّ بَعْضَ النِّسْوَةِ مِنْ جَمَاعَتِنَا قَدْ أَدْهَشْنَنَا ، إِذْ ذَهَبْنَ بَاكِرًا إِلَى الْقَبْرِ[5] ، ✠ ٢٣ فَلَمْ يَجِدْنَ جَسَدَهُ ، وَقَدْ جِئْنَ قَائِلاَتٍ إِنَّهُنَّ رَأَيْنَ مَنْظَرَ مَلاَئِكَةٍ قَالُوا إِنَّهُ حَيٌّ . ✠ ٢٤ وَقَدْ مَضَى بَعْضُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَنَا إِلَى الْقَبْرِ[6] فَوَجَدُوا كَمَا قَالَتِ النِّسْوَةُ . أَمَّا هُوَ فَلَمْ يَرَوْهُ » . ✠ ٢٥ فَقَالَ لَهُمَا « أَيُّهَا الْغَبِيَّانِ وَالْبَطِيئَا الْقَلْبِ فِي الْإِيمَانِ بِكُلِّ مَا نَطَقَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ ✠ ٢٦ أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُكَابِدَ الْمَسِيحُ هَذِهِ الْآلاَمَ ثُمَّ يَدْخُلَ إِلَى حَيْثُ مَجْدُهُ ؟[7] » . ✠ ٢٧ ثُمَّ أَخَذَ يُفَسِّرُ لَهُمَا مُبْتَدِئًا مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ الْأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْأَسْفَارِ الْمُقَدَّسَةِ[8] . ✠ ٢٨ حَتَّى إِذَا اقْتَرَبُوا

(١) متى ٢١ : ١١ ؛ لوقا ٧ : ١٦ ؛ يوحنا ٣ : ٢ ؛ ٤ : ١٩ ؛ ٦ : ١٤ ؛ الأعمال ٢ : ٢٢
(٢) الأعمال ٧ : ٢٢
(٣) لوقا ٢٣ : ١ إلخ الأعمال ١٣ : ٢٧ و ٢٨
(٤) لوقا ١ : ٦٨ ؛ ٢ : ٣٨ ؛ الأعمال ١ : ٦
(٥) متى ٢٨ : ٨ ؛ مرقس ١٦ : ٩ و ١٠ ؛ يوحنا ٢٠ : ١٨
(٦) لوقا ٢٤ : ١٢
(٧) لوقا ٢٤ : ٤٦ ؛ الأعمال ١٧ : ٣ ؛ ١ بطرس ١ : ١١
(٨) التكوين ٣ : ١٥ ؛ ٢٢ : ١٨ ؛ ٢٦ : ٤ ؛ ٤٩ : ١٠ ؛ العدد ٢١ : ٩ ؛ التثنية ١٨ : ١٥ ؛ المزمور ١٦ : ٩ و ١٠ و ٢٢ ؛ ١٣٢ : ١١ ؛ إشعياء ٧ : ١٤ ؛ ٩ : ٦ ؛ ٤٠ : ١٠ و ١١ ؛ ٥٠ : ٦ ؛ أشعياء ٥٣ ؛ إرميا ٢٣ : ٥ ؛ ٣٣ : ١٤ و ١٥ ؛ حزقيال ٣٤ : ٢٣ ؛ ٣٧ : ٢٥ ؛ دانيال ٩ : ٢٤ ؛ ميخا ٧ : ٢٠ ؛ ملاخي ٣ : ١ ؛ ٤ : ٢

يوم الأحد

مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَا يَقْصِدَانِ إِلَيْهَا ، بَدَا كَمَا لَوْ كَانَ

٢٩ مُتَّجِهًا إِلَى مَكَانٍ أَبْعَدَ[١] ، ✠ فَتَشَبَّثَا بِهِ فِي قُوَّةٍ[٢]

قَائِلَيْنِ « امْكُثْ مَعَنَا ، لأَنَّهُ حَانَ الْمَسَاءُ وَقَدِ انْقَضَى

٣٠ النَّهَارُ » . فَدَخَلَ لِيَمْكُثَ مَعَهُمَا ✠ وَلَمَّا جَلَسَ

مَعَهُمَا لِتَنَاوُلِ الطَّعَامِ أَخَذَ الْخُبْزَ وَبَارَكَهُ وَقَسَمَهُ

٣١ وَنَاوَلَهُمَا[٣] . ✠ فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَرَفَاهُ ،

٣٢ وَعِنْدَئِذٍ اخْتَفَى عَنْهُمَا[٤] . ✠ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ

« أَمَا كَانَ الْقَلْبُ مُضْطَرِمًا فِينَا وَهُوَ يُكَلِّمُنَا فِي الطَّرِيقِ

٣٣ وَيُوَضِّحُ لَنَا الأَسْفَارَ الْمُقَدَّسَةَ ؟ » . ✠ وَقَامَا

عَلَى الْفَوْرِ وَرَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ فَوَجَدَا الأَحَدَ عَشَرَ

٣٤ وَالَّذِينَ مَعَهُمْ مُجْتَمِعِينَ ، ✠ وَهُمْ يَقُولُونَ

« إِنَّ الرَّبَّ قَدْ قَامَ حَقًّا ، وَقَدْ ظَهَرَ لِسِمْعَانَ »[٥] .

٣٥ ✠ فَأَخْبَرَاهُمْ بِمَا حَدَثَ فِي الطَّرِيقِ وَكَيْفَ

عَرَفَاهُ عِنْدَمَا قَسَمَ الْخُبْزَ .

✠ ٨٦ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَظْهَرُ لِتَلاَمِيذِهِ مُجْتَمِعِينَ : ✠

٣٦ ✠ وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِهَذَا وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ

٣٧ فِي وَسَطِهِمْ . وَقَالَ لَهُمْ « السَّلاَمُ لَكُمْ »[٦] . ✠ فَفَزِعُوا

٣٨ وَارْتَعَبُوا ، وَقَدْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ يَرَوْنَ رُوحًا[٧] . ✠ فَقَالَ

لَهُمْ « مَا بَالُكُمْ مُضْطَرِبِينَ ، وَلِمَاذَا تَثُورُ شُكُوكٌ فِي

٣٩ قُلُوبِكُمْ ؟ ✠ اُنْظُرُوا إِلَى يَدَيَّ وَإِلَى قَدَمَيَّ . إِنِّي

أَنَا هُوَ بِنَفْسِي . جُسُّونِي وَتَحَقَّقُوا[٨] ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلرُّوحِ

(١) التكوين ٤٢ : ٤٧ ؛ مرقس ٦ : ٤٨
(٢) التكوين ١٩ : ٣
(٣) متى ١٤ : ١٩
(٤) لوقا ٤ : ٣٠ ؛ يوحنا ٨ : ٥٩
(٥) ١ ـ كورنثوس ١٥ : ٥
(٦) مرقس ١٦ : ١٤ ؛ يوحنا ٢٠ : ١٩ ؛ ١ ـ كورنثوس ١٥ : ٥
(٧) مرقس ٦ : ٤٩
(٨) يوحنا ٢٠ : ٢٠ و ٢٧

يوم الأحد

لَحْمٌ وَلَا عِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي» . ✠ وَفِيمَا كَانَ ٤٠ يَقُولُ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ . ✠ وَإِذْ كَانُوا ٤١ لَا يَزَالُونَ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ فَرْطِ الْفَرَحِ[١] وَالدَّهْشَةِ قَالَ لَهُمْ « أَعِنْدَكُمْ هُنَا مَا يُؤْكَلُ[٢] ؟ » ✠ فَقَدَّمُوا لَهُ بَعْضاً مِنَ السَّمَكِ الْمَشْوِيِّ وَشَهْدِ ٤٢ الْعَسَلِ ✠ فَأَخَذَ وَأَكَلَ أَمَامَهُمْ[٣] ، ✠ وَقَالَ ٤٣ ٤٤ لَهُمْ : « هَذَا هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ[٤] ، إِذْ قُلْتُ لَكُمْ إِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَتِمَّ كُلُّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي شَرِيعَةِ مُوسَى وَنُبُوءَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ » . ✠ حِينَئِذٍ فَتَحَ أَذْهَانَهُمْ[٥] لِيَفْهَمُوا ٤٥ الْأَسْفَارَ الْمُقَدَّسَةَ ✠ وَقَالَ لَهُمْ « هَكَذَا هُوَ ٤٦ مَكْتُوبٌ[٦] ، وَهَكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ الْمَسِيحُ ثُمَّ يَقُومَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، ✠ وَيَنْبَغِي ٤٧ أَنْ يُبَشَّرَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا[٧] بَيْنَ كُلِّ الْأُمَمِ[٨] ابْتِدَاءً مِنْ أُورُشَلِيمَ . ✠ وَأَنْتُمْ شُهُودٌ لِذَلِكَ[٩] ٤٨ ✠ وَهَا أَنَا ذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ ذَلِكَ الَّذِي وَعَدَ بِهِ ٤٩ أَبِي[١٠] ، فَامْكُثُوا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْ تَحِلَّ عليكم الْقُوَّةُ مِنَ الأَعَالِي » .

صُعُودُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ إِلَى السَّمَاء :

✠ ثُمَّ خَرَجَ بِهِمْ إِلَى بَيْتَ عَنْيَا[١١] وَرَفَعَ يَدَيْهِ ٥٠ وَبَارَكَهُمْ. ✠ وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمُ افْتَرَقَ عَنْهُمْ ٥١

(١) التكوين ٤٥ : ٢٦
(٢) يوحنا ٢١ : ٥
(٣) الأعمال ١٠ : ٤١
(٤) متى ١٦ : ٢١ ؛ ١٧ : ٢٢ ؛ ٢٠ : ١٨ ؛ مرقس ٨ : ٣١ ؛ لوقا ٩ : ٢٢ ؛ ١٨ : ٣١
(٥) الأعمال ١٦ : ١٤
(٦) المزمور ٢٢ ؛ إشعياء ٥٠ : ٦ ؛ ٥٣ : ٢ إلخ ؛ لوقا ٢٤ : ٢٦
(٧) دانيال ٩ : ٢٤ ؛ الأعمال ١٣ : ٣٨ و٤٦ ؛ ١ يوحنا ٢ : ١٢
(٨) التكوين ١٢ : ٣ ؛ المزمور ٢٢ : ٢٧ ؛ إشعياء ٤٩ : ٦ و٢٢ ؛ إرميا ٣١ : ٣٤ ؛ ميخا ٤ : ٢ ؛ ملاخي ١ : ١١
(٩) يوحنا ١٥ : ٢ ؛ الأعمال ١ : ٨ و٢٢ ؛ ٢ : ٣٢ ؛ ٣ : ١٥
(١٠) وهو الروح القدس . أنظر اشعياء ٤٤ : ٣ ؛ يوئيل ٢ : ٢٨ ؛ يوحنا ١٤ : ١٦ و٢٦ ؛ ١٥ : ٢٦ ؛ ١٦ : ٧
(١١) الأعمال ١ : ٢

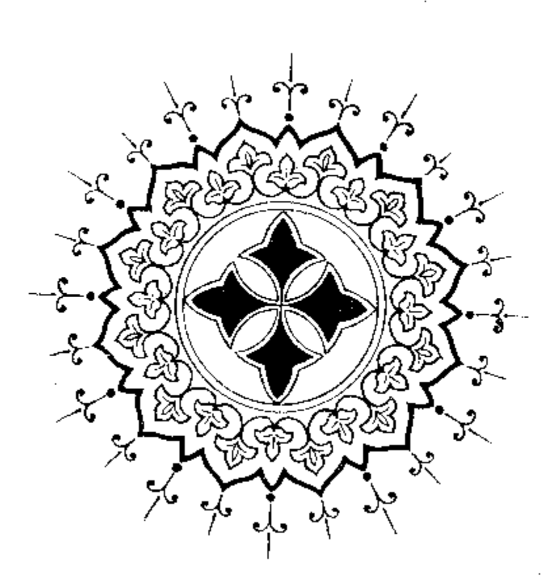
(تَابعُ) صُعُودِ السَّيِّدِ المَسِيحِ إِلَى السَّمَاءِ .

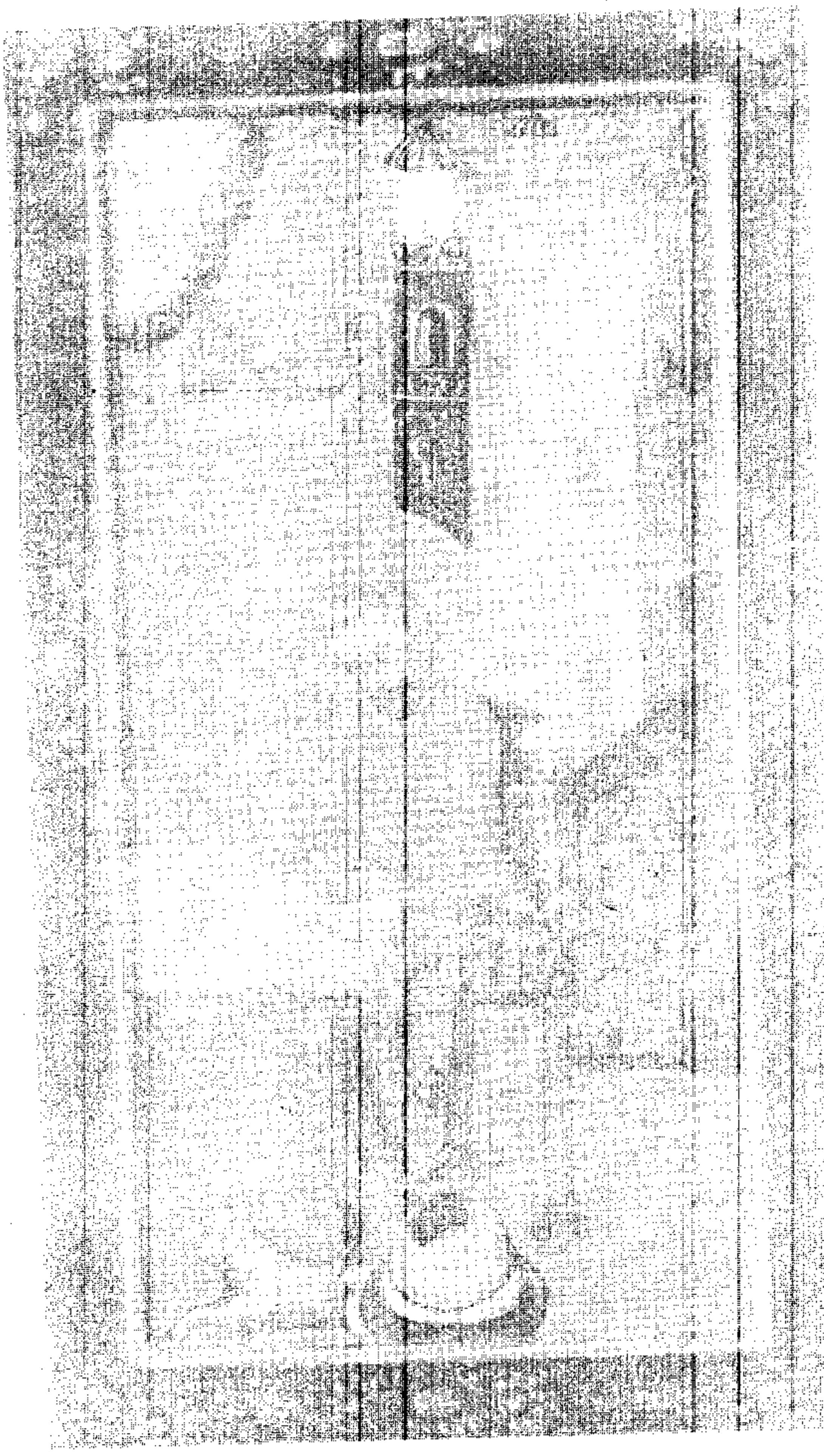
٥٢ وَصَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ[1]. ✠ فَسَجَدُوا لَهُ[2]، وَرَجعوا إِلَى
٥٣ أُورُشَلِيمَ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ . ✠ وَكَانُوا كُلَّ حِينٍ
فِي الْهَيْكَلِ[3] يُسَبِّحُونَ اللهَ وَيُبَارِكُونَهُ . آمِينْ .

(١) ٢. الملوك ٢ : ١١ ؛ مرقس ١٦ : ١٩ ؛ يوحنا ٢٠ : ١٧ ؛ الأعمال ١ : ٩ ؛ أفسوس ٤ : ٨

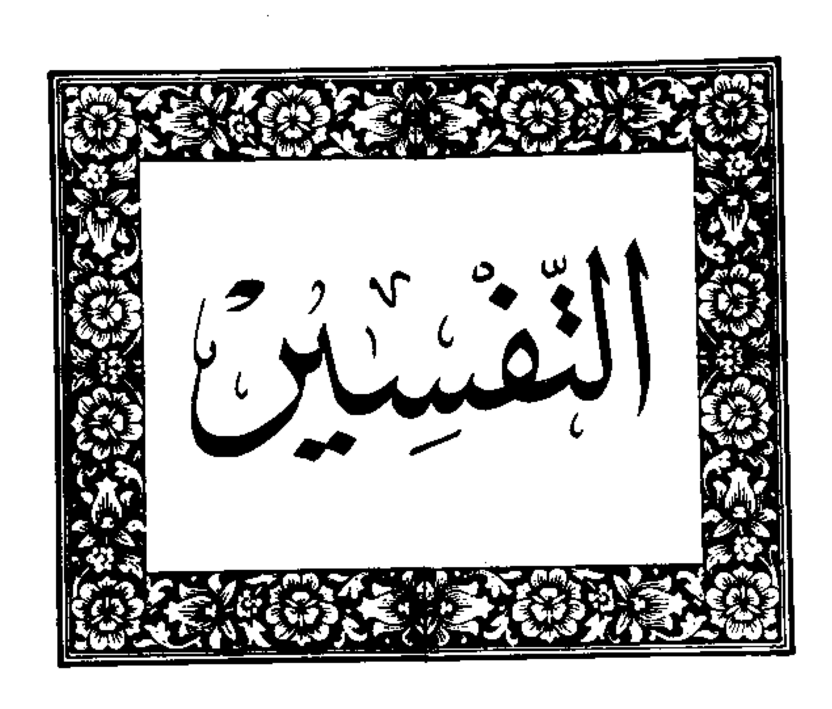
(٢) متى ٢٨ : ٩ و ١٧

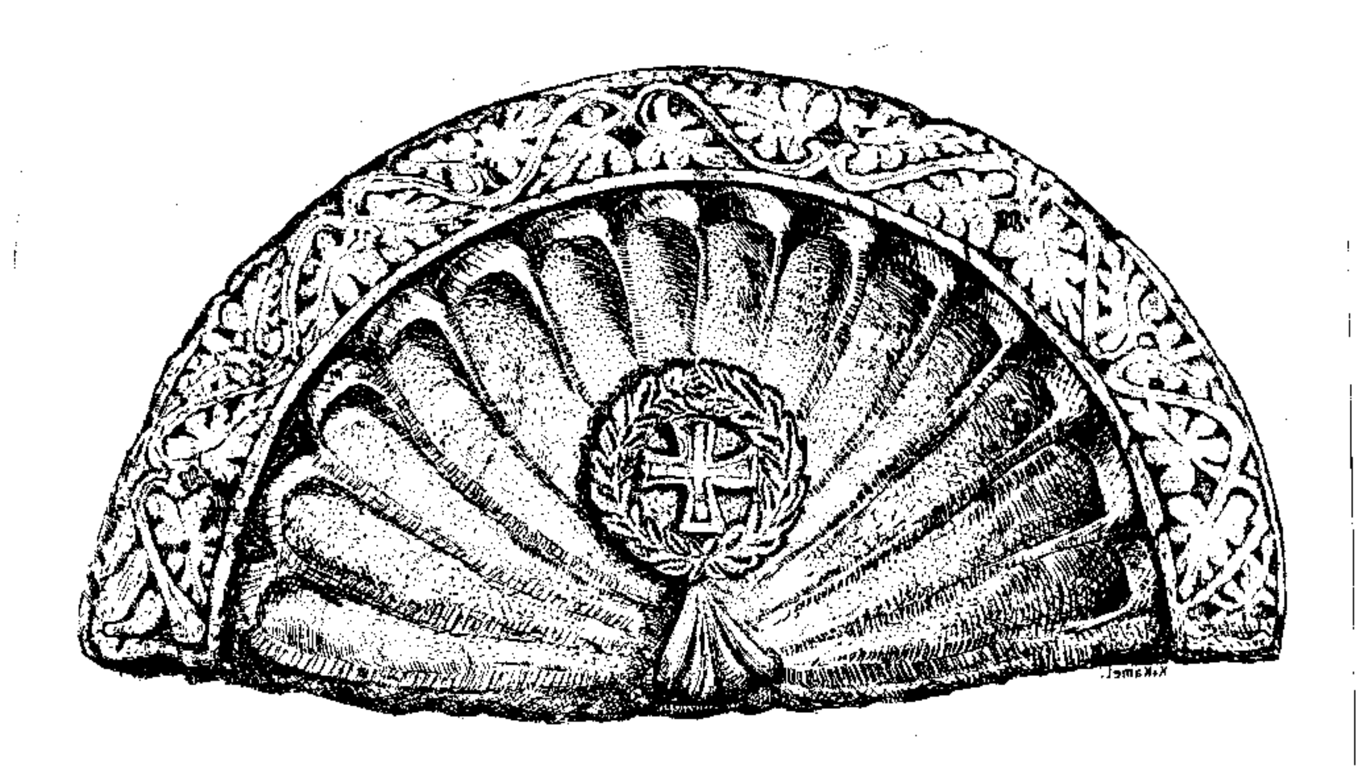
(٣) الأعمال ٢ : ٤٦ ؛ ٥ : ٤٢





القديس لوقا


التفسير



الفصل الأوّل

١ : ١ - ٤

كان تلاميذ ربّنا يسوع المسيح ورسله - بعد أن شهدوا موته على الصليب وقيامته من القبر وصعوده إلى السماء، وبعد أناامتلأوا من روح القدس - قد انطلقوا يبشرون به وبإنجيله كل شعوب العالم المعروفة فى ذلك الحين، مجاهرين بالإيمان به، مثابرين على دعوة الجميع إلى ذلك فى كل مجمع أو اجتماع. يخطبون تارة ويكتبون الخطابات والرسائل تارة أخرى، مردِّدين فى خطبهم وخطاباتهم ورسائلهم كلَّ ما رأوه بأعينهم وسمعوه بآذانهم من أنباء معجزاته الإلهية وتعاليمه السماوية وسائر وقائع حياته العجيبة المهيبة على الأرض. ومِن ثَمَّ تناقل الناس من يهود ووثنيين فى كل بقاع الأرض تلك الأنباء. فآمن بها بعضهم، وقاومها بعضهم الآخر. وقد اشتدّ بشأنها النقاش والجدال بين أولئك وهؤلاء.

وإذ كان القدّيس لوقا من رُسُل السيد المسيح السبعين، ومن أشد الناس التصاقًا بتلاميذه الأقربين، ومن أكثرهم جهدًا وجهادًا معهم فى سبيل التبشير به،

ومن أوفرهم دراية بدقائق حياته وحقائق رسالته، رأى من واجبه أن يُسَجِّل ماعلمه منه أو عرفه عنه، فى كتاب يوطِّد به إيمان الذين آمنوا بفادينا الحبيب، ويفنِّد حجج الذين أنكروه، ويردُّ على ما افتروه عليه من الأكاذيب. وقد كان للقديس لوقا صديق ذو منصب رفيع بالإسكندرية اسمه ثيئوفيلوس، كان قد سبق له أن سمع بأنباء السيدالمسيح، ربما من أولئك الذين كانوا يترددون بين الإسكندرية وفلسطين، فوجَّه إليه القِدِّيس لوقا كتابه، لينقل إليه فى أمانة ودقة قصة حياة الربِّ يسوع وتعاليمه، من مصادرها الأصيلة. وقد خاطبه فى مستهلّ كتابه، ملقِّبًا إياه بالعزيز ثيئوفيلوس. وكان لقب «العزيز» من ألقاب الرؤساء والولاة وأصحاب المراكز العليا، ولا سيما لدى الرومان فى ذلك الحين، مما قد يدلُّ على أن الرَّجُلَ كان رومانيًّا. ومِن ثَمَّ كان وثنيًّا وليس يهوديًّا. ولقب (العزيز) يقابل (صاحب العزة).

وقد استهلَّ القِدِّيس لوقا كتابه بالإشارة إلى أنَّ كثيرين قد أخذوا يدوِّنون قصة تلك الأحداث الخاصة بيسوع المسيح، والتى جرت أمام التلاميذ والرسل ورأوها بأعينهم. ثم راحوا بإيمان عميق وتَفَانٍ عظيم يخدمون سيدهم كلمة الله، مبشرين به وناشرين بين الناس كلماته. ولما كان القدِّيس لوقا من بينهم، فقد أخذ هو أيضًا فى كتابتها. إذ كان قد تتبَّع كلَّ شيء منذ البدء بتدقيق، وقد رأى بعينيه بعضها، وسمع بعضها الآخر من تلاميذ السيد المسيح الذين كانوا ملازمين لمعلِّمهم ملازمة كاملة، وقد شهدوا بأنفسهم كل ما قال وكل ما فعل أمامهم. كما أنه ولا ريب قد استمع من السِّيدة العذراء نفسها، إلى كثير من أسرار تجسُّد الربِّ فى أحشائها، وميلاده منها، وما أحاط بذلك الميلاد الفذ الفريد من معجزات تعلو على مدارك البشَر، ولو كانوا من أعلم العلماء، وما رأته ورآه كثيرون غيرها من ظواهر ومظاهر عجيبة غريبة قبل الميلاد وبعده، وما امتلأت به الأرض حينذاك من ملائكة السماء الذين لم يلبثوا أن ظهروا لكثيرين يبشِّرونهم بمجئ ابن الله بين الناس، مهلِّلين تهليل الفرح، ومرتِّلين تراتيل التمجيد لله فى السماء، والخلاصِ للبَشَر والسلام على الأرض. وإذ كان القدِّيس لوقا طبيبًا، وعلى قدر عظيم من الثقافة والبلاغة، وكان تلميذًا للربِّ، وواحدًا من رسله السبعين، ومزوَّدًا بمواهب الروح القُدُس.

لذلك فهو من أقدر الناس بإرشاد الروح القدس على تصوير أحداث مجىء الفادى، فى أسلوب رفيع، وفى تعبير دقيق، وفى ترتيب منسّق، وفى فهم عميق، وفى أمانة كاملة.

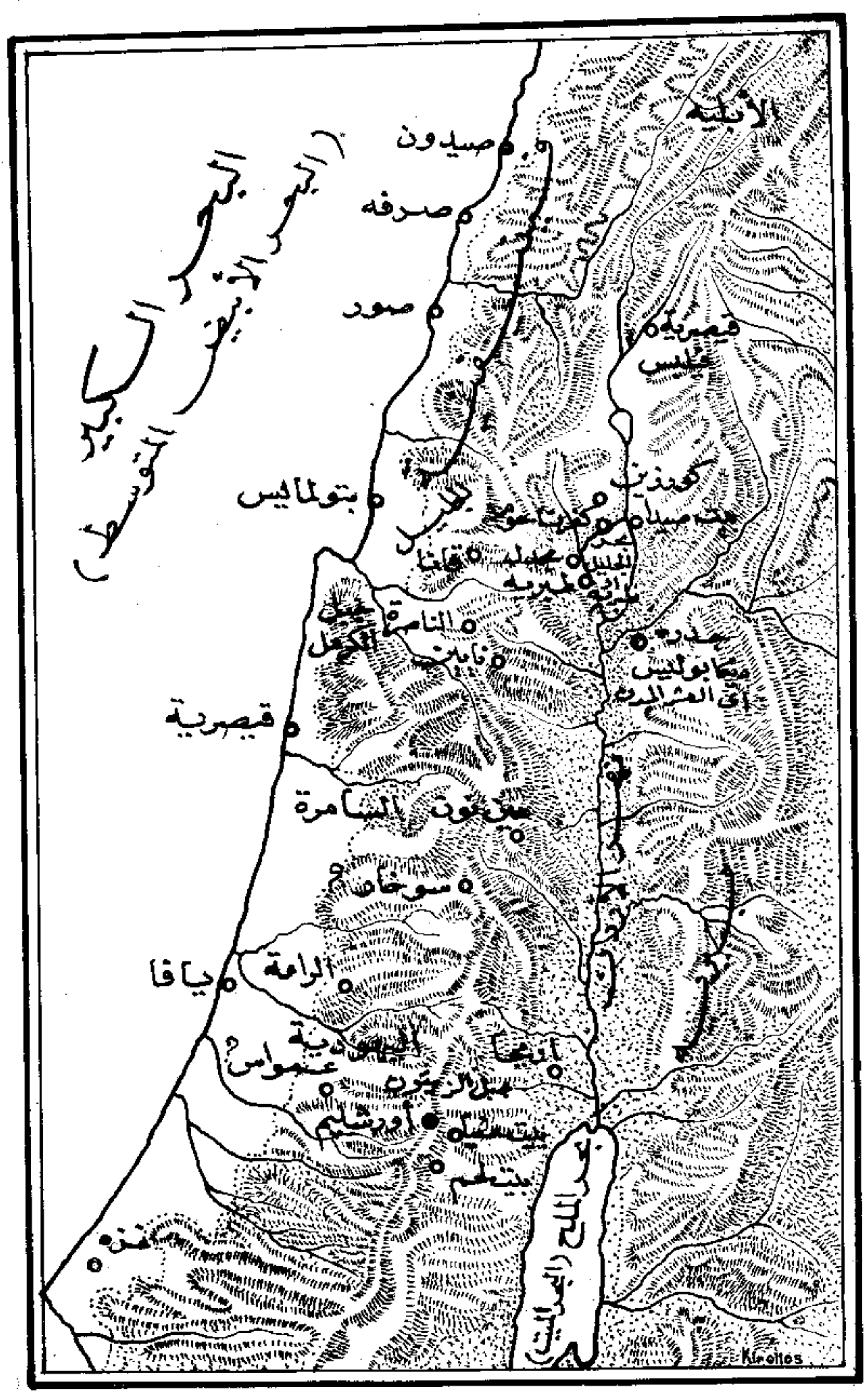
ولعلَّ شهادة القديس لوقا عن أحداث حياة السيد المسيح بأنها جرت يقينًا بينهم كما تسلَّموها من أولئك الذين رأوا بأعينهم وكانوا خدامًا للكلمة، هى شهادة أيضًا بأهمية التقليد الشفاهىِّ الذى سارت عليه الكنيسة منذ نشأتها. قبل كتابة البشائر والرسائل. وهذا معناه أنَّ التقليد هو مصدر الإنجيل، وقد اعتمد عليه الذين كتبوا الإنجيل. والتقليد الرسولى هو الحقائق والتعاليم التى علَّم بها السيد المسيح، والأحداث والوقائع التى صاحبت حياته على الأرض منذ بدأت وعاشت فى ذاكرة السيدة العذراء مريم وتلاميذ السيد المسيح ورسله سنوات كثيرة قبل أن يبدأ الرسل تبشيرهم بالفعل وقبل أن يكتبوا البشائر والرسائل، وعنها أخذوا فيما علَّموا وفيها كتبوا. على أن أكثر الآباء الرُّسُل ممن لم يكتبوا بشارة، أخذوا عنها فى تعليمهم فى البلاد التى ذهبوا إليها وبشَّروا فيها، والتى صارت معروفة بعدهم بالكنيسة الرسولية. فالتقليد الرسولىّ المسلَّم إلى الكنائس الرسولية، بالإضافة إلى البشائر والرسائل، تؤلف معًا ينابيع التعليم المسيحى الذى نؤمن وننادى به.

١ : ٥ - ٢٥

وإذ كان يوحنا المعمدان هو المعيَّن فى الحكمة الإلهية كما وردت على لسان أنبياء العهد القديم ليسبق السيد المسيح فى الظهور، كى يهيِّئ قلوب الناس وعقولهم لمجيئه والإيمان به، بدأ القدِّيس لوقا إنجيله بوصف كيفية ميلاد يوحنَّا وأسلوب حياته ومناداته بقرب ظهور المسيح مخلِّص العالَم الذى تنبَّأ بمجيئه كلُّ الأنبياء، والذى كان اليهود ينتظرونه منذ أجيال طويلة. فيقول القدِّيس لوقا إنه فى أيام هيرودس ملك اليهودية - وهو المسمّى هيرودس الكبير الذى لم يكن من أصل يهودى، والذى كان يحكم بلاد اليهود تحت سلطان الرومان، خاضعًا لهم، متملقًا إياهم - كان ثمة كاهن اسمه زكريًّا من نسل هارون أول رئيس لكهنة اليهود،

وأخى موسى النّبى. وقد كان الكهنة من أبناء هارون قد كثر عددهم فى أيام الملك داود، فقسّمهم إلى أربع وعشرين فرقة، تتناوب إقامة شعائر العبادة فى هيكل أورشليم فى الموعد المحدَّد لكلٍّ منها، وجعل لكلِّ فرقة رئيسًا تنتسب الفرقة إليه وتحمل اسمه. وكان زكريا أبو يوحنا من الفرقة الثامنة التى كان يرأسها أبيًّا، وكانت تحمل اسمه (أخبار الأيام الأول ٢٤ : ١٠). وكانت زوجة زكريا من نسل هارون أيضًا، وكان اسمها أليصابات. وكانا كلاهما بارّين أمام الله، سالكين بلا لوم فى كلِّ وصايا الربِّ وفرائضه. بيد أنهما لم يكن لهما ولد، إذ كانت أليصابات عاقرًا. وإذ كانا كلاهما طاعنين فى السِّنِّ، انقطع رجاؤهما فى إنجاب أبناء، على الرغم من دعائهما الدائم إلى الله ليستجيب لرجائهما فى ذلك. وقد كان هذا مصدر حزن لهما، ولا سيَّما أن اليهود كانوا يعتبرون عقم المرأة عارًا لها، متخذين إياه دليلاً على غضب الله عليها.

وفيما كان زكريًّا يقوم بمراسم الكهنوت أمام الله فى نوبة فرقته، أصابته القرعة على مقتضى نظام الكهنوت لأن يقوم بالتبخير على مذبح البخور فى الهيكل. وكان هذا الطقس الذى كان ينبغى أن يتمَّ يوميًّا، يتضمَّن شرفًا عظيمًا، ومِن ثَمَّ كان الكهنة يقترعون فيما بينهم لتعيين من يقوم به. فدخل زكريًّا هيكل الربِّ. وكان الشعب كلُّه فى الخارج يصلِّى فى وقت التبخير. وإذا بملاك الربِّ قد ظهر له قائمًا على يمين مذبح البخور، فاضطرب زكريًّا حين رآه واستولى عليه الخوف. بَيْد أنَّ الملاك بادَر إلى تهدئة روع زكريّا قائلاً له «لا تَخَف يا زكَرِيًّا، فإنَّ دُعاءَك قد استُجيب، وزوجتك أليصابات ستحبل وتلد ابنًا فتُسمِّيه يُوحنًّا، وتفرح وتبتهج، كما يفرح كثيرون بميلاده، لأنه سيكون عظيمًا أمام الربِّ، وخمرًا أو مُسْكِرًا لا يشرب. ومن بطن أُمِّه سيكون ممتلئًا من روح القدس، وسيردُّ كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرَّبِّ إلههم، ويتقدَّم أمام الربِّ بروح إيليًّا وقوَّته لَيردَّ قلوب الآباء إلى أبنائهم، والعصاة إلى فِكْرِ الأبرار، كى يهيّئَ للربِّ شعبًا مستعِدًّا». ويتَّبين من بشارة الملاك لِزكَرِيًّا أنَّ زوجته العاقر الطاعنة فى السِّنِّ التى فات أوان صلاحيتها للحمل والولادة بحكم القوانين الطبيعية، ستحمل على الرغم من ذلك بمعجزة



فلسطين فى عصر السيد المسيح

إلهيَّةٍ، وتلد ابنًا مُختارًا من الله، إذ عيَّن الله له رسالته، كما عُيِّن له اسمه قبل الحَبَل به، ووهبه كُلَّ صفات الرَّجُل العظيم، لا العظمة الزَّائفة بالمقياس البشرى وإنَّما العظَمة الحقيقيَّة بالمقياس الإلهىِّ. وبالفعل فقد وصف السيد المسيح يوحنَّا بعد ذلك قائلاً «إنَّه لم يقم بين المولودين من النِّساءِ أعظم من يوحنَّا المَعْمِدان» (متى ١١ : ١١). ويدلُّ قول الملاك أنه «خمرًا أو مُسكرًا لا يشرب» على أنه سيكون نذيرًا للربِّ، مكرِّسًا حياته لخدمته. لأنه كان من واجبات النذير فى الشَّريعة أن يمتنع عن شُرب الخمر والمُسكر (العدد ٦ : ٣). أما قول الملاك إنه سَيَرُدُّ كثيرين من بنى إسرائيل إلى الربِّ إلههم، ويتقدَّم أمام الربِّ بروح إيليَّا وقوَّته لَيرُدَّ قلوب الآباء إلى أبنائهم والعُصَاةِ إلى فِكْرِ الأبرار، كى يهيِّئَ للربِّ شعبًا مستعدًا»، فكان معناه أَنَّ هذا المولود هو الذى عيَّنته حكمة الله ورحمته لِيُهَيِّئَ قلوب الناس للإيمان بالسيِّد المسيح، والذى تنبأ عنه ملاخى النبى قائلا : ها أنذا أرسل ملاكى فيهيئ الطريق أمامى، (ملاخى ٣ : ١). وقد قال السيِّد المسيح فى ذلك «ولكنَّنى أقول لكم أَنَّ إيليَّا قد جاء فعلاً فلم يعرفوه، وإنما فعلوا به كُلَّ ما أرادوا. وعندئذ فهم التلاميذ أنه كان يكلِّمهم عن يوحنَّا المَعْمدان» (متى ١٧ : ١٢ و١٣). انظر (متى ١١ : ١٠)، (مرقس ١ : ٢)، (لوقا ١ : ٧٦)، (٧ : ٢٦، ٢٧).

بيد أنَّ زكريَّا وقد بوغت بهذا القَول من الملاك، ذُهِل فى تلك اللحظة عن قُدرة الله العظيمة التى طالما أظهرها لرجاله الصَّالحين فى قديم الأيام، ولم يخطر فى باله لأوَّل وهلة إلاَّ أنه من غير الممكن أنَّ زوجته العاقر العجوز تحبل وتلد. ولم يدرك أنَّ ظهور الملاك فى ذاته دليل كاف على أن إرادة الله قد شاءت أن تتم هذه المعجزة. كما لم يدرك أنَّ صدور القولِ من الملاك المُرْسَل من الله دليل كافٍ على صِدقِهِ وامتناع الريبَة فيه. ومِنْ ثَمَّ طَلَبَ من الملاك أن يعطيه دليلاً واضحًا، وأن يبْدى له علامة تقنعه بصدقِ ما سمعه منه، قائلاً له «بِمَ أعرف هذا فإنى شيخ وزوجتى قد طعنت فى السِّنِّ؟». وعندئذ كَشَف له الملاك عن شخصيته، توبيخًا له على عدم اقتناعه، وتأكيدًا له فى الوقت نفسه بأن ما أنبأه به حق وصِدْق لأنه من عند الله ذاته، إذ قال له «أنا جبرائيل الواقف أمام الله، وقد أُرسِلت لأكلِّمك وأُبشِّرك

بهذا». ثم أعطاه العلامة التى أرادها. بَيْدَ أنها كانت علامة وعقابًا معًا، إذ قال له «ها أنت ذا ستظل أبكم فلا تستطيع الكلام إلى اليوم الذى يتحقَّق فيه هذا، لأنك لم تصدِّق كلامى الذى سيتمُّ فى أوانه» فَفَقَد زكريًّا على الفور القدرة على الكلام، وفى هذه الأثناء كان الشعب كله فى انتظار زكريا، متعجبين من إبطائه فى الهيكل. فلما خرج لم يستطع أن يكلّمهم، فأدركوا أنه قد رأى رؤيا فى الهيكل، إذ كان يومئ بالإشارة إليهم، وقد ظلَّ أبكم. فلما تمَّت أيام خدمته فى الهيكل مضى إلى بيته، ثمَّ لم تلبث المعجزة التى أنبأه بها الملاك أن تحققت، إذ أن زوجته أليصابات حبلت بالفعل، فأخفت نفسها خمسة أشهر قائلة «هذا هو الفضل الذى صنعه الرب معى، إذ عطفَ علىَّ كى ينزع عنِّى العار بين الناس».

١ : ٢٦ - ٣٨

وفى الشهر السَّادس من حبل أليصابات، أرسل الله ملاكه جبرائيل إلى مدينة فى منطقة الجليل تسمَّى الناصرة، تقوم على جبل مرتفع فى شمال فلسطين، ودخل إلى عذراء اسمها مريم، كانت مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، وقال لها «السلام لك أيتها الممتلئة نعمة. الربُّ معك. مباركة أنتِ فى النساء». والملاحظ أنَّ الملاك ابتدر حديثه مع العذراء بأن أعطاها السلام، الأمر الذى لم يفعله مع زكريَّا الكاهن، أو مع أى إنسان آخر من قبل، مما يدل على مكانة خاصة للسيدة العذراء مريم. وهذا السلام من فم الملاك يبرر أيضًا ما تحيِّى به الكنيسة، والدة الإله، بقولها دائمًا «السلام لكِ، نسألك أيتها القدِّيسة الممتلئة مجدًا، العذراء دائمة البتوليَّة، والدة الإله أم المسيح. أصعدى صلواتنا إلى ابنك الحبيب ليغفر لنا خطايانا...». ثُمَّ إن وصف الملاك لها بأنها «الممتلئة نعمة» إنما هو بيان لفضيلتها، وأنها كانت قبل حبلها بالسيد المسيح إناء طاهرًا مستعدًّا لحمل النعمة، ولذلك ملأتها النعمة فصارت هى مشحونة بالنعمة ممتلئة بها. وهذا الامتلاء بالنعمة هو الذى جعلها أهلاً لحلول الكلمة الأزلىّ فى أحشائها.. نعم إنَّ ما نالته مريم من كرامة كان إنعامًا، ولكن الإنعام لا يجىء إلا لمن يستحقه، كعلامة رضى

وتكريم واعتراف بفضله وفضيلته. بيد أن السيدة العذراء إذ رأت الملاك اضطربت من قوله، وأخذت تفكرّ ما عسى أن يكون معنى هذه التحية؟. لأنها فتاة صغيرة وفقيرة، فما الذى دعا ذلك الملاك النورانى الجليل الهيئة المهيب الطلعة لأن يجىء إليها فى بيتها المتواضع، ويوجِّه إليها كل هذا التكريم والتعظيم، ويسبغ عليها كلَّ هذه الأوصاف الوافرة التقدير والتقديس، الزاخرة بالنعمة والبركة؟ ولعلَّها أيضًا - فى براءتها وبساطتها - خافت من منظره الرُّوحانى السماوىّ الذى لا يشبهه فى بهائه وضيائه أحد من أبناء الأرض. كما خافت من ظهوره الفجائىّ كوميض البرق أمام عينيها. فقال الملاك لها «لا تخافى يا مريم، لأنك قد نلت نعمة عند الله، وها أنت ذى ستحبلين وتلدين ابنًا تسمينه يسوع. وسيكون عظيمًا وابن العلىّ يُدعَى، وسيعطيه الربُّ الإله عرش داود أبيه، فيملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولن يكون لملكه انقضاء». بيد أنَّ العذراء الطاهرة العفيفة، على الرغم من خطبتها ليوسف، كانت قد عشقت العفة الكاملة، وأرادت أن تحيا لله بتولاً كلَّ أيامها، ولم يكن زواجها الرسمِىّ بيوسف إلا ضرورة اقتضاها وضْعُها كفتاةٍ يتيمة الأبوين بلغت الثانية عشرة من عمرها، وكان لابد أن تخرج من الهيكل كما تقضى بذلك الشريعة، وكان لابُدَّ بالتَّالى من أن تكون فى كنف رجل يحميها. ويتضح هذا العزم على العفة الكاملة والبتولية التامة من قولها للملاك فى دهشة مثيرة «كيف يكون لى هذا، وأنا لا أعرف رجلاً؟». والملاحظ أن عبارة العذراء مريم وهى تنفى عنها معرفة رجل معرفة الأزواج لم تكن بالنسبة للماضى فقط، وإنما تدل على اعتزامها أن لا تعرف رجلاً فى الحاضر والمستقبل أيضًا. وهذا أمر يدعو إلى العجب حقًا، فإنَّ رسالة الملاك جاءتها وهى فى بيت يوسف. ولو لم تكن مصّمِّمة على البتولية الدائمة لما كان ثمَّة معنى لاعتراضها، لا سيَّما أن البُشرَى هى فى صيغة المستقبل، إذ قال لها الملاك «ستحبلين» مما يدل دلالة قاطعة على أن السيدة العذراء مريم التى عاشت منذ الثالثة من عمرها فى جوِّ الهيكل المعطّر بالبخور والصلوات قد تعلَّقت بالطهارة، وقد مَلكت العفةُ على قلبها، فاعتزمت أن تعيش بتولاً دائمًا. ولذلك فإنَّ الملاك لم يغضب لاعتراضها كما غضب لاعتراض زكريًا، بل أَبانَ لها فى



«بشارة الملاك للسيدة العذراء» (لوقا ١ : ٢٦ - ٣٨)

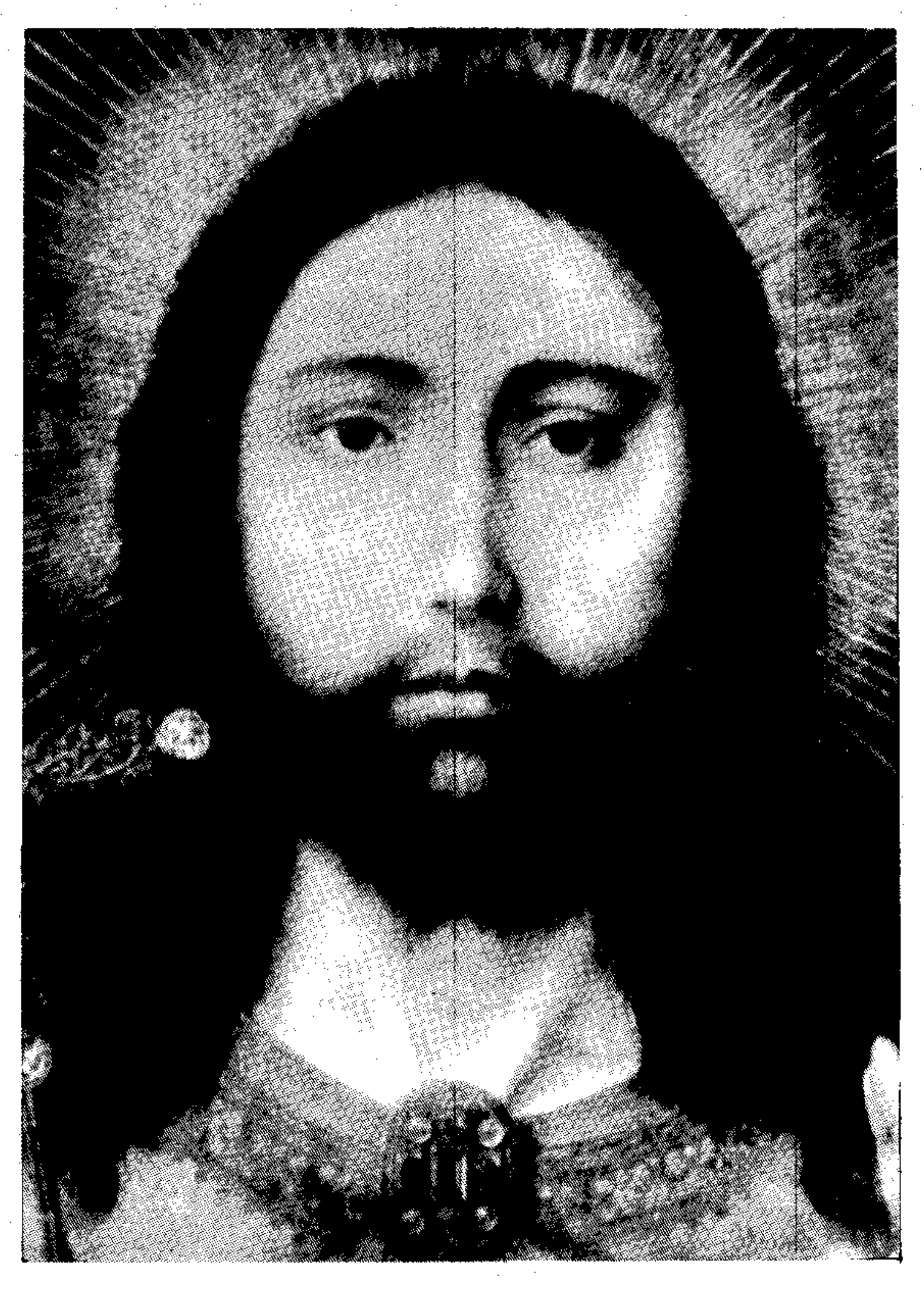
وقار أن هذا الحَمْل سوف لا يتعارض مع احتفاظها ببتوليتها، لأنه سيكون حَمْلاً، لا بزرع بَشَرٍ، بل بحلول روح القدس عليها «فأجاب الملاك وقال لها : إنَّ روح القدس سيحلّ عليكِ وقوة العلىّ سَتُظَلِّلُكِ، ولذلك فإنَّ القُدُّوس الذى سيولد منك يدعَى ابن الله». فلما اقتنعت بأن هذا الحَمْل سوف لا يحرمها من احتفَاظها بعفتها وبتوليتها أجابت الملاك قائلة «ها أنا ذا أَمَة الربِّ، فليكن لى بِحَسَب قولك». على أنها وإن كانت عذراء نقية وتقية تداوم الصلاة وتتلو التوراة ونبوءات الأنبياء لم يخطر ببالها، فى وداعتها وتواضعها أنها هى العذراء التى تنبأ إشعياء النبى أنَّ المسيح ابن الله مخلِّص العالَم سيتجَسّد فى أحشائها، وأنها على الرغم من أنها عذراء «تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمَّا نوئيل» أى «الله معنا» (إشعياء ٧ : ١٤). اولكى يعطيها الملاك مَثَلاً على أنَّ الله قادر أن يفعل هذا وإن بَدَا فى عينيها عجيبًا، قال لها «وها هى ذى أليصابات التى هى من بنات جنسك، قد حبلت هى أيضًا بابن فى شيخوختها، وهذا هو شهرها السادس، تلك التى كان يقال إنها عاقر، لأنه ليس ثمة مستحيل على الله». وإذ قال لها الملاك ذلك أيقنت على الفور أنها هى العذراء التى تحدَّث إشعياء عنها فى نبوءته، ما دام روح القدس سيحلّ عليها وقوة العلىِّ ستظلِّلها وما دام القدُّوس الذى سيولد منها هو ابن الله. وعندئذ تقبَّلت نعمة الله فى خضوع وخشوع وإيمان وامتنان، قائلة للملاك «ها أنذا أَمَة الرَّبِّ، فليكن لى بحسب قولك». وإذ رأى الملاك أنها استمعت إلى قوله واقتنعت به، انصرف من عندها بعد أن أدى الرسالة التى كلفه الله بها.

١ : ٣٩ - ٥٦

بيد أن السيدة العذراء - وهى الفتاة الصغيرة الوديعة المتواضعة - كان هذا الحَدَثُ الجليل أكبر وأخطر من أن تطوى عليه جوانحها. ولم تكن تستطيع أن تُفضى به إلا إلى أليصابات زوجة زكريَّا التى أنبأها الملاك بأنها هى الأخرى - بقدرة الله الذى لا يستحيل عليه شىء - قد حبلت فى شيخوختها. ففى تلك الأيام قامت مريم وذهبت مسرعة إلى مدينة على الجبال من مدن يهوذا، كانت



« السيد المسيح ملك الملوك » مأخوذة عن أيقونة بالكاتدرائية المرقسية الكبرى بالقاهرة



« السيد المسيح »

بريشة الفنان العالمى كوينتين ماتسيز

تبعد عن الناصرة، والمعروف أنها مدينة «عين كارم». وهناك دخلت بيت زكريًا وسلّمت على أليصابات التى كانت عندئذ حبلى بيوحنًا المعمدان، وكانت فى شهرها السَّادس. فما إن سمعت أليصابات سلام مريم حتى انتفض الجنين فى بطنها، وامتلأت أليصابات من روح القدس، فعلمت فى هذه اللحظة - بالروح القدس وقبل أن تتحدث إليها سيِّدتنا الطاهرة بأىِّ شىء مما حدث لها - أن هذه هى العذراء التى اختارها الله ليولد منها المسيح ابن الله مخلِّص العالَم، ومِنْ ثَمَّ صاحت بصوت عظيم قائلة «مباركة أنت فى النساء، ومباركة هى ثمرة بطنك. من أين لى هذا الشَّرَف أن تأتى أمُّ ربىِّ إلىَّ، فإنَّه ما بلغ أذنى صوتُ سلامك حتى انتفض الجنين متهلِّلًا فى بطنى. فطوبىَ لَكِ يا مَنْ آمَنْتِ بأنَّه سيتمُّ ما قِيل لكِ من الرَّبِّ».

وهنا نقف لنتأمل امرأة عجوزًا وقورة تبلغ نحو التسعين من عمرها أو تزيد، وفى مكانة محترمة، إذ هى زوجة كاهن وهو زكريًّا، تستقبل فتاة صغيرة يتيمة فقيرة لم تبلغ بعد الثالثة أو الرَّابعَة عشرة من عمرها، تحييها بصوت عظيم قائلة «مباركة أنت فى النساء، ومباركة هى ثمرة بطنك». ومما يجدر ذكره أنها باركتها قبل أن تبارك ثمرة بطنها. وهذا ينهض دليلًا من الرُّوح القدس على أنَّ لمريم كرامة فى ذاتها، وأن كرامتها فى فضيلتها أسبق من كرامتها كأمٍّ للمسيح، أى أن كرامتها فى فضيلتها هى التى رشحتها لأن تصير أُمًّا للمسيح. فهى ليست كأىِّ عذراء أخرى، وإنما هى العذراء الطاهرة المشحونة بالفضائل والتى اختارها الرب دون جميع العذارَى لتكون له أُمًّا، لأنه رأى فيها حُسْنَها الرُّوحانىّ، وجمالها الباطنىّ. ولذلك أيضًا طوَّبتها أليصابات وغبطَتها، وكشفت بالروح القدس عمق إيمانها، إذ قالت «فطوبى لك يا من آمَنْتِ بأنه سيتمّ ما قِيل لكِ من الربِّ». فكانت أليصابات أوَّل من طوَّبها بالروح القدس، بعد الملاك جبرائيل الذى حيَّاها بتحيّة لم تعرفها امرأة من قبل، ووصفها بأنها الممتلئة نعمة، وقال لها «مباركة أنتِ فى النساء» (لوقا ١ : ٢٨). ثم إنَّ فى قول أليصابات «من أين لى هذا الشَّرَف أن تأتى أمُّ ربىِّ إلىَّ» ما يبرر تلقيب السيدة العذراء مريم بوالدة الإله، حيث إن الذى كان فى أحشائها مَنْ سَجَدَ له يوحَنَّا المَعْمَدَان وهو فى بطن أمه جنينًا وانتفض متهلِّلًا. إنَّ اعتراف

أليصابات بأن مريم هى أم الرب إنما هو صوت الروح القدس الذى نطق على فم أليصابات. وقد كان ولا يزال هذا هو اعتراف المسيحيين منذ أول عصور الكنيسة. ولقد أسقطت الكنيسة «نسطور» من درجاته الكهنوتية لأنه أنكر هذا اللقب على السيدة العذراء مريم، وصارت الكنيسة تترنَّم دائمًا بمقدمة قانون الإيمان التى تقول فيها «نعظِّمك يا أم النور الحقيقى. ونمجدِّك أيتها العذراء القدِّيسة والدة الإله، مريم.. لأنك وَلَدْتِ لنا مخلِّص العالَم». ومِنْ ثمَّ فإنَّ الذى ينكر على السيدة العذراء مريم تلقيبها بوالدة الإله، إنما ينكر على سيدنا يسوع المسيح أنه ابن الله، وأنه الله الظاهر فى الجَسد.

ولقد كانت تحية أليصابات هى أوَّل إشارة تؤيد لدى العذراء العفيفة ما سبق أن قاله لها الملاك. ومِنْ ثَمَّ أخذت تُسَبِّحُ الرَّبَّ مترنمِّة بعظمته، شاكرة إياه على أنه - على الرغم من أنها فتاة صغيرة وفقيـرة - وضَعها فى أشرف وأرفع مكان بين البشَر، إذ هتَفَتْ قائلة «تُعظِّمُ نفسى الربَّ، وتبتهج روحى بالله مخلِّصى، لأنه عطف على أَمَتِهِ فى تواضعها. فإنَّه هُوَذَا منذ الآنَ كلُّ الأجيال تُطَوِّبنى. لأن القدير قد صنع بى عظائم. قدُّوسٌ اسمُهُ ورحمتُه دائمة إلى أجيال فأجيالٍ للذين يتَّقونه. أتَى أعمال قُدرة بِذِرَاعِهِ، وشتَّت المتعالين بأفكار قلوبهم. أنزَل الأعزَّاء عن عروشهم ورَفَعَ الأذِلَّاء. أَشبَعَ الجِيَاعَ خيرات وصرف الأغنياء فارغى الأيدى. عاضَدَ عبده إسرائيل لِيَذْكرَ رحمته التى وَعَدَ بها آباءَنا إبراهيم وذرّيته إلى الأبَد».

وهكذا أدركت سّيدتنا العذراء كلَّ الإدراك قيمة المركز الذى منحه الله إياها. كما أدركت كلَّ الإدراك طبيعة الجنين الذى تحمله فى أحْشائها، إذ هتفت قائلة «هُوَذَا منذ الآن كل الأجيال تطوِّبنى»، وأيَّدت هذا الإدراك بقولها «تبتهج روحى بالله مخلِّصى»، ثم بقولها إنَّ الله بتلك العظائم التى صنعها بها، قد أُنجز وعْدَه لإبراهيم وذرّيته بمجىء المسيح مخلِّص العالَم من نَسْلِهِ، لأنها كانت من نسل إبراهيم وذرِّيته. وقد مكثت سيِّدتنا العذراء عند أليصَابات نحو ثلاثة أشهر. أى أنها لازمتها إلى حين ولادتها ابنها يوحنَّا، ثم رجعت إلى بيتها فى النَّاصرة.

١ : ٥٧ - ٨٠

فلمَّا استوفت أليصابات زمان ولادتها ولدت ابنًا، وسمع جيرانها وأقاربها كيف أنَّ الربَّ قد أجْزَلَ رحمته لها، ففرحوا معها. وفى اليوم الثامن جاءوا لختان الطفل على مقتضى الشريعة، وسمّوه زكريًا على اسم أبيه. بيد أنَّ أمَّه اعترضت قائلة «لا بل يُسمَّى يوحنًا». فقالوا لها «لا أحد فى عشيرتك يُدعى بهذا الاسم». ثُمَّ سألوا أباه بالإشارة - إذ كان لا يزال أَبْكَمَ منذ أن ظهر له الملاك فى الهيكل منذ تسعة أشهُر - قائلين له «ماذا تريد أن تسمّيه؟»، فطلب لوحًا وكتب يقول «اسمه يوحنا»، وفقًا لقول الملاك حين بشَّره أن الطفل الذى سيولَد له سيسميه يوحنًا، ومِنْ ثَمَّ تعجَّب الحاضرون جميعًا، وفى الحال انفتح فم زكريًا، وانحلّت عقدة لسانه بعد أن استوفى العقاب الذى استحقه على عدم إيمانه بما بشّره ملاك الله به، طالبًا علامة ليؤمن، إذ أجابه الملاك عند ذاك قائلاً «ها أنت ذا ستظل أبكم فلا تستطيع الكلام إلى اليوم الذى يتحقق فيه هذا»، أى إلى الموعد الذى يجىء فيه الطفل ويسمِّيه يوحنًا. فلما تحقَّق هذا تكلَّم زكريًا مباركًا الله. فاعترى الخوف جميع جيرانهم، لأنهم لم يكونوا قد اعتادوا مثل هذه المعجزات التى وقعت أمامهم، والتى كان قد انقطع وقوعها منذ مئات السنين. إذ كانت الرؤيا التى علموا أنَّ زكريًا رآها فى الهيكل معجزة، وكان حَبَل زوجته العاقر العجوز وولادتها معجزة، وكان كلامه وسمْعه بعد أن ظلَّ تسعة أشهُر أبكم معجزة. ومِنْ ثَمَّ جرى الحديث بكل هذه الأمور فى جميع جبال اليهوديَّة. وقد راح كل الذين سمعوها يفكرون فى قلوبهم قائلين «ما عسى أن يكون هذا الطفل؟».. ما عسى أن تكون شخصية هذا الطفل الذى أحاطت بالحَبَل به وبميلاده كل تلك المعجزات، والذى كان واضحًا أن يد الربِّ كانت معه؟. أما أبوه زكريًا فقد امتلأ من روح القدس وتنبأ قائلاً «مبارك الرب إله إسرائيل، لأنه تفقَّدَ شعبه وافتداه، مقيمًا لنا ركن خلاص من بيت عبده داود. كما أعلن منذ القديم على أفواه أنبيائه القدِّيسين أن يخلِّصنا من أعدائنا ومن أيدى جميع الذين يبغضوننا، وأن يسبغ رحمته على آبائنا، ويذكر عهده

المقدَّس. ذلك القَسَم الذى أقسمه لإبراهيم أبينا، أن ينعِم علينا بأن ننجو من أيدى أعدائنا، فنعبده بلا خوف، فى قداسة وبِرٍّ أمامه كلَّ أيام حياتنا. وأنتَ أيها الطفل ستُدعَى نبىَّ العلىِّ، لأنك ستتقدَّمُ أمام وجه الربِّ لتهيِّئَ طريقه، ولتعطى شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم. فبفضل رحمة إلهنا تفقَّدنا المُشرق من العلاء، ليضىء للجالسين فى الظُّلمة وظلال الموت، ويقود خُطانا فى طريق السَّلام»، وبذلك تنبأ زكريًا - وقد امتلأ فى تلك اللحظة بروح النبوَّة التى هى من مواهِبِ الرُّوح القدس - بأن ابنه يوحنا هو الذى قال عنه الأنبياء إنَّه سَيُعِدُّ الطريق للمخلِّص الفادى، هاتفًا بالشكر لله، إذ حقَّق وعده للآباء الأوائل والأنبياء القُدامى، فأرسل بالفعل ذلك المخلِّص الفادى الذى هو ابن الله وقد تجسَّدَ فى أحشاء عذراء من نسل داود. وإذ خاطب زكريًا ابنه قائلاً «أنت أيها الطفل ستُدعَى نَبِىَّ العلىِّ، لأنَّك ستتقدَّم أمام وجه الربِّ لتهيِّئَ طرقه»، إنما كان يعنى أن ابنه هذا هو الذى تحدَّث عنه إشعياء النبىُّ قائلاً فى نبوءته «صوتُ صَارخٍ فى البريَّة: أَعِدُّوا طريق الربِّ، قوِّموا فى القفر سبيلاً لإلهنا.. فيُعلَنُ مجدُ الربِّ ويراه كلُّ بَشَرٍ» (إشعياء ٤٠ : ٣ و ٥). وإذ قال زكريًا «فبفضل رحمة إلهنا تفقَّدَنا المُشْرقُ من الأعالى ليضىء للجالسين فى الظُّلمة وظلال الموت، ويقود خطانا فى طريق السَّلَام»، فإنَّما كان يعنى بذلك أنه قد تحقَّقت بالفعل نبوءة إشعياء النبىِّ بمجىء السيد المسيح مولودًا من عذراء تعيش فى منطقة الجليل التى كانت موطن سِبطَىْ زَبُولُونَ ونفتَالِى، والتى كان سائر اليهود يحتقرون أهلها ويهينونهم لأنهم اختلطوا بالوثنيين وتأثروا بكثير من عاداتهم وعباداتهم. إذ جاء فى هذه النبوءة «كما أهان الزَّمان الأول أرض زَبُولُونَ وَنَفتالِى، يكرم الزمان الأخير طريق البحر، عِبرَ الأُردُنِّ، جليل الأمم (أى الوثنيين). الشعب السالك فى الظُّلمة أبصر نورًا عظيمًا. الجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور.. لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابنًا وتكون الرئاسة على كتفه، ويُدعَى اسمُه عجيبًا مُشيرًا، إلهًا قديرًا، أبا الأبد، رئيس السلام. لنموِّ رئاسته وللسلام لا نهاية» (إشعياء ٩ : ١ و ٢ و ٦ و ٧). وهكذا بدأت الإعلانات منذ ذلك الحين بأنّ المسيح ابن الله

فادى البَشَر ومخلِّصَهم الذى تنبَّأ به كل أنبياء العهد القديم، قد جاء فعلاً، وأصبح مع الناس على أرضهم، مصداقًا لقول الملاك للسيدة العذراء حين بشَّرها بميلاده منها أنه سيُدعَى «عمَّا نوئيل» الذى يعنى باللغة العبريَّة «الله معنا»، أى أنه اتخذ جسدنا وعاش بيننا كواحد منا.

أما الطفل يوحنَّا فكان ينمو ويزداد قوة فى الروح، وكان يقيم فى البرارى إلى يوم ظهوره لإسرائيل، أى أنه عاش حياته كلها تقيًّا متقشِّفًا متوحِّدًا فى البرارى. وكان هيرودس ملك اليهود قد أمر بقتل كل الأطفال المناهزين لعُمْر الطفل الإلهى يسوع من ابن سنتين فما أقل وفقًا للزمان الذى تحققه من المجوس الذين كانوا قد جاءوا يسألون عن ذلك الطفل قائلين إنه سيكون ملكًا لليهود (متى ٢ : ١٦). وقد كان يوحنا واحدًا من هؤلاء الأطفال الذين ينطبق عليهم أَمْرُ القَتْل الذى أصدره هيرودس. ويروى لنا تقليد قديم أن الجند حين جاءوا ليقتلوه فى بيت أبيه زكريًّا، احتضنه أبوه بين يديه وقال للجند «سأسلّمه إليكم من المكان الذى أخذته منه» ثم جَرَى نحو الهيكل يحمل ابنه، والجند يجرون من خلفه، فلما بلغ إلى الهيكل أمسك بقرون المذبح وأخذ يصرخ إلى الرب إلهه قائلاً «أليس هذا هو الابن الذى أعطيتنى إياه فى سِنِّ الشيخوخة بعد طول جهاد؟ إنهم يريدون قتله». وعند ذلك يروى التقليد أن ملاك الرب خطفه من يد أبيه ومضى بهاإلى البرّية، فلما لم يجده الجند، قتلوا أباه زكريا بالسيف. وأما يوحنا فقد ظلَّ فى البرّية حيث وضعه الملاك وهو طفل رضيع حتى كبر وصار يافعًا، فصار طعامه جرادًا وعَسَلاً بَرِّيًّا (متى ٣ : ٤). فإذْ جاء يوحنًا بإعلان من الله ومعجزة من السماء، لرسالة مقدَّسة، شاء الله أن يحيا منذ طفولته فى البرارى استعدادًا لهذه الرسالة التى أرسله الله لأدائها، وكان دائم الاتصال به ليرشده ويعينه على أداء هذه الرسالة. ومما يدل على ذلك قول يوحنا لليهود عن السيد المسيح «أنا لم أكن أعرفه. لكنَّ الذى أرسلنى لأعمِّدَ بالماء، ذاك قال لى: الذى ترى الروح نازلاً ومستقرًّا عليه، فهذا هو الذى سيعمِّد بالروح القدس» (يوحنا ١ : ٣٢ و٣٣).

وإذ كان يوحنًّا كاهنًا كما كان أبوه زكريًّا كاهنًا من سِبْطِ هارون، لم يكن يجوز له

طبقًا للشريعة أن يقوم بالخدمة الدينية ككاهن أو كنبىّ قبل أن يبلغ سِنَّ الثلاثين، ومِنْ ثَمَّ فإنه ظلَّ ملتزمًا التقشف والوحدة والصمت فى البرارى حتى بلغ هذه السِّن. وعندئذ أظهر نفسه لبنى إسرائيل، ليؤدى الرسالة التى كان مكلَّفًا من الله بأدائها.

الفصل الثانى

٢ : ١ - ٧

وفى تلك الأيام صدر مرسوم من أوغسطس قيصر إمبراطور الرومان بإجراء تسجيل لسكَّان العالم كله. إذ كانت الدولة الرومانية قد امتدَّت سيطرتها إلى كلِّ بلاد العالَم المعروفة فى ذلك الحين، ومن بينها بلاد اليهود التى كان يحكمها حينذاك كيرينيوس الوالى الرومانى لسوريا. وكان القصد من ذلك التسجيل الذى حدث لأول مرَّة هو إجراء حَصر شامل لجميع الرَّعايا الخاضعين للإمبراطورية الرومانية فى كلِّ أنحائها، لفرض الجِزْيَةِ عليهم. وكان هذا يقتضى طبقًا لأوامر الإمبراطور أن يسجل كل فرد من الرعايا اسمه فى مسقط رأسه، أى فى موطن العائلة التى ينتسب فى الأصل إليها. ولاضمنْ ثَمَّ ذهب الجميع لتسجيل أسمائهم، كلٌّ واحد فى مدينة عائلته. وإذ كان يوسف خطيب سيِّدتنا العذراء مريم ينتسب إلى بيت الملك داود، وكان من عشيرته، ذهب من مدينة الناصرة بإقليم الجليل حيث كان يقيم مع خطيبته إلى مسقط رأس داود وعشيرته، وهى مدينة بيتَ لحم التى كانت بإقليم اليهوديَّة، مصطحبًا خطيبته التى كانت هى أيضًا من بيت داود وعشيرته، ليسجِّلا اسميهما هناك. وإذ كانا فقيرين ذهبا إلى فندق متواضع فى تلك المدينة. ولكنهما لم يجدا لهما مكانًا فيه لازدحامه بالذين جاءوا لتسجيل أسمائهم. فأقاما فى حظيرة للماشية كانت ملحقة بالفندق. وكانت سيِّدتنا العذراء حينذاك حُبلى. وقد اتفق أن حان موعد ولادتها فى ذلك الوقت، فولدت ابنها الإلهىَّ، الذى وإن كانت

لم تَلِدْ غيره، قيل إنه ابنها البكر، تمشيًا مع العرف الذى جرى بتلقيب المولود الأول بالابن البكر، لأنه فاتح رحم (الخروج ١٣ : ١٢ و١٣)؛ (٣٤ : ١٩). وقد قَمَّطته فى الغالب ببعض ثيابها أو ثياب خطيبها. وإذ لم يكن ثمة فى الحظيرة فِرَاش أو ما يُشبه الِفراش تضعه فيه، مَهَّدا له مكانًا فى مذود من مذاود الماشية بالحظيرة وأضجعته فيه.

وهكذا أعطى السيِّد المسيح فى لحظة ميلاده ذاتها للبشَر أوَّلَ درس من دروسه السَّماوية، إذ أنه وهو ابن الله العلىِّ العظيم المالك لكلِّ شيءٍ قد شاءت حكمته أن يُولَدَ فى مكان لا يمكن الإنسان أن يتصوَّر مكانًا أكثر منه تواضعًا، مشاركًا بذلك أفقر الفقراء بؤسهم وفقرهم. فبرهن بذلك على أنَّ العظمة الحقيقية لا تكمن فيما يملك الناس على الأرض من الثروات الضخمة أو القصور الفخمة أو أى شيء من تلك الأمور الزائفة الزائلة التى يتكالب الناس عليها، ويحارب بعضُهم بعضًا للحصول عليها والاستئثار بها، ولو أراقوا فى سبيل ذلك بحورًا من الدماء. وإنما العظمة الحقيقية تكمن فى البِرِّ والخير وصفاء القلب ونقاء الضمير وكل ما ينطوى على تقوى الله، تَطلُّعًا لا إلى أمجاد الأرض الوقتيَّة الفانية، وإنما إلى أمجاد السماء الأبديَّة التى لا فناء لها ولا انتهاء.

وقد تحقَّقت بميلاد السيد المسيح فى بيتَ لحم نبوءة ميخا النبىِّ إذ قال «أمَّا أنتِ يا بيتَ لحم أفراتة وأنتِ صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا. فمنك يخرج لى الذى يكون متسلِّطًا على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزَل» (ميخا ٥ : ٢).

كما أنه بميلاد السيِّد المسيح فى ذلك الوقت بالذات الذى انقرض فيه ملوك اليهود وفقدوا حرِّيتهم وأصبحوا عبيدًا للرومان، يدفعون لهم الجزية التى هى صكّ العبودية بمقتضى ذلك الأمر الذى أصدره أوغسطس قيصر، تحققت نبوءة يعقوب أبى أسبَاطِ اليهود، إذ قال لأبنائه فى ساعة احتضاره «اجتمعوا لأُنبئكم بما يصيبكم فى آخر الآيام... لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رِجْلَيهِ، حتى يأتى شيلون، وله يكون خضوع شعوب» (التكوين ٤٩ : ١ و١٠). أى أنه حين

لا يعود لليهود مَلِك ذو قضيب أو صولجان، ولا يعود لهم مُشَرِّع من جنسهم يقضي بينهم، يأتي شيلون، أي المخلِّص، الذي تخضع لشريعته الشعوب.

٢ : ٨ - ٢٠

بَيْدَ أَنَّ ذلك الطفل الذي لم تَجِدْ له أُمُّه في الأرض مكانًا تضجعه فيه غير مِذْوَدٍ للماشية، لم تلبث أن هَتَفَتْ بمجدِه السماء، وترنَّمت بعظمته الملائكة. إذ كان في تلك الناحية التي شهدت ميلاد فادينا، رعاةٌ بالبادية يتناوبون السَّهَر بالليل في حراسة قطعانهم. وإذا بملاك الربِّ يظهر فجأة قُبالتهم ومجدُ الربِّ يضيء من حولهم، فارتعبوا ارتعابًا شديدًا. فقال الملاك لهم «لا تخافوا. فها أنَاذا أبشِّركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب إذ وُلِد لكم اليومَ في مدينة داود مخلِّص هو المسيحُ الربُّ»، إذ كان مجيء المسيح هو الحَدَثُ المُفرِحُ المُبْهِجُ الذي ينتظره اليهود جميعًا منذ زمانٍ بعيد، على مقتضى نبوءات أنبيائهم، إذ قال إشعياء النبيّ «فَرَحٌ أَبَدِي على رؤوسهم. ابتهاج وفَرَح يدركانهم، ويهرب الحزن والتنهُّد» (إشعياء ١٥ : ١٠). كما قال «افرحوا وابتهجوا إلى الأبد» (إشعياء ٦٥ : ١٨). وهذا لأنَّ ذلك الآتي الذي كانوا ينتظرونه هو الذي سيخلِّصهم من غضب الله عليهم، ومن استعباد الشرِّ والأشرار لهم. ولقد طالما وَعَدَتْهم النبوءات بذلك. إذ قال إشعياء النبيّ «قولوا لابنة صهيون هوذا مخلِّصك آتٍ» (إشعياء ٦٢ : ١١). وقال «قولوا لخائفي القلوب تشدَّدوا. لا تخافوا.. هو يأتي ويخلّصكم» (إشعياء ٣٥ : ٤). وكان ممَّا يؤكد لدى الرُّعاة أَنَّ المولود الذي بشّرهم به الملاك هو المخلِّص الذي ينتظرونه، والذي كانوا يعلمون من النبوءات أنه سيجيء من نسل داود، ويولد في بيتَ لحم التي كانت هي مدينة داود، أنَّ الملاك قال لهم إنَّ هذا المولود قد ولِد في مدينة داود. كما كان مما يؤكد لديهم ذلك أنه أطلق على هذا المولود لقب المسيح، لأنَّ النبوءات كانت تُطلِق هذا اللقب على المخلِّص المنتظر، إذ قال دانيال النبي «فاعلم وافهم أنه مِن خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعًا» (دانيال ٩ : ٢٥). وكان أخيرًا مما يؤكد هذه

الحقيقة أنَّ الملاك قال عن المولود الذى بشَّرهم به إنه هو «الربّ»، أى هو الله ذاته، مصداقًا لقول النبوءات عن المسيح إنه ابن الله، إذ ردّد إشعياء فى نبوءاته قول الله «يُولد لنا ولد ونُعطَى ابنًا وتكون الرئاسة على كتفه ويُدعَى اسمُه عجيبًا مشِيرًا، إلهًا قديرًا» (إشعياء ٩ : ٦). ومصداقًا لقول النبوءات عن المسيح إنه كما أنه ابن الله فإنه فى الوقت نفسه هو الله ذاته، إذ قال عنه هوشع النبىّ إنَّ «مخارجه منذ القديم. منذ أيام الأَزَل» (ميخا ٥ : ٢). وقال عنه دانيال النبىّ إنَّ «سلطانه سلطان أبدىٌّ ما لن يزول، وملكوته ما لاينقرض» (دانيال ٧ : ١٤). وجاء فى المزامير أنَّ «كل الأمم تتعبَّد له.. كل الأمم يطوِّبونه... ومبارك اسم مجده إلى الدهر» (المزمور ٧٢ : ١١ و١٧ و١٩). وأ إشعياء النبىِّ بِلِسَان السيِّد المسيح قائلاً «أنا هو. أنا الأول وأنا الآخِر. ويدى أسَّسَت الأرض ويمينى نَشَرت السماوات» (إشعياء ٤٨ : ١٢ و١٣). ولكى يتحقّق الرُّعاة مما قاله لهم الملاك وصفَ لهم المكان الذى يمكنهم أن يروا فيه الطفل الإلهى الذى بشرَهم بميلاده، قائلاً لهم «إليكم هذه العلامة: إنكم ستجدون الطفل مقمَّطًا ومُضْجَعًا فى مِذوَدٍ». ولعلَّ الرُّعاة قد استولى عليهم الذهول وتولّتهم الدَّهشة من هذه المفارقة العجيبة بين شخصية المولود الإلهىِّ الذى بشَّرهم الملاك بميلاده وتواضُع ذلك المكان الذى قال لهم إنهَّم سيجدونه فيه. فقد كان اليهود يعتقدون أنَّ المسيح الذى ينتظرونه حين يجىء سيجلس على عرش داود ليكون مَلِكًا أرضيًّا، ومِنْ ثمَّ كانوا يتوقّعون أن يذكر لهم الملاك أنهم سيجدونه فى مَهْد فخم فى قصر ضخم من قصور الملوك. بَيدْ أنهَّم فيما كانوا غارقين فى ذهولهم وحيرتهم لم يلبثوا أن تبدَّى لهم مشهدٌ آخر مهيب رهيب، زادهم ذهولاً على ذهولهم وحيرة على حيرتهم. إذ ظهَرت بغتة مع الملاك كوكبة من الملائكة الآخَرينَ من جنْد السَّماء. يُسَبحِّون الله قائلين «المجد لله فى الأعالى، وعلى الأرض السلام، وبالناس مسَّرته». وقد كان تمجيدهم لله هو الترنيمة التى يُسبِّحون بها على الدوام الله الذين هم ماثلون أمامه على مَدَى الزَّمان فى الأعالى. بيد أنَّه وقد حَلَّ الله على الأرض لِيحلَّ فيها السلام بحلوله، جاء الوقت الذى يَظهرون فيه لِبَنى الأرضِ لِيُرَدِّدوا فى مسامعهم تلك الترنيمة الأزلية،

مفضين إليهم بذلك السرِّ الإلهىِّ العجيب، مبشِّرين إيَّاهم برحمة الله التى أسبغها عليهم بالفِداء العجيب الذى رتَّبه لهم لغفران خطاياهم وخلاصهم من الهلاك المحكوم به عليهم. لأنه إذ وَجَدَ مَسَرَّته فى خلقهم منذ البداية واعتباره إياهم أبناءه، وَجَدَ مَسَرَّته أيضًا فى خلاصهم وهدايتهم وعودتهم بعد عقوقهم وتمرُّدهم، أبناءً مُخْلِصين مُطيعين له.

وكان فى ظهور تلك الكوكبة من جند السَّماء للرعاة وما سمعوه من تسبيحهم لله وترنمهم بما أتى به إلى أبناء الأرض من السلام، تَوطُّدُ إيمانهم بما قاله لهم الملاك الذى ظَهَر لهم أوَّلًا. فلما ذهبت عنهم الملائكة منطلقة إلى السماء، قال بعضُهم لبعضٍ فى لهفة واشتياق، وفى إيمانٍ لا تشوبه ريبة «هَلُمُّوا الآنَ إلى بَيْتَ لحم، لنُبصر هذا الحَدَث الذى أنبأنا به الربُّ». ثم جاءوا مسرعين فوجدوا سيِّدتنا العذراء مريم وخطيبها يوسف والطفل الإلهىّ مُضْجَعًا فى المذود. فبعد أن أبصروا الطِّفل، طفقوا يخبرون أُمَّه وخطيبها وكُلَّ مَن التقوا به بما قيل لهم. فتعجَّب كل الذين سمعوا الرُّعاة مِمَّا قالوه لهم. وأمَّا سيِّدتنا العذراء الطاهرة، فقد كان هذا برهانًا جديدًا أُضيف إلى ما سبق أن رأته من براهين على طبيعة ابنها القُدُّوس. وَمِنْ ثَمَّ كانت تحتفظ بكل هذه الأمور فى قلبها، متأمِّلة فيها، متَقَبِّلَةً إياها فى صمت وخشوع، متهلِّلة بما أسبغه الله عليها من نعمة لم يسبغها على أَحَدٍ غيرها من البَشر فى كلِّ الأجيال إلى انتهاء الزَّمان.

وأمَّا الرُّعاة فقد رجعوا وهم يُمجدون الله ويسبِّحونه من أجل كلِّ ما سمعوه ورأوه وفقًا لما قيل لهم. وهكذا فإنَّ السيد المسيح كما شاءت حكمته أن يكون ميلاده الإلهىُّ فى أكثر الأماكن تواضعًا، شاءت حكمته كذلك أن يكون أوَّل إعلانٍ عن ذلك الميلاد المجيد، لا إلى ملوك الأرض أو أثريائها أو علمائها أو أىّ فئة ممَّن كانوا يعتبرون أنفسهم ويعتبرهم الناس من عظمائها. وإنما أعلن ذلك إلى أكثر الناس تواضعًا فى مهنتهم وفى مكانتهم بين الناس، لأنَّ أمجاد هذا العالَم تُعمِى أبصار الذين يستأثرون بها، كما تعمى بصائرهم عن رؤية مجد الله، بسبب كبريائهم واستعلائهم. وأما البُسَطاء والفقراء فإنَّ عقولهم البريئة وقلوبهم الصافية



«الرعاة يسجدون للسيد المسيح بعد ولادته» (لوقا ٢ : ٨ - ٢٠)

التى لم يَحْجُبْ عنها قِناعُ الكبرياء والاستعلاء ذلك المجد الإلهى، فإنهم سريعًا ما يتقبَّلونه فاتحين له عقولهم وقلوبهم، مرتوين بنعمته كما ترتوى الأرض العطشى بالمطر حين ينهمر عليها، فيبثّ فيها الحياة ويكسوها بالأزاهير والزرع النضير والشجر ذى الثمر الوفير.

٢ : ٢١

وقد كانت الشريعة اليهودية تقضى بخِتان الطفل فى اليوم الثامن من ميلاده. كما كانت تقضى بتسميته بالاسم الذى اختير له فى وقت ذلك الختان. إذ جاء فى سفر التكوين «قال الله لإبراهيم... هذا هو عهدى الذى تحفظونه... يُختن منكم كل ذَكَر... ابن ثمانية أيام يُختن منكم كلُّ ذكَر فى أجيالكم» (التكوين ١٧ : ٩ و ١٠ و ١٢). وجاء فى هذا السِّفر «ودعا إبراهيم اسم ابنه المولود له، الذى ولدته له سارة، إسحق. وختن إبراهيم ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله» (التكوين ٢١ : ٣ و ٤). وكان ختانُ الطِّفل رمزًا لتطهيره من النجاسة التى لحقت بالإنسان بسبب خطيئته، كما كان علامة دخول فى عهد مع الله (التكوين ١٧ : ١١)، وإذ كان كل عهد يُختَم بالدم قال الله «أما الذَّكَر الأغلف الذى لا يُختن فى لحم غرلته، فتُقْطَعُ تلك النفس من شعبها» (التكوين ١٧ : ١٤). وإذ شاءت حكمة الله أن يجىء السيد المسيح من أمَّة اليهود وأن يخضع لشريعتهم، فعلى الرغم من أنه كان طاهرًا طهارة كاملة منذ الحَبَل به وولادته، اقتضى خضوعه لهذه الشريعة فى جملتها خضوعه كذلك لهذا الإجراء الذى تقضى به. فلما بلغ يومه الثامن تَمَّ خِتَانُهُ. وفى نفس ذلك اليوم دُعىَ اسمه يَسوعَ كما سمَّاه الملاك قبل الحَبَل به فى بطن أُمِّه، إذ قال الملاك لأمّه حين بشّرها «هاأنت ذى ستحبلين وتلدين ابنًا تُسَمّينه يسوع» (لوقا ١ : ٣١). فلم تكن هى التى أطلقت عليه هذا الاسم، ولم يُطْلِقْهُ عليه بَشَر، وإنما أطلقته عليه الحكمة الإلهية ذاتها. واسم «يسوع» فى الأصل العبرى «يهوشع»، وهو مكوَّن من كلمتين مندمجتين هما كلمة يَهْوَه وهى اسم الله كما أعلنه الله لموسى النبىِّ فى صحراء سيناء، ومعناه «الدائم» (الخروج

٣ : ١٤ و ١٥) أو «السَّرْمَدىّ» أو «السَّرْمَد» (الأزلى الأبدىّ)، وكلمة «هوشع» ومعناها «المخلِّص»، ثم تطوَّر اسم «يهوشع» إلى «يشوع» بالعبرية، أو «يسوع». ومِنْ ثَمَّ فإنَّ معنى الاسم كاملاً هو «الدائم المخلِّص» أو «الأزلىّ الأبدىّ المخلِّص». ولذلك جاء فى إنجيل مَتّى أنَّ الملاك ظهر ليوسف خطيب سيِّدتنا العذراء ليُنْبِئَهُ بِحَبلِ خطيبته الطاهرة من روح القدس، وقال إنها «ستلد ابنًا وتُسَمِّيه يسوع، لأنه هو الذى يخلِّص شعبه من خطاياهم». ثم قال له إنه «يُدْعَى عِمَّا نوئيل الذى تفسيره الله معنا» (مَتّى ١ : ٢١ و ٢٣). وبذلك يكون يسوع قد أخذ لقبًا آخر هو عمَّا نوئيل، أى أنه هو الله وقد صار معنا على الأرض بتجسُّدِه واتِّخاذه صورة إنسان.

٢ : ٢٢ - ٢٤

وكانت الشريعة اليهودية تقضى كذلك بأنه «إذا حبلت امرأة وولدَت ذَكَرًا تكون نجسة سبعة أيام.. وفى اليوم الثامِن يُختَنُ.. ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يومًا فى دم تطهيرها.. ومتى كملت أيام تطهيرها.. تأتى بخروف حَوْلىٍّ مُحرَقَةً، وفَرْخَ حمامة أو يمامة ذبيحة خطيئة.. إلى الكاهن، فيقدِّمها أمام الرَّبِّ.. وإن لم تَنَلْ يَدُها كفايةً لِشَاة تأخذ يمامتين أو فرخَىْ حمام، الواحد مُحْرَقَةً، والآخر ذبيحة خطيئة فيكفِّر عنها الكاهن فَتَطْهُرُ» (اللاويين ١٢ : ١ - ٨). كما جاء فى الشريعة أنَّ «كلَّ فاتح رَحِم من كُلِّ جَسَدٍ يُقَدِّمونه للربِّ» (العدد ١٨ : ١٥). وعلى الرَّغم من أنَّ السيِّدة العذراء طاهرة طهارة كاملة، لأنها لم تَحْبَل من إنسان، وإنما من روح الله ذاته، فلم تلحق بها النجاسة التى تلحق بسائر النساء فى حَبَلهنَّ وولادتهن، بلِ على العكس صارت بحلول الروح القدس عليها، وبحلول الله الكلمة فى أحشائها جزيلة الطهارة والقداسة، فإنها كما خضع مولودها الإلهىّ للشريعة، خضعت هى أيضًا لها. ومِنْ ثَمَّ فإنها لَمَّا تمتْ أيام التطهير على مقتضى شريعة موسى، صعدت بالطفل مع يوسف خطيبها إلى أورشليم ليُقدِّماه للرَّبِّ، عملاً بما هو مكتوب فى شريعة الرَّبِّ من أنَّ كُلَّ فاتح رَحِم من الذّكور يُدْعَى مكرَّسًا للربِّ (الخروج ١٣ :

٢ و١٢)؛ (٢٢ : ٢٩)؛ (٣٤ : ١٩)؛ (العدد ٣ : ١٣)؛ (٨ : ١٧)؛ (١٨ : ١٥)، وليقدما الذبيحة التى تفرضها شريعة الرَّبِّ. وإذ كانت سيِّدتنا الطاهرة فقيرة لا تملك ثمن شاةٍ، قدَّمت ما تقضى به الشريعة على الفقراء مِنَ الذبائح فى هذه المناسبة، بدلاً من الشَّاة، وهو زوجا يمام أو فرخا حمام (اللاويين ١٢ : ٨).

٢ : ٢٥ - ٣٥

بَيْدَ أَنَّ حكمة الله قد شاءت أنه فى كلِّ مَرَّة يبدو تواضع السيد المسيح بالمقاييس الأرضية البائدة، لا يلبث أن يتجلَّى مجده بالمقاييس السماوية الخالدة. فحين حبلت به العذراء الفقيرة، مجَّده ملاك الله الذى بشَّرها عندما رأى دهشتها قائلاً إنه «سيكون عظيمًا وابنَ العلىِّ يُدْعَى» (لوقا ١ : ٣٢). أى أنه ابن الله. وعندما ولدته فى حظيرة ماشية وأضجعته فى مذود، مجَّده ملاك الله الذى بَشَّر الرعاة قائلاً عنه إنه «هو المسيحُ الربُّ» (لوقا ٢ : ١١). وهنا أيضًا عندما قدَّمته أُمُّهُ إلى الهيكل كأفقر الفقراء، إذ تبينَّ أنها لم تكن تملك ثمن شاةٍ، مجَّده الروح القدس قائلاً عنه أيضًا إنه «هو المسيح الرَّب». إذ حدث أنه كان فى أورشليم رجل بارٌّ تقىٌّ اسمه سمعان، ينتظر تعزية إسرائيل بمجىءِ المخلِّص الذى سيمنح بخلاصه العزاء لبنى إسرائيل الذين سيؤمنون به، وللبشر جميعًا، وفقًا لنبوءة إشعياء النبىِّ على لسان السيِّد المسيح، إذ يقول إنَّ «الرب مسحنى لأبشر المساكين، لأعصب منكسرى القلوب.. لأُعَزِّى كلَّ النائحين.. لأعطيهم جمالاً عِوَضًا عن الرَّماد، ودهن فَرح عِوَضًا عن النوح، ورداء تسبيح عِوَضًا عن الرُّوح اليائسة.. بهجة أبدية تكون لهم» (إشعياء ٦١ : ١ - ٧). وكان روح القدس على سمعان، وكان قد أوحِىَ إليه بالروح القدس أنه لن يرى الموت قبل أن يرى المسيح الرب. ولهذا الوحى قصة مثيرة ذَكَرَتها بعض المصادر التاريخية، ومؤدَّاها أن سمعان الشيخ هذا كان ضمن سبعين شيخًا وقع عليهم اختيار إليعازر رئيس أساقفة اليهود ليقوموا بترجمة أسفار العهد القديم من اللغة العبرية إلى اللغة اليونانية بناء على طلب بَطليمُوس الثانى الملقَّب فيلادلفوس (٢٨٣-٢٤٦ ق.م) ملك مصر اليونانى لمنفعة يهود مصر



« سمعان الشيخ يحمل السيد المسيح وهو طفل فى الهيكل » (لوقا ٢ : ٢٥ – ٣٥)

الذين كانوا يتكلمون باليونانية، وقد نسوا لغة آبائهم العبرية، وقد خصَّص لهم بطليمووس مساكن وأماكن للعمل، ووخصصوا هم لكل منهم سِفرًا يترجمه. فكان نصيب سمعان ترجمة سِفر إشعياء النبى، حتى إذا بلغ فى ترجمته الآية الرابعة عشرة من الفصل السابع وقف أمام القول الإلهىّ « ها العذراء تحبل وتلد، ابنًا وتدعو اسمه عِمّانوئيلٌ، وقد خشى أن يترجم كلمة العذراء التى هى بالعبرية « ها عالماه » HAALMAH، إلى الكلمة المقابلة لها باليونانية ووهى « بارثينوس » PARTHENOS ومعناها « العذراء التى لم يسبق لها زواج »، فيسخر اليونان من الكتاب المقدَّس لليهود، وبذلك يجلب تجديفًا على إله إسرائيل، ومِنْ ثَمَّ استبدل بكلمة « بارثينوس » كلمة « نيانيس » NEANIS التى معناها باليونانية « فتاة »، وهى تطلق على كل امرأة شابة سواء أكانت متزوجة أم غير متزوِّجة. بيد أنَّه حين هَمَّ بكتابة هذه الكلمة غير المطابقة للمعنى الأصلىِّ سمع صوتًا من السماء يقول له « اكتب ما تقرأ، ولن تموت حتى ترى المسيح الربّ ». ووووفعلاً بقى سمعان حيًّا، حتى إذا جاءت سيِّدتنا العذراء مع ابنها الإلهى إلى الهيكل، أوحى الروح القدس إليه بأن يذهب إلى هناك حيث سيرى المسيح الرب الذى كان يتوقع مجيئه ويشتهى أن يراه، بعد أن تلقىَّ الوعد بأنه لن يموت حتى يراه. فذهب سمعان إلى الهيكل. ولما دخل بالطفل يسوع أبواه ليؤديا عنه ما كانت تفرضه الشريعة، حَمَله سمِعان على ذراعيه فى فرح، وبارك الله فى امتنان. وإذ تحقَّق له ما كان يتمنى أن يعيش حتى يتحقق، وإذ كان بِدافع من بِرِّه وتقواه زاهدًا فى الدنيا متطلعًا إلى أمجاد السماء، ابتهل إلى الله أن يطلق سراح روحه من سجن الجسد، قائلا « الآن أطلق ياسيِّدى عبدك بسلام وفقًا لكلمتك، فإنَّ عينىَّ قد أبصرتا خلاصك الذى أعددتَه أمام كلِّ الشعوب، نورًا يتجلّى للوثنيين، ومجدًا لشعبك إسرائيل ». وقد أشار بذلك إلى نبوءة إشعياء النبىّ التى يقول الله الآب فيها للسيِّد المسيح « جَعَلْتُكَ نورًا للأمم لتكون خلاصى إلى أقصى الأرض » (إشعياء ٤٩ : ٦). وقد كان هذا القول من سمعان إشارة أخرى أضيفت ألى كلِّ الإشارات السابقة التى تبَدَّت للسيدة العذراء عن حقيقة شخصية المولود القدوس الذى شاء الله أن يتجسدَّ فى



« الملاك جبرائيل الذى بشر السيدة العذراء بميلاد السيد المسيح »
مأخوذة عن أيقونة بالكاتدرائية المرقسية الكبرى بالقاهرة



« الملاك يبشر الرعاة بميلاد السيد المسيح » (لوقا ٢ : ٨ – ١٢)

للفنان العالمى و . هـ . مارجتسون

أحشائها. ومِنْ ثَمَّ لاتفتأ مع خطيبها يوسف يتعجبان مما قيل عنه. وقد باركهما سمعان، لأنه أيقن أنهما مستحقان للبركة، إذ أسبغ الله عليهما هذا الشرف. وإذ كان ممتلئًا من روح القُدُس تنبّأ لسيِّدتنا العذراء مريم قائلاً « إنَّ هذا قد جُعِلَ لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل، وسيكون هَدَفًا للمقاومة »، أى أنه سينكره بعض بنى إسرائيل فيَسقُطون فى الهلاك الأبدىِّ، وسيؤمن به بعضهم الآخر فيقومون إلى الحياة الأبدية، مصْداقًا لنبوءة إشعياء النبى القائل إنَّ السيِّد المسيح « يكون مَقْدِسًا. . وصخرةَ عَثرةٍ لبنى إسرائيل. . فيعثر بها كثيرون ويسقطون » (إشعياء ٨ : ١٤ و١٥). وقد تنبأ سمعان بأن السيِّد المسيح سيكون هَدَفًا للمقاومة من أولئك المُنكرين له، حتى إنهم سيقومون عليه آخر الأمر ويقتلونه. ولذلك قال سمعن لسيدتنا العذراء « وأنتِ أيضًا سينفذ فى نفسك سيف »، أى أنك ستعانين من الألم عندما ترين ابنك الحبيب مقتولاً، ما يضاهى ألم المطعون بالسَّيْف. ثم قال لها « حتى تتكشَّف نوايا قلوب كثيرة » : أى أن تلك المقاومة للسيِّد المسيح وما تؤدى إليه من قتلِهِ، ستنجلى عن كشَّف النايا الحقيقية للقلوب : فالذين كانوا صادقين ومخلِصين فى إيمانهم بإعلانات الله على أفواه أنبيائه هم الذين سيؤمنون بالسيِّد المسيح. وأما الذين كانوا مرائين ومُخادعين ومتظاهرين بذلك الإيمان كذبًا ونفاقًا، فسيتكشف عندئذ رياؤهم وخداعهم وكذبهم ونفاقهم. وأولئك هم الذين سيقاومون السَّيِّد المسيح ويقتلونه.

٢ : ٣٦ - ٣٨

ولم يكن سمعان الشيخ وحده هو الذى أدرك حقيقة شخصية الطِّفل الإلهىِّ فى الهيكل فى ذلك اليوم. وإنما كان ثمَّةَ نَبيَّة اسمها حَنَّة بنت فنوئيل من سِبط أشير أحد أسباط اليهود الاثنى عشر. وكانت طاعنة فى السِّنِّ. وقد عاشت مع زوجها سَبْعَ سنوات منذ بكوريَّتها، ثم ظلَّت أرملة مدة أربع وثمانين سنة. أى أنها كانت فى ذلك الحين قد تجاوزت المائة من عمرها ببضع سنوات. وكانت لا تبرح الهيكل متعبِّدة بالصوم والصلاة ليلاً ونهارًا، ومِنْ ثَمَّ كانت كثيرة القراءة للأسفار المقدَّسة

ونبوءات الأنبياء، دائمة التأمُّل فيها. ولكثرة تعبُّدها وصَوْمها وصَلاتها تلك السنوات الطويلة اكتسبت شفافية فى الرُّوح جعلتها تنال موهبة التنبُّؤ التى لا ينالها إلَّا الأنقياءُ القلب المؤمنون إيمانًا صادقًا بوجود الله ومواعيده. ومِن ثَمَّ كانت كسمعان الشيخ تنتظر مجىءَ المسيح مخلِّص البشر على مُقتضى نبوءات الأنبياء، وتتوقع ذلك المجىءَ وَشيكًا. ففى تلك الساعة حين رأت الطِّفل الإلهىَّ مع أُمِّه أدركت على الفور أنَّه هو المسيح المخلِّص الذى تنتظره، فتقدَّمَتْ نحوه وأخذت تحمد الله بشأنه وتُحدِّث عنه كُلَّ مَن كان ينتظِر الخَلاص فى أورشليم. وذلك أنَّ كثيرين من اليهود الأتقياء كانوا يتوقعون مجىءِ المسيح فى ذلك الوقت بالذات، لأنهم كانوا يَعلَمون من نبوءات دانيال النبىِّ على الخصوص أَنَّ هذا المجىء قد اقترب موعده. إذ جاء فى هذه النبوءات «إذا بالرَّجُل جبرائيل الذى رأيته فى الرؤيا. . قال يا دانيال إنى خَرجتُ الآن لأعلِّمك الفهم. . فتأمل الكلام وافهم الرؤيا: سبعون أسبوعًا قُضِيَت على شعبك وَعلى مدينتك المقدَّسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا، ولكفَّارة الإثم، وليؤتى بالبرِّ الأبدى ولختم الرؤيا والنبوءة، ولمسح قدُّوس القدُّوسين. . . فاعْلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعًا» (دانيال ٩ : ٢١ - ٢٥).

وقد كان المقصود بالأسبوع فى هذه النبوءة ليس سبعة أيام، وإنما سبع سنين، على مقتضى تعبير اليهود. وكانوا يُسَمُّونه فى هذه الحالة «سبت السنين». ومن ذلك ما وَرَد فى سِفْر اللاويين، إذ يقول «تعدُّ لك سبعة سبوت سنين، سبع سنين سبع مرَّات. فتكون لك أيَّام السَّبعة السُّبوت السنوية تسعًا وأربعين سنة» (اللاويين ٢٥ : ٨). ومن ثم كان اليهود يفهمون هذه النبوءة التى نطق بها دانيال، ويعلمون أن السبعين أسبوعًا التى ذَكَرها - ومقدارها بهذا الحساب ٤٩٠ سنة - هى المدة التى تنقضى منذ عودة اليهود من السبى فى بلاد الأشوريين والبابليين إلى مجىءِ المسيح، ثُمَّ خراب أورشليم. وقد وضح من النبوءة أَن من هذه المدة «سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعًا» أى ٤٨٣ سنة تنقضى منذ صدور أمر الملك أرتكسر كيس ملك الفرس الذى تسميه التوراة أرتحتشتا بإعادة بناء أسوار أورشليم إلى

مجىءِ المسيح . ولما كان معروفًا لدى اليهود أن أمر أرتحشتا صدر فى عام ٤٥٨ قبل الميلاد. فمن ثَمَّ كان الموعد الذى يقدِّرونه لميلاده يقارب بداية القرن الأول الميلادى، وهو الموعد الذى وُلدَ فيه السيد المسيح بالفعل. فكانت حنة النَّبيَّة تعرف هذا الموعد بالتقريب، وكان يعرفه معها «كل من كان ينتظر الخلاص فى أورشليم»، وهم أولئك الذين تحدثت إليهم تلك المرأة التقية، منبئة إياهم بأن هذا الطفل الذى أتى فى ذلك اليوم فى الهيكل مع أُمِّه الفقيرة المتواضعة، هو الذى قيل عنه فى نبوءات الأنبياء «هو يأتى ويخلِّصُكم» (إشعياء ٣٥ : ٤).

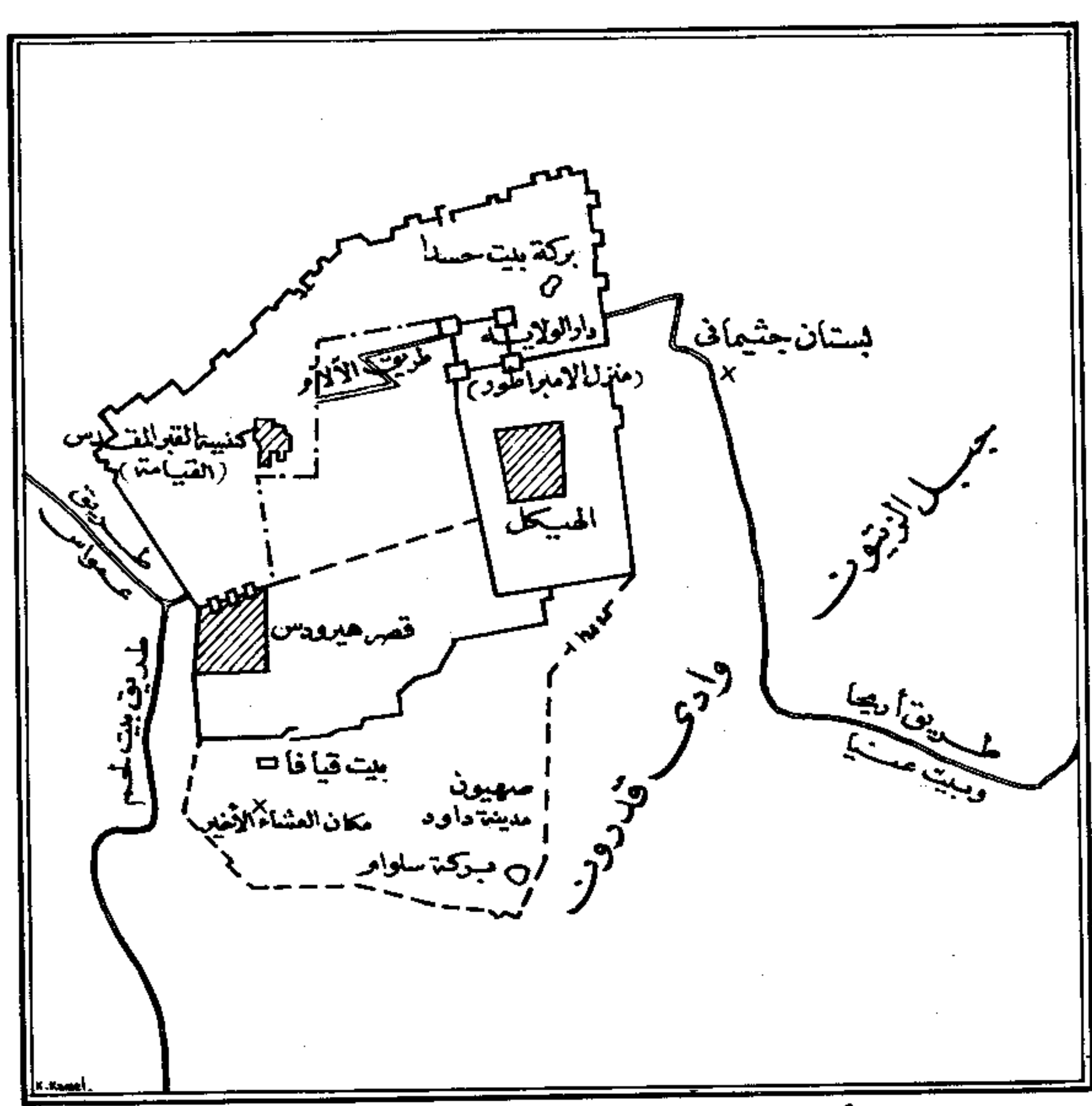
٢ : ٣٩ - ٤٠

ولَمَّا تَمَّت العائلة المقدسة كل شيءٍ وفقًا لشريعة الربِّ التى أنزلها على موسى النبيِّ، يقول القِدِّيس متى فى إنجيله إنهم عادوا إلى بيتَ لحم، حيث جاء إليهم المجوس الذين قالوا عن الطفل الإلهىِّ إنَّه ملك اليهود وسجدوا له، مُبدين الإكرام اللائق به، ومقدِّمين إليه هداياهم التى ترمز إلى شخصيته ورسالته. بيد أنَّ هيرودس إذ علم منهم بميلاده، وأنه سيكون ملك اليهود، قَتَل كل أطفال مدينة بَيْتَ لحم التى علم أنه ولد فيها، عَسَى أن يكون هو منهم. بَيْدَ أَنَّ أُمَّهُ العذراء الطاهرة وخطيبها يوسف كانا قد عَلِما بإعلان من الله بما يهدِّده فهربوا به إلى مصر ومكثوا بها حتى أنبأهم الله بموت هيرودس فرجعوا من مصر بعد غيبة نحو أربع سنوات (متى ٢ : ١ - ٢٣)، وأقاموا فى مدينتهم التى كانوا يقيمون فيها من قبل وهى مدينة الناصرة. وكانت هذه المدينة تقع فوق جبل مرتفع من جبال المنطقة التى كانوا يُسمُّونها الجليل فى القسم الشمالىِّ من فلسطين. وهى تبعد عن أورشليم نحو ستة وثمانين ميلاً، كما تبعد عن بحيرة طَبريَّة، وهى المُسماة بحر الجليل نحو أربعة عشر ميلاً. وقد كانت كغيرها من مدن الجليل وبِقَاعِهِ ذات أرض ناضرة زاخرة ببساتين التين والعنب والزيتون. كما كانت كغيرها من مدن هذهِ المنطقة آهلة بعدد كبير من الأجانب الوثنيين الذين وَفَدوا إليها بعد أن هاجم الأشوريُّون أهلها الأصليين من سِبطَىْ زَبولون ونفتالى، ونقلوهم إلى بلادهم. ومِن ثَمَّ

اختلطت البقية الباقية من يهود تلك المنطقة بأولئك الوثنيين من كُلِّ الأجناس، وتأثرت بعاداتهم وعباداتهم، بل إنَّ لهجة كلامها أصبحت تختلف عن لهجة سائر اليهود. ولذلك كان يهود المناطق الأخرى فى فلسطين يحتقرون يهود الجليل معتبرين إياهم ملعونين من الله. بَيْدَ أَنَّ منطقة الجليل كانت أكثر مناطق فلسطين ازدهارًا وعمرانًا، وكانت عاصمتها «سيفوريس»، ثم أصبحت بعد ذلك «طَبرِيَّة»، وكان بها أكثر من مائتين وأربعين مدينة وقرية، كان من أكبرها وأشهرها كفرناحوم، وكورازين، وبَيْتَ صَيْدا، ومجدَل، وصُور، وصيدا، ونايين، فضلاً عن الناصرة. وكانت تلك المنطقة كلها تطلُّ من الغرب على البحر الأبيض المتوسِّط، وتطلُّ من الشَّرق على بحيرة طَبَريَّة التى كانوا يسمّونها أيضًا بحيرة جِنِّيسارت، كماكانوا يسمّونها بحر الجليل. وكانت تحيط بها تسع مدن من أجمل المدن فى الشرق الأوسط، وتربط بين شواطئها أكثر من أربعة آلاف سفينة. وكانت تكثر فى منطقة الجليل الجبالُ التى يبلغ ارتفاع بعضها نحو أربعة آلاف قَدَم، ومن أشهرها جبل الكرْمَل، وجبل جَلبوع، وجبل حَرْمون، وجَبَل تابور.

وفى مدينة الناصرة عاش السيِّد المسيح مع أُمِّه العذراءِ الطاهرة مريم، وخطيبها يوسف البار. وكان الطفل الإلهىُّ ينمو فى الجسدَ ويتقوَّى بالروح، ممتلئًا من الحكمة الإلهيَّة. وكانت نعمة الله الآب عليه، لأنه واحدٌ معه.

والكلام هنا عن نموِّ السيد المسيح فى القامة ثم فى النعمة والحكمة إنما ينصرف إلى ناسوته الذى يتألف من جَسَد ومن نفسٍ عاقلة مُدرِكة، ولا ينصرف إلى لاهوته الذى لا يَقْبَلُ نموًّا. لأنه إذا كان الإله قد اتخذ له ناسوتًا كاملاً وحقيقيًّا، فكان لابُدَّ لهذا الناسوت أو الإنسانية من أن يمرَّ بكلِّ مراحل النموّ التى يَمُرُّ بها كلُّ إنسان ابتداء من الحَبَل به إلى ميلاده، إلى نموِّه قليلاً قليلاً كما ينمو كل طفل آخر نموًّا فى قامة جَسَده، ونموًّا فى فِكْرِه الإنسانى كما ينمو فِكرُ كلِّ طِفْلٍ آخر، بالمعارف التى يتلقَّاها فى الأسرة وفى المدرسة وفى الحياة. بَيْدَ أنَّ هذا النموَّ فى الناسوت دون اللاهوت لا يعنى انفصالاً بين الناسوت واللاهوت. فالاتحاد قائم بينهما، اتحادًا تامًّا وكاملاً، وبغير اختلاط أو امتزاج أو تغيير.



خريطة أورشليم في أيام السيد المسيح

٢ : ٤١ - ٥٢

ولم يتضمَّن الإنجيل للقِدِّيس لوقا، كما لم تتضمن سائر أسفار العهد الجديد من الكتاب المقدَّس إلا إشارات نادرة إلى حياة السيِّد المسيح منذ عودته إلى النَّاصرة مع أمِّهِ القِدِّيسة مريم وخطيبها إلى أن اعتمد من يُوحَنَّا المَعْمَدَان، وكان عندئذ فى الثلاثين من عمره. وسِنُّ الثلاثين هى سِنُّ اكتمال الرُّجولة، التى لا يجوز قبلها وفقًا للشريعة اليهودية ممارسة الكهنوت (العدد ٤ : ٣ و٢٣ و٣٠ و٣٥ و٣٩ و٤٣ و٤٧)؛ (أخبار الأيام الأول ٢٣ : ٣). فلم يشأ السيِّد المسيح أن يبدأ الرِّسالة التى جاء من أجلها إلى العالم إلاَّ فى هذه السِّنِّ، ولا سِيَّما أنَّ وظائفه التى ذَكَرتها النبوءات أنه كاهن، فضلاً عن أنه نَبِيٌّ وَمَلك. أما قبل هذه السِّنِّ فقد عاش فى وداعة وصمت، متّخذًا صورة الإنسان العاديِّ البسيط الفقير الفاضل الذى يعيش من عمل يديه عيشة متواضعة ولكنها هادئة يسودها الرِّضا والقناعة والطمأنينة وطاعة الله - ولابُد أنه فى طفولته انخرط فى سلك أطفال القرية كواحد منهم، يذهب إلى الكُتَّاب - وهو مدرسة القرية - يتعلَّمون فيه القراءة والكتابة وبعض تعاليم الدين. وفى غير أوقات الدرس كان يساعد خطيب أمه القديس يوسف البار فى عمله كنجّار إلى أن صارت النجارة هى مهنته، وبها اشتهر بين مواطنيه فقالوا عنه تارة إنه «ابن النجار» (متى ١٣ : ٥٥) ووصفوه تارة أخرى بأنه «النجار» (مرقس ٦ : ٣).

وكانت الحادثة الوحيدة التى ذكرها القديس لوقا عن السيد المسيح بعد عودة العائلة المقدسة إلى النَّاصرة أن أمه سيدتنا العذراء، وخطيبها يوسف الذى كان الناس يعتقدون أنه أبوه، كانا يذهبان كل سنة إلى أورشليم فى عيد الفصح، عملاً بالوصية الواردة فى الشريعة التى تقول «اعمل فِصْحًا للرب إلهك.. فى المكان الذى يختاره الربُّ ليحلَّ اسمه فيه.. لا يحلُّ أن تَذْبَحَ الفِصْح فى أحد أبوابك.. بل فى المكان الذى يختاره الرَّب إلهك ليحل اسمه فيه» (التثنية ١٦ : ١ و٢ و٥ و٦). والمقصود بالمكان الذى اختاره الرَّبُّ هو خيمة الاجتماع قبل بناء

الهيكل، ثم هو الهيكل حين أقامه سليمان فى أورشليم. فلما بلغ السَّيِّد المسيح الثانية عشرة من عمره صعد إلى أورشليم مع أمه وخطيبها كما هى العادة فى العيد، حتى إذا رجعت أمه وخطيبها بعد انقضاء أيام العيد بقى الصبىّ الإلهى فى أورشليم وهما لا يعلمان. وإذ كانا يظنانه ضمن القافلة ظلا مسافرين مسيرة يوم، ثم راحا يبحثان عنه عند الأقرباء والمعارف فلما لم يجداه رجعا إلى أورشليم يبحثان عنه. وبعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل جالسًا فى حلقة العلماء يستمع إليهم ويسألهم. وكان كل الذين يسمعونه مشدوهين من علمه وأجوبته. فلما أبصراه انذهلا، وقالت له أمه «لماذا فعلت بنا هكذا يا بُنَىَّ؟ فهاهو ذا أبوك وأنا كنا نبحث عنك معذبين؟». فقال لهما «لماذا تبحثان عنى؟ ألاتعلمان أننى لابد أن أكون فيما هو لأبى؟».

وإذ كان يتحدَّث عن أبيه السماوى، وعن ضرورة أن يمكث فى الهيكل الذى هو بيت أبيه الحقيقى، وأن ينشغل بالرسالة التى كلَّفه بها، لم يفهما الكلام الذى قاله لهما على الرغم من إدراكهما حقيقة شخصية ذلك الصبىّ الذى قيل لهما مرارًا مِن قَبْل إنَّه ابن الله، والذى كانا يُحِبَّانه حُبًّا عظيمًا يدلُّ عليه ذلك الانزعاج الذى أبْدَيَاه حين غاب عنهما، إذ كانت تفاصيل هذه الحقيقة السماويّة التى تتعلَّق بكونه ابن الله ما زالت فوق مداركهما البشرية. ثُمَّ عاد معهما إلى الناصرة، وكان طائعًا لهما. وكانت أمه تحفظ كلَّ هذه الأمور فى قلبها متأمِّلة فيها.

وكان هو ينمو فى القامة والحكمة والنعمة عند الله والناس. فلم يكن وهو فى صباه محبوبًا من أمه وخطيبها فقط، وإنما كان - بسبب حكمته ونعمة الله عليه - محبوبًا من جميع الناس، وَمُحِبًّا لجميع الناس، فضلاً عن أنَّ هذه الحكمة التى كان يتَّصف بها فى صباه كانت تتضمَّن إلى جانب قدرته على اجتذاب القلوب، ذكاءً خارقًا، وعلمًا غزيرًا، وقدرة فائقة على النقاش لا يمكن أن تتوافر للأطفال فى مِثْل عمره حينذاك. يدلُّ على ذلك ما أبداه العلماء الذين كان يناقشهم فى الهيكل من دهشة وذهول. وقد كان أولئك العلماء الذين يلقون دروسهم فى هيكل أورشليم من أعظم كهنة اليهود وفقهائهم. ويذكر لنا التاريخ أنه كان منهم فى هذه الفترة «هلّيل» الذى كان اليهود يعتبرونه التالى فى مكانته لموسى، وكان منهم «غَمَّالائيل»

الذى كان بولس الرسول يفتخر بأنَّه تَتَلْمَذَ عليه، والذى كان رئيسًا للمجلس الأعلى لليهود المُسمَّى بالسنهدريم. وكان منهم حنَّان الذى أصبح رئيسًا للكهنة وكانت له سطوة عُظمى على اليهود. فإن كان أمثال هؤلاء قد بهُتوا من ذكاء السيِّد المسيح فى أسئلته لهم، وفى أجوبته عن أسئلتهم، وهو لا يزال فى الثانية عشرة من عمره، فلابُدَّ أنه أبدى من العِلْم والمعرفة ما أدهشهم وأشعرهم بأنهم أمام إنسان خارقٍ للطبيعة، وبأنهم أمام إنسان فوق مستوى الإنسان. ومع ذلك فإن الأسفار المقدَّسة لا تذكر كلمة واحدة عمَّا تلقَّاه السيِّد المسيح من تعليم طوال الثلاثين عامًا السابقة على خدمته العَلَنيَّة، بل إنَّها على العكس تتضمَّن بعض عبارات تنطوى على تعيير اليهود له بأنه لم يكن متعلِّمًا، إذ كان معروفًا أنه ابن يوسف. وقد كان يوسف نجاَّرًا فقيرًا غير قادر على أن يتيح لابنه ذلك القدْر من التعليم الذى يؤهِّله لأن يصير معلِّمًا وأن تخرج من فمه تلك الروائع التى كان ينطق بها بعد أن بدأ رسالته التعليميه - إذ جاء فى الإنجيل للقديس مَتىَّ أنه «حين جاء إلى وطنه كان يعلِّمُهم فى مجامِعِهم حتَّى بهِتُوا وقالوا من أين له هذه الحكمة وهذه القدرات؟ أليس هذا هو ابن النجار؟» (متى ١٣ : ٥٤ و ٥٥). وجاء فى الإنجيل للقديس يوحنَّا «حتى إذا انقضَتْ نِصْفُ أيامِ العيدِ صَعِدَ يسوع إلى الهيكل، وأَخَذَ يعلِّم، فكانَ اليهودُ يتعجبون قائلين: «كيف يعرف هذا الكُتُب وهو لم يتعلم؟» (يوحنا ٧ : ١٤ و١٥). بيد أن ثمةَ إشارات أخرى فى الأسفار المقدَّسة تدلُّ على أنَّ السيد المسيح قد نال قسطًا من التعليم كغيره من أبناء الفقراء فى المدارس التى كانت ملحقة بمجامع اليهود. وكان يقوم بالتعليم فى كُلِّ منها رَجُلٌ يُسمُّونه «السُّوفريم»، إذ نَعْلَم مما سيأتى فى الإنجيل للقدِّيس لوقا أنَّه كان يعرف القراءة. فقد جاء فى هذا الإنجيل أنه «ذهب كعادته إلى المجمع فى يوم السبت وقام ليقرأ، فناولوه سِفْر إشعياء النبىِّ» (لوقا ٤ : ١٦ و١٧). كما نعلم من الإنجيل للقديس يوحنَّا أنه كان يعرف الكتابة، فقد جاء فى هذا الإنجيل «وأمَّا يسوع فانحنى وكانَ يَخُطُّ يكتب بإصبعه على الأرض» (يوحنا ٨ : ٦). إلاَّ أنَّ مجرَّد القراءة والكتابة لا يمكن أن يصنعا منه وحدهما ذلك المعلِّم الذى أنارت تعاليمه كل أنحاء الأرض فى كل



« السيّدة العذراء مع السيد المسيح وهو فى صباه حين وجدته فى الهيكل » (لوقا ٢ : ٤١ – ٥١)

الأجيال، ومن ثمَّ فإنَّ السيد المسيح قد أماط لنا اللثام بنفسه عن هذا السِّرِّ، إذ قال «إن تعليمى لَيْسَ من عِندى، بَلْ من عِندِ الذى أَرسَلنى» (يوحنا ٧ : ١٦)، أى أن الله الآب الذى أرسله هو الذى كان يتكلَّم به وفيه. وقد صَرَّح السيِّد المسيح بهذا للناس ليعرفوا حقيقة شخصيته، لأنه لو كان قد تثقَّفَ ثقافة عالية فى المدارس الكُبرَى وأحاط بفلسفة اليونان والرُّومان وغيرها من علومهم التى كانت مُزْدَهِرَةً فى عصره، لنسب الناس تعاليمه إلى ما حصل عليه من ثقافة، وما أحاط به من فلسفة ومن سائر العلوم، ولحجب ذلك عن أبصارهم وبصائرهم أنَّ تعاليمه لم تكن من الناس بل من الله. وهكذا كان المطعن الذى عيرّوه به لينالوا من كرامته، هو البرهان على مجده وعزَّته وسموّ طبيعته.

ومن تلك الحادثة التى ذكرها الإنجيل للقدّيس لوقا عن ذهاب السيِّد المسيح إلى أورشليم وهو فى الثانية عشرة من عمره مع أُمِّه وخطيبها يوسف، نعلم أنَّ يوسف ظلَّ ملازمًا للسيِّد العذراء، على الرَّغم من أنَّه لم يكن قد تزوَّجها. إذ نعلم من الإنجيل للقدِّيس متى أنه حين عَلِمَ أنها حُبلى قبل زواجه منها راوده الشك فى أمرها وأراد أن ينفصل عنها «ولكنه فيما كان يفكِّر فى ذلك، إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلاً: يا يوسف بن داود، لا تخف أن تستبقى مريم امرأتك، لأن الذى سيولد منها هو من روح القدس، وستلد ابنًا وتسميه يسوع، لأنه هو الذى يخلِّص شعبه من خطاياهم» (متى ١ : ٢٠ و ٢١). ومِنْ ثَمَّ لازمها يوسف، وكرَّس حياته لخدمتها وخدمة ابنها الإلهى، فعاش معهما إلى نهاية حياته فى تقديس لهما وإخلاص فى رعايتهما، متظاهرًا بأنه زوج السيدة العذراء الطاهرة مع أنه ليس كذلك فى الحقيقة، ومتظاهرًا بأنه أبو السيد المسيح مع أنه ليس كذلك أيضًا، لأنه ما كان أحد من اليهود ليصدّق تلك الحقيقة السمائية السامية لو أنه قالها لهم، فانتظر حتى يعلنها لهم السيد المسيح بنفسه. وبذلك وقاهما شرَّ مَظَنَّة اليهود وأقوال السُّوءِ التى كان من شأنهما أن يتعرَّضا لها لو انفصل عنهما. وقد كان ينفق عليهما من حرفته المتواضعة، إذ كان يعمل نجّارًا بسيطًا فى مدينة الناصرة. حتى إذا سمع أهل هذه المدينة فيما بعد تعاليم السيد المسيح ورأوا معجزاته ذهلوا قائلين فى دهشة وازدراء

«من أين له هذه الحكمة وهذه القدرات؟ أليس هذا هو ابن النجار» (متى ١٣ : ٥٤ و٥٥). كما جاء فى الإنجيل للقديس يوحنا أنَّ فيلبُّس وَجَدَ نثنائيل، وقال له «قد وَجَدْنا الذى كتب عنه موسى فى الشَّريعةِ وكذلك الأنبياء،وَهُوَ يسوع بن يوسف الذى من الناصرة» (يوحنا ١ : ٤٥). وحتى السيدة العذراء كانت تقول عن يوسف أمام الناس إنه أبو السيِّد المسيح، كما حدث عندما عاتبته حين تخلَّف فى الهيكل قائلة له «لماذا فَعَلْتَ بنا هكذا يا بُنيَّ؟ فها هو ذا أبوك وأنا كنا نبحث عنك معذَّبين» (لوقا ٢ : ٤٨)، ملقِّبة يوسف بأنه أبوه. وكان السيِّد المسيح على مقتضى كماله المطلق منذ طفولته، على الرغم من أنه كان يَعْلَم أنَّ يوسف ليس أباه، يوقِّره توقير الابن أباه، كما يوقِّر أمَّه توقير الابن أمَّه، شأن كلِّ ابن بار بأبويه، إذ قيل إنَّه بعد أن وجداه فى الهيكل «عاد معهما إلى النَّاصرة، وكان طائعًا لهما» (لوقا ٢ : ٥١).

الفصل الثالث

٣ : ١ - ٦

لقد كان ملاخى النبىّ هو آخر أنبياء اليهود فى العهد القديم، وقد عاش قبل ميلاد السيِّد المسيح بنحو اربعمائة عام. ثم انقطع بعد ظهوره الأنبياء طوال هذه الفترة، حتى ظهر يوحنا المعمدان فى بداية القرن الأوَّل الميلادى. وقد ذكَرَ القِّديس لوقا موعد ظهوره بالتحديد إذ قال إنَّه «فى السنة الخامسة عشرة من حكم طيباريوس قيصر، حين كان بيلاطس البنطى واليًا على اليهوديَّة، وهيرودس حاكمًا فى الجليل، وفيلُّبس أخوه حاكمًا فى إيطوريَّة وأراضى تراغونيتس، وليسانيوس حاكمًا فى أبيلينيةِ، وكان حنَّان وقيافا رئيسين للكهنة، كانت كلمة الله على يوحنَّابن زكريَّا فى البرِّيَّة». وكانت هذه الفترة التى ظهر فيها يوحَنَّا من أسوأ فترات التاريخ ولاسيَّما بالنسبة لليهود. فقد كان طيباريوس من أشنع وأقسى قياصرة الدولة الرُّومانية التى كانت تخضع لها الأمة اليهودية فى ذلك الحين. وكان بِيلاطُس البُنْطى الذى عَيَّنَه

طيباريوس والياً على اليهود من أعتى وأعنف الولاة الرُّومان وأكثرهم عجرفة وصلفاً وسفكًا للدِّماء. وكان هيرودس وفيلبس وليسانيوس الذين كانوا يحكمون اليهود تحت سيطرة الرومان من أبشع وأفظع الحُكَّام جورًا وظُلمًا ووحشَّية وفسادَ أخلاق. وكان رؤساء كهنة اليهود أنفسهم، وعلى رأسهم حَنَّان وقيافا أسوأ مثال لرؤساء الكهنة فى تاريخ اليهود كلِّه، إذ كانوا يتَّخذون من مناصبهم الكهنوتية تجارة يجمعون عن طريقها المال، ويسترون بمسوحها جورهم وفجورهم وفسقهم وفسادهم. وكانوا لايَصِلُون إلى مناصبهم هذه أويحتفظون بها إلا بالمكايد والمؤامرات، وإلا بمساعدة ومساندة الرومان الذين كانوا يستعبدون أُمَّتهم ويسومونها الذُّلَّ والهوان بواسطتهم وبالتواطؤ فى ذلك معهم.

فى هذه الظروف التى كانت تحيط باليهود ظَهَر بينهم ذلك النبىُّ الجديد يوحنَّا المَعْمَدَان، بعد أن كان قد انقطع ظهور الأنبياء بينهم منذ عهد بعيد. وقد رأينا كيف أنَّ يوحنَّا عاش تقيًّا متقشفًا متوحِّدًا فى البرارى، استعدادًا لأداء الرسالة التى كان مكلَّفًا من الله بأدائها. وإذ كان يوحنا كاهنًا من سبط هارون، لم يكن يجوز له على مقتضى الشريعة أن يقوم بالخدمة الدينية ككاهن أو كنبىٍّ قبل أن يبلغ سنَّ الثلاثين (العدد ٤ : ٣ و٢٣ و٣٠ و٣٥ و٣٩ و٤٣ و٤٧)؛ (أخبار الأيام الأول ٢٣ : ٣). فما إن بلغ هذه السن حتى أظهر نفسه للناس، وبدأ فى إنجاز رسالته، وإذ كانت هذه الرسالة تنحصر فى تَهْيئةِ نفوس الناس لمجىء المسيح المُنتظر وتمهيد أفكارهم لتعاليمه، جاء ممتلئًا من روح القدس ومُويَّدًا بكلمة الله، إلى كل نواحى الأردُن، يدعو النَّاس لأن يتوبوا ويتطهروا من شرورهم ليغفر الله خطاياهم، حتى إذا آمنوا بدعوته وأبْدوا اعتزامهم التوبة على يَدَيْه عمَّدهم بالماء فى نهر الأردن، برهانًا على إيمانهم ورمزًا لتوبتهم ورغبتهم فى تطهير أنفسهم لمغفرة خطاياهم، وفقًا لِما هو مكتوب عن يوحَنَّا فى سِفر أقوال إشعياء النبىِّ، الذى وصفه فى نبوءاته قائلًا: «صوتُ صارخ فى البَرِّيَّة: أعِدُّوا طريق الربِّ، مَهِّدُوا سُبُلَهُ. كُلُّ وادٍ سيمتلئ، وكلُّ جَبَلٍ وكلُّ تلٍّ سينخفض، والطُّرُق المنعرجة ستُصبح مستقيمة، والوعرة ستُصبح مستوية، وسيبصر كُلُّ بَشَرٍ خَلاصَ اللّهِ» (إشعياء ٤٠ :

٣ – ٥). ويدلُّ ذلك على أنَّ صَوتَ يوحنَّا كان قويًّا جهوريًّا فى إعلان دعوته لأن يستعدَّ الناس، مطهِّرين أنفسهم من آثـامهم، ممتنعين عن خطاياهم، مهيئين عقولهم، فاتحين قلوبهم لمجىءِ الربِّ مخلِّصهم الذى طالما انتظروه وتطلَّعوا إلى اليوم العظيم الذى سيأتى فيه لينتشلهم من هُوَّة الهلاك التى ألقوا فيها بأنفسهم، وعندئذ سيملأ السَّلام والعدل والمساواة الأرض، فإنَّ كل نفس وديعة متواضعة كالوادى المنخفض ستمتلئ بالنعمة وتنال حقَّها من العظَمةِ والسُّمُوِّ. وكلُّ نفْسٍ متعالية متعجرفة، مهما كان مدى تعاليها وعجرفتها، إذا تابت فستنخفض لتساوى فى مكانتها الودعاء المتواضعين. وأمَّا إذا كابَرت وأصرَّت على كبريائها وغرورها فستهوى ألى أسفل سافلين. والذين يسلكون فى حياتهم الطُّرُق الملتوية، ستكون كلمة الله قادرة على أن تجعلهم يستقيمون. والذين كانوا يجدون فى طاعة وصايا الله وُعُورة، سيجدونها بنعمة الله سهلة أمامهم، ميسورة لهم، لأنَّ كلَّ بَشَر سيُبْصِرُ خَلاص الله الذى سَيْفَتحُ – لا أمام اليهود وَحْدَهُم وإنَّما أمام بنى الإنسان جميعًا – سبيل النجاة من الهلاك المحكوم به عليهم، بالفداء الذى دبَّرته حكمتهُ ورحمتهُ الإلهية لخلاصهم.

٣ : ٧ – ١٨

وكان يوحنَّا صارمًا عنيفًا فى تعليمه، صلبًا لا يلين، ثابتًا لا يتزعزع، صارخًا جهوريّ الصوت فى توبيخه للجميع بغير استثناء على شرورهم وآثامهم، بأشدَّ الألفاظ قوة وقسوة، فى غير مواربة ولا محاباة، جريئًا لا يخاف من أحد ولا يبالى بسلطان إنسانٍ مهما بلغ هذا السلطانِ. فكان لا يفتأ يوبخ جموع الذين كانوا يأتون إليه ليعتمدوا منه، ولا سيَّما من الفرِّيسيِّين والصدُّوقيين (متى ٣ : ٧)، قائلاً لهم «يا أبناء الأفاعى، مَن أشار عليكم بالهرَب من الغضب الآتى. أثمروا إذَن ثَمرًا يليقَ بالتَّوْبة، ولا تروحوا تقولون فى أنفسكم أبونا هو إبراهيم، لأننى أقول لكم إنَّ الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أبناء لإبراهيم. ها إنَّ الفأس قد وُضِعَت على أصول الشَّجَر، فكلُّ شَجَرةٍ لا تُثمرُ ثَمرًا جيِّدًا تُقْطَع وتُلقَى فى النَّار». وعلى الرَّغم

من أنَّ جموع اليهود آمنوا بأنه نبىّ حتى لَقد اعتقد كثيرون أنه هو المسيح الذى ينتظرونه (لوقا ٣ : ١٥). وعلى الرغم من أنهم جاءوا إليه راغبين فى سماع تعاليمه ونَيْل المعمودية منه، وَبَّخَهُم على شرورهم السابقة، ناعتًا إياهم بأنَّهم «أبناء الأفاعى»، لأنَّ آباءهم لم يكونوا مُسَمَّمينَ بالشَّرِّ فحسب، وإنما أصبحوا ينفثون الشرَّ فى غيرهم كما تنفث الأفاعى سمومها فى ضحاياها، وكانوا هم فى ذلك مثل آبائهم. فكانوا مستحقّين للغضب الذى صبَّه الله عليهم من أجل شرورهم، ومِن ثَمَّ سأَلَهُمْ يوحنَّا عن عِلَّة إدراكهم الآن لهذا الغضب الآتى عليهم، وعمَّن أشار عليهم بأن يعملوا على الهَرَب من ذلك الخطر الذى يهدِّدهم. وقد كانوا حتى ذلك الحين غافلين عنه، سادرين فى آثامهم وخطاياهم. ثم أسدى إليهم نصيحته بأنهم إن كانوا يريدون حقًّا الخلاص من هذا الغضب وهذا الخَطَر، فلا سبيل إلى ذلك إلَّا التوبة التى تقتضى عودتهم إلى تقوى الله، والخشوع له والخضوع لأحكامه ووصاياه، بتقويم أنفسهم، وتغيير منهجهم الشِّرير فى الحياة بتطهير قلوبهم وتنقية ضمائرهم، بحيث تكون أعمالهم ثمارًا طيِّبَة كفيلة بالدَّلالة على أنَّ توبتهم صادقة ولائقة بهذه التوبة ومحقِّقة لها. فلا يكفى أن يقولوا فى أنفسهم إنهم أبناء إبراهيم، متوهِّمين أنَّ هذا سبب كافٍ للبرهنة على صلاحهم ما دام إبراهيم كان صالحًا. لأنَّ إبراهيم وإن كان صالحًا فإن أبناءه أصبحوا أشرارًا فلا يُجْديهم الاتكال على صلاحه لإعفاء أنفسهم من عواقب شرورهم، ولأنَّ الله قادر على أن يفنيهم بسبب هذه الشُّرور. وكما خَلَقَ آدم من التراب فهو قادر على أن يخلق من الحجارة أبناء صالحين خليقين حقًّا بأن ينتسبوا إلى إبراهيم. وقد حذَّرهم يوحنا وأنذرهم بأن اللحظة الحاسمة قد جاءت، وأنَّ الله إن كان قد صَبر عليهم طويلاً، فإن ذلك لن يستمرَّ بعد الآن، وقد جاء المسيح الذى أصبح مجيئُهُ فاصلاً بين عَهْدَى النقمة والنعمة، لأنه سيفعل بالناس ما يفعله البستانىّ الذى يجىء معه بفأسه ليفرز الشجر واحدة واحدة، فكل شجرة يجدها لا تثمر ثمرًا جيدًا يجتثّها بالفأس من أصولها ويلقى بها فى النار، لأنها إذ لا ثمر لها لا تصلح لشىء إلا أن تكون وقودًا للنار. وأما الشجرة المثمرة فَسَيُبقى عليها ويرعاها بعنايته ويرويها بنعمته لتزداد جودتها

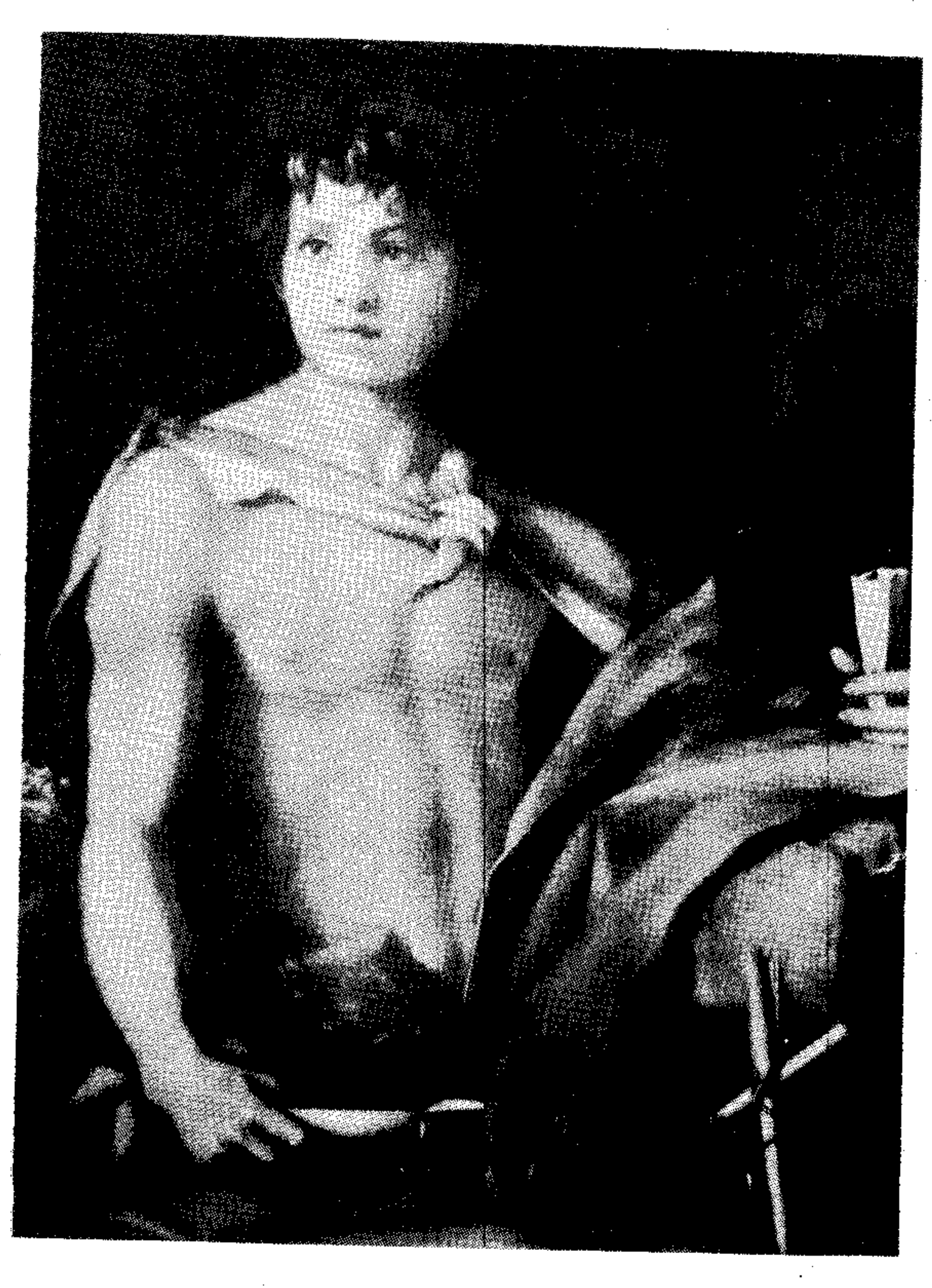
ويتكاثر ثمرها. وقد فَعَل هذا التحذير الصَّارم والإنذار الرهيب فِعْلَهُ فى نفوس اليهود، فَسأَلَتْهُ جموعهم «فماذا نفعل؟». لقد كانوا يعرفون أحكام الشريعة الموسويَّة وكانوا يعتقدون أنهم بطاعتهم الظَّاهريّة الشكليّة لها قد فعلوا كل شىء يجعلهم صالحين أمام الله، ويكفل لهم رضاءه عنهم. وها هو ذا يوحنّا الذى آمنوا بأنه نبىٌّ يُلقِّبهم مع ذلك بأبناء الأفاعى ويصفهم بالشَّر ويَصِمُهُم بالإثم ويُحَطِّم كل أوهامهم عن أنفسهم. فماذا عليهم إذَن أن يفعلوا غير ما فَعَلوا؟. وعندئذٍ بدأ يوحنَّا يُلَقِّنُهم أوَّل درس من دروس العهد الجديد الذى جاء السيِّد المسيح ليؤسِّسَهُ، والذى جاء هو من قبله ليمهِّد أذهان النَّاس له. وكان هذا الدَّرس هو جوهر تعاليم العهد الجديد، وهو أن ينبذ النَّاسُ الأرضيّات بما فيها من حَيَوانيَّة وقسوة وكراهية وأنانيَّة، متَّجهين إلى السَّمائيات بما فيها من روحانية ورحمة ومحبَّة وإحسان، وهو زهدهم فى الاهتمامات الأرضية الزّائفة الزائلة، مُتطلّعين إلى الأمجاد السمائية الحقَّة الخالدة. إذ أجابهم يوحنا قائلاً لهم «مَن كان لديه ثوبان فليُعْطِ مَنْ ليس لديه، ومَن كان لَدَيه طعام فَلْيَفْعَل هكذا». وقد جاء إلى يوحنا لينالَ المعموديَّة منه قوم ممَّن كان اليهود يعتبرونهم أكثر الناس شرًّا وقسوة وظُلما وإجرامًا، حتى لقد كانوا يقرنونهم دائمًا حين يذكرونهم بالخَطَاةِ والزُّناة، وأولئك هم العشَّارون الذين كانوا يقومون بجباية العشور، أى الضَّرائب، بتكليف من الحكام الرومان. وكانوا بالفِعْل قومًا لا ضمائر لهم، يستغلُّون وظائفهم فى التَّجَبُّر على الناس واقتضاء ضرائب منهم أكثر مما هو مستحَقٌّ عليهم ليستولوا على ما زاد منها لأنفسهم، وذلك بأكثر الوسائل حِطَّة ووحشَّية. وإذ شَعَر الذين جاءوا إلى يوحنَّا منهم بما يُثقِلُ كواهِلهم مِنَ الآثام وأعمالِ الإجرامِ، سألوه - إذ أرادوا التَّوْبة - عن السبيل إلى توبتهم، قائلين له «ماذا نفعل يا معلِّم؟». فقال لهم «لا تجبوا أكثر ممَّا هو مقرَّر لكم»، إذ كان هذا هو أشنع آثامهم وأبشع مظاهر إجرامهم. كما جاء إلى يوحنَّا بعض الجند الذين كانوا من أشدِّ الناس فظاعة وفظاظة وغلظة قلب وانعدام ضمير، واعتداء على الناس وافتراء عليهم واغتصابًا للرّشوة منهم فى غير شفقة ولا رحمة. وقد قال هؤلاء أيضًا ليوحنَّا: «ونحن ماذا نفعل؟» فقال لهم

«لا تظلموا أحدًا، ولا تَفْتَرُوا على أحد، واقْنَعوا بِأُجُورِكُم». وهكذا كان يوحنا ينصح كلَّ من يجىءُ إليه بما يَتلاءَم مع حالِهِ، وبما يتَّفِق مع تعاليم العهد الجديد الذى جاء ليمِّهَد أذهانَ الناس وقلوبَهم له.

وقد رأينا أَنَّ اليهود كانوا فى ذلك الحين ينتظرون مجىءَ المسيح على مقتضى المَوْعِد الذى ذَكَرَه دانيال النبىِّ فى نبوءته (دانيال ٩ : ٢١ - ٢٧). وكذلك على مقتضى الموعد الذى ذَكَره يعقوب أبو أَسْباطِ اليهود حين تنبأ بأنه عندما لا يعود لليهود مَلِكٌ وَلاَ مُشَرِّعٌ يجىء «شيلون» الذى معناه المخلِّص. وإذ كان كلُّ الشَّعْبِ مُترقِّبًا ذلك المجىءَ. ومنتظرًا إيَّاه فى لهفة، لم يلبثوا - إذ رأوا ما عليه يوحنَّا المَعمدان من صلاحٍ وتقشُّفٍ وتقوى ومداومة على المناداة بكلمة الله - أن ظَنُّوا أنه هو المسيح الذى ينتظرونه. بَيْد أَنَّ يوحنَّا إذ عِلم أفكـارهم، بادَر إلى تصحيـح ماوقعوا فيه من خطأ، والتصريح بأنه ليس هـو المسيح، لأنَّ المسيـح من القُوة والعظَمة بالنسبة إليه بحيث إنه لايستحقُّ أن يكون خادمًا له، إذ أجاب الجميعَ قائلاً لهم «أنا أعمِّدكم بالماء، ولكن سيأتى بعدى مَنْ هو أقوى منِّى، وأنا لستُ مستحقًّا أن أحِلَّ أربطة حذائه، فهو سيعمِّدَكم بروح القدس وبالنار، ذلك الذى مذراته فى يده، وسيُنقِّى بَيْدَره، ويجمع القمح فى مخزنه، وأما التِّبن فيحرقه بنار لاتنطفىء». وبذلك اعترف يوحنا بأن غاية مايستطيعه هو أن يعمِّد الناس بالماء لمهِّد لهم سبيل التوبة والمغفرة، ويعدَّ بذلك قلوبهم لاستقبال سيِّده الذى جاء هو ليمهِّد الطريق أمامه، والذى يعمِّدهم ليس فقط كما فعل هو بالماء الذى لايصلح إلا لأن يطهِّر الجسد فحسب، وإنما - لأنه أقوى منه بغير قياس، وأعظم منه إلى غير حَدّ - سيعمِّدهم بروح القدس الذى هو روح الله ذاتـه، والذى هـو من القُوَّة والقُدرة بحيث يطهِّر، لا الجَسَدَ وحده، وإنما الروح ذاتها، ويصهرها كما تصهر النار المعدن فى البوتقة، فلا تفتأ تزيل عنه كلَّ ما عَلَق به من شوائب ورواسب، حتى يغدو خالِصَ الصَّفاء شديد النَّقاء. ولسوف يأتى ذلك السيِّد العظيم الذى يعترف يوحنًا بأنه ليس مستحقًّا أن يحلَّ أربطة حذائه، كما يأتى الزّارع فى وقت الحصاد ومذراته فى يده لينقِّىَ بَيْدَرَه الذى وضَعَ فيه محصول حقله، فيجمع القمح



« الملاك جبرائيل يبشر السيدة العذراء بأنها ستحبل بالسيد المسيح »
مأخوذة عن أيقونة أثرية بكنيسة أبى سرجة بمصر القديمة بالقاهرة



« يوحنا المعمدان فى صباه » (لوقا ١ : ٨٠)
للفنان العالمى أندرو ديل ساريو

الذى يرمز إلى الأبرار فى مخزنه، أى فى مَلكوتِهِ. وأمَّا التِّبن الذى لا يصلُح إلاّ وقودًا للنار والذى يرمز إلى الأشرار، فيحرقه بنار لا تنطفئ.

وأمور أخرى كثيرة كان يوحنّا يبشِّر بها الشعب، وهو يعظهم فى حدود المهمَّة التى أرسله الله لإنجازها، وهى أن يتقدَّم السَّيدَ المسيح كما يتقدَّم التّابعُ المَلِكَ ليعلن عن مجيئه ويدعو الناس إلى استقباله بما يليق به من عَظَمَة وجلال.

٣ : ١٩ و ٢٠

وقد رأينا أنَّ يوحنَّا كانَ فى تعليمه صريحًا لا يوارى من الحقيقة شيئًا، جريئًا لا يجارى أَحَدًا ولا يتملَّقُ أَحَدًا ولا يهَابُ إنسانًا مهما كانت مكانة هذا الإنسان، حتى لقد كلَّفَتْه هذه الصراحة وهذه الجرأة حُرِّيَّتَهُ، ثم كَلَّفته بعد ذلك حياته ذاتها، لأنه تصدَّى فى هجومه على شرِّ الأشرار، لكلِّ أصحاب السطوة والنفوذ فى بلاد اليهود من فرِّيسيين وصدُّوقيين وغيرهم من أعضاء المجلس الذى كان له السُّلطان الأَعْلَى على اليهود، وهو مجلس السنهدريم. بل إنه فعل ذلك حتى مع هيرودُس أنتيباس مَلِك الجليل الذى كان عاتيًا عنيفًا، شَرِهًا شرِّيرًا، سافكًا للدماء. فكانَ يوحنَّا يُوبِّخه علانية على كل الشرور التى كان يرتكبها. وكان هيرودس قد اغتصب هيروديًّا زوجة أخيه فيلبُّس أثناء حياة أخيه هذا وأخذها لنفسه. فكان يوحنَّا لا يفتأ يصرخ فى وجهه قائلاً له فى جرأة «لا يحلُّ لك أن تأخذها زوجة لك» (متى ١٤ : ٤)، ومِنْ ثَمَّ سخط هيرودس عليه، ولم يلبث أن ألقى به فى السجن، ثم بعد ذلك أرسل فقطع رأسه (متى ١٤ : ١٠).

٣ : ٢١ - ٢٣

وحين بلغ السيد المسيح الثلاثين من عُمره اعتزم أن يُعْلِنَ ذاته للنَّاس ويشرَع يؤدى رسالته التى جاء من أجلها إلى العالَم، لأنه ككاهن وكنبىٍّ لم يكن يجوز له الخدمة الدينية وفقًا للشريعة قبل أن يبلغ هذه السِّنَّ (العدد ٤ : ٣ و٢٣ و٣٠). ومِنْ ثَمَّ شاءت إرادته أن يبدأ هذه الخدمة بأن يعتمد من يوحنَّا المَعْمَدَان، ليتمَّ فى

هذه المعموديَّة أوَّل إعلان للعالَم عن شخصيته، وعن حقيقة طبيعته، وهو الذى حبلت به أمُّه لا مِن بَشَر، وإنما من روح القدس. ومع أنَّ السيِّد المسيح كان بغير خطيئة يحتاج معها لأن يتطهَّرَ بالمعمودية منها، أو ليُبدى اعتزامه التوبة عنها، فإنه إذ اتَّخذ طبيعة الإنسان وخضع للشريعة اليهوديّة، فَعَل ما فَعَله سائر اليهود ليبدىَ لهم أنه بطبيعته كإنسان واحدٌ منهم. ومِن ثَمَّ يقول الإنجيل للقِدِّيس لوقا إنه «إذ اعتمد جميع الشعب، اعتمد يسوع أيضًا». وعندئذ جاء الإعلان الإلهىُّ. إذ فيما كان يصلِّى أثناء ما كان يوحنا يعمِّده، كعادته أثناء حياته كلِّها، لأنه كان دائم الصَّلاةِ لأبيه السَّمَاوىّ ودائم الاتصال به، لأنه واحدٌ معه، وقَعَ فى تلك اللحظة أمر مهيب رهيب، لم يحدُث أن رأى البَشَر له مثيلاً من قَبْل فى هيبته ورهبته، إذ انْفَتَحت السَّماءُ فى بهاءٍ عظيم، ونزل روح القدس على السيد المسيح فى صورة جسميَّة مثل حمامة، ليكون مرئيًّا لجميع الحاضرين، ولأنَّ الحمامة هى رمز السلام والطهارة والجمال. وجاء صوت من السَّماء سَمِعَهُ جميعُ الحاضرين، هو صوتُ الله الآب يقول للسيِّد المسيح «أنت ابنى حَبِيبِى الذى بهِ سُرِرْتُ». وبذلك تحققت نبوءة إشعياء النبىّ التى تقول إنَّ السَّيِّد المسيح «يحلّ عليه روح الربِّ» (إشعياء ١١ : ٢)، ونبوءته القائلة بلِسان السيِّد المسيح «روحُ السيِّدِالرَّبِّ علىَّ، لأنَّ الربَّ مَسَحنى لأُبَشِّرَ المساكين» (إشعياء ٦١ : ١). كما تحقَّقت كل النبوءات التى أشارت إلىَ أن السيِّد المسيح هو ابن الله، ومنها قولها بلِسان الله «يولد لنا ولَد ونُعطَى ابنًا وتكون الرِّئاسة على كَتِفِهِ» (إشعياء ٩ : ٦)، وقوله «أنا أكون له أبًا وهو يَكونُ لى ابنًا» (صموئيل الثانى ٧ : ١٤)، وقوله «هوذا.. مُخْتَارِى الذى سُرَّتْ به نفسى. وَضَعْتُ روحى عليه فيُخْرِجُ الحقَّ للأمم» (إشعياء ٤٢ : ١).. وهكذا تمَّ الإعلان الإلهى للبَشَر أَنَّ يسوعَ هذا الذى جاء من الناصِرَة ليعتمد من يوحنَّا المعمدان، هو ابنُ الله الحبيب الذى سُرَّت بِهِ نفسُه، لأنَّه ارتضى أن يقوم بعمل الفِدَاء، مُقدِّمًا نفسه ذبيحة لغفران خطايا البَشَر وخلاصهم من الهلاك الذى كان محكومًا به من العَدَالة الإلهيَّة عليهم. وإذَنْ فهذا هو المسيح الذى كان اليهود ينتظرونه، لا بشهادة بَشَرٍ، ولا بشهادته هو نفسه، وإنما بشهادة الله ذاته. وقد أيَّد

ذلك يوحنًّا المعمَدان كما جاء فى الإنجيل للقِدِّيس يوحنًّا، إذ قال عن السيِّد المسيح «هُوَذا حَمَل الله الذى يرفع خطيئة العَالَم. . . وشهد يوحنًّا (المعمدان) قائلاً «إنِّى قَدْ أَبْصَرْتُ الرُّوح نازلاً عَلَيْهِ مِنَ السَّماءِ فى هَيْئَةِ حَمامَةٍ واستقرَّ على رَأْسِهِ. . وأنا قد أَبْصَرْتُ وشهدت بِأَنَّ هذا هو ابن الله» (يوحنا ١ : ٢٩ - ٣٤).

وبهذا الإعلان الإلهى بدأ السيد المسيح إنجاز رسالته التى جاء من أجلها إلى العالَم. وكان عندئذ فى الثلاثين من عُمْره.

٣ : ٢٣ - ٣٨

وما من شكّ فى أَنَّ وَصْفَ السيِّد المسيح بأنه ابن الله، إنما هو وصْفٌ روحىٌّ وليس وصفًا جسديًا. وهو وصف إلهىٌّ وليس وصفًا بَشَريًا. لأنَّه من غير المعقول أَنْ يُقال إنَّ الله سبحانه وتعالى قد تزوَّج زوجة وأنجب منها ابنًا، كما يُنجبُ الناس ذوى الأجساد أبناءً من زوجاتهم. لأن الله روح، مُنَزَّه عن المادّة، ويستحيل على العقل البشَرىِّ المحدود أن يُدرِكَ طبيعته اللاهوتيَّة غير المحدودة، ومِن ثَمَّ يستحيل أن ينطبق على البَشَر ذوى الكيان المادىِّ الجَسَدِىِّ. فَوصْفُ السيِّد المسيح بأنه ابن الله ليس إلاَّ تعبيرًا قَصَدَ اللّهُ به أن يجعل طبيعة الرّابطة التى تربطه بالسيِّد المسيح قريبة إلى أفهام النَّاس بذات الألفاظ التى يستخدمونها فى علاقاتهم الاجتماعية. بَيْد أنَّ هذه الألفاظ البشَرِيَّة قاصرة بطبيعة الحال عن أن تعبرَّ عَمَّا هو فوق مستوى البَشَر، وفوق مداركهم. فلا ينبغى أن يقصر الإنسان معناها على ما يفهم هو منها عندما يستخدمها. وهذا كذلك هو الشأن بالنسبة لوصف السيِّد المسيح بأنه كلمة الله (يوحنا ١ : ١). ولعلَّ القول بأنَّ السيِّد المسيح هو ابن الله، والقول بأنه هو كذلك كلمة الله، يوضِّح أحدهما الآخر، ويفسِّر كلٌّ منهما معنى الآخر، وإن يكن ذلك مع هذا بنفس اللغة البشَرية القاصرة عن التعبير عن تلك المعانى الإلهية التى لا يحيط بكنهها إلا الله وحده. ومِمَّا يدلُّ على ذلك أنَّ السيِّد المسيح صرَّح بأنه هو والله الآب واحد، وأنَّ من رآه فقد رأى الآب (يوحنَّا ١٤ : ٩ - ١١). فالسيِّد المسيح هو ابن الله. وهو فى الوقت نفسه هو الله ذاته. وذلك لأن الأمر كلّه متعلِّق

بطبيعة الله التى لا يمكن أن يُدركَها بَشَر، ولأن الله واحد. فإن قيل إنَّ له ابنًا بالتعبير البشرىّ فلابد أن تكون طبيعة الابن وذاته هى نفسها طبيعة الله وذاته. وإن قيل إنَّ له كلمة، فلابد أن تكون طبيعة الكلمة وذاته هى نفسها طبيعة الله وذاته، وإلا نَسَبْنَا إلى الله التعدُّد فى طبيعته وفى ذاته، فى حين أَنَّ الله مُنَزَّه عن التعدُّد بأى معنى من المعانى، وعلى أىّ وجه من الوجوه. فلئن تحدَّثنا إذَنْ عن ابن الله، إنّنا نتحدث فى ذات الوقت عن الله نفسه، ولئن تحدَّثنا عن كلمة الله، إنّنا نتحدَّث فى ذات الوقت عن الله نفسه كذلك. وهذا سِرٌّ من أسرار الطبيعة الإلهية لا ينبغى ولا يليق أن ننزل به إلى مستوى التفكير فيه أو الحديث عنه، قياسًا على الطبيعة البشرية.

ومن الواضح أن السيد المسيح الذى جاء من روح القدس وليس من إنسان، والذى قال عنه الملاك للسيِّدة العذراء إنَّ «القدُّوس الذى سيولَد منك يُدعَى ابن الله»، لا يصحَ أن يدخل فى سلسلة أنساب بشرية، وإن كان من جهة الجسد من نسل الملك داود، لأنَّ أُمَّهُ كانت من سلالة هذا الملك. وقد أوضح السيِّد المسَيح نفسه هذا المعنى فى تعاليمه، إذ جاء فى الإنجيل للقديس متَّى أنه «فيما كان الفرّيسيُّون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً: «ماذا تظنون فى المسيح؟ ابن مَن هو؟». فقالوا له: «ابن داود». قال لهم: «فكيف إذن يدعوه داود بالروح ربِّى، قائلاً: «قال الربُّ لربِّى اجلس عن يمينى حتى أَجْعَلَ أعداءَك تحت قَدَمَيْك؟ فَإِنْ كان داود إذَن يدعوه ربَّه، فكيف يكون ابنه؟» (متَّى ٢٢ : ٤١ - ٤٥). بَيْدَ أنَّ تلاميذ السيِّد المسيح ورسله أرادوا أن يثبتوا لليهود أنَّ يسوع النِاصرىّ هو المسيح الذى تنبَّأ بمجيئه الأنبياء وقالوا إنه سيجىء من نسل داود، حتى دَرَج اليهودُ على أن يُلَقِّبوا المسيح الذى ينتظرونه بابن داود. وقد كان الذين آمنوا به حين جاء يلقّبونه عندما يخاطبونه بابن داود. ومن أمثلة ذلك أنه جاء فى إنجيل متىً «ولما مضى يسوع من هناك تبعه أعميان يصرخان قائلين: يا ابْنَ داود ارحمنا» (متّى ٩ : ٢٧). وجاء فيه أنَّ «امرأة كنعانية قد خرجت من تلك النواحى تصرخ قائلة: «ارحمنى يارب يا ابْنَ داود» (متَّى ١٥ : ٢٢) وكان الذين يرون معجزات السيِّد المسيح يتساءلون

عما إذا كان هذا هو ابن داود، قاصدين بذلك الاستفهام عمّا إذا كان هذا هو المسيح المنتظر الذى سيجىء على مقتضى النبوءات من نسل داود. ومثال ذلك أنه جاء فى الإنجيل للقديس مَتّى أنه «جىءَ إليه برَجُلٍ كان به شيطان وكان أعمى وأخرس فشفاه.. فدهش كلُّ الجمع قائلين: «أليس هذا هو ابن داود؟» (متى ١٢ : ٢٢). وقد جاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل رومية أنَّ السيِّد المسيح «صار من نسل داود من جهة الجَسَد» (رومية ١ : ٣). ومِنْ ثَمَّ أَوْرَدَ الإنجيل للقديس متّى والإنجيل للقديس لوقا سلسلة نَسَب السيِّد المسيح لاثبات أنَّ يسوع الناصرىّ هو ابن داود الذى تكلمت عنه النبوءات، لأنه قد جاء من جهة النَّسَب من نسل داود. وفضلاً عن ذلك فإنّ السيِّد المسيح وهو كلمة الله إذ تجسَّد، قد اتخذ الصورة الحقيقية الكاملة للإنسان ليتمّم فيها الرّسالة التى جاء من أجلها إلى العالَم، وهى خلاصُ البَشَر. فهو بهذا المعنى إنسان وابن إنسان، ولا سيّما أنه هو نفسه كان يلقب نفسه با بن الإنسان، إثباتًا لهذه الحقيقة. ومثال ذلك أنه جاء فى الإنجيل للقدّيس متّى أَنَّ المسيح يسوع سَأَلَ تلاميذه قائلاً «مَنْ تقول الناس إنى هو، أنا ابن الإنسان؟» (متّى ١٦ : ١٣). وجاء فى الإنجيل للقديس مرقس أنه قال لتلاميذه «إن ابن الإنسان ينبغى أن يتألّم كثيرًا.. ويُقتل، وبعد ثلاثة أيّام يقوم» (مرقس ٨ : ٣١). وجاء فى الإنجيل للقِدِّيس يوحنا أنه قال «ما من أحد صَعِدَ إلى السَّماء إلا ذلك الذى نَزَلَ مِنَ السَّماء، ابنُ الإنسانِ الّذى هو فى السَّماءِ» (يوحنا ٣ : ١٣). وأنه قال «كما أنَّ الآبَ له الحياة فى ذاته، هكذا أعطَى الابنَ أن تكونَ له الحياةُ فى ذاته، وقد أعطاه السلطان لأن يَدين لِأنه ابنُ الإنسان» (يوحنا ٥ : ٢٦ و٢٧). وبهذا المعنى يكون السيِّد المسيح هو «نسل المرأة» الذى جاء فى سِفر التكوين أنه سيسحق رأس الحيَّة التى هى رمز الشيطان مصدر الشرِّ والهلاك. إذ جاء فى هذا السِّفر «فقال الربُّ الإله للحيَّة: لأنَّكِ فعلتِ هذا.. أضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عَقِبهُ» (التكوين ٣ : ١٤ و١٥).

وانه إن كان السيِّد المسيح قد تجسَّد فى أحشاء السيِّدة العذراء من روح

القدُس، ولم يكن من نسل رجُل، فإن اليهود حين كانوا يذكرون الأنساب لم يكونوا يستندون فى ذلك إلى نَسَب الأمّ وإنما إلى نَسَب الأب. ولذلك فإنّ القِدِّيسين متّى ولوقا حين أرادا أن يبرهنا لليهود على أن يسوع الذى صلبوه هو المسيح الذى ينتظرونه، وأنه من نسل داود كما تنبأ الأنبياء، لم يذُكرا نَسَبَه من جهة أُمِّهِ القدِّيسة مريم، مع أنها كانت من نسل داود، وإنما من جهة يوسف الذى كان على الرغم من أنه لم يتزوّجها معروفًا بأنه زوجها، والذى إن لم يكن أبًا حقيقيًا للسيِّد المسيح، فإنه كان أبًا اعتباريًا له. ولذلك يقول القدِّيس لوقا حين أورد قائمة نسب السيد المسيح أنه «على ما كان الناس يظنونه ابن يوسف». وقد أثبت القدّيسان متى ولوقا أن يوسف من نسل داود من واقع سِجِلّات الأنساب التى كان اليهود يحرصون على تدوينها ويهتمون اهتمامًا عظيمًا بالاحتفاظ بها. ومِن ثَمَّ جاءَ نَسَب يوسف فى الفصل الأوّل من إنجيل القدّيس متّى فى سلسلة تبدأ من إبراهيم الأب الأول لليهود، وتشتمل على اسم الملك داود باعتباره الجدّ الأوّل الذى ينتسب إليه يوسف (متى ١ : ١ - ١٦). وأما القديس لوقا فإنه حين أراد إثبات نسَب يوسف إلى داود لم يبدأ سلسلة هذا النَّسب نازلاً بها من إبراهيم، وإنما بدأ بها صاعدًا من يوسف نفسه إلى أجداده الأوّلين ومنهم داود. وقد ختم هذه السلسلة بقوله إنها تنتهى عند شيث، بن آدم، اِبْن الله» ملمحًا بذلك إلى أن السيِّد المسيح هو ابن الإنسان وابن الله فى الوقتِ نفسهِ.

الفصل الرابع

٤ : ١ - ١٣

وقد رجع السيِّد المسيح من الأردُنّ بعد أن اعتمد من يوحنّا المعمدان وهو ممتلئ من روح القدس، فذهب به الروح إلى البرِّية حيث ظلَّ هناك أربعين يومًا متوحِّدًا منقطعًا عن الطعام انقطاعًا كاملاً، ومداومًا على الصلاة والتأمُّل فى سكينة وهدوء، قاصدًا من ذلك وقد تهيأ لأداء رسالته السامية - أن يتيح للروح فى هيكله الإنسانىّ

أن تزيح جانبًا ما تحجبه كثافة الجوهر الجسديّ من شفافية الجوهر الرُّوحيّ، وَمِنْ ثَمَّ تتألَّق الرُّوح بكلِّ ما فيها من نور إلهيّ. كما أنَّ السيِّد المسيح أراد أن يتعرَّض وهو فى صورة الناس لِمَا يتعرَّض له كل الناس من هجمات إبليس الذى هو الرّمز المجسَّم للشرِّ، والمُغْرِى به، والمحرِّض عليه، قاصدًا أن يقهر إبليس ويكسر من شَوْكته، إذ كان ذلك من أهداف رسالته. وإذ كان إبليس يعرف ذلك ويخشاه، بدأ هجومه على السيِّد المسيح منذ أول لحظة من لحظات الوحدة فى البرِّيَّة. ولم يكن هجومه فى صورة وساوس أثيمة يوحى بها إليه، أو إغراءات شرّيرة يبثُّها فى نفسه، كما يفعل مع سائر الناس، لأنَّ الوقوع فريسة الوساوس والإغراءات لا يتعرَّض له إلاَّ ضعاف النفوس من بنى الإنسان الذين سرعان ما ينقادون لإبليس فى كلِّ ما يوسوس لهم به أو يغريهم بارتكابه. فى حين أنَّ السيِّد المسيح كان طاهرًا طهارة كاملة، ولا خطأ ولا خطيئة فيه أبدًا. ومِن ثَمَّ كان إبليس يظهر له علانية فى صورة خارجيَّة مرئية، متوهِّمًا أنه قادر على أن يثنيه عن أداء رسالته التى جاء من أجلها إلى العالَم، بأن يجعله زاهدًا فى تلك الرّسالة أو غير أهلٍ لأدائها، بأن يغريه بالمجد الدنيوىّ، أو يشكِّكه فى بنوَّته لله، أو فى عناية الله به، أو يدفع به فى أى صورة من الصُوَر إلى ارتكاب خطيئة نحو الله تؤدّى إلى عدم رضاء الله عنه وانعدام ثقته فيه وحرمانه من الامتياز الذى أسبغه عليه ليكون مخلِّص العالَم. وبذلك يأمن إبليس على نفسه من الحرب التى جاء السيِّد المسيح ليشنَّها عليه كى يهزمه ويحطِّمه ويقضى على سطوته وسلطانه على البَشَر. بَيْدَ أنَّ إبليسِ ظل أربعين يومًا كاملة عاجزًا - على الرغم من كلِّ ما استخدم من حِيَلِهِ وأحابيله وأضاليله - عن أن يجعل السيِّد المسيح - وهو مستغرق فى ابتهالاته وتأمُّلاته - يلتفت إليه أو يعيره أىَّ اهتمام. حتى جاءت فى النهاية لحظة ظنَّ إبليس أنها الفرصة الذهبية ليتغلّب بها على السيد المسيح وصلابته وقوَّة صموده، لأنه لم يأكل شيئًا فى تلك الأيام الأربعين التى قضاها متعِّبدًا، حتى إذا انتهت جاع أخيرًا، فقال له إبليس «إن كنت ابن الله، فَمُرْ هذا الحَجَر أن يصير خُبزًا». وكان إبليس بخبثه يريد بهذا القول أن يزعم للسيِّد المسيح أنَّ الله قد تَخَلَّى عَنْهُ، وإلا لَمَا تركه يجوع. وما دام قد تخلَّى عنه فهو ليس ابنه. فإن

كان مع ذلك يعتقد أنه ابنه، فليثبت أنه قادر بما لابن الله من قدرة إلهية أن يصنع معجزة يحوِّل بها الحجَر إلى خُبز ليأكله. بَيْدَ أنَّ السيِّد المسيح وإن كان قادرًا على أن يصنع هذه المعجزة التى أثبت بعد ذلك أنه قادر على أن يصنع أعظم منها، لم يشأ أن يصنعها لئلاَّ يكون بذلك قد أطاع إبليس، وفى طاعة إبليس معصية لله. كما أنَّ كل المعجزات التى صنعها السيِّد المسيح فيما بعد لم يكن يقصد بها خيرًا لنفسه، وإنما خيرًا للناس، وبرهانًا لديهم على حقيقة شخصيته ليؤمنوا به، ومِنْ ثَمَّ أجاب إبليس قائلاً «مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله»، لأنه - كإنسان - قد أطاع كل ما هو مكتوب فى شريعة الله. وقد جاء فى تلك الشريعة «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل ما يخرج من فم الربِّ يحيا الإنسان» (التثنية ٨ : ٣) وليس معنى أنَّ الله لم يُرسِل إلى السيد المسيح خُبزًا فى صومه أنَّه تخلَّى عنه، لأنَّ الله كان راضيًا عن ذلك الصوم، وإلاَّ كان أنزل عليه المَنَّ والسَّلْوَى اللذين سبق له أن أنزلهما على بنى إسرائيل، وهم فى صحراء سيناء بعد خروجهم من مصر (الخروج ١٦ : ٤ - ١٦). كما أنَّ الخبز المادِّىَّ ليس هو الطعام الوحيد الذى يحيا به الإنسان، وإنما الذى يحيا به قبل كل شيء وفوق كلِّ شيء هو الخبز الرُّوحى الذى هو كلمة الله، التى تتضمَّن تعاليمه ووصاياه، والتى إن حفظها الإنسان وترنَّم بها وأطاعها كانت هى الطعام الذى يحيا به حياة حقيقية أبديّة، لا حياة وقتيّة زائلة. وبكلمة الله هذه كان يحيا السيِّد المسيح طوال الأربعين يومًا التى انقطع فيها عن الطعام المادىّ، والتى كان أثناءها دائم الصلّة بالله الذى هو ابنه وكلمته. فكان بذلك هو كلمة الله بطبيعته الإلهية، وكانت كلمة الله هى طعامه بطبيعته البشريَّة.

وإذ فشل إبليس فى محاولته تلك مع السيِّد المسيح لجأ إلى محاولة أُخرى كان واثقًا بأنه ما من إنسان يرفضها، وهى إغراؤه بالتسلُّط على العالَم كلِّه والتمتُّع بكلِّ ما فيه من أملاك وأمجاد. وقد أفلح إبليس بهذا الإغراء فى أن يدفع بأغلب الناس إلى الانْصِياع لمشيئتِهِ، والخُضوعِ لسلطانه والرضاء بأن يكون سيِّدًا لهم وأن يكونوا عبيدًا له. ومِنْ ثَمَّ صعد إبليس بالسيِّد المسيح إلى جَبَل شاهق وأراه كلَّ ممالك

العالمَ فى لمحة من الزمان، وقال له «أعطيك كلَّ هذا السلطان ومجده، لأننى أملكه، ولى أن أعطيه مَن أشاء. فإنْ أَنْتَ سَجَدْتَ لى، يكن هذا كله لَكَ». وقَد زَعَم إبليس أنَّ له السلطان على كلّ ممالك العالم وأمجاده، لأنَّ الإنسان حين عصى الله وقع بالفعل فى قبضة إبليس، فصار هو المتحكِّم فى الناس وفى ممالكهم وأمجادِهم، حتى أصبح كما قال السيِّد المسيح فيما بعدُ هو «رئيس هذا العالَم». (يوحنا ١٢ : ٣١)؛ (١٤ : ٣٠)؛ (١٦ : ١١)، لا لأنَّ الله قد تخلَّى عن سلطانه على البَشَر، فهو صاحب السلطان الأعلى عليهم منذ خلقهم إلى الأبد، وإنما لأنَّ البشَر تمرَّدوا على الله وأخضعوا أنفسهم لإبليس، فاستحقوا بذلك الهلاك الذى قضى به الله عليهم كما قضى به من قبل على إبليس. ولولا رحمته التى شاءت أن يجىء السيِّد المسيح ليكفِّر عنهم ويفديهم، مخلِّصًا إياهم من سيطرة إبليس، لَظَلَّ حُكْمُ الهلاك ساريًا عليهم إلى الأبد. ولذلك أراد إبليس أن يَحُول بين السيِّد المسيح وبين أداء تلك الرِّسالة. فحاول كما حاول من قبل مع البَشَر جميعًا أن يَعْرِضَ عليه ذلك العَرْض المُغرِى، نظير أن يتخلَّى عن طاعة الله والسجود له، وأن يطيعه هو ويسجد له. وبذلك يضمن تراجُع السيِّد المسيح عن أداء رسالته فى سبيل المجد الدنيوىِّ الذى عَرَضه عليه وأغراه به، كما يضمن بقاء البشَر جميعًا مطيعين له خاضعين لسلطانه الشيطانىّ. بَيْدَ أنَّ السيِّد المسيح عندئذ لم يفحمه بحجته القوية فَحَسْب، وإنما طَرَدَه من أمامه فى غضب قائلاً له. «إليك عنى يا شيطان، فإنه مكتوب للربِّ إلهك تسجد وإياه وحده تعبُد». وبذلك رفض ذلك العرض الوقح الذى عرضه عليه، معلنًا له مرة أخرى أنه -كإنسان- قد أَطاعَ كل ما هو مكتوب فى شريعة الله. وقد جاء فى تلك الشريعة أنه لا ينبغى العبادة إلاَّ لله، ولا ينبغى السجود إلاَّ له وحده (التثنية ٦ : ١٣). فَلَئن عَصَى البشَر جميعًا شريعة الله فلن يعصاها هو بطبيعته البشرية. كما أنه من غير المعقول أو الممكن أن يعصاها بطبيعته الإلهية، لأنه ابن الله، ولأنه هو الله ذاته، والشريعة هى شريعته..

غير أنَّ إبليس اللعين، على الرغم من أنَّ السيِّد المسيح انتهَرَه وطَرَدَه من أمامه،

راح فى صفاقة يَنْصُبُ له شَرَكًا آخرَ عَسَاه أن يفلح فى أن يغريه بأن يقع فيه. وإذ رآه يُبدى خضوعه لأحكام الشريعة ويتمثَّل بأقوالها، جعل فى هذه المرَّة الشَّرَكَ الذى نَصبَه له مأخوذًا من الشريعة ذاتها، إذ جاء به إلى أورشليم وأوقفه على جناح الهيكل الشاهق الارتفاع، وقال له «إنْ كُنْتَ أنت ابن الله فَأَلْقِ بنفسك من هنا إلى أسفل، لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك ليحافظوا عليك، فيحملوك على أيديهم لئلاَّ تصدم بحجر قدمك». وهذه عبارة واردة بالفعل فى سفر المزامير (المزمور ٩٠ : ١١). بَيْدَ أَنَّ الشيطان إذ أراد أن يجارى السيِّد المسيح فى استشهاده بأقوال الشريعة كان غَبِيًّا، لأنَّ ذكاءه الذى اشتهر به هو ذكاء فى عمل الشر، وأما فى عمل الخير فينقلب ذكاؤه إلى غباء. ولأنه لا يمكنه أن يفهم أقوال الشريعة وما تَنْطَوى عليهِ من خير، ولذلك فإنه يستخدمها على عكس معناها الصحيح فيما يقصد إليه من شَرٍّ. فإن المقصود بهذه الآية التى استشهد بها أن يتكل الإنسان على الله فينقذه الله عندئذ بواسطة ملائكته ممَّا يتعرَّض له من أخطار. وليس المقصود بها أن يُلقِى الإنسان بنفسه إلى التهلكة ثم ينتظر من الله أن ينقذه. كما أنه ليس المقصود بها أن يلقى الإنسان بنفسه إلى التهلكة لا لشىء إلا لأن يرى إن كان وعد الله بأنه سينتقذه صحيحًا أم غير صحيح، ممتحنًا بذلك الله ومجرِّبًا إياه، لأنه إن كان يليق بالله أن يمتحن عبده ويجرِّبه، فلا يليق بالعبد أن يمتحن إلهه ويجرِّبه، وإلا كان فى ذلك إهانة لله وامتهانٌ لعظَمتِه وجلاله. ومِنْ ثَمَّ فإنَّ السَّيِّد المسيح إذ رأى أن إبليس استشهد بأقوال الشريعة كشَفَ له عن جَهْلِهِ بالشريعة وأقوالها، لأنه إن كانت قد وَرَدت بها تلك العبارة التى ذكرها، فقد وردت بها عبارة أخرى فى سِفر التثنية (التثنية ٦ : ١٦)، تجعل ما طَلَبَ منه إبليس أن يفعله مخالفًا للشريعة، قائلاً له «إنه قيل لا تجرِّب الربَّ إلهك». فلا يصحّ أن نستغلَّ إساءة فَهمنا للوصية الأولى، فى عصيان الوصية الثانية. وبذلك أفحم السيِّد المسيحُ إبليس وأبكمه وألجمه. وإذ رأى إبليس أنه قد أفرغ كلَّ ما فى جعبته من كل تجربة أراد أن يدفع بها السيِّدَ المسيحَ إلى ارتكاب الخطيئة، ويثنيه عن إنجاز رسالته التى جاء من أجلها إلى العالَمَ، انصرف عنه، ولكن إلى حين، ريثما يملأ جعبته بعدد آخر من التجارب

ليشهرها فى وجهه، لأنَّ السيِّد المسيح قد أعلن عليه الحرب مصمِّمًا على هَزيمَتِهِ، فظلَّ إبليس على الرغم من انصرافه عنه، حاقدًا عليه، عاقدًا العَزْم على أن يتسلَّح بكلِّ سلاح فى متناول يده ليخوض هذه الحرْب، مدافعًا عن نفسه، وعمَّا له فى هذا العالَم الذى سيطر عليه، من سيادة وسطوة وسلطان.

٤ : ١٤ و ١٥

وبعد أن انقضت أيام صَوْم السيِّد المسيح وهزيمته الشيطان بدأ ينجز رسالته، فرجع من البرِّيَّة بقوَّة الروح القدس الذى كان ملازمًا له، لأنه متَّحِدٌ به اتحادًا كاملًا. ولم يَتَّجه إلى منطقة اليهوديَّة حيث كانت تقع أورشليم عاصمة اليهود، وحيث كان يقوم الهيكل مركز عبادتهم، وإنما اتَّجه إلى منطقة الجليل فى شمالىّ فلسطين، لأنها كانت موطنًا لكثير من الخُطَاة. وقد طالَمَا صرَّح بأنه إنما جاء ليبحث عن الخطاة كى يهديهم إلى طريق الصَّلاح والخلاص. ولأنَّ يهود منطقة الجليل كانوا أقلّ تعاليًا وصَلَفًا من يهود منطقة اليهودية الذين كانوا يتّصفون بالكبرياء لادّعائهم العِلْم بالشريعة، كما كانوا يتّصفون بالرِّياء لأنهّم كانوا يطبقون الشريعة تطبيقًا شكليًّا مظهريًّا بعيدًا كل البُعد عن روح الشريعة وجوهرها. فكانوا مِن ثَمَّ تُربة غير صالحة لأنْ يغرس فيها السيِّد المسيح أَوَّل غِراس تعاليمه. وقد صنع فى الجليل من المعجزات الإلهية وأذاعَ من التعاليم السَّماوِيَّة ما جَعَل أمره يذيع فى كلِّ أنحائه والأنحاء المحيطة به. وكان يعلِّم فى مجامع الجليليين التى هى بيوت عبادتهم. فكان الجميع يمجِّدونه مبهوتين من سِحْر بيانه وقوَّة سلطانه على النفوس.

٤ : ١٦ - ٣٠

ثم جاء إلى الناصرة حيث نشأ، وذهَبَ كعادته إلى المجمع فى يوم السبت الذى كان مُخَصَّصًا للعبادة. وهناك طلبوا إليه أن يقوم ليقرأ فصلًا من فصول الكتاب المقدَّس لليهود الذى يتضمَّن شريعتهم. وقد ناولوه سِفْر إِشَعْيَاءَ النَّبىِّ. وقد كان من المصادفات العجيبة التى جاءت بترتيب من الله أنَّه لما فَتَح السِّفْر وَجَدَ المَوْضِع الذى يتضمَّن إحدى النبوءات عنه هو وعن رسالته. إذ كان مكتوبًا فيه « إنَّ روح

الربِّ عَلىَّ، لأنه مَسَحَنى وأرسلنى لأُبَشِّر المساكين. أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب، وأنادى للمأسورين بإخلاءِ سَبيلِهِم، وللعميان بالإبصار، وأطلق سَرَاح المكبَّلين وأُبَشِّر بِسَنَةِ الربِّ المقبولة». ثم طوى السَّيِّدُ المسيح السِّفْر وأعاده إلى الخادم وجَلَس، وقد كانت شهرة أعمال السيِّد المسيح وأقواله قد بلغت أسماع أهل الناصرة، ومِن ثَمَّ كانوا متلهفين على أن يستمعوا إليه. فكانت أبصار جميع الذين فى المجمع شاخصة إليه. فقال لهم «اليومَ تَمَّ هذا المكتوب الذى تُلِىَ على مسامعكم». معلنًا بذلك أنه هو الذى كانت تعنيه نبوءة إشعياء النبىّ، وأنه هو الذى مَسَحَه الربُّ لينجز الرسالة التى جاء تفصيلها فى النبوءة. وقد حلَّت بمجيئه سَنَة الرَّبِّ المقبولة، أى المَوْعِد الذى حدّده الربُّ لِيَصْفَحَ فيه عن البشَر بواسطة مسيحه ويقبلهم فى مَلَكوته من جديد، بعد أن كان قد رفَضَهم وَطَرَدَهم من ذلك المَلَكوت. وقد كانَ فيما قاله السيِّد المسيح من السِّحْرِ والسُّلطان ما جَعَل جميع الحاضرين فى المَجْمَعِ يشهدون له، مُعْجَبِين بِهِ، متعجبين من كلمات النِّعمة التى كانت تخرج من قمه. بَيْدَ أنَّه على الرَّغْم مما أبدوه من إعجابٍ به وتعجُّب من كلماته لم يؤمنوا بأنه هو المسيح الذى ينتظرونه كما قال عن نفسه، لأنه كان من مدينتهم، وكانوا يعرفونه من قَبْلُ إنسانًا بسيطًا متواضعًا من أسرة بسيطة متواضعة، لم يكن عائلها إلاَّ نجّارًا فقيرًا، ومِنْ ثَمَّ قالوا متسائلين فى استخفاف وازدراء «أليس هذا هو ابن يوسف؟». وهكذا انقلبوا من النقيض إلى النقيض فى لحظةٍ، وقد محَت هذه الفكرة التى راودَتْهُم عن السيِّد المسيح كلَّ أَثَر للإعجاب والتعجُّب تَرَكَهُ فيهم لأوَّل وهلة. وقد أدرك هو ذلك. كما أدرك أَنَّهم - إذ كانوا لا يفكرّون إلاَّ فى أنفسهم - سيطالبونه، على الرغم من عَدَم إيمانهم به، بأن يشفى مرضاهم، كما شفى المرضَى فى كَفَرْناحوم بمعجزاته التى طالما سمعوا عنها، لأنهم وهم أهل مدينته أحق بذلك من أهل المدن الأخرى، وَمِنْ ثَمَّ قال لهم «لابدَّ أنكم ستقولون لى هذا المَثَل : أيُّها الطبيب اشفِ نفسك. فكلّ ما سمعنا أنك فَعَلْت فى كَفَرْناحوم افعلْ هنا أيضًا فى مدينتك». ثم أوضح لهم أَنَّ عدم إيمانهم به لِكَوْنِهِم يعرفون تواضعه وتواضع أسرته، يجعلهم غير مستحقين لأن يصنع بينهم معجزاته،

قائلاً لهم «الحقَّ أقول لكم إنَّه ما من نَبىٍّ مقبول فى وَطَنِهِ. وَبِحَقٍّ أقول لكم إنَّ أراملَ كثيرات كُنَّ فى إسرائيل فى أيام إيليَّا، حين أُغلقت السَّماء ثلاث سنوات وستة أشهرُ وَحَدثَت مجاعة عظيمة فى الأرض كلِّها، ولكنَّ إيليَّا لم يُرسَل إلى واحدة منهنَّ، إلا إلى أرملة فى صرفات التى فى أرض صيدون. وإنَّ بُرْصًا كثيرين كانوا فى إسرائيل فى عهد إليشع النبىِّ، ولم يُطهَّر واحد منهم الانعمان السُّوريانىّ». وقد أوضح السيِّد المسيح لهم بذلك أن طبيعة البَشَر تأْبَى عليهم أن يؤمنوا بنبىٍّ نَشَأَ فى وَطَنِهِمْ، لإنهُّمُ لا يرون فيه النعمة التى أسبغها الله عليه، وإنما يرون فيه مجرَّد إنسان عادىٍّ كان يعيش بينهم كواحد منهم، فهم يزدرونه ويحسدونه، ومِنْ ثَمَّ قلما تثمِرُ تعاليمه فيهم. ولذلك يجدُ من الأجْدَى والأجدر أن يغرس تعاليمه فى وطن آخر لا يكون متأثِّرًا بذلك الضعف البشرِىِّ. وقد ضَرَب السيِّد المسيح لأهل النَّاصرة مَثَلَين وَرَدَا فى كتُبهم المقدَّسة يبرهن بهما على صحة قوله. فقد نشأ إيليَّا النبىُّ فى إسرائيل، ومع ذلك فإنه حين انقطع المَطَر ثلاث سنوات وستة أَشهرُ وحدثَت مجاعة عظيمة، لم يصنع إيليَّا معجزة يُطعِم بها واحدة من أرامل إسرائيل مع أنهنّ كثيرات، وإنما صنع تلك المعجزة لأرملة غير إسرائيلية كانت تعيش فى مدينة «صَرْفات» الفينيقية التى كانت فى أرض صيدون (الملوك الأول ١٧ : ٧ - ١٦).

وكذلك نشأ إليشع النَّبِىُّ فى إسرائيل، وكان فيها عدد كبير من المصابين بالبرَص، ومع ذلك فإنه لم يصنع معجزة لشفاء واحدٍ منهم، وإنَّما صَنَع معجزة شَفَى بها رَجُلاً غير إسرائيلى، بل كان عَدُوًّا للإسرائيليين، وهو نعمان قائد جيش بنهدد ملك الآراميين فى سوريا، وكان فى حرب مع إسرائيل (الملوك الثانى ٥ : ١ - ١٤). فلما سَمِع الذين فى مَجْمَعِ الناصرة ما قاله السيِّد المسيح، استشاطوا كلُّهم غَضَبًا، لأنه شَبَّه نفسه بإيليَّا وإليشع أعظم أنبيائهم، ولأنه شبَّهَهُمْ هُمْ بأهل ذلك الجيل الفاسد من الإسرائيليين الذين كانوا فى عهد هذين النبيين، ولأنه أخيرًا - وكان هذا موضع حنقهم الأكبر - أَثْنَى فى كلامه على الأرملة الوثنيَّة التى أطعمها إيليَّا، وعلى القائد الوثنى الذى شفاه إليشع، إذ كان اليهود يعتبرون الوثنيين نجسين وملعونين من الله. ومِنْ ثَمَّ قاموا وراحوا يدفعون بالسيِّد المسيح

إلى خارج المدينة، حتى جاءوا به إلى قمَّة الجَبَل الذى كانت مدينتهم مقامة عليه، وقد عقدوا العزم على قتله بأن يطرحوه من هناك إلى أسفل. بَيْدَ أنَّ شخصيته المهيبة شلَّت أيديهم عن أن يفعلوا ذلك، فَمَرَّ فى وسطهم ومضى.

٤ : ٣١ و ٣٢

ثُمَّ انحدر مُخَلِّصُنا إلى كَفَرْناحوم، وهى مدينة أخرى من مدن الجليل، مواصلاً رسالته التعليمية، ولا سيَّما حين كانوا يجتمعون فى مجامعهم للعبادة فى أيَّام السُّبوت. فكانت تتملَّكهم الدَّهشة من تعليمه، لأنهم كانوا يعلمون أن ذلك الذى كانت تفيض من بين شفتيه أروع آيات الحِكمة وأبدع كلمات العِلْم الغزير، لم يكن مع ذلك قد تعلَّم على أيدى أولئك الذين كانوا يعتبرونهم أصحاب الحكمة وأرباب العِلْم من رؤساء كهنتهم وكبَرَاء فقهائهم ومشاهير علمائهم، وكانت تتملكهم الدهشة كذلك أكثر وأكثر من ذلك الإنسان الوديع المتواضع إذ كان يعلِّمهم لا كَما كان يفعل معلِّموهم تعليمًا تقليديًّا مُعادًا فاترًا مُرَدِّدين به أقوال الذين سبقوهم ترديدًا آليًّا لا روح فيه ولا أثر له فى النفوس، وإنما كان يعلِّمهم بكلام جديد عليهم، يلقيه فى مسامعهم بسلطانِ الذى لا يلقِّن تعاليم غيره، وإنما الذى يُعْلِن تعاليمه هو. ولا يطبِّق تشريع غيره، وإنما يَضَع هُوَ التشريع ويمليه على الناس كما يملى المَلِك تشريعه على رعيته بما له عليهم من سطوة وسلطان.

٤ : ٣٣ - ٣٧

وقد حدث أَنْ كانَ السيِّد المسيح فى أَحَد مجامع كَفَر ناحوم، وكانَ فى المَجْمَع رَجُلٌ به روح شيطان نَجِسٌ، قد احتلَّ جَسَدَه ليعذِّبه، لأنَّ الشياطين والأرواح النجسة، تمرَّدت على الله، فَسَقَطَت فى هُوَّة الظلام السحيقة البعيدة عن نور الله، وفَقَدَت طهارتها فَلَمْ تَعُدْ تجرؤ على الاقتراب من الله القُدُّوس قَداسَةً كاملة، ومِنْ ثَمَّ ظلَّت تهيم على وجهها فى ذلك الظلام، يملؤها الرُّعْبُ من الهلاك الذى ينتظرها فى يوم الدَّينونة، كما يملؤها الغيظ والحقد والحنَق من حالها الذى صارت إليه فى

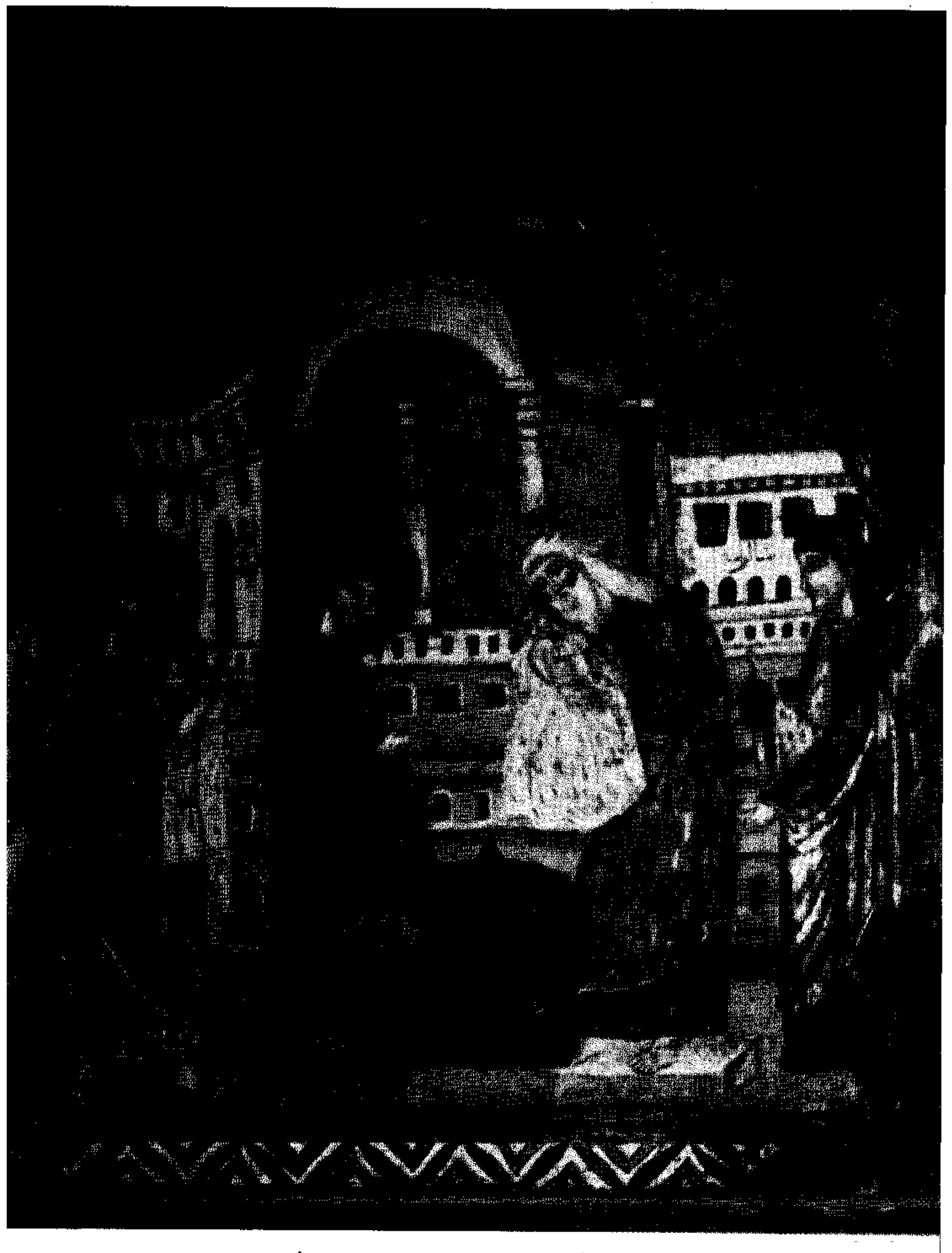
حاضرها، ومن مآلها المحتوم فى ذلك اليوم الرَّهيب، ومن ثَمَّ يدفعها غيظها وحقدها وحنقها لأن تشفى غليلها من الإنسان الذى دفعت به خطيئته إلى غَضَبِ الله عليه فصار فريسة سهلة لها، فهى لا تفتأ تحوم حوله لتغريه بالشرِّ كى يكون مصيره كمصيرها. وهى لا تفتأ تتربَّص له، حتى إذا وَجَدَت فيه منْفَذًا لها احتلّت جسده احتلالاً كاملاً، لتعاقِبَهُ وتعذِّبه، مستشعرة فى ذلك لذّة شرّيرة، وانتقامًا دنيئًا لما تعانيه هى من عِقَابٍ وعذاب. بَيْدَ أنَّ ذلك الرُّوح النَّجِس الذى كان يحتلّ جَسَدَ الرَّجُل المسكين ما إن أبصر السيِّدَ المسيح فى المَجْمَعِ حتى صَرَخَ بِصَوْتٍ عظيم فى ذُعْرٍ وارتعاب، قائلاً «ما لك ولنا يا يسوع الناصِرِىُّ؟ أَجِئْتَ لتهلكنا؟ أنا أعرف مَنْ أنت. أنت قُدُّوس الله». وهكذا فَعَلى الرَّغم من أَنَّ النَّاس لم يُدْركوا حقيقة شخصيَّة السيِّد المسيح ولم يؤمنوا به، أدرك هذا الرُّوح هذه الحقيقة، لأنه روحٌ على أَىِّ حال، وإن يَكُنْ روحًا شرّيرًا. والروح تُدرك ما لا يدركه الناس. ومن ثم صاح مُعْلِنًا أنه يعرفه ويعرف أنّه قدّوس الله. وكان هذا هو سبب فَزَعِهِ ورعبِهِ، لأنَّه خَشىَ أن يكون السيِّد المسيح قد جاء ليُهلِكَ الشياطين قَبْل المَوْعِدِ المحدَّد لهلاكهم. ومِنْ ثَمَّ قال له «ما لك ولنا»، أى دَعْنا وشأننا. ومع أنه كان فى موقف التوسُّل والضَّراعة لم تشأ له طبيعته الشيطانية إلاَّ أن يخاطب ذلك الذى يَعْلَمُ أنَّه قادر على إهلاكِهِ، لا فى أَدَب وتوقير، وإنما فى وقاحة ورغبة فى التحقير. إذ على الرغم من أنَّه اعترف بأنه هو قدُّوس الله لقَّبَهُ مع ذلك بيسوع الناصرىّ، لأنَّ اليهود كانوا يحتقرون أهل الناصرة، زاعمين أنهم يجهلون الشريعة ويخالطون الوثنيين، ومِنْ ثَمَّ كانوا يقولون «أَيُمكِنُ أَنْ يَخْرُجَ من النَّاصِرَةِ شىء صالح؟» (يوحنّا ١ : ٤٦). وبذلك أراد الشيطان أن يُشَكِّكَ الحاضرين فى المَجْمَعِ فى أنَّ هذا هو المسيح ابن الله، فى حين أنه هو نفسه قد اعترف بذلك. بَيْدَ أن السَّيِّد المسيح لم يلبث فى نفس اللحظة أن أثبت أنه هو ابن الله وهو قدّوس الله، إذ انتهر الشيطان انتهار السيِّد للعبد قائلاً له «اخرس واخرج منه» فلم يَسَع ذلك النَّجس الوقح إلا أن يمتثل على الفَوْر للأمر الصَّادِرِ إليه، وإنْ كان قد فَعَلَ ذلك فى غيظٍ وحَنَق، إذ صَرَعَ الرَّجُل الذى كان يحتلُّ جَسَدَه، مُلقِيًا به على الأرض بعُنْفٍ فى

وسط الحاضرين وخرج منه. ولكنه على الرغم من أنه كان يريد أن يمزِّقه تمزيقًا، لم يستطع أَنْ يُلحِق به أيَّ أذًى بفضل قُدْرَةِ السيِّد المسيح وسُلطانِهِ، فارتَعَبَ كلُّ الذين فى المجْمَعِ وراحوا يخاطبون بعضُهم بعضًا قائلين فى دهشة «ما هذا؟ إنَّه بسلطانٍ وقوَّة يأمر الأرواح النجسة فتخرج». ومِنْ ثَمَّ ذاعت شهرة فادينا فى كلِّ أنحاء تلك المنطقة، فكان ذلك سبيلاً لأن يؤمن الناس بأنه المسيح الذى ينتظرونه، أو فى القليل لأن يتساءلوا فيما بينهم عمَّا إذا كان هذا هو المسيح؟

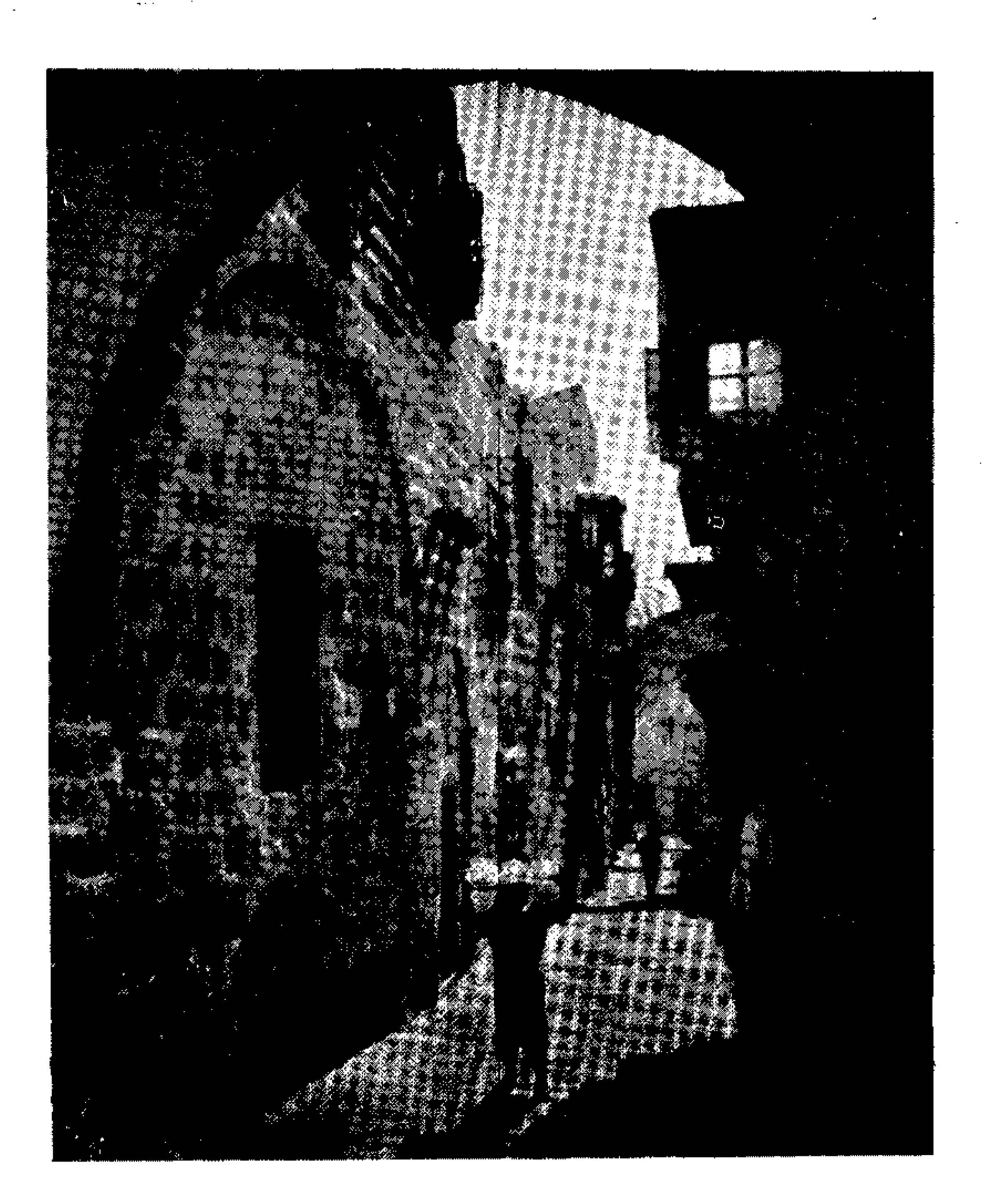
٤ : ٣٨ - ٤٤

وقد أثبت مخلِّصنا فى المعجزة السابقة سلطانه على الشيطان. ثَمَّ لم يلبث فى نفس اليوم أن أثبت بمعجزاته سلطانه على الإنسان جسدًا وروحًا. فقد قام وخرج من المجمع يومئذ. ثمَّ دخل بيت تلميذه سمعان بطرس. وكانت حماة سمعان قد أصيبت بحُمَّى شديدة، فتوسَّل أهل البيت إليه من أجلها كى يشفيها، فاستجاب لتوسُّلهم على الفور واقترب منها وزَجَر الحُمَّى ففارقتها، وقامت على الفور تخدمهم. لأنه كما أنَّ الشيطان شِرِّير يؤذى الإنسان، فإنَّ المَرَض شرٌّ يؤذى الإنسان كذلك. فكما زَجَر مخلِّصُنا الشيطان ليفارق الرَّجُل فى المجمع ففارقه فى الحال، زجر الحمَّى لتفارق هذه السيِّدة فى بيت بطرس، ففارقتها فى الحال أيضًا بمجرَّد كلمة منه، وبسلطانه هو نفسه. وقد استردّت السيِّدة صِحَّتها وقُوَّتها الكاملة على الفور، حتى لقد استطاعت أن تقوم وتخدمهم كأَنَّها لم تكن مريضة قط. مما يدلّ على سلطان السيد المسيح الإلهى على الأمراض، إذ ينتهر الحُمَّى ويزجرها كما لو كانت كائنًا مشَخَّصًا يأتمر بالأمر ويطيعه. وفعلاً أطاعت الحُمَّى الأَمر الصَّادر إليها من ربِّ الحياة، فولَّت مُدْبِرَةً هاربة.

وسرعان ما ذاع أمر هذه المعجزات بين الناس فى تلك النواحى. بيد أنه إذ كان اليوم الذى صنعها فيه يوم سبت، وكان فقهاء اليهود يمنعونهم فى ذلك اليوم حتى عن أن يعالجوا مرضاهم ولو كانوا على شفَا الموت. انتظروا حتى انقضى اليوم، فما إن غربت الشمس حتى كان جميع الذين لديهم مرضى بعلل مختلفة قد جاءوا



« سمعان الشيخ يحمل السيد المسيح فى طفولته فى هيكل أورشليم »
مأخوذة عن أيقونة أثرية بكنيسة أبى سرجة بمصر القديمة بالقاهرة



« شارع فى أورشليم » (لوقا ٢ : ٢٥ ؛ ٩ : ٣١ ، ١٣ : ٤ ؛ ٢٣ : ٧ ؛ ٢٤ : ١٨)

بهم إليه، فكان يضع يديه على كلٍّ منهم فيشفون من أمراضهم على الفور، مهما كان نوع تلك الأمراض، ومهما كانت درجة خطورتها أو طول أَمَدِها أو استعصاؤها على الشفاء. وكان كثيرون من أولئك المرضى قد احتلّت الشياطين أجسادهم فأصابتهم بالجنون أو العَمَى أو الصمم أو غير ذلك من العلل الشنيعة القاسية، فكان مخلِّصُنا يأمر الشياطين بأن تخرج منهم فتخرج على الفور وهى تصرخ فى فَزَع قائلة «أنت هُوَ المسيح ابن الله». بيد أنه كان ينتهرها ولا يسمح لها بأن تجاهر بهذه الحقيقة التى أدركتها تلك الأرواح الشريرة، وإن لم يدركها الناس بعد، لئلاَّ يبدو أنَّ الشياطين إذ تشهد بحقيقة شخصيته إنما هى متحالفة معه. فى حين أنه ما جاء إلا ليعلن الحرب عليها ويهزمها. كما أنه لم يكن يريد أن يعلن هذه الحقيقة على فم الشيطان لئلاَّ يتعطل عَمَل الفِداء، وإنما كان يريد أن تكشفها بالتدريج أعماله وأقواله ذاتها، لأن تلك الأعمال وتلك الأقوال كانت هى البرهان الأعظم على أنه هو المسيح ابن الله.

ويبدو أنَّ فادينا قد مضى فى صنع معجزات الشفاء الليل كلَّه، حتى إذا كان الصباح خرج من المدينة ومضى إلى موضع قفر ليختلى بعض الوقت، فراح الناس يبحثون عنه، حتى إذا وجدوه حيث كان فى القفر تشبثوا به كى لا يذهب عنهم، لأنَّهم بَهَرَتهم معجزات الشفاء التى صنعها، ولأنهم كانوا يطمعون فى مزيد من تلك المعجزات. ولكنه إذ كانت رسالته تقتضى أن يرتاد كلَّ مكان لينتشر نورها فى أوسع نطاق، قال لهم «إنه لابُدَّ لى أَنْ أُبَشِّر فى المدن الأخرى أيضًا بملكوت الله. لأننى لهذا أُرْسِلْتُ». ومَنِ ثَمَّ راح يجول مبشِّرًا فى مجامع منطقة الجليل كلِّها.

الفصل الخامس

٥ : ١ : ١١

وَحَدَث أنْ كانت الجموعُ تتزاحمُ حَوْل فادينا لِسماعِ كلمةِ الله. وكان واقفًا عند بحيرة جِنِّسَارْتَ، التى كانت تُسَمَّى أيضًا بحيرة طَبَرِيَّة، كما كانت تسَمَّى بحر

الجليل. وقد امتلأ السَّاحل بتلك الجموع الزّاخرة التى كانت تبلغ عدَّة آلاف، حتى لم يَعُد من الممكن أن يروه جميعًا وهو يُعلِّمهم. وعندئذ رأى سفينتين راسيتين عند شاطئ البحيرة، وقد خرج الصَّيَّادون منها يغسلون شباكهم، فاعتلى إحدى السفينتين، وكانت لسمعان بطرس، وطَلَب إليه أن يبتعدَ بها قليلاً عن البرِّ ليتفادى ازدحام الجموع مِن حَولِهِ، ثُمَّ جَلَسَ يُعلِّمُهُمْ مِن مَوضِعٍ فوق السفينة كان يُتاحُ لهم منه أن يروه جميعًا. كما كان يُتاح لهم أن يسمعوه جميعًا، لأنَّ صوته وإن كان رقيقًا عميقًا، فقد كان كذلك قويًّا جهوريًّا، حتى إذا فَرَغَ من الكلام والتعليم، قال لسمعان «تقدَّم إلى العُمق وألقوا شِباككم للصَّيْد». فأجاب سِمعان وقال له «يا مُعلِّمُ قد تَعِبنا الليل كُلَّه. فلم نحصُلْ على شيءٍ. ولكننا على كلمتك سَنُلْقى الشِّباك». وكان قوله هذا دليلاً على إيمانهِ بأنَّ المُعَلِّمَ قادر على أن يُحَقِّقَ لهم بقُدرته الإلهيَّة ما لم يستطيعوا هم تحقيقه الليلَ كله بمجهودهم البشَرِىِّ. إذ كان سِمعان من أوائل الذين سمعوا بشهادة يوحنَّا المَعْمَدان عنه أنَّ هذا هو المسيح ابن الله. فذهب إليه وتحدَّث معه، وقد أطلقَ عليه مخلِّصنا عند ذاك لقب «بطرس» الذى اشتُهِرَ به. إذ جاء فى الإنجيل للقِدِّيس يوحنّا أنه «ثمَّ فى اليوم التالى كان يُوحَنَّا (المعمَدان) واقفًا مع اثنين من تلاميذه، وإذ أَبصَرَ يسوع ماشيًا، قالَ: «هذا هو حَمَلُ اللّهِ»، فلما سِمع التلميذان قوله تبعا يسوع... وكان أندراوس أخو سمعان بطرس أحد الاثنين اللذين سَمِعا يوحنّا وتبعا يسوعَ وقد وَجَدَ أوَّلاً أخاه سِمعان فقال له: «قد وَجَدْنا الماشيحَ»، أى المسيح. ثم جاء به إلى يسوع، فلمّا رآه يسوع قال له: «أنتَ سِمعان بنُ يوحنّان. وليكن اسمك كيفا» أى بطرس» (يوحنَّا ١ : ٣٥-٤٢). ومِن ثَمَّ أطاع بُطرس وزملاؤه من الصيّادين أمر مخلِّصنا، فتقدَّموا إلى العُمق وألقوا شباكهم، وعندئذ امتلأت الشِّباك بعددٍ عظيم من السَّمَك، حتَّى لقَد أخذَت شباكهم تتمزَّق. فأشاروا إلى رفاقهم الذين كانوا فى السفينة الأُخرَى ليأتوا ويعاونوهم. فأتوا وملأوا السفينتين من السَّمَك حتى كادتا أن تغرقا. وعندئذ أثمرت تلك المعجزة التى صنعها السيِّد المسيح ثمرتها التى كان يهدف إليها، وهى أن يؤمن به كلُّ الذين شهدوها، ولا سيّما أولئك الصيَّادين الذين كان قد وقع

اختياره عليهم ليكونوا تلاميذه. إذ ما رأى سمعان بطرسُ ذلك الذى حَدَثَ حتىَّ خرَّ عند ركبتَىْ مخلِّصنا قائلاً «امْضِ من عندى ياربُّ، لأنَّنى رَجُلٌ خاطئٌ». فقد توطَّد إيمانه عندئذ بأنَّ هذا هو المسيح ابن الله الذى سبق له أن سمع شهادة يوحنّا المَعمدان عنه، ومِن ثَمَّ أَحَسَّ بما يحسُّه كلُّ إنسانٍ أمام العزّة الإلهيَّة من أنه بسبب خطاياه البشريَّة لا يستحقّ أن يقترب من الله القُدُّوس الطاهر الطهارة المطلقة. وقد ارتعب بطرس كما ارتعب كل الذين كانوا معه لكثرة السَّمك الذى حصلوا عليه. وكان منهم يعقوب ويوحنًّا ابنا زَبَدِى اللذان كانا رفيقين لسمعان فى مهنة الصَّيْد، فقال فادينا لسمعان «لا تَخَفْ وإنَّك منذ الآن ستكون صيَّادَ بَشَرٍ»، معلنًا بذلك أنه اختاره ضمن تلاميذه الأقربين إليه، فلن تكون مهنته بعدَ اليوم اصطياد السَّمَك ليأكله الناس، وإنَّما سيعمل بالأحرى فى اصطياد النَّاس أنفسهم، ليدخلوا ملكوت السماوات الذى فتح السيِّد المسيح للنَّاس أبوابه. وإذ كان فى السفينة عند ذاك بطرس وأخوه اندراوس، ويوحنًّا وأخوه يعقوب، جاءوا بسفينتهم إلى البَرِّ ثمَّ تركوا كُلَّ شيء وتبعوه فكانوا من أوائل تلاميذه ومن أقربهم إليه. وقد رَحَلُوا عن أهلهم وديارهم وتخلَّوْا عن كلِّ ما يملكون فى الدُّنيا ولَازموه ملازمة كاملة، مكرِّسين حياتهم كلَّها لخدمته والاستماع إلى تعاليمه والانصياع لوصاياه. والتبشير به بعد ذلك فى كلِّ أنحاء الأرض.

٥ : ١٢ - ١٦

وَدَخَل سيِّدنا إحدَى المُدُن - وهى كما نعلم من الإنجيل للقدِّيسين متَّى ومرقس، مدينة كَفَر ناحوم - فإذا رَجُلٌ يملأ البَرَصُ جَسَده، وقد اشتدَّت عليه وطأة ذلك المَرَض البشع حتىَّ شمله كله من قمة رأسه إلى أخمص قدَمَيه، فأصبح شفاؤه متعَذِّرًا، بل مستحيلاً فى تلك الأيام. بَيْدَ أنَّهاحين رأى فادينا خرَّ على وجهه أمامه وتوسَّل إليه قائلاً «ياربُّ، إنْ كنتَ تُريدُ، فأنت قادر على أن تطهِّرنى». فَعَلَى الرَّغْم من علْمِه بِخطورة مَرَضِه، واستحالة شفائه منه، كان يؤمن بأنَّ السيِّد المسيح بسلطانه الإلهىِّ قادر على أن يشفيه بمجرَّد أن تتَّجِهَ إرادته إلى ذلك، لأنه

كثيرًا ما سَمِعَ أنَّ السيِّد المسيح إذا أراد شفاء مَرَض من الأمراض مهما بَلَغَت خطورته أو استعصاؤه على الشِّفاء، فَعَلَ ذلك على الفَوْر، بقُدْرةٍ لا يمكن أن يعوقها عائق أو يحول دونها حائل، لأنها قدرة الله ذاته القادر على كلِّ شيء. فلما رأى مخلِّصنا ذلك الإيمان العميق الذى أبداه الرَّجُلُ، وتلك الضَّراعة التى تَوَسَّلَ بها إليه، وذلك الانسحاق الذى عبَّر عنه بسجوده أمامه، استجاب له على الفَوْر وَمَدَّ يده ولمسه قائلاً «أُريدُ فاطْهُرْ». ففى الحال ذَهَبَ عنه البَرَص. فبرهن السيِّد المسيح بذلك على أنَّه فِعلاً يصنع معجزاته بإرادته وحدها، وأنَّ هذه الإرادة قادرة على أن تحقِّق ما تتجِّه إليه مهما بدا للناس تحقيقها عسيرًا أو مستحيلاً. وقد كانت الشريعة اليهوديَّة تعتبر الأبْرَصَ نَجِسًا، وتعتبر أنَّ الذى يلمسه يصبح نجسًا كذلك. بَيْدَ أَنَّ السيِّد المسيح مع ذلك لَمَسَهَ لأنه طاهر طهارة كاملة، فلا يمكن أن تَعْلَقَ بِهِ النَّجاسة أبدًا، بل إنه هو وحده القادر على أن يمحو نجاسة البَشَر ويطهِّرهم منها. ولكنَّ مخلِّصنا على الرَّغم من عَظَمة هذه المعجزة قد شاء تواضعه أَلَّا يفخر بها، كما شاءت حكمته أَلَّا يَعلم الناسُ أمرها، فأوصى الرَّجُل قائلاً «لا تَقُلْ لأَحَدٍ». إلاَّ أنه كان حريصًا على العمل بشريعة موسى. وكانت تلك الشريعة تقضى على الأبرص إذا تطهَّر من بَرَصِهِ بأن يتقدَّم إلى الكاهن ليقوم بالطقوس التى قرَّرتْها الشريعة لإعلان طهارته، وبأن يقدِّم القربان الذى قرَّرته الشريعة كذلك تعبيرًا عن شُكره لله وعِرفانًا بفضله عليه (اللاويين ١٤ : ١ - ٣٢)، ومِنْ ثَمَّ قال فادينا للرَّجل «وإنَّما اذْهَبْ إلى الكاهِنِ، أَرِه نَفسك، وَقَدِّمْ عن تطهيرِكَ القربانَ الذى أَمَرَ بِهِ موسى، شَهادَةً لديهم»، أى لِيَعْلَمَ الكاهنُ وزملاؤه من الكهنة ورجال الدين أنه قد جاء إليهم وإلى العالَم كلِّه ذلك القادر على تطهير الأبرَص، بَيْد أنَّ الرَّجُلَ الذى أسبغ عليه مخلِّصنا نعمة الشفاء من مَرَضه الشنيع الذى كانَ يائسًا من الشفاء منه، لم يستطع أن يسكُت عن أن يتحدَّث للناس عن تلك النعمة التى أسبغها عليه على الرغم من أنه قد أوصاه بألَّا يقول لأحد. كما أنَّ الكهنة الذين أراهم نفسه وأخبرهم بأمر شفائه على يد ذلك الشَّافى الإلهى تحدَّثوا ولا شَكَّ إلى غيرهم عنه. ومن ثَمَّ ازداد أمر مخلِّصنا ذيوعًا فتوافدت

جموع عظيمة ليستمعوا إلى تعاليمه التى كان لا يفتأ يُنادى بها، ويروا معجزاته التى لا يفتأ يصنعها، وينالوا الشفاء به من أمراضهم. وأما هو فكان ينتهز كل فرصة ليعتزل فى القفار ويصلى مناجيًا أباه السماويّ الذى كان دائم الاتصال به، ليعطى الناس مثلاً فى أنهم مهما كانت مشاغلهم ومهما كان ثقل الأعباء الملقاة على عواتقهم ينبغى أن ينتهزوا كل فرصة تتاح لهم للاختلاء بأنفسهم والتأمل فى نعمة الله عليهم والعَمَل بالصَّلاةِ إليه على ألاَّ تنقطع صِلَتهم به أو صِلَته بهم، لأنَّ هذا هو خبزهم الرُّوحىُّ الذى لا يغنيهم الخبز المادىُّ عن الحياة بدونه، حياة روحيَّة حقيقيَّة خالدة، لا حياة ماديَّة زائفة زائلة. ولعلَّ فى اعتزال السَّيِّد المسيح فى القِفار للصلاة والتأمُّل تأسيسًا للرهبنة المسيحية وإعلاءً لقيمتها الرُّوحيَّة.

٥ : ١٧ - ٢٦

وفيما كان مخلِّصنا يُعَلِّم ذات يوم فى أحَد بيوت كَفَرناحوم، كان ازدحام الجموع شديدًا فى البيت وخارجه، حتى لم يَعُد ثمَةَ موضع لقدم (مرقس ٢ : ١ و٢). وقد جاءوا ليستمعوا إلى تعاليم ذلك المعلِّم العظيم ويروا معجزاته الرائعة. وقد كان ضِمْن هؤلاء بعض الفَرِّيسيين ومُعَلِّمى الشريعة الذين جاءوا من كُلِّ بلاد الجليل واليهودية وأورشليم، ليتحققوا مِمَّا سمعوه عنه، متجسِّسين عليه، ملتمسين فرصة - فى غيرتهم ممَّا أصبح له من مكانة لدى الشَّعب تُهَدِّد مكانتهم - ليسمعوا منه قولاً أو يروا فِعلاً يتهمونه فيه بمخالفة شريعتهم، ويتَّخِذُونه ذريعة لمحاكمته والحكم بالموت عليه. بَيْدَ أَنَّ قوَّة الربِّ قد حلَّت حينذاك أمام أعيُنهم، فَشَفَى مُخَلِّصُنا الذين قَدَّموهم إليه من المرضى. وإذا رجال قد جاءوا يحملون مفلوجًا على فِراشٍ. وكان الفالج يومذاك من الأمراض الخطيرة المستعصية التى يتعذَّر شفاؤها. وَمِن ثَمَّ حاول أولئك الرِّجالُ أن يدخُلوا بالمريض لِيَضَعُوه أمام فادينا داخل البيت، مؤمنين بأنَّه هو الوحيد القادر بقوَّته الإلهية على أن يشفيه كما شَفَى غيره من المصابين بأمراضٍ تشبه فى خطورتها مَرَضه. فَلَمَّا لم يجدوا وسيلة للدخول به بسبب شدَّة الزحام عند الباب صعدوا إلى السطح ونَزَعوا بعض قوالب القِرْميد

التى فى السقف ودلّوه مع فِرَاشِه من الفتحة التى نقبوها، مفسحين له مكانًا أمام مخلِّصنا فى وسط الجموع التى كانت تزخر من حوله. فلما رأى مخلِّصنا إيمانهم الذى برهنوا عليه بما فعلوا، قال للمفلوج «أيها الرَّجُل مغفورة لك خطاياك». وقد أراد مخلِّصنا بذلك أن يبرئ الرَّجُلَ من أمراضه الرُّوحيَّة التى نشأت عن خطاياه، والتى هى العِلَّة فى أمراضه الجسَدِيَّة، فيبرئه بذلك روحًا وجسدًا، بَيْدَ أنَّ الفرِّيسيِّين والكتَبة معلِّمى الشريعة الذين كانوا جالسين متلصِّصين عليه، مُتَرَبِّصين له، ليقتنصوا تهمة يدينونه بها، وَجَدُوا فيما قاله عندئذ بُغْيتهم التى يسعون إليها. غير أنهم إذ كانوا يتظاهرون عندئذ بأنهم جاءوا، لا كأعداء محاربين، وإنَّما كأحبَّاء معجبين، لم يجرؤُوا على المجاهرة بالاتهام الذى أضمروه عندئذ له، فراحوا يدبِّرون اتهامهم فى الخفاء وهم يفكِّرون فى أنفسهم قائلين «مَن هذا الذى يُجدِّف؟ فَمَنْ يقدِر أن يغفرَ الخطايا إلا اللّهُ الواحِدُ وَحْدَهُ؟». وهكذا كانت التهمة التى أعدُّوها ليدينوه بها هى التجديف على الله، إذ زعَم لنفسه سلطان غفران الخطايا الذى لا يملكه إلا الله وحده، مساويًا نفسه بالله، معتديًا بذلك على جلالِه وقدسيته. وتلك جريمة عقوبتها فى الشريعة هى الموت. بَيْدَ أَنَّ مُخلِّصنا علِمَ أفكارهم على الرّغم من أنهم لم يجاهروا بها، وأجاب قائلًا لهم «لماذا تجول هذه الأفكار فى قلوبكم؟ أيُّهما أيسر: أَنْ يُقَال مغفورة لك خطاياك، أم أن يُقال قم وامش؟ ولكن لكى تعلموا أنَّ لابن الإنسان السلطانَ على الأرض أن يغفِرَ الخطايا». ثُمَّ قالَ للمفلوج «لكَ أقول قمْ احمِلْ فِراشَكَ واذهَبْ إلى بَيتَك». ففى الحال قام أمامهم وحَمَل ما كان راقدًا عليه وذَهَبَ إلى بيته وهو يمجِّد اللّهَ. وهكذا أثبت السَّيِّد المسيح لأولئك المتلصِّصين المتربِّصين أنهم أشرار وأنهم فى نفس الوقت جهلاء حتى بشريعتهم التى يَدَّعون العِلْمَ بها ويتظاهرون بالدِّفاع عنها. لأنه جاء فى نبوءات الأنبياء التى تتضمَّنها أسفار شريعتهم أنَّ المسيح الذى ينتظرونه – وإن كان سيتّخذ طبيعة الإنسان وابن الإنسان – هو ابن الله، وهو الله ذاته، ومِنْ ثَمَّ فإنه يملك سلطان غفران خطايا البَشَر. فلئن كانوا قد أنكروا على مخلِّصنا هذا السلطان، فذلك لأنهم يجهلون هذه الحقيقة، أو لعلَّهم يتجاهلونها مُتَعَمِّدين، ليتخلَّصوا من

ذلك الذى جاء ليخلِّصهم، غيرة منه وحقدا عليه، وخوفًا من سلطانه الذى سيزعزع سلطانهم، ومن مكانته التى ستقضى على مكانتهم. ولكنَّ فادينا أفحمهم بطريقة عملية، مثبتًا لهم أنَّ الذى يستطيع أن يقول للمفلوج قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك فيتحقَّق ذلك على الفَوْر، يستطيع بالأحْرَى أن يغفر الخطايا، لأنَّ السُّلطان فى الحالتين واحد. ولا يمكن أن يكون هذا السلطان إلا سلطان الله وحده.

ولعلَّ مما يستلفت النَّظر أَنَّ المفلوج وقد ظلَّ سنوات طويلة لا يستطيع أن يحمل نفسه ويقف على قَدَميه، استطاع بكلمة واحدة من السَّيِّد المسيح أن يحمل نفسه وأن يحمل فراشه أيضًا ويذهب على قَدَميه إلى بيته. ومن ثَمَّ ذُهِل الحاضرون كلُّهم ومجَّدوا الله وهم يقولون وقد ملأهم الخوف واستولت عليهم الرَّهبة «قد رأينا اليوم عجائب». ولَعَلَّ الفرِّيسيِّين ومعلِّمى الشريعة - على الرَّغم مما يضمرونه مِن شرٍّ ومكر وغدر - كانوا ضِمن الذين ذُهلوا من روعة تلك المعجزة، وخافوا مما تتضمَّنه من سلطان يمتلكه ذلك الذى يناصبونه العداء وجاءوا ليعلنوا الحرْب عليه. وقد استولت عليهم الرَّهبة كما استولت على سائر الحاضرين من عامَّة الشعب، لأنَّهم رأوا هم أيضًا عجائب تفوق مداركهم، ورأوا مظهرًا من مظاهر القوَّة والسطوة لدى عدوِّهم، لا يملكون إزاءها إلا استشعار الضعف والتخاذل أمامه، والخوف والخزِى منه.

٥ : ٢٧ - ٣٢

وخَرجَ معلِّمنا بعد ذلك فرأى عشَّارًا، أى جابيًا للعشور وهى الضرائب، اسمه لاوى، وهو الذى كان معروفًا أيضًا باسم (متَّى)، والذى كَتَبَ فيما بعد البشارة التى تحمل اسمه من بشائر الإنجيل. وقد كان اليهود يكرهون العشَّارين ويحتقرونهم ويعتبرونهم فى حُكم الخُطَاة والزُّناة، لأنهم كانوا يعاونون السلطات الرُّومانية فى جباية ما تفرضه على اليهود من الضرائب التى هى رمز عبوديتهم للرُّومان، ولأنهم كانوا يجبون من أبناء جنسهم ما يزيد على ما هو مفروض عليهم، ليستبقوا الزِّيادة

لأنفسهم، مكتنزين بذلك من الأموال المنهوبة نهبًا ما جعلهم من الأثرياء المتعجرفين، ومستخدمين فى ذلك من العنت والعنف والتجبُّر ما جَعَلَ اليهود يحقدون عليهم وينفرون منهم وينعتونهم بأقبح النعوت. بَيْدَ أنَّ معلِّمنا لم يجد غضاضة فى أن يضمَّ إلى تلاميذه واحدًا منهم تَوَسَّم فيه الاستعداد لأن يتجدَّد ويتجرَّد من نقائص طائفته، ويغدو تربة صالحة ليغرس فيها غراسه، فتجود بأطيب الثمرات، ومِنْ ثَمَّ فإنَّه نَظَر إلى لَاوِى فيما كان جالسًا فى مكتب جباية الضرائب، وقال له «اتبعنى». وقد تحقَّق على الفَوْر ما توسَّمه مُعلِّمنا فيه، لأنه ترك كلَّ شيء وقام وتبعه، متخلِّيًا عن وظيفته التى تدرُّ عليه أموالاً طائلة، ومتخلِّيًا عمَّا كان قد جناه فِعلاً من تلك الأموال، مستجيبًا لدعوة ذلك الذى بكلمة واحدة استطاع أن يغيِّر حياته تغييرًا كاملاً، وينتقل به فى لحظة من الانغماس فى اهتمامات هذا العَالَم وتطلُّعاته وشهواته، إلى التماس أقداس ملكوت السماوات وأمجاده وبركاته، ومِنْ ثَمَّ كَرَّس نفسه منذ تلك اللحظة لملازمته وخدمته والاستماع إلى تعاليمه، ثم المناداة بتلك التعاليم فى كل أنحاء الأرض.

وقد أرادَ لاوى أن يحتفل بميلاده ميلادًا جديدًا، وأن يدعو زملاءه من العشَّارين عَسَى أن تتجدَّد قلوبهم حين يرون ويسمعون ذلك الذى جدَّد قلبه، فينالوا النعمة التى نالها هو، ومِنْ ثَمَّ صنَعَ لمعلِّمه وليمة عظيمة فى بيته، ودعا إليها جمعًا كبيرًا من العشَّارين وغيرهم، فجلَسُوا مع المعلِّم وتلاميذه إلى المائدة. بَيْدَ أنَّ أعداء السيِّد المسيح من الفرِّيسِّيِّين والكَتَبَة مُعَلِّمى الشريعة اليهودية لم يفهموا ما ينطوِى عليه ذلك الاحتفال من معنى نبيل، وما يهدف إليه من غاية سامية، فتذمَّروا قائلين لتلاميذه «ما بالكم تأكلون وتشربون مع العشَّارين والخُطَاة؟». وهكذا لم يذكروا العشَّارين إلَّا وهم يقرنونهم بالخُطَاة كعادتهم. وعندئذ أفحمهم السيِّد المسيح وأفهمهم ما لم يكونوا يفهمون من حكمته ومن حقيقة رسالته، إذ أجابهم قائلاً لهم «لا يحتاج الأصحَّاء إلى طبيب، بل المرْضَى. فما جئت لأدعو أبرارًا بل خُطاة إلى التَّوبة». فالخُطَاة ما هم إلَّا مَرْضَى يكْمُن مرضهم فى أرواحهم، وإنْ لم يكمُنْ فى أجسادهم. وهم الذين يحتاجون إلى الشفاء من مرضهم الرُّوحى. وقد جاء هو

ليشفيهم من ذلك المَرَض، داعيًا إياهم إلى التَّوبة التى هى السبيل إلى الشفاء من ذلك المَرَض، فلا مَنَاص لكى يفعل ذلك من أن يقترب منهم ويدعوهم لأن يقتربوا منه، شأن الطبيب الذى يسعى إلى المريض أو يسعى المريض إليه ليفحصه ويشخِّص داءه ويقرِّر له دواءه ليشفيه. وأمَّا الأصحَّاء فلا حاجة بهم إلى ذلك. وقد جاء مخلِّصنا لا ليدعو الأبرار إلى التوبة، وإنما ليدعو الخُطاة، لأنهم فى حاجة إلى التوبة التى بغيرها لا يمكن خلاصهم، بل يظَلُّون غارقين فى خطاياهم، مستحقين الهلاك لدى العدالة الإلهية من جراء تلك الخطايا.

٥ : ٣٣ - ٣٩

غير أنّ أعداء مخلِّصنا من الكَتَبة والفرِّيسيِّين كانوا كلَّما أبكَمَهُمْ بإجاباته المُفحمة عمَّا كانوا يوجّهونه إليه من عبارات التهجُّم عليه والتنديد بأقواله وأعماله، ازدادوا حقدًا عليه وإلحاحًا فى ملاحقته بما تنفثه صدورهم من عداوة له وضراوة فى محاربته، فلم يلبثوا أن جاءوا إليه وقالوا له «لماذا يصوم تلاميذ يوحنَّا كثيرًا ويُصلُّون، وكذلك تلاميذُ الفرِّيسيِّين، وأما تلاميذك فيأكلون ويشربون؟». وقد قصدوا بذلك أن يتهموه بأنه يتهاون فى تعليم تلاميذه ذلك المظهر من مظاهر التقوى وهو الصوم الذى كانوا هم - فى ريائهم - يتّخذونه برهانًا أمام الناس على تَقْواهم، لِيَخْدَعوا به الناس عن شرِّهم ومكرِهِم وسواد قلوبهم، وابتعادهم كلَّ الابتعاد عن التقوى بمعناها الحقيقىّ. كما قَصَدوا أن يتَّهموه بأنه ما دام يتهاون فى تعليم تلاميذه أن يكونوا أتقياء، فذلك دليل على أنه هو نفسه غير تقىّ. فأوضح لهم مخلِّصنا حكمته فى ذلك، كما سبق أن أوضح لهم حكمته فى مخالطة العشَّارين والخطاة، قائلاً لهم «أيمكنكم أن تجعلوا بنى العُرس يصومون ما دام العريس معهم؟. لكن ستأتى الأيام حين يُرفع العريس من بينهم، فعندئذ يصومون فى تلك الأيام» أى أنهم ما دام هو معهم، ينبغى أن يكونوا فَرِحين كما يفرح أهل العريس ما دام العرس قائمًا. وإذ كان الصوم من مظاهر الحزن، لا يليق بهم الآنَ أن يحزنوا، كما لا يليق ذلك بأهل العريس. بَيْد أنهم إن لم يصوموا الآنَ فى فرحهم،

فإنهم تنتظرهم أحزان ليس أقسى ولا أشد مرارة منها حين يرتفع هو عنهم. فيكابدون عندئذ من ألوان التنكيل والتعذيب، والمطاردة والتشريد، ما يجعلهم صائمين دائمًا، صوم الحَزَانَى، وصوم المتألِّمين، وصوم المجاهدين المستشهدين. ثمَّ أوضح معلِّمنا لأعدائه الحاسدين الحاقدين حكمة أخرى ينطوى عليها مسلكه مع تلاميذه فضرب لهم مثلاً قائلاً «ما من أحد يقتطِعُ رقعة من ثوب جديد فيجعلُها فى ثوب قديم، وإلَّا فيكون الجديد قد تمزَّق ولا تلائم الرقعة المأخوذة من الجديد الثوب القديم وما من أحد يضع خمرًا جديدة فى زِقاق عتيقةٍ، وإلا فإنّ الخمرَ الجديدةَ تشقُّ الزّقِاق، فالخمرُ تُراقُ والزّقِاق تتلف، وإنَّما يجب أن توضع الخمرُ الجديدةُ فى زِقاقٍ جديدة، فتكونُ كلُّها مَصُونة. وما مِن أَحَد كذلك بعد أن يشرب الخمر المعتَّقة يريد على الفور أن يشرب الخمر الجديدة، لأنه يقول إن المعتَّقة هى الأطيب». فقد جاء معلِّمنا بعهد جديد، يتضَّمن تعاليم جديدة فهو لا يريد أن يضَع على كواهلهم أعباء لا يطيقونها دفعة واحدة وإلا عجزوا عن حملها، وإنما يريد أن يدرِّبهم على احتمال تلك الأعباء خطوةً خطوةً، ومرحَلة بعد مرحَلة، بحيث يتقدَّمون بالتدريج نحو الهدَف الذى رسمه لهم. فلو أنه أجبرهم الآن على الصوم الذى كان معلِّمو اليهود يعتبرونه طقسًا من طقوس ديانتهم، ويتزمَّتون فى تطبيقه تطبيقًا شكليًّا محضًا، دون نَظَر إلى غايته أو الحكمة منه، لكان كمن يضع رقعة جديدة فى ثوب قديم، فَيَفْسَدُ بذلك الثَّوبُ الجديدُ والثَّوبُ القديمُ معًا. ولكانَ كمن يضع خمرًا جديدة فى زقاقٍ عتيقة، فالزّقاق تتلف والخمر تُراق. ومِنْ ثَمَّ فإنَّه كما يجب أن توضع الخمر الجديدة فى زقاق جديدة فتكون كلُّها مَصونة، يجب أن توضع تعاليم العهد الجديد أمام التلاميذ فى قوالب جديدة، ليعرفوها ويألفوها ويحافظوا عليها ويصونوها. بَيْد أنه ليس معنى هذا أنَّ السِّيد المسيح لم يكن يوصى بالصوم، لأنه هو نفسه بدأ حياته التعليمية بأن صَامَ أربعين يومًا كاملة، وكانت حياته كلها صومًا متواصلاً، فضلاً عن أنها كانت صلاة متواصلة، وقد أعطانا نفسه مثالاً حيًّا فى كلِّ ما قال وفَعَلَ. وإنما الذى كان يعنيه هنا أنه لم يلزم تلاميذه بالصَّوم فى بداية تعليمه لهم - كما سبق أن قلنا - ليتدرّج بهم فى حياة

التقوى تدرُّجًا، وهو عالم أنهم سَيَصلُون فى النهاية إلى أقصى غاياتها ويصبحوا بصومهم وصلاتهم من أعظم القدِّيسين فى تاريخ البَشَر.

الفصل السادس

٦ : ١ - ٥

ولم يخجل أعداء فادينا من كثرة ما أحبط من مؤامراتهم، وأسقط من حججهم، وفَضَح من دلائل ريائهم وجهلهم وَتحامُلهم عليه. وإنما راحوا يطاردونه أَيْنَمَا ذَهَبَ، مُلاحِقين إيَّاه بالملام والاتهام فى كلِّ ما يفعل هو أو يفعل تلاميذه. إذ حَدَثَ فى السَّبْتِ الثانى بعد الذى مَضىَ أنْ كانَ يسير بين الحقول. وإذ جاعَ تلاميذه راحوا يقطفون سنابل القمح ويفركونها فى أيديهم ويأكلون. فقال لهم قوم من الفرِّيسيِّين «لماذا تَفْعَلونَ مالا يَحِلُّ فِعلُهُ فى السُّبوت؟»، لأنَّ الفرِّيسيِّين وسائر علماء الدين اليهودى كانوا يتزمَّتون تزمُّتًا شديدًا فى تطبيق وصيَّة تكريس يوم السَّبتِ للرَّاحة وَعَدم القيام فيه بأىِّ عَمَل، ومِنْ ثَمَّ اعتبروا قَطْف السَّنابل فى ذلك اليوم عملاً يخالف هذه الوصية، حتى بالنسبة لمَنْ كان جائعًا وأراد أن يسدَّ رمَقه ببعض حبَّات القمح. فأجاب مخلِّصنا وقال لهم «أمَا قرأتم ما فَعَل داودُ حِينَ جاعَ هو والَّذينَ كانوا معه، كَيفَ دَخَلَ بَيْتَ اللّهِ وأَخَذَ خُبز التَّقدِمَةِ الَّذى لا يَحِلُّ أَكلُهُ إلا للكهنةِ وَحْدَهُم، وأكَلَ مِنه وأَعْطَى كذلك الَّذينَ كانوا معه؟». إنَّ داود أعظم ملوكهم، ومن خير أنبيائهم حين جاع فى يوم السَّبت، ولم يجد ما يأكله لم يجد غضاضة فى أنْ يأكل خبز التقدمة، وهو القربان المقدَّس الذى لا يحِلّ فى الشريعة لأحَدٍ أن يأكل منه إلا للكهنة وحدهم، ولم يأكل من ذلك القربان وحده إنما أعطى منه كذلك المرافقين له الذين كانوا جائعين مثله. فإن كان داود الذى كانوا يرتِّلون مزاميره كلّ حين فى هيكلهم، متعبِّدين بهاالربِّهم، قد استحلَّ وهو ليس كاهنًا أن يأكل ما لم تسمح الشريعة بأكله إلا للكهنة، فهل يستكثر الفرِّيسيُّون على تلاميذ السيِّد المسيح وقد جاعوا أن يأكلوا، لا خبز التَّقْدِمَة الذى كان فى الهيكل، وإنما حفنة من

حبَّات القمح الذى كان فى الحقل؟. وهكذا أراد الفرِّيسيُّون أن يتذرَّعوا بأحكام الشريعة ليتهموا تلاميذ مخلِّصنا بأنهم فعلوا ما يخالف هذه الأحكام، وليتهموه هو بالذات بأنه سمح لهم بأن يفعلوا ذلك، فأصبح شريكًا لهم فيما فَعَلوا، فأثْبَتَ لَهُمْ من تلك الشريعة ذاتها خطأهم فى فهمها، وخطيئتهم فى أنهم أدانوا تلاميذه ظلمًا وبهتانًا. ثُمَّ قال لهم «إنَّ ابنَ الإنسانِ هو رَبُّ السَّبْتِ». أَىْ أنَّه بطبيعته الإلهية هو الذى وضَعَ وصيَّة السبت فهو صاحبها وهو القادر وحده على إدراك حكمتها. كما أنَّه هو القادر وحده على تفسيرها. على أنَّ الله فى حكمته لم يضع شريعة السبت للتضييق على الإنسان، وإنما جعله لخير الإنسان، يستريح فيه جَسَده، وتنمو فيه روحه، بتعَبُّده لله، والتمتُّع بنعمة اقترابه منه وتوجيه كلِّ أفكاره ومشاعره إليه.

٦ : ٦ - ١١

ثم فى سبْتٍ آخر دَخَل فادينا المجمع كعادته وأخذ يُعلِّم. وكان هناك رَجُل يدُه اليُمنى يابسة متصلِّبة لا يستطيع أن يؤدِّى بها أىَّ عَمَل. وقد كان الكتَبَة والفرِّيسيُّون لا يفتأون يتعقَّبون فادينا أينما ذَهَبَ، فتبعوه ودخلوا المَجْمَعَ الذى دَخَله. وإذ رأوا ضِمن الحاضرين فيه ذلك الرَّجل الذى كانت عِلَّتُهُ ظاهِرةً، راحوا يراقبون فادينا ليروا هل سيشفيه فى السبت، حتى يجدوا شكاية ضدّه، يدينونه بها. بيد أنَّ الربَّ يسوع علم أفكارهم. وعلى الرَّغم من أنَّ الرَّجُل ذا اليد اليابسة لم يطلب منه شفاءه، وإنما جاء ليستمع إلى تعليمه فَحَسْب، أراد مخلِّصنا أن يفضح خُبْثَ أولئك الذين كانوا يترصَّدون له ويكشف رياءهم وغباءهم وجهلهم بالحكمة التى تنطوى عليها شريعتهم، فقالَ للرَّجُل «قُمْ وَقِفْ هُناكَ فى الوَسَطِ» ليراه الجميع، فقام الرَّجُلُ وَوَقَفَ، ثُمَّ قالَ مخلِّصنا لهم «إنِّى أسألُكم، أيَحِلُّ فى السُّبُوتِ فِعْلُ الخَيْرِ أم الشَّرِّ؟ تَخْلِيصُ نَفْسٍ أم إهلاكُها؟». وإذ كان واضحًا أنَّ الذى يَحِلُّ فى يوم السبت وفى كلِّ يوم هو فِعلُ الخير لا الشَّرِّ، وتخليص نفوس الناس لا إهلاكها، صمتوا منهزمين أمام تلك الحقيقة التى لا يستطيعون أن يماروا فيها. وقد كان صَمْتهم دليلاً على شَرِّهم ومَكرهم وغلظة قلوبهم، لأنهم لو كانوا يريدون

فِعل الخير أو تخليص النفوس لأجابوه معترفين بذلك، ومِنْ ثَمَّ أدار مُخلِّصُنا نَظَره فيهم جميعًا فى أَلم ومرارة من انحطاط نفوسهم وانحدارها إلى هذا المَدَى السحيق من الوضاعة والبشاعة. ثم أثبت لهم أنه فى سبيل تخفيف أو جاع المتوجعين لا يأبه بحقد الحاقدين ولامؤامرات المتآمرين. إذ قال للرجُل «امدُدْ يَدَكَ»، ففعل ذلك، فعادت يده على الفور سليمة كالأخرى. وقد كان الأحرى بالكتبة والفريسيين حين رأوا ذلك الشَّخص الإلهى يشفى ذلك المرض العضال بمجرَّد كلمة منه، أن يؤمنوا به، أو على الأقلِّ أن يخافوا تلك القوَّة السماوية التى تكمن فيه، فيكفّوا عن مقاومته. بيد أنهم لم يفعلوا هذا ولا ذاك، وإنما أعمى الحِقد أبصارهم وبصائرهم، فجُنَّ جُنُونُهُم، وراحوا يَتَشاورون فيما بَيْنَهم ماذا يَفْعَلونَ بذلك الذى بمعجزاته ينتزع سلطانهم ويزعزع مكانتهم لدى الشَّعب، متعلِّلين بتلك الحجة السخيفة السمجة التى يتهمونه فيها بأنه يخالف الشريعة لأنه يصنع معجزاته تلك فى يوم السبت، ليتخذوا من ذلك ذريعة لقتله والتخلص منه.

٦ : ١٢ - ١٦

وفى تلك الأيام التى اشتدت فيها حرب أعداء مخلِّصنا ضدَّه وكثرت مكايدهم ومؤامراتهم عليه، صعد إلى الجبَل ليصَلى، وفقًا لنبوءة داود النبىِّ القائلة بلسانه «بدلَ محبتى يُخاصِمونى. أما أنا فَصَلاة» (المزمور ١٠٨ : ٤). وقد قضى هناك فى الصَّلاة الليل كلَّه مناجيًا - فى وحدته بين شعاب الجبل المقفر - أباه السماوى، لأنه إن كان بلاهوته واحدًا معه، فإنه بإنسانيته كان حريصًا على أن يكون دائم الاتصال به، ليكون ذلك درسًا للبَشر يحتذونه، فلا تطغى اهتمامات الجسَد الأرضية على اهتمامات الرُّوح السماوية. وقد كان مُخَلِّصنا يطيل الصَّلاة على الخصوص كلما كان مُقدِمًا عَلى عَملٍ يعتبره هامًّا وجوهريًّا فى أداء رسالته. وكان هذا العمل فى هذه المرَّة هو اختيار عدد من المؤمنين به ليكونوا تلاميذه الملازمين ملازمة تامة له. إذ أنه لما طَلَعَ النهار دعا إليه تلاميذَه واختارَ منهم اثنى عشر سَّماهم رُسُلاً، وهم : سمِعانُ الذى سَمَّاه كذلك بطرس، وأندراوس أخوه، ويعقوبُ

ويوحَنَّا، وفيليبس وبرثُلْماوُسُ، ومَتَّى الذى كان يدعى كذلك لاوى، وتوما، ويعقوبُ بن حَلْفىَ، وسمِعانُ الذى كان يُدعَى الغَيُورَ، كما كان يُدعى القانوى، ويهوذا أخو يعقوبَ الذى كان يُدعى كذلك لبَّاوس أو تدَّاوس، ويهوذا الأسخريوطىّ الذى خانه فيما بعدُ وأسلمه إلى أعدائه.

وقد شاءت حكمة مخلّصنا أن يختار من بين اليهود الذين آمنوا به هذا العدد القليل ممَّن توسَّم فيهم الاستعداد ليجعل منهم الطليعة الأولى من المؤمنين الذين يؤَلِّفون رعيته فى ملكوت السماوات، فيكونون بمثابة البذرة الصغيرة التى يغرسها الزارع ويتعهدها فتنبت وتنمو ولا تفتأ يزداد نموها حتى تغدو شجرة عظيمة، ويكونون بمثابة الخميرة التى توضع فى العجين فلا تفتأ تفعل فِعْلهَا فيه حتىً يختمر الكلُّ (متى ١٣ : ٣١ - ٣٣). ولم يشأ مخلِّصنا أن يختار تلاميذه من العلماء المتضلِّعين فى الشريعة أو الفلسفة أو أى علم من العلوم، لئلا يظنوا أن التعليم تعليمهم، أو أن المبادئَ السامية التى غرسها فيهم هى من نتاج عِلمِهِم أو من ثمرة اجتهادهم وعبقريتهم. ولئلاَّ يظنَّ الناس ذلك فيهم. لأنَّ التعليم فى الحقيقة هو تعليم الله، ولأن كُلَّ موهبة رآها الناس بعد ذلك فيهم إنما هى منحة من الله لهم ليمنحوها هم بدورهم لغيرهم - فلئن كانوا قد استطاعوا التعليم فيما بعد، فإنما كان الله يعلِّم فيهم وبهم. ولئن كانوا قد استطاعوا أن يأتوا أىّ عمل من أعمال القدرة إنما هى قدرة الله وحده أظهرها بواسطتهم. كما أنَّه لم يشأ أن يختارهم من ذوى المناصبِ والسلطان، أو الثروة والجاه، لئلا يعتقدوا أو يعتقد غيرهم أن قوَّة تأثيرهم ناشئة عن رِفعَة مكانتهم أو كثرة ما يملكون من أعراض هذه الدُّنيا، فى حين أنهم ليسوا إلا أدوات فى يد الله ذى القوَّة والرِّفعة والمالك وحده لكلِّ شيء ومِنْ ثَمَّ اختار مُخَلِّصُنا تلاميذه الأوائل القلائل من بسطاء الناس الذين إن كانوا غير جهلاء جهلاً مُطْبقًا، فإنهم ليسوا ممَّن تواضع الناس على تلقيبهم بالعُلماءِ، والذين وإن كانوا غير فقراء فقرًا مدقعا فإنهم ليسوا من الأغنياء المترفين، أو من ذوى المكانة الاجتماعية الرفيعة بين الناس، إذ كان أغلبهم من صيَّادى السَّمَكِ. وكان الوحيد الذى يشغل منصبًا حكوميًّا منهم، كاتبًا بسيطًا ممن يتولون تحصيل الضرائب. ولم

يكن يميّزهم جميعًا عن سائر الفقراء المتواضعين من الناس إلا ما تَوَسَّمَه مُخَلِّصُنا فيهم من استعداد طَيِّب للإيمان به والإخلاص له، على الرغم مما كانوا يتصفون به من نواحى الضعف التى يتصف بها سائر البَشَر. ومع ذلك لم يكن استعدادهم للإيمان به والإخلاص له قويًّا فى البداءة بالدرجة التى جعلتهم يختارون الانضمام إليه من تلقاء أنفسهم، لأنهم لم يكونوا هم الذين اختاروه، وإنَّما هو الذى اختارهم قبل أن يتبينوا هم هذا الاستعداد فى أنفسهم. وقد صارحهم هو بذلك فيما بعد، إذ قال لهم «لستم أنتم الذين اخترتمونى، وإنما أنا الذى اخترتكم وأقمتكم لتنطلقوا وتأتوا بثَمَرٍ، ويدوم ثَمَرُكُم» (يوحنَّا ١٥ : ١٦). وقد كان اختيار مخلِّصنا لتلاميذه مستَنِدًا إلى أنه كان عارِفًا طبائع الناس جميعًا، وقادرًا على التمييز بين الصالحين منهم لأَنْ يأتمنهم على أسراره المقَدَّسة، وبين غير الصالحين لتلك المُهِمَّةِ الجليلة والخطيرة مهما بدا لأوّل وَهْلة من إيمانهم وغيرتهم واستعدادهم. فقد جاء فى الإنجيل للقِدِّيس يوحنَّا أَنَّ فادينا «لَمَّا كانَ فى أورشليمَ فى عيد الفِصح، آمَن كثيرون باسمه، حين رأَوا المعجزات التى صنعها. ولكنَّ يَسوعَ لم يكن يأمنهم، لأنه كان عارفا بكل أحد، ولم يكن بحاجة لأن يخبره أَحَدٌ عن الإنسان، لأنه كان يعلم، ما فى الإنسان» (يوحنَّا ٢ : ٢٣ - ٢٥).

وما مِن شكٍّ فى أنَّه كُلَّما قلَّ عدد تلاميذ المعلِّم صاحبِ الدَّعوة، كان تعليمه لهم أسرعَ وأنفعَ وأدقَّ وأعمقَ، وكان اعتماده عليهم فى نَشْرِ دعوته أشدَّ وأعظَمَ وأقوى وأصدَقَ. إذ يكونون بمثابة أسرته الحميمة التى يبادله أفرادها الحُبَّ والجَذْبَ والأُلفة والوفاء. ويخضعون له، لا عن إجبار وقهر، وإنَّما عن اختيار وإكْبَارٍ ومَوَدَّةٍ وولاء. فَهُمْ إذ يرونه يُحِبهُّم يُحِبُّونه. وإذ يرونه يُخلِصُ لهم يُخلِصون له. وإذ يرونه يَحْرِصُ على اكتساب ثقتهم يَحْرِصونَ على اكتسابِ ثقته. وإذ يرونه يَتَفانَى فى خدمتهم ولو إلى درجة التضحية بنفسِهِ من أجلهم، يتفانون هُم فى خدمته ويضحُّون بأنفسهم لو اقتضى الأمر من أجله. ولذلك اختار فادينا من بين المؤمنين به اثنَىْ عَشَر رَجُلاً فقط يلازمونه فى كلِّ وقتٍ ويتبعونه أينما ذَهَبَ، ويسمعون أقواله ويرون أعماله ويخالطونه فى مأكله ومشربه، ويقظته ونومه، وصَلاته وصومه، وفَرَحه

وحُزنه، ورضاه وغضبه، حتى يكونوا له كالأبناء بالنسبة لأبيهم، يخضعون لتأديبه وتهذيبه، وينتفعون بحكمته وحنكته ويستمعون إلى توجيهه ونصيحته، ويتدرَّبون على التخلُّق بأخلاقه، والتمثُّل به فى كلِّ صفاته وتصرُّفاته، بحيث يصبح أولئك التلاميذ القلائل -بعد تعليمهم وتقويمهم وتهذيبهم وتدريبهم- صالحين للمُهِمَّةِ العظيمة التى أَزمعَ أن يلقيها على عاتقهم، ومستعدِّين لإنجاز تلك المهمَّة فى الوقت المحدَّد لها كلَّ الاستعداد. وإذ كانت الحكمة الإلهية قد جَعَلَت آباءَ المؤمنين فى العهد القديم اثنىْ عشر، هم رؤوس أسباط إسرائيل الاثنى عشر، شاءت حكمة مخلِّصنا أن يكون عَدَد تلاميذِه اثنىْ عَشَر كذلك، ليكونوا هم آباء المؤمنين فى العهد الجديد، بعد أنْ يكون اليهود بنو إسرائيل قد رفضوا دعوة مخلِّصنَا الإلهى، فرفضهم الله وغضب عليهم وَقضى بهلاكهم. إذ جاء فى إنجيل القدِّيس متَّى أنَّ مخلِّصنَا قال لتلاميذه «الحقَّ أقولُ لكم إنّكم أنتم يا مَنْ تَبعتمونى، متَى جَلَسَ ابنُ الإنسان على عرشِ مجدِهِ عند تجديدِ كلِّ شيء، ستجلسون أنَتم أيضًا على اثنى عَشَرَ كُرْسيًّا، وَتدينونَ أسباطَ إسرائيلَ الاثنَى عَشرَ» (متى ١٩ : ٢٨). وقد كان أولئك الاثنا عَشَرَ الذين اختارهم مخلِّصنَا ليكونوا تلاميذه الأقربين من بيئة واحدة، إذ كانوا جميعًا من قانا الجليل أو كفر ناحوم أو بيت صيدا. وكان أغلبهم أقارب، فكان بطرس واندراوس أخوين، وكان يعقوب بن زَبَدِى ويوحنَّا أَخَوين. وكان يعقوب بن حَلْفى ويهوذا الملقّب «ليس الأسخريوطى» أو لبَّاوس أو تدّاوس أخوين أيضًا. وما من شك فى أن انتساب التلاميذ جميعًا إلى بيئة واحدة، يجعل منهم جماعة متآلفة متفاهمة متكاتفة متضامنة، لا تَنَافُر بين أفرادها فى التفكير أو الشعور، ولا تعارض بينهم فى الصِّفات أو التصرُّفات، ممَّا يوفِّر أسباب النجاح لأىِّ مُهِمَّةٍ يضطلعون بها، أو أى دعوة يناضلون فى سبيلها، ولا سيما إذا كانت تجمع بينهم النزاهة ويسودهم الإخلاص. على أنه كانت لكل منهم شخصيته وصفاته التى يتميّز بها عن غيره، ولعلَّهُ كان يمثِّل عِّينَةً من عيِّنات البَشَر. وبهذا جَمَع المسيح له المجد بين تلاميذه اثنى عشر رجُلا يمثِّلون فى شخصيَّاتهم خصائص المجموعات البشرية.



« السيد المسيح مع العلماء فى الهيكل وهو فى الثانية عشرة من عمره » (لوقا ٢ : ٤١ — ٥١)

للفنان العالمى هولمان هنت

« يوحنا المعمدان » (لوقا ٣ : ١ – ٢٠)



« أشعياء النبى » (لوقا ٣ : ٤ ؛ ٤ : ١٧)

للفنان العالمى فريد ريك شيلدز

٦ : ١٧ - ١٩

وبعد أن اختار فادينا تلاميذه الاثنىْ عَشَرَ وهُوَ عَلى الجَبَل، نَزَلَ معهم ووقف فى مُنْبَسَطٍ من الأرض هو وأولئك التلاميذ، وجماعة من تلاميذه الآخرين. وكان جمهورٌ عظيم من الشَعب ينتظره هناك، وقد جاءوا من كُلِّ اليهوديَّة وأورشليم، متكبِّدين مشقَّةَ السَّفَر عشرات الأميال، كما جاءوا من ساحل صور وصيدا المتاخمتين للشعوب الوثنية فى أقصى الشمال من فلسطين، ليسمعوا تعاليم ذلك المعلِّم السماوِىِّ، وليبرئَهم من أمراضِهم بقدرته الإلهية، فأخذ يعلِّمهم ويشفى مرضاهم ويطرد الأرواح النَّجِسَةَ ممَّن كانت تقيم فى أجسادهم وتعذِّبهم. وقد كان الجميع يتهافتون عليه ليلمِسوه، لأنَّ قوَّة كانت تخرج منه فَتُبرئُهم جميعًا. فأى قُوَّة تلك التى بذاتها وبغير تدخُّل أىِّ عنصر سواها تقدر أن تمنح الشفاء لكلِّ مريض مهما كانت خطورة مَرَضه أو استعصاء شفائه، إنْ لم تكَنْ هى قوَّة الله وحده القادر على كلِّ شىء، والذى لا يستحيل عليه شىء؟

٦ : ٢٠ - ٢٣

وقد رَفَع مُخلِّصنا عينيه نحو تلاميذه وأخَذَ يعلِّمهم، ناصحًا إياهم. موضِّحًا لهم الحقائق الخفيَّة عنهم، شارحًا أسرار ملكوت السماوات الذى جاء ليبذر مبادئه فى الأرض بواسطتهم، مُعَزِّيًا أولئك التلاميذ عمَّا سيلقون فى سبيل المهمَّة التى سيلقيها على عاتقهم من متاعب ومصاعب، واضطهادات وويلات، تبلغ آخِر الأمر حَدَّ القتل بأشنع الوسائل وأبشع الأساليب. إذ قال لهم «سعداء أنتم أيها المساكينُ، فإنَّ لكم ملكوتَ اللّهِ. سعداء أنتم أيها الجِياعُ الآنَ فإنكم سَتَشْبَعونَ. سعداء أنتم أيُّها الباكونَ الآن فإنَكم سَتَضْحَكونَ. سعداء أنتم إذا أبغضَكُم النَّاسُ وَنَبذوكم وعَيرُّوكُم وأهانوا اسْمَكم، مُفترينَ الشَّرَّ عليكم من أجلِ ابنِ الإنسانِ. فافرحوا فى ذلكَ اليوم وَتهلَّلُوا، فإنَّ أَجْرَكَمُ عظيم فى السَّماء، لأنه هكذا فَعَل آباؤُهم بالأنبياءِ». وقد كان تلاميذ مخلِّصنا مساكين لأنهم فقراء، ولأنهم حتى القليل الذى كانوا يملكونه تركوه ليتبعوا معلِّمهم الإلهىَّ ويكَرِّسوا حياتهم لخدمته والتبشير

برسالته. وكانوا مساكين أيضًا لأنهم متواضعون بُسَطَاء أبرياء، غير متكبِّرين ولا ماكرين ولا خبثاء. بَيْد أنهُّم إنْ أعوزتهم السعادة لهذا السَّبب فى مملكة الناس، فإنهم سيكونون لهذا السبب نفسه سعداء فى ملكوت الله. وقد كانوا جياعًا فى ذلك الحين لا يكادون يجدون ما يَسُدُّ الرَّمَق بسبب عَوْزِهِم وبسبب انشغالهم بتأدية رسالتهم. ولكن حاجتهم فى الأرض إلى الطعام ستتحوَّل فى السَّماء إلى شَبَع، لا مِنْ أَكْل وشُرْبٍ مادىٍّ مآله إلى نفادٍ وفناء، وإنما من نعمة وبركة روحيَّة خالدة القداسة أبَدِية البقاء. وقد كانوا فى ذلك الحين يذرفون الدمع باكين تَوَجُّعًا من الناس أو تَفَجُّعًا عليهم وعلى ما يعانون من مظالم وآلام، أو ما يقترفون من خطايا وآثام. ولكنَّ بكاءَهم هذا الذى يصدر عن براءة نفوسهم وسموِّ مشاعرهم ونُبْل مقاصدهم، سيتحوَّل فى ملكوت الله إلى ضحك وسعادة وتهلُّل، شأن الأبرار الصالحين والأطهار القدِّيسين. وقد كانوا معرَّضين لسخط الأشرار من الناس عليهم وكراهيتهم لهم ونبذهم إيَّاهم، وتعييرهم وإهانتهم بسبب انتسابهم إلى المسيح وتسميتهم بالمسيحيين، وافترائهم الشَّرَّ عليهم من أجل انتمائهم إلى مخلِّصنا وندائهم فى كلِّ مكانٍ بالدَّعوة إلى الإيمان به، واستماتتهم فى التبشير به إلى حَدِّ الموت من أجلِهِ. بَيْدَ أنَّ هذا كلَّه لا ينبغى أن يُحزنهم أو يحزَّ فى نفوسهم، وإنما فليفرحوا وليتهلَّلوا فى ذلك اليوم الذى يكابدونه فيه، لأنَّ أجرهم سيكون عظيمًا فى السَّماء، حيث تنتظرهم محبة الله واحتضانه لهم وتكريمه إياهم وإسباغه المجد الأبدىَّ عليهم. ولأنَّ هذه الشُّرور والأحقاد التى سيبديها اليهود وغيرهم نحوهم، والإساءات والاضطهادات التى سيلحقونها بهم، ليست أمرًا جديدًا على اليهود، وإنما ورثوها عن آبائهم الذين ظلوا طوال تاريخهم يبدون الشَّرَّ والحقد نحو أنبيائهم الأبرار الأطهار، ويلحقون بهم أبشع ألوان الإساءة والاضطهاد، وقد قتلوا الغالبية العظمى منهم.

٦ : ٢٤ - ٢٦

ثُمَّ نادَى مخلِّصُنا قائلاً «ولكن الويل لكم أيها الأغنياءُ فإنكم قد أَخَذْتُم

عَزاءَكم. الويلُ لكم أيها الشَّبَاعَى الآن، فإنكم ستجوعون. الويلُ لكم أيها الضَّاحِكونَ الآنَ فإنكم سَتَحْزَنونَ وتَبْكونَ. الويلُ لكم إذا امتدحَكم جميعُ النَّاسِ ، فإنه هكذا فَعَل آباؤُهم بالأنبياءِ الكَذَبِةِ». فلا ينبغى للتلاميذ أن تخدعهم سعادة الأغنياء، لأنَّ أولئك قد اتَّكلوا على أموالهم، وتوهَّموا أنَّ فيها سعادتهم، ولم يتَّكلوا على الله، جاهلين أو متجاهلين ما فى الاتكال على الله من سعادة حقيقية خالدة. بيد أنَّ المال مهما سعدوا به فسيفنى، ومن ثَمَّ ستفنى معه سعادتهم الزائفة به، ولا يبقى لهم إلا غضب الله عليهم، لأنهم إذ تجاهلوه فسيتجاهلهم، وفى تجاهله الويل كل الويل لهم، ولا ينبغى للتلاميذ أن يخدعهم شَبَع الذين جعلوا كلَّ همهم فى بطونهم، وفى الاستمتاع بكل ما تتلَّذذ به أجسادهم من مأكل أو مشرب مادىّ، تاركين أرواحهم تعانى الجوع من جرّاء ابتعادهم عن الغذاء الإلهى، الذى هو تقوى الله ومراعاة وصاياه وتوثيق الصلةابه، ومن ثَمَّ فإنهم بعد فناء أجسادهم ستظلّ أرواحهم فريسة ذلك الجوع الذى يؤدّى إلى شقائهم وعذابهم الأبدىّ.

ولا ينبغى للتلاميذ أن يخدعهم ضحك الضاحكين الذين يجدون متعتهم ومسرّتهم فى مباهج هذا العالم ومفاتنه الجسدية، لاهين عمّا تؤدِّى إليه حياة القداسة والطهارة الرُّوحية من متعة فى السماء لا تفوقها متعة، ومن مسرَّة لا تضاهيها مسرَّة. ومن ثم فإنهم على قدر مايبتهجون ويضحكون فى الأرض، سيحزنون ويبكون فى الآخرة.

ولا ينبغى للتلاميذ أن يخدعهم نفاق أولئك الذين يبذلون جهدهم فى إرضاء جميع الناس، متملقين إياهم غير مندّدين بشرورهم، ليمتدحهم جميع الناس ويبجِّلوهم، غير مهتمين بما هو أهم من ذلك وهو إرضاء الله بسلوكهم سبُله، ومصارحتهم الأشرار من النَّاس بما فيهم من شرٍّ، وتوجيههم إلى ما ينبغى أن يتصفوا به من خير. ومنْ ثَمَّ سيغضب الله على أولئك المنافقين المتملقين، وإنْ رَضِيَ جميعُ الناس عنهم. وفى غضب الله تعاستهم وهلاكهم. وقد كان هذا شأن الأنبياء الكذَبة الذين سبق لهم أن امتدحوا آباء اليهود ولم يوبخوهم على شرورهم، فامتدحهم آباء اليهود وبجَّلوهم، فى حين أنهم نكَّلوا بالأنبياء الصالحين الصادقين وقتلوهم.

٦ : ٢٧ - ٣٦

ثم أسدى السيِّد المسيح إلى تلاميذه بعض نصائحه التى تتضمن أسس العهد الجديد الذى جاء به، قائلاً لهم «ولكنّنى أقول لكم أيُّها السامعون : أَحِبّوا أعداءَكم، أحسنِوا إلى مُبغضيكم. بارِكوا لاعنيكم، وصَلُّوا لأجلِ الذّين يُسيئون إليكم. مَن لَطَمَك على أحد خدَّيك، فاترك له الآخرَ أيضًا. وَمَن أخذ رداءَك فلا تمنعه ثَوْبَكَ أيضًا. كُلُّ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِه، ومَن أَخَذَ مَالَكَ فلا تُطالِبْهُ بهِ. وكما تُريدونَ أن يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُم افعَلوا أنتم أيضًا بهم. فإنكم إنْ أحببتُم الذَين يُحِبّونكم، فأىُّ فَضْلٍ لكم، فإنَّ الخُطاةَ أيضًا يُحِبُّونَ من يُحِبُّونَهم؟. وإنْ أَحْسَنَتم إلى الذين يُحسنون إليكم فأىُّ فَضْلٍ لَكُم، فإنَّ الخطاةَ أيضًا يفعلونَ ذلك. وإنْ أَقرضْتُم الذّين ترجون أن تَسْتَردُّوا منهم، فأىُّ فَضلٍ لَكم، فإنَّ الخطاةَ أيضًا يُقرِضونَ الخُـطاةَ لِيَسْتَرِدُّوا منهم المِثْـلَ. ولكن أَحِبُّوا أَعـداءَكُم وأحسنِوا إليهم، وأَعطُوا ولا تُخَيِّبوا رجاءَ أَحَدٍ، غَيرَ طامِعِينَ فى استردادِ شىءٍ، فسيكون أجرُكُم عَظيمًا وتكونون أبناءَ العَلِيِّ، فإنَّه صالِحٌ مع الجاحدِينَ والأشرارِ. فكونوا أنتم رُحَماءَ كما أنَّ أباكم أيضًا رحيمٌ».

وقد كانت هذه التعاليم جديدة على أسماع التلاميذ وغيرهم ممّن كانوا يستمعون إلى السيد المسيح مخلِّصنا عندئذ. كما كانت غريبة لم يألفوها، عالية على مداركهم، يحتاجون إلى شوط طويل من التعمُّق فى الروح المسيحية ليفهموها ويفطنوا إلى ما فيها من حكمة سامية، ومن سموٍّ حكيم. فقد اعتاد التلاميذ واعتاد سائر الناس فى جميع الأجيال من قبلهم أن يُحبُّوا من يحبُّونهم ويبغضوا مَن يبغضونهم، متوهِّمين أنّ هذا هو الأمر الطبيعى والمنطقى، وأن هذا هو العقل والعدل. ولكنَّ معلِّمنا الإلهىّ بدَّد هذا الوهم وهَدَمَ هذا المنطق، إذ طلَبَ إلى تلاميذه والمؤمنين به أن يحبُّوا أعداءهم، لأنَّ الحبَّ هو الأساس الذى تقوم عليه شريعة الكون كلها، فهو القاعدة التى تكفل التماسك والتوازن للكون، والتى بغيرها يتفكك وينهار، وهو الرّابطة التى تؤلِّف بين الكائنات وبغيرها تنتثر وتندثر.

ولأنَّ الحُبَّ لا يثمر إلاَّ حُبًّا، والبغضاء لا تثمر إلا بغضاء. فإذا أحبَّ الناس أعداءهم أطفأوا نار البغضاء فى قلوبهم ودفعوهم دفعًا إلى أن يبادلوهم حبًّا بحب. وأما إذا أبغضوهم أجَّجُوا تلك النار فى قلوبهم فازدادت اشتعالاً، وامتدَّت البغضاء من قلب إلى قلب، كما تمتدُّ النار فى الهشيم حتىَّ تعمَّ المجتمع كله، فتفتك به وتهلكه. وعلى هذا الأساس إذا استشعر الإنسان البغضاء من أخٍ له فلاينبغى أن يسىء إليه فيزيد من بغضائه له، وإنما ينبغى أن يحسن إليه فيقضى على تلك البغضاء فى قلبه. وإذا لعنهلا يبادله لعنة بلعنة، فيضاعف من عداوته له، وإنما فليباركه، فيُخْجِله بذلك ويجعله يراجع نفسه ويتراجع عمَّا يطوى عليه جوانحه من حقد عليه. وإذا أساء إليه فلا يقابل إساءته بإساءة مثلها. وإلا فلن تنتهى الشحناء بينهما، ولن ينقطع العداء ولا العدوان الذى لا يفتآن يتبادلانه ولا يفتآن يزيدان من شدّته وحدّته حتى يُهلك أحدهما الآخر، أو قد ينتهى الأمر بهلاكهما كليهما. وإنما فليعمل على مصالحته، حتى إذا فشل فى ذلك فليلجأ إلى الله بالصلاة ضارعًا إليه أن يُصلح من أمر ذلك المسىء إليه ويقتلع جذور البغضاء من قلبه، فلا يعود يسىء إليه أو إلى أحد غيره. وحتى إذا تمادى فى الاعتداء عليه ولطمه على أحد خدَّيه، فلا يندفع إلى الانتقام لنفسه، لأنّ الانتقام لا يؤدى إلاَّ إلى الردِّ عليه بمثله، فلا يقف تبادل الانتقام عند حَدٍّ، ولا تكون نتيجةَ ذلك كله إلاَّ استمرار الحرب والضرب بين الطرفين، وإلى دمارهما معًا. وإنما فليقابل الإنسان اعتداء ذلك الذى لطمه على أحد خدَّيه بالسماحة والتسامح ولو أدَّى هذا بذلك المعتدى إلى مزيد من الاجتراء والاعتداء فضربه على خدِّه الآخر. لأنه بمسالمته لايدلّل بذلك على ضعفه إزاءه، وإنما على العكس يدلِّل على قُوَّته الكامنة فى قدرته على ضبط النفس، كما يدلّل على أنه - على الرغم من أن فى استطاعته مجاراة المعتدى عليه فى عدوانه - غير حاقد عليه، وغير راغب فى ضربه، فيكسر بذلك من حدَّة غضبه، ويخفِّف من شدَّة عداوته له التى أدَّت إلى عدوانه عليه. ومِنْ ثَمَّ يتوقَّف عن عداوته ويكفّ عن عدوانه. وتكون النتيجة خيرًا للضارب والمضروب، ومِنْ ثَمَّ تعمُّ المحبَّة بين الناس ويعمُّ السلام. فلا يعود ثمَّة بينهم ضارب ولا مضروب. وبذلك يسود بين

النَّاس التسامح، كما تسود الرحمة : فإذا أخذ أحد من آخَر رداءه عن رغبة فى اغتصابه، أو عن حاجة إليه، فلا يحاول استرداده منه إن كان مغتصبًا، وإنما فليبرهن له على أنه - بدافعٍ من الحبِّ - مستعدٌّ أن يتركه له، بل مستعدّ أن يترك له ثوبه الذى يرتديه تحت الرِّداء أيضًا، تسامحًا منه وزهدًا فى مقاومة عدوانه. كما لا يحاول استرداده منه إن كان محتاجًا، وإنما فليبرهن له على أنه - بدافعٍ من الرَّحمة - مستعدّ أن يتنازل له عنه، بل مستعِدٌّ أن يتنازل له عن ثوبه أيضًا. وبدافعٍ من الرحمة كذلك إذا سأله أىّ محتاج فليعطه ما يحتاج إليه. وإذا أخذ ماله، فلا يطالبه به، فقد يكون عاجزًا عن رده إليه. لأنه قد تنعكس الآية فيصبح هو المحتاج، فإذا كان هذا هو مسلكه مع الناس، عامله الناس بمثل ما سبق له أن عاملهم به، فأعطوه ما يحتاج إليه، ولم يطالبوه بالمال الذى أخذه منهم. فتلك هى القاعدة الأساسية فى معاملة الإنسان لغيره من الناس، وهى أنَّ ما يريد الإنسانُ أن يفعلَ الناس به، فليفعَلْ هو أيضًا بهم. وذلك أنَّ مخلِّصَنا القدّوس الكامل لم يرتض للمؤمنين به أقلَّ من مرتبة الكمال. ولما كان الكمال يستوجب الحبّ الذى لا تشوبه كراهية أبدًا من إنسان نحو إنسان، ولو عاداه أو اعتدى عليه، أراد مُخلِّصُنا أن يحبَّ المؤمنون به كلَّ الناس على السواء. لأنهم إنْ أحبُّوا الذين يحبُّونهم فقط فأى فضلٍ لَهُم على الخُطَاة الذين يحبُّون هم أيضًا مَنْ يحبُّونهم؟ وإنْ أحسنوا إلى الذين يحسنون إليهم فقط، فأىُّ فضلٍ لَهُم على الخُطَاة الذين يُحسنونَ هم أيضًا إلى الذين يُحسنون إليهم؟ وإن أقرضوا الذين يرجون أن يستردّوا منهم القرض فأىّ فضلٍ لهم على الخطاة الذين يقرضون هم أيضًا أمثالهم من الأشرار ليستردّوا منهم المِثْلَ؟ لا فضلَ لهم على الخُطَاةِ وليس ثمَّة ما يميِّزهم عنهم إن هُم فعلوا شيئًا من ذلك. فليكونوا هم أفضل من الخُطاة فى تصرُّفاتهم، وليكونوا مميَّزين عنهم فى معاملاتهم وفى كلِّ شئون حياتهم. ومِنْ ثَمَّ فليحبُّوا أعداءهم، وليحسِنوا إليهم، وليعطوا ولا يخيّبوا رجاء أَحَدٍ، غير طامعين فى استرداد شيء لأنَّهم بذلك يقتنون لأنفسهم رصيدًا من الفضائل والأفضال يسبغ عليهم النعمة والبركة فى حياتهم الحاضرة على الأرض، ويؤهِّلهم لأن ينالوا الأجر العظيم فى حياتهم المقبلة فى

السَّماء، حيث ينعمون بما ينعم به هناك الأبرار والقديسون، ويجعلهم خليقين بأن يكونوا أبناء الله العليِّ، إذ يتمثَّلون به فيما يفعلون، لأنه صالح لا مع البررة والصالحين فحسب، وإنما مع الجاحدين والأشرار أيضًا، ويتمثَّلون بأبيهم السماويِّ كذلك. فيكونون رُحَماءَ مع الجميع على السواء، لأنه رحيم مع الجميع على السواء. إنَّ شريعة الكمال التى نادَى بها مخلِّصنا ومعلِّمنا تسمو على كلِّ الشرائع فى القديم التى تبيح للناس أن يكرهوا الذين يكرهونهم، وأن يمتنعوا عن الإحسان إلى الذين لا يحسنون إليهم، وعن إقراض الذين لا يرجون أن يستردُّوا منهم، لأن فى ذلك مَنْقَصَة لهم، وشرًّا يشوب نفوسهم التى ينبغى أن تَتَنَزَّه عن كلِّ نقيصة، وأن تتبرَّأ من كلِّ شرٍّ، لتكون كاملة كما أنَّ مخلِّصهم ومعلِّمهم نفسه كامل.

٦ : ٣٧ - ٤٥

ثُمَّ قالَ فادينا لتلاميذه ولسائر الذين كانوا يستمعون إليه : «لاتَدينوا فلاتُدَانوا. ولا تحكموا ضِدّ أحدٍ فلا يُحكم ضدّكم. اغفروا يُغْفَرْ لكُم. أَعطوا تُعطَوْا، كَيْلًا جَيِّدًا مضغوطًا مهزوزًا فائِضًا سيعطونكم فى أحضانكم. لأنَّه بالكيلِ الذى به تَكليون يُكالُ لكم». وَضَرَبَ لَهُم كذلك مَثَلًا قائلًا : «أيستطيع أَعْمَى أن يقودَ أَعمى؟ أَمَا يسقطان كلاهما فى حُفرةٍ؟ ليس تلميذٌ أرفعَ من مُعَلِّمِهِ، ولكنَّ كُلَّ من صارَ كامِلًا يُصبحُ كَمُعَلِّمِهِ. ولماذا تنظرُ إلى القَذَى الذى فى عين أخيك، وأما الخَشَبَةُ التى فى عينكِ أنتَ فلا تَفْطَنْ لها؟. وكيف تَقدِرُ أن تقولَ لِأخيكَ دَعْنِي يا أخى أُخرِجُ القَذَى الذى فى عَينِكَ، فى حين أنّك أَنت نَفْسَكَ لا ترى الخشَبةَ التى فى عينكِ أنتَ؟ يامُرائى. أَخْرِجْ أوَّلًا الخشَبةَ من عَينِكَ أنتَ، وعندئذٍ تُبصِرُ جَيِّدًا لِتُخرج القَذَى من عينِ أخيكَ. لأنه مامِن شَجَرَةٍ طَيِّبةٍ تُعطِى ثمرًا رديئًا وما من شَجَرَةٍ رديئةٍ تُعطِى ثمرًا طيِّبًا. فَكُلُّ شَجَرَةٍ تُعرَف من ثمَرِها. لأنهم لا يَجْنُونَ من الشَّوْكِ تينًا، ولا يَقْطِفونَ من العُلَّيقِ عِنَبًا. فالإنسانُ الصَّالِحُ من الكنزِ الصَّالِحِ فى قَلبِهِ يُخرِجُ الصَّالِحاتِ. والإنسانُ الشرِّيرُ من الكنزِ الشِّرِّيرِ فى قَلبِهِ

يُخرِجُ الشُّرورَ، لِأنه مِن فَيْض القلبِ يتكلَّمُ الفمُ».

وبهذه العبارات السَّامية السَّمَاويَّة علَّم فادينا تلاميذه وكلَّ المؤمنين به أن يَتَجنَّبُوا إدانة أَحَد أو يحكموا على أَحَدٍ، لأَنَّ مَنْ يدين الناس ويحكم عليهم، يعامِلونه هُم بالمِثْلِ فيدينونه ويحكمون عليه، ولأنَّ الديَّان هو الله وحده الذى يعرف سرائر النفوس ويكشف أسرارها. فلا يمكن لإنسان أن يغوص فى سريرة إنسانٍ آخر ويعرف ما بها من فضيلة أو رذيلة، ولا يُمكن لإنسان أن يستشفَّ سِرَّ إنسانٍ آخر ويكشف ما ينطوى عليه من خير أو شَرٍّ. فكلُّ ما يُمْكن وما ينبغى للإنسان إذَن نحو غيره من الناس، أن يغفِرَ لهم إن خَطِئوا، أو ظنَّ أنهم خَطِئوا. لأنه عندئذ ينال هو المغفرة من الله والناس عن خطاياه. كما ينبغى أن يملأ قلبه بحبِّ الناس، فيُعطى المحتاجين منهم، لأنه عندئذ يعطيه الله ويعطيه الناس قَدْرَ ما يُعطى، بل أكثرَ مما يُعطى، فإنَّ هذا منطق العدل الطبيعىّ. وهذا هو بالتّالى منطق العدل الإلهىّ، أَنَّهُ بالكَيْل الذى يكيلُ به الإنسانُ للناس يُكالُ له من الله ومن النَاس.

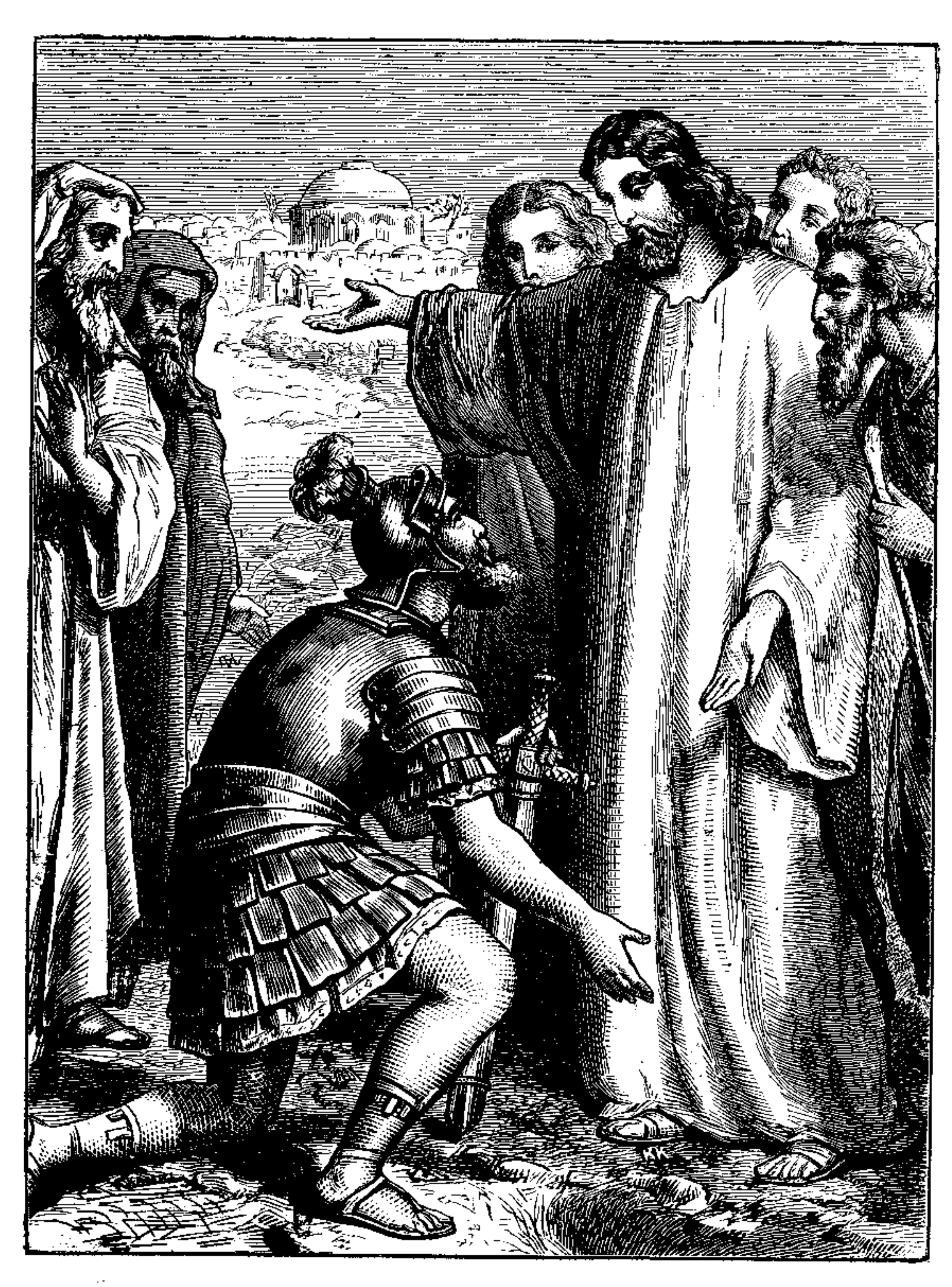
فلا ينبغى إذَن إدانة الآخرين أو الحكم عليهم. لأنه كما أنَّ الأَعْمَى لا يستطيع أن يقود أعمى، وإلا سقَطَا كلاَهما فى أوَّل حفرة تصادفهما: هكذا الشرّير لا يمكن أن يدين شرّيرًا مثله، أو يحكم عليه، أو يوبِّخه، أو ينتهره، أو يندد به. كما لا يمكن أنْ يوصيه أو ينصحه أو يقف منه موقف المُعَلِّم أو المفتى أو المُؤَدِّب أو المُرَبىِّ، وإلاَّ أَضَلَّهُ بضلاله، وقاده إلى السقوط فى هُوَّة الهلاك التى يتَّجه هو نفسه إليها برذائله وشروره ودميم خِصاله وذميم فِعَالِه. فَلِكَىْ يكون المَعَلِّمُ صالحًا للتعليم والتقويم، وإدانة الأشرار على شرورهم، والحكم على خطاياهم وآثامهم، ينبغى أن يكون هو نفسه كاملاً. ولما كان الكامل هو معلِّمنا الإلهىّ وحده، فقد حَضَّ تلاميذه على أن يتعلَّموا منه حتى يكونوا كاملين مثله، ليواصلوا رسالته التعليمية بعده. وليس من الكمال فى شىء أن يرى الإنسان نقائص الآخرين الصغيرة ويلومهم عليها، فى حين أنَّ نقائصه هو أكبر وأخطر ولا يلوم نفسه عليها، بل إنه – لغبائه أو كبريائه أو تغلغل الشرّ فى نفسه – يجهلها أو يتجاهلها، كمن ينظر إلى القذى الذى لا يتجاوز فى حجمه ذرّة التراب فى عين أخيه. وأما الخشبة

الكبيرة الضخمة التى فى عينه هو فلا يفطن لها. كما أنه لا يستطيع ولا ينبغى له أن يدَّعى لنفسه - وهذه حاله - صفةالمصلح لغيره والناصح له والعامل على إنقاذه من نقيصته، كأنما يقول له دعنى أخرج القذى الذى فى عينك، فى حين أنه هو نفسه لايرى الخشبة التى فى عينه هو ولا يفطن لها. وإنما ينبغى لذلك المرائى أن يُخرج الخشبة التى فى عينه هو، أى يتخلَّص من كلّ نقائصه هو، ومن كلِّ ألوان الشرِّ التى تُعمى بصره وبصيرته معًا، حتى يغدو من نقاء الضمير وصفاء الشعور والتفكير بحيث يستطيع أن يتبين حقيقة ما فى غيره من نقائص وشرور، وعندئذ يحقُّ له أن يتصدَّى لإصلاح غيره وإسداء النصح إليه والعمل على إنقاذه من نقيصته، لأنَّ الذى يريد إصلاح الناس عليه أن يُصلح نفسه أوَّلاً، والذى يتصدَّى لنصحهم عليه أن ينصح نفسه أوَّلاً. والذى يعمل على إنقاذهم من نقائصهم عليه أن يبدأ بنفسه أوَّلاً، فلينقذ نفسه أوَّلاً ليتمكَّن بعد ذلك من إنقاذ الآخرين. لأن الصَّالح لا يمكن أن يصدر عنه شرٌّ فى سيرته هو وفى مسلكه مع الناس، وأمّا الشرّير فلا يمكن أن يصدُر عنه صلاح فى سيرته هو وفى مسلكه مع الناس. فإنه ما من شجرة طيبة تُعطِى ثمَرًا رديئًا، وما من شَجَرة رديئة تُعطِى ثمَرًا طيِّبًا. فلا يمكن للشوك أن يُثمِر عنبًا، ولا يمكن للعلَّيق أن يثمر تينًا. وعلى هذا القياس يمكن الحكم على الناس مِمَّن يتصدَّون للتعليم: فإن كانت أعمالهم التى هى ثمارهم صالحة كانوا صالحين وجديرين بأن يكونوا معلّمِين للآخرين. وإن كانت أعمالهم التى هى ثمارهم شرّيرة كانوا أشرارًا وغير جديرين بذلك العمل التعليمىِّ الجليل النبيل. وإنما كانوا فى حقيقتهم مرائين مضلّلين، لا ينبغى الاستماع إليهم أو الانصياع لتعاليمهم. والفارق بين الصالح والشرّير من الناس يكَمُنُ فى قلبه. لأنَّ القلب هو المستودع الذى تتجمّع فيه صفاته، والكنز الذى يستخرج منه الصلاح إنْ كان صالحًا، أو يستخرج منه الشرَّ إن كان شرِّيرًا. فالإنسان الصالح من الكنز الصالح فى قلبه يُخْرج الصالحات ويتكلَّم بها، والإنسان الشرير مِنَ الكنز الشِّرير فى قلبه يُخرج الشرور ويتكلَّم بها، لأنه من فيض القلب يتكلم الفم. وعلى هذا الأساس فليميِّز الناس بين المعلِّم الصالح والمتكلِّم بالصالحات فيتبعوه، وبين

المعلِّم الشرّير الذى يتكلَّم بالشرِّ فيتجنبوه ويبتعدوا عنه. على أن كلام فادينا هنا ينسحب على المعاملات ولا ينسحب على المحاكمات. فللقاضى أن يدين المجرم، وللمعلِّم أن يدين تلميذه إذا أخطأ، وللوالد أن يدين ابنه ويعاقبه إذا أساء، وللحاكم أن يدين الشرير من رعيَّته، وإلاَّ استشرى الشرُّ فى الناس، واستحالت الحياة على الوادعين والضعفاء، وتفاقم الظُّلم بين الناس، وذلك أنَّ القاضى والمعلِّم والوالد والحاكم بحكم صفاتهم ومناصبهم مسئولون عن إدانة المخطئ وهم لا يدينون بدافع من الحقد أو التعالى، بل ليضعوا حدًّا لتجبُّر العتاة، ومنعًا من تَفَاقُم الشرِّ.

٦ : ٤٦ - ٤٩

وبعد أن أعلن مخلِّصنا لتلاميذه وسامعيه تعاليمه وأسدَى إليهم وصاياه طلب منهم ألا يكتفوا بمجرد سماع هذه التعاليم والوصايا منه، أو يكتفوا بمجرَّد التظاهُر أو التفاخُر بطاعته والخضوع له والخشوع فى مخاطبته والتعهُّد بالعَمَل بتعاليمه ووصاياه، ثُمَّ إذا دهمتهم الضيقات والبلايا بعد ذلك خافوا وارتجفوا وضعفوا، وفزعوا وتضعضعوا وتزعزعوا وانهاروا فسقطوا أشنع سقوط، وإنما ينبغى أن يطيعوه فِعْلاً، وأن يعملوا فعلاً بتعاليمه ووصاياه، وأن يغرسوها غرسًا فى نفوسهم حتى تتغلغل إلى أعمق أعماقهم، ويجعلوها أساسًا راسخًا صلبًا يقيمون عليه كل أفكارهم وكل أفعالهم وكلَّ اهتماماتهم وكل شئون حياتهم، بحيث إذا هبَّت عليهم أعاصير المتاعب والمصاعب والمحن والآلام، واجهوها فى قوة، وصدّوها فى ثبات، وصمدوا لها صمود الطود الشامخ أمام الزوابع والأعاصير التى لا تفتأ تزمجر من حوله تدهمه وتهاجمه، ولكنها تعجز عن أن تهدمه أو تهزمه أو تهزّ أى ركن فيه، ومِنْ ثَمَّ يظلون أقوياء ثابتين فى صلابة الصخر الصَّلد واستقرار الجبل الراسخ. إذ قال مخلِّصنا لتلاميذه «لِماذا تَدعونَنِي يارَبُّ يارَبُّ ولا تَعْمَلون بِما أَقولُ لكم؟ إنَّ كُلَّ مَنْ يَأتِى إِلَىَّ ويَسْمَعُ كَلامِى ويعملُ بِهِ أُريكُم مَنْ يُشبِهُ: إنَّه يُشبِهُ رَجُلاً بنَى بَيْتًا فَحفرَ وعَمَّقَ الحَفْرَ ووضعَ الأساسَ على الصَّخْرِ، حتى إذا انهمرَ السَّيلُ، لَطَمَ النَّهرُ



« قائد المائة يلتمس من السيد المسيح ان يشفي غلامه » (لوقا ٧ : ١ — ١٠)

ذَلك البيت بعُنفِ فلمْ يَسْتَطعْ أن يُزَعْزِعَهُ لأنه كانَ مُؤَسَسًا على الصَّخْر. وأمَّا الَّذى يِسْمَعُ كَلامِى ولايَعْمَلُ بِهِ فَيُشْبِهُ رَجُلاً بَنَى بَيْتًا على الرَّملِ بغيرِ أساسٍ، فلطمَهُ النَّهرُ بِعُنفٍ فَسَقَطَ على الفَوْرِ، وكانَ خَرابُ ذَلِكَ البَيْتِ عَظِيمًا».

الفصل السابع

٧ : ١ - ١٠

وبعد أن أتم فادينا هذه الأقوال كلها فى مسامع تلاميذه وسائر الذين كانوا حاضرين من الشَّعبِ، دخل مدينة كفرناحوم، وكان ثَمَّةَ لقائد مائة رومانىٍّ عبد مريض قد أشرف على الموت، وكان عزيزًا عليه فلما سمع بحضور فادينا إلى المدينة، وكانت قد بلغته أخبار معجزاته السماوية وقُدرَتِهِ الإلهيةَ، أوفد إليه شيوخ اليهود يسألونه أن يأتى ويشفى عبده، لأنه خَشىَ بسبب أنه رومانى أن يجىء بنفسه فيرفض الرب يسوع مقابلته أو الاستجابة لطلبه، لأن اليهود كانوا لا يدخلون بيوت الرومانيين وغير اليهود ولا يخالطونهم ومِنْ ثَمَّ تشفَّع لَدَيه ببعض الكبراء من شيوخ اليهود فى المدينة فجاءوا إليه، وإذ ظنوا كما ظن قائد المائة أن مخلِّصنا سيرفض المجىء لشفاء عبد ذلك القائد بسبب ديانته، أخذوا يتوسلون إليه بإلحاح أن يَقْبَلَ رجاءه، وهم يسوقون إليه المبررات التى يستحق من أجلها ذلك الرومانى عطف مخلِّصنا وتجاوزه عما توهَّموه من كراهيته لغير اليهود كما كان سائر اليهود يكرهونهم قائلين له «إنه يستحق منك هذا الصنيع، لأنه يُحِبُّ أُمَّتنا وهو الذى بَنَى لنا المَجْمَعَ». أى أنه على الرَّغم من عدم يهوديته يحبُّ أمَّة اليهود، بل إنه هو الذى بَنَى مَجْمَعَهُم الذى هو مَعْبدُهم. وليس أَدلّ من ذلك على مَيْلِهِ إلى اليهود، واستحقاقه أن ينالَ من مخلِّصِنَا النعمة التى يغدقها على كلِّ يهودىّ. بَيْدَ أنَّ مخلِّصَنا لم يكن فى حاجة إلى كلِّ هذه الحُجَج والمُبرِّرات، لأنه جاءَ لخَلَاصِ البشَرَ جميعًا وليس لِخَلَاصِ اليهود وحدهم كما كانوا يتوهَّمون. ومِنْ ثَمَّ مَضَى مع أولئك

الشيوخ. حتىَّ إذا أصبح غير بعيد عن بَيْت قائد المائة أَرْسَلَ إليه هذا بعضَ أصدِقائه قائلاً له «ياربُّ لا تُتعبْ نفسَكَ، فإنَّنى لسْتُ مُسْتَحِقًا أَنْ تَدْخُلَ تَحتَ سَقْفِ بَيْتِى، ومِنْ ثَمَّ لستُ أَجِدُنى مُسْتَحِقًا أن أجِيَء إليكَ. لكن قُلْ كَلِمةً فَيُشْفَى غُلامى، لأننى أنا أيضًا خاضِعٌ لسلطانٍ، ولى جُنْدٌ تَحْتَ أمرِى، فأنا أقولُ لهذا اذهبْ فيذهبُ، ولذاكَ ائتِ فيأتى، وَلِعَبْدِى افعَلْ هذا فيفعَلُ». وقد برهن ذلك القائد بذلك على أمرين يَدُلّان دلالة واضحة على أنه كان رجُلاً فاضلاً نبيلاً، لأنه على الرغم ممَّا كان عليه القوَّاد الرُّومان ولا سيَّما فى البلاد التى يستعمرونها ويستعبدونها من صَلَفٍ وكبرياء واستعلاء، برهن على تواضعه الجَمِّ، ولا سيَّما مع إنسانٍ - مهما اشتهر عنه من سموِّه وقدرته - كان يهوديًا، حتى لقد استشعر ذلك القائد فى نفسه أنه غيرُ مستحِقٍّ أن يدخُل ذلك الإنسان تحت سقف بيته، كما أنه غيرُ مستحقٍّ أن ينالَ شَرَفَ المثول بين يَدَيْهِ. فضلاً عن أنه - على الرغم من أنَّه كان رومانيا-برهن على إجلالِهِ العظيم لمعلِّمنا وإيمانـه العميق بشخصه الإلهى، وسلطانه السماوىّ، حتى لقد كانَ موقنًا أنَّ مجرَّد كلمة تصدرُ عنه كفيلة بشفاء العبد المريض، وإن كان ذلك العبد غير حاضرٍ بين يديه، بل يرقد بعيدًا فى البيْت. فكما أنه وهو القائد يملك السلطان على جنوده بحيث إذا أصدر أىَّ أمرٍ إليهم أطاعوه على الفَوْرِ، هكذا أيقن أنَّ مخلِّصنا يملك السلطان على نفوس البشرَ وعلى كلِّ شئون حياتهم، بحيث إذا أَمَرَ يُطَاعُ أمرُه على الفور أيضًا. ولذلك فإنَّ مخلِّصنا لمَّا سمع ذلك تعجَّب منه والتفتَ إلى الجمْعِ الذى كان يتبعه وقال: «أَقولُ لَكُم إِنّى لم أَجِدْ لَدَى أَحَدٍ فى كلِّ إسرائيلَ إيمانًا بهذا القَدْرِ». ولعلَّ هذا كان إيذانا بإيمان غير اليهود بمخلِّصنا، فى حين أنَّ اليهود بنى اسرائيل الذين جاء فى البداءة إليهم، والذين كان المفروض أن يكونوا هم أوَّلَ المؤمنين به، لم يرفضوه ويتنكروا له فحسب، وإنَّما نَكَّلُوا بِهِ أيضًا وقتلوه. ونعلَم من الإنجيل للقدِّيس متَّى أنَّ ذلك القائد بعد أن أرسل شيوخ اليهود ليتشفَّعوا له لَدَى فادينا، ثُمَّ أرسَلَ أصدقاءه للقائه، جاء هو نفسه ليقدِّم إليه فروض الإجلال ويلتمس منه بنفسه شفاء عبده. وقد كان لذلك القائد المتواضع المؤمن ما أراد، لأنه حين رجع إلى البيت مع الذين

أوفدهم، وجدوا أن العبد المريض قد شُفىَ من مَرَضِهِ، بقدرة معلِّمنا وحدها، وبمجرّد مشيئته.

٧ : ١١ - ١٧

وفى اليوم التالى ذَهَبَ معلِّمنا الإلهى إلى مدينة تُدعَى نايين إحدى مدن الجليل، وكانت تقَع على بُعد خمسة أميال جنوب شرقى الناصرة، وهى التى تسمى اليوم «نين». وكان يصحبه تلاميذه وجمع عظيم من اليهود الذين بهرتهم معجزاته. فلما اقترب من باب المدينة، إذا ميت محمول على نعش، كان هو الابن الوحيد لأُمِّه التى كانت أرملة، وكان معها جمع كبير من تلك المدينة. وكانت تبكى ملتاعة متفجِّعَةً على وحيدها الذى فقدته فى ريعان شبابه. فإذ رآها ربنا ومخلِّص نفوسنا، تحنَّن عليها قلبُهُ الرقيق الرحيم وقال لها «لا تبكى»، ثم تقدَّم ولَمَسَ النعش، فوقف الذين كانوا يحملونه. فقال «أيها الشابُّ لك أقول قُمْ» فجلس الميِّت وقد عادت إليه الرُّوح على الفور وبدأ يتكلَّم، فَسَلَّمه لأُمِّه لتفرح وتجفِّف دموعها. ومِن ثَمَّ استولى الخوف على كلِّ الحاضرين ممَّن كانوا مع مُخَلِّصِنَا من أتباعه، وممَّن كانوا يشيِّعون الجنازة من أهل نايين. وقد بهرتهم تلك المعجزة العظيمة التى لا يَسَع مَنْ يراها إلَّا أن يرتجف مِمَّا تنطوى عليه من سلطان لا يملكه إلَّا الله وحده، وأخَذوا يُمَجِّدون الله قائلين: «قد قامَ فينا نبىٌّ عظيمٌ، وقد تَفَقَّد اللّهُ شَعْبَهُ»، إذ كان ظهور الأنبياء الذين يصنعون المعجزات قد انقطع منذ مئات السنين، حتى ظنَّ اليهود - الذين كانوا يعتقدون أنهم شعب الله - أنَّ الله قد غضب عليهم وحجب وجهه عنهم، ففرحوا وتهلَّلوا بظهور ذلك الذى قالوا عنه إِنَّهُ نبىٌّ، غير مدركين أنه ليس نبيًّا فحسب، وإنما هو ربُّ الأنبياء. ومنْ ثَمَّ ذاع عنه هذا الأمر، لا فى منطقة الجليل فحسب التى تقع فيها مدينة نايين وإنما كذلك فى كلِّ منطقة اليهوديَّة التى تقع فيها أورشليم، والتى تبعُد عن الجليل مسافات شاسعة. كما ذاع هذا الأمر فى كلِّ النواحى المحيطة بها.

٧ : ١٨ - ٣٥

وقد بلغت أنباءُ كلِّ هذه المعجزات التى كان يصنعها مخلِّصنا أسماع يوحنا المعمدان وهو فى السجن، حيث ألقى به هيرودس ملك الجليل، فأخبر يوحنَّا بها تلاميذه، تأكيدًا للشهادة التى سبق له أن شَهِد بها أمامهم عن فادينا قائلاً لهم «أنا قد أبصرتُ وشَهِدْتُ بأنَّ هذا هو ابنُ اللّهِ» (يوحنَّا ١ : ٣٤). ويبدو أن بعض تلاميذه كانوا متردّدين فى الإيمان بأن هذا هو المسيح الذى تنبَّأ الأنبياء بأنه سيأتى ليخلِّص بنى إسرائيل، بسبب ما رأوه من وداعته وتواضعه وبساطة مظهره، فى حين أنهم كانوا يعتقدون أن المسيح سيأتى فى صورة مَلِكٍ جَبَّار وقائد مغوار، يحيط به كلُّ ما يحيط بالملوك والقوَّاد الفاتحين من فخامةٍ وسلطانٍ وهَيْلَمان. ومِنْ ثَمَّ دعا يوحنَّا اثنين من أولئك التلاميذ وأوفدهما إلى فادينا ليتحقَّقا بنفسيهما مما سبَقَ أن شهِدَ به عنه، ليتوطَّد إيمانهما به، طالبًا إليهما أن يقولا له «أأنتَ هو الآتى أم ننتظِرُ آخَر؟». فجاءَ الرَّجُلان إليه وقالا «إنَّ يوحنا المَعمَدَان قد أوفَدَنَا إليك لِنسأَلَك : أأنتَ هو الآتى أم نتنظرُ آخَر؟». وكان مخلِّصنا فى تلك الساعة التى جاء فيها ذانك الرَّجُلان يعلِّم الجموع التى كانت لا تفتأ محتشدة حوله، ويصنع المعجزات لمن يحتاجون إليها منهم، فَشَفىَ أمامهما كثيرين من المَرْضىَ والمعلولين من أمراضهم وعلَلِهِمْ، وطَرَدَ الأرواح الشرِّيرة مِمَّنْ تملَّكتهم تلك الأرواح وعذّبتهم، ووهب البَصَرَ لعميان كثيرين. ثُمَّ التفَتَ إلى تلميذَىْ يوحنَّا اللذين كانا يساورهما الشكُّ فى أنَّه هو المسيحُ الآتى إلى العالَم الذى تنبَّأ عنه الأنبياء، وقال لهما «اذهبا وأَخبرا يوحنَّا بما رأيتما وسمعتما : العُمْىُ يُبْصِرون، والمُقْعَدون يمشون، والبرْصُ يَطْهرُون، والصُمُّ يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يُبَشَّرون». أى أنهما قد رأيا بنفسيهما أنه هو الذى تحقَّقت فيه نبوءات إشعياء النبىِّ عن المسيح إذ قال «هو يأتى ويخلِّصكم. حينئذ تتفتَّح عيون العُمْى، وآذان الصُمِّ تتفتَّح. حينئذ يقفز الأعرج كالأَيِّلْ ويترنَّم لسان الأَخْرَس» (إشعياء ٣٥ : ٤ - ٦). وقال على لسان المسيح «روحُ السيِّد الربِّ علىَّ، لأنَّ الربَّ مَسَحَنى لأبشِّر المساكين» (إشعياء ٦١ : ١).

ثم قال للتلميذَين إذ أدرك ما فى نفسيهما من الشكّ فى أنَّه هو المسيح «مَغْبُوطٌ مَنْ لا يَشُكُّ فىَّ»، أى سعيد ومُبَارك ذلك الذى يرى أعماله الإلهية، ولا يشكُّ فى أنَّه هُوَ ابن الله.

ثم لما انصرف رسولا يوحنَّا، أراد مخلِّصنا أن يمحو ما قد يكون خامر نفوسَ الحاضِرين من الظنّ بأنَّ السؤال الذى أوفد يوحنَّا رسولَيْه ليوجِّهاه إليهِ يدُلُّ على أنَّ يوحنَّا نفسه قد تزعزع إيمانُه به وتراجَعَ فى شهادته له، فأخذ مخلِّصنا يمتدح يوحنَّا قائلاً «ماذا خرجتمْ إلى البرِّيَّة لِتَرَوْا؟ أَقَصَبةً تهزُّها الرِّيح؟ بل ماذا خرجتم لِتَروا؟ أإنسانًا يرتدى ثيابًا ناعِمَةً؟ ها هُم أُولاءِ الذين يَرتدون ثِيابَ التَّرَفِ والنعيم يقيمون فى قُصورِ الملوكِ. بل ماذا خرجتم لِتَرَوْا؟ أَنَبِيًّا؟ نَعَم أقول لكم وأكثرَ من نبيٍّ. فإنَّ هذا هو الذى كُتِبَ عنه: ها أناذا أَبْعَثُ أمامَ وجهكِ رَسولى الذى يُهيِّئُ طَريقَكَ أمامَكَ. لِأنَّنى أقولُ لكُم إنَّه ليس بَينَ المولودينَ من النِّساءِ أعظَمُ من يَوحنَّا المعْمَدَان». أى أنَّ يوحنَّا الذى عاش فى البَرِّيَّة متعبِّدًا متقشِّفًا ناذرًا نفسه لخدمة الله مناديًا بين الناس بالتَّوبة عن خطاياهم، مُنَدِّدًا بالأَثمَةِ والأشرار، لايلين فى ذلك أو ينحنى كما تنحنى القَصبَة الرِّخوة أمام هبوب الرِّيح. وإنَّما كان صُلْبًا جرِيئًا فى توبيخه حتَّى للكَتَبَةِ والفرِّيسيِّين الذين كان اليهود كلُّهم يخافونهم ويرهَبونهم. بل أمام هيرودس نفسه مَلِك الجليل، الذى كان من أشرس الملوك وأشدِّهم جبروتًا وبطشًا وسفكًا للدِّماء. وقد كان يوحنَّا لا يفتأ يُجاهِر على رؤوس الأشهاد بلَوْمِهِ وتعنيفه على ما يرتكِب من شرور، ولا سيَّما على تلك الفِعْلَةِ النَّكراءِ التى اقْترفَها إذ اغتصب زوجة أخيه فيلبس وهو حىّ واتخذها زوجة له، فلم يَضعُف يوحنَّا أمامه ولم يعبأ بتهديده له وهو عالم بما يمكن أن يؤدى إليه ذلك من عواقب وخيمة قد تبلغ حَدَّ الموت. وبالفِعْل قَبَض هيرودس عليه ثُمَّ قَتَلَهُ. ولم يكن يوحنَّا الذى وَصَفَه مخلِّصنا بأنه ليس بين المولودين من النساء أعظم منه يستمدُّ عظَمَتَهُ ممَّا يرتدى من الثياب الناعمة وما يتمتع به من الترف والنعيم الذى يتمتَّع به الساكنون فى قصور الملوك، إذ كان «يَرتَدى لِباسًا من وَبَرِ الإبلِ، ويُطَوِّقُ حَقْوَيْهِ بمِنطَقَةٍ من جِلدٍ، وكانَ طعامُهُ جَرادًا وعَسَلاً برِّيًّا» (متَّى ٣ : ٤). وإنَّما كانَ يستمدُّ عَظَمتَهُ من

« القدّيس متّى » (لوقا ٤ : ٢٧ و ٢٨)



« القديس فيلبس » (لوقا ٦ : ١٤)

للفنان العالمى فردريك شيلدز



« السيد المسيح »

بريشة الفنان العالمي ا . كاراتشي

أَنَّهُ كان نبيًّا، بل كانَ أكثر من نبيٍّ. لأنَّ أنبياء العهد القديم كلِّه لم ينالوا النِّعمة التى نَالهَا هو، لأنَّهم جميعًا لم يكونوا يَرَوْنَ من مجد ابن الله الذى تنبَّأُوا بأنَّه سيأتى إلى العالَم إلا لمحات خافتة، تشبه لمحات النور التى يراها الناس من كوكب بعيدٍ أشدّ البُعد يتراءى لهم خلال حلكة الظلام فى أغوار السماء. وأمَّا يُوحنَّا فقد رأى ابن الله ماثلاً قبالته، ومتجَسِّدًا أمام عينيه بكلِّ مجده، وبكل نوره الذى لا تضاهيه كلُّ الأنوار التى تسطع من كلِّ كواكب السماء، واستحقَّ أن يعمِّده ويضع يده على رأسه المباركة. فضلاً عن أنَّه هو وحده – دون كلِّ أنبياء العهد القديم – الذى اختارته الحكمة الإلهيَّة ليجىءَ مع ابن الله فى نفس الوقت ليهيِّئَ طريقه أمامه، ويمهِّد نفوس الناس لاستقبال ذلك الملك السَّماوِيِّ، كأولئك الذين كانوا يتقدَّمون ملوكَ الأرض ليعلنوا مجيئهم، وينادوا بدعوة الناس لاستقبالهم الاستقبال اللائق بالملوك. فكان يوحَنَّا هو الذى تَحَقَّقَتْ فيه نبوءة ملاخى النبىِّ التى تقول «ها أَنَاذا أُرسِل ملاكى فيهيِّئُ الطريق أمامى» (ملاخى ٣ : ١). كما كان هو الذى تحققت فيه نبوءة إشعياء النبىِّ التى تقول «صوتُ صارخٍ فى البرِّية : أَعِدُّوا طريق الربِّ. قوِّموا فىَ القفر سبيلاً لإلهنا.. فيُعْلَنُ مجد الربِّ ويراه كلُّ بَشَر» (إشعياء ٤٠ : ٣ – ٥). بَيْدَ أنه وإن كان يوحنَّا المَعمدان أعظم من كلِّ أنبياء العهد القديم، بل أعظم من كلِّ المولودين من النساء «غير أنَّ الأصغر منه فى ملكوت الله أعظم منه». لذلك فإن «الأصغر منه» إمَّا يشير به مخلِّصنا إلى مَن جاءوا بعد يوحنَّا من مؤمنى العهد الجديد، الذين حصلوا على امتيازاتٍ بالمسيح أعظم فى جوهرها من تلك التى حصل عليها يوحنَّا قبل موت المسيح وَصَلْبِهِ. وفى هذه الحالة تكون العَظَمَة المقصودة هنا هى عَظَمَة امتيازات الخَلاص ووسائط الخلاص، لا عَظَمةُ فضائل. وإما أن يكون «الأصغر منه» هو السيِّد المسيح ذاته، فإنه أيضًا بالجَسَد من بينِ مواليد النساء، وهو أصغر من يوحنَّا المعمدان سِنًّا، لأنه يصغره – فى الجَسَد – بستَّةِ شهور (لوقا ١ : ٢٦). ولكنه أعظم من يوحنَّا بقدر ما يكون الخالق أعظم من عبده المخلوق. والراجح أن هذا هو المعنى القريب لعبارة مخلِّصنا وفادينا يسوع المسيح.

فلما سمع جميعُ الشعب والعشّارون الحاضرون امتداح سيِّدنا ليوحنَّا المَعْمَدان، فرحوا بهذه الشهادة عنه، وأَقرُّوا بأن الله الذى هَدَاهُم إلى الإيمان بِيُوحَنَّا هو الإلَهُ الحقُّ، لأنَّهم كانوا قد اعتمدوا بمعمودية يوحنا، مدفوعين بذلك الإيمان. وأما الفرّيسيون وعلماء الشَّريعة الذين كانوا يعرفون الشريعة حقَّ المعرفة ويَعلَمون ما جاء بها من مَشيئة الله ومَشُورته التى تَضَمنَّت مجىءَ يُوحَنَّا المَعْمَدان ليهيِّئ الطريق للمسيح الفادى، فقد عَصَوْا تلك المشيئة ورفضوا تلك المشورة، وأنكروا يوحنَّا المَعمدان وازدروه، ومِنْ ثَمَّ لم يعتمدوا منه، تلك المعمودِّية التى كانت رمزًا للتوبةاوالتماسًا لغفران الخطايا، فلم يريدوا التَّوبة وتمَسَّكوا بخطاياهم.

وقد كان الفَرِّيسيُّون وعلماء الشريعة هم قادة الشعب ومُعلِّموه، فكان الشعب يتبعهم فى طرقهم المُعْوَجَّة، ويطيعهم فى تعاليمهم المضلِّلَة، ومِن ثَمَّ أفسدوا الجيلَ كلَّه بفسادهم. ولذلك قال رَبُّنا وَمُخَلِّصنَا فى سِيَاقِ كلامه عن يُوحنَّا المَعْمَدان «بماذا أُشَبِّه أُناسَ هذا الجيلِ؟ مَنْ يُشْبِهونَ؟ إنهَّم يشبهون صِبْيَةً جالسين فى السوقِ ينادى بعضُهم بعضًا قائلين: زمَّرنا لكم فلم ترقصوا. نُحنَا لكم فلم تبكوا. فقد جاء يوحنَّا المعمدان لا يأكل خبزًا ولا يشربُ خمرًا فقلتم إنَّ به شَيطانًا. وجاء ابنُ الإنسانِ يأكلُ ويشربُ فقلتُم هُوَذَا رَجُلٌ أكُولٌ وشرِّيب خَمرٍ، مُحِبٌّ للعشَّارين والخُطاةِ. بَيْدَ أنَّ الحكمةَ قد تَبيَّن برُّها لكلِّ أبنائِها». أى أنَّ أبناء ذلك الجيل كانوا لاهين جاهلين لا يأخذون أمرًا مأخذ الجَدِّ، ولا يُفكِّرون فى أمرٍ تفكيرًا ناضجًا عميقًا، مشابهين فى ذلك الصِّبْيَة الذين كان من عادتهم أن يجلسوا فى السُّوق ينادون بعضُهم بعضًا، ويقلِّدون الكبار فى الأفراح فيرقصون، ويقلِّدونهم فى الأحزان فيبكون. ومِنْ ثَمَّ كانوا سريعًا ما يتحوَّلون من الفَرح إلى الحُزْنِ، ومن الحُزْنِ إلى الفَرَح إذ كان كل ما يفعلونه لعبًا فى لعب، وعبثًا فى عَبَثٍ - فكان أبناء ذلك الجيل يفعلون مثْل هذا حتىَّ فيما يتعلَّق بدِيانتهم وعقيدتهم: إذ جاء يُوحَنَّا المَعْمَدان مُتَوَحِّدًا مُتَقشِّفًا لا يأكل الخبز ولا يشرب الخمر، فكان ينبغى أن يُوَقِّروه ويعتبروه نبيًّا، لأنَّ سيرته وتعاليمه لو تَأَمَّلوها لَوَجَدُوا أَنَّها تَدُلُّ على أنه نبىٌّ. ولكنهم بدلًا من ذلك ازدروه واحتقروه، وقالوا فى تَسَرُّعٍ واستخفاف إنَّ به

شَيطانًا، أى أنه مجنون. ومِنْ ثَمَّ لم يؤمنوا به، ولم ينتفعوا بتعاليمه. ثم جاء ابنُ الإنسانِ الذى هو ابنُ الله منتهِجًا طريقًا غير طريق يُوحَنَّا. فَكان يخالط الناسَ، حتى الخُطَاة منهم، ويشاركهم فيما يأكلون ويشربون، ليتَّخِذ من ذلك فُرْصَةً لتعليمهم وتقويمهم. وقد برهن لهم بتعاليمه وبمعجزاته على أنه ليس نبيًّا فحسب، وإنما هو المسيح ابنُ الله الذى كانوا ينتظرونه. فكان ينبغى لذلك أن يفكِّروا فيما قال وفيما فَعَلَ، ويستنتجوا من ذلك حقيقة شخصيته ولكنهم بدلاً من ذلك ازدروه أيضًا واحتقروه، وقالوا، لا فى تسرُّعٍ واستخفاف فَحَسْب، وإنمَّا كذلك فى كَيْدٍ وتَنْدِيدٍ وتجريح وافتراءٍ قبيح، إنَّه رَجُلٌ أكولُ وشِرِّيب خمر، مُحِبٌّ للعشَّارين والخُطاة. فوصفوا - فى كيدهم وحقدهم وظلام عقولهم وسواد قلوبهم - ما كان يَتجلَّى فيه من خَيرٍ وفضيلةٍ، بأنَّهُ شَرٌّ ورذيلة. ومِنْ ثَمَّ لم يؤمنوا به هو كذلك ولم ينتفعوا بتعاليمه. بَيْدَ أَنَّ أولئك الذين كانوا من الحِكمةِ وصفاء الرُّوح، ونقاء السَّريرة، ونور البصيرة، بحيث تبيَّنوا حقيقة شخصية مُخَلِّصِنَا من أقواله وأعماله، فآمنوا به، وانتفعوا بتعاليمه، لأنَّهم لم يكونوا كالصِّبْيَةِ فى تفكيرهم وشعورهم كما كان سائر أبناء ذلك الجيل. وإنمَّا كانوا من الأبرار الأخيار الناضجين عقلاً وروحًا، وشعورًا وضميرًا. فكانوا هم صفوة ذلك الجيل، وكانوا هم الصفّ الأوّل من تلاميذ ربِّ المجد.

٧ : ٣٦ - ٥٠

وكان الفرِّيسيون من أعدى أعداء مخلِّصنا، لأنه نزع عنهم قناع الرِّياء الذى كانوا يتظاهرون به أمام الشعب بالوَرَع والتَقْوَى، ويستأثرون عن طريقه بالتبجيل والإجلال فى المجتمع اليهودىّ، ومِنْ ثَمَّ زَعزَع مُخَلِّصنا من مكانتهم، وحطَّ من منزلتهم، فكانوا لا يفتأون يتربَّصون له ليتصيَّدوا منه خطأ أو يمسكوا عليه خطيئة لينالوا منه ويعملوا على هلاكه. وكانوا يفعلون ذلك جهارًا وعلانية أحيانًا، كما كانوا يسعون إليه بالحيلة والمكر أحيانًا أخرى، متظاهرين بالتودُّد إليه، والرغبة فى تكريمه وتعظيمه، عسى أن يفلحوا بالمكر فيما لم يفلحوا فيه بالجهر. ومِنْ ثَمَّ

حَدَثَ أَنْ دَعَاه أحد الفرِّيسيِّين ليتناول الطعام معه، وربما أضمر أن يستدرجه إلى قول أو عَمَل يتّهمه فيه بمخالفة الشريعة، أو فى القليل يتّخذ من ذلك القول أو العَمَل ذريعة للتنديد به والانتقاص من قَدْرِه أمام الشعب الذى كانت تسحره أقواله وتبهره أعماله. وربما دعاه لينال بدعوته إلى بيته شرفًا أمام الناس وكرامة. فدخل مُخَلِّصُنا بيت الفَرِّيسيّ وَجَلَس إلى المائدة. فلم تلبث أن حانت الفرصة التى كان الفرِّيسيّ يترقّبها ويتلهَّف على اقتناصها. إذ حدث أنَّ امرأة خاطئة فى المدينة حين عَلِمَت أنَّ ذلك الإنسان السَّامى ذا القدرة السَّماوية جالس فى بيت الفرِّيسيِّ، جاءت بقارورة طيب، ووقفت من ورائه عند قدميه باكية فى انْسِحَاقٍ شديد ونَدَم عظيم، وأخذت تبلِّل قَدَمَيْهِ بدموعها، وتمسحهما بِشَعْر رأسها، وتُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ وتضمِّخهما بالطِّيب فى صَمْتٍ أبلغ من الكلام، وفى خشوع عظيم وإيمان عميق وضَرَاعة باكية، ملتمسة فى صَمْتها وخشوعها وإيمانها وضراعتها أنْ يغسلها ذلك الشخص الإلهى من خطاياها، ويطهِّرها من آثامها، ويمحو بِيَدِهِ الرَّحيمة ما تعانى - وقد استيقظ ضميرها - من آلامها. وقد تَقَبَّل مُخَلِّصنا منها كلَّ ذلك فى رضاء وسماحة وحنان. بَيْدَ أَنَّ الفرِّيسيَّ الذى دعاه لَّما رأى ذلك وَجَدَ فيه ضالَّتَهُ التى ينشدها لِينَالَ من مخلِّصنا، فقال فى نفسه «لو كان هذا نبيًّا لَعَلِمَ مَنْ هى هذه المرأة التى تَلمِسُه، وما هو حالها، وأنَّها خاطئة». بَيْدَ أنَّ مخلِّصنا كان بالفعل يعْلَم مَنْ هى هذه المرأة، وأنَّها خاطئة لا يجوز ليهودى أن يلمسها لئلاَّ يَتَنَجَّس. ولكنَّه إذ أنَّه ما جاءَ إلى العالمَ إلا لِخَلَاصِ الخُطَاةِ وتطهيرهم من نجاستهم. وإذ علِم ما يدور فى ذِهْن الفَرِّيسيِّ، التَفَتَ إليه وقال له «يا سمعان عندى شىء أقوله لك» فقال «قُلْ يا مُعلِّم». قال «كان لدائن مدينان، يداين أحدَهما بخمسمائة دينار، والآخَرَ بخمسين. وإذ لم يكن لديهما ما يفى بالسداد أبرأهما كليهما من الدَّين. فأَيُّهما خَلِيقٌ بأنْ يُحِبَّهُ أكثر؟». فأجاب سمعان وقال «أظنُّ أنه هو الذى أَبرأه من الأكثر». فقال له «بالصواب حَكَمْتَ». ثُمَّ التفتَ إلى المرأة وقال لسمعان «أَترى هذه المرأة؟. لقد دَخَلْتُ بيتُك فَلَم تُعطِنِى ماءً لِقَدَمىَّ، وأمَّا هِىَ فبلَّلتهما بدموعها، ومَسَحَتْهما بِشَعْر رأسِها. أنت لم تُقَبِّلْنى، وأما هى فمنذ أن دَخَلْتُ بيتَك لم تكفّ



« المرأة الخاطئة تبلِّل بدموعها قَدَمى السيد المسيح » (لوقا ٧ : ٣٦ — ٥٠)

عن تقبيل قَدَمىّ. أنت لم تَدْهُن بالزَّيْتِ شَعرِى، وأما هى فقد ضَمَّخت بالطِّيب قَدَمىَّ. لذلك أقولُ لكَ إنَّ خطاياها الكثيرة مغفورة لها، لأنَّها أحبَّت كثيرًا. وأمَّا الذى يُغْفَر له قليل، فإنَّه يُحِبُّ قليلاً». وقد كان من مظاهر إكرام الضيف والتعبير عن محبَّته عند اليهود، أَنْ يغسل المُضِيفُ قَدَمَىْ الضيِّفِ بالماء، وأَنْ يُقَبِّلَهُ، وأَن يدهُن بالزَّيت شعره. وقد أَثبتَ ذلك الفرِّيسىُّ أنَّهُ على الرغم من كَوْنِهِ قد استضَاف مُخَلِّصَنا لم يقدِّم له أيًّا من واجبات الضِّيافة هذه التى كان مُتَعارَفًا عَلَيْها. فَدَلَّ بذلك على تقصيره المُخِلِّ نحو ضيفه الإلهىِّ العظيم، مما يُعَدُّ أيضًا إهانة لجلاله. كما دَلَّ أيضًا على عَدَم إيمانه به. وقد أيَّدَ ذلك بتقريره بَينَه وبين نفسِهِ أنَّه ليس نبيًّا. وأَمَّا تلك المرأة الخاطئة فقد دلَّلَتْ بما فَعَلَتْ من مظاهر التكريم التى أَبْدَتْها لذلك المعلِّم العظيم، على محبَّتها العظيمة له. كما دلَّلَت بذلك الذى فَعَلَتْ على تَوْبتها الصادقة بدموعها الكثيرة عن خطاياها الكثيرة، وعلى ضراعتها أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَها ويغفر لها تلك الخطايا، موقنة أنَّ له هذا السلطان. فَعَلى قَدْرِ ما أبدت من المحبَّة له، على قَدْرِ ما برهنَت على التوبة عن خطاياها. فكانت محبَّتُها هى الدليل على تَوْبتها. ولذلك قَبِل مخلِّصنا هذه التَّوبة منها، وغَفَر لها خطاياها، قائلاً لها «مَغفورةٌ لكِ خَطاياكِ». بَيْدَ أنَّ الجالسين معه إلى المائدة من الفرِّيسيِّين وَجدُوا فى هذا القَوْلِ اتِّهامًا آخر يوجِّهونه إليه غير اتِّهامه بقَبولِهِ الخُطاة وعطفِهِ عليهم. فأخذوا يقولون فى أنفسهم «مَنْ هذا أيضًا الذى يَغْفِرُ الخطايا؟». لأنَّ غافِر الخطايا هو الله وحده. فهو إِذَنْ يساوِى نفسَه بالله. وإذ كانوا ينكرون مكابرين أنَّ هذا هو المسيح ابن الله، اعتبروا ذلك جريمة يستحقُّ عليها الموت بحُكم شريعتهم، عَلى الرَّغم من أنَّه سَبَقَ أَنْ فَنَّدَ تهُمتهم هذه التى سبق أن وجّهوها إليه حين قال للمفلوج «أيُّها الرَّجُلُ مغفورةٌ لك خطاياك». فلمَّا قالوا «مَنْ هذا الذى يُجَدِّف؟ فَمَنْ يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله الواحِدُ وحده؟»، قال لهم «أيُّهما أَيْسَرُ: أَنْ يُقالَ مغفورة لك خطاياك، أم أَنْ يُقالَ قُمْ وامْشِ؟ ولكن لكى تعلموا أنَّ لابن الإنسان السلطانَ على الأرض أن يغفر الخطايا.. » ثم قال للمفلوج: لك أقولُ قُمْ إحمِلْ فِرَاشَكَ واذهَبْ إلى بيتك. ففى الحال قام أمامهم وَحَمَلَ ما كان راقِدًا عليه وذهَبَ

إلى بيته وهو يمجِّد الله، فذهلوا كُلُّهم» (لوقا ٥ : ١٧ - ٢٦). وإذ كان قد سبق أن أفحمهم بذلك لم يعبأ هذه المرّة بحقدهم وعنادهم، ولم يشأ أن يردّ عليهم، وإنما التَفَتَ إلى المرأة الخاطئة وقال لها «إنَّ إيمانَكِ قد خلَّصك فاذهبى بسلام». فخرجت مُطَهَّرَةً من آثامها، مغفورة لها خطاياها، وقد بدأت منذ تلك اللحظة صفحة جديدة فى حياتها.

الفصل الثامن

٨ : ١ - ٣

ثم أخَذَ مخلِّصنا بعد ذلك يجول فى كل مدينة وقرية واعظًا ومبشِّرًا بملكوت الله، لكى تصِل تعاليمه وبشارته إلى الأغنياء المتعلّمين فى المدن، وإلى الفقراء الذين لم يتيسَّر لهم قدر كبير من التعليم فى القُرَى، فيستمع إلى تلك التعاليم وتلك البشارة كلّ الناس على السواء، ومِنْ ثَمَّ لا يكون لأحَد عذر إنْ لم ينتفع بها، بأنه لم يستمع إليها. وقد غَمَر مخلِّصنا بنعمته الناس جميعًا، مساويًا بذلك بين الأغنياء والفقراء، وبين المتعلمين وغير المتعلِّمين على السواء، بحيث لا يكون ثمة فارق بينهم إلا ما يفعلون من خير أو شرّ، وما ينتهون إليه من إيمان به وبرسالته أو رفْضٍ له ولرسالته. وعلى هذا الأساس وحده يقبلهم ليتمتّعوا برعويَّتِهِ، فى ملكوته، أو يرفض رعويَّتهَم فى ذلك الملكوت. لأنَّ جوهر رسالته التى كان يعظ ويبشِّر بها هى مجيء ملكوت الله، الذى هو فى نفس الوقت ملكوته هو، والذى تسود فيه على الأرض، لا شريعة الأرض وإنما شريعة السَّماء. فَمَنْ قَبِل هذه الشريعة السمائية التى هى شريعة الكمال والخير والصلاح وخضع لها صار من تلاميذه واستحقَّ الخلاص الأبدىّ. وَمَنْ رَفَضَ هذه الشريعة وتمرَّد عليها متشبِّثًا بشريعة الأرض التى هى شريعة النقص والشَّرِّ والفساد ظلَّ تلميذًا للشيطان واستحقَّ ما استحقه الشيطان من هلاك أبدىّ.

وكان يصحب مُخَلِّصَنا فى تجواله تلاميذُه الاثنا عشر الذين كانوا يلازمونه على الدوام، ليتعلموا منه حتى يصيروا قادرين على تعليم الناس ما تعلَّموه منه، سواء فى بلاد اليهود التى يرسلهم إليها وهو لا يزال بينهم، أو فى كلِّ بلاد الأرض بعد أن يرتفع عنهم إلى السماء.

كما كان يَصْحَبُ مُخَلِّصَنا فى تجواله بعضُ النسوة اللاتى كان الإيمان به قد رسخ فى قلوبهن حين سمعن تعاليمه، أو حين رأين ما صنعه من المعجزات، ولا سيَّما تلك المُعْجِزات التى نِلْنَ بها هُنَّ أنفُسُهُنَّ الشفاء على يديه من أمراضهنَّ المستعصية الشفاء، أو نِلْنَ بها الخلاص من الأرواح الشرِّيرة التى كانت تتسلَّط عليهن فتذهب بعقولهنّ أو تعذّبهنَّ شرَّ عذاب. وكان من أولئك النسوة مريم التى كانت تُدعَى المجدَلِيَّة، نسبةً إلى بلدتها «مَجْدَلة»، التى تُسمَّى اليوم «المَجْدَل»، وهى تقع على الشاطئ الغربى من بحر الجليل على بُعد ثلاثة أميال شمالى طَبَرِيَّة. وكان مُخَلِّصُنا قد أخرج من تلك المرأة سبعة شياطين كانت تقيم فيها، فآمنت به وتبعته طوال فترة خدمته التعليميَّة، وظلَّت مُلازمة له حين تآمر اليهود عليه، وكانت إحدى الواقفات عند صليبه حين صلبوه، وتَبِعَتْ جُثمَانَه إلى القبر، وأَتَتْ بأطياب لِتُضَمِّخَهُ. ثم كانت هى أول من ظهر لها بعد قيامته من بين الأموات. كما كان من أولئك النسوة حنَّة زوجة خُوزا أمين خزانة هيرودس أنتيباس ملك الجليل، التى آمَنَت بمخلِّصنا على الرغم من أنَّ زوجها كان من كبار حاشية ذلك المِلك الطاغية السافك للدماء، الذى كان يَمْقُتُ مُخَلِّصَنا ويخاف منه ويسعى إلى قَتْلِهِ. وقد لازمته هى الأخرى إلى آخر لحظة، وكانت ضمن الواقفات عند صليبه، وضمن اللاتى شَيَّعْنَ جثمانه إلى القبر وأتين بأطياب لتضميخه فى صبيحة يوم القيامة، فرأين القبر فارغًا، وسَمِعْنَ الملاكَيْنِ يقولان إنه قد قام. وكان من أولئك النسوة أيضًا امرأة اسمها سوسنَّة، وأخريات كثيرات كُنَّ يبذلن من أموالهن فى خدمة مخلِّصنا الذى كان متفرِّغًا تفرغًا تامًّا لإنجاز رسالته السمائية. وقد ارتضى فى سبيل ذلك، وعلى مقتضى تواضعه الذى يفوق مدارك البَشَر، وهو رب المجد ومَلِكُ الكَوْن ومالك كلِّ شيء، أن يتخلَّى عن الاهتمام حتى بالضروريات من المطالب الأرضية التى يَهْتَمُّ بها

كلُّ بَشَر، تاركًا ذلك لأولئك المؤمنات به. لكى يعلِّم مَنْ أرادوا أن يتمثَّلوا به من خُدَّامه ووكلائه أن يهتموا بالسمائيات وحدها، ولو اقتضاهم ذلك قبول الخدمة من الآخَرِين الذين يدفعهم الإيمان بالسمائيات إلى خدمتهم.

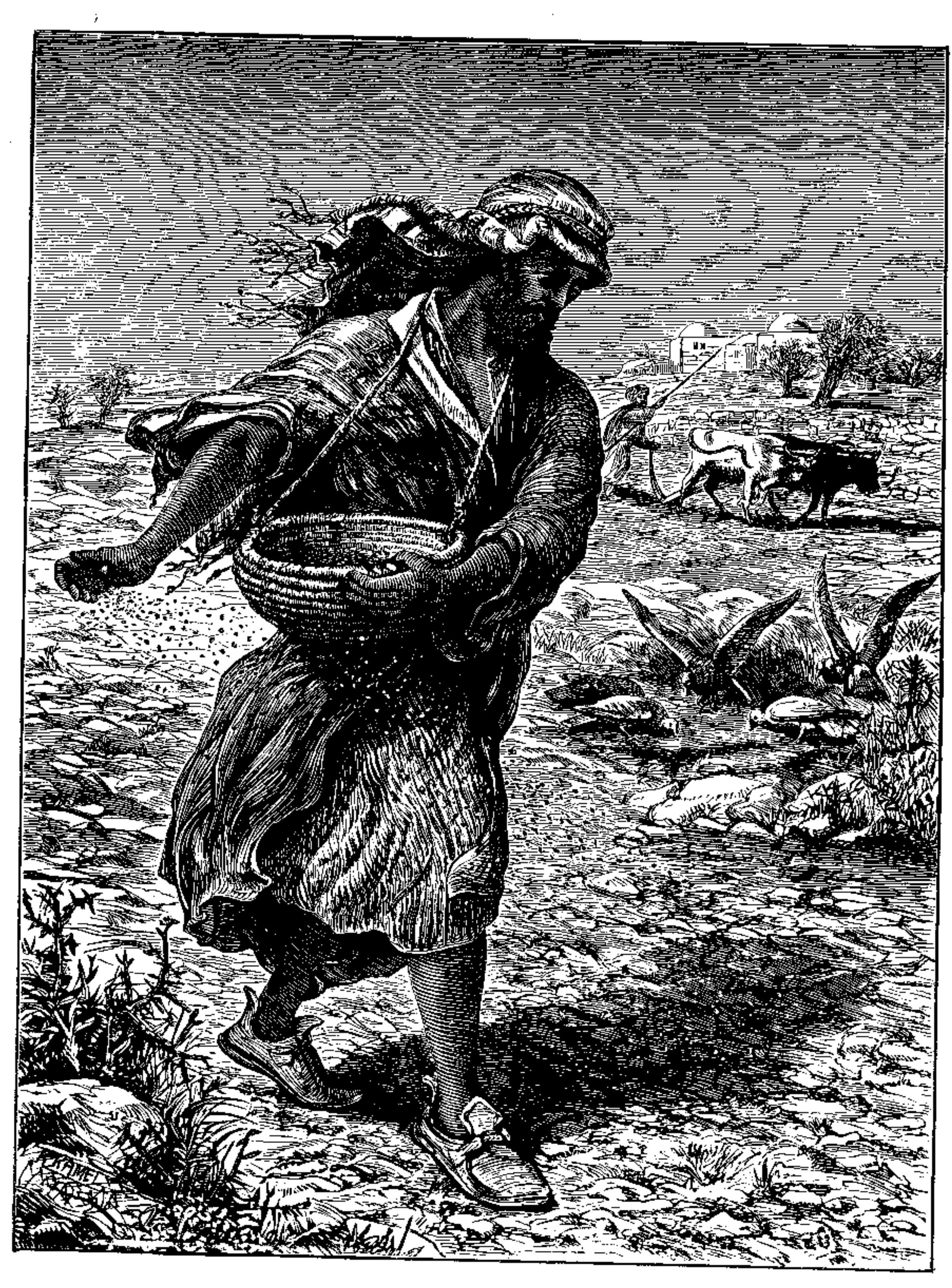
٨ : ٤ - ١٥

وقد اجتمع جمهور عظيم من أولئك الآتين إلى فادينا من كلّ مدينة، يدفعهم نحوه ما سمعوه عن التعاليم التى ينطق بها والمعجزات الإلهية التى يصنعها. أو لَعَلَّهُم سمعوا تعاليمه ورأوا معجزاته من قَبل فتبعوه ليسمعوا ويروا مزيدًا مما يقول ويصنع، وقد تَعَلَّقَت بِهِ نفوسُهم، والتصقت بشخصه الجليل القدّوس أنظارهم ومشاعرهم. حتى إذا رأى فادينا ذلك منهم أراد أن يوضِّح لهم أَثَر كلماتِه-التى هى كلمات الله - فى نفوسهم التى تختلف باختلاف معدنهم واستعدادهم، ليحثَّهم - على اختلاف أنواعهم وطباعِهم - على حِفْظ تلك الكلمات التى يبذرها فى قلوبهم، والاحتفاظ بها لكى تنمو وتزدهر وتأتى بالثَّمَرة التى تؤهِّلهم لملكوتَ السَّماوات الذى جاء ليبشّرهم به ويدعوهم إليه، ولئلاّ يتركوا تلك البِذَار تموت للتوِّ فى قلوبهم، أو تنمو قليلاً ثم تَذْبُلُ فلا تأتى بأى ثمر يُؤهِّلهم لذلك الملكوت. وقد ضرب لهم كعادته مثلاً ليجعل هذه المعانى قريبة إلى عقولهم فيفهموها وإلى قلوبهم فيتعلَّموها ويتعلَّقوا بها ويعملوا بموجبها، قائلاً لهم: «خرج الزَّارعُ ليزرعَ بُذورَه. وفيما هو يزرعُ سقطُ البعضُ على الطَّريقِ فوَطِئَتهُ الأقدامُ وأَكلتهُ طيورُ السَّماءِ. وسقطَ البعضُ على الصَّخرِ، فما إن نَبَتَ حتَّى جَفَّ لانعدامِ الرُّطوبَةِ. وسَقَطَ البعضُ بَينَ الشَّوكِ فنبتَ الشوكُ مَعَهُ وخَنَقَهُ. وسَقَطَ البعضُ على الأرضِ الجيِّدةِ فنبتَ وأَعطى من الثَّمَرِ مائةَ ضِعفٍ». وواضح من هذا المَثَلِ الذى ضربه مُعَلِّمُنا أنَّ كلماته التى ينطق بها فى تعليمه تُشبه البذورَ التى يبذرها الزارع، وعلى حَسَب جودة الأرض التى يبذرها فيها يكون مصيرها. لأنَّ الأرضَ أنواع مختلفة: فَثَمَّةَ أرض اتخذها الناس طريقًا يسيرون فيه فَغَدت صلبة لا تنغرس فيها البذور. ومِنْ ثَمَّ تطؤها الأقدام وتأكلها الطيور فتتبدَّد وتبيد. وتلك تشابهها القلوب الصلبة

التى تتلقَّى كلمة الله ولكنها لا تغور فى أعماقها، وإنَّما تظلُّ على السَّطح، ومِنْ ثَمَّ سرعان ما يتلقفها الشيطانُ الشِرّيرُ عدوُّ كلَّ تعليم صالح ويلتهمها فلا تترك تلك الكلمةُ فيها أثرًا. وثَمَّة أرض ممتلئة بالصخور، تنبت فيها البذور إلى حين، ثمَّ لا تلبث أن تجفَّ لافتقارها إلى التُّربة الخِصبة التى تصلح لنموّ البذور. وتلك تشابهها القلوب المتحجِّرة التى تتلقَّى كلمة الله وتؤمن بها سريعًا، ولكنها إذ لا عمق لها ولا نعمة متأصلِّة فيها تضعف أمام أىّ عقبة تعترضها أو تجربة تمرُّ بها. وثمة أرض شائكة تنبت فيها البذور أيضًا ولكنَّ الشَّوْك يَنْبُتُ فيها مع نباتها فيُضعفه ويُتلفه، وتلكَ تُشابِهُها القلوبُ التى تتلقَّى كلمةَ الله، ولكنَّ ما يملؤها من اهتمامات الحياة وشهواتها التى هى بمثابة الأشواك، لا تلبث أن تُزَاحم تلك الكلمة، فتنتقصُ من فِعْلها فيها، ومن النِّعمة التى تملأ قلوب المؤمنين بها والعاملين بمقتضاها. وثَمَّةَ أرض جيِّدة خصبة، لا صلابة فيها ولا صخور ولا أشواك تخالط تربتها، فتستقرّ فيها البذور وتنْبتُ وتنمو تأتى بكلِّ الثَّمر الذى ينتظره الزَّارعُ منها، وتلك تشابهها القلوبُ النقيةُ الطاهرةُ العامرةُ بالنعمةِ حتى أعماقها. وهذه هى التى تتلقَّى كلمةَ الله فتحتفظ بها وتحافظ عليها فى أناةٍ وصبْرٍ وصمود أمام كلِّ نوائب الزَّمان، ومِن ثَمَّ تَنْبُتُ فيها هذه الكلمة وتنمو وتزدهر وتثمر ثمرًا وفيرًا طيِّبًا يُؤهِّل أصحابها لنعمة ملكوت السماوات.

وقد قال فادينا هذا المثَل ثمَّ نادَى قائلاً «مَن له أُذنان للسمع فليسمع»، أى أنَّ كُلَّ مَنْ وَهَبَهُ اللّهُ عَطِيَّةَ السمع فليستخدمها استخدامًا كاملاً وسليمًا بحيث يستوعب معنى ذلك المَثل الذى ضربه ويُدرِك مَغزاه ويعمل على أن يكون قلبه لا صُلْبًا ولا صخريًّا ولا شائكًا، وإنما قلبًا نقيًّا غنيًّا بالنعمة والصلاح، كالتُّربة الغنيَّة بالخصوبة والخير، لكى يُثْمِرَ الثَّمَرَ الذى يليق بكلمة الله المُعْلَنَةِ له فى تعاليم فادينا الحبيب. ولا يكون كأولئك الذين قال عنهم حزقيال النبىُّ «لهم آذان ليسمعوا ولا يسمعون» (حزقيال ١٢ : ٢).

وكان تلاميذ مُخَلِّصِنَا لا تَزَالُ أفهامُهم حتى ذلك الحين قاصِرةً عن أن تُدرِك كلَّ الإدراك معنى تعاليمه السامية وأمثاله العميقة المغزَى. فكان كعادته إذا انفرد بهم



« مَثَل الزارع » (لوقا ٨ : ٤ — ١٥)

يفسِّر لهم تفسيرًا وافيًا تلك التعاليم والأمثال التى كان يُخاطب بها سائرَ النَّاس، كاشفًا لهم - دون سائر الناس - أسرار مَلَكوته السَّماوِىّ، كى يكشفوها هم بدورهم للعالمَ كله بعد ذلك. ومِنْ ثَمَّ قال لهم «إنكم أنتم قد أُعطيتُم أسرارَ ملكوتِ اللّهِ. وأمَّا الأمثالُ فلِمَن هم سواكم، لأنهَّم وهم مُبصِرون لا يُبصِرون، وسامِعون ومع ذلك لا يسمَعون ولا يفهَمون»، مشيرًا بذلك إلى نبوءة إشعياء النبىِّ التى قال فيها لليهود «بالسَّمْعِ تَسمعُون ولا تَفهمون، وبالبَصَر تُبصرون ولا تَرَوْن، لأن قلب هذا الشعب قد غَلُظَ وآذانهم قد ثقل سمعُها، وعيونهم قد أغمضوها، لئلاَّ يُبصِروا بعيونهم، أو يسمعوا بآذانهم، أو يفهموا بقلوبهم، أو يرجعوا إلَىَّ فأشَفيهم» (إشعياء ٦ : ٩، ١٠)؛ (متَّى ١٣ : ١٤ و ١٥). وإذ كان اليهود غلاظ القلوب، مُغْلَقِى العقول على هذا النحو، كان مُخَلِّصنا يضرب لهم الأمثال التى تُيسِّر لهم فهمها، عسى أن تلين قلوبهم وتتفتَّح عقولهُم لتعاليمه السامية المدلول العميقة المعنَى. وأمَّا تلاميذُه فكان يَخصُّهم بعناية أكثر ورعاية أوفر. ومِنْ ثَمَّ فإنه حين انفرد بهم، فسَّرَ لهم المثَل الذى ضَرَبَه للجموع ليكون فَهْمُهم له أعظم وأعمق من سواهم، قائلاً لهم «إليكم هذا المثل : فالزَّرعُ هو كلمةُ اللّهِ، والذين على الطريقِ هم الذين يَسمعونَ ثم يأتى إبليسُ فيقتلعُ الكلمةَ من قُلوبهم لئِلاَّ يُؤمنوا فَيخلُصوا. والذين على الصَّخرِ هم الذين يَسمعونَ الكلمةَ ويقبلونَها بفَرَح، ولكنهم إذ لا جذورَ متأصلِّة فيهم، يُؤمنون إلى حين، ثُمَّ فى وقتِ التَّجربةِ يَضْعُفُون. وما سَقَطَ بَينَ الشَّوْكِ هُم الذين يَسمعونَ، وفيما هُم ماضونَ تَخنُقُهم اهتماماتُ الحياة وغِنَاها ومَلَذَّاتُها، فلا يكونُ ثَمَرُهُم كاملاً. وأمَّا ما سَقَطَ فى الأرضِ الجيدةِ فهم الذين يَسمعونَ الكلمةَ بِقلبٍ أمينٍ صالحٍ ويَحفظونَها، ومعَ الصَّبرِ يُثمرونَ».

٨ : ١٦ - ١٨

ثمَّ أوصى معلِّمنا تلاميذه بأن يستفيدوا من تعليمه الذى هو نور، والذى يجعلهم مَصدرًا للنُّور، إذ قال لهم «أنتم نورُ العالَم» (متى ٥ : ١٤). كما أوصاهم

أن يُفيدوا غيرهم بهذا التعليم فلا يُخفوا نورَه ولا النُّور الذى استمدُّوه منه، وإنَّما ليجعلوا هذا النُّورَ سراجًا للنَّاس لِيَرَوْا على هَدْيِهِ الطريقَ إلى مَلَكوت السَّماوات. فما عَلَّمَهم به فى الخفاء، فليعلِّموه هم للناس علانية، لأنَّ ذلكَ النورَ لا يمكن أَنْ يظلَّ خَفيًّا، وإنَّما سينكشف حتمًا ويسطعُ فى الأرض كلِّها. ولأنَّ تلك التعاليم التى يشعُّ منها النُّور لا يمكن أن تَظَلَّ مكتومةً، وإنَّما سيأتى عليها حتمًا وقتٌ تصير فيه معروفةً ومُعْلنةً لِأَهل الأرض كلِّهم، إذ قال لهم «ما من أَحدٍ يُوقِدُ سِراجًا ثُمَّ يُغَطِّيهِ بإناءٍ أو يَضَعُهُ تحتَ سَرِيرٍ، وإنَّما يَضَعُهُ على مَنارةٍ، لِكى يَرَى الدّاخِلونَ النُّورَ. فإِنَّه مَا مِن خَفِىٍّ إلَّا وسيُكشَفُ، وما مِن مَكتومٍ إلَّا وسيُعَرفُ وَيُعْلَنُ». وما دامت هذه هى رسالتهم، فليُحسِنوا الاستماعَ إلى تعاليم معلِّمهم ويستخدموا كلَّ المواهبِ العقليَّةِ والروحيَّة التى وَهَبَهم الله إياها فى فهْمِ تلك التعاليم فهمًا دقيقًا وعميقًا، والعَمَل بها، ونَشْرها بين النَّاس، لأنهم إن فعلوا ذلك فسيضاعف الله لهم هذه المواهب فلا تفتأ تنمو وتزدهر وتزداد آثارُها وثمارها. وأمَّا إن أهملوا تلك المواهبِ وتهاونوا فى استخدامِها، فإنها لا تلبث -وإن ظنُّوا أنهم يمتلكونها- أن تذبُلَ وتموت فيُحَرمون منها، إذ قال لهم «فَتبيَّنوا كيفَ تَسمعونَ، لأَنَّ مَنْ له سَيُعطَى، وأمَّا مَنْ ليس له، فحتّى ما يظنُّ أنَّه له، سَيُنتزعُ منه».

٨ : ١٩ - ٢١

وقد كان معلِّمنا الصالح يوالى التعليم لتلاميذه وللناس، فلم يسمح قط بأن يعوقه عن رسالته أى عائق أو أى اعتبار مهما كان، حتى لقد حدث أنه فيما كان يُعلِّم الجموع المحتشدة من حوله، جاءت إليه أمه السيدة العذراء، وأقارب أمه الذين قيل عنهم على مقتضى عادة اليهود إنهم إخوته، إذ قيل فى سفر التكوين عن لوط إنه أخو إبراهيم مع أنه كان ابن أخيه (التكوين ١٤ : ١٤). وقيل عن يعقوب إنه أخو لابان مع أنه كان ابن أخته (التكوين ٢٩ : ١٢). كما قيل عن إخوة لابان إنهم إخوة يعقوب مع أنهم كانوا أخواله (التكوين ٣١ : ٣٢ و٣٧ و٤٦). وقد قيل فى سِفر اللاويين عن أبناءِ العم إنهم إخوة. بل إنَّ اليهود كانوا يقولون عن

كل بنى جنسهم إنهم إخوة. ومن ذلك ما ورد فى سفر التثنية، إذ تنبَّأ موسى لليهود قائلاً «يُقيمُ لك الربُّ إلهكَ من وسطك، من وسط إخوتك، نبيًّا مِثلى.. قال لى الربُّ.. أُقيمُ لهم نبيًّا من وسط إخوتِهم مثلك» (التثنية ١٨ : ١٥ و١٧ و١٨) ولذلك فإنه على الرغم من أن يوسف لم يعرف السيدة العذراء معرفة الأزواج قبل ميلاد مخلّصنا أو بعده، وبالتالى لم يكن لمخلِّصنا إخوة أشقّاء بالمعنى المعروف لهذه الكلمة، كان يُقال عن أقرباء أمِّه وأقرباء يوسف إنهم إخوته. ومثال ذلك أنه جاء فى الإنجيل للقدِّيس متّى أنَّ مخلِّصنا «حينَ جاءَ إلى وَطَنِهِ كانَ يعَلِّمُهُم فى مَجامِعِهِم حتى بُهِتوا وقالوا : «مِنْ أَيْنَ لَهُ هذه الحِكمَةُ وهذه القُدُراتُ؟ أليسَ هذا هو ابنُ النَّجّارِ؟ أليست أُمُّهُ تُدْعَى مَريم وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا؟ أوليست أَخَواته جَميعُهُنَّ عِندَنا؟» (متى ١٣ : ٥٣ - ٥٦). وقد كان يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا الذين قيل عنهم هنا إنَّهم إخوته، هم - كما يتّضح من النصوص الأُخرى - أبناء خالته أخت السيدة العذراء مريم، التى كان اسمها مريم كذلك، وكانت زوجة رَجُل يُسمى «كلوبا» إذ جاء فى الإنجيل للقدِّيس يُوحنَّا «وكانَتْ واقِفاتٍ عِندَ صَليبِ يَسوعَ أُمُّهُ، وأُختُ أُمِّهِ مَريمُ زوجةُ كلوبا» (يوحنا ١٩ : ٢٥). وجَاء فى الإنجيل للقديس متّى أنه حين كان مخلِّصنا على الصليب «كانَتْ هُناكَ نِساءٌ كَثيراتٌ يَنظرنَ مِن بَعيدٍ.. وكانت بينَهُنَّ مريمُ المَجدلِيَّةُ ومريمُ أمُّ يعقوبَ ويوسى» (متى ٢٧ : ٥٥ و٥٦). ومِنْ ثَمَّ فإنَّ مريمُ زوجةَ كلوبا وأختَ السيدة العذراء التى ذكَرَها الإنجيل للقديس يوحنَّا، هى نفسها مريم التى ذكَرَها الإنجيل للقديس متّى وقال إنها أم يعقوب ويوسى، وهما من الذين قيل عنهم إنهم إخوةُ مخلِّصنا، فى حين أنهما كما يتضّح هنا ابنا خالته. فلمّا كان مُخلِّصنا يُعَلِّم الجموع وجاءت إليه أُمُّهُ وأولئك الذين قيل عنهم إنهم إخوته، لم يستطيعوا الوصول إليه بسبب الحشد، وإذ قيل له «إنَّ أُمَّكَ وإخوتَك واقفون فى الخارج يُريدونَ أن يَروكَ، أجاب قائلاً «إنَّ أُمِّى وإخوَتى هُم الَّذين يَسمعَونَ كَلِمَةَ اللّهِ ويَعْمَلونَ بها». ولا يُمكِن أن يكونَ فى قوله هذا ما يعنى أىَّ انتقاصٍ من حُبِّه لأمِّه السيِّدة العذراء مريم أو تكريم لها التكريم الجدير بالابن البار لأُمِّه القِدِّيسة، لأنَّ السيِّدة

العذراء كانت هى أول مَن يسمعون كلمة الله ويعملون بها. وقد كان هذا هو السبب فى اختيار الله الآب لها ليتجسَّد فى أحشائها ابنُهُ الإلهى الحبيب. وإذن فالسيِّدة العذراء مريم ليست هى مجرّد أمٍّ له بالجَسَد، ولكنها فضلاً عن أمومتها الجسدية، فهى أيضًا ممتلئة بالنعمة كما دعاها الملاك، ومُجَمَّلَةٌ بجميعِ الفضائل الرُّوحيةِ التى تجعل منها أُمًّا لجميع المؤمنين والأبرار بعد أن صارت هى المِلكةَ أُمَ المِلكَ، والتى قال عنها الحكيم «بناتٌ كثيرات عَمِلنَ فضلاً. أمَّا أنتِ فَفُقْتِ عليهن جميعًا» (الأمثال ٣١ : ٢٩). وإنما قال مُخلِّصنا هذا ردًّا على الذين أرادوا أن يُقاطعوا تعليمه بموضوع أُمِّه وإخوته، وربمًّا قَصَدوا بذلك التصغير من شأنه، والتقليل من مكانته فى نَظَر سامعيه، فَأَبان لهم وللجميع أنه لا يشغله شاغِل عائلىٌّ عن مواصلة تعليمِهِ، إذ كانَ التعليمُ من أهِّم عناصر رسالته التى خرج ونزل من السَّماء إلى العالم لينجزها، إذ قال لتلاميذه ذات مرة «لِنَذهَبْ إلى مَكانٍ آخرَ. كى أُبشِّرَ هُناكَ. لِأنى لِهذا خَرَجْتُ» (مرقس ١ : ٣٨) ولعلّه أيضًا أراد أن يُطمئن تلاميذه وسامعيه مِمن قد يَظُنُّون أن محبَّته تتَّجه خصوصًا إلى أُمِهِ وإلى أقربائه بالجسَد، لأنه تربطهم به مباشرة رابطة اللحم والدم، فكشف لهم بإجابته هذه أنهم هم أيضًا وجميع المؤمنين به يتمتعون بمحبَّته إذا سمعوا كلام الله وعملوا به. لأنَّ محبَّته العامَّة هى لجميع البَشَر من حيث هُم خلائقه الذين خَلَقَهم على صورته ومثاله. وأمَّا محبَّته الخاصة فتُزاد للذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها، وبنسبة ما يتحلَّوْن به من طاعةٍ للوصيَّة وعَملٍ بها. فكلَّما أطاعوا الله وعملِوا بوصاياه ازدادت للمسيح قرابتهم الرُّوحيَّة التى هى أسْمَى من القرابة الجسدية بقدر ما تسمو الرُّوح عن الجَسَد. ولَعَلَّه - له المجد - أراد أيضًا أن يُعطِىَ درسًا لتلاميذه ولخِدَّامه فى كل جيل أن يرتفعوا فوق العلاقاتِ الجسَدِيَّة الحسِّيَّة إلى الأُبوَّة والأُخُوَّة الرُّوحيَّة العامَّة لجميع الناس الذين يَخدُمونهم بالرُّوح والحقِّ. وليس معنى هذا أن يتنكّر خُدَّامُ المسيح لوالديهم وإخوتهم فى الجَسَد، بل يجب أن تسمو علاقتهم بوالديهم وإخوتهم فى الجَسَد، وتعلُو فوق الروابط الحسِّيَّة الجسديَّة والقرابة اللَّحمية إلى القرابة الروحيَّة التى تتَّسع لتحتضن جميع أبناءِ الله بالإيمان، فيصير جميعُ

المؤمنين إخوةً لهم أو أبناء. وهذا هو معنى قول مُخلِّصنا لتلاميذه فى موضع آخر «وأنتم جميعًا إخوةٌ. ولا يكونُ لكُمْ على الأرضِ أَحَدٌ تَدعونَهُ أبًا، لِأنَّ أباكم واحِدٌ هُوَ الّذى فى السَّماواتِ» (متى ٢٣ : ٨ و ٩).

٨ : ٢٢ - ٢٥

وذات يوم ركب مخلِّصنا سفينة مع تلاميذه وقال لهم «لِنَعبُرْ إلى الضِّفَّةِ الأُخرى لِلبُحيرَةِ» وهى بحيرة طَبَرِيَّة، التى كانوا يُسمُّونها أيضًا بحيرة جنِّيسارت، كما كانوا يسمونها بحر الجليل، فأقلعوا. «وفيما هم ماضونَ نامَ. ثُمَّ هَبَّتْ عاصِفَةُ ريحٍ نَزَلَتْ على البُحَيْرةِ وأحاطَتْ بِهِم فَغَمَرَتهم بالمياهِ، ومِنْ ثَمَّ صاروا فى خَطَرٍ، فَتَقَدَّموا إلى مُخَلِّصنا وأيقظوه قائلين : فى ذعر وانزعاج «يا مُعَلِّمُ. قد هَلَكنَا». فقام وصنع معجزة من أعظم وأعجب معجزاته، إذ انتهرَ الريح والأمواج، فَسَكَنَتْ وَسَادَ هدوءٌ عظيم، فبرهَنَ بذلك على سلطانِه الإلهى على الماءِ والهواء والطبيعة كلِّها، لأنه هو خالقِها (يُوحنَّا ١ : ٣)، وهو الحاكِم لها والمتحكِّم بمشيئته فيها. فهو وحده القادر على أن يأمرها فتأتمر، وأن ينهرها فتنتهر. وإذ كان قد طالما أظهر قدرتـه الإلهية لتلاميذه، وبَّخهم على ما أَبْدوا من ذُعر وانزعاج أمام الخَطَر الذى دَاهَمَهُم عند ذاك. لأنهم كان ينبغى أن يطمئنوا كلَّ الاطمئنان أمام أىّ خطر، مؤمنين بأنه ما دام هو معهم - وإن كان نائمًا- فهو قادر فى كلِّ الظـروف على أن يدفع الخطر عنهم ويحميهم من كُـلِّ سـوء. فكـان ذُعْـرُهم وانـزعـاجهم دليـلاً عـلى عَـدَم إيمانهم بذلك، ومِنْ ثَمَّ قال لهم «أينَ إيمانُكم؟». أمَّا هُمْ فَبَعْدَ أن كانوا خائفين من العاصفة، تَوَلَّاهم الخوف من تلك المعجزة التى تفوق مدارك البَشَر وتتجاوز كلَّ تصوُّراتهم ومِنْ ثَمَّ ذُهلوا وقال بعضهُم لِبَعْضٍ «مَن هو هذا يا تُرى؟ فإنَّه يأمرُ حَتَّى الرِّياحَ والمياهَ فتطيعُهُ». ويبدو من ذلك أنَّ تلاميذه أنفسهم، وهم الذين كانوا أقرب الناس إليه وألصقهم به، وقد شهدوا كلّ معجزاته السابقة لم يدركوا حتى ذلك الحين حقيقة شخصية معلِّمهم، ولم يفهموا من كلّ أقواله وأعماله أنَّ هذا هو ابن الله الذى تنبَّأ بمجيئه كلُّ أنبيائهم، وأنَّ هذا فى نفس الوقت - على مقتضى

نبوءات كلَ أنبيائهم هو الله ذاته، المالك لكل شيء، والقادر على كلّ شيء فى الأرض وفى السماء على السواء. ويبدو أنَّ السيد المسيح له المجد ظَلَّ نائمًا حينما كان البحر هائجًا لِيَدَعَ لتلاميذه فرصة يجابهون فيها الموقف الصَّعب منفردين. وهذا امتحان لإيمانهم، كما أَنَّه تدريب لهم على مواجهة المشاكل والصعوبات التى لابد أنهم سيواجهون أمثالها وما هو أصعب منها فى حياتهم المستقبلة وفى خدمتهم. فلما فشِلوا فلجأوا إليه ظَهَر سُلطانُهُ المطلق على الطبيعة، وتبينّوا مجدَ لاهوتِهِ، وتعلَّموا أيضًا أن يستغيثوا بـه مستقبلاً كُلمّا اعترضتهم صعوبات وعقبات ومواقف لايستطيعون كَبَشَر حيالها شيئًا . .

٨ : ٢٦ - ٣٩

ثم أَرسَوا بسفينتِهم عندَ أرضِ الجرجسيين على الشَّاطِىءِ الشَّرقىِّ لبحيرةِ طَبَرِيَّة المُقابِلِ لمنطقةِ الجليلِ . فما إن نَزَل فادينا الحبيب إلى البرِّ حتى اتَّجه نحوه رجلٌ من المدينةِ التى بتلك الأرض، كانت به شياطينٌ منذُ زمانٍ طويلٍ ، دَفَعَتْ به إلى الجنونِ، فراح يهيمُ على وجهه، عاريًا لا يرتدى ثوبًا، مُشرّدًا لا يقيم فى بيتٍ، طريدًا لا يفتأ يتنقّل بين القبور المنتشرة خارج المدينة، لأنَّ القبورَ المنتنة هى أنسب مكان لإقامة الشياطين النجسة التى كانت تتملكه. فما إن رأى زعيمُ أولئك الشياطين مخلِّصَنا مُقْبلاً حتى هُرِعَ إليه فى فَزَع وارتمى عند قَدَمَيْه فى مَذَلَّة صارِخًا بصوت عظيم «مالَك ولى يا يسوعُ ابنَ اللّهِ العَلِىِّ؟ ألتمسُ مِنكَ أَلّا تُعَذِّبَنِى». وهكذا عَرَف ذلك الشيطان حقيقة شخصية يسوع الذى من النَّاصرة التى فى منطقة الجليل، والذى كان اليهود يستهينون به، بل يسخرون منه ويهينونه ويحاولون قتله، غير معترفين حتىً بأنه إنسان صالح، أو بأنه نبىٌّ من الأنبياء، إذ كانوا يقولون «أيمكن أن يخرُجَ من الناصرة شيءُ صالِحٌ ؟» (يوحنا ١ : ٤٦). وكانوا يقولون «إنَّهُ لا يقومُ نبىٌّ من الجليلِ» (يوحنا ٧ : ٥٢). فى حين أن الشيطانَ نفسه اعترف وهو يصرخ فى رهبة أنَّ هذا هو ابن الله العلىِّ. كما اعترف بما لَهُ على طُغْمة الشياطين جميعًا من سلطانٍ إلهى يمكنه به إذا شاءَ أن يطرحهم فى هاوية الجحيم، ومِن ثَمَّ

تَوسَّل إليه فى رُعب وضراعة أَلَّا يُلْقى به فى ذلك المقرِّ السحيق المخصَّص للعذاب الأبدىِّ، مُتَذَرِّعًا لذلك بقوله «مالَكَ وَلى»، أى أنه لا علاقة بين مخلِّصنا الإلهىِّ وبينه، لأنَّ الشيطان إذ تمرَّد على الله أصبح عَدُوًّا لِلَّه، ومِنْ ثَمَّ انفصل عن الله الطاهر طهارة كاملة، على الرغم مِمَّا للّهِ عليه من سلطان لا ينقطع ولا يزول إلى الأبد. وبهذا السلطان سيدينه فى يوم الدينونة. وقد قال ذلك الروح النجس لمخلِّصنا هذا القول لأنه كان قد أَمَرَه بأن يخرج من الرَّجُل. وقد أغاظه ذلك وأحنقه، إذ كان قد استحوذ على ذلك الرجل البائس منذ زمان طويل، وكان يدفع به لكى يعذِّبه إلى حالة بشعة من الهياج الجنونى العنيف، حتى لقد كان الناس يُكَبِّلونَهُ بالسلاسِلِ ويُصَفِّدونَهُ بالأغلالِ، فَيُحَطِّمُ هذه القيودَ، وينطلق به الرُّوح الشيطانىُّ النجس إلى البرارى، ليهيم فيها مكابدًا كلَّ ألوان التعاسة والأذى. وقد سأَل مُخَلِّصَنا ذلك الشيطان قائلًا «ما اسمُكَ؟» فقال «فَيْلَق»، أى أنه لم يكن شيطانًا واحدًا وإنما كان رئيس فيلَق كامل يتألَّف من بضعة آلاف من الشياطين احتلّت جَسَد الرَّجُل المسكين. وقد تَوَسَّلُوا إلى مخلِّصنا ألَّا يأمرهم بسلطانه الإلهىِّ بالذهاب إلى الغَوْرِ السحيق الذى لا قرار له وهو هاوية الجحيم. وكان هناك قطيعٌ من الخنازيرِ يَرعَى عند الجَبَل، فَتوسَّلُوا إليه أن يَأذَنَ لهم بالدُّخولِ فيها، فَأَذِنَ لهم بذلك. فَخرجَت الشياطينُ من الرَّجُلِ وَدَخَلت فى الخنازير فأصابتها جميعًا بالجنون الذى كانت قد أصابت به الرجل من قبل ومِنْ ثَمَّ اندفَعَ القطيعُ كلُّه من فَوقِ الجُرفِ وغَرِقَ فى بُحيرةِ طَبَرِيَّة. وهكذا ضَحَّى مُخلصُنا بتلك الآلاف من الحيوانات لإنقاذ إنسان واحد. مما يدلُّ على ما للإنسان لَدَيه من مكانة وكرامة تفوقان مكانة كلِّ كائنات الأرض وكرامتها، لأن الإنسان هو مظهر لمجد الله، وقد خَلَقه فى البدء على صورته ومثالِهِ (التكوين ١ : ٢٦ و٢٧). ومِنْ ثَمَّ استمدَّ الإنسان مكانته وكرامته - قبل أن يسقط فى الخطيئة - من مكانة الله ذاته وكرامته. وإذ رأى رُعاة الخنازير ما حَدَثَ هَرَبوا وذهبوا وأذاعوا الأمر فى المدينةِ كُلِّها، وفيها يكتنفها من الضَّيَاع، فخرج الناس ليتبيَّنُوا جَلِيَّة الأمر. حتى إذا جاءوا إلى مُخَلِّصنا وَجَدُوا الرَّجُل الذى خَرَجَت منه الشياطين جالسًا عند قَدَمَىْ مُخَلِّصِه ومُخَلِّصَنا جميعًا، وقد

ارتَدى ثيابه واستردَّ عقله. فلمَّا أخبرهم الذين شاهدوا تلك المعجزة كيف نال ذلك الذى كانت فيه الشياطين الشفاء اعتراهم خَوْفٌ عظيم من تلك القُوَّة الخارقة التى صَنَع بها مخلِّصنا ذلك. ولكنهم بدلاً من أن يؤمنوا به، بَلَغَ من غِلْظَةِ قُلوبهم وَعَمَى أبصارِهم وَبَصَائرِهم أنَّهم سخطوا عليه، لأنَّ مُعجزَتَه التى صَنَعَها لِشِفَاء الرَّجُل أدَّت إلى هلاك خنازيرهم. فَطَلب إليه كلّ الذين كانوا فى أرض الجرجسيين ونواحيها أن يذهب عنهم. أى أنَّهم طردوه - وهو ربُّ المجد - من أجل بضعة خنازير دنيئة قذرة يملكونها. فكانوا مثالاً حيًّا لكلِّ من يطرد السَّيِّد المسيح من قلبه، حِرصًا على شَهَوَاتِه ومُقتنيَاتِه التى تشبه الخنازير فى دناءتها. وقد كان ذلك التصرُّف من أولئك القوم خليقًا بأن يثير غَضَبَ فادينا، ولكنَّه فى سَمَاحته وتَسَامُحِهِ وغُفْرانِه وكمالِهِ المُطلَق فى كلِّ صِفَاتِه انصرف عنهم فى هدوء، وعاد إلى السفينة التى كان قد جاء بها. وعندئذ توسَّلَ إليه الرَّجُلُ الذى خرَجَت مِنه الشياطين - وقد آمَنَ به - أن يُلازِمه ويتبعَه أيْنَمَا ذَهَبَ كتلميذ له. ولكنَّ فادينا عهد إليه بِمُهِمَّةٍ أُخْرَى يُؤَدّيها، من نوع المهِمَّة التى عهد بها إلى تلاميذه، إذ صَرَفَه قائلاً «عُدْ إلىَ بيتِك وَحَدِّث بما صَنَعَ اللّهُ لَكَ»، لأنَّ الهَدَفَ الأوَّلَ من معجزاته - له المجد - كان هو أن يؤمن النَّاسُ - إذ تَبْلُغُهُم أنباءُ قُدْرَتِه الإلهيَّة - بأنَّهُ هو المسيح ابن الله الذى كانوا ينتظرونه. ومِنْ ثَمَّ مَضى الرَّجُلُ وأخذ ينادِى فى المدينة كلها بما صنع فادينا له، تبشيرًا به، وتمجيدًا لاسْمِه، وَدَعوةً للنَّاس إلى الإيمان بِهِ.

٨ : ٤٠ - ٥٦

أمَّا مُخَلِّصُنَا فلمَّا رجع بالسفينة إلى الضِّفَّةِ الغربيَّة من بحر الجليل استقبَلَتهُ جموع الجليليينَّ هناك، مُرَحِّبين به، فَقَد كانوا جميعًا ينتظرونه، ويترقَّبون عودته إليهم، ليستزيدوا من تعاليمه السَّماوية ومِن معجـزاتـه الإلهية التى يشفيهم بها من أمراضهم الجسدية والرُّوحية. وبالفِعْل سرعان ما تقدَّم إليه رَجُلٌ اسمه يايروس، كان رئيسًا لمجْمَع اليهود الذى هو معبدهم. وكان ذا مكانة عظيمة فى المجتمع

اليهودى. ومع أنَّ رؤساء اليهود الدينيين والمدنيين على السواء كانوا يناوئون مُخَلِّصنا ويعادونه ويعتدون عليه، غِيرَة منه وحِقدًا عليه، برهن هذا الرَّجُلُ على أنه مؤمن به إيمانًا عظيمًا، ومُتَفَانٍ فى الخشوع له والتواضع أمامه خشوع العبد وتواضعه أمام الإله المعبود، إذ جاءَ وَخَرَّ عند قَدَمَيْهِ ضارِعًا إليه فى تَوَسُّلٍ وحرارة أن يجىءَ إلى بيتِهِ، إذ كانت له ابنة وحيدةٌ فى نحو الثانيةَ عَشَرَةَ من عُمرِها، قد أشرَفَت على الموتِ، وكان ذلك الرَّجُلُ مُوقِنًا أَنَّ مُخلِّصَنا قادر على شفائها وإنقاذها من الموت الذى يوشك أن يتلقَّفَها. وإذ رأى مُخلصُنا إيمانه استجاب له. وفيما هو ذاهِب معه، كانت الجموع فى ازدحامها تضغطُ عليه، وهى تتدافع نحوه لتكون أقرب ما تكون إليه، التماسًا لنعمتِهِ، وإحساسًا بسمُوِّه وقُدْرَتِهِ. وإذا امرأة كانت مُصابة بنزْفِ دَمٍ منذ اثنى عَشَرَ عامًا، وقد أنْفَقَت كلَّ ما تملك على الأطِبَّاءِ فلم يَستَطِعْ أَحَدُ شِفاءَها. بَيْدَ أنهَّا خَجلت أَن تُعلِنَ لمخلِّصنا عن مَرَضها النِسائى أمام الجموع. وكان إيمانها به عظيمًا جدًّا حتى لقد أيقنت أنها لو لَمَسَتْ ثيابه فقط، كان ذلك كافيًا لِشِفائها، ومنْ ثَمَّ جاءَت من الخلف ولمسَت طَرَفَ ثوبِهِ، فتوقَّفَ على الفَورِ نَزْفُها. وقد عَلِمَ مُخلصُنا بأمرها، ولكنه أراد أن يُشَجِّعَها مكافأةً لها على إيمانها، وإظهارًا للمعجزةِ التى حَدَثَت فى كامِلِ مجدها، فتساءَل قائلاً «مَن لَمَسَنى؟». فأنكر الجميع. وقال تلميذه بطرس والذين كانوا معه «يا مُعَلِّم إِنَّ الجمعَ يَتزاحمونَ مِنْ حَولِكَ ويَضْغَطونَ عَلَيكَ، ثُمَّ تقولُ مَن لَمَسَنى؟». فقالَ مُخَلِّصُنا «إن ثَمَّة مَنْ لَمَسَنِي لِأنني عالِم بالقوَّةِ التى خَرَجَتْ مِنّى». وكانت تلك هى القوة الإلهيَّة التى تشعُّ منه، والتى يَعلَم إلى أين تتَّجه، ويعلم أثرها حيثما تتجه. وهى إذ تخرج منه لا تنفصل عنه، وإنما تفعل فعلها وهى ثابتة فيه، لأنَّها من ذاتِ طبيعته. فلمَّا رأت المرأة أن أمرهَا لم يَكُنْ خافيًا عَلَيه، جاءت مُرتَعِدَةً من رَوعِة ذلك العِلْم الإلهى الذى يُحيطُ بكلِّ شىء ولا يَخْفَى عليه شىء مهما حَدَث فى الخفاءِ، وارتمَتْ على قَدَمَيْه فى رهبة وخشوعٍ. ثم - إذ غَلَبت حرارة إيمانها على تحرُّجها وحيائها - اعترفَت أمام كلِّ الشَّعبِ بالسبب الذى من أَجْلِه لَمَسَتْهُ، وأَعْلَنَتْ كيف أنها شُفيت على الفَوْر. فقال لها مُخلِّصُنا «تَشَجَّعِى يا ابنتى. . إنَّ إيمانَك قد

خَلَّصَكِ، فاذهبِي بِسلامٍ ». وَمِنْ ثَمَّ نالت بهذه الكلمات الرقيقة المعزِّية من الرَّبِّ نعْمة فوق نعمة، وشِفاءً فوق شفاء، وعَزَاء فوق عَزَاء.

وبينما كان مُخلِّصُنا يتكلَّم جاء واحد من بيت رئيس المجمع وقال له « قد ماتت ابنتُكَ فَلا تُتعِبْ المعلِّمَ ». فلمَّا سمع مخلِّصُنا ذلك بادَر بحنانه الذى يفوق كلَّ وَصْف، فَطمأَنَ الرَّجُلَ الحزين وهدَّأ من رَوْعِهِ قائلاً له « لا تَخَفْ. وإنَّما آمِنْ فَقط فهى تُشفَى ». ولمَّا جاء إلى البيت، لم يسمح لأحد بالدخول مِمَّن لا إيمان لهم، لأَنَّ عَدَمَ الإيمان يعوق انسكاب النعمة الإلهيَّة. فلم يأخذ معه إلا تلاميذه الأقربين بطرس ويعقوب ويوحنَّا، وأَبا الصبيَّة وأُمَّها. وكان الجميع يبكون عليها ويندبونها بعد أن أيقنوا أنها ماتت بالفعل. فقال لهم مُخَلِّصُنا « لا تَبْكوا فإنَّ الصبيَّة لم تَمُتْ، ولكنها نائِمة »، لأنَّ الموت بالنسبة لمخلِّصنا الإلهى ليس إلاَّ نومًا مؤقتًا، وهو قادر أن يوقظ فى أىِّ لحظة يريد أيًّا من أولئك النائمين الذين يسميهم الناس أمواتًا. ثُمَّ فى اليوم الأخير سيدعو جميع النائمين الذين ماتوا فى كل العصور منذ بدء الخليقة، فيستيقظون ويقومون. بَيْدَ أَنَّ هذا المعنى الذى قَصَده مُخلِّصُنا كان أَسْمَى من أن يفهمه الحاضرون هناك، فضَحِكوا منه ساخِرين، إذ كانوا يَعْلَمون أَنَّ الصبيَّة قد ماتت. فأخرجهم جميعًا لِعَدَمِ إيمانهم، ثم أمسك بِيَدِ المَيِّتَةِ ونادَى قائلا « يا صبيَّةُ قومِى » فعادَت روحُها إليها بعد أن كانت قد خَرَجَت منها بالفِعل، وقامت على الفَوْر بكلمة واحدة من ربِّ المجد، وقد استردَّت كامل صحتها وقوَّتها، وَمِنْ ثَمَّ أَمَرَ أن يعطوها لتأكل. وقد استولت الدَّهشةُ على أبويها. كما أنها ولا شَكَّ استولَت على الحاضرين جميعًا. بَيْدَ أنَّ مُخَلِّصنا بحكمته أوصَى أَبَوَى الصبيَّة بألاَّ يقولا لأَحدٍ بما كان. لأنه لم يكن يقوم بأىِّ عَمَل إلاَّ فى مَوْعِدِه الملائم، ولم يكن يُعلِنُ عن أىِّ عَمَلٍ قام بِهِ إلاَّ فى مَوْعِدِه الملائم كذلك ولأنه لم يكُن يصنع المعجزات لِطَلَبِ ذيوع صِيته بين الناس، بل لقد صنَع جميع معجزاته رحمة بالناس وتعليمًا لهم. وهذه واحدة من كثير جدًّا من المرات التى أَمَرَ فيها الربُّ يسوع بعدم إذاعة أخبار معجزاته وآياته، وذلك فى نطاق سياسته فى الإخفاء لئلاَّ إذا امتدت الشائعات والأقاويل عن أخبار قدراته، تعطَّل الصليب، وبالتالى تعطَّل تدبير الفداء

والخلاص كما يقول الكتاب المقدسّ « الحكمة التى لم يعرِفْها أحدُ من رؤساءِ هذا الدهرِ ، ولو عَرَفوها لَما صَلَبُوا رَبَّ المجد » (١. كورنثوس ٢ : ٨) .

الفصل التاسع

٩ : ١ - ٦

ثم دعا مُعَلِّمُنا تلاميذه الاثنى عَشَرَ رسولاً وبعث بهم كى يُبشِّروا به فى بلاد فلسطين التى لم يكن هو قد ذهب إليها ليمهِّدوا عقول أهلها لبشارته. وقد أعطَى التلاميذ قوة من قوَّته وسلطانًا من سلطانه على كل الشَّياطين بجميع مراتبها وطُغْماتها وقُوَّاتها وقُدراتها، وعلى شفاء الأمراض بكلِّ أنواعها مِنْ أَهْوَنها إلى أعصاها على الشفاء، ليصنعوا مثلما كان هو يصنع من معجزات إخراج الشياطين مِمَّن تسلَّطت عليهم، وشفاء المرْضَى من كلِّ أمراضهم، كى يرى الناس ذلك منهم فَيَهَا بوهم ويصدقوهم فيما أَرْسَلَهُم معلِّمنا من أجله، وهو أنْ يُبَشِّروا بملكوت الله الذى جاء هو ليفتح أبوابه للناس جميعًا ويدعوهم للدخول فيه، ويشفوا المرضى. وقد أَوصىَ تلاميذه قائلاً «لا تَحملوا شيئًا لِلطريقِ، لا عَصًا، ولا حقيبةَ زادٍ، ولا خبزًا، ولا مالاً، ولا يَكُنْ لوَاحِدٍ منكم ثَوْبانَ». وذلك لأَنَّ رحلتهم كانت قصيرة لن يحتاجوا أثناءها إلى شيء من ذلك، وحتَّى إذا احتاجوا فلا ينبغى أن يتحرَّجوا من أن يقبلوا - كما فَعَل هو - مساعدات الذين يؤمنون بكلامهم، ويستضيفونهم فى منازلهم، ويقدِّمون لهم ما يلزمهم من مأوَى وطعام، لأَنَّهم إنما يعملون فى خدمة كلمة الله. ومِنْ ثَمَّ فإنَّ الله سيُهَيِّئُ لهم مَنْ يتكفَّل باحتياجاتهم، لأَنَّ « العامِلَ مُستَحِقٌ أُجرَتَهُ » كما قال مخلِّصنا فى هذا المعنى (لوقا ١٠ : ٧). فضلاً عن أنهم لا ينبغى أن يهتمُّوا فى رحلتهم تلك بمظهرهم الخارجى، وإنما فليقنَع كلٌّ منهم بالثوب الذى هو مرتديه مهما كان قديمًا أو باليًا، فلا يهتم بأن يأخذ معه ثوبًا آخر يبدو به أمام الناس ليحترموه، لأنَّ احترام الناس لهم جميعًا لا ينبغى أن يكون صادرًا عَمَّا يرتدونه من ثياب، وإنما عمَّا ينادون به بينهم من تعاليم، وما يصنعونه

أمامهم من معجزات، وما يؤدون لهم من خير. ثم إنهم مهما ابتعدوا عن معلِّمهم فإنه سيكون مع ذلك بقوَّته الإلهية معهم، يحميهم مما عَسَى أن يتعرَّضوا له من مخاطر، ويوفِّر لهم ما عَسَى أن يحتاجوا إليه من ضرورات. فليكُن اتِّكالهم عليه كاملاً، فلن يعوزهم إذا فعلوا ذلك شيءٌ، وسينالون منه نِعْمة، إذ تقول المزامير عن مخلِّصِنا ابن الله «قَبِّلوا الابن لِئَلاَّ يغضب.. طُوبى لجميع المتَّكلين عليه» (المزمور ٢ : ١٢).

ثمَّ زوَّد مخلِّصنا تلاميذه بمزيد من إرشاداته قائلاً لهم «أيُّ بيتٍ دَخَلْتُمُوهُ، فَهُنَاكَ أَقيموا، ومِن هُناكَ امضُوا. ومَنْ لا يَقْبَلْكم، فاخرجوا من تلكَ المدينةِ وانفُضوا الغبارَ عن أَقدامِكم، شَهَادَةً ضِدَّهم»، أى أنهم فى جولتهم التبشيريَّة إذا وجدوا فى أىِّ مدينة يدخلونها إنسانًا صالحًا يؤمن ببشارتهم ويستضيفهم فى بيته، فليقيموا فى ذلك البيت ولا ينتقلوا منه إلى أىِّ بيتٍ آخرَ، إلى أن يُزمِعوا الرَّحيل من تلك المدينة، ليكون ذلك البيت بمثابة كنيسة يعرف الناس مكانها ويقصدون إليها ليسمعوا كلمة الله فيها. وفعلاً حَدَثَ أنَّ تلك البيوت التى أقام فيها الرُّسُل وصلُّوا وبشَّروا تحوَّلَت من بعدهم إلى كنائس تدشَّنت بكلمة الله والصلوات. كما أوصى معلِّمنا تلاميذه بذلك لئلاَّ يكون فى تَنَقُّلِهم من بيت إلى بيت ما يثير شبهات أهل المدينة ولا سيما رؤساؤها فى حقيقة مقصدهم، فيتَّهمُوهم بما هُم منه أبرياء. وأما إذا لم يجدوا فى تلك المدينة مَنْ يَقْبَلُهُم أو يستمع إلى بشارتهم أو يؤمن بِرسالتهم فليخرجوا منها، ولينفضوا حتَّى ما عَلَق بأقدامهم مِن غبارها، إعلانًا عن رفْضِ أهلِها لكلمة الله التى بعث بها إليهم، وكفرانهم بها، وازدرائهم بمَنْ جاءوا ليبلغوهم إيَّاها، فيكون ذلك شهادةً ضدّ أهل تلك المدينة فى يوم الدَّينونة، يحاسبهم الدَّيَّان عليها، ويدينهم بمقتضاها. وقد أَطاعَ التلاميذ معلِّمهم، فراحوا يطوفون فى المُدُنِ والقرَى، ويبشِّرون بالإنجيل، ويشفون المرضَى فى كلِّ مكانٍ يذهبون إليه، عاملين بوصايا معلِّمهم ومسترشدين بإرشاداته. فَكَانَ ذلك، على مقتضى قَصْدِ معلِّمنا فيما قَصَدَ، خير تدريبٍ لهم على التبشير بعد ذلك، لا فى بلاد فلسطين وحدها، وإنما فى العالَم أجمع.

٩ : ٧ - ٩

وقد سمع هيرودس أنتيباس مَلِك الجليل بكل ما يجرى على يَدَىْ مُخَلِّصِنَا، ولا سيَّما بعد أن انتشر تلاميذه فى كلِّ أرجاء البلاد يبشِّرون به، فارتبك ذلك المَلِك الطاغية السَّافك للدِّماء مِن كُلِّ ما سمع عنه من معجزات يصنعها بنفسه أو بواسطة تلاميذه، حتى لقد ذاعَت شُهْرَتُه بين اليهود جميعًا، وراحوا يفكِّرون فيما بينهم فيما عساه أن يكون: فقالَ قومٌ منهم إنه يوحنَّا المَعْمَدَان قد قام من بين الأموات بعد أن قَتَلَه هيرودس. وقالَ قَومٌ آخَرون إنَّه إيليَّا النبىُّ قد ظَهرَ ثانية. وقالَ فريق ثالث إنَّ أَحَدَ الأنبياء الأَوَّلين غير هذا وذاك قد قام. وهكذا اعتقدوا جميعًا أنَّ مخلِّصنا ليس إنسانًا عادِيًّا، وإنما هو نبىٌّ من أنبيائهم السابقين قد عاد إلى الحياة بعد موته بمئات السنين. وعلى الرغم من أنهم لم يدركوا أن هذا هو المسيح ابن الله الذى تنبَّأت كلُّ أسفارهم المقدَّسة بمجيئه، فإنَّ كلامهم عنه فى إجلال وإكبار بأنه نبىٌّ أغاظ هيرودس وأفزعه وبلبل فكره، ومِنْ ثَمَّ راح يقول «إنَّ يوحنَّا قد قَطَعْتُ أنا رأسَهُ فَمَن هُو هذا الَّذِى أَسمعُ عنه مِثْلَ هذهِ الأمورِ؟» ولعلَّه خاف بالفعل من أَنْ يكون هذا هو يوحنَّا الذى سَبَق له أن قطع رأسه وقد عاد إلى الحياة لينتقم لنفسه منه. بَيْدَ أنه على أىِّ حالٍ خاف أن يكون هذا أىّ نبىٍّ من الأنبياء غير يوحنَّا، لأنَّ أىّ نبىٍّ سَيُوَبِّخه كما سبق ليوحنَّا أن وبَّخه - على شروره وآثامه وجرائمه التى ارتكبها، وسينقص من مهابته وسطوته لدى الشعب، وربما أدّى التفاف الشعب حول ذلك النبىّ إلى زعزعة مكانته هو والإطاحة بعرشه، ومِنْ ثَمَّ كان يبتغى أن يرى مخلِّصنا، ليتحقَّق من صِدْقِ ما كانت جموع الشعب تقوله عنه، وليقتله كما قَتَل يوحنَّا مِن قبل. وقد كان يستطيع بحكم سلطانه أن يستدعيه إليه، ليتحقَّق بنفسه مِن صِدْقِ ما عَلِمَهُ عنه، ولكنه فيما يبدو لم يجرؤ على ذلك، بسبب ما كان لمخلِّصنا من مكانة لَدَى الشعب، وربما كذلك بسبب ما لابُدَّ أنه سمعه عن هيبته ورهبة شخصيَّته، فأحجم عن أن يتعرَّض له، وانتظر على مضض.

٩ : ١٠ - ١٧

ولما رجع رسُلْ فادينا من جولتهم التبشيرية فى بلاد اليهود أخبروه بكلِّ ما فَعَلوا، فأخذهم معه على انفراد إلى موضع قَفْر عند مدينة تُدْعَى بَيْتَ صَيْدا، ليستريحوا من عناء رحلتهم بعيدًا عن الجموع التى كانت لا تفتأ تتزاحم حوله فى كلِّ مكانٍ، فلا تترك له ولا لتلاميذه فرصة ليستريحوا لحظة واحدة، إذ كان ذلك الموضع الذى أخذهم إليه بَرِّية بعيدة تقع على الشاطئ الشرقى من نهر الأردنِّ قُرب مصبِّه. غير أَنَّ جموع الناسِ الذين كانوا يتلَهَّفون على رؤيته ويبحثون عنه أينما ذَهَب لم يلبثوا أن عَلِموا بمكانه البعيد فتبعوه إليه، فلم يغضب من ذلك أو يتضجَّر وإنما استقبلهم، وأخذ يكلِّمهم كعادته عن ملكوت الله، والمحتاجون منهم إلى الشفاء شَفَاهم. وقد مَكثُوا معه اليومَ كلَّه، حتى إذا بدأ النهار يميل، تَقدَّم إليه تلاميذه الاثنا عشر، وقالوا له «اصرِفِ الجُموعَ حتى يذهبوا إلى القُرَى والضِّيَاع القريبةِ ليبيتوا هناك ويَجِدوا طَعامًا، لأَننا هُنا فى مَكانٍ قَفْرٍ». وقد كان مخلِّصنا يَعْلَم ما هو مُزمِعٌ أن يفعل، ولكنه أراد أن يختبر مَدَى إيمان تلاميذه به وبقدرته، فقال لهم «أَعطُوهُم أنتمُ ليأكُلوا». فقالوا «ليسَ لَدَينا غَيرُ خَمْسِ خُبزاتٍ وسَمَكَتَين، إلاَّ أن نذهبَ ونبتاعَ لهذا الشعبِ كلِّه طعامًا»، إذ كانوا نحوَ خَمسةِ آلافِ رَجُلٍ. فبرهَن التلاميذ بقولهم هذا على أنهم حتَّى ذلك الحين، وعلى الرَّغم من كلِّ ما صَنَع معلِّمُهم أمام أعينهم من معجزات تفوق مدارك البَشَر وقُدْرَتهم، لم يكونوا بَعْدُ قد أدركوا كلَّ الإدراك حقيقة شخصيته الإلهية القادرة على كلِّ شيء، ومِنْ ثَمَّ قال لهم «أَجلسوهم جماعاتٍ خَمسينَ خَمسينَ»، فَفَعَلوا ذلك وأَجلَسوهم جميعًا. وعندئذٍ أَخَذَ الخَمْسَ الخُبزات والسَّمَكتين، ثَمَّ رَفَعَ نَظَرهُ إلى السَّماءِ وباركَهَا وكَسَر وأَعطَى تلاميذَهُ ليُقَدِّموا للجمعِ، فَأَكَلوا وشَبِعوا جَميعًا، ثم رفعوا من الكِسَر التى تَبَقَّتْ عنهم اثنتى عَشَرةَ قُفَّة ممتلئةً، وقد بَرْهَنَ مُخَلِّصُنا بهذه المعجزة الفَذَّة على سلطانه على عالم المادة الجامدة، كما برهن بمعجزة تهدئة البحر والريح على سلطانه على المادة السائلة وعلى الهواء، بل لقد برهن بذلك كلِّه على أنه هو الخالق، كما صَرَّح بذلك

الإنجيل للفديس يوحنا، إذ قال «كُلُّ شيءٍ بِهِ كانَ، وَبِغَيْرِهِ لم يَكُنْ شيءٌ مِمَّا كانَ» (يُوحنَّا ١ : ٣)، لأنه إذ أوجد من العَدَم طعامًا لتلك الآلاف من الناس إنَّما خَلَقَهُ خَلْقًا، كما خَلَق فى البدءِ كلَّ شيء. ولئن كان يمكن لبعض المنكرين لألوهيته أن يعَلِّلوا معجزات الشفاء التى صَنَعَها بأسبابٍ نفسيَّة لدى المرضَى أدَّت كما يزعمون إلى شفائهم، فلن يمكنهم ذلك أمامَ هذه المعجزة التى أعطَى الناس بها طعامًا منظورًا وملموسًا أَكَلُوا منه حتى شبعوا، ثُمَّ فَاضَ من هذا الطعام مقدارٌ كبير احتفظوا به كما احتفظ موسَى فى القديم بمقدار من الخبز الذى أعطاه الله بمعجزة لبنى اسرائيل حين جاعوا وهم هائمون فى صحراء سيناء بعد أن نَفَدَ ما لديهم من طعام، حتى إذا رأوا بأعيُنهم فيما بَعْدُ أو رأى أحفادُهم هذا المقدَار من الخبز الذى احتفظ به موسى، تذكَّروا تلك المعجزة التى صنعها الله لَهُم، فاستمرُّوا فى إيمانهم، واستقرَّ ذلك الإيمان فى قلوبهم. كما برهَنَ مخلِّصنا بتلك المعجزة التى صنعها على أنه مُستَعِدٌّ فى كلِّ حين لأَنْ يَسُدَّ بقدرته الإلهية احتياجَ المؤمنين المحتاجين إلى أىِّ شيءٍ مَهْمَا بدا لَهُم مُستَبْعَدًا أو مستحيلاً.

٩ : ١٨ - ٢٧

وقد حَدَث أَنْ كان فادينا يُصَلِّى على انفراد، كعادته كُلَّمَا أتيحت له فُرصَةٌ لذلك بين كلِّ فترة وأُخرَى من فترات خدمته التعليمية التى كانت تستغرق كلَّ وَقْتِهِ. وكان تلاميذه - الذين هم بمثابة عائلته - محيطين به أو قريبين منه وهو يُصَلِّى، ليعلِّمهم أَنْ يصلُّوا فى كل حين، على انفراد أو مع الناس، وليهيِّئ أذهانهم بِصَلاَتِهِ وصَلاَتِهم معه للإجابة عن السؤال الخطير الذى كان مُزْمِعًا أَنْ يُوَجِّهه إليهم، كى يمتحن مَدَى ما وَصَلوا إليه من الإيمان به والإدراك لحقيقة شخصيته. وقد مَهَّدَ لذلك بأَنْ سأَلهم قائلاً «مَنْ تَقولُ النَّاسُ إنِّى أنا؟». وقد كان يعلَم أكثر منهم ما يقوله النَّاس عنه. ولكنه كان بهذا السؤال يستدرجهم إلى موضوع سؤاله الأصيل والأهمِّ، فأجابوا «إنهم يقولون إنَّك يُوحنَّا المَعْمَدَان. وآخَرونَ يقولون إنَّك إيليَّا، وغَيرُهم يَقولونَ إنَّك أَحَدُ الأنبياءِ الأَوَّلين قد قام». ويبدو من ذلك أَنَّ

اليهود قد أدركوا أَنَّ مُخَلِّصَنَا ليس إنسانًا عاديًّا من أُناس الأرض، وإنما هو شخصية سامية نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ. ولما كانوا لا يعرفون فى حياتهم أَسْمَى من شخصية الأنبياء، فقد اعتقدوا أنه يُوحنَّا المعمَدَان وقد عادَ إلى الحياةِ بعد أن قَتَله ملكهم هيرودس. أو أنه إيليًّا النبيُّ الذى يعرفون من أسفارهم المقدَّسة أنَّه لم يَمُتْ، وإنما صعد حَيًّا فى مركبة ناريَّة إلى السماء (الملوك الثانى ٢ : ١١)، أو أنه على أيِّ حالٍ أَحَد أولئك الأنبياء الأَوَّلين الذين كانوا قدّيسين أبرارًا ممتلئين من روح الله، وقد نَزَلَ مَرَّة أخرى من السَّماء إلى الأرض ليواصِلَ رسالته النَّبَويَّة. فبرهن اليهود بذلك على أنهم - وإن كانوا قد اعتبروا مخلِّصنا من أَسمَى الشخصيَّات التى يعرفونها ويُقَدِّسونها - لم يدركوا بَعْدُ أَنَّ هذا هو المسيح ابنُ اللّهِ الذى ينتظرونه، والذى تَنَبَّأَ بمجيئه كلُّ أنبيائهم، لأنهم كانوا يعتقدون أنَّ المسيح سيجىء فى صورة مَلِكٍ جَبَّارٍ وقائدٍ مغوارٍ يخلِّصهم من رِبْقَة سادتهم الرُّومان الذين كانوا يستعبدونهم، ويقودهم بجيوشه الجَرَّارة ليفتح بهم العالم كله ويجعلهم سادة البَشَر جميعًا ومستعبديهم. ولم يكونوا يعتقدون أنَّه سيجىء فى صورة إنسانٍ وديع متواضِع لا يُعادِى أَحَدًا ولا يعتدى على أَحَدٍ كما جاء مُخَلِّصنا. وقد كان هذا الاعتقاد الخاطئُ لَدَى اليهود هو الذى أراد مخلِّصنا أن يصحِّحه فى أذهان تلاميذه، ومنْ ثَمَّ وَجَّه إليهم سؤاله الذى كان يهدف إليه منذ البداية، قائلاً لهم «وأنتم مَن تَقولونَ إِنِّى أنا ؟». وعندئذ جاءت الإجابة الرائعة التى كان يريدها منهم، إذ قَالَ بطرس نيابة عنهم «أنتَ هو المسيحُ اللّهُ»، فبرهن بذلك على أَنَّ التلاميذ قد انكشَفَت لهم الحقيقة السَّمائية السَّامية التى ظلَّت خافية على سائر اليهود، وأدركوا أَنَّ هذا الإنسان البسيط الوديع المتواضِع هو المسيحُ ابن الله، وأنَّه هو اللّهُ ذاته لابسًا صورة إنسان. فَعَلى الرَّغم من أنه لم يسبق له أَن صَرَّحَ لهم بهذه الحقيقة، آمَنُوا بها مِمَّا سمعوه من تعاليمه، وما رأوه من معجزاته، وما تبيَّنوه طوال ملازمتهم له من كمالِهِ المطلَق الذى هو كمال الله وحده، ومن جَلَالِهِ الفائق الذى هو جلال الله وحده. بَيْد أَنَّ مخلِّصنا لم يشأْ أن تُذاعَ هذه الحقيقة فى نطاقٍ أوسع من نِطاق تلاميذه، قبل الموعد المحدَّد لذلك. لأنَّ البراهين التى كانت خليقة أن تُقنع الناسَ بها لم تكُن قد اكتملَت بعد،

ولم تكن لتكتمل إلا بموته وقيامته من بين الأموات وصعوده إلى السماء، ولم يَشَأْ أن تُذاعَ هذه الحقيقة فى مُحيطٍ واسعٍ لَمَا يترتَّب على إذاعتها من تعطيل الصليب، وبالتالى من تعطيل تدبير الفداء والخلاص كما سبق أن قُلْنا. ومِنْ ثَمَّ نهى تلاميذَه فى حَزْمٍ وانتهار عن أن يُصارِحُوا بتلك الحقيقة أَحَدًا قبل أن يحين الوقت الملائم لذلك.

ثم أوضح فادينا لتلاميذه أنَّ طريقهم وطريق كلِّ الذين سيؤمنون بِهِ وكلِّ الذين سيسعون إلى الخلاص بواسطته، ستكون مُغَطَّاة لا بالزُّهور والرَّياحين والمباهج والمسَرَّات، وإنما بالأشواك والعراقيل والصِّعاب وكلِّ ألوان العذاب. لأن العالم كله سيقوم ضدهم، مُعَاديًا لهم، ومعتديًا عليهم، ومُطَارِدًا إيَّاهم، وَمُدَّعيًا الأكاذيب فى حَقِّهم، وساعِيًا إلى تحطيمهم وهلاكهم. فأولئك الذين يتبعونه، مُنكرين ذواتهم، حاملين كلَّ يوم صليبه الذى يرمز إلى آلامه، صامدين أمام كلِّ الأهوال، مُجاهِرين ومُفَاخرين حتىَّ النَّفَس الأخير بالإيمان به وبتعاليمه، سيهلكون فى الأرض، ولكنهم بذلك يُبرهنون على أنَّهم أبرار فينالون الخَلاص فى السَّماء. أما أولئك الذين ينكرونه، أو يجحدونه، أو يتخلَّوْن عنه، أو يتخاذلون أمام المتاعب التى يواجهونها مِن أجلِهِ، أو يخزون من الاعتراف به وبتعاليمه، متشبثين بحياتهم الأرضية الفانية، ناجين بها من كلِّ خَطَر يتهدَّدها بسببه، فإنهم بذلك لا ينالون الخَلاص بواسطته، فيخسرون حياتهم السَّمائية الباقية. ومِنْ ثَمَّ يخرجون بصفقة خَاسرةٍ، لأنهم فى سبيل الحِرص على حياةٍ قصيرة - ولو ربحوا فيها العَالم كلَّه - سُرعان ما ستنتهى، سيفقدون الحياة الأبَديَّة التى لا تنتهى. لأنهم كما أنكروا ابن الله الذى اتَّخَذَ صورة الإنسان ونَزَل من السماءِ ليخلِّصهم، سينكرهم هو عندما يجيء ثانية للدَّينونة. وَمَنْ خزوا من الإيمان به وبتعاليمه، سيخزَى هو منهم فى ذلك اليوم لأنهم أثبتوا أنهم أشرار، ومِنْ ثَمَّ سيحكم عليهم الحكم الخليق بالأشرار وهو الهلاك. إذ قال مخلِّصُنَا لتلاميذه «مَنْ أرادَ أن يَتْبَعَنِي فليُنكِرْ ذاتَهُ ويَحْمِلْ صَليبَهُ كُلَّ يومٍ ويَتْبَعْنِي. لأَنَّ مَن أراد يُخلِّصُ حَياتَهُ يُهلِكُها، وَمَن أَهلكَ حياتَهُ من أجلى يُخَلِّصُها. لأنه ماذا يَستفِيدُ الإنسانُ لو أنه رَبحَ العالمَ كُلَّهُ وأَهلَكَ نَفْسَهُ أو خَسِرها؟

فإنَّ مَنْ خَزِى مِنّى ومِن كلامِى ، سَيخْزى منه ابَنُ الإنسانِ متى جاءَ فى مَجدِهِ ومجدِ أبيه وَملائِكَتِهِ القِدِّيسينَ » . ثُمَّ أَوضح مُخَلِّصُنا لتلاميذه أَنَّ ملكوت الله الذى تسود فيه شريعة الله على الأرض لن يتأخر حتى يوم الدينونة الذى حدَّثهم عنه . وإنما سَيَجِىءُ ذلك الملكوت بمجرَّد أن يستمع العالم إلى البشارة بمجىء مُخَلِّص العالم ويؤمن به . وسيكون ذلك فى وقت قريب حتى إنَّ بعض الحاضرين ممن كانوا يستمعون إليه عند ذاك سيشهدون مَلكوت الله ، إذ قال لهم « الحقَّ أقولُ لكم إنَّ بعضَ الحاضِرين هنا لن يذوقوا الموتَ حتى يَروا مَلكوتَ اللّهِ » .

٩ : ٢٨ - ٣٦

وبعد هذا الكلام الذى وجَّهه مخلِّصنا إلى تلاميذه بنحو ثمانية أيام ، أخذ معه ثلاثة من تلاميذه الأقربين ، وهم بطرس ويعقوب ويوحنَّا ، وصعد إلى الجبل ليُصَلِّى . وقد كان معلِّمنا كما رأينا يصلى دائمًا . بَيْدَ أنه كان يُصَلِّى على الخصوص حِين يشرع فى عمل خطير جليل . وقد كان يزمع فى هذه المرَّة أن يُتيح لتلاميذه أن يروا لمحة من مجده الإلهىِّ العِلىِّ المتوارى خلف جسده الإنسانى المتواضع ، ليتوطَّد إيمانهم به وبحقيقة شخصيته ، وليكون فى هذه اللمحة قَبسٌ من مجده العظيم الذى سيأتى به فى مجيئه الثانى الذى سبق له أن كلَّمهم عنه فى حديثه الأخير إليهم . ففيما كان يُصَلِّى تَغَيَّرَ مَنْظَرُ وَجْهِهِ الإنسانى الجسدىِّ ، متَّخذًا صورته الإِلهيَّة النورانية . وصارت ثِيابُهُ بَيضاءَ متألقَةَ كالبرقِ . فأصبحت هيئته كلُّها نورًا فى نور . وإذا رَجُلان يُخاطِبانِهِ ، وهُما النَّبِيَّان العظيمان موسى وإيليَّا ، اللذان إذ رأيا ربَّهما متجليًا فى طبيعته الإلهية أسرعا إليه يقدِّمان له فروض الإجلال والولاء . وقد تَراءيا فى مجدٍ هو المجد الروحانى المتلألئ بالضياء الذى يتَسَرْبَل به الأبرار والقدِّيسون فى السماءِ . وكانا يتكلَّمان عن انطلاقِهِ الذى كان مزمعًا أن يتمِّمه فى أورشليم ، منتقلاً من الموت إلى الحياة . ثم صاعِدًا من الأرض إلى السَّماءِ . إذ كان هذا هو الحَدَث الجليل الذى يتمّ به التدبير الإلهى الأزلىّ ، والذى يفرح بإتمامه كل أهل السَّماء . أما بطرس والتلميذان الآخَران اللذان كانا معه ، فقد كانوا حين حَدَث هذا مُثَقَّلِينَ بالنوم .

فلمّا أفاقوا رأوا مجد معلّمهم، ورأوا الرَّجُلين اللذين كانا واقِفَين معه. وفيما هما منصرفان عنه. قال بطرس لمخلِّصِنا «يا مُعَلِّمُ جَميلٌ أن نكونَ هُنا. فَلْنَصْنَعْ ثَلاثَ مَظالَّ: واحِدَةً لَكَ، وواحِدَةً لموسى، وواحِدَةً لإيليَّا». إذ أنه من فرط ذهوله وانبهاره من المنظر الرائع الذى رآه لم يكن يعى ما يقول. لأَن مخلِّصنا وهو فى هيئته الإلهية لم يكن محتاجًا لمظلَّة يقيم تحتها، ولا كان يحتاج لمثْل هذه المظلَّة موسى وإيليا وهما فى عالم الأرواح. ولكنَّ بطرس إذ بهره سِحْر المكان الذى كان عند ذاك متألِّقًا بالأنوار السماوية وَدَّ أن يقيم إلى الأَبَد فى ذلك المكان، مع مُعَلِّمه والنبيين اللذين كانا يخاطبانه. وبينما كان بطرس يقول ذلك، إذا سحابة ظَهَرت وغَطَّته هو والتلميذَين الآخَرين، فخافوا وهمَ يدخُلونَ فى السَّحابةِ، لأنها لم تَكُنْ سحابة عاديَّة من سحاب الأرض، وإنما هى سحابة نوارنيَّة متألِّقة الضياء باهرة البهاء، كان ظهورها هو العلامة الظاهرة لوجود الله فى ذلك المكان. وقد طالما ظَهَرَتْ هذه السَّحَابة لبنى إسرائيل حين كانوا فى صحراء سيناء كعلامة لوجود الله بينهم، ولا سيَّما فى خيمة الاجتماع التى كانت هى معبدهم وهيكلهم، فكانوا يَرْهَبُون هذه السحابة ويهابونها، إذ جاء مَثَلاً فى سِفْر الخروج «ثُمَّ غطّت السحابة خيمة الاجتماع وملأ بهاءُ الرَّبِّ المسكن، فلم يقدر موسى أن يدخل» (الخروج ٤٠ : ٣٤ و ٣٥). كما جاء فى سِفْر أخبار الأيام أنَّه عندما أَتمَّ الملك سليمان بناء هيكل أورشليم حَدَث أَنَّ «بيت الربِّ امتلأ سحابًا، ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب، لأنَّ مجدَ الربِّ ملأ بيت الله» (أخبار الأيام الثانى ٥ : ١٣ و ١٤). وفيما كانت السحابة تغطى التلاميذ كعلامة لوجود الله، إذا صوت من السحابة يقول «هذا هو ابنِي الذى اخْترتُه، فَلَه اسمعُوا». وكان هذا هو صوت الله الآب يُعْلِنَ أنَّ مخلِّصنا هو ابنه الذى اختاره ليقوم بفداء البشر، تكفيرًا عن خطاياهم. وبما أنَّه هو ابن الله وهو الله ذاته متجسِّدًا، فليسمع له التلاميذ وليسمع له البَشَر جميعًا ويطيعوه فيما يقول، طاعتهم لله الآب ذاته. وقد أراد الله الآب أن يسمع التلاميذ هذه الشهادة بآذانهم عن ابنه ليتوطَّد إيمانهم به. وقد أشار مُخلِّصُنا إلى هذه الشهادة وهو يُعَلِّم، إذ قال إنَّ «الآب نفسه الذى أرسلنى هو الذى شهد

لى » (يوحنا ٥ : ٣٧). وحين مَضَى ذلك الصوت الإلهى رأى التلاميذ معلِّمهم وَحْدَهُ، فلزموا الصَّمْتَ، ولم يُخبِروا أَحَدًا فى تِلكَ الأيام بِشيءٍ مما رأوا، لأَنَّ أَحَدًا لم يكن ليصدِّق حينئذٍ ما يقولونه إذا أخبروا بما رأوا. ولم يكن أَحَد ليصِّدق ذلك عن مخلِّصنا إلا حين تكتمل البراهين على حقيقة شخصيته حين يقتله اليهود، ثم يموت، ثم يقوم فى اليوم الثالث من بين الأموات ويصعد إلى السماء.

٩ : ٣٧ - ٤٨

وفى اليوم التالى، بعد ذلك التجلِّى الذى تراءى فيه مخلِّصنا أمام تلاميذه فى هيئته الإلهية وأضاء كالشَّمس فى حلكة الظلام، إذ نزلوا من الجبل، استقبله جَمْع عظيم مع باقى تلاميذه. وإذا رجل من الجَمْع صرخ قائلاً « يا مُعلِّم أتضرَّع إليك أَن تنظر إلى ابنى، فإنَّه وَحيدى، وإنَّ روحًا يَتملَّكُهُ فيصرخُ بغتةً ويهزّهُ بِعُنفٍ وَيَصْرَعُهُ فَيرتَمى وهو يُزبِدُ، ثم لا يُغادِرُهُ إلا بالجُهدِ، مُرَضِّضًا إياه. وقد طَلَبتُ من تلاميذِكَ أن يَطَردوهُ فلم يَستطيعوا ». فأَجاب مخلِّصنا وقال « أيها الجيلُ غيرُ المؤمنِ والمْلتَوِى، حَتَّى مَتَى أَكونُ مَعَكُم وأحتَمِلُكُم ؟ ». فإنَّ التلاميذ لم يستطيعوا إخراج الشيطان من الصَّبِىِّ لِعَدَمِ رسوخ إيمانِهم بَعْدُ بِهِ الرُّسوخ الكافى لأن ينجحوا حين يغيب عنهم فى أن يستخدموا بأنفسهم السُّلطان الذى منحه إياهم. كما أَنَّ بعض فَشَلِهِم فى ذلك يرجع إلى عَدَم إيمان الجمْع الذى كان محيطًا بهم. ومِنْ ثَمَّ غَضِب مُخَلِّصُنا من أولئك وهؤلاء، لأنه كان يوشك أن يتركهم بعد زمن وجيز لينطلق إلى السَّماءِ. فَكَانَ على تلاميذه أن يكتمل إيمانهم به قبل أن يصعد عنهم ليواصلوا رسالته، معزِّزين ذلك باستخدام القُدْرَةِ التى أَفَاضَها عليهم فيصنعوا المعجزات التى يصنعها هو. كما أنَّه كان ينبغى أَن يكتمل إيمان سائر اليهود من أهل ذلك الجيلِ به، بعد ما سمعوه من تعاليمه وما رأوه مِن معجزاته، وبعد ما احتملَ من غباوتهم وغلظة قلوبهم وعَمَى أبصارِهم وبصائرهم، ثم التفت إلى الرَّجُلِ الذى تَوَسَّل إليه أن يُخرج الشيطان من وحيده، وقال له « أَحضِرْ لى ابنَكَ هُنا ». ففيما هو يتقدم إليه صَرَعَه الشيطان وهو يَهزُّه بِعُنْفٍ. فانتهر مُخلِّصُنَا ذلك الرُّوح النَّجِسَ فأذعَنَ على

الفَوْرِ وانطلَقَ هاربًا. ومِنْ ثَمَّ بَرِئَ الصَّبِيُّ مِمَّا كانَ يُسَبِّبه له من نَوْبات صَرْعٍ عنيفة، فَسَلَّمهُ مُخَلِّصُنَا إلى أبيه سليمًا مُعَافًى. فَذُهِل الجَمْعُ من عَظَمَةِ اللَّهِ التى تجلَّت فى قُدْرَةِ مخلِّصِنَا، وقد بَهَرَتهم تلك القُدرة التى لا يمكن أن تكون إلا قدرة الله وحده.

وفيما كان الحاضرون كُلُّهم يتعجبون من ذلك الذى فعله مُخَلِّصُنَا ومِنْ كلِّ ما فَعَلَ مِنْ قَبْلُ أمامهم من معجزات، عَلِمَ هُوَ بما راوَدَ تلاميذه فى تلك اللحظة من ازدهاء بقُدْرة مُعلِّمهم، ومِنْ آمالٍ كانوا لا يزالون يعقدونها على ذلك السلطان الذى أظهره، وهُم لا يزالون - على الرَّغم مِن كلِّ ما سبق أن قاله لَهُم - يعتقدون أنَّه سيقيم مملكة أرضيَّة يكونون فيها هم العُظماء والكُبَراء، ومِنْ ثَمَّ فإنَّه كى يصحِّح مَرَّةً أُخرى هذا الفهم الخاطئَ فى أذهانهم قال لَهُمْ «أمَّا أنتم فأوْدِعوا هذا القَوْلَ فى أذهانِكم : إنَّ ابنَ الإنسانِ سوفَ يُسَلَّم إلى أيدِى النّاس». وكان مِنْ قَبْلُ قد أوضَح لَهُم أنَّ أولئك النَّاس الذين سَيُسَلَّم إليهم سيقتلونه. فلا ينبغى للتلاميذ أن يستمروا فى الاستسلام لأوهامهم الكاذبة عن مَلَكوتِهِ الأَرضىِّ. ولكنهم مع ذلك لم يفهموا قوله، وكانت تلك الأوهام التى تسيطر على عقولهم، تُخْفى مَعْنى ذلك القول عنهم فَتَحُولُ بينهم وبَيْنَ أن يفهموه - بَيْدَ أنَّهم تهيَّبوا أن يسألوه عنه، خشْيَة أن يكونوا قد أساءوا الفهم فيوبِّخهم مَرَّة أُخرَى، بعد أن وبَّخهم منذ قليل على عَدَمِ إيمانهم.

غير أنَّ التلاميذ تمسَّكوا مع كلِّ ذلك باعتقادِهم أنَّ مُعَلِّمَهُمْ سيكون مَلِكًا أرضيًّا وسيقيم مملكة أرضية، ومِنْ ثَمَّ خَامَرَهُم الفِكْرُ فيمَن عَسىَ أن يكون هو الأعظم بينهم فى تلك المملكة. فَعِلمَ مُعلِّمنا فِكْر قلوبهم، وإذ أراد أن يصحِّح تفكيرهم الخاطِئَ فيما يتعلَّق بمملكتِهِ، وفيما يتعلَّق بمفهوم العَظَمَةِ ذاتها، ليُدركوا معنى العظمة الحقيقية، التى كانوا وكانَ البَشَر جميعًا فى ذلك الحين يسيئون فَهْمها ويعتبرونها تَكْمُن فى الثروة والجاه والمنصب والسلطان، وأخَذَ طِفلاً وأقَامَه بَيْنَهُمْ، ليكون تعليمه لهم بوسيلة حسيّة ملموسة يستطيعون بعقولهم البسيطة أن يفهموها وقال لَهُم «إنَّ مَنْ يَقْبَلُ هذا الطِّفلَ باسمِى فقد قَبِلَنى، وَمَنْ قَبِلَنى فقد قَبِل الذى

أرسَلَنى، لأَنَّ الأصغرَ بينكم جَميعًا سيكونُ هو الأعظم فيكُم». أى أنَّ العظيم هو الذى يتَّصِف ببساطة الأطفال ووداعتهم وتَواضعهم، وهو الذى بهذِه المميِّزات الرُّوحيَّة السَّمَاويَّة، لا بالثروة أو الجاه أو المناصب أو السلطان أو غير ذلك من الميزات الماديَّة الدنيويَّة، خليق بأن يؤمِن بمخلِّصنا ابن الله، ومِنْ ثَمَّ يؤمن بالله الآب الذى أرسَله لخلاص العالَم. لأنَّ الأكثر بساطة ووداعة وتواضعًا بحيث يبدو هو الأصغر بين الناس فى هذه الحياة الدنيا على الأرض، هو الذى سيكون الأعظم فى الحياة الأبدية فى ملكوت السماء.

٩ : ٤٩ و ٥٠

وقال يُوحَنَّا أَحَد تلاميذ مُخَلِّصِنَا «يا مُعَلِّم رأينا واحدًا يطردُ الشَّياطينَ باسمِكَ فمنعناه، لأنه غيرُ تابعٍ لنا». وقد اعتقد يُوحنَّا أنَّه هو وسائر التلاميذ قد أحسنوا بذلك صُنْعًا، لأنَّ ذلك الذى كان يطرد الشياطين باسم مُعلِّمهم لم يكُن من تلاميذه القريبين إليه، الملازمين له. فَبَرْهَنَ يوحَنَّا بذلك وبَرْهن التلاميذ جميعًا على أنهم ظنُّوا أنهم احتكروا لأنفسهم امتيازات الإيمان بمعلِّمهم، وما تتضمَّنه هذه الامتيازات من سلطان لا يصحُّ أن يكون لأحَدٍ غيرهم وإن كان مُؤمنًا بمعلِّمهم إيمانًا راسخًا يتمكَّن به من إخراج الشياطين باسمِهِ. ومنْ ثَمَّ بَرْهَنَ التلاميذ بذلك على أنهم لا يزالون – على الرَّغم من كلِّ تعليم مخلِّصنا لهم – يتطلَّعون إلى الأمجاد الدنيوية، معتبرين أنفسهم هم وحدهم أصحاب الحقِّ فى المناصِبِ العُلْيَا التى يؤهِّلهم لها اختياره إيَّاهم ليلازموه ويتتلمذوا عليه. ومِنْ ثَمَّ صحَّح لَهُم هذا الفهم الخاطئ، قائلاً لهم «لا تَمنعوه، لِأنه ليس ضِدَّكم، ومَنْ ليس ضِدَّكمَ فهو مَعَكُم»، أى أنه ما دام ذلك الرَّجُل قد آمَنَ بِهِ، كما آمنوا هم به، وكان إيمانُه من القوَّةِ بحيثُ استطاع أن يُخرجَ الشياطين باسمِهِ كما كانوا يفعلون هُم، فليعتبروه واحِدًا منهم، وإنْ لم يكُن تلميذًا له مِثلهم، أو مُلازمًا له معهم. فإنه ما دام لم يعمل ضدّه أو ضدّهم، فهو معه ومعهم، وقد أعطاه إيمانه به الحقَّ فى رعويَّة ملكوته السماوىّ.

٩ : ٥١ - ٥٩

وعندما حان الوقت الذى حدّده التدبير الإلهىّ، والذى كان يعرفه فادينا معرفة كاملة ودقيقة، لارتفاعه من الأرض إلى السماء التى جاء منها. وإذ كان يعلَم أنَّ ذلك سيحدث فى أورشليم، اعتزم المضىّ إلى تلك المدينة ليتمِّم ذلك التدبير الإلهىّ، الذى كان يتضمَّن أن يقبض اليهود عليه ويهزأوا به ثم يقتلوه على خشبة الصليب. ومع ذلك لم يتراجع أو يتردّد، وإنما تقدَّم بنفسه وبمحض إرادته، وبكامل اختياره لينجز عمل الفداء الذى ارتضاه من أجل خلاص البشَر. وإذ كانت تقع فى طريقه إلى أورشليم قرية من قُرَى السامِريِّين، أرسَلَ رسلاً أمامه إلى أهلها ليعدّوا له مكانًا يستريح فيه. ولكنَّ السامريين هناك لم يقبلوه ضيفًا عليهم، بل إنهم لم يقبلوا حتى أن يَمُرَّ فى قريتهم، لأنه كان متجهًا إلى أورشليم التى كانوا يعادون أهلها وكان أهلها يعادونهم. وقد رأى تلاميذه أنَّ فى ذلك إهانة لمعلِّمهم الذى كان الجميع يستقبلونه بالترحاب فى كلِّ مكان، فغضبوا أشدَّ الغضب، وقال له تلميذاه يعقوب ويوحنا «ياربُّ أَتريدُ أن نَطلُبَ أن تَنزِلَ نارٌ مِنَ السَّماءِ فَتَحرِقَهم كما فَعَلَ إيليّا؟». وقد كان هو قادرًا أن يفعل هذا. وكان تلاميذه قادرين أَيضًا أَنْ يفعلوه بمقتضى السلطان الذى وَهَبَه إيَّاهم. بَيْدَ أَنَّ مخلِّصنا - على الرغم من أَنَّ تلميذَيه اللذين قالا ذلك، إنَّما قالاه غيرَةً منهما على كرامته - استاء من قولهما، وانتهرهما، قائلاً لهما «لستُما تَعْلَمانِ مِنْ أىِّ روحٍ أنتُما»، أَىْ أنَّه ما زال يكْمُن فى روحِكُما من الشَّرِّ ما لستما تعلمانه، ذلك الشر الذى ظل طوال مكوثه مع تلاميذه يسعى جاهدًا لانتزاعه من أرواحهم بتعاليمه السمائية السامية عن المحبة والتسامح والغفران. ولئن كان إيليَّا قد أنزل نارًا من السماء لتحرق الخطاة، فقد كان ذلك فى العهد القديم، لا فى العهد الجديد الذى جاء به هو، عهد النعمة والسلام. وقد أوضح ذلك لتلميذيه الحانقين قائلاً «إنَّ ابنَ الإنسانِ لم يَأتِ ليهُلِكَ نفوسَ النّاس، بل لِيُحْيِيها». فقد كان هذا هو جوهر رسالته التى جاء من أجلها إلى العالَم. بل لقد كان هذا هو الهدف الذى من أجله ارتضى أن يضحى بنفسه

ذبيحةً على الصليب. وقد طالما أوضح ذلك لتلاميذه، فكيف تخطر فى بال تلميذيه هذين تلك الفكرة الشِّريرة التى تنطوى على الرغبة فى الانتقام، والتى تناقض رسالته وتناقض هدفه، كما تناقض كلَّ التعاليم التى سمعاها منه وكان ينبغى أن يعملا بها ويُعامِلا الناس على أساسها، ثم يعلِّماها للناس من بعده. وهكذا أَعْطَى مُخَلِّصنا نَفْسَهُ مَثَلًا حيًّا للكمال الذى ينادِى به ويدعو الناس إلى سلوك سبيله. وَبَرْهَنَ على أنه يعمل بما يقول، ويقول بما يعمل. وَمِنْ ثَمَّ غَفَر لأهل تلك القرية السامريَّة إهانتهم له، ومَضَى فى هدوء مع تلاميذه إلى قرية أُخْرَى للسَّامريين كان أهلُها أقل تعصُّبًا وأكثر أَدَبًا، فَقَبلُوا أن يَمُرَّ فى قريتهم ويبقى بعض الوقت عندهم.

٩ : ٥٧ - ٦٢

وفيما كان فادينا سائرًا مع تلاميذه فى الطريق قال له واحد «ياربُّ أتبعك أيْنَما تَمْض». وقد علِم فادينا أَنَّ هذا الرَّجُل - الذى نعلَم من الإنجيل للقديس متَّى أنه كَانَ من الكتَبَة الذين هُم من عُلَماء الشريعة اليهودية. لم يكُن مُخلِصًا فى رغبَتِه التى أبداها. إذ كان قد رأى ما صنعه الفادى من معجزات. ورأى التفاف الناس حوله وتعلُّقهم به. فاعتقد أنه سيجنى من ذلك مالاً وفيرًا وسيكون له مركز ممتاز فى المملكة. وَمِنْ ثَمَّ اعتقَد أنه لوتبِعَه فسيكون له نصيب من ذلك المال، وسينال مغانم كثيرة مِمَّا سيكون له من ذلك المركز. ومِنْ ثَمَّ أجابه فادينا قائلاً «إنَّ للثعالب أوجِرةً ولِطيورِ السَّماءِ أوكارًا. وأمَّا ابنُ الإنسان فليس له موضعٌ يُسنِدُ إليه رأسَهُ». أى أنَّنى فقير أشدّ الفقر فلا تطمع منى فى شىء ممَّا تطمع فيه، ولا تتطلَّع إلى شىء مِمَّا تتطلَّع إليه. وقد كان هذا القولُ كفيلاً بأن يصرف ذلك الرَّجُلَ عنه، وقد خابَ أَمَلُهُ فيما كَانَ يطمع فيه ويتطلَّع إليه. بَيْدَ أنَّ هذا القول يدلُّ على الدرجة التى اختارها مخلِّصنا من درجات الفقر، حتَّى إنَّه لم يكن يملك مجرَّد كوخ متواضع يبيت فيه. كما لم يكُن له فى المجتمع اليهودىّ أىّ منصب من المناصب ذات المركز الرفيع، كأن يكون رئيسًا للكهنة أو عضوًا فى مجلس السنهدريم. وإنَّما ظلَّ اليهود - على الرغم من كلِّ تعاليمه ومعجزاته - يعيِّرونه بأنه نجَّار. وهكذا شاعت

الحكمة الإلهيَّة أن يجيء المسيح مخلِّص العالمَ فقيرًا فى المال، متواضعًا فى المركز الاجتماعى. وذلك لكى يقتلع جذور تلك المفاهيم التى رسَخت فى عقولِ النَّاسِ من أنَّ أهمَّ ما فى الحياة هو المال والمركز. فقد أدّت هذه المفاهيم بالناس إلى الانحطاط من حياة الرُّوح إلى حياة المادَّة، والابتعاد عن الجوهر السَّامى فى الإنسان إلى الجوهر الدنئ. ومِنْ ثَمَّ فَقَدُوا الإنسان الذى فى كيانهم واستبقوا الحيوان الكائن فى ذلك الكيان. فكان هذا هو سبب مأساتهم. وإذ كانت رسالة مخلِّصنا هى أن ينقل الناسَ من عالمَ المادة إلى عالمَ الروح، ومن مملكة الأرض إلى ملكوت السماء، أثبتَ لهم بالمَثَل الذى ضربه بذاته، أنَّ الثراء ليس ثراء المال وإنما ثراء النفس. وأنَّ المركز الدنيوىّ لا يصحُّ أن يكون هَدَفًا لَهُمْ، لأنه وَهْمٌ زائل، وإنما يجب أن يكون هدفهم هو المركز السماوىّ، لأنه حقيقة خالدة. كما أثبت لهم - باشتغاله نجّارًا قبل أن يبدأ رسالته التعليمية - أنَّ العَمَل مهما كان متواضعًا لا يصحّ أن يكون موضع الازدراء أو الاستهانة ما دام عملاً شريفًا، بل يجب أن يكون موضع الاحترام والتكريم. وإنما الذى يستحقُّ الازدراء والاستهانة هو الإنسان الذى يعمل عملاً غير شريف مهما كان مركزه رفيعًا، أو الذى لا يعمل على الإطلاق مستغلاًّ عَمَل الآخَرين من العبيد والتابعين، ظالِمًا إياهم، آثمًا فى حقهم، مغتصبًا ثَمَرة جُهدهم وجهادهم.

ولئن رَفَض مُعَلِّمنا أن يتبعه ذلك الرجُل الذى لم يكُن أهلاً لأن يكون تلميذًا له، لقد فَعَلَ العكس بالنسبة لرجل آخر اختاره هو لأن يكون تلميذًا له، إذ رآه بحكمته الإلهيَّة أهلاً لذلك، فقال له «اتبعنى». فقال الرَّجُل «ياربُّ ائْذَنْ لى أوّلاً أن أذهَبَ لأدفِنَ أبى»، ربما لأن أباه كان قد مات بالفِعل وهو يريد أن يدفنه، أو لأنه كان شيخًا وهو يريد أن يظلَّ بجانبه يخدمه فى شيخوخته حتى يموت ويدفنه. وما من شك فى أنَّ هذا شعور نبيل من الرَّجُل نحو أبيه بَيْدَ أنَّ الربَّ يسوع أوضح له أنَّ الرِّسالة التى اختاره لأدائها أكثر نُبلاً، لأنهَّا تتعلَّق بخدمة الآب السَّماوىِّ، التى ينبغى أن يقدِّمها على أىِّ خدمة أخرى ولو كانت لأبيه الأرضىّ، ومِنْ ثمَّ قال له «دَعِ المَوْتَى يَدْفِنونَ مَوْتاهُم، وأمَّا أنتَ فاذهَبْ وبَشِّرْ بملكوتِ

اللّهِ»، أى دع الموتى بالروح يدفنون الموتى بالجسد، أو بعبارة أخرى، دع أهل الأرض ذوى الاهتمامات الأرضية الذِين هُم فى حُكم المَوْتَى يدفنون مَوْتاهُم بالجَسَد. وأما الاهتمامات السَّماوية الَّتى من أَهمِّها التبشير بملكوت الله، والتى تؤدى إلى الحياة الأبدية، فتتطلَّب ممن يختارهم مخلِّصنا أن يكرّسوا كلَّ حياتهم لها، وينقطعوا انقطاعًا كاملاً لأدائها، مهما بذلوا فى سبيل ذلك من تضحيات.

وقال له رَجُلٌ آخَر أيضًا «ياربُّ سَأَتبعُكَ، ولكن ائذَنْ لى أن أَذهَبَ أَوَّلاً كى أُودِّعَ أهلَ بَيْتى». وقد كان ذلك ينطوى على شعور نبيل من الرَّجُل نحو أُسْرَتِهِ. بَيْدَ أَنَّ مخلِّصنا أوضح له أيضًا أَنَّ الرسالة التى سيوضع على عاتقه أداؤها إِذا تبعه، أكثر نبلاً. لأنَّ الذى اختار خدمة السَّماء ينبغى أن يترك فى سبيلها كلَّ خدمات الأرض، فى ثبات وتصميم وحَسْمٍ، وبغير تزعزُعٍ أو تَرَدُّد أو ارتداد، تاركًا الأرض خلفه، واضعًا السماء نصب عينيه، وإلا جَذَبَتْه الأرضُ فأبعدته عن السماء، وجعلته غير قادر على الوصول إليها وغير جدير بأن يكون من أبنائها، إذ قال مخلِّصُنَا لذلك الرَّجُل «ما مِن أَحَدٍ يَضَع يَدَه على المِحراثِ ويَنظُرُ إلى الوراء يكونُ أهلاً لملكوتِ الله».

الفصل العاشر

١٠ : ١ - ١٦

وبعد ذلك عَيَّنَ الرَّبُّ سبعين رسولاً آخرين، مِنَ الذين آمَنُوا بِهِ إيمانًا صادقًا وعميقًا. وكما شاءت حكمته أن يُعيِّنَ تلاميذه الاثنى عشر بعدد أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر (سفر العدد ٢٦)، شاءت حكمته كذلك أن يكون أولئك الرُّسل الذين عيَّنَهم بعد ذلك سبعين، بعدد السبعين شيخًا الذين أَمَرَ الله مُوسَى النبيَّ بتعيينهم ليعاونوه فى إدارة شئون بنى إسرائيل (سفر العدد ١١ : ١٦ و١٧). وذلك لأنَّ أشخاص العهد القديم لم يكونوا إلَّا رموزًا لأشخاص العهد الجديد.

وإذ كان مخلِّصنا مُزمعًا الذَّهاب إلى عَدَدٍ من مدن فلسطين ومواضعها لينادى فيها بتعاليمه، أَرْسَلَ قَبْلَهَ أولئك السبعين إلى كلِّ تلك المدن والمواضع ليهيِّئوا أذهان أهلها لمجيئه إليهم، ولتعاليمه التى سينادِى بها بينهم. وقد أَرسلهم اثنين اثنين، ليعاون كلٌّ منهما الآخر إذا احتاج إلى معاونة، وليدفع عنه الأذى إذا هدَّده أىُّ أذًى، وليعود ليشهد بما حَدَث له إذا دَهَمه أىُّ حادِثٍ مَنَعَهُ من العَوْدة.

وقد زوَّد مُخَلِّصُنا أولئك الرُّسُل بتعاليمه ووصاياه وإرشاداته، كى ينجحوا فى أداء رسالتهم، ويؤدوها على أكمل وجه يليق برُسُل المسيح وخُدَّامه الذين ينبغى أن يكونوا كاملين، وليضربوا بأنفسهم المَثَل للَّذين أرسلهم إليهم على الإيمان به والعَمَل بما ينادون به بينهم من التعاليم التى هى تعاليمه. فقال لهم «إنَّ الحَصَادَ كَثيرٌ وأمَّا العُمَّالُ فَقَليلونَ، فاضرَعوا إلى رَبِّ الحَصادِ أن يُرْسِل عُمَّالاً لِحَصادِهِ». أى أنَّ المحتاجين للخلاص والراغبين فيه من الناس كثيرون. وأمَّا الخُدَّام المؤمنون الصَّادِقون الصالحون لخدمتهم والقادرون على أن يقودوهم فى السبيل إلى هذا الخلاص الذى جاء به مخلِّصنا فما زالوا قليلين. فليداوم الرُّسُل على الصلاة وهم ذاهبون لأداء خدمتهم التعليمية التى كلَّفهم بها، ضارعين إلى الله ربِّ الناس جميعًا أن يجعلهم قادرين على جذب عددٍ كبير من المؤمنين الصَّادِقين الصَّالِحين مثلهم لأَنْ يكونوا خُدَّامًا لكلمته، ولأن يقودوا إلى الخلاص أولئك المحتاجين للخلاص والراغبين فيه. ثم قالَ لَهُم «اذهَبوا. ها أناذا أُرسِلُكم كَحُمْلانِ بينَ ذِئاب». إذ كان يعلم – له المجد – أنَّ أولئك الرُّسُل الذين يُشبهون الحُملانَ فى وداعتهم وتواضعهم ومسالمتهم، والذين دَرَّبَهم هو على أن يكونوا كذلك، وأوصاهم بأن يظلُّوا كذلك، ليكونوا جديرين بأن يكونوا رُسُلاً له ومتكلِّمين باسمه ومنادين بكلمته، سيجدون أنفسهم أينما ذهبوا، بين أُناسٍ يُشبهون الذِئابَ فى شَراسَتهم وشَكاسَتهم وغدرهم ومكرهم وشرِّهم ووحشيتهم، وأنَّ هؤلاء لن يَفتأوا حين يرونهم يَعْوون عليهم كما تَعوِى الذئاب على فرائسها، ويَنقَضُّون عليهم وينهشونهم بأنيابهم كما تنقضُّ الذِئاب على فرائسها وتنهشها بأنيابها ويعملون على الفتك بهم وافتراسهم كما تفتك الذئاب بفرائسها وتفترسها. فليتوقَّع الرسل ذلك، وليوطِّنوا

أنفسهم على احتماله، وليتذرَّعوا بالحكمة فيما يقولون ويفعلون على مقتضى تعاليمه ووصاياه وإرشاداته، لينجوا من كلِّ شرٍّ، ولينجحوا فى أداء رسالتهم التى أرسلهم لأدائها.

وإذ كانت رحلتهم فى هذه المرَّة قصيرة الأمد لا تستغرق إلا زمنًا وجيزًا، أوصاهم قائلاً «لا تَحمِلوا كِيسًا ولا حَقيبَة زَادٍ ولا حِذاءً»، لأنهم لن يحتاجوا إلى مال يضعونه فى أكياسهم، ولا إلى زاد يملأون به حقائبهم، ولا إلى حذاء جديد غير الحذاء الذى فى أقدامهم. وإذ كان ينبغى أن يُسْرِعوا ما أمكنهم ذلك فى إنجاز رسالتهم، أوصاهم بألاَّ يعوقهم عائق فى الطريق مهما كان عن الانطلاق رأسًا إلى حيث أرسلهم، فقال لهم «ولا تُسَلِّموا فى الطَّريقِ على أَحَدٍ»، لا لأنه أرادهم أن يمتنعوا عن القيام بهذا الواجب الاجتماعى الكريم، وإنما لأنهم لو ظَلُّوا فى الطريق يسلّمون على كلِّ مَن يصادفونه، فسيستغرقون فى ذلك وقتًا طويلاً يشغلهم عن غايتهم ويؤخرهم عن بلوغها فى أسرع وقت، ولا سيّما أنَّ من عادة اليهود والشرقيين عمومًا أن يطيلوا وقوفهم للتسليم بعضهم على بعض، ويقضوا فى تبادل عبارات التحية والمجاملة وقتًا طويلاً. فإن كان هذا الواجب الاجتماعى – مهما بلغ من نُبله – يعوق الرُسُلَ عن أداء واجبهم السماوىّ فى خدمة معلِّمهم الإلهى، فليتجنَّبوه، لأنَّ الواجب نحو الله مقدَّم على الواجب نحو الناس.

وقد أرشدهم إلى السُلوك الذى ينبغى أن يَسْلُكوه فى كلِّ مكانٍ يذهبون إليه، قائلاً لهم «أَىُّ بَيتٍ دَخَلْتُمُوهُ فَقولوا أوّلاً : السَّلامُ على هذا البيتِ. فإن كانَ هُناكَ ابنُ السَّلام فسلامُكم يَحِلُّ عليه، وإلاَّ يرتدَّ إليكم. وأَقيموا فى ذَلِكَ البيتِ آكِلينَ وشارِبينَ مِمَّا لديهم، لأَنَّ العامِلَ مُستَحِقٌّ أُجرَتَهُ. لا تَنتَقِلوا من بيتٍ إلى بيتٍ. وأيةُ مَدينةٍ دَخَلْتُموها وقَبلوكم، فكُلُوا مما يُقَدَّم إليكم، واشفُوا الذَّين فيها من المَرْضَى، وقولوا لَهم قد اقتربَ مِنكم ملكوتُ اللَّهِ». فبينما أَوصاهم بألاَّ يُسَلِّموا على أحد فى الطريق لئلاَّ يتأخروا عن أداء رسالتهم التى أرسلهم من أجلها، عاد فأوصاهم بأن يُسَلِّموا على أهل أى بيت يدخلونه، لأنهم بذلك يكونون قد بدأوا البدء اللائق فى أداء رسالتهم ذاتها. إذ أنَّ إلقاء السلام كما أنه واجب أدبى، هو واجب دينى، لأنه

دعوة إلى السّلام الذى هو غاية العهد الجديد. كما أنهم بهذا السلام الذى يلقونه على أهل البيت يمكنهم أن يتبيَّنوا ما إذا كان أهل ذلك البيت مستعدين لقبولهم وقبول رسالتهم، وعندئذ يكونون أهلاً للسلام الذى ألقوه عليهم وطلبوه لهم. ومِنْ ثَمَّ فليقيموا بينهم، وليبلغوهم رسالتهم. فإذا لم يَقْبَل أهلُ البيت سلامهم، تبيَّنوا من ذلك أنهم لن يَقْبَلُوهم أو يَقْبلُوا رسالَتَهُم. وعندئذ فلينصرفوا عنهم، مستبقين سلامهم لأنفسهم، ما دام أهل البيت قد رفضوا ذلك السلام الذى ألقوه عليهم وطلبوه لهم. فإذا أقاموا فى البيت الذى قَبِلهم أَهْلُهُ فليأكلوا وليشربوا مِمَّا لديهم، سواء أَكان قليلاً أو كثيرًا، وسواء أَكان رديئًا أو جيِّدًا، قانعين به، غير متطلعين إلى غيره من ألوان الطعام والشراب التى اعتاد الناس تقديمها للضيوف الأغراب، وفى نفس الوقت لا ينبغى أن يخجلوا من تَنَاوُلِ مَا لَدَى أَهْلِ البَيْتِ مما يأكلون ويشربون كأنهم متَسوِّلون يتَسوَّلونه، أو متطفِّلون يتناولون ما ليس لهم، لأنهم يقدِّمون لأهل البيت طعامًا روحيًا يفوق فى قيمته بغير قياس ذلك الطعام المادىّ الذى يقدّمه أهل البيت إليهم، فهم يخدمون كلمة الله، وهم يستحقون نظير هذه الخدمة أجرًا عظيمًا لا أقل من أن يكون لقمة خبز يأكلونها، أو جرعة ماء يشربونها. وليمكثوا فى ذلك البيت الذى قَبِلهم أهله، فلا يروحوا يتنقلون من بيت إلى بيت، لِئلاَّ يثير تنقلهم شبهات الناس فى المدينة ولا سيّما أصحاب السلطة فَيُلْصِقُون بهم اتهامات هم أبرياء منها. كما أَنَّ مكوثهم فى بيت واحد من بيوت المدينة يُيَسِّر للرَّاغبين فى الاستماع إليهم معرفة ذلك البيت الذى يُلازمونه، فيصبح ذلك البيت بمثابة كنيسة للمؤمنين وللراغبين فى الإيمان. ومِنْ ثَمَّ يكون هذا عاملاً من عوامل نجاح الرُّسُل فى التبشير بكلمة الله. وليكن ذلك هو المسلك الذى يسلكه الرُّسل فى كلِّ مدينة يدخلونها ويقبلونهم فيها: فليأكلوا مما يُقدَّم إليهم. وليصنعوا معجزات الشفاء باسم معلِّمهم ليمهِّدوا الطريق لمجيئه هو إلى تلك المدينة، وليقولوا لأهلها «قد اقْتَرَبَ مِنكُم ملكوتُ اللّهِ»، لأنَّ اليهود كانوا ينتظرون مجىء ذلك الملكوت منذ زمان بعيد، وكانوا يعلمون - طوال زمان انتظارهم - أنَّ الذى سيجىء بذلك الملكوت هو المسيح ابن الله، فيكون ذلك

القول من الرُّسُل خير تمهيد لأذهان أهل المدينة للإيمان بمعلِّمهم، وبأنَّه هو المسيح الذى ينتظرونه ليخلِّصهم ويفتح لهم أبواب ملكوت الله الذى يتطلَّعون إليه.

ثم قال مخلِّصنا لِرُسُلِهِ «وأيَّةُ مدينةٍ دَخَلْتُموها، ولم يَقْبَلوكم فاخرجوا إلى ساحاتها وقولوا: حتَّى الغُبارُ العالِقُ بأرجُلِنَا من مَدينَتِكُم نَنْفُضُهُ عَليكُم. ولكن اعلَموا أنَّ ملكوتَ اللّهِ قد اقتربَ مِنكم. وإنِّى لأَقولُ لكُم إنَّه سَتَكونُ لِسدومَ فى ذلكَ اليوم حالةٌ أكثرُ احتِمالاً ممَّا لتِلكَ المدينةِ». أى أنَّ أيَّةَ مدينة يدخلونها ويرفضهم أهلها، فليخرجوا إلى ساحاتها ليكونوا ظاهرين لكلِّ الساكنين فيها بحيث يسمعونهم جميعًا، وليتبَرَّأوا من تلك المدينة على رؤوس الأشهاد، نافضين على أهلها حتى الغبار العالق بأرجلهم منها، بعد أن أعلنوا لهم أنَّ ملكوت الله قد اقترب منهم، فرفضوا هذه الحقيقة، فهم أبرياء مما سيلحق بهم من جَرَّاء ذلك الرَّفض. وسوف يكون ما سيلحق بهم من جَرَّاء ذلك الرَّفض رهيبًا فى يوم القيامة، بل سوف يكون أشدّ هولاً ممَّا سيلحق فى ذلك اليوم بأهل سدوم الذين أنذرهم لوط فرفضوا إنذاره. لأَنَّ أَهْلَ سدوم قد رفضوا إنذار إنسان، وأما أهل تلك المدينة الذين لم يقبلوا كلمة مخلِّصنا التى أرسلها لهم مع رسله، فقد رفضوا إنذار ابن الله، الذى هو الله ذاته. ولقد عَمِلَ الآباء الرُّسُلُ دائمًا بوصيَّة معلِّمهم وسيِّدهم. ومن ذلك أنه جاء فى سِفْر أَعمال الرُّسُل عن الرسولَين القِدِّيسينِ بولس وبرنابا أنهما كرزَا بالكلمة فى أنطاكية بيسيدية فرفض اليهود كرازتهما. «وأثاروا اضطهادًا على بولس وبرنابا وطردوهما من تخومهم، فنفضا غبار أَرْجُلِهما عليهم وأتوا إلى إيقونية» (أعمال الرسل ١٣ : ١٤ و ٥٠ و ٥١). وكذلك فَعَل القدِّيس بولس فى كورنثوس حيث كرز أيضًا لليهود. «ولما كانوا يُقاوِمون كلمة الله ويجدِّفون، نَفَض بولس ثيابه وقال لهم: دمكم على رؤوسكم. أنا برىء من الآن أَذْهبُ إلى الأُمم (غير اليهودية)» (أعمال الرسل ١٨ : ٦).

ثُمَّ أنزل مُخَلِّصُنَا نقمته وغضبه على المدُن التى صنع فيها معظم آياته، ونادَى فيها بأعظم تعاليمه ومع ذلك لم تؤمن بأنه هو المسيح ابن الله الذى تنبَّأ بمجيئه الأنبياء، إذ نادَى قائلاً «الويل لَكِ يا كورازينُ. الوَيْلُ لَكِ يا بَيْتَ صَيْدا. لأنه

لو جَرَت فى صورَ وصَيْدُونَ المعجزاتُ التى جَرَت فِيكُما لَتَابَتَا من قَدِيمٍ جالستَينِ فى المسوحِ والرَّماد. ولكنه ستكون لِصُورَ وصَيْدُونَ فى يومِ الدَّينونةِ حالةٌ أكثرُ احتمالاً مِمَّا لَكُمَا». أىْ أَنَّ المعجزات التى صَنَعَهَا فى كورازين وَبَيْتَ صَيْدا ولم يؤمن أهلُها اليهودُ به، لو أَنَّهُ صَنَعَهَا فى صُور وَصَيْدُون وهما مدينتان وثنيَّتانِ لا يَعْلَمُ أهلهما شيئًا مِمَّا يعلمه اليهود من أهل كورازين وَبَيْتَ صَيْدا عن المسيح وَعَمَّا تنبَّأَ الأنبياء بشأنه لَتَابَ أهلُ صُور وَصَيْدون عن كلِّ ما ارتكبوا من شرور، ولكانت توبتهم عميقة حتَّى إنهم ليلبسون المسوح الخشنة ويُهيلون على رؤوسهم الرَّمادَ تعبيرًا عن نَدَمِهِم العظيم. ولذلك سيكون العقاب الذى سينالونه فى يوم الدينونة أخفَّ وطأة من العقاب الذى سيناله أهل كورازين وأَهل صَيْدا، لأنَّ الذين لم يَهْدِهِمْ أَحَدُ إلى حقائق الإيمان، لَهُمْ عُذْرُهُم إذا لم يؤمنوا. وأَمَّا الذين يعلمون هذه الحقائق ولا يؤمنون فلا عُذْرَ لَهُمْ ولا مُبَرِّرَ لتخفيف عقوبتهم. بَيْدَ أن قوله - له المجد - إنه سيكون لصُورَ وَصَيْدُون فى يوم الدينونة حالة أكثر احتمالاً مما لكورازين وبيت صَيْدَا، يفيد تَفَاوُت العَذَاب فى يوم الدَّينونة. وهذا يوافق العدل الإلهى، لأنه «يجازى كل واحد على حَسَب أعماله» (رومية ٢ : ٦)؛ (١٤ : ١٢)؛ (الرؤيا ٢٢ : ١٢).

وإذ كان مُخَلِّصُنا قد أقام مُعظَم زمان خدمته فى كَفَرْناحوم، وقد صَنَعَ فيها من المعجزات السَّماويَّة عَدَدًا يفوق كلَّ ما صنَعَه فى المُدُن الأخرى، وأَلقى على مسامع أهلها من العِظَات والتعاليم الإلهية ما لم يَنَلْهُ أَهْلُ مدينةٍ من المُدُن الأُخرى، كانت نقمته عليهم - إذ لم يؤمنوا به - أشدّ، وكان غضبه عليهم أقوى من نقمته وغضبه على سواهم من أهل سائر المُدُنِ، ومِنْ ثَمَّ نَادَى قائلاً «وأنتِ يا كَفَر ناحومُ، أَتحسَبِين أنّك سَتَرتَفِعينَ إلى السَّماء؟ إنَّك سَيُهبَطُ بِكِ إلى الجَحيمِ». فلا يَظُنَّنَّ أهلُ تلك المدينة أنَّ كبرياءهم وَزَهْوَهُم وافتخارهم بأنفسهم سيرتفع بهم إلى عنان السماء، وإنما سيؤدِّى كل ذلك بهم إلى العكس تمامًا، إذ سيكون الحكم عليهم هو الهبوط إلى أَسْفَل سافِلِين، حيث الجحيم المقيم، عقابًا لهم على أَنَّ وسائط النعمة قد تَوَفَّرت لَهُم وَحَلَّت بينهم فرفضوها، وأنَّ كلمات الخلاص قد

طالما أذِيعَت على مسامعهم فلم يسمعوها، وأنَّ ربَّ النعمة والخَلَاص بِذَاتِهِ قد أقام فى وسطهم، فأنكروه وتنكَّروا له وأبوا إلا أَنْ يَظَلُّوا فيما هُمْ غارقون فيه من ظُلْمٍ وظَلَامٍ، ويتمسَّكوا بما هُمْ مُوغِلون فيه من إِثْمٍ وَشَرٍّ، فلا نِعمة ولا خَلَاصَ لَهُم، وإنَّما نصيبهم هو النقمة، ومصيرُهم هو الهلاك.

ثم قال – له المجد – لِرُسُلِهِ «مَنْ سَمِعَ مِنكُم، فَقَدْ سَمِعَ مِنِّى، وَمَنِ ازدَراكُم. فقد ازدَرانى. وَمَن ازدَرانى فقد ازدَرَى الذى أَرْسَلَنى». ويدُلُّ لك على أنَّه أعطاهُم تفويضًا كاملاً لأَنْ يكونوا ممثِّلين شخصيين له فى كلِّ مَوْضِع يذهبون إليه، وقد فَوَّض لهم أن يتكلَّموا باسمه. ومِنْ ثَمَّ ينبغى على الناس أن يعاملوهم كما يعاملونه هو شخصيًّا: فمن سَمِعَ منهم وآمنَ بالكلام الذى أرسلهم ليقولوه، فإنما يكون بذلك قد سمع منه هو وآمَنَ بِهِ هُوَ. وأمَّا مَن ازدَرَاهم مُحْتَقِرًا إيَّاهم، مُسْتَخِفًّا بهم، رافضًا الاستماع إليهم، فإنَّما يفعل ذلك كلّه بابن اللّهِ الذى أرسلهم، وما دام يفعل ذلك بابن الله، فإنَّما يفعل ذلك بالآب السماوىّ الذى أرسله، أى بالله ذاته. ومِنْ ثَمَّ فهو يستحقُّ الدَّينونةَ من الله، ومن ابنِ الله الذى هو الله فى الوقت نَفْسِهِ، والذى له سلطان الدينونة فى اليوم الأخير، وهُنا سلطان الكنيسة، ومكانة رجال الكهنوت فيها من حيث هم «وكلاء الله» (متى ٢٤ : ٤٥)؛ (تيطس ١ : ٧)، «ووكلاء سرائر الله» (١. كورنثوس ٤ : ١).

١٠ : ١٧ - ٢٤

وبعد أَنْ أدَّى الرُّسُلُ السبعُونَ مُهِمَّتَهم التى أرسلهم من أجلها معلِّمُهم، رجعوا بِفرحٍ عظيم، لأنهم نجحوا فى إنجاز تلك المهمَّة، وجاءوا إليه قائلين فى ابتهاج «ياربُّ، حتَّى الشَّياطينُ تَخضَعُ لَنَا باسمِك»، لأنه كان قد أعطاهم حين أرسلهم سلطان شفاء الأمراض، وطرْدِ الشَّيَاطين، وَمِنْ ثَمَّ كان ابتهاجُهم ناجمًا عن أَنَّهم بإيمانهم وتفانيهم فى خدمة رسالة معلِّمهم قد امتدَّ هذا السلطان الممنوح لهم إلى مَدىً أبعد كثيرًا، لأنهم استطاعوا أن يتغلَّبوا لا على الأمراض فَحَسْب، وإنَّما كذلك عَلىَ أَعْدَى أعداء مخلِّصنا وأَعْدَى أعداء البَشَر جميعًا وأكثرهم شرًّا

وشراسة وسطوة وجبروتًا وهو الشيطان، حتى استطاعوا باسم معلّمهم أن يأمروه فيخْرُجَ من ضَحَايَاه الذين احتلَّ أجسادهم أو سَيْطَرَ سيطرة كاملة عليهم. وقد أيَّدهم مُخَلِّصُنا فيما ذكَرَوه له قائلاً لهم «إنى رَأَيْتُ الشَّيطان ساقِطًا من السَّماءِ كالبرْقِ»، أى أنهم بإيمانهم، وبإيمان الذين بَشَّروهم فى إرساليتهم قد أسقطوا الشَّيطان عن عرشه الذى يتربَّع عليه فارِضًا سلطانه - كأنه سلطان سماوىّ - على البَشَر جميعًا، والذى لا يقوم إلَّا عَلى مقاومة الإيمان بالله الآب، وبابنه الذى أَرْسَلَهُ لِيُسْقِطَ الشيطانَ عن عرشه، ويُجرِّده من سلطانه ويُخلِّص البشرَ من رِبْقَتِهِ. وقد قرَّر مُخَلِّصُنا أنَّ هذا قد حَدَث بالفِعل، إذ رأى هو نفسُهُ بقُدرَتِهِ الإلهيَّةِ ذلك الشَّيطان يَسقط من القِمّة الشَّاهقة التى وضع فيها نفسه سقوطًا سريعًا خاطفًا، كما يسقط البرَقُ اللامع من السماء، ثم لا يلبث أن ينطفئَ محترقًا فى الجحيم. وربما أَشَارَ مخلِّصُنا بهذا أيضًا إلى سقوط الشيطان الأوّل، عندما تكبرّ، ونَشِبَتْ حَرْبٌ بينه وبين رئيس الملائِكةِ ميخائيل، هَوَى بعدها الشَّيطان إلى الأرض ومعه ملائكته التى انضمت إلى صفِّه وحاربت معه، كما يتضح ذلك فى سِفر الرؤيا (الرؤيا ١٢ : ٧ - ٩). وفى هذا بيان عن الوجود السابق للسيد المسيح قبل التجسُّد، كما أن فيه الدليل على ضَعْفِ الشيطان أمام قوة الله، وأَنَّ السيد المسيح بعد أن طَرَدَه من السماء جاء إلى الأرض ليطرده من كُلِّ مَنْ يؤمن به ربًّا وفاديًا وينضمّ إلى مملكته التى تتعارض مع مملكة الشيطان، ومِنْ ثَمَّ فلا عَجَبَ من خضوع الشياطين لَلرُّسُل باسم السيد المسيح، إذ سبق للشيطان أن خضع مقهورًا لسلطان السيد المسيح عندما طَرَدَه ميخائيل رئيس ملائكته من السَّماء. ولا حياة ولا قوة للشيطان إلا بالشرِّ والكُفر اللَّذَين بَثَّهُمَا فى بنى الإنسان. فإذا تَخَلَّصوا بالإيمان مِنْ شرهم وكُفْرِهِم لم تَعُدْ له حياة ولا قوة، وإنما يكون مصيره الاحتراق والهلاك. وإذ كان الذين يُحسِنون الانتفاع بالنعمة التى يمنحها الله إيَّاهم، يزيد الله من نعمته لهم، فقد قال مُخَلِّصنا بعد ذلك لِرُسُلِهِ «ها أناذا أعطيتُكُم السُّلطانَ لِتدوسوا الحيَّاتِ والعقارِبَ وكُلَّ قُوَّةِ العَدُوِّ، ولا يُصيبُكُم شَىْءٌ بضَرَرٍ» أى أنه أعطاهم السلطان ليسحقوا الشياطين وكلَّ أجنادِ الشرّ الذين ترمز إليهم الحيّات والعقاربُ السَّامَّة

القاتلة، وليقهروا ما لإبليس عدوّ البَشرامن كُلِّ قَوَّة يتذرَّع بها لمحاربتهم والفتك بهم، حتى لا يَقوى شيء بعد ذلك - ما داموا متمسكين بالإيمان - أن يُلحِق بهم أىّ شرٍّ أو ضرر. على أنَّ الرُّسُلَ قد داسوا بالفعل الحيّات والعقارب ذاتها كما جاء فى سِفر أعمال الرسل (أعمال الرسل ٢٨ : ٣ - ٦)؛ قارن (مرقس ١٦ : ١٨)، وإن كان قد تَصَدَّى لهم من بين البشَر من كانوا بإساءتهم إليهم بمثابة الحيّات والعقارب وما فى حكمها من وحوش الأرض (١. كورنثوس ١٥ : ٣٢)، وإذ كان الرُّسُلُ يبدون أشدَّ الفرح بذلك السلطان الذى تمكَّنوا به من إخضاع الأرواح النجسة وهزيمتها باسم معلِّمهم، أوضح لهم - له المجد - أنهم لا ينبغى أن يكون هذا هو مصدر فَرَحِهِم الحقيقىّ، لأن الفرح الحقيقى الذى ينبغى أن يفرحوا به هو أن تكون أسماؤهم قد كُتِبَت فى السماء. فإن هذا هو الأمر الذى ينبغى أن يفرحوا به حقًّا. ولذلك فإنه أحرى بهم أن يلتفتوا إلى خلاصهم الأبدى، فهو أَوْلَى بعنايتهم وأَدْعَى لاهتمامهم أكثر من سلطان لم يُعْطِهِ إياهم إلا لينشروا به الدعوة إلى ملكوت السماوات، ويحطموا قوة العدوّ فى الأرض، ويخلِّصوا الناس من عبوديته ليدخلوا فى بُنُوَّة ملكوت مخلِّصهم. وكان هذا من فادينا تنبيهًا وتحذيرًا لتلاميذه حتى لا يفقدوا خلاصهم، فإن للنجاح الذى أحرزوه تكاليف كبيرة تقتضيهم سَهَرًا وتَعَبًا فى مواصلة الحرب ضد الشيطان وكلّ جنوده، وإلَّا فَقَدُوا امتيازاتهم وخلاصهم، كما فَقَدَ يهوذا الأسخريوطىُّ امتيازاته وخلاصه، مع أنَّه كان واحدًا من رُسُل المسيح الذين خَضَعَتْ لهم الشياطين باسم المسيح.

وفى تلك الساعةِ تَهَلَّل مُخَلِّصُنا بالرُّوح، وقد فرح فرحًا عظيمًا نَبَعَ من روحِهِ ذاتها وَفَاضَ منها، لنجاح كلمة الإنجيل التى هى جوهر رسالته والتى جاء من أجلها إلى العالَم، ومِن ثَمَّ توجَّه بالشُّكر إلى أبيه السَّماوىِّ قائلًا «أَشْكُرُكَ أَيُّها الآبُ رَبَّ السَّماءِ والأرضِ، لِأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هذا عن الحكَماء والأَذْكِياءِ وكَشَفْتَه للأطفالِ. نَعَمْ أَشكُرُكَ أيهُّا الآبُ لِأنه هكذا حَسُنَ لَدَيك». فعلى الرغم من أنَّ مخلِّصَنا - كما عِلِمْنَا ذلك منه - واحد مع أبيه السماوىّ، كان حين يصلى يرفع صَلَاته إلى الآبِ الذى هو من ذات جَوْهره. وَهَذَا من أسرار اللاهوت يعلو على مدارك

البَشَر. بَيْدَ أنَّ مخلِّصنا أرادَ بِصَلاَتِه - فضلاً عن تأكيد صِلَتِه الدائمة بأبيه - أنْ يعلِّمنا نحن البَشَر أن نرفَع صَلاَتنا دائمًا إلى اللَّه أبينا كلِّنا، شاكرين إياه على كل حال وفى كلِّ حال ومن أجل كلِّ حال، فى السَّرَّاء والضّراء، وفى السّعة والضيق، وفى الفَرَح والحُزْنِ، لأنَّ كلَّ شيء لا يتمّ إلا بمشيئته وبرضاء منه وبحكمة يهدف من ورائها إليه، وتهدف دائمًا إلى خير البشَر وصلاحِهم، إذ أنَّه هو ذاته خيرٌ مُطْلَقٌ، وَصَلاَحٌ مُطْلَق. فلا يمكن أن يصدر عنه إلا الخير والصلاح. وقد وَصَفَه مخلِّصنا فى صَلاَتِهِ بأنَّه «رَبُّ السَّماءِ والأرضِ» ليبيِّنَ أنَّ سلطانه يشمل الكَوْنَ كلَّه، ومشيئته سارية على الكائنات كلها فى كلِّ مكانٍ وزمانٍ، وعلى كلِّ المستويات من أعلاها إلى أدناها وجودًا، ومن أسماها إلى أحطِّها طبيعة. وقد توجَّهَ إليه هنا بالشكر لأنه بحكمته واستحسانه قد شاء أن يُخْفى تلك الأسرار السماوية التى تتضمنها شريعة العهد الجديد عمَّن يعتبرهم النّاس حكماء وأذكياء، بما حصلوا عليه من حكمة دنيوية وذكاء بشريٍّ، وكَشَفَ تلك الأسرار للتلاميذ والرُّسُل الذين يشبهون الأطفالَ فى بساطتهم وتواضع مركزهم الاجتماعى، والذين لم ينالوا قسطًا كبيرًا من التعليم فى المعاهد الدينية العُليا لَدَى اليهود أو المدارس الفلسفية الشهيرة لَدَى العالَمِ كله فى ذلك العصر، يجعلهم أهلاً لأن يكونوا فى نظر الناس حكماء وعلماء، لأنَّ التلاميذ والرُّسُل لو كانوا من رؤساء الكَهَنة أو الفَرِّيسيِّين أو الكتبة أو غيرهم من العلماء المتضلِّعين فى الشريعة اليهودية، أو كانوا من مشاهير فلاسفة اليونان أو الرّومان، لَعَزَى الناسُ تعاليمهم التى ينطقون بها إلى ما حصلوا عليه من علم بالشريعة أو تعمُّق فى الفلسفة، ولم يعتبروا تلك التعاليم السماوية من عند الله ذاته، وقد لقَّنهَا لأولئك التلاميذ والرُّسُل البسطاء تلقينًا، وألهمهم بها إلهامًا، جاعلاً إياهم مجرَّد واسطة لنقل تلك التعاليم من الله إلى الناس.

ويجدر بنا هنا أن نذكر أن «التَهلَلُّ بالروح» الذى نَسَبَهُ الإنجيل بهذه المناسبة إلى الرب يسوع هو من أفعال الروح الإنسانية فى المسيح، لأن لمخلِّصنا إنسانية كاملة متّحدة بلاهوته. والإنسانية فيها الروح كما أن فيها الجَسَد. وللروح الإنسانية انفعالاتها بالفَرَح والحزن. وهذا هو الدَّليل على أنّ الله الكلمة اتخذ له جسدًا ذا

روح إنسانية ناطقة عاقلة. ويتضمن ذلك كذلك الرَّدَّ على ما زعمه أبوليناريوس الهرطوقى الذى أنكر وجود الروح الإنسانية فى السيد المسيح، وقال إنَّ اللاهوت حلّ محلّ الروح الإنسانية. وكما ذكَرَ الإنجيلُ فى هذا الموضع عن الربِّ يسوع أنَّه «تَهَلَّلَ بالرُّوح»، ذَكَرَ عنه فى مواضع أُخرى أنه «تألَّمَ بالرُّوحِ واضطَرَبَ» (يوحنا ١١ : ٣٣). وقالَ «فتحنَّن يسوعُ فى نَفْسِهِ» (يوحنا ١١ : ٣٨). وقال الرب يسوع ذاته «نفسى الآنَ قد اضطَرَبَت» (يوحنا ١٢ : ٢٧)، وقال عنه الإنجيل «ولَمَّا قالَ يَسوعُ هذا اضْطَرَبَ بالرُّوح» (يوحنا ١٣ : ٢١). وفى بستان جثسيمانى فى ليلة آلامه «بَدَأَ يَحْزَنُ ويَكْتَئِبُ» (متى ٢٦ : ٣٧) وقال «إنَّ نَفْسى حَزينَةٌ حَتَّى الموتِ» (متى ٢٦ : ٣٨)؛ (ومرقس ١٤ : ٣٤)؛ انظر أيضًا (لوقا ١٢ : ٥٠).

ثم التفَتَ مُعَلِّمُنا إلى تلاميذه قائلاً «كُلُّ شىءٍ قد سُلِّمَ لى من أبى، ولا أَحَدَ يَعْرِفُ مَنْ هو الابنُ إلا الآبُ، وَلاَ مَنْ هو الآبُ إلا الابنُ وَمَنْ أَرادَ الابنُ أَنْ يَكْشِفَ له». وهنا يؤيد – له المجد – تلك الحقيقة اللاَّهوتية الفائقة التى تتضمَّن أَنَّ الله الآب، لأنه واحد مع الابن، سَلَّم إليه كلّ سلطانه، ومِنْ ثَمَّ فإن سلطان الابن هو نفسه سلطان الله الآب. ولما كان الابن واحدًا مع الآب فى جوهر الألوهية الواحد، كان من الطبيعى أَلَّا يعرف مَنْ هو الابن إلا الآب، ولا مَنْ هو الآب إلا الابن. ولايمكن لأحد من البشرَ أن يعرف طبيعة الآب أو يعرف طبيعة الابن، لأن طبيعة الآب والابن حقيقة إلهية لايمكن أن يحيط بها إلا العِلْم الإلهى وحده، ولايمكن أن يحيط بها العقل البشَرى مهما بلغ من العبقرية والذكاء. فالعقل البشرىّ يعرف عن الله، ولكنه لايمكن أن يعرف الله فى حقيقته وجوهره. لذلك لايعرف أحد من البشر مَنْ هو الآب إلَّا الابن، ولا مَنْ هو الابن إلَّا الآب. والمعرفة المقصودة هنا هى المعرفة الكاملة اليقينية المباشرة من غير واسطة. وبعبارة أخرى ليس أحدُ من الناس يمكنه أن يعرف مَن هو الآب فى حقيقته وجوهره وطبيعته وذاتِهِ. لكن الابن وحده هو الذى يستطيع أن يعرف الآب فى حقيقته وجوهره وطبيعته وذاته لسبب واضح وبسيط. ذلك لأن الابن، أى الله الكلمة، هو من جوهر الآب وطبيعته وهو كائن معه فى ذاته، لأنه فى الآب والآب فيه

(يوحنا ١٤ : ١٠). ومِنْ ثَمَّ لايستطيع أحد من الناس قط أن يعرف الابن فى جوهره وطبيعته وذاته إلَّا الآب السماوىّ وحده. وحتى التلاميذ والرسل كانوا يرون الابن فى الجسد ولكنهم لم يعرفوه المعرفة اليقينية الكاملة، كما يعرفه الآب. إنهم عرفوه فى الظاهر من حيث هو إنسان، ولكنهم لم يعرفوه معرفة تامة فى ذاته وجوهره. وهذا هو ما أعلنه القديس يوحنا المعمدان إذ قال لليهود عن السيد المسيح إنه «بينكم قائِمٌ ذلك الذى لَسْتُم تَعرِفونه» (يوحنا ١ : ٢٦). بَيْدَ أنَّ الابن مُخَلِّصنا شاءَت إرادته - من أجل خَيْر البَشَرية - أن يكشف لبعض من اختارهم من البشرَ، ومن بينهم وعلى رأسهم تلاميذه ورسله، هذه الحقيقة الإلهية ليؤمنوا بها كما ذكرها لَهُم، ويستوعبوها، لا بعقولهم البشَريَّة القاصرة، وإنما بملكاتهم الرُّوحيَّة التى هى أقرب عناصر الكائنات البشرية قُرْبًا فى طبيعتها من طبيعة الله، ومِنْ ثَمَّ فهى قادرة على أن تُدرِكها، ولا سيَّما إذا استعانَت فى ذلك بالإيمان بفادينا الحبيب ابن الله وبِقُدْرَته الإلهية وعِلْمِهِ الإلهىِّ. وما من شكٍّ فى أَنَّ هذا امتياز عظيم أسبغه مُخلِّصُنا على تلاميذه ورُسُلِهِ، ونعمة فائقة خَصَّهُم بها، فوق امتيازهم والنعمة التى نالوها إذ أبصروا بعيونهم ابن الله الذى طَالَمَا اشتهَى أَنْ يراه كلُّ أنبياء وملوك العهد القديم، وسمعوا بآذانهم تعاليمه التى طالما اشتهى أولئك الأنبياء والملوك أن يسمعوها. فلم يكونوا يرون من خلال النُّبُوءات إلَّا قَبَسًا من نوره يأتيهم من أبعاد سحيقة كما يرَى الإنسان وهو على الأرض نور نجم شاسع البُعد فى أقصى أرجاء السَّماء. ولم يكونوا يسمعون من خلال تلك النبوءات إلَّا أصداء شديدة الخفوت من صوته الإلهىّ وتعاليمه السَّماوية تأتيهم كإشارات غامضة ورموز مبهمة. وأمَّا التلاميذ والرُّسُل فقد سَعِدوا برؤيته هو ذاته بأعينهم، وسَعِدوا بسماع صوته هو ذاته بآذانهم، ومِن ثَمَّ قال لهم «طُوبَى للأَعْيُنِ التى تُبصِرُ ما تُبصِرونَ، لأَنَّنِى أَقولُ لَكُم إِنَّ أنبياءَ ومُلوكًا كَثيرينَ اشتهوا أَنْ يَرَوْا ما أَنتمُ تَرَوْن فلم يَرَوْا ، وأَنْ يَسْمَعُوا ما أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ فَلَمْ يَسْمَعُوا» .



« السيد المسيح يعلم الجموع » (لوقا ٨ : ١)

للفنان العالمي ب . بافيت



« السامری الصالح » (لوقا ١٠ : ٣٠ – ٣٧)

للفنان العالمی ب . بلوکهورست

١٠ : ٢٥ - ٣٧

وإذا واحد من النَّاموسيِّين وَهُم عُلَمَاءُ النَّاموس أى الشريعة اليهودية قَامَ لِيُخرِجَ مُخلِّصَنَا، لأنَّ الناموسيين والكتَبَة والفرِّيسِّين وكلّ فقهاء الدِّين اليهوديِّ كانُوا يُناصبون مُخَلِّصَنَا العدَاء، غَيْرةً منه وَحَسَدًا له وحِقْدًا عَلَيْه، لأنّه كان يُنَدِّد بشرورهم، ويُهَدِّد ما كان لهم من مكانة عظيمة فى المجتمع اليهوديّ، إذ استأثَرَ بِحُبِّ الشَّعْبِ له والتفافهم حَولَهُ وإجلالهم إيَّاه. ومِنْ ثَمَّ كانوا لا يفتأون يحاربونه، ويراقبونه ليُمسِكوا عليه تهُمة يتَّهمُونه بها ليهلكوه. وكانوا لا يفتأون لذلك ينصبون له الفخاخ، مستخدمين فى ذلك ما يعرفونه من خفايا شريعتهم وخباياها، متظاهرين بأنهم يسألونه فى مسائل تلك الشريعة ومُعضِلاتها ليستفيدوا من إجابته ويستنيروا برأيه وحكمته، فى حين أنهم كانوا فى الحقيقة يتصيَّدون من إجابته ما يعتبرونه مخالفة للشريعة تستوجب الحكم عليه بالموت. ومِنْ ثَمَّ سأله ذلك النَّاموسيُّ قائلاً «يا مُعَلِّمُ ماذا أَعْمَلُ لِكَى أرِثَ الحياةَ الأبديةَ؟». بَيْدَ أَنَّ مخلِّصنا كان يعلَم ما ينطَوى عليه هذا السؤال من مَكر وما يهدِفُ إِلَيْهِ من غَدْرٍ ومِنْ إيقاعٍ بِهِ فى حبائل الشَّريعة اليهوديَّة كما كان فقهاء اليهود يفهمونها ويفسِّرونها. فكانت إجابته عنه مأخوذة من شريعتهم ذاتها، إذ سأَلَ بَدوْرِه ذلك النَّاموسيَّ قائلاً «ما المكتوبُ فى الشَّريعةِ؟ ماذا تَقْرأُ فيها؟». فأجاب النَّاموسيُّ قائلاً «أن تُحِبَّ الرَّبَّ إلهَكَ من كلِّ قَلْبِكَ ومن كلِّ نَفْسِكَ ومِن كلِّ قُدْرَتِكَ ومِن كُلِّ فِكرِكَ، وتُحِبَّ قَرِيبَكَ حُبَّكَ لِنَفْسِكَ». فقال له مخلِّصنا «بالصَّوابِ أَجَبْتَ. افْعَلْ هذا فَتَحْيَا». وقد أَفْحَمَهُ مُخَلِّصُنا بتلك الإجابة التى لم يكن ليستطيع أنْ يَجِدَ فيها أىَّ تهمة يوجهها إليه، بَيْدَ أنَّ الرَّجُل أرادَ - لكى يخفى هزيمته - أن يتظاهَرَ بمَزيد من عِلْمِهِ، كما أراد أن ينتقل بِمُخَلِّصِنَا إلىَ مُعضِلَةٍ أُخْرَى يَدَّعى أنه يريد منه إجابة عنها، عَسَى أن يَعثُر فى تلك الإجابة على تهمة يتَّهمه بها، فسأله قائلاً «وَمَن هُوَ قَرِيبى؟» وعندئذٍ ضَرب له مخلِّصنا مَثَلاً يدفعه به لأن يَصِلَ إلى الإجابة عن سؤاله بنفسه، قائلاً له «رَجُلٌ كَانَ نازِلاً من أورشليمَ إلى أريحا، فَوَقَعَ بين لُصوصٍ فجرَّدوه من

ثِيابِهِ وأَصابوهُ بِجراحٍ ثُمَّ مَضَوْا، تاركينه بين الحياةِ والموتِ. وقد اتّفق أَنَّ كاهِنًا نَزَلَ فى ذَلِكَ الطَّرِيقِ فَأَبْصَرَهُ، ولَكِنَّهُ تَجاوَزَهُ وَمَضى. وكذلك لاوِىٌّ بَلَغَ المكانَ فأبصَره، ولكنَّه تَجاوَزَهُ وَمضى. ثُمَّ مَرَّ به سامِرِىٌّ مُسَافِر، فلمَّا رآه أشفَقَ عَليهِ وتَقَدَّمَ نَحوهُ وضَمَّدَ جِراحَهُ وصَبَّ عليها زَيتًا وخَمْرًا، وَحَمَله على دابَّتِهِ وجاءَ بِهِ إلى فُنْدُقٍ واعتنى بِهِ. ثُمَّ فى الغَدِ، وقد أزمعَ الرَّحيلَ، أَخْرَجَ دينارَيْنِ ودفعَهما إلى صاحِبِ الفُنْدُقِ قائلًا له: اعْتَنِ بِهِ، ومَهْما أنفقْتَ زِيادةً على ذَلِكَ فإِنِّى عِندَ عَوْدَتِى أدفعُهُ لَكَ. فَأَىُّ هؤلاءِ الثلاثةِ فيما تَظُنُّ صارَ قَرِيبًا لِذَلِكَ الَّذى وَقَعَ بَينَ اللُّصُوص؟». فقالَ «الَّذِى أَسْدَى إليه الرَّحمة». فقال له مُخَلِّصُنا «اذهَبْ أنتَ أيضًا وافعَلْ هَكَذَا». وبِذلِكَ جَعَلَ سَيِّدُنا ذِلِكَ النَّاموسى عالِمَ الشريعة الخبيث الماكر الغادر يعترف بذات فمه أنَّ السَّامِرِىَّ إذ أسدى الرّحمة للرَّجُل الجريح، أفضل من كهنة اليهود، وأفضل من اللاويِّين المختصين بخدمة هيكلهم، مع أَنَّ اليهود، ولا سيّما علماؤهم الدينيّون والمتزمّتون منهم، كانوا يحتقرون السَّامريين - الذين هُم طائفة من اليهود أنفسهم - ويتجنَّبون التعامُلَ معهم أو مخالطتهم، معتبرين إياهم دنسين خارجين على الشريعة ملعونين من الله. كما جَعَل سيِّدنا ذلك النَّاموسىّ يعترف بذات فمه كذلك أَنَّ قريب اليهودىّ لا يلزَم أن يكون من ذات جِنْس اليهود وحدهم كما كان اليهود يعتقدون، معتبرين غيرهم من الأجناس أنجاسًا كافرين، ويعدُّونهم فى حُكم الكلاب، وإنما قريب اليهودىّ هو كلّ مَنْ يُسْدِى الرَّحمة إليه، مهما كان جِنْسُهُ أو كانت جنسيته أو عقيدته. ولو كان مخلِّصنا قد قال هذا لذلك النَّاموسىّ مباشَرةً بغير هذا المَثَلِ الذى أدَّى به لأن يعترف بذلك بنفسه، لا تَّهَمَهُ النَّاموسىُّ بالزَّندقة والتجديف ومخالفة الشريعة، وَلَجَعَل من ذلك تهُمة يلصقها به ويشهرها فى وَجهِهِ لِيُؤلِّب اليهود ضدّه ويتيح لرؤساء اليهود الفرصة للحكم عليه بالموت الذى كانوا يريدونه له. وهكذا أجاب مُخَلِّصَنا عن سؤال الناموسىِّ الإجابة التى تتَّفق مع تعاليمه السَّامية، وفى الوقت نفسه تجنَّبَ الفخَّ الذى نَصبَهُ لَهُ ليوقعه فيه.



« مَثَل السّامريّ الصالح » (لوقا ١٠ : ٢٩ – ٣٧)

١٠ : ٣٨ - ٤٢

وفيما كان فادينا سائرًا مع تلاميذه وهو فى طريقه إلى أورشليم، دَخَل قرية كانت تُسَمَّى «بيت عنيا»، فَرَحَّبَت به هناك امرأةٌ اسمُها مَرثا فى بيتها. وكانَتْ لها أُختٌ اسمُها مَريم، جَلَسَتْ عند قَدَمَىْ فادينا تستمع إلى كلامِهِ، فى تقديس وإجلال ورغبة صادقة عميقة فى أَنْ تَنهلَ من تعاليمه السَّمائية السَّامية، وقد استغرقها ذلك وشغلها عن كلِّ شىء سواه. فى حين كانت مَرثا أختها مُنْهَمِكَةً جِدًّا فى الخِدْمَةِ لتُعِدَّ مائدة الطعام بما يليق بضيفها الجليل المقام. ومِنْ ثَمَّ تقدَّمَتْ إليه ووقَفَتْ قائِلَةً «يارَبُّ أَمَا يَعنيكَ أَنَّ أُخْتِى تَرَكَتْنى أخدُمُ وَحْدِى؟ قُلْ لها أن تُساعِدَنى». فأجاب فادينا وقال لها «مَرثا مَرثا. إنَّكِ تَهْتَمِّينَ مُضطَرِبَةً بأُمورٍ كثيرةٍ، فى حين أنَّ الحاجَةَ هى إلى قَليلٍ، أو إلى واحِدٍ. وقد اختارت مريمُ النَّصيبَ الصَّالِحَ الذى لن يُنزعَ منها» وقد كانت مرثا تعتقد أنَّ تعبها وانشغالها فى إعداد ألوانٍ كثيرة من الطعام والشراب لمخلِّصنا واجب ينبغى أن تشاركها فيه أختها، فأوضح لها مخلِّصنا أنَّها لا ينبغى أن تهتمَّ بكثير من الأمور الدنيوية التى تتعلَّق بالطعام والشراب وغيرهما من اهتمامات هذه الدنيا الفانية، بحيث يشغلها ذلك عن الاهتمام بالأمور السَّماوية التى تتعلَّق بالخلاصِ الأبدىِّ. وإنما ينبغى أن تكون الاهتمامات الدنيوية للإنسان قليلة جدًّا بحيث لا تتعدَّى الأمور الضرورية واللازمة لحياته على الأرض. بل ينبغى إذا أمكن أن يتخلَّى الإنسان عن هذه الاهتمامات الدنيوية كلها، تاركًا كلَّ أموره لتدبير الله وحده وعنايته ورعايته، وأن يكون اهتمامُهُ الأوحدُ مُنحَصِرًا فى الاستماع إلى التعاليمِ الإلهية والعمل بها، لأنَّ هذا هو السبيل الذى لا سبيل غيره إلى الخَلاَص من ربقة هذا العالَم وشروره وخطاياه وآثامه، والانطلاق بأجنحة الإيمان إلى الأعالى، لاستحقاق نعمة ونعيم ملكوت السَّماء. وهذا هو ما فَعَلته مريم، إذ تَركَتْ كُلَّ أَمْرٍ من الأمور الدنيوية التى كانت تشغل بال أختها مَرْثا، وَحَصَرَتْ كلَّ هَمِّها واهتمامها فى التطلُّع إلى مُعلِّمها الإلهى وهى جالسةٌ عند قَدَميه، والاستماع إلى تعاليمه التى هى وحدها طريق الخلاص، وطريق الحياة

الأبدية فى السماء. فاختارَت بذلك النصيبَ الصالَح الذى ستَنعَم به إلى الأَبَد، والذى لا يمكن انتزاعه منها. على العكس ممَّن يحصرون كلَّ همِّهمْ واهتمامهم فى الأرضيَّات، التى مهما كانت مزاياها وامتيازاتها ومكاسبها، فإنها مؤقتة ولسوف يأتى عليهم يوم تُنتَزَع فيه منهم، فيخسرون بذلك حياتهم على الأرض كما يخسرونها فى السَّماءِ على السَّواء.

وإن الكثيرين من الرهبان والراهبات يرون فى مسلك مريم التى تَركت كلَّ شىء وجَلَست عند قَدَمَىْ مُخَلِّصنا الصالح تستمع إلى كلامه، تصَرُّفًا رائدًا للسيرة الرهبانية الكاملة، حيث يحصرُ الراهب كل نشاطه الفِكرى والنفسىِّ والعصبى والجِسْمِىّ فى خدمة الهدفِ الواحد، وهو الاتحاد بالله، والدخول معه فى شركة روحانية تامَّة للحصول على النَّصيبِ الصالِحِ بالرؤيا الطوباويّة السعيدة.

الفصل الحادى عشر

١١ : ١ - ١٣

وكان فادينا يصلِّى فى بعض المواضع، كعادته أن يُصلِّى فى كلِّ حين، وفى كل موضع يكون فيه، وكان تلاميذه عندئذ معه أو قريبين منه، فلمَّا فَرَغ من صَلاَته، قال له أحد تلاميذه نيابة عنهم جميعًا «يارَبُّ علِّمْنا أَن نُصَلِّى، كما عَلَّمَ يُوحنا تَلاميذَهُ»، إذ كانوا يحتاجون إلى أن يعطيهم صيغة معيَّنة تتفق مع تعاليمه ليستخدموها فى صَلاتِهم، لأنهم كانوا يعلَمون أَنَّ يوحنا المَعمَدان - وكان بعضُهم من تلاميذه قبل أن يتبعوا مُخَلِّصَنا ويصبحوا تلاميذ له - قد أعطَى تلاميذه صيغة معيَّنة ليستخدموها فى صَلاَتهم، كانت تتفق مع تعاليم يوحنَّا التى لا شكَّ أنها كانت تتفق مع تعاليم العهد الجديد لمخلِّصِنا الذى لم يكُن مُهمَّة يوحنا إلا تمهيد الطريق أمامه وتهيئة أذهان اليهود لتعاليمه، بَيْدَ أَنَّ تلاميذ مُخَلِّصِنا كانوا موقنين أنَّ معلِّمهم سيعطيهم صلاة أفضل وأكمل وأكثر فَعَالية وعُمْقًا من الصلاة التى أعطاها

يوحنَّا لتلاميذه. وقد كانوا أَحْوَجَ ما يكونون إلى هذه الصَّلاة لتكون هى الأساس والجوهر والخُلاصة لكلِّ صَلاةٍ يُصلُّونها. وبالفِعل استجاب مخلِّصنا لرجائهم فأعطاهم صلاة قصيرة جدًّا، ولكنها تجمع فى كلماتها القليلة كُلَّ عناصرِ الصلاة التى يحتاج إلى أن يقدِّمها كلُّ إنسان فى كلِّ زمان وكلِّ مكان. وهى وحدها وبذاتها كافية ووافية بكلِّ احتياجات البَشَر الجسدية والرُّوحيَّة، والأرضية والسَّمائية، إذ قال لهم «مَتى صَلَّيتُم فقولوا: أبانا الَّذى فى السَّماوات. لِيَتَقَدَّسِ اسمُكَ. لِيأتِ ملكوتُكَ. لِتكُنْ مَشيئَتُكَ كما فى السَّماءِ كذلكَ على الأرضِ. خُبْزَنا الآتى أعْطِنَا اليومَ. واغفِرْ لنا ما عَلَيْنَا، كما نغفرُ نحنُ أيضًا لِمَن أساءَ إلينا. ولا تُدْخِلْنا فى تَجرِبَةٍ لَكِنْ نَجِّنَا من الشِّرِّيرِ». وبذلك عَلَّم مخلِّصُنا تلاميذه أن يتوجهوا بالصلاة إلى الله، مبيِّنًا طبيعته بأنَّه أبوهم الَّذى فى السماوات. فهو ليس سيِّد البشَر فحسْب، وهم عبيده على مقتضى المعنى الذى كان سائدًا فى العهد القديم، وإنما هو فوق ذلك وقبل ذلك - على مقتضى المعنى السائد فى العهد الجديد - أبوهم وَهُم أبناؤه. فقد رَفَعَهُم إلى مرتَبَة البُنُوَّة، إذ يقول الإنجيل «أمّا كلُّ الَّذين قَبِلُوهُ فَأَعطاهُم السُّلطان لأن يكونوا أبناءَ اللّهِ، أُولئك هم المؤمنون باسمه. الَّذين وُلِدوا لاَمِن دَمٍ، ولا من مَشيئَةِ جَسَدٍ، ولا مِنْ مَشيئَةِ إنسان، وإنَّما من اللهِ وُلِدوا» (يوحنا ١ : ١٢ و١٣). ومِن ثَمَّ فإنه إذا كان أبوهم الأرضىّ يُحِبُّهم ويرعاهم ويعطف عليهم ويرأف بهم ويُحيطهم بكلِّ ما فى طاقته البشَرية من الحَدْب والحَنَانِ، ويوفِّر لهم كلَّ ما فى استطاعته من أسباب الحماية والأمان، فكم بالأحرى يفعل ذلك إزاءهم أبوهم السَّماوىّ الذى هم خليقته وصنعة يديه، والذى هو أقدر بما لا يُقاس على أن يُوفِّر لهم كلَّ ذلك بباعث من أُبُوَّتِهِ الإلهية لهم، وَمسرَّته الأزلية بهم، حتى إنهم حين أخطأوا فى حقِّه واستحقُّوا الهلاكَ بموجب عدالته الإلهية، لم تَشأْ رحمته الأبوية إلَّا أن تُنقذِهم من ذلك المصير الذى لا يرتضيه أبٌ لأبنائه، فأرسل ابنه السَّماوىَّ الحبيب الذى هو من ذات جوهره، والذى هو واحد معه ليخلِّصهم من ذلك المصير الرَّهيب بأن يبذل نفسه ذبيحة عنهم، مُكَفِّرًا بِدَمِهِ عن خطاياهم، مانحًا إياهم بَدَلاً من النقمة عطيَّة النعمة، وناقلاً إياهم من الموت والهلاك فى النار الأبدية، إلى الحياة

الأبدية فى ملكوت السماوات. فإذا خاطبوه فكما يُخاطِب الأبناء أبَاهُم. وَبِدَالَّةِ هذه البُنُوَّة فليتجهوا إليه وليُوجِّهوا له ما شاءوا من صَلَوات وابتهالات، ويرفعوا إليه ما شاءوا من توسُّلات وتضرُّعات، واثقين أنه كأب مُحِبٌّ كريم رحيم سيستمع إلى صلواتهم وابتهالاتهم، وسيستجيب إلى تَوسّلاتهم وتضرُّعاتهم. وهذا هو امتياز المسيحيين الذين آمنوا بالمسيح ونالوا بالعماد المقدَّس الإنعام بالبنوَّة، وصاروا مولودين ثانية من الماء والروح، ميلادًا من فوق، وصار الله لهم أَبًا والمعمودية أُمًّا.

وأما القول فى الصَّلاة بأن الآب فى السماوات، فلا ينفى أنه فى الأرض أيضًا وفى كلِّ مكان، ولا يحدّه مكان، ولكننا نناديه فى السماوات من باب اللياقة والأدب، لأنه بسُمُوِّه وجلاله يليق أن يُنادَى به فى السَّماوات قبل أن يُنادَى به على الأرض، لأنه، فى السماء يتجلَّى على العرش وأمامه الملائكة ورؤساء الملائكة. وينبغى لأبناء الله بهذا المعنى أن يترنموا فى صَلَاتهم له بالتمجيد اللائق به، لأنه ليس أباهم فحسبَ، وإنما هو سيِّد الخليقة كلِّها ومالكها ومَلِكها، قائلين فى ترنيمهم «لِيَتَقَدَّسِ اسمُكَ»، معترفين بذلك وَمُقرِّين بأنه قدُّوس، لأنه صالح صلاحًا كاملاً وطاهر طهارة مطلقة، وجدير بأن يرنِّم البَشَرُ له كما يرنِّم له الملائكة قائلين على الدوام «قُدُّوسٌ. قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ». ففى قولنا إِذنْ «لِيتقدَسِ اسمُكَ» نسأَل أن يُعْلَنَ اسم الله مقدَّسًا فى كل مكان وعلى فم كُلِّ إنسان، وأن تجثو له كلُّ رُكبة فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض.

وإذ كان للآب السَّماويّ مَلكُوت تسود فيه شريعته السَّماوية التى هى شريعة الكمال المطلق سيادة كاملة مطلقة، لا تنقطع، ولا تنقص، ولا تحدّها حدود، فليبتهل البَشَر بأن يأتى مَلَكُوتُهُ السَّماوىُّ هذا إلى الأرض ويسودها بدلاً ممَّا يسودها من شرائع بَشَريَّة، يعتريها النقص، ويعيبها الفساد، ويشوبها الشرّ، وتغلب عليها الشراسة، ويشيع فيها الاستبداد والاستعباد والطغيان والظُّلم. فمتى سادت الأَرضَ شريعة ملكوت الله الذى جاء مخلِّصنا ليبشِّر به، ويفتح للبشر أبوابه، ويهديهم إلى سُبُلِهِ، ويأَخذ بأيديهم ليتجهوا نحوه وينتهجوا شريعته ليكونوا أهلاً لأن يُصبحوا من رعاياه، تحررت الأرض وتطهَّرت من كلِّ ما يسودها من نقص

وفساد وشرٍّ واستبداد وطغيان وظلم، وسادَتها شريعة الكمال والصَّلاح والعدل والسلام. ففى قولنا «ليأتِ ملكوتُكَ» نطلب امتداد ملكوت الله على الأرض وانتشار خَلاَصِهِ لكلِّ الشعوب. كما نرجو مجيئه الثانى فى مجده لننال الملكوت ٱلْمُعَدَّ لَنَا كَوعده منذ إنشاء العالَم.

ولما كانت شريعة الله هى التى تتضمّن مشيئته السائدة فى السماء، ينبغى على البشَر أن يبتهلوا إليه تعالَى أن تسود مشيئتُه هذه فى الأرض كما هى سائدة فى السماء. لأنَّ هذه المشيئة الإلهية لا تهدف إلاَّ إلى خير الكائنات كلِّها ولا سيَّما البشَر الذين أوجدهم ليكونوا أحبّ الكائنات إليه وأقربهم فى طبيعتهم الرّوحية من طبيعته الإلهية، إذ شاء حين خَلَقَهم أن يكونوا مشابهين له فى تلك الطبيعة، حتى إذا سقطوا فى الخطيئة، وانقطع اتصالهم به، ومِنْ ثَمَّ انقطعَتْ صِلَتهم بِهِ بِسَبَبِ خطيئتهم التى جَعَلَتهم منفصلين عنه غير جديرين حتى بمجرَّد الاقتراب منه، لأنَّ الخطيئة نجاسة، وهو مُبَّرأٌ من النجاسة براءة مطلقة، شاءت محَّبتُه لَهم، ورحمتُهُ بهِم أن يغفر لهم خطيئتهم هذه بالتكفير عنها بِدَمِ ابنه الإلهىِّ الحبيب الذى هو واحد معه، وبذلك هيَّأ الصلح بينه وبينهُم، وأتاحَ لَهم مَرَّة أخرى الاتصال به وقد أصبحوا أهلاً لأَن تربطهم به الصِّلة الأُولى التى كانت بينهم وبينه، وأصبحوا مستعدِّين بعد تمرُّدهم لأن يكونوا خاضعين لمشيئته، خليقين بالارتقاء بطبيعتهم فى ظلِّ هذه المشيئة حتى تصبح فى النهاية مُشَابهةً كما كانت فى البداية لمشيئته، مستحقِّين بذلك أن يتَّحِدوا به اتحادًا كاملاً، كما أنَّ ابنه فادينا مُتَّحِدٌ به اتِّحادا كاملاً. وهذا هو ما صرح به فادينا، إذ خاطَبَ أباه السَّمَاوِىَّ وهو يسأله من أجل الذين يؤمنون به، قائلاً «ليكونوا جميعُهم فى وَحْدَةٍ، كما أنَّك أَنتَ أيها الآبُ فِىَّ وأنا أيضا فيك، لِيكونوا هم أيضًا فى وحدة فينا» (يوحنا ١٧ : ٢١).

وأمّا قولنا «خُبْزَنا الآتى أَعطِنَا اليومَ» ففى هذه الطِّلبة نسأل من أجل الخبز السَّماوى الذى هو زادنا للدهر الآتى، أن يُعطينا إياهُ اليومَ وكُلَّ يوم، لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد. وأما خُبزُنا المادّى فلا داعى لأن نطلب من أجله لأنّ الله سبق فأعطاه لنا فى الطبيعة، إذ أعطانا الحَبَّ كما أعطانا الماء لنسقيه، والتربة لينمو فيها،

والهواء والنُّور، والأملاح المعدنية التى ينمو بها ويتغذى عليها. وما علينا إلا أن نَضَع الحَبَّ فى التربة ونسقيه بالماء فينمو وينضج ثم نحصده ونأكله. وهو بحُبِّه الأبوىّ وحنانه الإلهى، يدبّره ويوفره لنا فيجد كلٌّ منا ما يحتاج إليه جسده منه، دون حاجة إلى التماسه أو الضراعة من أجله. وأما الذى يجب أن نلتمسه فى إلحاح وتضرُّع من أجله فى جهاد واجتهاد فهو خبزنا الذى للدهر الآتى، ذلك الخبز النازِل من السَّماءِ، ليأكلَ منه الإنسانُ فلا يموتُ (يوحنا ٦ : ٥٠)، وهو أوَّلاً وبالذات سرّ القربان أو التناوُل، ثمَّ وسائط الخلاص الأخرى التى تنمو بها حياتنا الرُّوحيَّة وتغتذى عليها.

كما أنه لبلوغ تلك الغاية العُظمى والعُلْيا، وهى الاتحاد بالله، ينبغى على البشَر أن يبتهلوا إلى أبيهم السماوىّ أن يغفر لهم ما عليهم إزاءه من ذنوب وآثام وخطايا، ومن هنَات هَيِّنات مهما بلغ من ضآلتها، ما دامت تتضمّن إساءة إليه لاتؤهِّلهم لأن يكونوا جديرين بالاقتراب منه، أوجديرين آخر الأمر بالاتحاد به. أى أننا نطلب تَجاوز ربِّنا عن سيئاتنا كلِّها : ما صنعناه بإرادة، وما صنعناه بغير إرادة، خطايانا التى ارتكبناها بعِلْم، والتى ارتكبناها بجهل وبغير عِلْم، خطايانا الخَفِيَّة والظاهرة. وهذا هو معنى «ما عَلَيْنا»، أى كل ما نحن مدينون به لله من خطايانا الثقيلة والخفيفة، المميتة وغير المميتة. بَيْد أنه لا يحقُّ للناس أن يطلبوا هذا الغفران من أبيهم السَّماوىّ إلا إذا كانوا هم أنفسهم يغفرون لكل مَنْ أساء إليهم، لأنهم - كما قال فادينا - «بالدَّينونَةِ التى بها تَدينون تُدَانون، وبالكَيْل الذى به تكيلون يُكَالُ لكم (متى ٧ : ٢). وإلا فكيف يطلب الغفران لنفسه مَنْ لا يغفر هو لغيره؟. لذلك قال فادينا «إنْ غَفَرتُمْ لِلنّاسِ زَلَّاتِهِم، فإنَّ أباكمِ السَّماوىَّ يَغفِرُ لَكُم أَنتم أيضًا زّلاتكم. أمَّا إنْ لم تغفِروا لِلنَّاسِ زَلَّاتِهِم، فلن يَغْفِرَ لَكُمْ أبوكمْ زَلّاتِكُم» (متى ٦ : ١٤ و ١٥).

ولما كانت حياة البَشَر على الأرض مليئة بالشهوات والمغريات التى كثيرًا ما تدفع بهم إلى الخطيئة، فتبعد بهم عن أبيهم السماوىّ وعمَّا يريده لهم من خير وما يريده منهم من صَلَاح. كما أنَّها مليئة بالآلام والضيقات التى كثيرًا ما تدفع بهم إلى نقص

الإيمان بأبيهم السماوىّ أو اليأس من عنايته ورعايته وحنانه ورحمته، فيكون فى هذا أو ذاك تجربة لإيمانهم قد تؤدّى بهم إلى السُّقوط فيما يُبعِدُهُم عن ذلك الآب القدّوس الرَّحيم الحَنون، أو فيما يقطع صلتهم به تمامًا، وبذلك يُخْفِقون فى بلوغ تلك الغاية التى يتطلَّعون إليها، وهى الاقتراب منه والاتّحاد به، ينبغى عليهم أن يضرعوا فى صَلاتهم إليه أن يجنِّبَهم أمثال تلك التجارب التى من شأنها أن تؤدى بهم إلى الهلاك الأبدىّ. وإذ كان الشيطان هو أكبر وأخطر المُغرين للبشَر بارتكاب الخطيئة فى حقِّ أبيهم السَّماوىّ، المحرِّضين إياهم على الابتعاد عنه والتمرد عليه، ينبغى عليهم أن يضرعوا فى صَلَاتهم إليه أن ينجيهم من شرِّه ومكْره ووسوسته وغَدْرِه، لأَنَّ أباهم السَّماوىَّ هو القدير وحده على أن ينهر الشيطان ويقهر قُوَّتَهُ ويكسر شوكَتَهُ ويأمُرَهُ أن يبتعد عن المؤمنين الصَّالحين المبتهلين إليه، فيأتمر بأمره ويخضع صاغرًا لمشيئته. وقد أضافت الكنيسة هنا عبارة «بالمسيح يسوع ربِّنا». وذلك بعد أن تمّم المسيح يسوع تدبير الفداء والخلاص بصليبه، فصار هو وحده فادينا ومخلِّصنا.

وقد حثَّ مخلِّصنا تلاميذه. كما حثَّ المؤمنين جميعًا على مداومة الصَّلاة إلى أبيهم السَّماوىّ فى حرارة ولجاجة وإلحاح. وبغير كَلَل أو مَلَلٍ أو فتور، واضعين بين يديه مطالبهم، باحثين لديه عن احتياجاتهم، قارعين بابه فى أىّ وقت من أوقات الليل والنهار، لأنَّه مهما تَمَهَّلَ فى الاستجابة لمطالبهم أو فى سَدِّ احتياجاتهم، أو فى فَتْح بابِهِ لَهُمْ، فإنمَّا ذلك لحكمة لديه لا يعلمها أحد سواه. ولابُدَّ أنه سيستجيب لكلِّ مطالبهم ويسدّ كلَّ احتياجاتهم ويفتح بابه فى الوقت الملائم لذلك على مقتضى حكمته ورحمته ومحبّته لأبنائه الأبرار الصالحين المتعلّقين به المتطلّعين إليه. ولابُدَّ أن تكون استجابته لهم فى ذلك كلِّه بما فيه خيرهم، وبما يكفل سلامتهم وسلامهم، لأنه لا يصدر عنه إلا الخير لمن يطلبون الخير، وهو وحده القادر على أن يمنح السلامة والسلام لمن يطلبون السلامة والسلام. إذ قال مخلِّصنا لتلاميذه «إذا كان لِأَىٍّ منكم صَدِيقٌ. فيذهَبُ إليه عِندَ مُنْتَصَفِ اللَّيلِ ويَقولُ لَهُ: أَيُّها الصَّديقُ أَعِرْنِى ثَلاثَةَ أرغِفَةٍ لِأَنَّ صَدِيقًا لى جاءَ إلىَّ من سَفَرٍ وليس عِندِى ما أُقَدِّمُ لَهُ. فإِنَّه



« مَثَل استعارة الأرغفة من الصديق » (لوقا ١١ : ٥ – ١٣)

يُجيبُ مِنَ الدَّاخِلِ قائِلاً : لا تُزْعِجْنِي فإنَّ البابَ مُغلَقٌ وأطفالي مَعِي في الفِراشِ ، فلا أستَطِيعُ أن أقومُ وأُعطِيَكَ . أقولُ لَكُم إنْ لم يَقُمْ ويُعْطِهِ لِكَوْنِهِ صَديقَهُ ، فإنَّه مِنْ أَجلِ إلحاحِهِ يَقومُ ويُعطيهِ كُلَّ ما يَحتاجُ إليهِ . وأنا أَقولُ لَكُمْ : اطلُبوا تُعْطَوْا ابْحَثوا تَجِدوا . اقرَعوا يُفتحْ لَكُمْ . فإنَّ كُلَّ مَنْ يَطْلُبُ يُعطى ، وَمَنْ يَبحَثُ يَجِدُ ، ومَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ . فأيُّ أبٍ مِنكُمْ إذا طَلَبَ مِنهُ ابنُهُ خُبْزًا . يُعطِيهِ حَجَرًا ؟ أو طَلَبَ منه سَمَكَةً ، يُعطيهِ أَفْعَى بَدَلَ السَّمَكَةِ ؟ أو إذا طَلَبَ بَيْضَةً يُعطيهِ عَقْرَبًا ؟ فإنْ كُنتم وأنتم أَشرارٌ تَعرِفونَ كَيفَ تُعطونَ أَبناءكُم عطايا حَسَنَةً ، فكم بالحَرِيِّ أَبوكُم السَّمَاوِيُّ يُعطي رُوحَ القُدُسِ لِلّذينَ يَسأَلونَهُ ؟ » . لأنه إن كان الآباء الأرضيون – على الرَغم من أنهم أشرار – يبادرون بدافع من محبّتهم البَشَريَّة لأبنائهم إلى إعطائهم احتياجاتهم المادية التى تكفل لهم حياتهم الجسدية . فكم بالأحرى يفعل الآب السماويّ القدّوس الذى تفوق محبته بما لا يُقاسُ محَبَّةَ الآباء الأرضيين ، إذ يُعطى أبناءه الذين يسألونه احتياجاتهم الرُّوحيَّة التى تكفل لهم حياتهم الجسَديّة والرُّوحيَّة معًا ، واهبًا إياهم روحه القدوس ذاته الذى يسبغ عليهم كلَّ نعمة إلهية فلا يعوزهم شيء فى هذه الحياة المؤقتة على الأرض ، وفى الحياة الأبدية فى السماء .

ويبدو من قول الربِّ يسوع « فكم بالحَرِيِّ أبوكُمْ السَّماويُّ يُعطِى رُوحَ القُدُسَ لِلّذين يَسأَلونَهُ » أَنَّ الإلحاح المطلوب فى الصلاة هو من أجل طلب المواهب الرُّوحيَّة . وأما الأمور الجسَدِيَّة فقد قال عنها فى موضع آخر « فلا تَهْتَمُّوا إذَن قائِلِينَ ماذا عَسانا أن نَأكُلَ أو ماذا عَسانا أن نَشْرَبَ أو ماذا عسانا أَنْ نَلْبَسَ ، فهذا كُلُّهُ يَسْعَى فى طَلَبِهِ الوَثَنِيُّونَ ، لِأَنَّ أَباكُمْ السَّماويَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ مُحْتاجونَ إلى هَذا كُلِّهِ . لكن اطلُبُوا أوَّلاً مَلَكُوتَ اللّهِ وبِرَّه ، فَيُعْطَى لكُمْ فوقَ هذا ذَلِكَ كُلُّهُ » (متى ٦ : ٣١ – ٣٣) وانظر (لوقا ١٢ : ٢٩ – ٣١) . وقال أيضًا بعد أن تحدث عما يفعل الوثنيون « فلا تَتَشَبهُّوا إذَنْ بِهِمْ لأَنَّ أَباكُمْ يَعرِفُ احتِياجاتِكُمْ قَبْلَ أَن تَسْأَلوهُ » (متى ٦ : ٨) .

١١ : ١٤ - ٢٨

وقد حَدَثَ أَنْ كان مُخَلِّصنا يطرد شيطانًا من رَجُلٍ أخرس كان الشيطان قد احتلَّ جَسَدَه فَعَقَدَ لسانه وجعله عاجزًا عن النُّطق، لِيُعذِّبه، بدافعٍ من شَرِّه وحقْدِه على البَشَرِ خليقة الله، ورغبته فى إيلامهم والتنكيل بهم. فما إنْ طَرَدَ مُخَلِّصُنَا الشيطان حتّى تكلَّم الأخرس وقد انحلّت عُقدةُ لسانه. فتعجَّبَتِ الجموع من تلك القُدرة الإعجازية التى لمُخلِّصِنَا، والتى لا يمكن أن تكون قُدْرةَ بَشَرٍ، ولا يمكن أن تكون إلا قدرة الله وحده. بَيْدَ أنَّ بعضَ أعداءِ مُخَلِّصِنَا من الفرِّيسيين والصَدُّوقيين والكَتَبَة وعلماءِ الشريعة اليهودية المُعَادين له، الممتلئين حِقْدًا عليه وَحَسَدًا له على حبِّ الناس إياه وإعجابهم بِهِ وعَجَبهم مِمَّا يصنع من معجزات، أرادوا أن يُبلبلوا أفكارَ النَّاس نحوه، وأن يُقلِّلوا من أَثَرِ ما كانت تلك المعجزات تتركه فى نفوسهم من انبهار بِهِ ومن إكبارٍ له، فَزَعَمُوا أنه لا يُخرِجُ الشياطين بقوة الله أو بقوَّته هو التى هى قوة الله، وإنما يُخرِجُ الشياطين بقوة بعل زبول رئيسِ الشياطين. فإن كان يفعَلُ ما يفعَلُ بِقوَّةِ الله أو بقُوَّتِهِ هو، فليأْتِ بآية تُثبتُ ذلك. فقال لهم مخلِّصنا «كُلُّ مملَكَةٍ تنقسمُ على ذاتِها تَخْرَبُ. وكُلُّ بَيْتٍ يَنقَسِمُ على ذاتِهِ يَسْقُطُ، فإذا انْقَسَمَ الشَّيطانُ على ذاتِهِ فكيفَ تَثبُتُ مملكَتُهُ؟ لِأنّكم تقولونَ إنَّنى بِبَعلَ زَبولَ أُطردُ الشياطين. فإنْ كنتُ أنا ببعلَ زبولَ أطردُ الشَّياطينَ، فَبِمَنْ يَطرُدُهُم أَبناؤكُم؟ لذلك هُم سَيكونونَ قُضاتَكُم. أمَّا إنْ كُنْتُ أنا بإصْبَعِ الله أطردُ الشَّياطينَ، فقد أقْبَلَ عليكُمْ مَلَكوتُ اللّهِ. إنَّ القَوِىَّ الّذى يَتَسَلَّحُ لِيَحرُسَ دارَهُ تَكونُ أمتِعَتُهُ فى أمانٍ. ولكِنَّه مَتَى جاءَ عليه ذلِكَ الّذى هو أَقْوَى مِنْهُ، تَغَلَّبَ عَلَيهِ وَنَزَعَ مِنه كُلَّ أسلِحَتِهِ التى كانَ يَعْتَمِدُ عليها ويُوَزِّعُ غنائِمَه». وبذلك فَضَحَ مُخَلِّصُنَا ما فى ذلك الذى يزعمه مُنَاوِئوه من سَخَافَةٍ ومن مُخَالفَةٍ لأبسط قواعد المنطق. لأنه كثيرًا ما أعلن أنه جاء ليحطِّم سطوة الشيطان ويقضى عليه القضاء الأخير، فكيف يكون من المعقول أو المقبول أن يتحالف مع الشيطان أو أن يتحالف الشيطان معه وهو أَلَدُّ أعدائه؟ وكيف يكون من المعقول أو المقبول أَنَّ

رئيس الشياطين يتحالف مع عَدُوّه ضد الشياطين الذين هُمْ رعاياه وأجناده وعليهم اعتمادُه فيما لَهُ من سطوة وسلطان؟ إنَّه إنْ فَعَل ذلك تنهار مملكته ولا يعود له أى سطوة أو سلطان، فكيف يرتضى ذلك وكيف يقضى على نفسه بنفسه؟. والمقصود بقوله «فبِمَنْ يَطرُدُهُم أبناؤكم؟» أنَّ تلاميذ السيد المسيح ورسله - وهم من أبناء الأُمَّة اليهودية - هُمْ أيضًا قد نالوا سُلطان طَرد الشياطين والأرواح النجسة من قِبَل سَيِّدهم الذى منحهم هذا السلطان، إذ قال الإنجيل «ثُمَّ دعا إليه تلاميذه الاثنى عَشَرَ وأعطاهُم سُلطانًا على الأرواحِ النَّجِسَةِ لِيَطرُدوها» (متى ١٠ : ١)؛ (مرقس ٣ : ١٤ و١٥؛ ٦ : ٧)؛ (لوقا ٩ : ١). ولذلك فإنَّ هؤلاءِ التلاميذ الذين هُمْ من أبناء الأمة اليهودية، سيكونون فى يوم الدَّينونة ضد هؤلاء المفترين على مخلِّصنا، ويقضون ضِدَّهم بما يدينهم ويستوجب دينونتهم. أما إن كان مخلِّصنا يطرد الشياطين بأُصْبُعِ اللّهِ التى هى أُصْبُعُهُ هو فى الوقت نفسه، وبِقُدْرة الله التى هى قدرته هو فى الوقت نفسه، فإنَّ هذا هو الدليل على أنه قد أقبل ملكوت الله الذى تسود فيه شريعته على البشر ولا تعود فيه للشيطان سطوة ولا سلطان عليهم. لأنَّ ذلك الشيطان القوىّ المسلَّح بكل قُوَى الشرِّ وأسلحته ظلَّ آمنًا فى مملكته التى أقامها لنفسه، يسطو على البشَر الذين هُم أضعف منه، ويتسلَّط عليهم ويسودهم وينكّل بهم، حتى أتَى مخلِّصنا الذى هو بقوَّته الإلهية أقوى من الشيطان، وأقوَى من كلِّ القُوَى الأخرى غير الشيطان، فتغلَّب عليه ونَزَعَ منه كلّ أسلحته التى كان يعتمد عليها فى الدفاع عن نفسه وعن مملكته، واستولى على سطوته وسلطته التى كان يستخدمها فى أعمال الفساد والشرِّ، والتى غَنِمهَا فى هذا العَالَم، فوزّعها على الصَّالحين الأخيار من البَشَر ليستخدموها فى أعمال الصلاح والخير.

ثُمَّ قال لَهُم مُخلِّصنا «مَنْ لَيسَ مَعِى فهو ضِدِّى، وَمَنْ لا يَجْمَعُ مَعِى فهو يُشَتِّتُ. إنَّ الرُّوح النَّجِسَ إذا خَرَجَ من إنسانٍ مَضَى هائِمًا فى القِفَارِ يَلْتَمِسُ راحَةً. وإذ لا يَجِدُ يَقولُ أرجِعُ إلى دارى التى بارَحْتُها. فإذا جاءَ يَجِدُها مَكنوسَةً مُزَيَّنَةً. وعندئِذٍ يذهَبُ ويأخُذُ مَعَهُ سَبْعَةِ أرواحٍ آخَرِينَ أكثرَ مِنْهُ شَرًّا، فَيَدْخُلونَ وهُناكَ يُقيمونَ، فتكونُ أواخِرُ ذَلِكَ الإنسانِ أسوأ مِنْ أوائِلِهِ». وقد وَبَّخ فادينا بهذه

الكلمات أولئك الذين غلظت قلوبهم وعميَت أبصارهم وبصائرهم من رؤساء وفقهاء الديانة اليهودية الذين كانوا يعرفون حقَّ المعرفة كلَّ نبوءات أنبيائهم عن مجيئه، وعن علامات ذلك المجيء، بحيث كان الأجدر بهم أن يكونوا هُم أوّل وأقدر الناس على إدراك حقيقة شخصيته حين جاء، ولكنهم بدلاً من أن يكونوا معه فى دعوته السماوية، وقفوا ضدّه وأنكروه وتنكرّوا له وحاربوه وناصبوه العداء واعتدوا عليه بالقول قبل أن يعتدوا عليه بالفعل ويسفكُوا آخر الأمر دمه على خشبة الصليب. وبدلاً من أن يُجنِّدوا أنفسهم للعمل معه على جَمْع شَمْل الأمة تحت راية الإيمان، راحوا بأضاليلهم وأباطيلهم ومغالطاتهم وافتراءاتهم عليه يبلبلون أفكار الناس بشأنه، فيشتتون حتَّى أولئك الذين اجتمعوا من حوله لكى لا يؤمن به أحد،٠ومِنْ ثَمَّ يظلُّ الجميع بعيدين عن ملكوت السماوات الذى فتح هو للناس أبوابه بمجيئه وبتعاليمه وبالخلاص الذى وهبه لهم بدمه. وقد صوَّر فادينا حال أولئك المرائين المنافقين المعادين والمعاندين له، وإن كانوا من أئمة الدين، قائلاً إنهُمْ مأوى مناسب ومريح لكلِّ روح نجس شرِّير من أرواح الشياطين. فإذا بَارَحَت تلك الروح أحدهم بسبب ما يتظاهر به من الوَرَع والتقوى، وَراحت تهيم باحثة عن مأوى آخر أكثر مناسبة وأكثر إراحة لها، فَإذْلا تجد لا تلبث أن تعود إليه، فتجده - لِتَزَايُد شَرِّه - مُهيَّأ لقبولها أكثر من ذى قبل. ومِنْ ثَمَّ تذهب وتأتى معها بسَبعةِ أرواح نجسة أخرى أكثر شرًّا، وتدخل فيه وهناك تقيم، فيصبح مأوى لثمانية شياطين بدلاً من شيطان واحد، فتكون أواخره وهى مسيطرة عليه كلُّها، أسوأ من أوائله حين كان يسيطر عليه ذلك الشيطان الواحد بمفرده، لأنَّ الشِّرير إذا تشبَّث بالشرِّ الذى يتصف به فى حين أن أبواب الخلاص والخير مفتوحة أمامه، لا يلبث أن يزداد شرًّا، فيصبح عبدًا للشياطين أضعافًا مضاعفة.

وإن كلام مخلِّصنا عن عمل الشياطين فى التملُّك على قلوب الناس وعقولهم وسكناهم فى أبدانهم يفسِّر لنا الحكمة فيما تفعله الكنيسة الأرثوذكسية بالمعمَّدين قبل أن يدخلوا بالمعمودية إلى ملكوت السماوات على الأرض، أى الكنيسة، فإنها تطرد الشيطان منهم قبل أن ينزلوا إلى جُرْن المعموديّة مباشرة، وبعد أن تجحد

الشيطان وكلّ قواته الشّريرة، إذ ينفخُ الكاهِنُ فيهم ويأمر الشيطان ثلاث مرات أن يخرج باسم السيِّد المسيح، ثم بعد تغطيسهم فى مياه المعمودية ثلاث غطسات ويولَدون الميلاد الثانى من فوق، من الماء والروح، يَختم الكاهن أعضاءهم ومفاصلهم بالمَيْرُون المقدَّس، الذى يتم به مسحُهم بمسحة الرُّوحِ القُدُسِ فى ستة وثلاثين موضعًا هى منافذ الشيطان فيهم، وهى مداخله ومخارجه، حتى تصير أعضاؤهم للمسيح، مُكَرَّسة ومُدَشَّنة وَمُقَدَّسة، فلا يجرؤ الشيطان على أن يقترب منها، لأنهَّا مُسَلَّحَة بالمَيْرُون، ولا يقوى على أن ينفذ إلى أبدانهم ليمتلكها كما كان يفعل قبل طَرْدِه منها.

وفيما كان مُخَلِّصُنا يخاطب فقهاء اليهود وعلماءهم الدينيين بهذه الأقوال، مُوبِّخًا إيَّاهم على ريائهم وافترائهم عليه، مُفَنِّدًا مزاعمهم السخيفة السَّمجة المخالفة للعقل والمنطق التى كانوا لا يفتأون يبلبلون بها أفكار الناس بشأنه، كان ضمن الواقفين امرأة عاقلة فاضلة، بهرَهَا كلامه السَّامى السَّمَاوِىّ الذى كان يقوله بِسَطْوةٍ وبسُلْطانٍ، فَهزَمَ به فقهاء اليهود وعلماءهم الذين كانوا لا يفتأون يناوئونه فى صَلَف وكبرياء بما لهم من معرفة ومقدرة على المحاورة والمداورة والإقناع. وقد أفْحَمَهَم وأَلْجَمهَم وفَضَح رياءهم وكبرياءهم، فسكتوا سكوت العاجزين ونكصوا على أعقابهم نكوص المقهورين المدحورين. ومِنْ ثَمَّ رَفَعَت تلك المرأة صَوْتها مِن بين الجميع قائلة له «مُبارَكٌ هو البَطْنُ الّذى حَمَلَكَ ومُباركانِ هُما الثَّدْيانِ اللّذان أَرضَعاكَ». . أما هو فقال لها «بل مُبارَكونَ هُمُ الّذين يَسمَعونَ كلِمَةَ اللّهِ ويَحفَظونَها». وقد كان ما قالته المرأة يتضمَّن تكريمًا وتعظيمًا لمعلِّمنا الإلهىِّ، يَدُلُّ على أنها آمَنَتْ به وبما يقول. كما كان يتضمَّن تكريمًا وتعظيمًا لوالدته السيدة العذراء مريم التى اصطفاها الله دون سائر نساء البَشَر لتحمِل ذلك المعلِّم الإلهىّ فى بطنها وترضعه بثدييها. وهكذا تحقَّق حتَّى فى الجيل الذى كان لا يزال يهيم فى ظلام الشر والفساد، ما هَتَفَتْ به السَّيِّدة العذراء حين أدركَت طبيعة الجنين الذى فى أحشائها فقالت «هوذا مُنذُ الآنَ كُلُّ الأجيالِ تُطوِّبُنِي» (لوقا ١ : ٤٨). وقد قابَلَ مُخَلِّصُنا هذه التحيَّة من تلك المرأة بتحيَّة مثلها، إذ مَدَحها لأنهَّا سمعت كلمة الله



« البحث عن الخروف الضائع » (لوقا ١٥ : ٣ — ٦)

للفنان العالمى ا . ى . سورد



« عودة الإبن الضَّالّ » (لوقا ١٥ : ١١ - ٣٢)

للفنان العالمى ب . ج . باتونى

وحفظتها. كما مَدَحَ كلَّ مَنْ يسمع كلمة الله من الناس جميعًا ويحفظها، مُسْبغًا عليها وعليهم جميعًا بَركته الإلهية التى تفوق كلَّ البَركات، والتى تنقل مَنْ يفوز بها من حياة النقمة إلى حياة النعمة التى للعهد الجديد فى ملكوت السماوات.

وفى قول الرب يسوع «بل مُبارَكونَ هُمُ الَّذين يسمَعونَ كَلِمةَ اللّهِ ويَحفَظونَها تثبيت للتطويب الذى استحقته السيدة العذراء الطاهرة مريم، وتوكيد جديد على أنها تستحق هذا التطويب، ليس فقط لأنها حملت ابن الله فى بطنها وأرضعته من ثدييها، بل لأنها بالأحرى ممتلئة نعمة (لوقا ١ : ٢٨). وقد حفظت كلام الله وعملت به، وهو ما أَهَّلها لأن تكون وحدها «مختارة» و «مصطفاة» من بين جميع نساء العالمين لأن تحمل ابن الله وتصير والدته.

وفى هذه البركة وهذا التطويب أيضًا تشجيع لسائرالمؤمنين والقدِّيسين ممَّن لم يظفروا بما نالته العذراء التى حملت بالسيد المسيح وأرضعته، بيد أنهم بسماعهم كلمة الله وحفظهم لها وعملهم بها، ينالون هم أيضًا البركة والتطويب والغبطة والسعادة الروحية فى ملكوت السماوات وفردوس النعيم.

١١ : ٢٩ - ٣٦

وإذ ازدحمت حول مخلِّصنا جموع كثيرة، وكان مناوئوه من فقهاء اليهود قد طلبوا منه فى الحديث السابق آيـة من السماء يُثْبِتُ بها أنه بالقوة الإلهية يصنع معجزاته، وليس بقوَّة رئيس الشياطين، مع أنه سبق أن أتى أمامهم بعدد عظيم من الآيات التى تبرهن على ذلك، كما تبرهن بوضوح عظيم على أنه هو المسيح ابن الله الذى تنبَّأ بمجيئه كل أنبيائهم والذى كانوا ينتظرونه، ولكنهم كان الحقد عليه قد أعمى أبصارهم كما أعمى بصائرهم، وقد أغلقوا عقولهم وقلوبهم فلم يدركوا هذه الحقيقة، فمِن ثَمَّ قال لهم «إنَّ هذا الجِيلَ شِرِّيرٌ يَطلُبُ آيةً فلا يُعطَى إلا آيةَ يونانَ النَّبِيِّ، لِأنه كما كانَ يُونانُ آيةً لِأَهلِ نِينَوى، هكذا يَكونُ ابنُ الإِنسانِ لِهذا الجِيلِ»، أى أنَّ هذا الجيلَ الشِرِّير - بسبب شره وعناده وانقياده للشيطان - لا يمكن أن يقتنع بحقيقة شخصية فادينا مهما صنع من معجزات، ومهما أتى من

آيات. فلن تقنعه إلا آخر معجزاته وأعظمها، وهى موته ومكوثه فى جوف القبر ثلاثة أيام ثم قيامته إلى الحياة من جديد. وقد كانت ترمز إلى ذلك فى العهد القديم حادثة يونان النبىِّ الذى ابتلعه حوت فى البحر وظل فى جوفه ثلاثة أيام، ثم خرج منه حيًّا، فكان ذلك آية لأهل نينوى أدت بهم إلى التوبة والإيمان (يونان ١ : ١٧)؛ (٢ : ١٠). وقد كان هذا مثالاً ورمزًا لما سيحدث لمخلِّصنا الذى كان يسمى نفسه «ابن الإنسان»، لأنه وهو ابن الله ومن ذات طبيعته اتخذ جسد إنسان كما اتخذ طبيعته، فى وحدة كاملة مع الله الآب وطبيعته. وقد كان فى اتخاذه هذا الاسم كذلك إشارة إلى نبوءة دانيال النبى عن المسيح المنتظر التى جاء فيها أنه أبصره فى رؤياه فى صورة ابن الإنسان، إذ يقول «كنتُ أرى فى رؤى الليل وإذا مع سُحُب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاءَ إلى القديم الأيام (وهو الله الآب) فقرَّبوه قُدَّامه، فأُعِطىَ سُلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبّد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدىّ ما لن يزول، وَمَلَكوته ما لا ينقرض» (دانيال ٧ : ١٣ و ١٤).

ثم ندّد مخلِّصنا بأبناء ذلك الجيل الشّرير من اليهود، الذين رأوا المسيح الذى ينتظرونه بأعينهم، وسمعوه بآذانهم، وتحقَّق كل ما قاله الأنبياء عنه تحت بصرهم وسمعهم، ومع ذلك أَبَت لهم طبيعتهم الشكسة الشريرة وما اتصفوا به من فساد وعناد، أن يؤمنوا به. وإنما احتقروه وأنكروه وعادوه واعتدوا عليه. فقال لهم «إنَّ مَلِكَةَ الجَنوبِ سَتقومُ فى يوم الدَّينونَةِ مَعَ أُناسِ هذِا الجيلِ وتَدِينُهُمْ، لأَنها أَتت من أقاصى الأرضِ لِتسمَعَ حِكمَةَ سُليمانَ، وهو ذَا أَعظمُ مِنْ سُليمانَ هُنا. وأَهلُ نِينَوى سَيقومونَ فى يومِ الدَّينوَنةِ مَعَ هذا الجيلِ ويَدينُونَهُ، لِأنهم تابوا عِندَما أنذَرَهُم يونانُ، وهوذا أعظمُ من يونانَ هُنا»، أى أنّ ملكة الجنوب، وهى ملكة سَبَأ التى كانت تحكم شعبًا يُقيم فى أقصى جنوب الجزيرة العربية، حين سمعت بحكمة الملك سليمان تمَنَّت أن تراه، فقطَعَت آلاف الأميال من بلادها إلى أورشليم لتحقيق هذه الأمنية، حتى إذا رأته آمَنَت بحكمته (١. الملوك ١٠ : ١ – ١٣). فى حين أنّ اليهود وقد جاء إليهم فى ذات بلادهم ابنُ الله الذى هو

أعظم بما لا يُقاسُ من سليمان الذى لم يَكُن إلاّ بَشَرًا، فلم يسعوا إلى التأكد من حقيقة شخصيته، ولم ينتفعوا بحكمته التى ليست حكمة بشرية كحكمة سليمان، وإنما هى حكمة الله ذاته. وَمِنْ ثَمَّ فإنَّ ملكة الجنوب ستقوم معهم فى يوم الدينونة وتشهد ضدّهم بما يدينهم. كما أنّ أهل نينوى حين أنذرهم يونان النبىُّ تابوا عن شرورهم (يونان ٣ : ٥) فى حين أنَّ اليهود أنذرهم ابن الله الذى هو أعظم بما لا يُقاس من يونان الذى لم يكُن إلا بَشَرًا، لم يتوبوا، وإنما ازدادوا شَرًّا على شَرِّهم، ومكرًا على مكرهم. وَمِنْ ثَمَّ فإنَّ أَهْلَ نينَوى سيقومون معهم فى يوم الدَّينونة ويشهدون ضدّهُم بما يُدينهم، ويُؤدِّى إلى هلاكهم.

وقد أعلن مُخلِّصنا شريعته التى هى الشريعة الإلهية فى مَلَكوت السماوات، وفى الخفاء لم يتكلَّم، وإنما تكلم على رؤُس الأشهاد. وحين سأله رئيس الكهنة فيما بعد وهو يحاكمه عن تعليمه أجابه قائلاً «قد عَلَّمْتُ كُلَّ حينٍ فى المجامع وفى الهيكَل حيثُ يجتمع اليهودُ كُلُّهم، ولم أقل أى كلمة فى الخفاء» (يوحنا ١٨ : ٢٠). وذلك لأنه كما قال لليهود «ما من أحد يُوقِدُ سِراجًا ثُمَّ يضَعُهُ فى مكانٍ خَفِىٍّ أو تَحتَ مِكيالٍ، وإنَّما على مَنارةٍ حتى يرى الدَّاخِلونَ نُورَهُ». وهكذا كانت تعاليم مخلِّصنا سِراجًا منيرًا، وقد وُضِعَ هذا السِّراجُ بحيث يُضِى لجميع الناس، فيرون نوره ويهتدون بهَدْيِهِ. وحتى التعاليم التى اختصَّ بها تلاميذه على انفراد فأنار بها بصائرهم أثناء حياته على الأرض، أوصاهم أن يعلنوها للناس بعد صعوده إلى السماء قائلاً لهم «ما مِنْ خَفِىٍّ إلَّا يُكشَفُ، وما من مَكتُومٍ إلَّا يُعْلَنُ. فَما أَقولُهُ لَكُمْ فى الظَّلامِ، قولوه أَنتم فى النُّورِ، وما تَسمَعونَهُ هَمْسًا فى الأُذُنِ نادوا بِه عاليًا عَلَى السُّطوحِ» (متَّى ١٠ : ٢٦ و٢٧). كما قال لهم «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكذا أَمامَ النَّاسِ حَتَّى يَرَوْا أعمالَكُم الصَّالحَةَ فيُمَجِّدوا أباكم الَّذى فى السَّماوات» (متَّى ٥ : ١٦). ثم قال لهم أخيرًا «اذهَبوا إلى العالَمِ أجمَعَ وبَشِّروا بالإنجيلِ كُلَّ الخليقَةِ» (مرقس ١٦ : ١٥).

وكان النور الذى ينبعث من تعاليم مُخَلِّصنا ساطعًا بحيث يمكن أن تراه كلُّ

عَينْ، فَمَنْ كانَتْ عينهُ طاهرةً صافية سليمة بسيطةً، استطاعَت أن تَرَى هذا النور في كامِلِ بهائه. ولّما كانت العين هِيَ سِرَاجُ الجَسَد، فإنَّ مَنْ ترى عَيْنُهُ هذا النُّور لا يلبَثُ جَسَدُه كُلُّهُ أن يُصبح مُمتلئًا بالنور، ومن ثَمَّ ممتلئًا بالنعمة التى تتضَمَّنها تعاليم مُخَلِّصنا. أمَّا مَنْ كانت عينُه شرِّيرةً خبيثةً نَجِسَةً، فإنّها لن تستطيع أن ترى النور المنبعث من تعاليم مخلِّصنا، فَتَظَلُّ مُظلمةً. فإذا كانت العَيْنُ وهى سراج الجَسَد ومصدرُ نوره مُظلِمةً، كان الجَسَدُ كُلُّه مُظْلِمًا، ومِنْ ثَمَّ خاليًا من النِّعمة ومستَحِقًّا للنِّقمة، على العكس مِمَّنْ يكون جَسَدُه كُلُّه نَيِّرًا ليس فيه جزء مُظلِم، فيكون كلُّه منيرًا، يَسطَعُ فيه ضوء تعاليم مُخَلِّصنا التى هى سراج منير، ومِنْ ثَمَّ يكون ممتلئًا من النِّعمة، مستحقًّا للنعيم. ولذلك قال مخلِّصنا، موصيًا وناصِحًا المؤمنين به، مُوَبِّخًا ومُنْذِرًا ومحذِّرًا المناوئين له: «سِراجُ جَسَدِكَ هو عَينُكَ، فإنْ كانَتْ عَينُكَ طاهِرَةً، كانَ جَسَدُك كُله نَيِّرًا. أمَّا إن كانَتْ عَينُكَ شِرِّيرَةً فإنَّ جَسَدَك كُلَّهُ يكونُ مُظلِمًا. فاحذَرْ إذَنْ أن يكونَ النُّورُ الَّذى فيكَ ظَلامًا، لِأنه إن كانَ جَسَدُك كُلُّهُ نَيِّرًا ليسَ فيه جُزءٌ مُظلِمٌ، كانَ مُنيرًا كُلُّهُ، كما لو أَضاءَ لَكَ السِّراجُ بِنورِهِ السَّاطِعِ».

١١ : ٣٧ - ٥٤

وفيما كان مُخَلِّصُنا يَتَكَلَّمُ طَلَبُ إليه أَحَدُ الفَرِّيسيينَ أن يَتناوَلَ الطَّعامَ عِندَهُ. وعلى الرَّغم مِن أَنَّ مُخَلِّصَنا كان يَعْلَمُ أنَّ الفَرِّيسيِّين يُعادونه ويَتَصَيَّدون تُهمةً يلصقونها به لِيهْلكوه، وكان يَعْلَمُ أنه إذا دعاه واحِدٌ منهم، فإنَّما ذلك ليستدرجه أمام غيره من الفرِّيسيين الذين يدعوهم معه إلى قَوْلٍ أو فِعْلٍ يأخذونه عليه ويؤاخذونه به، فَقَدْ قَبِلَ دعوة ذلك الفرِّيسيِّ الذى استضافه، ودخل بيته وَجَلَسَ إلى المائدة، لأنَّه يتَّخِذ كُلَّ فُرْصة للمناداة بتعاليمه، لا بَينْ المُعْجَبين بِهِ المُحبِّين له فَحَسْبُ، وإنَّما كذلك بين الغاضبين عليه والمَعادين له. وبالفِعْل ما جَلَسَ مُخَلِّصُنا إلى المائدة وبدأ يتناولُ الطعام حتى وَجَدَ ذلك الفَرِّيسيّ الفُرصَةَ لانتقادِه واتهامه بمخالفة التقاليد المرعيَّة لدى اليهود. وكـان فى مقدِّمـة تلك التقاليـد ما ابْتَـدَعَهُ

الفرِّيسيُّون وَمَنْ عَلىَ شاكِلَتِهِم من الفقهاء من إلزام أنْفُسِهِمْ وإلزام سائر اليهود معهم بِعَدَد لا نهاية له من الغَسْلاَتِ التى أضافوها إلى الغَسْلاَت التى تفرضُها الشريعة عليهم، وكان منها وجوب غَسْلِ الأيدى مِرارًا قَبْل تناول الطعام كوسيلة من وسائل الطهارة. وقد أراد مخلِّصنَا أن يجعل من جلوسه معهم فُرْصَةً لِيَوَضِّحَ لهم خطأَهُم فى التَّمَسُّك بالطهارة الشَّكليَّة، وليشرح لهم معنى الطهارة الحقيقية، فَلَم يغتسِل أوَّلاً قَبْلَ تناوُل الطعام. فلما رأى الفرِّيسيُّ ذلك تعجَّبَ قائلاً فى نفسه «ما بالُهُ لم يغتسِلْ أوَّلاً قَبْلَ تناوُلِ الطَّعام؟». وقد أدهشه أنَّ ذلك الذى يعتبره الناس نبيًّا نَقيًا، والذى يُنادِى بانتهاج المَثَل الأعْلى فى كلِّ شيءٍ، لم يلتزم بذلك التقليد كما يفهمونه ويلتزمونه. فَعَلِمَ الربُّ بما يدور فى ذهنه، وقال له «أنتمُ أيُّها الفرِّيسيُّون تُطَهِّرونَ خارجَ الكأس والصَّحفَةِ فى حِين أنَّ باطِنَكُم مُمتلِئ نَهْبًا وخُبْثًا. أيُّها الأغبياءُ أَلَيْسَ الذى صَنَعَ الخارجَ هُوَ الذّىَ صنَعَ الدَّاخِلَ أيضًا؟. فالأحرَى بِكُمْ أن تُعطوا ما عنْدَكُم صَدَقَةً، ومنْ ثَمَّ يَكُونُ كُلُّ شيءٍ طاهِرًا لكم». وفى هذه العبارة يبدو أنَّ مُخَلِّصَنَا الوديع المتواضع الرقيق اللفظ الحلو الحديث، لم يَكُنْ يمتنع عن التوبيخ الصَّارِمِ واللَّوْمِ العنيف حين تكون الصَّرامةُ لازمةً والعُنْفُ ضروريًّا لِرَدْع الأشرار وتقويم الملتوين فى تفكيرهم وسلوكهم، ولا سيَّما إذا كانوا من القَادَةِ والمعلِّمين. فقد كان الفرِّيسيُّون قومًا منافقين مرائين يُظهِرون ما لا يُبطِنونَ، ويتظاهرون بما ليس فى طبيعتهم، مُسْدِلين سِتَارًا من مظاهِرِ التَّقْوَى الشكليَّة والوَرَعِ الزَّائف على ما كانت تنطوى عليه نُفوسُهم من خُبثٍ وَمَكْرٍ وشَرَهٍ وشَرٍّ، وشَهوةٍ لا تَخمدُ جَذْوَتُها فى مُشتهيَاتِ الدُّنيا وملذَّاتها، غيرَ متورِّعين فى سبيل ذلك عن السَّلْبِ والنَّهبِ من المحتاجين، وأكْلِ أموالِ الأرامِلِ واليَتَامَى. ومِنْ ثَمَّ فَضَحَ مُخَلِّصُنا نفاقهم ورياءهم، وأوضح لهم مَدَى غباوتهم وتغابيهم، وجهلِهم وتجاهِلِهم، إذ يتمسَّكونَ كُلَّ التَمسُّكِ بتطهير خارج أجسادهم، فى حين أنَّ أرواحهم فى داخلهم ملوَّثةٌ بالأدْنَاسِ مُلَطَّخَةٌ بالأرجاس، كمن يغسل خارج الإناء الذى لا طعام فيه ولا شراب، ولا يغسل داخله - الذى يضع فيه طعامه وشرابه - مِمَّا عَلقَ بِهِ من أوساخٍ وأقذار. فكان الأجدر بهم قبل الاهتمام بتطهير أجسادهم

أن يهتمُّوا قبل ذلك بتطهير أرواحِهم لأنَّ الذى خَلَق لهم تلك الأجساد التى هى من تراب وستعود إلى التراب، هو الذى أودع فيها أرواحًا هى العنصُر الأساسىُّ والأَسْمَى والخالِد الذى لا يفنى بفناء جَسَدِهِم، وإنما يعود آخرَ الأمرِ إلى خالقه، وهى التى سَيُقابِلون بها ربَّهم فى اليَوم الأخير، يوم الدَّينونة الرَّهيب. فإن كانوا يبتغون الطهارة حقًّا، فإنَّ الطهارة الحقيقية، إنما هى التى يغسلون بها أرواحهم من أدناسِها وأرجاسِها. وهى تتطلَّب منهم أن يتخلّوا عمّا تشتهيه وتتلذَّذ به أجسادهم من متاع هذه الدنيا، مستخدمين إياه لا فى فِعْلِ الشرِّ وإنما فى فِعْلِ الخَير، معاونين به المحتاجين بدلاً من أن يسلبوهم وينهبوهم. ومتصدِّقين بها على الأرامِلِ واليتامى بدلاً من أن يأْكلوا أموالهم، وبذلك يتغلَّبون على أنانيتهم، ويحبُّون الناس جميعًا فى إيثار وإنكار للذات. فيكون ذلك هو السبيل إلى تطهير أرواحهم. ومتى تطهَّرت أرواحُهُم، تطهَّرَتْ أجسادُهم أيضًا، وتطهَّرَ كل شيء يخصُّهم من مأكل ومشرب، ومن ملبس ومسكن، ومن أمتعة وممتلكات.

ثمَّ صَبَّ مُخَلِّصُنا جَامَ غَضَبِهِ الإلهىِّ وويلاته الرَّهيبة على أولئك الفرِّيسيِّين المنافقين المرائين وأمثالهم من الكَتَبَة الماكرين المتاجرين بالدِّين، قائلاً لهم: «الوَيْلُ لكم أَيُّها الفرِّيسيُّون لأَنكم تُؤدُّون عُشورَ النَعْنَعِ والسَّذابِ وسائرِ البُقولِ، وتُغْفِلونَ الْعَدْلَ ومحبَّة اللّهِ. كان يجبُ أن تَعْمَلوا هذهِ ولا تَتْركوا تِلْكَ. الوَيْلُ لَكُم أيها الفرِّيسيّونَ لأنكم تُحِبُّون المقاعِدَ الأُولَى فى المجامِعِ والتَّحِيَّاتِ فى الأَسواقِ. الويْلُ لَكُمْ أيُّها الكَتَبَةُ والفرِّيسيُّونَ المراؤُنَ لأنكُم تُشبهونَ القُبورَ المختَفِيَةَ الّتى يَمْشى فَوقَها النَّاسُ وهم لاَ يَدرُونَ». وذلك أَنَّ الفرِّيسيين والكَتَبة وَمَنْ على شاكِلتهم، كانوا للتظاهُر بالوَرَع الكاذب والتقوى الزائفة، لا يكتفون بأن يُؤَدُّوا العُشور التى فَرَضَت الشريعة اليهودية أداءها. وإنما كانوا - مُبَالغَةً منهم فى ادّعاء التمسُّكِ بالشريعة - يؤدون عشورًا عمّا لم يَرِد فيها من الأنواع التافهة من الأعشاب والنبات، كالنعنع والسّذاب والبقول البرية التى لا قيمة لها ولا ثمن. ومع ذلك يُغفِلُون مراعاة المبادئ الأساسيَّة والجوهرية فى الشريعة، وهى العدلُ نحو الناس، والمحبة نحو الله والناس. وقد كان ينبغى عليهم قبل أن يهتموا بطاعة الشريعة فى فروعها

وجزئياتها وشكلياتها، أن يطيعوها فى أسسها وكليّاتها وجوهرياتها. كما أنهم كانوا فضلاً عن تظاهرهم الكاذب الزائف بالورع والتقوى، يظهرون بمظهر العظمة والكبرياء والتعالى، فيستأثرون بالمقاعد الأولى فى المجامع تشبثًا بمكان الرئاسة ومكانة العظماء، ويفرضون على الناس أن يعاملوهم على هذا الاعتبار فيقفون وينحنون لهم حين يمرُّون فى الأسواق ويؤدون لهم التحية اللائقة بما يزعمون لأنفسهم من سلطة وامتياز. وقد كان ينبغى عليهم وهم أئمة الدين أن يضربوا للناس المَثَل فيما يوصى به الدين من وداعة وتواضع. ومِنْ ثَمَّ كانوا برِيائهم يُشبِهون القبورَ المختفية تحت الأرض وقد نمت فوقها الأعشاب الخضراء والزهور اليانعة فبدا مكانها نضيرًا جميلاً، حتى ليمشى الناس فوقها آمنين مطمئنين وهم لا يدرون أن بها من جثث الموتى وعظامهم ما كانت شريعتهم تعتبره نجسًا ينبغى اجتنابه والابتعاد عنه حتى لا تصيبهم نجاسته. وقد كان هذا أصدق وأبلغ تشبيه لأولئك المرائين المتعاظمين الذين كانوا يخدعون الناس فى حقيقة أمرهم فيعاملونهم بما هم ليسوا أهلاً له من إجلال وإكرام واحترام.

وإذ كان الناموسيّون علماء الشريعة اليهودية طائفة من الكَتَبَةِ والفرِّيسيين، أَحْنَقَهُمْ هذا التوبيخ والتعنيف من مخلِّصنا لزملائهم، فقال له واحد منهم «يا مُعَلِّمُ إنّك بِقولِكَ هذا تَشْتُمُنا نَحْنُ أيضًا». فقال مخلِّصنا «والوَيْلُ لَكُم أَنتمُ أيضًا يا عُلَماءَ الشَّريعَةِ، لِأَنكُم تُحَمِّلونَ النَّاسَ أَحمالاً يَعْسُرُ حَمْلُها وأَنْتُمْ أَنْفُسُكُم لا تَمَسُّونَ هَذهِ الأَحمالَ بإِحْدَى أصابِعِكُم. الوَيْلُ لَكُمْ لِأَنكُم تَبنُونَ قُبورَ الأَنبياءِ وآباؤُكُمْ هُمُ الَّذينَ قَتَلوهُمْ. فأَنْتمُ الشُهودُ على أعمالِ آبائِكم وأَنتمُ عَنْها راضونَ، لأَنهُم هُمْ قَتَلوهُم، وأنتم تَبنونَ قُبورَهم. لِذلِكَ قالَتْ حِكمَةُ اللّهِ: إِنَّنِي أُرسِلُ إليكُم أَنبياءَ ورُسُلاً، فَبَعْضَهُم تَقتُلونَ وبَعضَهُم تَضطَّهِدونَ، لِكَى يُطلَبَ من هذا الجيلِ دَمُ جَميعِ الأَنبياءِ الَّذى سُفِكَ منذ إنشاءِ العالَمِ، من دَمِ هابيلَ إلى دَمِ زَكَرَيَّا بن بَراخْيَا الذى قُتِلَ بين المذبَحِ والهيكَل. نَعَمْ أَقولُ لَكُم إنَّه يُطلَبُ من هذا الجيلِ. الوَيْلُ لَكُم يا عُلَماءَ الشَّريعَةِ لِأَنكم أَخَذْتُم مِفتاحَ المعرِفَةِ، فَلَم تَدْخُلوا أَنتمُ، والدَّاخِلونَ مَنَعْتُموهُم». وقد كان علماءُ الشَّريعَةِ هُمْ أعلمَ النَّاسِ بها وأكثر تضلُّعًا فى دراستها

وتعمُّقًا فى معرفة أسرارها وخفاياها. بَيْد انَّهم كانوا يتَّصفون بنفس الصِّفات التى يتَّصف بها الفرِّيسيّون والكَتَبَةُ وغيرُهم من أئمة الدين. فكانوا مُرائين مُخادِعِين مُتعالين مُضلِّلين للناس فى تعليمهم الشريعة، إذ كانوا يُفَسِّرونها على مُقتضى مصالحهم وأهوائهم، وبما يتَّفق مع مطامِعِهم وشهواتهم، مما كان يُؤدِّى بالنَّاس إلى فهمها فَهْمًا خاطئًا وتطبيقها تطبيقًا لا يُؤَدّى إلى أىِّ خير، بل يؤدِّى إلى كلِّ شرٍّ. كما كانوا يُضيفون إلى أحكامها من عندهم أحكامًا أُخرى لاعِداد لها، يُلزِمون النَّاسَ بها إلزامًا، حتى جعلوها عبئًا ثقيلاً لا يُطيقه حتَّى مَن يريد أن يلتزم بالشريعة ويسير فى حياته على مقتضاها، فى حين أنهم هم أنفسهم لم يكونوا يلتزمون فى سلوكهم وسيرتهم بأىِّ حُكم من أحكامها الأصيلة، أو مِمَّا يضيفونه إليها من الأحكام الدخيلة التى يبتدعونها ابتداعًا ويصطنعونها اصطناعًا. فكان هذا من مظاهر ريائهم. كما كان من مظاهر ريائهم كذلك أنهم كانوا يتظاهرون بتقديس الأنبياء القُدامى وتكريم ذكراهم، فكانوا يبنون لعظامهم المقابر الضخمة والأضرحة الفخمة، فى حين أنَّ آباءهم هم الذين قتلوا أولئك الأنبياء. فكان تقديسُهم وتكريمُهم لأولئك الأنبياء دليلاً على اعترافهم بأنهم أنبياءُ وبأنهم جديرون بذلك التقديس والتكريم. ومنْ ثَمَّ كانَ ذلك دليلاً على اعترافهم بالجرائم التى ارتكبها آباؤهم إذ قَتلوهم. ومع ذلك كانوا هم أنفسهم يقتلون الأنبياء، كما كان يفعل آباؤهم، إذ شاءت حِكْمةُ الله، التى هى مُخَلِّصنا نفسه، أن ترسل إليهم أنبياء ورسلاً، فَبعضَهمُ قَتَلوا بالفِعل، وبعضَهم سيُقْتُلون أو يضطهدون، كما فعلوا برسله فيما بعد. وبذلك تمتلئ حتى تطفح كأس جرائمهم وآثامهم، فيقع على رؤسهم ويكون شاهدًا ضدّهم فى يوم الدينونة دمُ جميع الأنبياء الذى سُفِك منذ بَدْءِ الخليقة حتى هلاك الأمة اليهوديَّة، من دَمِ هابيلَ بن آدم الذى قَتلَهُ أخوه قايين (التكوين ٤ : ٨) إلى دم زَكَرِيَّا بنِ بَراخِيا، وهو أبوالقدّيس يوحنا المعمدان، إذ أن الملك هيرودس عندما أمر بقتل أطفال بيتَ لحم وكل نواحيها من ابن سنتين فما أقل حين علم م المجوس بميلاد السيد المسيح فيها وفقًا للزمان الذى تحققه منهم (متَّى ٢ : ١٦)، جاء جُنْده إلى بيت زكريًّا ليقتلوا ابنه يوحنا، افقال لهم زكريا

« هلمّوا خذوه من المكان الذى أَخَذْتُه منه ، وجاء به إلى الهيكل ، ووضعه على جناح الهيكل ، فخطفه ملاك الرب إلى البرِّية على مقتضى أقوال القديسين الأوائل ، فلما لم يجده الجند قتلوا زكريًّا أباه (السنكسار تحت٨توت) . ولقد زَعَمَ بعض المفسرين أن زكريًّا بن براخيا المذكور هنا وفى(متى٢٣ : ٣٥) هو الوارد ذكره فى (أخبار الأيام الثانى ٢٤ : ٢٠و٢١) . بيد أن الواقع غير ذلك لأنَّ زكريًّا المذكور فى أخبار الأيام هو زكريّا بن يهوياداع الكاهن ، ولم يُسفَكْ دمه كما قال مُخَلِّصُنا فى نصِّ عبارته ، وإنما رَجَمُوه بالحجارة وأما زكريًّا بن بَرَاخيا أبو يوحنا المعمدان ، فقد قَتَلَه جُند هيرودس بالسيف ، وسفكوا دمه كما قال مُخلِّصنا . ولسوف يقع دم أولئك الأنبياء والرُّسل جميعًا على أبناء ذلك الجيل من اليهود الذى عاصَرَ مجيء مُخَلِّصنا ، لأنهم واصلوا ارتكابَ جرائم آبائهم ، حتى إنهم لم يتورّعوا عن قَتْلِ ابن الله نفسِهِ حين جاء إليهم ، متحمِّلين عواقب جريمتهم هذه بكامل رغبتهم ورضائهم ، إذ قالوا «دَمُهُ عَلَينا وَعَلَى أبنائِنا» (متَّى ٢٧ : ٢٥) . وهكذا فضح مخلِّصُنا رياء الناموسيين علماءِ الشريعة ، وَصَرَّح بما سيُلاقونه جزاء شرِّهم ومكرهم ، ولا سِيَّما أنهم احتكروا العلم بالشريعة واحتفظوا بمفتاحه فى أيديهم ، فلم ينتفعوا هم بأحكام الشريعة وبما تتضمنه من تمهيد لدخول ملكوتِ السَّماوات الذى فتح بَابَه مُخَلِّصُنا . وحتى الذين أرادوا الانتفاع بتلك الأحكام والدخول من ذلك الباب ، مَنَعوهُم من ذلك وحالوا بينهم وبينه بتعاليمهم المُغْرِضَةِ المضلِّلة ، وبما ضربوه لهم وهم قادتهم من مثال سيئٍ فى سيرتهم وسلوكهم ، فكانوا كما وصفهم مُخَلِّصُنا حين قال إنهم «عُمْيانٌ قادَةُ عُمْيانٍ . والأَعمَى إذا قادَ أَعْمَى سَقَطا كِلاهُما فى حُفْرَةٍ» (متى ١٥ : ١٤) . وهكذا فإنَّ أولئك النَّاموسيين وغيرهم من أَئمَّة الدين قادوا شعبهم اليهوديّ إلى تلك الحفرة التى ذَكَرَها مُخَلِّصُنا ، والتى هى هاوية الجحيم .

وإذ سمع الكَتَبَةُ والفرِّيسيون تلك الأقوال التى وبَّخهم بها مُخَلِّصُنا ، وَصَبَّ الوَيْلاتِ على رؤُسهم ، حنقوا عليه حنقًا شديدًا ، وراحوا يلحفون عليه بأسئلتهم فى كثير من أمور شريعتهم ، عَسَى أن يتصيَّدوا من فمه – وهم لا يفتأون مُتَرَصِّدينَ له – كلمة يتهمونه فيها بمخالفة تلك الشريعة ، فيشتكونه بسببها إلى الرؤساء

ليقبضوا عليه ويقضوا بقتله. وقد كانَ هذا هو هدفهم الدائم الذى يسعون إليه فى غير هوادة ولا توقُّف حتى يحقّقوه.

الفصل الثانى عشر

١٢ : ١ - ١٢

وفى هذه الأثناء تزاحَمَتْ عَشَراتُ الألوفِ من الشَّعْبِ عِنْد بيْت الفرِّيسىِّ الذى استضاف مُخَلِّصَنا، حتى لقد كان بعضُهمُ يدوس بعضًا من شِدَّة الزّحام. وعلى الرغم من أنه منذ قليل سمعه بَعْضُهم يقولُ «إنَّ هذا الجيل شِرِّيرٌ يطْلُبُ آيَةَ فلايُعْطَى» (لوقا ١١ : ٢٩). وعلى الرَّغم مما صبَّه على رءُوس زعمائهم الدينيين من عبارات غَضَبِه وويلاته، فقد ازداد عددهم جدًّا، وقد تقاطَرُوا من كلِّ حَدبٍ وَصَوْب، لأنهم كانوا لا يزالون معجبين به، محبينٌ له، راغبين فى الاستماع إلى تعاليمه السَّماوية ورؤية معجزاته الإلهية. وقد كان هو راغبًا عندئذ وعلى الدوام فى أن يزوِّدَهُم بتلك التعاليم ويدعم إيمانهم بتلك المعجزات، بَيْدَ أنَّه وجَّه قبل ذلك حديثًا خاصًّا إلى تلاميذه على مسمع منهم - بعد أن خرج من بَيْتِ الفرِّيسىِّ الذى دعاه - محذِّرًا إياهم من رياءِ الفرّيسيين الذى رَأَوْا مَثلاً له منذ قليل فى بيت أَحَدهم، قائلاً لهم «احذَروا قَبْلَ كُلِّ شَىء من خَميرِ الفَرِّيسيِّين الَّذى هو الرِّياءُ، لِأنه ما مِن مَكْتومٍ إلَّا سَيُكْشَفُ، وما مِنْ مَخْفِىٍّ إلَّا سَيُعْلَمُ». فقد كان الفرِّيسيون يتظاهرون بِشَىء وَيُضمِرُون عَكْسَهُ. وكانوا يقولون للناس فى تعليمهم مالا يفعلونه هم أنفسهم فى سلوكهم، مُدَّعين لأنفسهم الصَّلاح وهم أشرار، زاعمين لأنفسهم التقوى وهم خُطاة آثمون، داعين الناسَ إلى التزام أحكام الشريعة، بل إلى التزام أحكامٍ أُخرى جاءوا بها من عِندهم كدليل على تَطرُّفِهم وتدقيقهم فى طاعة الشريعة، فى حين أنهم هم أنفسهم لم يكونوا يلتزمون بهذه أو بتلك من الأحكام. فكانوا يسمّمون عقولَ النَّاس بتعاليمهم التى كانت تسرى سمومها فى عقولهم كما يَسْرى مفعول الخمير فى العجين حتى يَخْتَمر كلُّه. وقد حذّر مخلِّصُنا تلاميذَه من

أن يتأثروا هم بتعليمهم أو يفعلوا فِعْلَهم حين يُعلِّمون النَّاسَ، لأنَّ الفَرِّيسيين كانوا يكتمون عن الناس شرورهم ويخفون عنهم خطاياهم وآثامهم، فى حين أنه ما مِنْ مكتوم مهما طالَ كتمانُه إلا سَيُكشَف فى يوم من الأيام. وما من مَخفِيّ مهما كانت وسائل الحرص والاحتياط فى إخفائه إلَّا سيعلمه النَّاسُ عاجلاً أو آجلاً. فالرِّياء لا جَدْوَى منه لأنه سريعًا ما يفتضح أمره، والمراءون سريعًا ما تتضحُ للناس حقيقتهم، فيفقدون الثِّقة فيهم ويزدَرونهم ويحتقرونهم ويكفرون بما سمعوه منهم من تعليم. وَمِنْ ثَمَّ ينبغى على تلاميذ مُخَلِّصنا أَلَّا يُظهروا للناس إلَّا ما يُبْطنون، وأَلَّا يتظاهروا بما ليس فيهم، وألَّا يطلبوا من غيرهم أن يفعلوا إلا ما يفعلونه هم أنفسهم. كما أنَّه ينبغى أن يُصَارِحوا النَّاس بكُلِّ ما قاله لهم معلِّمهم وبكلِّ ما علَّمهم إيَّاه ولا يكتموا منه شيئًا. وينبغى أن يفعلوا ذلك عَلَانية، ما دام كلُّ مكتوم سَيُكشَفُ وكلُّ مخفى سَيُعْلَمُ، إذ قال لهم «فما قُلتُمُوهُ فى الظَّلامِ سيُسمَعُ فى النُّور، وما هَمَسْتُمْ به لِلأُذُنِ فى المخادِعِ سيُنادَى به على السُّطوحِ».

وإذَ كان مُخَلِّصُنا يَعْلَمُ أَنَّ مجاهرة تلاميذه بالتبشير به وبتعاليمه سيدفَعُ بخصومه إلى اضطهادهم والتنكيل بهم وسفك دمهم، أراد التهوين عليهم وتشجيعهم على مواصلة أداء رسالتهم، غير خائفين أو هيَّابين أو مضطربين، فقال لهم «بَيْدَ أنِّى أقولُ لَكُم يا أُحِبَّائى : لا تَخافُوا مِن الذَّين يَقْتُلونَ الجَسَدَ، ثُمَّ لا يَستَطيعونَ بعدَ ذَلِك شَيئًا أكثرَ من هذا. وإنَّما أُريكُمْ مِمَّنْ تَخافونَ. خافوا مِنْ ذَلِكَ الذَّى بَعْدَ أَن يَقتُلَ، يَمْلِكُ السُّلطَانَ أَنْ يلقىَ فى جَهَنَّمَ. نَعَمْ أَقولُ لَكُم مِن هذا خافُوا. أَلَيْسَتْ خَمْسَةُ عَصافِيرَ تُباعُ بِمِلِّيمين، وَمَعَ ذَلِكَ فواحِدٌ مِنْها لَيْسَ مَنْسِيًّا أَمامَ اللّهِ؟ بل إنه حَتَّى شَعْرُ رُءُوسِكُمْ مَعْدودٌ كلُّه. فلا تَخافُوا إذن فإنَّكُم أَثمنُ من عَصافيرَ كثيرةٍ. كَما أَقولُ لَكُم إنَّ كُلَّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِى أَمامَ النَّاسِ، سَيَعْتَرِفُ بِهِ ابنُ الإِنسانِ أمامَ مَلائِكَةِ اللّهِ. أَمَّا مَنْ يُنكِرُنِى أمامَ النَّاسِ فَسوفَ أُنكِرُهُ أنا كذلك أمامَ مَلائِكَةِ اللّهِ. وَكُلَّ من يَقولُ كَلِمةً ضِدَّ ابنِ الإنسانِ يُغفَرُ لَهُ. أمَّا مَنْ جَدَّف على الرُّوح القُدُسِ فلنْ يُغفَرَ لَهُ. فمتى ساقوكُم إلى المجامِعِ والحُكَّامِ وَذَوِى السُّلْطَانِ فلا يُهمُّكَمْ كَيفَ أو بِماذا تُجيبونَ، أو ماذا تَقولونَ، لأنَّ الرُّوحَ القُدُسَ سيُلهِمُكُمْ فى تِلكَ

السَّاعَةِ ما يَنبَغِى أَن تَقولوا». ومِنْ ذلك يبدو مَدَى ما كان يُكِنُّ مخلِّصُنا لتلاميذه من محبَّة، إذ خاطبهم قائلاً «يا أَحِبَّائِى» ،كما يبدو مَدَى ما كان يغمرهم به من عِنايةٍ ورِعايةٍ وحدب وحنان، لا يغمر به إلا الأب أبناءه حين يُرسلِهم لأداء مهمة مُقَدَّسة ولكنها خطيرة وخطرة، فهو لا يفتأ يزوِّدهم من وصاياه بما يطمئنهم ويهدِّئ من روعهم ويقوِّى من عزائمهم، مؤكدًا لهم أنه سيظَلُّ دائمًا بروحه معهم، يشدُّ من أزرهم ويعاونهم على احتمال ما سيتعرضون له من آلام، ولو أدّت بهم إلى الموت، إذ يمسك بهم أعداؤه وأعداؤهم ويقتلونهم، قائلاً لهم «لا تَخافوا مِنَ الَّذينَ يَقْتُلونَ الجَسَدَ ثُمَّ لا يستطيعون بعدَ ذلِكَ شَيْئًا أكثرَ مِنْ هذا. وإنَّما أُرِيكُمْ مِمَّنْ تَخافونَ. خافوا من ذَلِكَ الَّذى بَعْدَ أَنْ يَقتُلَ، يَملِكُ السُّلطانَ أَنْ يُلقِىَ فى جَهَنَّمَ. نَعَمْ أَقولُ لَكُمْ من هذا خافُوا». فإنَّ أقصى ما يملكه أعداءُ السيِّد المسيح هو أن يقتلوا رُسُلَهُ والمؤمنين به، أى ينتزعوا أرواحهم من أجسادهم ثم لا يستطيعون بعد ذلك شيئًا، لأنه إن كانت الأجساد تضمحلُّ، وفى رقادها راحتها مما تلاقى فى الحياة من المتاعب والآلام، فإنَّ الأرواح تظلّ حية، لا يملك أن يمسَّها بشَرٌّ بسوءٍ، بل إنها تنتقل من حياة السجن التى هى فيه، والعذاب الذى تعانيه على الأرض، إلى حياة الحرّية والانطلاق والنعيم الأبدىِّ فى السَّماء، فليس فى الموت من أجل غاية سامية أو رسالة سماوية ما يبعث على أىّ خوف، أو يتضمَّن فى ذاته أىّ شر، وإنما فيه الخير كلّ الخير، والسلامة كلّ السلامة، والسلام كلّ السلام. أما الذى ينبغى أن يخاف الإنسان منه حقًّا، فهو الذى بعد أن يقتل الجسد ويهلك فى الدنيا، قادر أن يهلك الروح ويلقى بها فى جهنَّم. وبذلك يقضى لا على العنصر الفانى فى الإنسان فحسب، وإنما يهلك الجوهر الخالد فيه أيضًا وذلك هو الله وحده الذى فى يده حياة الإنسان فى الدنيا وفى الآخرة على السواء. والذى كما يملِك أن يُحيى الإنسان ويُمِيتَهُ فى الأرض، يملك كذلك أن يُحيى الإنسان فى السَّماء لو كان هذا الإنسان بارًّا، ويميته لو كان شرِّيرًا. مانحًا الحياة الأبدية لذاك فى النعيم الذى أعدّه لراحة الأبرار، وقاضيًا بالموتِ الأَبَدِىِّ على هذا فى جَهَنَّمَ التى أعدَّها لهلاك الأشرار. فلئن كان هذا هو ما الله من سلطان، إنّ منه وحده ينبغى

أن يخاف الإنسان، وإياه وحده ينبغى أن يُرَاعِىَ فى كلِّ ما يقول، وكلِّ ما يفعل، وكلِّ ما يصدر عنه من مشاعر أو خواطر، أو نوايا أو أفكار. ولَئن كان الأشرار من الناس يعادونه أو يعتدون عليه لأنه يراعى الله فى كلِّ ذلك، فلا ينبغى أن يخافَ منهم، أو يخشَى غَضَبَهُم، لأنَّهم مهما فعلوا به ولو قَتَلُوه، فلن يوازى ذلك مقدار ذرّة مما يفعل الله بهم جزاء شرورهم. ثم إنَّهُ مهما حَدَثَ له من الناس فإن الله لن ينساه، لأن اللّهَ يسبغ عنايته وحمايتَه على أصغر مخلوقاته وأقلّها شأنًا، فكم بالأحرى يسبغها على الإنسان الذى جَعَلَه سيِّدَ مخلوقاته، ولا سِيَّما إن كان صالحًا بارًّا مُؤمِنًا به، مُضَحِّيًا بكلِّ شىء فى سبيل ولائه له وَحُبِّهِ إيَّاه، وتبشيرِه بالخلاص الذى أنعم به على البَشَرِ بِفداء ابنِه الحبيب. ومِن ثَمَّ قال فادينا لتلاميذه «أَلَيْسَتْ خَمسةُ عصافيرَ تُباع بمِلّيمَين ومَعَ ذَلِكَ فواحِدٌ منها ليس مَنْسِيًّا أمامَ اللّهِ؟ بل إنَّهُ حتى شَعْرُ رؤوسِكُم مَعْدُودٌ كلّهُ. فلا تخافوا إذَنْ فإنّكم أثمنُ من عَصافِيرَ كثيرةٍ». فَإِنْ كانَ الله لا ينْسى حتى العصافير التى هى من أضعف المخلوقات وأزهدِهَا ثمنًا، وإنما يحفَظ حياتها، ويوفِّر لها طعامها. وإنْ كان يُحصى كلَّ شعرة فى الإنسان ويشملها بِرعايته، فهل يجدُرُ بالإنسان - إذ يعرف ذلك - أن يخافَ كائنًا غير الله وهل يجدُرُ به إنْ هَدَّده أىُّ خَطر مَهْمَا كان مصدرُه أو كانت جسامَته أن يرتاب فى عناية الله وحمايته له ورعايته إياه؟.

وقد وَهَبَ مُخَلِّصُنا تعزية أخرى لتلاميذه وهو يشجِّعهم على التبشير به والمناداة باسمه مهما لاقوا من صنوف الضيِّقات وعانوا من ألوان العذاب وشربوا من كؤوس الموت، قائلاً لهم «كما أَقولُ لَكُم إنَّ كُلَّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِى أمامَ النَّاسِ، سَيَعْتَرِفُ به ابنُ الإنسانِ أمامَ ملائِكَةِ اللّهِ». أَىْ أَنَّهم إذا اعترفوا أمام الناس - هُمْ أو سِوَاهُم من المؤمنين - بأنه هو المسيح ابن الله مُخَلِّص العالم الذى تنبَّأ الأنبياء بأنه سيتّخذ جَسَدَ الإنسان وصورة ابن الإنسان ويحلّ بين النَّاس ليفديهم بدمه ويرفع عنهم عقوبة الهلاَك المحكوم بها عليهم من أجل شرورهم، سيعترف هو بهم فى يَوْم الدَّينونة أمام ملائكة الله الماثلين حول عرشِهِ، فينالون باعترافه بهم الكرامة والمجد اللائقين بالقدّيسين المستحقّين لِبُنُوَّة الله ورَعَوِيَّة ملكوت السماوات. وتلك هى

قمة الكرامة التى لا قمّة بعدها، وذروة المجد التى لا ذروة تعلوها. وأمَّا مَنْ يفعل عكس ذلك، فيكون نصيبه عكس ذلك أيضًا، إذ قال مخلّصنا «أمَّا مَنْ يُنْكِرُنِى أمامَ النَّاس فسوف أُنكِرُهُ أنا كذلك أمامَ ملائِكَةِ اللّهِ». لأنَّ الذى ينكر أنَّ هذا هو المخلِّص لن ينال الخلاص، إذ سينكره صانع الخلاص ومانحه فى يوم الدينونة أمام ملائكة الله، فلا يكون نصيبه إلَّا الخِزْى والهَوَان والهلاك.

وقد كان مُخَلِّصُنا يعلم أنَّ كثيرين من الناس السَطحيين الذين تستهويهم مظاهر العالَم الكاذبة، وتبهرهم أمجاده الباطلة، يزدرون بمخلِّصِنا لبساطة مظهره الإنسانى، وتواضُع مركزه الاجتماعىِّ، فيستكثرون أن يكون هذا هو ابن الله، وينكرون أنَّ هذا هو المسيح الذى ينتظرونه، فيتكلَّمون عنه فى هُزْءٍ وسخرية. بَيْدَ أَنَّ موته وقيامته وصعوده إلى السَّماء، ثم نزول الرُّوح القُدُس على تلاميذه وما يؤدِّى إليه ذلك من آيات ومعجزات تجرى على أيدى التلاميذ لا تجعل لأولئك المنكرين المستنكرين عذرًا ولا مبررًا فى الاستمرار فى إنكارهم، أو التمادى فى استنكارهم، بعد أن اكتَمَلَت الأَدِلَّة على أَنَّ هذا الإنسان البسيط المتواضع الذى كانوا يهزأون به ويزدرونه هو ذاته المسيح ابن الله، ومِنْ ثَمَّ ستكون جريمتهم فادحة ويكون هلاكهم أكيـدًا، ولذلـك قال مُخَلِّصُنـا «ومَنْ قالَ كَلمَـةً ضِـدَّ ابنِ الإنسـانِ يُغْفَـرُ لَـهُ. أمَّا مَنْ جَدَّفَ على الرُّوحِ القُدُسِ، فلن يُغفرَ لَهُ»، أى أنَّ الذين أنكروا مُخَلِّصَنا قَبْلَ اكْتمَالِ البراهين عَلى حقيقة شَخْصِيَّته يكون باب الغُفْران مفتوحًا أمامهم إذا عادوا فآمنوا. وأمَّا الذين أنكروه بعد اكتمال تلك البراهين، فقد دَلُّوا على فساد عنصرهم وعِناد قلوبهم وعَمَى بصائرهم وسيطرة الكبرياء عليهم وتأصُّل الشَّرِّ فيهم بحيث شابهوا الشيطان نفسَه فى كلِّ صفاتهم وتصرُّفاتهم، ومِنْ ثمَّ استحقوا ما استحقَّ الشيطان من سقوطٍ وهلاك أَبَدِىٍّ، فلن تكون ثمةَ مغفرة لهم. وهذا هو ما يصنع الفارق دائمًا بين من يَخْطَأ إلى الله عن جهل، وبين من يخطأ إليه عن عِلْمٍ وعن عَمْدٍ. فإنَّ ذاك يغفر الله له إذا عَادَ تائبًا، وأما الآخَر الذى يجدِّف على الرّغم من معرفته بالله وبالمسيح وحقيقته، فإنه يجدِّف عن علم وعن قصد شرِّير، وخُبثِ قلبٍ، وليس لهذا الأخير مغفرة لأنه قد فَقَدَ نور البصيرة، وصار مُعَانِدًا للروح

القُدُس الذى يهب البصيرة ويمنح القدرة على التمييز بين الخير والشرّ. إنه لن يُغْفَر له، لأنَّه هو نفسه لن يطلب الغفران بعد أن فارقه الروح القدس الذى ينخس القلب للتوبة، ولا يفارق الروح القدس إنسانًا إلاَّ بعد أن يُمسى رافِضًا ومقاومًا لنداء الروح.

وقد كان ثمة مشجِّع آخر ساقه مُخلِّصنا إلى تلاميذه ليدعوهم إلى الجُرْأة فى أداءِ الرِّسالة التى كَلَّفهم بها مهما لاقوا فى سبيل ذلك من عَنتٍ وعَسْفٍ وطغيان، إذ قال لهم «فمتى ساقوكم إلى المجامِع والحُكَّام وذَوِى السُّلطانِ فلا يُهمُّكم كَيفَ أو بماذا تُجيبونَ، أو ماذا تَقولون، لأَنَّ الرُّوحَ القُدُسَ سَيُلْهِمُكُمْ فى تلكَ السَّاعَةِ ما ينبغى أن تقولوا»، أَىْ أَنَّهُم متى ساقوهم بسبب تبشيرهم باسم المسيح ليحاكموهم أمام المجامع التى هى معابد اليهود، والتى هى فى الوقت نفسه محاكمهم، أو أمام ذوى السلطان من الملوك أو الولاة أو رؤساء الكهنة أو أعضاء مجلس السنهدريم الذى هو السلطة الدينية والمدنية العُليا لليهود، فلا يساورهم الهمّ بشأن ما عَسَى أن يُدافعوا به عن أنفسهم، أو يدفعوا الاتهامات التى سيوجهونها إليهم، لأنَّ الرُّوحَ القُدُسَ الذى سينزل عليهم بعد صعود مُخلِّصِنا فيمتلئون من نعمته وقُوَّته سيضع فى فمهم عند ذاك الكلامَ الذى يقولونه، ولن يستطيع بَشَر مهما بَلَغَ من سطوته وسلطته وقوة حجته أن يناقض ذلك الكلام أو ينقضه، لأنه كلام الله ذاته. فليتشجَّع التلاميذ إذَن فى أداء رسالتهم، ولا يهابوا أَحَدًا، لأنه إن كان الله معهم فَمَنْ عليهم؟

١٢ : ١٣ و ١٤

وقد كانت رسالة معلِّمنا على الأرض رسالة روحيَّة خالصة. كما كان سلطانه سلطانًا روحيًّا خالِصًا، فلم يضَع للناس تشريعًا أرضيًّا، ولم يَشَأْ أن يكون له سلطان المُشَرِّع الأرضىّ، ولم يَقْضِ بين الناسِ فى شئونٍ أرضيَّةٍ، ولم يَشَأْ أن يكون له سلطان القاضى، وَمِنْ ثَمَّ لم يتعرَّض للتشريعات المدنية للدولة ولم يتدَخَّلْ فى المنازعات القضائية بين الأفراد، لأنَّ هذه كلَّها أمور أرضيَّة زائلة، فى حين كان تعليمه هو تعليمًا سماويًّا خالدًا يتعلَّق لا بالحياة الدنيوية فى الأرض، وإنَّما بالحياة

الرُّوحيّة فى السَّماءِ، هادِفًا لأن يدعو الناس لأن يخضعوا فى الأرض، لا لشريعة الأرض، وإنما لشريعة السَّماء. ولذلك حَدَثَ أنْ قال له واحد من الجمْع «يا مُعَلِّمُ قُلْ لِأَخِى أنْ يقاسِمَنِي المِيراثَ»، مُعتقدًا أنَّ مُخَلِّصنا بما له من هيبة وسلطان سيقضى فى النزاع الناشب على الميراث بينه وبين أخيه. بَيَدَ أنَّ مُخَلِّصَنا أوضح له أنه لا يتعرَّض لمثْلِ هذه الأمور التى تتعلَّق بالمنازعات المالية ولا شأن له بها، ولم يزعم أنه مختصٌّ بالقضاء فيها، قائلاً له «أيُّها الرَّجُلُ مَنْ أَقامَنِي قاضِيًا عَلَيْكُما، أو مُقَسِّمًا بَيْنَكُما؟». بيد أنّ القول الصادر عن الرب يسوع المسيح هنا لا يهدم القضاء ولا يلغيه ولا يُبطِلُ الحاجَةَ إليه، بل يؤكّده، ولكنه يُحِيلُهُ إلى المختصّين به من أهْلِ القضاء. وفى الوقت نفسه يكشف عن دعوة السِّيد المسيح الرُّوحيَّة إلى حياة الكمال التى تعلو على مستوى الاختصام إلى القضاء الأرضىّ. فالَّذين نزل مستواهم الرُّوحى إلى حدّ الاختصام، لهم القضاء المدنىّ يفصل فى خصوماتهم. ولَهُمْ أيضًا شريعة العهد القديم التى أُعْطِيَتْ لمن يتنازعون فيما بينهم على شئون الميراث، أمَّا أتباع السيِّد المسيح فَلَهُم شريعة الكمال التى تسمو بهم على الاهتمام بالمنازعات على المال والأرض وما إليها من أمور فانية زائلة.

١٢ : ١٥ - ٣١

وَلَرُبَّما كان ذلك الرَّجُل الذى طَلَب من مخلِّصِنَا أن يُقسِّمَ الميراث بينه وبين أخيه، يهدف من طَلَبِهِ هذا إلى الجور على نصيب أخيه فى الميراث بدافع من الجشع لينالَ أكثر مما يستحقّ. كما كان كلّ اهتمامه متَّجهًا إلى المال والإكثار منه. وإذ كان مخلِّصنا يعلَم هذا التفَتَ إلى تلاميذه وإلى غيرهم ممن كانوا واقفين يستمعون إليه وقال لهم «انتَبِهُوا واحْذَروا مِنَ الجَشَعِ، لِأَنَّ حَياةَ الإنسانِ لَيسَتْ فى كَثْرَةِ ما يَمْلِكُ». ثُمَّ ضَرَبَ مُخَلِّصُنا لَهُم مَثَلاً يوضح لهم فيه ما يَعنى قائلاً «إنَّ رَجُلاً غنيًّا أَخْصَبَت أرضُه، فَفَكَّرَ فى نَفْسِهِ قائِلاً: ماذا أَفعَلُ فإنَّنِى لا مَكانَ عِندِى أَجْمَعُ فيه ثِمارى؟. ثُمَّ قالَ: هذا ما أَفْعَلُ. أَهدِمُ مَخازِنِى وَأَبْنِى أكبَرَ مِنْها، وهُناكَ أَجْمَعُ ثِمارِى وخَيراتِى، وأَقولُ لِنَفْسى يا نَفْسُ إنَّ لَكِ خَيراتٍ وَفيرَةً مُدَّخَرَةَ لِسِنينَ كَثيرَةِ

فاستَريحى وكُلِى واشرَبِى وتَنَعَّمِى. ولَكِنَّ اللّهَ قالَ لَهُ: أَيُّها الغَبِىُّ، فى هَذِهِ اللّيلَةِ تُسْتَرَدُّ نَفْسُكَ مِنْكَ. فَلِمَنْ يكونُ هَذا الذّى أَعْدَدْتَهُ؟ هَكَذا الّذِى يَكْنِزُ لِنفْسِهِ، ولا يَكُونُ غَنِيًّا فيما لِلّهِ»، أى أنَّ اهتمامات الإنسان لا ينبغى أن تنصَبَّ على اقتناء ما فى الدنيا من مَتَاعٍ مَادِىٍّ وأرضِىٍّ زائلٍ، يحصرُ كُلَّ آماله فيه، ويجعل كلَّ اتّكاله عليه، لأنه مَهْمَا أكْثَر وادّخر منه فسيموت فى أىِّ لحظة ويتركه فيخرج من الدُّنيا خَاوِىَ الوفاضِ صِفْرَ الْيَدَيْن، وقد خَسِرَها وخَسِرَ الآخِرة معها، وإنما ينبغى أَنْ تنصَبَّ اهتماماته على تقوَى الله فى أعمالِهِ وفى كُلِّ أحوالِهِ، وعلى اقتناء المواهب والبَركات الرُّوحيَّة والسَّمائية التى لا يُمكن أن ينتزعها الموت منه، وإنما تظلّ كنزًا خالِيًا مُدَّخَرًا له لينْعَمَ بِهِ إلى آخر الدَّهر فى الحياة الأبدية.

ثم قال مُخَلِّصُنا لتلاميذه «لِذَلِكَ أَقولُ لَكُم لا يَشْغَلْكُم الهَمُّ لِأَجْلِ حَياتِكُم بِشَأنِ مِا عَساكُمْ أن تَأْكُلُوا، أو لِأجلِ جَسَدِكُم بِشَأْنِ ما عَساكُمْ أَنْ تَلْبَسُوا، فإِنَّ الحَياةَ أَهَمُّ مِنَ الطَّعامِ، والجَسَدَ أَهَمُّ من اللِّباسِ. تَأَمَّلوا الغِربانَ، فإنَّها لا تَزْرَعُ ولا تَحْصُدُ ولَيسَ لها مَخادِعُ ولا مَخازِنُ، ومَعَ ذَلِكَ فإنَّ الله يَقُوتُها. فَكَمْ أَنْتُمْ بِالحَرِىِّ أَفْضَلُ مِنَ الطُّيورِ؟ وَمَنْ مِنْكُمْ إذا أَقْلَقَهُ الهَمُّ يَسْتَطيعُ أَنْ يُضيفَ إلى قامَتِهِ ذِراعًا واحِدَةً؟ فإنْ كُنْتُمْ لا تَستَطيعُونَ أَنْ تَفْعَلوا هذا الَّذِى هُوَ أَقَلُّ الأُمورِ، فَلِماذا تَهْتَمُّون بِما عَداهُ؟. انظُرُوا إلى الزَّنابِقِ كَيْفَ تَنمُو. لا تَكِدُّ ولا تَغزِلُ، وَمَعَ ذَلِكَ أَقولُ لَكُم إنَّ سُليمانَ نَفْسَهُ فى كَلِّ مَجْدِهِ لم يَلْبَسْ كَواحِدَةٍ مِنْها. فإِنْ كانَ العُشْبُ الَّذِى يُوجَدُ اليَوْمَ فى الحَقْلِ وفى الغَدِ يُطْرَحُ فى التَّنُّورِ يُلبِسُهُ اللّهُ هَكَذا، فَكَمْ بِالأَحْرَى يُلْبِسُكُمْ أَنْتُمْ يا قَلِيلِى الإِيمانِ؟. فلا تَطْلُبوا أَنتمُ ما تَأكُلُونَ أو ما تَشْرَبُونَ ولا تَقْلَقُوا، فإِنَّ هذا كُلَّهُ يَطْلُبُهُ الوَثَنِيُونَ فى العَالَمِ. وأَمَّا أَنتمُ فَأَبوكُم يَعْلَمُ أَنَّكُمْ مُحْتاجُونَ إلى هَذا. ولَكِنْ بِالأَحْرَى اطْلُبُوا مَلكوتَ اللّهِ، فَيُعْطَى لَكُمْ فَوْقَ هَذا ذَلِكَ كُلُّهُ. لا تَخَفْ أَيُّها القَطيعُ الصَّغيرُ، فإنه قد حَسُنَ لَدَى أبيكم أن يُعْطِيَكُمْ الملكوتَ. بِيعُوا ما تَملِكونَ وتَصَدَّقُوا. أَعِدُّوا لِأَنفُسِكُمْ أكياسًا لا تَبْلى وكَنْزًا فى السَّماءِ لا يَنْفَدُ. حَيثُ لا يَقْرُبُهُ سارِقٌ ولا يُفْسِدُهُ سُوسٌ، لِأَنَّهُ حَيْثُ يَكونُ كَنْزُكُمْ هُناكَ يَكونُ قَلْبُكُمْ أَيْضًا». ذلك أنه ما دام الإنسان لا يفيده ما يكنز من مال، لأنه

سيموت ويتركه على أيّ حال، فَلئن تمتَّع به مُتْعةً جَسَدِية فى الأرض فترة من الزمن مهما طالت، إنه إذ يبذل فى جَمْعِهِ كُلَّ هَمِّهِ، ويركّز فى الاحتفاظ به كُلَّ اهتمامه، ويعلّق عليه كُلَّ آماله، ويجعل عليه كلَّ اتّكاله، يصرفه ذلك عن التطلُّع إلى أى مُتعة روحيَّةٍ، تنتقل بِهِ من الأرضيات الفانية إلى السَّمائيات الخالدة. كما يصرفه الاتّكال على المالِ الزائل عن الاتكال على الله الأزلىّ، فَيَخْسَر حياتَه الأبدية ويستوجب غضب الله عليه غضبًا أبديًّا، لا يُجْدِى معه كلّ ما فى الدنيا من أموال، ولا ينقذه منه كلّ ما فيها من مقتنيات ومشتهيات. لذلك لا ينبغى أن يدور كلّ اهتمام الإنسان حول حياته الجسدية، حاصرًا كلَّ همِّه فيما عساه أن يأكُلُ، أو ما عساه أن يلبسَ. وإنما فليهتمّ قبْل كلِّ شىء بحياته الرُّوحيّة التى هى الحياة الحقيقية، لأنها أهمّ مما يأكله الجسَدُ من طعام أو يرتديه من لباس، ولأنَّ الله هو الذى خَلقَ الجَسَدَ وهو الذى يدبِّر له طعامه ولباسه. ويكفى الإنسان أن يتأمل فيما حوله من خليقة الله من أعلاها مَكَانةً إلى أدناها شأنًا، فإنه سيجد حتى الغربان التى لا تزرع كالإنسان ولا تحصد، وليس لها كالإنسان مخادع تأوى إليها أو مخازن تَضَع فيها محاصيلها، يدبّر لها الله القُوتَ فتأكل وتشبَع بغير أن تحمل لذلك هَمًّا، أو تُبدى نحوه اهتمامًا. فإن كان الله يدبِّر هكذا شئون الغربان التى هى من أَدْنى مراتِب الأحياء، أَفَلَا يدبِّر شئون الإنسان الذى خلقه على صورته، وأعطاه السلطان على كلِّ خليقته؟ وماذا يُجدِى الإنسان همُّه أو اهتمامه إن كان الله لا يدبّر شئونه؟ أيستطيع أن يزيد فى قامته ذراعًا واحدة، أو يزيد فى عمره يومًا واحدًا؟ فإن كان عاجزًا -مهما اهتم- عن أن يحقِّق لنفسِه ذلك الذى هو من أهون الأمور عند الله، فلماذا يربك نفسه - وهو يدرك عجزه - بالاهتمام الذى يبلغ درجة الهمِّ فى تدبير حياته بأكملها، ناسيًا تدبير الله القدير، أو متناسيًا إياه؟. إنَّ الأعشابَ وهى أضعف نبات الأرض يبث الله فيها الحياة، فتنمو دون أن تبذل أىّ مجهود تكسوها زنابق بديعة التكوين رائعة الألوان، حتى إن أعظم الملوك وهو سليمان الذى أحاط نفسه بكلِّ أمجاد الملوك وفخامة أرديتهم لم يَكُنْ ليستطيع أن يصنع لنفسه رداء يَلْبَسهُ أبدع من واحدة من تلك الزنابق أو أروع جمالاً. فإن كانت تلك

الأعشاب الدَّقيقة الرَّقيقة التى تنمو فى الحقل ثم سرعان ما تذبل وتجفّ وتغدو وقودًا يحترق فى التنّور، يكسوها الله بذلك الرّداء الذى ليس أبدع ولا أروع منه. فكم هو قادر أن يكسو الإنسان الذى أعَدَّه لملكوته، وَوَعَدَه -إن أَطاعه - بأن يكون آخِرَ الأمر واحدًا معه؟. بَيْدَ أنَّ الإنسان بسبب قِلَّة إيمانه، ولعدم اتكاله لذلك على الله، لا يفتأ مهمومًا مُهتَمًّا بما عَسَاه أن يأكُل، وما عساه أن يشرب، وما عساه أن يلبس. ومِنْ ثَمَّ أوصى مُخَلِّصُنا تلاميذه وأوصى المؤمنين جميعًا بألَّا يقلقوا بشأن ذلك كلِّه، كما يقلق الوثنيون فى هذا العالم، لعدم إيمانهم بالله، فلا تفتأ تلك الاهتمامات الأرضيَّة تسيطر عليهم وتستعبدهم. وأما تلاميذ مُخَلِّصِنا وكلّ المؤمنين به فلتطمئنَّ قلوبهم، واثقين كلَّ الثقة، وموقنين كلَّ اليقين بأنَّ أباهم الذى فى السماء يَعْلَم أنهم محتاجون إلى تلك الأمور كلِّها. فلو أنهم اتَّجهوا إليه وطَلَبوا ملكوته السماويّ قبلَ أىِّ شيءٍ من تلك المطالب الأرضيَّة، لأسبغ عليهم نعمته فأعطاهم ملكوته السماويّ، وأعطاهم كذلك أثناء حياتهم على الأرض ما هو ضروريّ لحياتهم الأرضية. وليس معنى ذلك بطبيعة الحال أن يقعد الإنسان عن العَمَل طَلَبًا لمأكَلِهِ ومشربِهِ وملبسه، وإنما معناه أَلَّا يجعل من ذلك غايته التى لا غاية له فى الحياة سواها، وإنما فليجعله وسيلته إلى تقوى الله، والتزام ما ينبغى نحوه من خضوع وخشوعٍ وولاء، وليجعله سبيلَه فى الأرض إلى بلوغ ملكوت السَّماء.

١٢ : ٣٢ - ٤٠

ثم أخذَ مُخَلِّصُنا يُشَجِّعُ تلاميذه على أن يتَّكِلوا على الله كُلَّ الاتكال فيما يعانون من الضِّيق والعَوز وشظف العيش فى هذا العالم، قائلاً لهم «لا تَخَفْ أيها القَطيعُ الصَّغيرُ، فإنَّه قد حَسُنَ لَدَى أبيكم أن يُعطِيَكُم الملكوتَ. بِيعوا ما تملِكونَ وتَصَدَّقوا. أعِدُّوا لأنفُسِكُم أكياسًا لا تَبْلَى، وكنزًا فى السَّماءِ لا يَنفَدُ، حيثُ لا يَقرُبُهُ سارِقٌ ولا يُفْسِدُهُ سوسٌ، لِأنهُ حَيثُ يَكونُ كَنزُكُم، هُناكَ يَكونُ قَلبُكُم أَيضًا. لِتَكُنْ أَحقاؤكُم مَشْدودَةً ومَصابِيحُكُمْ مُوقَدَةً. وكونوا كَأُناسٍ يَترَقَّبونَ عَودَةَ سَيِّدِهِم مِنَ العُرْسِ حتى إذا جاءَ وقَرَعَ يَفتَحونَ لَهُ على الفَورِ. سُعَداءُ أولئِكَ الخُدّامُ الّذينَ

متى جاءَ سَيِّدُهُم يَجِدْهُم يَقظِينَ. الحَقَّ أقولُ لَكُمْ إنه يَتَمَنْطَقُ ويُجلِسُهُم إلى المائِدَةِ ثُمَّ يَقِفُ ويَخْدُمُهُمْ. وإذا جاءَ فى الهزيعِ الثَّانى أو جاءَ فى الهزيعِ الثَّالثِ ووَجَدَهُم يَفْعَلونَ هكذا. فَطُوبَى لِأُولئِكَ الخُدَّامِ. ولكن اعلَموا أنَّه لو عَرَفَ رَبُّ البَيتِ فى أيةِ ساعَةٍ يَأتى اللِّصُّ لَظَلَّ ساهِرًا، فلم يَسْمَحْ لأَحَدٍ بأن يَقْتَحمَ بَيتَهُ. فَكونوا أنتم أيضًا مُستَعِدّينَ، لِأنه فى سَاعةٍ لا تَتوقَّعُونَها يأتى ابنُ الإنسانِ». فقد كان تلاميذ مخلِّصنا الذى آمنوا به وتبعوه حفنة قليلة جدًّا من القوم البسطاء المتواضعين المسالمين وسط أعداد ضخمة من الأغنياء والأقوياء والبغاة والعُتاة والأشرار وسافكى الدِّماء الذين أنكروه ورفضوه، كأنهم القطيع الصغير من الخِراف الوديعة بين أفواج هائلة من الذئاب الشَّرِسَة وكلِّ أنواع الوحوشِ المفترِسة، فإنهم على الرَّغم من قِلَّة عددهم قد نالوا نِعمةً عظيمة ارتفَعَتْ بهم إلى مرتبةٍ لا يَصِل إليها أغنى الأغنياء أو أقوى الأقوياء، أو أعتى العتاة مهما بلغ شرّهم أو بلغَت شراستهم. ومع ذلك فإنَّ إيمان أولئك التلاميذ القلائل بمعلِّمهم ابن الله، وولاءهم له قد جعلهم أهلاً لِرضَى أبيهم السماوىّ عنهم، حتى لقد شاءت مسرَّته أن يُسبغ عليهم أَسْمَى نعمة يمكن أن يتطلَّع إليها إنسان فى الأرض، إذ وهبهم ملكوت السَّماء، ومنْ ثَمَّ ينبغى عليهم إزاء تلك الهِبة السَّامية السمائية، لا أن يتخلّوا عن الخوف والقلق بصدد المقتنيات الدنيوية التى يهتم النَّاس بتوفيرها للمستقبل فحسب، وإنما أن يتخلّوا حتى عن مقتنياتهم التى يمتلكونها فى الحاضر من خزائن مال ومخازن قمح وغير ذلك من ممتلكات الدنيا، ويتصدَّقوا بها على الفقراء، كعلامة من علامات نبْذِهِم للاهتمامات الأرضية وتطلُّعهم بِعَمَل الخير إلى الاهتمامات السمائية وحدها. لأنَّ المال قد يسرقه اللصوص، والقمح قد يفسده السوس، وكلّ ما هو أرضىّ مصيره إلى الفناء، وأما ما يصنعونه من خير لِوَجْهِ اللّهِ فيظلُّ محفوظًا فى السماء بمثابة كنز ثمين حصين خالد، لا يسرقه سارق ولا يفسده سوس ولا يلحق به فناء، ولأنهم إن كان كنزهم فى الأرض لا تفتأ قلوبهم متشبثة بالأرض التى فيها كنزهم، فيظلون أبناء الأرض، ومِن ثَمَّ يكون مصيرهم كمصير الأرض وهو الهلاك. وأما إن كان كنزهم فى السماء فإن قلوبهم لا تفتأ تتطلَّعُ إلى حيث ذلك الكنز فى السَّماء،

فيصبحون أبناء السَّماء، ومِنْ ثَمَّ يكون مصيرهم فى ذلك الموطن الخالد هو الحياة الأبدية الخالدة. كما أنهم بِنَبْذِهِم الأرضيات وتطلُّعهِم إلى السَّمائيات يكونون مستعدين دائمًا ليوم الدينونة الرهيب الذى سيجىء فيه المسيح إلى الأرض مجيئه الثانى ليدين الأحياء والأموات. وينبغى أن تكون حالة الاستعداد هذه دائمة لا تتوقف، مستمرة لا تنقطع، وأن يكونوا على الدوام يقظين ومتأهبين لاستقباله «وأحقاؤهم مشدودة ومصابيحهم موقدة» أى أن يكونوا مستعدّين بأجسادهم، بحيث تكون جاهزة رهن إشارته لتنفيذ مشيئته، ومستعدين فى الوقت نفسه بأرواحهم بحيث تكون مضيئة كالمصابيح الموقَدة لتسير فى مَوْكِبِ ضيائِه، وتستقبل بها طلعته. وليُدَاوِمُوا السَّهَرَ وهم مستعدُّون منتبهون هكذا، بحيث لا تستأثر بانتباههم الدنيا فتشغلهم عن استعدادهم، أو يدفع بهم الفتور فى الإيمان إلى الاستسلام للنوم الذى هو انطفاء جذوة الرُّوح وإنما ليكونوا «كأناس يترقّبون عَوْدَة سيِّدِهِم من العُرْسِ، حتى إذا جاء وقَرَعَ يفتحون له على الفَوْرِ» مهما أبطأ فى مجيئه، ومهما كان ذلك فى ساعة متأخرة من الليل، فَيَعْلَمُ عندئذ أنهم كانوا ساهرين فى انتظاره، متأهِّبين لاستقبالِهِ، ومِنْ ثَمَّ يفرحُ بهم ويكافئهم على محبَّتهم وإخلاصهم وولائهم، إذ يتمنطق ويجلِسهم إلى المائدة ثم يقف ويخدمهم» فيملأ ذلك بالسعادة قلوبهم. اوهذا هو ما يفعله مُخَلِّصُنا بخُدَّامه الذين يظلُّون ساهرين - وقد تعلَّقَتْ به أرواحهم - فى انتظار مجيئه، فإنه يحبُّهم كما أحبّوه، ويخدمهم كما خَدَموه، ويُكرمِهُم كما أكرموه. فيا لها من غبطة عندئذ تملأ جوانحهم، ويا له من نعيم تَسْبَحُ فيهِ عندئذ أرواحُهم. ومِنْ ثَمَّ فليظل تلاميذ السيِّد المسيح ويظل كلُّ المؤمنين به مستعدّين على الدَّوام فى حياة القداسة والشُّخوصِ بعقولهم وقلوبهم وأرواحهم إلى ملكوت السماوات، متأَهِّبين لمجيئه الثانى فى يوم الدينونة، لأنه سيجىء فى ساعة لا يعلمها أَحَدٌ أبدًا من الناس. فإن تَوَانوا أو تهاوَنوا أو تضعضعوا أو تراجعوا، يجىء بغتة فيجدهم غير مستعدين ولا متأهِّبين، فيكون نصيبهم النقمة بدل النِّعمة، والهلاك الأبَدىّ بَدَلَ الحياة الأبديَّة. فكما أنه «لو عرف ربُّ البَيْتِ فى أيَّةِ ساعة يأتى اللصُّ، لظَلَّ ساهرًا، فَلَمْ يَسْمَحْ لأَحَدٍ بأن

يقتحم بيته ». أما إنْ غَفِلَ أو نامَ يأتى اللصُّ فيجرِّده من كلِّ ما يملك. فليكونوا هم أيضًا مستعدِّين، لأنَّهُ فى ساعة لا يتوقعونها يأتى مُخَلِّصُنَا ابن الإنسان الذى هو فى الوقت نفسِهِ ابن الله، و « يجلس عندئذ على عَرْشِ مَجْدِهِ، وتجتَمِعُ أمامَهُ كُلُّ الشُّعوبِ، فَيفرز بَعْضَهُم مِنْ بَعض كَما يَفرِزُ الرَّاعى الخِراف مِنَ الجداءِ، ثُمَّ يُقيمُ الخِرافَ عن يَمِينِهِ، وأمَّا الجداءُ فعن يَسارِهِ. حينئذٍ يَقولُ المِلكُ للَّذينَ يَمِينِهِ: تَعالَوا أيُّها المبارَكُونَ من أبِى لِترثُوا الملكوتَ المُعَدَّ لَكُمُ منذُ إنشاءِ العالمِ.. ثُمَّ يَقولُ أيضًا لِلأشرارِ الّذين عنِ يسارِهِ: اذهَبوا عَنِّى يا مَلاعينُ إلى النَّارِ الأبدِيَّةِ المُعَدَّةِ لإِبليسَ وملائِكَتِهِ.. فَيَمْضى هؤلاءِ إلى العَذابِ الأبدِىّ. وأَما الأَبرارُ فإلى الحَياةِ الأَبديّةِ » (متى ٢٥ : ٣١ - ٤٦). بيد أن هذا القول يمكن أن ينسحب من حيث المبدأ على مجىء الموت فجأة، ومن ثم فإنَّ على كل إنسان - فضلاً عن رجال الدين - أن يكونوا دائمًا مستعدين لملاقاة الموت وساعة الانطلاق من هذا العالم بالاستعداد اللائق بالخُدَّام اليقظين الساهرين، لتلبية دعوة سيّدهم للخروج من دار الزوال والفناء إلى دار الخلود والبقاء.

١٢ : ٤١ - ٤٨

وعندئذ قال بطرس لمخلِّصنا « ياربُّ أتقولُ لنا نَحْنُ هذا المَثَلَ أم للجميعِ ؟ »، أى هل توجِّه لنا نحن تلاميذك فقط هذا المَثَل الذى يتعلَّق بربِّ البيت الذى يظلُّ ساهِرًا لئلاَّ يقتحم اللص بيته، وهل توجِّه لنا وحدنا ما سبق هذا المَثَل من تعاليم، أم توجِّه هذا المَثَلَ وهذه التعاليم للناس جميعًا؟. وقد أجاب مُخَلِّصُنا عن هذا السؤال فى موضع آخر إجابة صريحة واضحة، إذ قال لتلاميذه « ما أَقولُهُ لَكُم أَقولُهُ للجميعِ » (مرقس ١٣ : ٣٧). فلا رَيْبَ أنَّ تعاليم مُخلِّصنا موجَّهة للناس جميعًا، وإن كانت موجهة إلى تلاميذه بصفة خاصة. لأنه أراد منهم أن يستوعبوا هذه التعاليم استيعابًا كاملاً ليعلِّموها بعد ذلك لسائر الناس، وليكونوا فى ذلك هم الطليعة والقدوة فى الانتفاع بتلك التعاليم، ونَيْل ما تنطوى عليه من نعمة جزيلة، وما تؤدى إليه من نعيم أبدىّ، وكذلك فى إقناع سائر الناس بها لينتفعوا هم أيضًا

بها وينالوا نعمتها ونعيمها. بَيْدَ أَنَّ مُخَلِّصَنا حين أجابَ عن سؤال تلميذه بطرس كان يوجِّه تعليمه هذه المرة لتلاميذه بصفة خاصّة، لأنه جعلهم وُكَلاءَ له على الأرض وخُدَّامًا لكلمته ولكنيسته. كما كان يوجِّه ذلك التعليم لكلِّ مَنْ يتَسَلَّمون من التلاميذ تلك الوكالة لينهضوا بها من بعدِهم إلى نهاية الزمان. إذ قال الربُّ له المجد «مَنْ تُراهُ ذَلِكَ الوكيلُ الأَمينُ الحَكيمُ الَّذِى يُقيمُهُ سَيِّدُهُ عَلى عَبيدِهِ لِيُقَدِّمَ لَهُم ما يَخُصُّهمْ من الطَّعام فى حِينِهِ؟. مَغبوطٌ ذَلِكَ العَبدُ الَّذِى مَتَى جاءَ سَيِّدُهُ وَجَدَهُ يَفْعَلُ هَكذا. الحَقَّ أقولُ لَكُمْ إنَّه سَوفَ يُقيمُهُ على كُلِّ أموالِهِ. أَمَّا إن قَالَ ذَلِكَ العَبدُ فى قَلْبِهِ إِنَّ سَيِّدِى سَيُبْطِئُ فى مَجيئِهِ وَراحَ يَضربُ العَبيدَ والإماءَ وَيأكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَسْكَرُ، فإنَّ سَيِّدَ ذَلِكَ العَبْدِ يأتِى فى يَومٍ لم يَكُنْ يتوقَّعُهُ وفى ساعَةٍ لم يَكُنْ يَعْلَمُها، فَيَشْطُرُهَ نِصفَينِ، ويجعل نَصيبَهُ مَعَ الجاحدين. إنَّ ذَلِكَ العَبدَ الَّذِى عَلِمَ مَشيئَةَ سَيِّدِهِ، فَما استعَدَّ وما عَمِلَ بِمَشْيئَتِهِ سَيُضرَبُ كثيرًا. أَمَّا ذَلِكَ الَّذِى لم يَعلَمْ وارْتَكَبَ ما يَستوجِبُ الضَّرْبَ فَسَيُضْرَبُ قليلاً. فَكُلُّ مَنْ أُعْطِىَ كَثيرًا يُطلَبُ مِنهُ الكَثيرُ، وَمَن أودِعَ كَثيرًا يُطالَبُ بما هو أَكثَرُ». أى أنَّ مُخلِّصنا يريد من تلاميذه الذين منحهم الوكالة عنه أن يكونوا أمناء حكماء فى أداء العَمَل الموكول إليهم، وهو أن يقدِّموا للنّاس الغذاء الرُّوحىَّ الذى يحتاجون إليه فى الوقت المناسب لذلك، والذى يتمثَّل فى دعوتهم إلى الإيمان، وتعليمهم مبادئه، وتقويمهم إذا انحرفوا، موجِّهين إياهم إلى الرُّوحيَّات إذا وجدوهم منغمسين فى الماديّات، وإلى السمائيات إذا وجدوهم متشبثين بالأرضيات، جاعلين من أنفسهم قُدوةً لهم يقتدون بها، ومثالاً يحذون حذوه فى محبتهم ووداعتهم وتقواهم وقداستهم، لأنه سعيد ومغبوط ومبارك ذلك الذى متى جاء مُخَلِّصُنا فى يوم الدينونة فوجده يفعل هكذا، فإنه سيفرح به ويكافئه على أمانته وحكمته، بأن يرفع من مكانته، ويُسبغ عليه مزيدًا من نعيمه ونعمته. أما إن تَكاسَلَ ذلك الوكيلُ وتواكل بحجة أن السيِّد سيبطئُ فى مجيئه لمحاسبته، فيتخذ من ذلك تُكأَة لأن يُسىءَ إلى أولئك الذين أقامه سيِّده وكيلاً لرعايتهم، فيروح يضطهدهم بدلاً من أن يرعاهم، ويُعاديهم بَدلاً من أن يُحبَّهم، ويعتدى عليهم بدلاً من أن يُدافع عنهم، ويجعل من نفسه قُدوة لهم فى

الشَّرِّ والشَّرَهِ والفِسْق والفساد، فيحصر كلَّ همِّه واهتمامه فى أن يأكل ويشرب ويسكر، متكالبًا على الجسديات والأرضيَّات، بَدَلاً من أن يجعلَ من نَفْسِهِ قُدوةً لهم فى الخَيْر والزُّهدِ والقدَاسة والصَّلاحِ، واضعًا نُصبَ عَينَيهِ كُلَّ ما هو روحى وسماوِى. بَيْدَ أَنَّ سيِّد ذلك الوكيل الشرِّير لا يلبثُ أن يَجِيءَ فَجْأَةَ «فى يومٍ لم يكن يَتَوَقَّعُهُ وفى ساعَةٍ لم يَكُنْ يَعْلَمُها، فَيَشطُرُهُ نصِفَين»، قاضيًا عليه بِأَشَدِّ أنواعِ العقاب والعذاب، وجاعلاً جزاءه هو جزاء الجَاحدين الذى هو الهلاك الأبدىُّ.

ومما يزيد فى مسئوليَّة ذلك الوكيل أن يكون قد تلقَّى عن مُخَلِّصنا السيد المسيح أو عن تلاميذه مبادئَ العقيدة المسيحية، وَعَلِمَ بها وتعلَّمها وَفَهِمها وأدرك ما تنطوى عليه من وصايا وأحكامٍ وفروض وواجبات، ومع ذلك لم يعملْ بها ولم يأبَهْ لها، بل خَالَفَها وتَمَرَّدَ عليها وارتدَّ عنها. فإِنَّ عِقَابَه فى يوم الدنيونةِ سيكون شديدًا، وعَذَابه سيكون أليمًا مستديمًا، على خِلافِ ذلك الذى لم يَعْلَمْ من مَبَادئَ تلك العقِيدةِ شيئًا ولم يتعلَّمْها، ولم يفهَمْها، ولم يُدْرِك مُتَطلَّباتها ومقتضَيَاتها، فإِنَّ هذا سَيَكونُ عُذْرًا يُخَفِّفُ عِقَابَهُ وعَذَابَهُ عَمَّا ارتكبَ من شرور، فيكون عقابُهُ أقلَّ شِدَّةً، ويكونُ عذابُه أَقلَّ إيلامًا. وذلك لأَنَّ الذى أعطاهُ اللّهُ كثيرًا مِنَ المواهِبِ وأودعه كثيرًا من وَسَائلِ المعرفة والفهم والإِدراك، وَمِنْ ثَمَّ ألقى على عاتِقِهِ كثيرًا من المسئوليَّات التى هو قادِر بمواهبه على النُهوضِ بها، والتى هو مستطيع بمعرفته وفَهْمِهِ وإدراكِهِ أن يُؤديها على أفضلِ صورة وعلى خيرِ وجهٍ، مطلوبٌ منه عند الحِسَابِ فى يَوْم الدَّينونة أنه بِقَدْرِ ما أخَذَ يكون قد أَعْطَى. بل إِنَّهُ مطلوب منه أن يكون من الحَمَاس والإِخلاصِ وشِدَّةِ الأمانةِ وعُمْقِ الإِيمان فى أداء رسالته التى أؤتُمِنَ عليها، بحيث يكون قد أَعْطَى أكثر مما أَخَذَ، كالمدين الذى لا يُسَدِّد ما عليه من الدَّيْنِ فحسب، وإنما يسدِّده مع رِبْحِه، لأنَّ مواهِبَ الله وعطاياه لَنَا دَيْنٌ فى أعناقنا لله، ينبغى أن نبذُلَ كلَّ ما فى طاقتنا واستطاعتنا من جهد كى نستثمره، ونطرحَ بين يَدَىِ الله مع ذلك الدَّيْنِ ثَمَرَهُ. وبقدْرِ ما نضع بين يَدَىِ الله من ثَمِر حياتِنَا على الأرض، يهبنا من نِعْمَتِهِ فى السَّماءِ.

١٢ : ٤٩ - ٥٣

وقد تكلَّم مُخلِّصُنَا فى العبارة السَّابقة عن الجزاء العظيم والكريم الذى يناله الوكيل الأمين الحكيم حين يأتى سيِّدُه فيجده يتصرَّف بأمانة وحكمة. ولعلَّ تلاميذه فَهِمُوا هذه العبارة على غير وجهها الصحيح، إذ كانوا لا يزالون يعتقدون أنَّه قريبًا سيجلس على عرش مملكة اليهود الأرضية، فَتَوَهَّمُوا أنَّه - إذ جعلهم وكلاءه - سيكافئهم على إخلاصهم له بأن يجعلهم أُمَرَاءه ووزراءه فى مملكته التى لا بُدَّ - وهو الذى طالما نادَى بالسَّلامِ - سيجعل السلام يسودها فيحيون حَيَاةَ سؤدَدٍ وسلام. ومِنْ ثَمَّ أراد مُخَلِّصُنا أن يصحح لهم فَهمهم الخاطئ، ويُبَدِّد أوهامهم الدنيوية الزائفة، ويعلن لهم الحقائق القاسية المريرة التى سيصطدمون بها قريبًا لِيَعُوها ويتوقعوها ويكونوا على استعداد لاستقبالها واحتمالها، فقال لهم «لقد جِئتُ لأُلقِىَ على الأَرضِ نارًا، فماذا أُريدُ إلَّا أَن تكونَ قد اضطَرَمَتْ؟ ولى مَعْمُودِّيَةٌ لأَصطَبِغ بها. وما أَشَدّ ما أُعانِى حَتَّى تَتِمَّ. أَتَظُنُّونَ أَنِّى جِئتُ لأَجلِبَ عَلى الأرضِ سلامًا؟ أَقولُ لَكم: كَلَّا، بل انقِسامًا. فإنَّه مُنذُ الآنَ سَيكونُ خَمْسَةٌ فى بَيْتٍ واحِدٍ مُنقَسِمينَ ثلاثَةٌ ضِدُّ اثنَين، واثنانِ ضِدُّ ثَلاثةٍ، فَيُعادِى الأَبُ ابنَهُ، والابنُ أباهُ، وتُعادِى الأُمُّ ابنَتَها، والابنةُ أُمَّهَا، والحَماةُ زَوْجَةَ ابنها، وزَوجَةُ الابنِ حَماتَها»، أى أنه إن كانَ قد جاء لِيُنْعِمَ بالسَّلامِ على أهل الأرض، فإنَّ ذلك لن يكون إلا بعد صِراعٍ عَنيفٍ مُخيفٍ يضطرِمُ كالنار بين الأفكارِ التى جاءَ هُوَبها، وَبَينَ الأفكارِ التى غَرَسَهَا الشيطان فى أهل الأرضِ، وبعد صراعٍ عَنيفٍ مُخيفٍ يضطرم كالنار أيضًا بين الذين يعتنقون الأفكار التى جاء هُوَ بها ويُؤمنون به وبها، وبين الذين يَتَشَبَّثُونَ بالأفكارِ التى غرسها الشيطان فيهم ويدافعون عنها دفاعَ الوحوش الشَّرِسة المُفْترسة التى يتقمَّصها الشيطان فينفث فيها كُلَّ ما فيه هو من وحشيَّة وشراسة وشهوة للافتراس. وكلَّما ازداد عدد المؤمنين بمخلِّصِنا، ازداد عددُ المقاومين لَهُم من جنود الشيطان، وازدادت نارُ الصِّراعِ بين الجانبين اضطرامًا واحتدامًا، وهذا هو بالذات ما أراده مُخَلِّصُنا ليقاوم الشرَّ بالخير حتى يفنيه، ويقاوم الأشرار بالأخيار حتى

يقضى عليهم. ولابُدَّ أن يسقط فى حَوْمَةِ هذا الصِّراعِ كثيرون من الشهداءِ المُدافعين عن الخير المقاومين للشرّ. وسيكون مخلِّصُنا أوّل شهيد، لأنه سيقدِّم نفسه ذبيحة لتكفير خطايا البشرِ فيصطبغ بِدَمِهِ الذى سيغوص فيه ويصطبغ به، كما يغوص المعتمد فى مياه المعموديةِ ويصطبغ بها. وما أشدّ ما سيعانى من الإهانات والاعتداءات والآلام والأوجاع قَبْلَ تلك المعموديَّةِ التى سيعتمد فيها، لا بالماء الرائق الصافى، وإنما بالدم الأحمر القانى، وتلك هى معموديَّة الدم. ثم يتوالى بعد ذلك استشهاد الشهداء، وسيكون تلاميذُه من أوائلِهم. لأَنَّ مَجيئهُ لن يُؤدِّى على الفور إلى السلام الذى يحلمون به، ويتوهَّمونه ليعيشوا فى ظِلِّهِ آمنين هانئين، وإنما سينقسم الناسُ فى أمرِهِ، فيؤمن به البعض إلى حَدِّ الاستشهاد والفِداء، وينكِرُه البعض الآخر ويُناصبون المؤمنين به أقبَحَ ألوان العداء، ويلاحقونهم بأقسى صنوف الاعتداء، ويبلغون فى ذلك حَدًّا لا يتوَرَّعون معه عن الخيانة والدَّسيسة والغَدْر، ولا يَشبعونَ من سَفْكِ الدِّماء. وسيبلغ هذا الانقسام من الشَّنَاعَةِ والبَشَاعَةِ حدًّا يُؤلِّب فيه الشيطان أفرادَ الأُسْرَةِ الواحِدَةِ بعضهم ضد البعض الآخَر، حتى إنهم لو كانوا خمسةً وآمَنَ منهم اثنان ينقلب ضدّهم الثَّلاثة الآخَرون الذين يرفضون الإيمان. أو آمَنَ منهم ثلاثة ينقلب ضدّهم الاثنان الآخَران الرّافضان. فيُعَادى الأَبُ المُنْكرُ ابنَه المؤمن، وقد انعدَم فى قلبه حَنَانُ الأُبوَّة الذى لا ينعدم حتى فى قلب الحيوان. ويُعادِى الابن المُنْكِرُ أباه المؤمِنَ وقد نَسىَ ما ينبغى على الابن نحو أبيه من حُبٍّ واحترامٍ وإكرام. وتُعادِى الأُمُّ المُنْكِرة ابنتها المؤمنة، وقد فَقَدَتْ عاطِفة الأمومة التى هى غريزة من غرائزِ حتى الوحوشِ المُفترِسة، وتُعَادِى الابنةُ المُنْكِرةُ أُمَّها المؤمِنَة، فتغدو - بعد أن رضعت من لبنها وشبعت من حنانها - أقسى عليها من أَىِّ غريمة حاقدة شَرِسة. وتُعَادى الحَمَاة زوجة ابنها وهى بمثابة ابنتها، وتُعادى زوجةُ الابن حماتها وهى بمثابة أُمِّها. وعلى هذا المنوالِ يُعادِى كلُّ مُنْكِرٍ لمخلِّصنا كُلَّ مُؤمِنٍ به، ولو كان من أقرب أقربائه وأَحَبِّ أحِبَّائه. بل لو كان من ذات لَحْمِهِ وَدَمِهِ. لأنَّ الشيْطانَ الذى جاءَ مُخَلِّصُنا ليقضى على مملكته لا يتورَّعُ فى سبيل مقاومته عن أن يُسَيْطِرَ على أولئك الذين يستسلمون لسلطانه ويرتضون أن

يكونوا من جُنْدِهِ وأعوانِهِ، فَيُحَرِّضهم حتى على أقربِ أقربائهم وأحبِّ أحِبَّائهم، بل على آبائهم وأبنائهم. وأمَّا مُخَلِّصنا فقد أعلنها حَرْبًا على الشيطان لن تنطفئ نارُها أو يخمد أُوارهَا حتى يقضى عليه القضاءَ الأخير، مهما اقتضَتْ هذه الحرب من جهد وعناء، ومهما سقطَ فى ساحتها من شُهَداء.

١٢ : ٥٤ - ٥٩

وبعد أن خاطَبَ مُخَلِّصُنا تلاميذه بتلك الإنذارات والتحذيرات، وصحَّحَ فَهْمَهُم الخاطئَ لِرِسالته وما سيترتَّب عليها، التَفَتَ إلى الجموع من عامَّة اليهود الذين على الرَّغم ممَّا سمعوا من تعاليمه وما رأوا من معجزاته لم يؤمنوا بأنَّه هو المسيح ابن الله الذى تنبَّأ بمجيئه أنبياؤهم، والذى كانوا بالفِعل ينتظرونه، وخاطَبهم قائلاً لهم «متى رَأَيتُمْ سَحابَةً تَطْلُعُ مِنَ المغرِبِ قُلتُمْ عَلى الفَورِ إنَّ المَطَرَ سَيَأْتى، فَيَكونُ كَذَلِكَ. وَمَتَى هَبَّت رِيحُ الجَنُوبِ قُلتم سَيَكُونُ حَرٌّ فَيَكونُ. يا مُراؤونَ، تَعرِفونَ أن تُمَيِّزوا وَجْهَ السَّماءِ والأرضِ، وأمَّا هذا الزَّمانُ فَكَيفَ لا تَعرِفونَ أَنْ تُمَيِّزوهُ؟ ولماذا لا تَحكُمُون بالحَقِّ من تَلْقاءِ أَنفُسِكُم؟». وذلك أنَّ اليهود كانوا أذكياء وبارعين فى التنبُّؤ بما سيكون عليه الجوّ، وبما إذا كان سيغدو مطيرًا أو حارًّا، مستنبطين ذلك من العلامات التى تدلُّ عليه. وكانوا يرتِّبون على تلك التنبُّؤات حياتهم الزِّراعية والاجتماعية. ومع ذلك عَمِيَت أبصارُهم وبصائرهم أمام أقوال مُخَلِّصِنَا وأعمالِهِ وتصرُّفاته وكلّ تفاصيل حياتِهِ، فَلَم يُدرِكوا أَنَّ هذا هو المسيح الذى ينتظرونه، على الرَّغم من أَنَّ كُلَّ تلك الأقوال والأعمال والتصرُّفات، وكلَّ تفاصيلِ تلك الحياة السَّامية السَّماويَّة التى عاشها، كانت مطابقة كُلَّ المطابقة لَمَا تنبَّأ به أنبياؤهم عن المسيح. وقد حَدَّدوا فى نبوءاتهم تحدَيدًا دقيقًا مَوْعِدَ مجيئه. حتى إذا جاء فى الموعد المحدَّد بالضبْطِ لم يَشَأْ لهم رياؤهم ولم تَشَأْ لهم كبرياؤهم إلا أن يصطنعوا الغفلة والغباء، فأنكروه وتنكّروا له، غيرةً منه وَحَسَدًا له وحِقدًا عليه، وقد ناصبوه العداء ثم صلبوه. فى حين أنهم لو كانوا قومًا فاضلين عادلين يفكِّرون بالمنطق ويحكمون بالحق، دون أن تتحكّم فيهم الأهواء

والأغراض العمياء لعرفوا من تلقاء أنفسهم واعترفوا بأنَّ هذا هو المسيح ابن الله الذى ينتظرونه. وَمِنْ ثَمَّ وَبَّخَهُم مُخَلِّصُنا بتلك العبارات التى يَصِفُهُم فيها بالرِّياء، وَيَصِمهُم بالظُّلْم، إذ يغمضون أعينهم عن الحقيقة ويحكمون بغير الحقِّ. وإذ أخطأوا إلى الله بذلك، كما أخطأوا إليه قبل ذلك، وجعلوا من أنفسهم خصومًا له، نَصَحَهُم مخلِّصُنا قائلاً «إذا ذَهَبْتَ مع خَصْمِكَ إلى الحاكِمِ، فاجتَهِدْ وأنتَ فى الطَّريقِ أن تُرضِيَهُ كَىْ تَتَخلَّصَ مِنْهُ، لِئَلَّا يَسوقَكَ إلى القاضى، فَيُسَلِّمَكَ القاضى إلى الشُّرْطِيِّ، ويُلقى بِكَ الشُّرْطِيُّ فى السِّجنِ. أقولُ لَكَ إنَّكَ لن تَخْرُجَ مِنِ هُناكَ حَتَّى تُوفِىَ آخِرَ مِلِّيمٍ». وذلك أنّ الإنسان الحكيم إذا كان فى طريقه مع خصمه إلى القاضى، وكان يَعْلَم أنه هو المخطئ، يجتهد أن يتصالح مع ذلك الخصم وهو فى الطريق، مرتضيًا تنفيذ كلِّ طَلَباتِهِ واشتراطاته ليتخلَّص من خصومته له. لأنه إن لم يفعل ذلك ساقه الخصم إلى القاضى فيحكُم ضدّه، ويسلّمه إلى الشُّرْطىّ ليلقى به فى السجن تنفيذًا للعقوبة التى حَكَمَ بها القاضى عليه، فيظل فيه حتى يستوفى عقوبته كاملة. وهكذا فإنَّ اليهود وقد أخطأوا إلى الله إذ رفضوا قبول ابنه، وإذ أخطأوا إليه كثيرًا قبل ذلك، فلينتهزوا فرصة حياتهم على الأرض ويتصالحوا مع الله، مرتضين تنفيذ كلِّ أحكامه ووصاياه، قبل أن يَصِلوا إلى يوم الدينونة الذى يقفون فيه أمام الدَّيَّانِ، فيدينهم، ويسلِّمهم إلى ملائكته فيلقون بهم فى جهنم النار الأبدية، حيث يستوفون العقوبة التى يحكم بها عليهم، وهى الهلاك الأبدىّ. وإذ كانت هذه هى وصيّة مخلِّصنا لليهود وللعالم كلِّه؛ قال بولس الرَّسول إنه بذلك «كان اللّهُ فى المسيح مُصالحًا العالم لنفسِه» (٢. كورنثوس ٥ : ١٩). وفى قول مخلِّصنا «إنك لن تَخرُجَ مَنَ هُناكَ حتى تُوفِىَ آخِرَ مِلِّيم» بيان لكمال العدل الإلهىّ. فَكَما أن الله لا حَدَّ لرحمته، كذلك لا حدَّ لعَدْلِهِ، وأنَّ رحمته لن تكون على حساب عَدْلِهِ، فلا رحمة فى يوم الحساب لمن لا يستحقّ الرَّحمة، ولمنْ لم يكُنْ أهلاً لنيل كفّارة المسيح عن خطاياه. ثم إنَّ تصريح مخلِّصنا له المجد بهذا النطق القدسىّ «لن تَخْرُجَ مِنِ هُناكَ حتى تُوفِىَ آخِرُ مِلّيم» دليل على أنَّ عذابَ الأشرار أبدىّ.

الفصل الثالث عشر

١٣ : ١ - ٩

وجاء فى ذلك الوقت قَوْمٌ أنبأوا مخلِّصنا بأمر قَوْمٍ من الجليليين غضب عليهم الوالى الرومانى بيلاطسُ البنطىُّ، فَذَبَحَهُمْ وَهُمْ يُقدِّمونَ ذبائِحَهم فى هيكل أورشليم، حتى لقد اختلطتْ دماؤهم بدماءِ ذبائِحهم. وربما فَعَل بيلاطُسُ بهم ذلك لإتِّهامِهِ إيَّاهم بالاشتراك فى فتنة ضِدّ الرومان، أو ضِدّه هو شخصيًّا، أو لأىِّ سَبَب آخر، لأنه كان عاتيًا عنيفًا صَلِفًا، يكره اليهود ويحتقرهم، معتبرًا إياهم شعبًا حقيرًا شرِّيرًا، كثير التمُّردِ والعصيان، فكان يحكمهم بالقَهْرِ والقَسْرِ، وقد رَوَى التاريخ أنَّه أجْرى كثيرًا من المذابح التى قَتَل فيها أعدادًا ضخمة من اليهود أثناء حُكْمِهِ إياهُم. بَيْدَ أنه يبدو أَنَّ أولئك الذين أنبأوا مخلِّصَنا بأمر تلك المذبحة التى قتل فيها بيلاطس قومًا من الجليليين، حدَّثوه عن ذلك بأسلوب ينطوى على الشَّماته والتَّشفِّى فى أولئك الجليليين، لِعداوة ربما كانوا يضمرونها لهم، أو لَعَلَّهم حدّثوه بأسلوب ينطوى على الاعتقاد بأن أولئك الجليليين ما أصابتهم تلك البَلْوى إلا لأنهم أشرار، معقِّبين بذلك على ما قاله مخلِّصنا فى ذلك الحين من أن يوم الدينونية سيفاجئُ الأشرار بغتة فيكون مصيرهم الهلاك الأبدىّ. ولذلك أراد مخلِّصنا أن يوبِّخهم على شماتتهم وتشفِّيهم، أو أراد أن يصحِّح خطأ فهمهم فيما قالوا. فأجابهم قائلاً «أَتَحْسَبونَ أنَّ أُولئِكَ الجَليلِيِّين كانوا أَكْثَرَ إِثْمًا من سائِرِ الجليلِيينِّ إذ أَصابَهُم هذا البلاءُ؟ إنِّى أَقولُ لَكُمْ : كَلَّا فإِنّكُم ما لم تَتُوبُوا فَسَتَهْلِكونَ بالمِثْلِ جَميعًا. أَوَ تَحْسَبُونَ أَنَّ أُولَئِكَ الثمانِيَةَ عشَرَ الّذِينَ سَقَطَ عَلَيْهُم البُرْجُ فى سِلوامَ فَقتَلَهُمْ كانُوا أَكْثَرَ شَرًّا مِنْ كُلِّ السَّاكِنِينَ فى أُورُشليم؟ إِنِّى أَقولُ لَكُم. كَلَّا فإِنّكُم ما لم تَتُوبوا تَهْلِكُوا بالمِثْلِ جَميعًا» أى أنهم إن كانوا فيما قالوا شامتين متشفِّين فى أولئك الجليليين الذين أهلكهم بيلاطس، فليعلموا أنهم - ما لم يتوبوا -

سيلاقون نفس المصير الذى لاقاه أولئك، وهو الهلاك. وإن كانوا فيما قالوا متوهّمين أن البلْوَى لا تصيب إلا الأشرار، فليعلموا أنهم هم أيضًا أشرار، وما لم يتوبوا فسيهلكون جميعًا. لأن البلايا لا تصيب الأشرار وحدهم فى هذه الدنيا، حتى يمكن اتخاذها دليلاً على شَرِّهم، وإنما هى نصيب الأخيار أيضًا. وربما كان نصيب الأخيار منها أكثر وأوفر. فلم يكن أولئك الذين ذبحهم بيلاطس من الجليليين أكثر إثمًا من سائر الجليليين، أو هُم الآثمون وحدهم فى الجليل، إذ راحوا ضحية هذه المذبحة. كما أنَّ أولئك الذين سقط عليهم البرج فَقتلهم فى سِلوام القريبة من أورشليم أكثر شرًّا من كلِّ الساكنين فى أورشليم، أو هم الأشرار وحدهم فى أورشليم، إذ راحوا ضحية هذه الكارثة. وإنما ذانك الحادثان هما صورتان من صور البلايا التى تصيب الأشرار والأخيار على السواء، فلا ينبغى لإنسانٍ أن يَشْمَتَ فى ضحايا تلك البلايا أو يتشفَّى فيهم أو يدينهم متهمًا إياهم بالخطيئة والإثم، لأنَّ جميعَ النَّاس - ما لم يتوبوا - هم خاطئون وآثمون وهم أشرار سيهلكون فى يوم الدينونة جميعًا. ومِن ثَمَّ لا ينبغى لخاطئ أن يدين خاطئًا مثله، لأنَّ الدينونة هى لله وحده، ولأنه لا يمكن لإنسانٍ أن يَصِف إنسانًا آخَرَ بأنه شرّير فى وقتٍ من الأوقات، لأن باب التوبة مفتوح للجميع حتى آخر لحظة من حياتهم. فربما تاب ذلك الموصوف بأنه شرِّير فأصبح صالحًا. ولكى يوضِّحَ مخلِّصنا لسامعيه ذلك المعنى ضَرَب لهم هذا المثَلَ قائلاً «كانَتْ لِرَجُلٍ شَجَرَةُ تِينٍ مَغْرُوسَةٌ فى كَرْمِهِ. وقد جاءَ يَبْحَثُ فِيها عَنْ ثَمَرٍ فلم يَجِدْ . فَقالَ لِلبُسْتانِيِّ: ها أناذا قد جِئتُ ثلاثَ سَنَواتٍ مُتَوالِيَةً باحِثًا عن ثَمَرٍ فى شَجَرَةِ التِّين هَذِهِ فَلَمْ أَجِدْ، فاقطَعْها. لماذا تُعَطِّلُ الأَرضَ أكثَرَ مِنْ هَذا؟ فَأَجابَ وقالَ لَهُ: يا سَيِّدِى دَعْها هَذِهِ السَّنَةَ أيضًا حَتَّى أَحْفِرَ مِن حَوْلِها وأَضَع سِمادًا، لَعَلَّها تُثمِرُ فِى السَّنَةِ القادِمَةِ وإلاَّ فاقْطَعْها». وواضح أَنَّ شجرة التين غيرَ المثمرة هنا رَمْزٌ للإنسان الشِّرير الذى لم يَصْنَعْ فى حياته خَيْرًا، بل بالعَكْس يُعْطى قدوة سيِّئَةً للمجتمع الذى يعيش فيه ويفسده، ومِنْ ثَمَّ يستحقُّ الهلاك. بَيْدَ أنَّ الفُرصة تظلُّ مع ذلك مفتوحة أمامه، عَسَاهُ أن يرتدِعَ عن الشَّرِّ ويرتَدَّ إلى سبيلِ الخير. ولا يفتأ الله حينذاك يتيح له من أسباب الصَّلاحِ التى



« مَثَل الشجرة غير المثمرة » (لوقا ١٣ : ٦ – ٩)

تُخصبُ النَّفْسَ العقيمة، كما يُخصب السِّمَادُ الأرضَ المُجْدِبةَ، عَسَى أَنْ يَنْصَلِح حالُهُ ويتوبَ عن شروره وآثامِهِ ولو فى آخِرِ لحظة، فعندئذ يستحقُّ البقاءَ والحياةَ الأبَدِيَّةَ. أَمَّا إِنْ أوغَلَ فى العناد، وتَشبَّثَ بالفَسَادِ، وظَلَّ كالشَّجَرَةِ العقيمة على الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ ما اعتَنى بها البستانى وحَفَر من حَوْلِهَا وَوَضَع من السِّماد، فإِنَّ مصيره سيكون كمصير هذه الشَّجَرَة، لأنه مثلها لا يَصْلُحُ إِلَّا وَقُودًا للنار، حيث الهلاك الأبدى. ونلاحظ أنَّ هذا المَثَل الذى ضَرَبَه مُخَلِّصنَا - فضلاً عن معناه القريب الذى يَنْهى به الناسَ عن أن يدين بعضُهُم بعضًا - ينطوى على مَعْنى آخر أبعد من هذا، وهو أنَّ اللّهَ أعلن شريعته للأمة اليهودية، وانتظر أن تُثمِرَ هذه الشريعةُ فيها ثمرًا صالِحًا. ولكنه قد أطال انتظاره دون أن يجدَ فيها أىَّ ثَمَرٍ، ولم يجدْ منها إلا كُلَّ شرٍّ. وقد كان فى مجىءِ مخلِّصنا إليها فرْصة أخيرة متاحة لها لأن تعطى من ثَمَرها، وترتِدعَ عن شَرِّها، بفضل تعاليمه الساميِة، ونعمته السابغة. ولكنّها صَمَّت آذانها عن تعاليمه، وأغمضتَ أعينها عن نعمته، وأوغَلَت فى عنادها، وتشبَّثت بفسادها، وظلَّت كالشجرة العقيمة غير ذات الثَّمر، فكانَ مصيرها كمصير هذه الشجرة، وهو الهلاك.

١٣ : ١٠ - ١٧

وقد حَدَثَ أَنْ كان مخلِّصنا كعادته يعلِّم فى أحد مجامع اليهود فى يوم السبت، وإذا امرأة من الحاضرين فى المَجْمع كان قد استَولَى عليها روحٌ نجس أصابها بمَرَضٍ منذ ثمانية عَشَر عامًا أدَّى بها لأَنْ تظلَّ منحنية على الدوام، فلم تكن لتستطيع أن تنتصب البتة. وكان الرُّوح النَّجِس بذلك يعذِّبها ويُسَبِّب أشدَّ الآلام لها. لأنَّ من طبيعته الشِّريرة أنَ يَتلذَّذَ بتعذيب الناسِ وإِيلامهم. فلما رآها مخلِّصنا أشفق عليها من تلك المحنة التى ظلَّت تعانيها طوال تلك السنوات، وهى أسيرة لا تستطيع الفكاك من ذلك الروح اللعين الذى أوثقها بقيده الرَّهيب، ومِنْ ثَمَّ دعاها مُخَلِّصنَا إليه بدون أىِّ طَلَبٍ منها وإنما بمحض حنانه ومحبته ورحمته للمكروبين ورأفته بالمعذَّبين، وقال لها «أَيَّتُها المرأةُ إِنَّك مَحْلولَةُ الوَثاقِ مِنْ مَرَضِكِ»، ووضع

يديه عليها، ففى الحال انتصبَت قائمة وقد برئت من عِلّتها فأخذَت فى غمرة فرحتها ودهشتها تمجِّدُ اللّهَ الذى لا يمكن أن تتم مثلُ هذه المعجزة إلا بقوّته وقدرته وحده. ومع أنَّ هذه المعجزة كانت كافية لأن تفتح أبصار كلِّ الذين رأوها من اليهود فيُدركوا أَنَّ الذى صنَعَها هو المسيح ابنُ اللّهِ الذى هو الله ذاتُه فى الوقت نفسه على مُقتضى نبوءات أنبيائهم. إلَّا أنَّ رئيسَ المَجْمَع الذى كان خليقًا به وهو أكثر الحاضرين علِمًا بتلك النبوءات قد عَمِىَ بَصَرُه كما عَمِيَت بصيرته عن هذه الحقيقة ودفع به حِقدُه على مُخَلِّصِنا وَحَسَدُه له وغيرتُهُ منه لأَنْ يمتلئ حنقًا ويتأجَّج غَضَبًا، فتغافَلَ عن عَظَمِة هذه المعجزة وروعتها، وتجاهَلَ وضُوحَ مغزاها ودلالتها، وتمسَّكَ بأمرٍ تافهٍ كلِّ التَّفاهَة، سَخيفٍ كُلَّ السُّخْفِ، وهو أَنَّ مُخَلِّصَنا إذ صَنَعَ هذه المعجزة فى يوم السَّبْتِ إنما خالَفَ الشريعة اليهودية التى تنهى عن القيام بأىِّ عَمَلٍ فى ذلك اليوم، معتبرًا أنَّ مُخَلِّصَنا إذ قال كَلِمةً للمرأةِ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عليها قد قام بعمل تعتبرهُ الشريعةُ جريمةً شنعاء. وقد التفت رئيس المَجْمَع إلى الحاضرين وقالَ لهم وهو مغتاظ «إنَّ لَكُم سِتَّةَ أيَّام يَحِلُّ فيها العَمَل، ففيها تَعالَوا واطْلُبوا الشِّفاءَ وليسَ فى يوم السَّبتِ». فأجابه الرَّبُّ وقال «أيها المُراؤونَ أَلَا يَحُلُّ كُلُّ مِنكُم فى يوم السَّبْتِ ثَورَهُ أو حِمارَهُ مِنَ المِذْوَدِ ويمضى به فيسقيه؟ وهذه ابنةُ إبراهيمَ، وقد رَبَطَها الشَّيطَانُ ثمانِى عَشَرَةَ سَنَةً، أَمَا كانَ يَنْبَغى أن تُحَلَّ مِن هذا الرِّباطِ فى يَومِ السَّبْتِ؟». فقد كانت الشريعة اليهوديَّة تسمح لليهودىِّ بأن يحلَّ بهائمه من أوتادها المربوطة فيها ويذْهَب بها إلى ينابيع الماء ليسقيها. أَفَلا تَسْمَحُ هذه الشريعة - فى نَظَر أولئك الفقهاء المرائين - لهذه المرأة البائسة التى هى مِثْلُهم ابنة إبراهيم الذى كانوا يتفاخرون بأنهم ينتسبون إليه، أى أَنها أُخْتُهُم، وقد رَبَطها الشيطانُ كُلَّ هذه السنين الطِّوال أَنْ يفعَل لها مُخَلِّصُنا ما يفعلون هم لبهائمهم، فيحلّها من رباطها، ويسقيها بنعمةِ الشِّفاء، كما كانوا هم يسقون بهائمَهم بالماءِ؟.

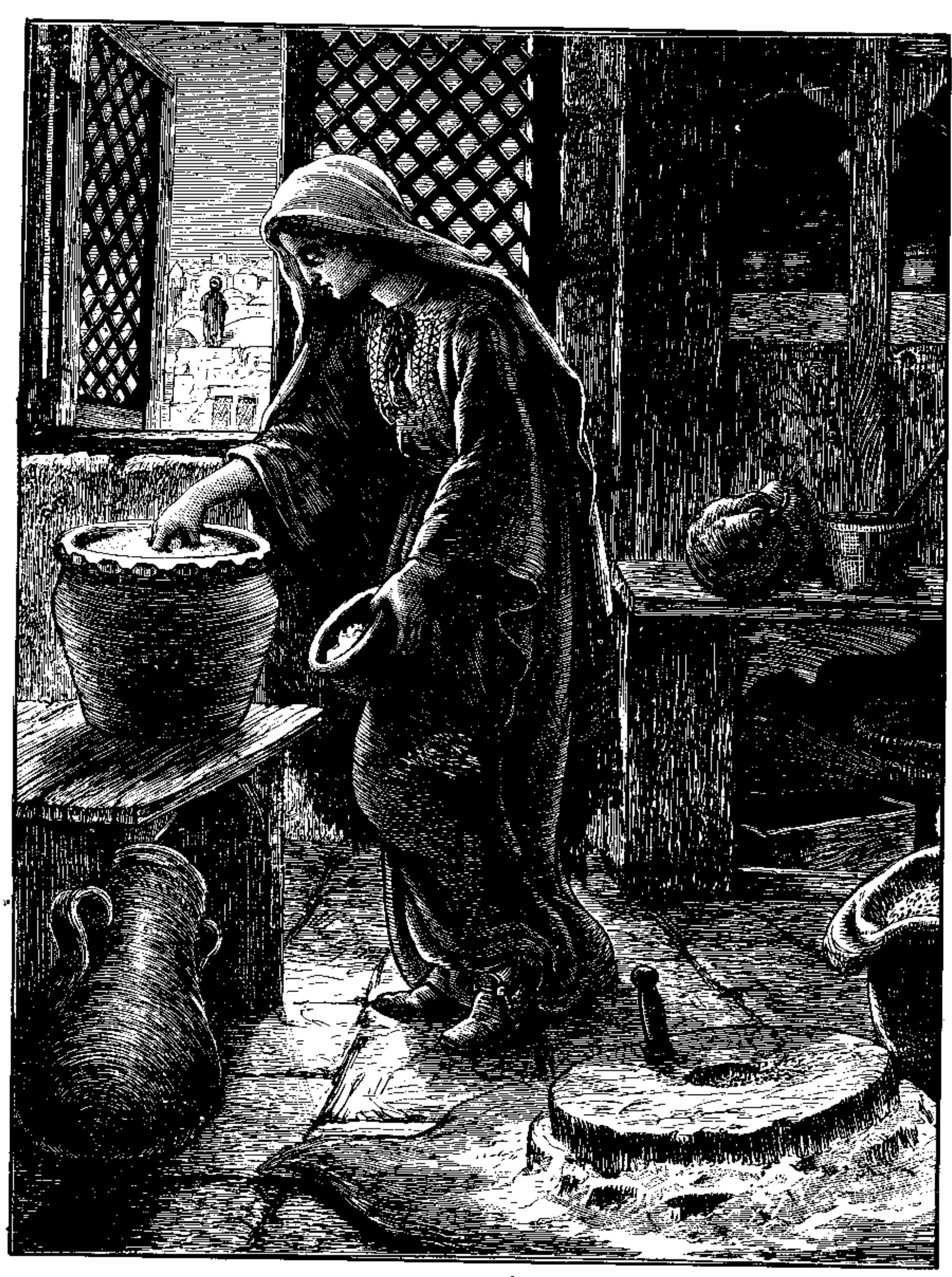
إنَّ فُقَهَاءَ اليَهُودِ كانوا يُفَسِّرون الشريعة على هواهم وعلى مقتضى أهوائهم فيفسدونها ويُفسِدون حياةَ النَّاسِ بها، ومِنْ ثَمَّ أفْحَمَ مُخَلِّصُنا بقولِهِ هذا، لا رئيسَ المَجْمعِ فَحَسْب، وإنما كُلَّ الذين كانوا فى المَجْمعِ مِمَّنْ كانوا يقاومون مُخَلِّصَنا مِنَ

الكَتَبَةِ والفَرِّيسيين وغيرهم مِمَّنْ كانوا يتاجرون بالدين تحت ستار الغيرة على الدين. فتولاّهم الخزى وتسلَّلوا خجلين متخاذلين. وأما الذين آمنُوا بمُخَلِّصِنَا من الشَّعْبِ فقد فَرِحوا جميعًا بما فَعَل، وكانوا لا يفتأون يفرحون بجميع الأعمال التى كانت تجرى على يَدَيه.

إنَّ هذه القصة المتعلقة بالمرأة المنحنية والتى لم يذكرها غير الإنجيل للقديس لوقا، تكشف لنا عن حقيقة هامَّة تَخْفى على كثيرين مِمَّنْ لا يؤمنون بغير ما تدلّهم عليه الحواسّ الظاهرة، وهى أَنَّ هناكَ مِنَ الأمراض ما ينجم عن رَبْطِ الشيطان. إذ قال الربُّ يسوع «هذه ابنةُ إبراهيمَ وقد رَبَطَها الشَّيطانُ ثَمانى عَشَرَةَ سَنَةً. أَمَا كانَ يَنبَغِى أن تُحَلَّ من هذا الرِّباطِ؟». وحينما شفاها قال لها بالنُّطِقْ السَّامى «أيَّتُها المرأةُ إنَّك مَحْلُولَةُ الوِثاقِ من مَرَضِكِ» ثم وضع يديه عليها، ففى الحال انتصبت قائمة. فهذا التعبير من رب المجد تعبير فريد من نوعه فى الأناجيل جميعها، وهو تعبير يُصَرِّح فيه ربُّ المجد عن نوع من الأمراض يجيء نتيجة «رَبْطِ الشَيْطَانِ». فهذا المَرَض إذن ليس مرضًا عضويًّا، ولا حيلة للطبِّ البَشَرِىِّ فيه، ولا يتم الشفاء منه إلاَّ بإزالة العِلَّة الأساسيَّةِ التى نَجَمَ عنها، وذلك بِطَرْدِ الشيطان من المريض، وهذا يقتضى قوَّة روحيَّة عالية تزيد كثيرًا على قوة الشيطان الرّابط. لأنه كما قال مخلِّصنا «ما مِنْ إنسانٍ يُمكِنُهُ أن يَدْخُلَ بَيتَ جَبَّارٍ وَيَنْهَبَ أمتِعَتَهُ إنْ لم يُوثِقِ الجَبَّارَ أوَّلاً، وعِنَدئِذٍ يَنْهَبُ أَمتِعَتَهُ» (مرقس ٣ : ٢٧)؛ (متى ١٢ : ٢٩). ولقد تمَّ شفاء المرأة المنحنية فى الحالِ لأنَّ الشافى هو ربُّ المجد يسوع المسيح الذى بسُلْطانِ لاهوتِهِ طرد الشيطان بكلمة منه، وحلّ وثاق الشيطان عن المرأة بالأمر الذى أَصْدَرَه، وبِلَمْسَةِ يَدِه الإلهية. وأما غير السيد المسيح فلا يستطيع ذلك إلا إذا كان السيد المسيح قد منحه سلطانًا على الشيطان فصارت له القوة الطاردة للشياطين الشافية للأمراض الناجمة عن ربْطِ الشيطانِ.

١٣ : ١٨ - ٢١

ثم قال مُخَلِّصُنا «ماذا يُشْبِهُ مَلكُوتُ السَّمَاواتِ، وَبماذا أُمَثِّلُ لَه؟ إنَّه يُشْبِهُ حَبَّةَ



« مَثَل الخميرة التي وضعتها المرأة في الدقيق » (لوقا ١٣ : ٢٠ و٢١)

خَرْدَلٍ أَخَذَها رَجُلٌ وغَرَسَهَا فى بُستانِهِ، فَنَمَتْ وصارَتْ شَجَرَةً عَظيمَةً، وأَوَتْ طُيورُ السَّماءِ إلى أَغصانِها». وقال أيضًا «بماذا أُشَبِّهُ ملكوتَ اللّهِ؟ إنه يُشبِهُ خَميرَةً أَخَذَتْها امرأةٌ وخَبَّأَتها فى ثَلاثَةِ أكيالٍ من الدَّقيق حتى اخْتَمَرَ كلُّه». وقد كان مُخَلِّصُنَا يعنى بملكوت السماوات وبملكوت الله هنا الكنيسة، وهى ملكوته هو الذى تسود فيه على الأرضِ شريعةُ السَّماءِ وشريعةُ اللّهِ التى هى شريعته هو، تلك الشريعة التى طالَمَا نادَى بها فى تعاليمِهِ، شريعةُ الحُبِّ والسَّلامِ والتسامحِ والصَّلاحِ والقداسةِ والطهارةِ والعِفَّةِ والتَقوَى، والاتجاه فى كُلِّ عَمَلٍ وفى كلِّ قَوْلٍ وفى كُلِّ تفكيرٍ وفى كُلِّ شعور، لا إلى الأرضيات، وإنما إلى السمائيات، مع الإيمان بمَخَلِّصِنَا باعتباره المسيح ابن الله مُخَلِّص البَشَرِ وفاديهم، الذى جاء إلى العالم واتَّخذ صورة الإنسان متجسِّدًا من روح القُدُس فى أحشاء السيدة العذراء مريم، وأَظْهَرَ مَجْدَه وأَعْلَنَ تعاليمَه، ثم قبض اليهود عليه وقتلوه على خشبة الصَّليب وَمَاتَ وظلَّ مدفونًا فى القبر ثلاثة أيام، ثم قَامَ من بين الأموات، وصَعِدَ إلى السَّماءِ، بكلِّ التفصيلات التى وردت فى إنجيله المقدَّس. وقد قَصَدَ مُخَلِّصُنَا بتشبيه هذا الملكوت هُنَا بِحبَّةِ الخردل أنه لَنْ يسودَ العالَمَ دفعة واحدةً، أو فى سُرْعة خاطفة، على مثالِ الممالك الأرضيَّة التى يُنشئها الغُزاة الفاتحون بجيوشِهِم الجرَّارة وأساطيلهم الجبَّارة، يُغيرون بها كالإعصار الكاسح الجائح على الأُمم والشعوب فى صخب وضجيج فيسودونها ويستعبدونها، كما كان اليهود يعتقدون أنَّ المسيح الذى ينتظرونه سيفعل كى يقودهم ليفتح بهم العالم كلَّه ويجعلهم سادَةَ كُلِّ الأمم والشعوب ومستعبِديها. وإنما سيكون ملكوتُ السماوات وملكوتُ الله الذى هو فى ذات الوقت ملكوت المسيح مُخَلِّصِنَا، صغير الحجم فى بدايته، بحيثُ لا يتجاوز عَدَدَ تلاميذِه والمؤمنين به وقتذاك. بَيْدَ أَنَّ هذا العَدَد القليل لم يكُن إلا بمثابة حبَّة الخَردَل التى هى أصغر الحبوب، ولكنها متى غَرَسَها البُستَانىُّ فى أرضٍ جَيِّدة وتعهدَّها بالرعاية لا تلبث أن تنمو حتى تُشْبِهَ شجرة عظيمة تأتى طيورُ السَّماءِ لِتأوِى فى أغصانها. وهذا الذى سيحدث بالنسبة لذلك العَدد القليل من تلاميذ مُخَلِّصِنَا والمؤمنين به فى البداية، فإنهم لن يلبثوا أن يزداد عددهم شيئًا فشيئًا حتى يُصبِحوا مملكة عظيمة، وكنيسة

جامعة، تشمل فى النهاية العالَمَ كُلَّه، ويحتلُّ فيها مُخَلِّصُنَا عَرْشَ القلوب، وتسود فيها شريعته على كُلِّ الشعوب، ويأوى إليها كلُّ الضائعين والضَّالّين والجائعين إلى المحبَّة، والمحتاجين إلى الأمان، والمتلهّفين إلى السَّلَام والاطمئنان، والمعذَّبين والمكروبين والمحرومين والمظلومين من البَشَر. ولن يكون نموُّ هذا الملكوت وامتداد رقعته وازدياد عدد المنضوين تحت لوائه فى صخب غزو الغزاة، أو ضجيج إغارة القادة الفاتحين من غزاة الأرض وقادتها، وإنما سيحدث فى سكونٍ يشبه سكون الخميرة الصغيرة وهى تفعل فعلها فى العجين الكثير حتى يختمر آخِر الأمر كله. وذلك أنَّ شريعة مُخَلِّصِنَا التى يسود بها ملكوته على الأرض تملك بذاتها وفى ذاتها القوَّة الكفيلة بأن تجعلها تفعل فعلها فى القلوب وفى غير عنف ولا عسف ولا قَسْرٍ ولا إكراهٍ، لأنها تنطوى على نعمة الله التى هى سرّ الحياة، والتى يسعى إليها الإنسان فى أعماق سريرته ليحفظ بها حياته، إذ أنَّه بدونها لا تكون ثمة حياة.

١٣ : ٢٢ - ٣٠

وكان مُخَلِّصُنا يمرُّ بالمدن والقرى يُعَلِّم وهو فى طريقه إلى أورشليم، لأنه لم يتوقف عن التعليم قطُّ فى أيِّ مكان ذهب إليه، أو فى أى مكانٍ مَرَّ به. ولم يَقْصر تعاليمه على أهل المُدُن المُتْرَفين المُثَقَّفين، وإنَّما أَغدَقَ هذه التعاليم أيضًا على أهل القُرَى الفقراء البُسَطاء الذين لم ينالوا قِسْطًا من ثقافة أو تعليم.

وفى هذه الأثناء تقدَّم إليه واحدٌ مِّمن كانوا فى الغالبِ من أعدائه الذين كانوا لا يفتأون يُوَجِّهُون إلَيهِ الأسئلة، مُتَرَصِّدين له عَسَى أَن يُجيبَ إجابةً تنطوى على ما يخالفُ الشريعة اليهوديَّة أو ما يَدْعو إلى استياءِ اليهودِ منه وانفضاضِهم من حَوْلِهِ. إذ سأَلَهُ قائلاً «يارَبُّ أَقليلُون هُمُ الّذين يَخْلُصونَ؟». وقد كان هذا السؤال ينطوى على فخٍّ خبيثٍ نصَبَهُ لُمخَلِّصِنَا: فلو أنَّه قالَ إنَّ الذين يَخْلُصُونَ كثيرون بَرْهَنَ بذلك على تسَاهُلِهِ فى أحكام الدِّين التى كان فُقَهاءُ اليهود يتفاخَرون بتَشُدُّدِهم وَتَزمُّتهم فى دعوة الناس إلى الخضوع لها، مهدِّدين إيَّاهُم إنْ لم يفعلوا ذلك بالهلاك الأَبَدِيّ. ولو أنَّهُ قَالَ إنَّ الذين يَخْلُصَون قليلون أَغْضَبَ بذلك سائر اليَهُودِ منه،

لأنهم كانوا يعتقدون أنهم جميعًا سينالون الخَلاَصَ لُمجرَّد أَنَّهم يهود. ومِنْ ثَمَّ لم يَقُلْ مُخَلِّصُنَا إنَّ الذين سيخلصونَ كثيرونَ أو قليلون، وإنما أوضَحَ طريقَ الخلاَص لَمنْ يريدونَهُ ويتطلَّعون إلَيْهِ، قائلاً لذلك الذى سَأَلَهُ، ولِكُلِّ الذين كانوا يستمعون إليه، بل للبَشَرِ جميعًا: «اجتَهِدوا أن تَدْخُلوا مِنَ البابِ الضَّيِّقِ، فَإنَّنى أَقولُ لَكُم إنَّ كَثيرين سَيَلتَمِسونَ الدُّخُولَ فلا يستطيعون، حِينَ يَكُونُ رَبُّ البَيْتِ قَدْ قَامَ وأغْلَقَ البابَ وأَخَذْتُم وَأَنْتمُ واقفونَ خارِجًا تَقرَعونَ البابَ قائِلين: رَبَّنا رَبَّنا افْتَحْ لَنَا. فَيُجيبُكُم قائِلاً: لا أَعْرِفُكُم. مِنْ أَينَ أَنتمُ؟. فَتَأْخُذون عِنْدَئِذٍ تَقولونَ إنَّنا أَكَلْنَا وَشَرِبنَا أَمامَكَ، وقد عَلَّمْتَ فى شَوارِعِنا. فَيُجيبُكُم: إنِّى أَقولُ لَكُمْ، لا أَعْرِفُكُم. مِنْ أَيْنَ أَنتمُ؟ اِذْهَبُوا عَنِّى جَميعًا يا فاعِلى الإِثْمِ. هُنَاكَ يَكُونُ البُكاءُ والصَّرِيرُ عَلى الأسنانِ، إذْ تَرَوْنَ إبراهيمَ وإسْحٰقَ ويَعْقوبَ وكُلَّ الأَنبياءِ فى مَلَكُوتِ الله وَأَنتمُ مَطْرُوحونَ خارِجًا. وَسَيَأْتونَ من المشَارِقِ والمغارِبِ، ومن الشَّمالِ والجَنُوبِ، وَيَجْلِسُونَ إلى مَوائِدَ فى مَلَكوتِ اللّهِ. فَهاهُمْ أُولاءِ آخِرُون سَيكونونَ أَوَّلِينَ وأَوَّلونَ سَيكونونَ آخِرِينَ». وَقَدْ بَيَّنَ لَهُم بذلك أنَّ طريق الخَلاَصِ لَيْسَ سَهْلاً كما يَتصوَّرون، وأنَّ بابَهُ لَيْسَ مُتَّسِعًا لِكُلِّ مَنْ يُريد الدُّخُولَ منه لُمجَرَّد أنَّه يهودِىٌّ، أو لُمجَرَّدِ أنَّه أدَّى الشعائر الطَّقْسِيَّةَ التى تفرضها الشريعة اليهودية، أو لمجَرَّد أنَّه اعتَقَدَ فى نَفْسِهِ الصَّلاَحَ والتَّقْوَى بِغَيْرِ حقٍّ، وإنَّما الطريق إلى الخَلاَصِ مليءٌ بالمتاعِبِ والمصاعِبِ، والشَّدَائِدِ والضِّيقات، وصُنوفِ الهَوَانِ والحِرمَانِ، التى تقتضى ممَّنْ يتطلَّعُ إليه كثيرًا من الجهد والجهادِ، وقوَّةِ العزيمة والصبر على المكاره الأليمة، فى إيمانٍ صادِقٍ وتَفَانٍ عَمِيقٍ، وَزُهْدٍ كامِلٍ فى الأرضِيَّات، وتَعَلُّقٍ كامِلٍ بالسَّمائيَّات، مَهْمَا لَقِىَ فى سبيل ذلك منَ الأوجاعِ ومن أنواعِ العَنَتِ والعَسْفِ والعُنْفِ والعَدَاوة والعدوان من الشيطان أو مِنَ الأشرارِ من بَنى الإنسانِ. وكما أَنَّ الطَّريقَ إلى الخَلاَصِ وَعْرٌ بهذه الصورة فإنَّ بابَ الخَلاَصِ ضَيِّقٌ لا يستطيع الدخولَ منه إلَّا الذين اجتازوا ذلك الامتحان. وأمَّا أولئك الذين يَتَهاونون فى إيمانِهم، أو يستهينون بما يقتضيه منهم ذلك الإيمانُ، أو يكون سطحيًّا أو شكليًّا أو يتَّخذون منه مجرَّدَ مظهر يخدَعون بِهِ النَّاسَ، فإنَّهم لا يَخْدَعون بذلك إلَّا أَنْفُسَهُم.

فإنَّهُم حين يحاوِلون دخول باب الخلاص بعد أن دَخَلَهُ كُلُّ الأبرار والأطهار، يأتى عندئذ مُخَلِّصُنَا وَهُوَ ربُّ الخَلاَصِ فيغلق ذلك البابَ فى وجوه أولئك الأَثمَةِ الأشرار. وإذ أنَّهُمُ مخدوعون فى أنفسهم بما تظاهَرُوا بِهِ فى حَيَاتِهِم من وَرَعٍ وتقوى، يروحون يقرعون البابَ من الخارجِ طالبين الدُّخولَ، وهم لا يفتأون يصرخون قائلين «رَبَّنَا رَبَّنَا افتح لنا». ولكنه يتبرَّأ منهم ومن معرفته لهم، لأَنَّ الكامِلَ القَدَاسَةِ والطهارة، لا يُمكِن أن يَسْمَحَ للنجسِين الدَّنِسِينَ بأن يدخلوا ملكوتَهُ أو يقتربوا منه. وعندئذٍ يروح أولئك يذكُرُون له الحُجَجَ التى يتوهَّمُون أنها تبرِّر قبوله لهم، قائلين له: «إنَّنَا أكَلْنَا وشَرِبْنَا أمامَكَ، وقد عَلَّمْتَ فى شوارِعِنا».
بَيْدَ أَنَّ هذه حُجَجٌ وَاهِيةٌ كاذِبَةٌ، لأنَّ يهوذا الأسخريوطىَّ أَكَلَ وَشَرِبَ مع مُخَلِّصِنَا، ومع ذلك خَانَهُ وسَلَّمَهُ لأعدائِهِ. ولأنَّ مُخَلِّصَنَا عَلَّمَ فى شوارع اليهود، ومع ذلك عَذَّبوه وصَلَبُوه. فَلَيس كلُّ الآكِلين الشاربين على مائدة مُخَلِّصنا أبرارًا، وليس كلُّ الذين سَمِعُوا تعاليمه أطهارًا، ما داموا قد خانوه وخانوا تعاليمه، لا فى زَمَن وجودِهِ على الأَرض فَحَسْب، وإنَّمَا فى كُلِّ زمانٍ أَتى أو يأتى بعد ذلك إلى الأَبَدَ. ومِنْ ثَمَّ يرفض مُخَلِّصُنَا حُجَجَهُم الواهية الكاذبة هذه، ويعود فيتبرَّأ منهم ومن معرفته لهم، ويطردهم قائلاً «اذهَبوا عَنِّى جَمِيعًا يا فاعِلِى الإِثم»، فيظلُّون مطرودين مطروحين خارجَ بابِ الخَلاَصِ الذى هو باب مَلَكوت السماوات. فلا يملِكون إلَّا البكاء حِقدًا، والصَّرير على الأسنانِ حَسَدًا وحَنَقًا وغيظًا، إذ يرون الأبرار الأطهارَ مِنْ أبناء العهد القديم ومن أبناء العهد الجديد يتنعَّمُونَ فى ذلك الملكوت، فى حين هم يكابدون العذاب فى نار جهنَّمَ. وَلَسَوْفَ ينطبِق ذلك بصفة خاصَّة على اليهود الذين كانوا يعتبرون أنفسَهَم وحدَهُم دون سائر أمم الأرض أصحابَ الحقِّ فى الخَلاَصِ والملكوت، فإذا بهم وَهُمْ فى لهيب النِّقمةِ والغضَبِ الإلهىِّ يَرَوْن قَوْمًا من الوثنيين يأتون من كُلِّ أنحاء الأرضِ، وينعَمُونَ بالخَلاَص، ويتنعَّمُون فى المَلَكوت. لأَنَّ العِبرْةَ فى عُبُورِ بابِ الخَلاَصِ هى استحقاق الخَلاَصِ، سواء أكان ذلك المستَحِقُّ له يهوديًا أم غير يهودىٍّ، وسواءٌ أجاءَ متقدِّمًا فى الزَّمان أم جاءَ متأخِّرًا، لأنَّ بَعضَ الذين جاءوا أخيرًا ربَّما استحقُّوا الخلاص دون الذين جاءوا

أوَّلًا، فيكونُ الآخِرون أوَّلين، والأوَّلون آخِرين. وهكَذَا رَسَمَ مُخَلِّصُنا سبيلَ الخلاصِ، وَحَدَّدَ معالِمَ الطَّريق إلَيْهِ، وما على الذين يتطلَّعون إلى الخلاص إلا أن يسعوا فى طريقِهِ الوَعْرِ ليجتازوا آخرَ الأمر بابَه الضَّيِّقَ. فَلَمْ يَعُدْ ثمة ما يستوجب التساؤل بعد ذلك عَمَّا إذا كان الذين سيستطيعون ذلك من الناسِ قليلين أمْ كثيرين، لأنَّ الطريقَ - وإنْ كان وَعْرًا - مفتوح للناسِ جميعًا. والباب - وإن كان ضيِّقًا - فسيدخل منه كلُّ الذين يجْتازون منهم ذلك الطَّريق.

١٣ : ٣١ - ٣٥

وفى ذلك اليوم الذى تحدَّث فيه مُخَلِّصُنا الحديث السابِقَ، جاء إليه بعض الفرِّيسيين وقالوا له «اخرُجْ وامضِ مِنْ هُنَا، فإنَّ هِيرودُسَ يُريدُ أن يَقْتُلَكَ». وقد كان هيرودس أنتيباس مَلِكُ الجليل - وهو ابن هيرودس الكبير - يخاف من ازدياد نفوذ مُخَلِّصِنَا على نفوس الشعب فى مملكته، ويخشَى أن يُطيحَ به ليجلِسَ على عَرْشِهِ. ولكنه إذ كان لا يجرؤ على قَتْلِهِ لالتفاف شعب الجليل حوله وتَعَلُّقِهِم به، أرادَ أن يُبْعِدَه عن ولايته إلى أورشليم فى ولاية اليهوديَّة، حيثُ كان يَعْلَمُ أنَّ رؤساءَ الكهنة وشيوخَ اليهود هناك يريدون قَتْلَ مُخَلِّصِنَا ويسعون إلى ذلك بما كانوا يُتقِنونه من أساليب الدَّسائس والمؤامرات. ومِنْ ثَمَّ أرسَلَ إليه أولئك الفرِّيسِّيين الذين كانوا هُمْ أيضًا أعداءً لمخلِّصنا، وكانوا يريدون التخلُّصَ منه بأىِّ حيلة أو وسيلة. فجاءوا إليه متظاهرين - بما اتَّصفوا به من الرِّياء - بالإشفاقِ عليه وإسداء النصيحة إليه، عساه أن يخشاهم أو يَخْشَى مَلِكَهُم، فيترك الجليل إلى حيث ينتظره أولئك الذين كانوا أشدّ عداءً له وأقدَر بما يملكون من سلطانٍ على الفتْك بِهِ. بَيْدَ أنَّ مُخَلِّصَنَا أجابهم بما يدلُّ على أنه لا يخشاهم ولا يَخْشَى مَلِكَهُم، إذ قال لهم «اِذْهَبوا وَقُولُوا لِهذا الثَّعلَبِ: ها أناذا أَطْرُدُ الشَّياطينَ وأُنجِزَ أعمالَ الشِّفاءِ اليومَ وَغدًا، وفى اليومِ الثَّالثِ سَأُكَمِّلُ. غيرَ أَنِّي يَنْبَغى لى أَنْ أُواصِلَ مَسِيرتى اليومَ وَغدًا واليومَ الذى يَليهِ ثُمَّ أَمْضى، لِأَنَّهُ لا يُمكِنُ أَنْ يَهْلِكَ نَبِىٌّ خارِجَ أُورُشليم». وقد وَصَفَ مُخَلِّصنا هيرودس بالثَّعلب لأنه كان بالفعل يتَّصِف بِصفاتِ الثعلب فى شَرِّه

وَمكْرِهِ ودهائه وتعطّشِهِ إلى سفْكِ الدِّمَاءِ. ولقد كَانَ لمخلِّصِنَا الحق فى أن ينعته بهذا النعت دون أن يكون مُتَعَدِّيًا بذلك الوصية التى تدعو إلى توقير الناس لملوكهم. لِأَنَّ من صِفَات مخلِّصنا أنه نبيٌّ (التثنية ١٨ : ١٥ و١٨). وقد كان للأنبياءِ دون سِوَاهم من النّاسِ أن يُعَنِّفوا الملوك على شرورهم وينتهروهم وينعتوهم بما يطابق أخلاقهم وطبائعهم من النعوت، تقويمًا لهم وتحذيرًا من عواقب شرورهم، باعتبار الأنبياء مُرْسَلين من الله، ومفوَّضين بأن يكلِّموا ويعلِّموا باسمه الناسَ من أكبر كبير إلى أصغر صغير. كما أَنَّ من صِفَات مُخلِّصنا أنه مَلِكٌ، بل ملك الملوك (المزمور ٧١ : ١١). وله عليهم سلطان التعنيف والانتهار إذا كانوا من الآثمين الأشرار. وقد طَلَبَ مُخَلِّصُنَا إلى أولئك الفرّيسيين الذين بَعَثَ بهم هيرودس أن يخبروه بأنَّ تهديده إياه بالقتل لن يوقِفَهُ عن أداء الرِّسالة التى جاء من أجلها إلى العَالَمِ، وأنَّه سيواصِلُ أداء هذه الرِّسالة على الرَّغم من التَّهديد، فيطرداالشياطين ممن استولت عليهم الشياطين، ويشفى المرْضَى ممَّا أصابهم من الأمراض، وإنْ كانت المدَّة الباقية له على الأرض لأداء هذه الرِّسالة على وشك الانتهاء. ولكنه سيواصِل مسيرته حتى يكملها، وعندئذ سيمضى إلى أورشليم، لا لأنَّ هيرودس هَدَّده بالقتْل، وإنما بمحض اختياره هو، لأنه كان يَعْلَم أَنَّ اليهود سيقتلونه هناك على مقتضى التدبير الإلهىّ لإتمام عَمَل الفِداء، إذ كان هو الذبيحة الحقيقية التى لم تكن ذبيحة الفصح اليهودىِّ إلا رمزًا لها. وقد كانت ذبيحة الفصح لا يصحّ تقديمها إلَّا فى هيكل أورشليم، فضلاً عن أنه لم يكن يمكن الحكم على نبى بالقتل إلا بعد محاكمته أمام أعلى محكمة يهودية، وهى مجلس السنهدريم، الذى كان مقرّه فى أورشليم. وإذ كان من صِفات مخلِّصنا أنَّه نبىٌّ كان لا يمكن أن يَصْدُرَ عليه الحكم بالموت إلَّا بواسطة ذلك المجلس. ولا يمكن تنفيذ هذا الحكم إلَّا فى أورشليم حيث كان مقرّ ذلك المجلس.

١٣ : ٣٤ و ٣٥

وإذ كانت أورشليم هى المدينة المقدّسة، التى يقوم فيها الهيكل بيت الله، والتى

كان أهلها أجدر الناس بأن يكونوا عالمين بالشريعة وعاملين بها، كان الأجدر بها أن تكرم الأنبياء الذين يرسلهم الله إليها. ولكنها بدلاً من ذلك كانت ترجمهم وتقتلهم. وكان الأجدر بها بالحريِّ أن تؤمن بالمسيح ابن الله الذى تنبأ كُلُّ الأنبياء بمجيئه. ولكنها بدلاً من ذلك أنكرته وتنكّرت له حين جاء، ثُمَّ عذّبته وصلبته. ولذلك خاطبها مُخَلِّصنا فى تأنيب وتوبيخ، ممتزَجَين بالمرارة والألَمِ، وبالإشفاقِ والرِّثاءِ، قائلاً لها «يا أورشليمُ يا أورشليمُ يا قاتِلةَ الأنبياءِ وراجِمَةَ المُرسَلين إليها، كَمْ مِنْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَن أجْمَعَ بَنيكِ كَما تَجْمَعُ الدَّجاجَةُ فِراخَها تَحْتَ جَناحَيها، فَلَمْ تُريدُوا. هُوذَا بَيْتُكُم يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا. الحَقَّ أَقولُ لَكُمْ إنَّكُمْ لَنْ تَرَوْنِى مُنذُ الآنَ حَتَّى الوَقْتِ الّذِى تَقولونَ فِيهِ : مُبارَكٌ الآتِى باسمِ الرَّبِّ». أى أنه عَلى الرَّغم من أنَّ أهلَ أُورشليم قتلوا الأنبياء ورجموا المُرْسَلين من الله إليها، عمل هو مرارًا كثيرة على تعليمهم وتقويمهم وتبصيرهم بالواجب عليهم وتحذُيرهم من الهلاك الذى يهدّدهم إذا استمرُّوا فى غيِّهم وضَلالِهم وبَغْيِهم وفساد أعمالهم. وقد أسبغ عليهم من الرِّعاية والعناية والمحبَّة والحنان ما تسبغه الدّجاجة على فراخها إذ تأخذها فى حضنها وتضمها تحتَ جناحيها، لتحميها من الأعداء، وتقيها من حَرِّ الصَّيْفِ وَبرْدِ الشتاء. ولكنَّ أَهْلَ أورشليم مع ذلك عَادَوْا ذلك الذى رعاهُم، واعتدوا على ذلك الذى اعتنى بهم، وكرهوا ذلك الذى غَمَرَهُم بمحبته، وقسوا أشنع وأبشع قسوة على ذلك الذى أغدق عليهم فيضًا من حنانه، ورفضوه. فكان العدل يقضى بأن يرفضهم، وأن يتركهم لينالوا جزاء ما ارتكبوا من شرور، وما اقترفوا من آثام، قاضيًا بالهلاك عليهم، وبالخراب على هيكلهم الذى - وهو بيت الله - جعلوه وكر لصوص (متى ٢١ : ١٣). وبعد أَنْ كان قائمًا بينهم يرونه بأعينهم، سيبتعد عنهم، ويختفى عن أعينهم، فلن يروه إلَّا حين يأتى فى مجيئه الثانى للدَّينونة، فيهتف عندئذ كلُّ الأحياء قائلين «مُبَارَك الآتى باسم الربِّ» (المزمور ١١٧ : ٢٦). وعندئذ سيدينهم ويحكم بالهلاك الأبدىّ عليهم.



الفصل الرابع عشر

١٤ : ١ - ٦

وقد حَدَثَ أَنْ دَعَا أَحَد رؤساء الفريسيين مخلِّصَنا لتناوُلِ الطعام فى بيته فى يوم سبت. وقد كان أولئك الفرِّيسيون لا يفتأون يحاولون بغير كلل وبكلِّ ما فى طاقتهم من جهد أن يستدرجوا مخلِّصنا إلى الفخاح التى ينصبونها له، عساهم أن يمسكوا عليه خطأ فى تطبيق الشريعة اليهودية أو مخالفة لأحكامها يستوجب الحكم عليه بالموت، ليتخلَّصوا منه ومن تأثيره العظيم العجيب فى الشعب الذى كانوا يحتكرون لأنفسهم الرئاسة والتسلُّط عليه. بَيْدَ أنَّ مُخَلِّصَنا قَبِلَ دعوة ذلك الرَّجُل على الرَّغم من علمه بريائه فى تظاهُره بتكريمه، وعلى الرَّغم من إدراكه كلَّ الإدراك لخبيئة نفسه ونفوس كُلِّ شيعته. ومِنْ ثَمَّ راح هؤلاء يراقبونه ليتصيَّدوا ذلك الاتهام الذى كانوا يتحفَّزون لاقتناصه من أى قول يقوله أو عمل يعمله، ولا سيَّما أنَّهم تعمَّدوا أن تكون هذه الدعوة له فى يوم سبت، لأنَّ أهمَّ اتهام كانوا يوجهونه إليه أنه يصنع معجزاته فى ذلك اليوم الذى تقضى شريعتهم بعدم القيام فيه بأى عمل، وكانوا هم يلزمُون الناسَ بذلك فى شكليّة وحرفّية مطلقة، بعيدة كُلَّ البُعد عن روح تلك الوصية المتعلقة بالسَّبت والحِكمة الأساسية منها. وقد عَلِمَ مُخَلِّصنا بما يدور فى نفوس أولئك الفرِّيسيِّين المنافقين بهذا الشأن. واتفق أن رأى عندئذ أمامه رجلاً مُصَابًا بِدَاء خطير، هو داء الاستسقاء. ومِنْ ثَمَّ أراد أن يُحْبِطَ ما يدبِّرونه له من مكيدة. وأن يكشف لهم فى الوقت نفسه عن سواد قلوبهم وجهلهم لروح شريعتهم وغباوتهم فى تطبيقها. فَالْتَفَتَ إلى علماء الشريعة والفَرِّيسيِّين الموجودين فى الحفل وخاطبهم قائلاً «أَيْحِلُّ الإبراءُ فى يَومِ السَّبتِ أم لا يَحِلُّ؟». وقد خافوا أن يجيبوه عن تساؤله لأنهم كانوا يعرفون قوة حجته ويخافون من أن يُفحِمَهُم فيهزمهم أمام الحاضرين. كما أنهم كانوا لا يريدون أن يُحرِجَهَم هو، وإنَّمَا أَنْ يُحرِجوه هُمْ. ومِنْ

ثَمَّ صمتوا فأمسك مُخَلِّصُنا الرَّجُلَ المريض وأبرأه وَصَرفه. ثم قال لَهُم ليخجلهم ويُخرِسهم «مَنْ مِنْكُمْ يَسْقُطُ حِمارُهُ أَو ثَوْرُهُ فى بِئْرٍ فَلاَ يُسَارِعُ إلى انتِشالِهِ فى يَوم السَّبتِ؟». فخجلوا وخَرسوا بالفِعل، ولم يستطيعوا أن يجيبوه عن هذا المنطق الصَّادق والحجة الدامغة. لأنهم إن كانوا لا يمتنعون فى يوم السبت عن إنقاذ حيوان هَدَّده ضَرَر أو خَطَر. فَكَم بالأَحْرَى لا يجوز أن يمانعوا فى ذلك اليوم فى إنقاذ إنسانٍ كان مرضه الخبيث الخطير يهدِّده بأشَدِّ أنواع الضَّرر والخَطَر.

١٤ : ٧ - ١١

وبعد أن وبَّخ مُخَلِّصنا أولئك الفَرِّيسيِّين وأدعياء العِلْم بالشريعة على ريائهم وغبائهم، أخذ يوبِّخُهم على أنانيتهم وكبريائهم، شَأْنَ المعلِّم الصَّريحِ الصَّادقِ، الشُّجاع فى الحق، الجرىءِ فى مجابهة أعظم العظماء بما فيهم من شَرٍّ وشراهة وَصَلَفٍ وغرور، لتعليمهم وتقويمهم، إذ لاحَظَ فى تلك الوليمة أَنَّ كُلاًّ من المدْعُوِّين كَانَ يتهافَتُ على المقاعِدِ الأمامية الأُولى، مُدَّعيًا لنفسِهِ الأفضلية على غَيرِهِ، والأحقِّية دون سواه فى التعظيم والتكريمِ. وقد سَبَقَ أن وَصَفَهُم قائلاً عنهم فى استياء إنهم «يُحِبُّونَ المجالِسَ الأُولى فى الوَلائِمِ، والمقاعِدَ الأَمامِيَّةَ فى المجامع، والتَّحِيَّاتِ فى الأَسْواقِ، وَأَنْ يَدْعُوَهُمُ النَّاسُ: يا مُعَلِّمُ يا مُعَلِّمُ» (مَتى ٢٣ : ٦ و ٧). ووبخَّهم فى موضع آخر قائلاً لهم «الوَيْلُ لَكُم أَيُّها الفَرِّيسِيُّونَ، لِأَنَّكُمْ تُحِبُّونَ المقاعِدَ الأُولَى فى المجامِعِ والتَّحِيَّاتِ فى الأَسْواقِ» (لوقا ١١ : ٤٣). ثم عاد هنا فَصَاغَ توبيخه لهم فى صورة نصيحة قائلاً «إذا دعاكَ أَحَدٌ إلَى وَليمَةِ عُرْسٍ، فلا تَجْلِسْ فى المقْعَدِ الأَوَّلِ، لِئَلاَّ يَجِيءَ مِنَ المدْعُوِّينَ مَنْ هو أَكْثَرُ مِنْكَ مَنْزِلَةً، فَيأْتى الَّذِى دَعَاكَ وإِيَّاهُ، وَيَقُولَ لَكَ: أَعْطِ المكانَ لِهَذا. فَتَقومُ عِنْدَئِذٍ وَأَنْتَ خَجِلٌ وَتَأْخُذُ المقْعَدَ الأَخِيرَ. وإِنَّما إِذَا دُعِيتَ فامضِ واجْلِسْ فى المقعَدِ الأَخيرِ، حَتَّى إذا جاءَ الَّذى دَعَاكَ يَقولُ لَكَ: يا صَدِيقى قُمْ اجْلِسْ فى المكانِ الأَعْلَى. فَعِندَئِذٍ تَنالُ كَرامَةً فى أَعْيُنِ الجالِسِينَ مَعَكَ. لِأَنَّ كُلَّ مَنْ رَفَعَ نَفْسَهُ اتَّضَعَ، وَمَنْ تَواضَعَ ارتَفَعَ». فكان هذا أبلغ دَرْسٍ فى التنديد بالكبرياء والدَّعوة إلى التَّواضُع لأنَّه لا يصحُّ كما أنه

لا يستطيع إنسان أن يحكُم على قَدْرِه ومكانته بين الناس بنفسِهِ، وإنما فليترك للناس أنفسهم أن يحكموا بما له من قَدْرٍ ومكانة لديهم. وإلَّا عَرَّض نفسه لِلْحَرَجِ والمهانة إذا تعاظم فجعَل نفسه فى المكان الأوَّل، لِأَنَّهم قد يجيئون هم ويضعونه فى المكانِ الأخير، فينحطّ بذلك قَدْرُه وتنخفضَ مكانته. فى حين أَنَّ الأَحْرَى به والأكرمَ له أن يتواضَعَ فيجعل نفسه فى المكان الأخير، لأنهم قد يجيئون هُمْ ويضعونه فى المكانِ الأوَّلِ، فيزداد بذلك قَدْره وترتَفعَ مكانته. وهكذا الأَمْرُ بالنسبة للذى يتعاظم أمام الله، فإنَّ اللّهَ يخفِضُهُ. وأمَّا الذى يتواضع أمامَ الله فإنَّه يرفعه.

١٤ : ١٢ - ١٤

وقد انتهز مُخَلِّصُنا فُرْصةَ هذه الوليمة ليلقِّنَ الحاضرين فيها من عظماء اليهود وأثريائهم وَوُجَهائهم دَرْسًا آخَرَ لا يقلُّ شَأْنًا عن الدَّرْس السابِقِ الذى دعاهم فيه إلى التواضُعِ، إذ لاحَظَ أَنَّ رئيسَ الفرِّيسيِّين قد دَعَا إلى تلك الوليمة أَصدِقاءه وإخوانه وأقرباءه وجيرانه الأثرياء المُتْرَفين المُتَرَفِّهين، فَقَال «إِذَا أَوْلَمتَ وليمةَ غداءٍ أوعشاءٍ، فلاتَدْعُ أَصدقاءك ولا إخوانَكَ ولاأَقرِباءَكَ ولاجِيرانَكَ الأَثرياءَ، لِئَلَّا يَدْعوكَ هُمْ أيضًا، فَتَكونَ قد نِلْتَ مِنْهُمُ المكافَأَةَ. وإنَّما إذا أَوْلَمْتَ وَلِيمَةً فادْعُ الفُقَراءَ والضُعَفَاءَ والمُقعَدِين والعُمِيانَ، فَتَكونَ مَغْبوطًا لِأَنَّهم لا يَملِكونَ ما يُكافِئُونَكَ بِهِ، ومِنْ ثَمَّ تَنَالُ مُكافَأَتَكَ عِند قِيامَةِ الأَبرارِ». وذلك أَنَّ أُولئك القَوْم وأمثالهم من ذوى الثرواتِ الطائلة والمناصب الرَّفيعة فى المجتمع قد دَرَجوا على أَنْ يدعو بعضُهُم بعضًا إلى ولائم فخمة فاخرة، يقدِّمون لهم فيها أثمنَ ما يستطيعون من أطايب الطَّعامِ والشَّرابِ، ويُنفِقونَ فى ذلك الأَموالَ الطائلَةَ، لا لِشَىْءٍ إلَّا الرَّغبة فى التَّفَاخُرِ والتَّظَاهُرِ بالمكانة العظيمة والجاهِ العريض. وَهُمْ يتنَافَسُون فى ذلك، فلا يفتأ كلُّ مَدْعُوٍّ إلى إحدى تلك الولائم يقيم لِمَنْ دَعاه إليها وليمة يجتهد أن تكونَ أفخَمَ وأفْخرَ مِنْهَا، لِيُثْبتَ أَنَّه أعظم مكانة وأعرض جاهًا. وبذلك يكون قد نالَ مكافأته عن طعامٍ أرضىٍّ بطعامٍ أرضىٍّ مِثله، فيظلُّ فَضْلُهُ فضلًا أرضيًّا

مُجَرَّدًا عن أَيِّ فضيلة ينال بها مكافأة فى السَّمَاءِ. فى حين أَنَّ كُلَّ مَنْ وَهَبَهُ الله مالاً أوجاهًا فى هذه الدنيا ينبغى أن يجعل مِن ذلك المالِ ومِن ذلك الجاهِ وسيلةً يَدَّخِرُ بها لِنَفْسِهِ فى السَّماءِ المكافأة التى ينالها الأبرار عند قيامتهم فى يوم الدَّينونة العظيم. وذلك بأن يتصدَّقَ مِمَّا وَهَبَهُ اللّهُ من نعمة فى الأرضِ على الفقراء الذين لا مالَ لهم، والضُّعفَاءِ والمُقعَدين والعميان الذين يعجزون - بسبب ما يعانون من ضَعْفٍ أو مَرَضٍ أو عاهة - عن اكتساب المال. لأنَّه بذلك، وإنْ كان لا يستردّ فى حياته على الأرض ما أنفق على هؤلاء البؤساء من مأكل أو مشرَب، سينالُ فى السَّمَاءِ ما هو أثمن من كُلِّ مأكل أو مَشْرَب، بل ما هو أثمن من كلِّ ما فى الأرض من ثروات ومُقتنيات ومُشتَهَيَات فانية زائلة، وهو النعيم فى الحياة الأبديَّة الخالدة.

١٤ : ١٥ - ٢٤

وإذ حَضَّ مُخَلِّصُنَا الأثرياءَ والقادرين على دعوة الفقراء والضعفاء إلى ولائمِهِم، لأَنَّ مكافأتهم عن ذلك لن تكون وليمة فى الأرْضِ، وإنَّما فى ملكوت الله فى السَّماءِ عند قيامة الأبرار، أَعْجَبَ ذلك القَولُ أَحَدَ الجالسين معه إلى المائدة - ويبدو أنَّه كان تَقِيًّا يخافُ اللّهَ - فَصَادَقَ عليه قائلاً «طُوبَى لمن يَأْكُلُ خُبْزًا فى مَلَكوتِ اللّهِ». وعندئذ أراد مُخَلِّصُنا أَنْ يُعْلِنَ أَنَّ اليهودَ عامَّةً، والفرِّيسيِّين وأمثالَهُمْ من الفقهاء ومعلِّمى الشريعة على الخصوص، لن يكون لهم نصيب فى تلك المائدة السمائية، لأنَّهم سيرفضونها، وستكون هذه المائدة من نصيب الفقراء من اليهود، والضعفاء المتواضعين منهم الذين سَيَقْبَلُونها. كما سيكون فيها مكان للوثنيين الذين سيرتضون المجىءَ إليها. بَيْدَ أنَّ مُخَلِّصَنَا لم يشأ أن يقول ذلك صَراحةً لِئَلَّا يثير أولئك الأشرار عليه فيتخذوا قوله ذريعة لِقَتْلِهِ قَبْل المَوْعِدِ المُحَدَّدِ فى التدبير الإِلَهِيِّ لذلك، فاكتفى بأن يوضِّحه بمَثَلٍ من أمثاله الدقيقة اللفظ العميقة المعنى، فقال «إنَّ رَجُلاً أقام مَأْدُبَةً عَظِيمَةً، وَدَعا كَثِيرينَ. وَأَرْسَلَ عَبْدَهُ فى وَقْتِ العَشاءِ لِيَقولَ لِلمَدْعُوِّينَ: هَلُمُّوا فَإِنَّ كُلَّ شَيءٍ مُهَيَّأٌ. فَطَفِقُوا كُلُّهُمْ وَاحِدًا فَوَاحِدًا يَعْتَذِرونَ. فقالَ لَهُ أَوَّلُهُمْ: إنَّنى اشْتَرَيْتُ حَقْلاً، وَأَنا مُضْطَرٌّ لِأَنْ أَذْهَبَ وأُعاينَهُ، فَأَرْجوكَ إعْفائِى. وَقالَ آخَرُ

إِنَّنِى اشْتَرَيْتُ خَمْسَةَ أَزْواجٍ مِنَ البَقَرِ، وإِنَّنِى ذاهِبٌ لِأَخْتَبِرَها، فَأَرْجوكَ إعفائى. وَقالَ آخَرُ إِنَّنِى تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً فلا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَجِيءَ. وَمِنْ ثَمَّ عادَ العَبْدُ وأَخْبرَ سَيِّدَهُ بهذا. فَغَضِبَ عِنْدَئِذٍ ربُّ البَيْتِ وقال لِعبدِه: اخْرُجْ سَرِيعًا إلى شوارِعِ المدِينَةِ وأَزِقَّتِها وأتِ إلى هُنَا بِالفُقَراءِ والضُّعَفاءِ والعُمْىِ والعُرْجِ. فَقالَ العَبْدُ: يا سَيِّدُ لَقَدْ تَمَّ ما أَمَرْتَ بِهِ، وَمَعَ هَذا لا يَزالُ ثَمَّ مَكانٌ. فَقالَ السيِّدُ للخادِمِ: اخرُجْ إلى الطُّرُقِ والسِّياجاتِ وَشَدِّدْ عَلَيْهِمْ لِيَأْتُوا حَتَّى يَمْتَلِئَ بَيْتِى لِأَنِّى أَقولُ لَكُمْ إِنَّهُ ما مِن أَحَدٍ مِنْ أُولَئِكَ النَّاسِ المدْعُوِّينَ سَيَذُوقُ عَشَائِى». وكان مُخَلِّصُنَا كما هو واضحٌ يشير إلى ذاتِهِ بذلك الرَّجُل ربِّ البيت الذى أقام المأدُبة العظيمة، ولكن لا فى الأرض، وإنَّما فى السَّماءِ. وكان يشير بالمدعُوِّين الذين اختارهم ليدعوهم إلى وليمته، إلى اليهود الذين كان الله قد خَصَّهُم دون غَيْرِهِم من الشعوب بإعلانِ نَفْسِهِ لَهم، وإنزالِ شريعتِهِ عَلَيهِم، ليكونوا طليعة المؤمنين به وبخَلاَصِهِ للبشر الذى دبَّره بحكمتِهِ ورحمتِهِ، لِيُتَمِّمَهُ بِفداء ابنه الحبيب. حتى إذا تمَّ مُخَلِّصُنا هذا الفِداءَ، دَعَا اليَهودَ إلى وليمتهِ السَّمَائية فى مَلَكُوتِهِ الإلَهِيِّ، ولكنهم رفضوا الاستجابة لهذه الدَّعوة فى صورة اعتذار مُفْتَعَلٍ تارةً، وفى صورةِ امتناعٍ صَريحٍ تارَةً أُخْرَى، مُتَعَلِّلين بأعذارٍ تدلُّ كلُّها على تعَلُّقهم باهتماماتهم الدنيويَّة، وشهواتِهِم الأرضية التى تشبَّثوا بِهَا، مُفَضِّلين إيَّاها على كلِّ نعمة روحية، وكُلِّ مَلَكوتٍ سماويٍّ. إذ تعلَّلَ أَحَدُهُم فى ذلك المَثَل بأنَّهُ اشترَى حقلاً وهو يريد مُعَايَنَتَهُ. مع أنَّه كانَ فى إمكانِهِ – إنْ كان صادِقًا – أَنْ يَقْبَلَ الدَّعوةَ الكريمة الموجهة إليه، ثم يرجئ الاهتمام بمعاينة ذلك الحقل إلى يَوْمٍ آخر، بَيْدَ أَنَّ الحقيقة أَنَّ اهتمامه كان مُنْصَبًّا على ذلك الحقل، ومن ثَمَّ طَلَبَ إعفاءه من حضور الوليمة. وتعلَّل الثَّانى بأنَّه اشترى عَدَدًا من البَقَر وهو يريد اختبارَه، مع أنه كَانَ فى إمكانِهِ هو الآخَر – إنْ كَانَ صَادِقًا – أَنْ يَقبَلَ الدَّعوة ثم يرجِئ اختبارَ البَقَر إلى يومٍ آخَر. بَيْدَ أَنَّ الحقيقة أَنَّ كُلَّ اهتمامِهِ كان مُنْصَبًّا على ذلك البقرِ، ومِنْ ثَمَّ طَلَبَ إعفاءَه مِن حضورِ الوليمة. وأَمَّا الثالث فَقَالَ صَرَاحةً إنهُ لا يستطيعِ المجىءِ لأَنَّهُ تَزَوَّجَ امرأَةً ولا يستطيع مفارقتها لحظة واحدة، مما يدلُّ على اشتهائه لها اشتهاءً جَسَدِيًّا

مَنَعَه من أَنْ يتطلَّع إلى أَىِّ نِعْمَةٍ روحيَّة. لأنه لو كات الصِّلة بينه وبينها صِلَةً روحيَّةً مُقَدَّسةً لأَخَذَها معه إلى تلك الوليمة السَّمائية، وأشركها معه فى نعمتها ونعيمها وبَرَكتها وقُدسيَّتها. وقد جاء الرَّسول الذى بَعَثَ به مُخَلِّصنَا وأخبرَه بهذا الذى أَجَابَ به اليَهُودُ على دعوته، وبِرَفْضِهِم إيَّاها، فَغَضِبَ، وطَلَبَ من رَسُولِهِ أن يخْرُجَ إلى اليهود ويدعو إلى الوليمة لا الأثرياء والرؤساء والفقَهَاءِ الصَّلِفين المتعجرفين منهم، وإنما الفقراء المتواضعين، والبُسَطاءَ الوديعين الذين ذَهَبَ الضَّعْفُ والمرَضُ بِصَلَفِهِمْ وعجرفَتِهِم، وأَلان قُلُوبَهم، وأَزاحَ الغشاوَةَ عن عيونِهِم، فأصبحُوا زاهدين فى الدُّنيا وكُلِّ ما فيها من متاعٍ كاذِبٍ، مُتَلَهِّفين إلى حياةِ النِّعمةِ والبرَكَةِ الحقيقيةافى السَّماءِ. بَيْدَ أَنَّ هؤلاء كانوا قليلين، فى حين أَنَّ ربَّ المجْدِ قد أَعَدَّ وليمته لكثيرين، وقد كان من دواعى مَسَرَّتِهِ أَنْ يمتلِئَ بهم مَلَكوته، فَطَلَبَ إلى رسوله أن يَذْهَبَ إلى غَيْرِ اليهود من الوثنيين ويجتهد أن يُقنعهم بالإِيمان بـهِ والمجىءِ إلى وليمتِهِ السَّمائية. وَأَمَّا اليهود الذين استهانوا فى استخفاف بدعوته، وأهانوا فى سَفَاهَة جَلاَل رُبُوبيَّتِهِ، ورفَضَوا فى غِلْظَةٍ وفظاظة المجىءَ إلى وليمته، فقد قَضَى بِحِرْمانِهِم من أَنْ يذوقوا ما كان قد أعدَّه لهم من طعام سَمَائىٍّ، وَمِنْ أَنْ يدخلوا ملكوتَهُ إلى الأَبَدِ.

١٤ : ٢٥ - ٣٥

وَحَدَث أَنْ كانَتْ جموعٌ عظيمة تَسير مع مَعَلِّمِنَا، وكان أغلبهم يُرِيد أن يكونَ له تلميذًا، إذ سَحَرهُمْ بتعاليمه، وبَهَرهُم بمعجزاته. كما أَنَّ بعضهم خَدَعَه الفَهْمُ الخاطئُ الذى كان يسود اليهود لرسالة المسيح الذى ينتظرونه، إذ توهَّموا أنه سيقيم مملكة أرضية، وَمِنْ ثَمَّ راوَدَت ذلك البعض الآمالُ الكاذبة بأنهم إن تتلمذوا له فستكون لهم المناصب العليا فى تلك المملكة. ولذلك أراد مخلِّصنا أن يوضح لهم الشروط التى ينبغى أن تتوافر فى تلاميذه، ويصحِّح فَهْمَهُم لرسالته، وللآثار التى تترتب على تلمذتهم له، إذ التفتَ وقال لَهُم «مَنْ يَأتِى إِلىَّ ولا يُبغِضُ أَباهُ وأُمَّهُ وَزَوْجَتَهُ وأبناءَهُ وإِخْوَتَهُ وأَخواتِهِ، بل ونَفسَهُ أيضًا، لا يَسْتَطيعُ أن يَكونَ لى تِلميذًا،

ومَنْ لا يَحْمِلُ صلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِى لا يَسْتَطِيعُ أَن يَكونَ لى تِلْمِيذًا»، أى أنَّه على الذى يريد أن يتبع مُخَلِّصَنا ويُصْبحَ تلميذًا له، أن يجعل محبَّته له مُقَدَّمة على محبَّتِهِ لأبيه وأمِّه وغَيْرِهِم من أَقْرَب الناسِ إليه، بحيث إذا ازدادت محَبَّتُهُ لهؤلاء عن محبَّتِهِ لمخلِّصِنا حتى شَغَلَتهُ عنه، لا يَستطيع أن يُصبح له تلميذًا. وإذا تَعارَضَت مَحَبَّتُه لهم عن محبته لمخَلِّصِنَا حتى حَالَت بينهم وبينه لا يستطيع أَنْ يصبح لَهُ تلميذًا. وإذا مَنَعَتهُ محبتهُ لهؤلاء عن الاعتراف بمحبَّتِهِ لمخلِّصِنَا لا يستطيع أَنْ يُصبحَ له تلميذًا.

وليس معنى ذلك بطبيعة الحالِ أن يبُغِض أباه وأمَّه وأقربَ النَّاسِ إليه، لأنَّ من التعاليم الأساسيَّة لمخَلِّصِنَا أَنْ يُحِبَّ الإنسان حتى أعداءَه، فكم بالأَحرَى أحِبَّاءه وأقرباءه، ولكنَّ معناه أنه مَهْمَا كانت محبَّة الإنسان لهؤلاء شديدة وقوية وعميقة، فلتكُن محبتُه لمخلِّصنا أشدّ وأقوى وأعمق، لأنَّ صِلَتهُ بهؤلاء عَلى أَىِّ حالٍ صلة جَسَدِيَّة موقوتة بحياته على الأرض. وأما صِلته بمُخَلِّصِنَا فهى صلة روحية خالدة فى السماء. بل إنَّ على الذى يريد أن يتبع مُخَلِّصَنا ويُصْبحَ تلميذًا له أن يُبغِض حتى نَفسَهُ، مع أنَّ من طبيعة الإنسانِ أن يُحِبَّ نفسَه أكثر من كلِّ شيء ومِن كلِّ شخصٍ سواه. ولكِنْ إن زادَت محبَّتُهُ هذه لنفسِهِ عن محبَّتِهِ لمخَلِّصِنَا أو تَعارضَت معها أو حالَت بينه وبينها، فلينتزعْ هذه المحبَّةَ لنفسِهِ مِنْ نفسِهِ، مَهْمَا كانَتْ عزيزةً عَلَيْه وأثيرَةً لَدَيه، وليوجِّهها كُلَّها إلى محبَّةِ مُخَلِّصِنا، وليحتملْ فى سبيل ذلك كُلَّ ما لا بُدَّ أن يؤدِّىَ إليه ذلك من ضِيقَاتٍ واضطهاداتٍ، وإهانات وازدراءات، ومصاعِبَ ومصائب، وأوجاع وتعذيبات، ولو بَلَغَتْ حَدَّ الموتِ فى أشنعِ صُوَرِه بشاعة وأفظعِ أساليبِهِ عارًا، لأنَّه بذلك يحمل الصليبَ الذى حَمَلَهُ مُخَلِّصُنا نفسُهُ وهو فى طريق الآلامِ إلى المَوْضِعِ الذى بَذَلَ فيه دَمَه فِداءً عَنِ البَشَر.

وقد أوضَحَ مُخَلِّصُنا بذلك للذين كانوا يسيرون معه ويريدون أنْ يَتْبَعُوهُ ويتتلْمَذُوا له، الثَّمنَ الغالى الذى يقتضيهم ذلك أن يدفعوه، والطريقَ الشائكَ الشاقَّ الذى عليهم أن يقطعوه - إن كانوا صادقين فى رغبتهم ومصمِّمين على عَزْمِهِم - لكى لا يسيروا معه مخدوعين بآمالٍ كاذبة، أو يتبعوه مدفوعين بأوهامٍ زائفة، أو بعواطف عابرة سرعان ما تتبين لهم حقيقتها فيتضعضعون ويتراجعون

مخذولين فاشلين، مدحورين مقهورين، فلا ينالهم إلَّا الهُزْءُ ولا تَلْحَقُ بهم إلَّا السُّخرِيَة - إذ قال لهم مُخَلِّصُنَا «فَمَنْ مِنْكُمْ إذا أَرادَ أن يَبْنِيَ بُرجًا، لا يَجْلِسُ أوّلًا وَيَحْسِب النَّفقَةَ، وَهَلْ يَمْلِكُ ما يَكْفِى لإتمامِهِ، لِئلَّا يَضَعَ الأَساسَ ثم لا يَقْدِرُ أَنْ يُكَمِّلَ، فَيَأْخُذُ كُلُّ الذّينَ أَبْصَروا ذلك يَسْخَرون منه قائلينَ : إنَّ هَذا الرَّجُلَ قد شَرَعَ يَبْنِي ولم يَقْدِرْ أَنْ يُكَمِّلَ. أو أىُّ مَلِكٍ ذاهبٍ ليحارِبَ مَلِكًا آخَرَ، لا يَجْلِسُ أَوَّلًا وَيُشَاوِرُ نَفْسَهُ فيما إذا كانَ يَستَطيعُ بِعَشَرةِ آلافٍ أن يُلاقِىَ ذَلِكَ الّذِى يأتى إليه بِعِشْرينَ أَلفًا؟ وإلَّا فإنَّه ما دامَ هذا بَعيدًا يُرْسِلُ سُفَراءَ عَنْهُ ويَسْعَى فى طَلَبِ الصُّلْح؟ هَكَذا فإنَّ إيًّا مِنْكُمْ لا يَنْبُذُ كُلَّ ما يَمِلكُ لا يُمكِنُهَ أَنْ يَكونَ لِى تِلْمِيذًا».

لأنه كما أَنَّ الذى يعتزم أَنْ يقيم بِناءً ينبغى أن يجلِسَ أوَّلًا ويحسب ما سيكلِّفه هذا البناء من نفقة، وإلا بدأ فى البناءِ ثمَّ يعجزُ عن إتمامِ ما بدأ فلم يَنَلْ إلَّا سُخرِيَةَ النَّاسِ. هكذا الذى يريدُ أن يتبعَ مُخلِّصَنا فليفكِّر جَيِّدًا فيما يقتضيه ذلك منه، وإلَّا بَدأَ فى حياةِ الإيمانِ ثُمَّ عَجزَ عن المُضىِّ فيما بدأ فيجلب على نفسِه السُّخرِيَةَ أيضًا. وكما أَنَّ المَلِكَ الذى يعتزم شَنَّ الحرب على مَلِكٍ آخر يجلسُ كذلك ليفكِّرَ، وإذ يَجِدُ أنَّه لا يستطيع مواجهة خصْمِهِ بعَدَدٍ مِنَ الجُنود أقلَّ من عَدَدِ جنودِه، يَسْعَى إلى الصُّلْحِ معه، وإلَّا أَتاحَ له أَنْ يهزِمه. هكذا الذى يريد أن يتبع مُخَلِّصَنا فليفكِّر جيِّدًا فيما إذا كان يملك من قُوَّةِ الإرادة وصِدْق العزيمة وَعُمْقِ الإيمان ما يؤهِّلُه لذلك وإلَّا لم يَنَلْ إلَّا الهزيمة هو أيضًا. وهكذا فليعلَم كُلَّ العِلْم أولئك الذين يتطلَّعون لأن يتبعوا مُخَلِّصَنا ويطمعون فى أن يكونوا تلاميذه أنَّ ذلك يتطلَّب منهم أَنْ ينبذوا كُلَّ ما يملكون فى هذا العالَمِ من ممتلكاتٍ، ويتخلّوا عن كُلِّ ما يتعلَّق بِهِ من اهتمامات، وينذروا أنفسهم لخِدْمة مُخَلِّصِنَا نذرًا كاملًا، فلا يملكون إلَّا محبَّته، ولا يهتمُّون إلَّا بأَنْ يدخلوا ملكوتَه السماوىَّ.

وأمَّا ذلك الأَنسان الذى يَتْبَع مُخَلِّصَنا على هذه الشروط، ويصبح بذلك صالحًا ومفيدًا للناسِ، كما أَنَّ المِلْحَ الصَّالِحَ مُفيد للتُّرْبةِ، فينبغى أَنْ يستمرَّ فى طريقه التى اختارها بمحض إرادتهِ فلا يتضعضع أو يتزعزع أو يتراجع أو يَرْتَدّ. لأَنَّه كما أن الملح الذى فَقَدَ ملوحته فَفَسَدَ لا يمكن إعادة ملوحته إليه، ومِنْ ثَمَّ لا يعود ذا فائدة

للتُّربة ولا صالِحًا للسِّمادِ، فيطرحُهُ الناسُ بعيدًا كشيْءٍ يضرُّ ولا ينفع، هكذا الإنسان الذى فَقَد إيمانه بمخَلِّصِنَا وارتدَّ عنه، فَفَسَدَ بذلك، لا يمكن بعد ذلك إصلاحُه، ومِنْ ثَمَّ لا يعود ذا فائدة لنفسه ولا لغيره من الناس، فيطرحه الله خارج ملكوته، باعتباره إنسانًا شرِّيرًا لا خَير فيه. وهذا ما عَنَاه مُخَلِّصنَا إذ قال بَعْدَ ذلك للذين كانوا يسيرون معه «إنَّ المِلْحَ جَيِّدٌ، وَلَكِنْ إذا فَسَدَ المِلْحُ فأىُّ شَىءٍ يَرُدّه مِلْحًا مِنْ جَديدٍ؟ إنه لا يَعودُ يَصْلُحُ لِلتُّرْبَةِ ولا للسِّماد، فَيطْرَحُهُ النَّاسُ خارِجًا».

ثمَّ خَتمَ مُخَلِّصُنَا تعليمه بتلك العبارة التى كثيرًا ما كان يختم بها تعاليمه، إذ قالَ «مَنْ لَهُ أُذُنانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعَ»، أى أنَّ الله قد وَهَبَ الإنسان أذنين ليسمع بهما ويستفيد فى حياته بهذه الموهبة الغالية، فليفعل ذلك أولئك الذين كانوا يسمعون حينذاك تعاليم مُخَلِّصنَا، وليستفيدوا بما سمعوا، لا أَنْ يفعلوا كما قال حزقيال النبىُّ عن اليهود وهو يُنَدِّدُ بهم إنَّهم «لَهُمْ آذان ليسمعوا ولا يسمعون، لأَنَّهم بَيْتٌ متمرِّد» (حزقيال ١٢ : ٢).

الفصل الخامس عشر

١٥ : ١ - ١٠

وكان الفرِّيسيُّون والكَتَبَةُ وَسَائرُ فقهاءِ اليهود ومعَلِّميهم الدِّينيِّين كارِهينَ لمخلِّصِنَا، بِسبَبِ غيرَتِهم منه وَحَسَدِهِم له وحقدِهم عليه لأنه اجتذب إليه الشعبَ اليهوديَّ فالتفُّوا حَوْلَه وأحبّوه واحترموه وأكرموه، فى حين أَنَّ أولئك الحاسدين الحاقدين من رجال الدِّين كانوا يريدون أن يحتكروا حُبَّ الشَّعْبِ لَهُم واحترامَه وإكرامه إياهُم، فكانوا لا يفتأون يترصَّدون له متربِّصين به الدَّوائر ليجدوا تُهمة يُلصقونها بِهِ ليهلكوهِ وفقًا لشريعتهم. وقد طالَمَا ندَّدوا بمُخَلِّصِنَا لأنَّه كان يصنع معجزات الشفاء فى يوم السَّبت، ولأنه لم يكن يُبالى بتقاليد الاغتسال الشكلِىّ الظَّاهِرىِّ التى ابتدعوها وفرضوها على النَّاس فى صَرَامةٍ وَتَزَمُّتٍ. ولكنه نَقَضَ

هاتين التُّهمَتين بما أفحمهم وألْجَمهم. إلا أنهم مع ذلك يترقَّبون فُرصةً أُخرى يقوم فيها بِعَمَلٍ آخَرَ يتضمَّن فى اعتقادِهم تُهْمَةً يُوَجِّهُونها إليه. وقد واتتهم هذه الفُرصة، إذ حَدَثَ أنَّ جميع العشّارين والخُطاة كانوا يدنون منه ليسمعوا تعاليمه السَّمحةَ السَّامِيَةَ التى كانوا يَجِدون فيها مرفأً يحتمون بِهِ مِن حيرة نفوسهم وزوابع النَّدَم التى كانت تضطرم فى أعماق ضمائرهم. وقد كان اليهودُ يقرنون دائمًا العشَّارين جُبَاةَ الضَّرائب حين يتحدثون عنهم بالخطاة، كما كانوا يقرنونهم بالزُّناة (متى ٢١ : ٣٢)، لأنهم كانوا يعاونون الرومان أعداءهم، ومُستَعبِدِيهم فى جباية الضرائب. وكان أغلبهم أشرارًا مُفْتَرين مُتجبِّرين قُسَاةَ القلوب فى مزاولة مهنتهم تلك. ومِنْ ثَمَّ وَجَدَ الفَرِّيسيُّون والكتَبَةُ فى ذلك مأخذًا يأخذونه على مُخَلِّصنا، لأنه لم يكُنْ يطرد أولئك العشّارين والخُطاة من حضرته كما كان يفعل سائر اليهود، ولا سيَّما المتزّمتون منهم. وإنما كان على العكس يستقبلهم ويرحِّب بهم، ويجالسُهم ويأكل معهم، ليفتَحَ لهم بتعاليمه بابَ التوبة، وينقِذَهُم من ضَلالِهم، ومما كانوا غارقين فيه من شرورهم وآثارهم وسوء أعمالهم. فتذمَّر الفرّيسيُّون والكتبة قائلين «إنَّ هذا يَقْبَلُ الخُطاةَ وَيأْكُلُ مَعَهُم»، ولم يكونوا يهدفون بقولهم هذا إلى اتهام مخلِّصنا بأنه يقبل الخطاة ويأكل معهم فحسب، وإنما كانوا يهدفون إلى اتخاذ ذلك دليلًا على أنه ما دام يفعل هذا مع الخطاة فهو خاطئٌ مثلهم. بيد أنَّ مُخَلِّصَنا بمنطقه القويِّ وحجته الدَّامغَةِ لم يلبث أن هَدَمَ كلَّ اتهامٍ يوجِّهونه إليه فى هذا الشأن، إذ خاطبهم بهذا المَثَل قائلًا لهم «أَىُّ رَجُلٍ مِنكُمْ يَمْلِكُ مِائَةَ خروفٍ، إذا ضاعَ واحدٌ مِنْها لا يَتْرُكُ التِّسْعَةَ والتِّسْعِينَ فى البَرِّيَّةِ وَيذْهَبُ وَراءَ ذَلِكَ الضَّالِّ باحِثًا عَنْهُ حَتَّى يَجِدَهُ. فإذا وَجَدَهُ يَحْمِلُهُ على كَتِفَيْهِ فَرِحًا وَيَجِىءُ إلى البَيْتِ فَيَدْعُو أَصْدِقاءَهُ وَجيرانَهُ قائِلًا لَهُمْ : افْرَحُوا مَعِى فَإِنّى وَجَدْتُ خروفِى الضَّالّ؟. إنِّى أَقولُ لَكُمْ إنَّه هَكُذا يَكُونُ فَرَحٌ فِى السَّماءِ بِخاطِىءٍ واحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِمّا يَكونُ بِتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بارًّا لا يَحْتاجُونَ إلى تَوْبَةٍ». وهكذا استشهد مخلِّصنا بما يفعلونه هم أنفسهم فى حياتهم العملية. وقد كان أغلب اليهود رعاة غنم. فلئن كان لأحدهم مائة خروف وحَادَ واحِد منها عن سائر القطيع حتى ضلَّ فى شعاب البرِّيَّة، لا يلبث الرَّجُلُ أن يتركَ

التِّسعة والتِّسعين الباقِيَة، ويذهب ليبحثَ فى لهفة عن ذلك الضالِّ، حتى إذا وَجَدَهُ بعد الجُهد يحمله على كتفيه إعزازًا له وفَرَحًا بالعثور عليه، ثُمَّ إذ يبلغ بيته يدعو أصدِقاءه ليُشاركوه فَرَحَهُ. فهكذا يفعل الله بالنسبة للبَشَر الذين هُمْ جميعًا خليقته ورعيَّته ومملوكين له، إذ يقول بِلِسَانِ حزقيال النبىِّ «كلُّ النفوس هى لى» (حزقيال ١٨ : ٤). ولم يضِلّ ويضع منهم واحد فَقَط، وإنَّما ضلُّوا وضاعوا جميعًا، إذ يقول إشعياء النبىّ «كلّنا كغنم ضللنا .مِلْنَا كلّ واحدٍ فى طريقه» (إشعياء ٥٣ : ٦). وإذ كان الله الآب - على مقتضى صلاحِهِ المطَلقِ - يُحِبُّ مع ذلك أولئك الضالّين الضائعين جميعًا ويطلب هدايتهم وخلاصهم، أرسل ابنه الوحيد الذى هو واحد معه «لِيَسْعَى فى طَلَبِ الّذِى قَدْ ضاعَ وَيُخَلِّصَهُ» (لوقا ١٩ : ١٠)، وليفعل ما يفعله كَلُّ راعٍ صالِح، إذ أنه كما تنبأ عنه إشعياء النبىّ «بذراعه يجمع الحملان وفى حضنه يحملها» (إشعياء ٤٠ : ١١). وَمِنْ ثَمَّ كان هذا من أَهَمِّ أهداف الرِّسالة التى أتى مخلِّصنَا من أجلها إلى العالَم. فهو لَمْ يأتِ إلى الأبرار لأنهم لا يحتاجون إلى التوبة، وإنما أَتى إلى الخُطَاةِ ليفتحَ لهم أبواب التوبة. وقد صَرَّح هو نفسهِ بذلك إذ قَالَ «لا يَحْتاجُ الأَصِحَّاءُ إلى طَبِيبٍ، بَلِ المَرْضَى. فَما جِئْتُ لأَدْعُوَ أَبْرارًا، بل خُطَاةً إلى التَّوْبَةِ» (لوقا ٥ : ٣١ و٣٢). حتى إذا تَابَ واحِدٌ من أولئك الخُطَاةِ تفرَحُ بِهِ قُوَّاتُ السماء كلّها، لأَنَّ رَبَّ السَّماءِ نفسه يفرح به وبتوبته. فكيف يلوم اللائمون مُخَلِّصَنا على أَمْرٍ يَطْلُبُ ربُّ السَّماءِ تحقيقه، ويفرحُ به إذا تحقق؟

ثُمَّ ضَرَب مُخَلِّصُنَا لمناوِئيه مَثَلًا آخر يدعم به ذلك المَثل الأَوَّلَ، ويزيد معناه وضوحًا وعُمقًا فى عقولهم المُظلمة وقلوبهم الظَّالمة، قائلًا لهم «أَمْ أَيَّةُ امرأةٍ تَملِكُ عَشَرَةَ دَراهِمَ، إذا ضاعَ واحِدٌ مِنْها، لا تُوقِدُ سِراجًا وَتَكْنُسُ البَيْتَ باحِثَةً عَنْهُ باهتِمامٍ حَتَّى تَجِدَهُ، فإذا وَجَدَتْهُ تَدْعُو صاحباتِها وَجاراتِها قائِلَةً : اِفْرَحْنَ مَعِى فإِنِّى وَجَدْتُ دِرْهَمِى الضَّائِعَ ؟ إنِّى أَقولُ لكَم إنه هَكَذا يَكُونُ فَرَحٌ أمامَ مَلائِكَةِ اللّهِ بِخاطِئٍ واحِدٍ يَتُوبُ». وقد استشهد مُخَلِّصُنَا فى سذا المَثَل أيضًا بما يفعله مناوئوه أنفسهم إذا ضاعَ من إحدى نسائهم درهم واحد من دراهمها العشرة، وهو لا يساوى أكثر من ثلاثة مليمات، ولكنها مع ذلك توقِد سِراجًا وتكنس بيتها كُلَّه

باحثة فى اهتمام ولهفة عنه، حتى إذا وَجدتَه كان فَرَحُها به عظيمًا. وفى هذا المَثل يتَّضح مَدَى ما يبذله مُخَلِّصُنَا من جهد وجهاد فى البحث عن الضالّين الضائعين مِنَ البشَر لينقذهم من ضلالِهم وضياعِهم، ويفتَح لهم أبوابَ التَّوْبة لينالوا الخَلاصَ، مُوقِدًا فى سبيل ذلك سِراجَ تعاليمه، ومفتِّشًا عنهم فى كُلِّ رُكْنٍ من أركان الأرض. حتى إذا وَجَدَهُم يَفْرَح بهم، وهو رَبُّ السَّماءِ، وَمِنْ ثَمَّ يفرح بهم معه كلُّ ملائكة السَّماء. فكيف يلومه اللائمون أيضًا على هذا وهو أَمْرٌ يطلُبُ اللّهُ الآبُ تحقيقَه ويفرح به إذا تحقَّق، كما يطلُب اللّهُ الابنُ تحقيقه، ويفرح به معه ملائكة الله إذا تحقَّق؟

١٥ : ١١ - ٣٢

ولكى يوضّح مُخَلِّصُنَا للذين يُعادُونه ويعاندونه من الفَرِّيسيِّين والكَتَبَة معنى المثلين السابقين إيضاحًا أكثر بساطة وأكثر عُمقًا، ولكى يصحِّح لهم المعنى الخاطئ الذى فهموه أو زعموا أنهم فهموه من قبوله مخالطة الخُطَاةِ والأَكل معهم، وأرادوا أن يستنتجوا منه - فى حقدِهِم عليه وكيدِهِمْ له - اتّهامه بأنَّه ما دام يخَالِطُ الخُطَاةَ ويُؤاكلهم فهو خاطئ مثلهم، ضَرَبَ لهم مَثَلًا ثالثًا، فَقَال لَهُم «كان لِرَجُل ابنانِ، فَقالَ أَصْغَرُهُما لأَبيهِ يا أَبِ أَعْطِنِي نَصيبِى الّذِى يَخُصُّنِي مِنَ المَالِ، فَقَسَّمَ بَيْنَهُما ثَرْوَتَهُ. وَبَعْدَ أَيَّامٍ غَيرِ كَثيرةٍ جَمَعَ الابنُ الأَصْغَرُ كُلَّ شيْءٍ له وَرَحَلَ إلى بَلَدٍ بعيدٍ، وَهُناكَ بَدّدَ كُلَّ أَمْوالِهِ عائِشًا فى فُجورٍ. حَتَّى إذا أَنْفَقَ كُلَّ ما عِنْدَهُ، وَقَعَتْ فى ذَلِكَ البَلَدِ مجاعَةٌ فَظيعَةٌ، فَبَدَأَ يَحْتاجُ. ومِنْ ثَمَّ ذهَبَ والتَحقَ بواحِدٍ من أَهلِ ذَلِكَ البَلَدِ، فَأَرْسَلَهُ إلى حَقْلِهِ لِيَرْعَى الخَنازِيرَ. وَكانَ يَشْتَهِى أَنْ يَمْلأَ بَطْنَهُ مِنَ الخَرْنوبِ الّذِى كانَتْ تَأْكُلُهُ الخَنازِيرُ فَلَمْ يَكُنْ يُعطِيهِ أَحَدٌ. فَرجَعَ إلَى نَفْسِهِ وَقالَ: كَمْ لأَبِى مِنْ أُجَراءَ يَتَوافَرُ لَهُمْ مِنَ الخُبْزِ ما يَكْفِيهِمْ وَيَفيضُ عَنْهُمْ وَأَنا أَموتُ جُوعًا هُنا؟. إنَّنِى سَأَقومُ وأَذْهَبُ إلى أَبِى وَأقولُ لَهُ: يا أَبِى قَدْ أَخْطَأْتُ إلى السَّماءِ وَأَمامَكَ، وَلَمْ أَعُدْ مُسْتَحِقًّا أَنْ أُدْعَى لَكَ ابنًا، فاجْعَلْنِى كَأَحَدِ أُجَرائِكَ. ثُمَّ قامَ وَجاءَ إلى أَبيهِ. وإِذ كَانَ لا يَزالُ عَلى مَسافَةٍ شاسِعَةٍ رآه أَبوهُ فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِ وَرَكَضَ وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ عَلى



« مَثَل المرأة التى ضاع منها الدّرهم » (لوقا ١٥ : ٨ - ١٠)

عُنُقِه وَقَبَّلَهُ. فقالَ لَهُ ابنُهُ : يا أَبِي قَدْ أَخْطَأْتُ إلى السَّماءِ وَأمامَكَ، وَلَمْ أعُدْ مُسْتَحِقًا أَنْ أُدْعَى لَكَ ابنًا، أمّا الأَبُ فقالَ لِعَبيدِهِ : أَسْرِعُوا وَأخْرِجُوا الحُلَّةَ الأُولَى، وَأَلبِسُوهُ إيّاها، وَضَعُوا خاتَمًا فى يَدِهِ وَحِذاءً فى قَدَميهِ، وَهاتُوا العِجْلَ المُسَمَّنَ واذْبَحوهُ، فَنأْكُلَ وَنفرَحَ، لِأَنَّ ابْنِي هَذا كانَ مَيِّتًا فَعادَ إلى الحَياة، وكانَ ضالاًّ فَوَجَدْناهُ. فَأَخذوا يَفْرحونَ. وكانَ ابنُهُ الأَكْبَرُ فى الحَقْلِ . فلَمّا جاءَ واقتَرَبَ مِنَ البَيْتِ سَمِعَ أَصواتَ غِناءٍ وَرَقْصٍ ، فاسْتَدعَى أَحَدَ الغِلْمانِ وَسَألَهُ : ما هَذا؟ فقال له : إنَّ أَخاكَ قَدْ جاءَ فَذَبَحَ أَبوكَ العِجْلَ المُسَمَّنَ، لِأَنَّهُ عادَ إليه سالِمًا. فَغَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ، فَخَرَجَ أَبوهُ وراحَ يَتوسَّلُ إلَيهِ. فَأَجابَ وَقالَ لِأَبِيهِ : ها أنا ذا أَخْدُمُكَ هَذِهِ السِّنينَ كُلَّها، وَلَمْ أعْصِ لَكَ أَمْرًا قَطُّ. وَمَعَ ذَلِكَ ما أَعْطَيْتَنِي فى يَوْمٍ مِنَ الأَيّامِ جَدْيًا لِأَفْرَحَ مَعَ أَصْحابِي. وَلكِنَّكَ ما إنْ جاءَ ابْنُكَ هذا الّذِى بَدَّدَ ثَرْوَتَكَ مَعَ الزّانِياتِ، حَتَّى ذَبَحْتَ لَهُ العِجْلَ المُسَمَّنَ. فَقالَ لَهُ : يا بُنَيَّ، أَنْتَ دائِمًا مَعِى، وَكُلُّ ما لِي فَهْوَ لَكَ. إلاّ أَنّنا كانَ يَنْبَغِى أَنْ نَفْرَحَ وَنَبْتَهِجَ ، لِأَنَّ أَخاكَ هذا كانَ مَيِّتًا فَعادَ إلى الحَياةِ، وَكانَ ضالاًّ فَوَجَدْنَاهُ».

وواضِح من هذا المَثَل الذى ضَرَبَهُ مُخَلِّصُنا أَنَّ الرَّجُل الذى كانَ له ابنان يرمز إلى الله، لأن الله أبٌ لكل البَشَرِ، والبَشَرُ جميعًا أبناؤه (الأعمال ١٧ : ٢٨). وابناه فى هذا المَثَل يَرْمزُ الابن الأكبر منهما إلى قَوْمٍ من البشَر التزموا طاعة الله، وارتضوا البقاء تحت رعايته وسلطانه، ولو فى الظّاهِرِ. ويرمز الابنُ الأصغر إلى قَوْمٍ آخَرِينَ مِنَ البَشَر تمَرَّدوا على اللّهِ وابتعدوا عنه، رافضِين سلطانه عليهم ليسلكوا حَسَبَ هَوَاهُم، منساقِين وراءَ شَهَوات الدُّنيا وَمَلذّاتها، فأخذوا نصيبهم من أموال هذه الدنيا ومقتنياتها الأرضية الفانية متنازلين عن نصيبهم فيما يضمنه لهم البقاء مع أبيهم السَّماوِيّ من بَركاتٍ روحية خالدة، مما يَدُلُّ على نَزَقِهم وَطَيشِهم وَتهَوُّرهم واستهتارهم. وكان مِمَّا لابُدَّ منه أن هذا النَّزق والطَّيش والتهوُّر والاستهتار يدفع بهم إلى الإسرافِ فى الشَّهَواتِ الجَسَدِيَّة، والانصراف إلى المَلَذّات الدّنيويَّةِ التى سرعان ما تستنفد كُلَّ ما يملكون من مقتنيات ماديَّةٍ ومواهب روحية ومِنْ ثَمَّ سُرعان ما يجدون أنفسهم صِفْر اليَدَيْنِ من كُلِّ شَيْءٍ مَادِيٍّ وروحيٍّ عَلى السّواءِ،



« مَثَل الابن الضالّ » (لوقا ١٥ : ١١ — ٣٢)

فلا يجدون أمامهم من سبيلٍ إلا أن يبيعوا أَنْفُسَهُم للشيطان الذى يجد فيهم فريسةً سَهْلَةً، فيشتريهم بأبخس الأثمان ويستعبدهم استعباد القوىِّ للضعيف، والثَّرىِّ الشِّرِّير للمحتاج البائس، فكما أن ذلك الرَّجل الذى لجأ إليه الابن الأصغر بَعْدَ أن بَدَّدَ أمواله وأنفق كُلَّ ما عنده فى الشرور والفجور، لَم يستخدمه راعيًا للغنم التى هى مهنة كريمة، وإنما استخدمه راعيًا للخنازير التى هى أحقر الحيوانات وأقذرها، هكذا يفعل الشيطان بالذين يلجأون إليه ويبيعون أنفسهم له، إذ يُمَرِّغهم فى الأَوحال، ويسوقهم إلى أحقر وأقذر الأعمال. وكما أنَّ ذلك الرَّجل الذى لجأ إليه الابن الأصغر ضنّ عليه ولو ببقايا الطعام الذى يأكله هو أو يأكله حتى عبيده ليقتات به. وإنما تركه جائعًا حتى يشتهى أن يملأ بطنه من الخرنوب الذى كانت تأكله الخنازير، وهو ثَمرُ شجرة تنبت فى بلاد الشَّرْق ويستخدمه رُعَاةُ الخنازير فى تسمينها، فلم يكُن أحد يعطيه حتى من هذا الطعام الحقير الذى لا تأكله إلَّا الخنازير. هكذا يفعل الشيطان بِمَنْ يقعون تحت نيره، إذ يتلذّذ بتعذيبهم وإذلالهم، كما يتلذّذ بتعذيب وإذلال كُلِّ بَشَرٍ من أبناءِ اللّهِ الذى أسقَطَهُ وَحَكَم بالهلاكِ عليه فيضنُّ عليهم بعد أن وقعوا فى قبضته بأَىِّ شَىءٍ فيه راحتهم أو كَرَامَتُهم. وعندئذ يبدأون - كما فعل ذلك الابنُ الأصغر - يفيقون من سَكْرَتِهم، ويرجعون إلى نُفُوسِهم، ويندمون على ما فَعَلوا إذ تَمَرَّدوا على أبيهم السَّماوِىِّ وابتَعَدوا عن رِعايتِهِ ومحبَّتِهِ وَحَنَانِهِ. وكما قال ذلك الابنُ فى لَحْظَةِ نَدَمِهِ «كَمْ لأَبِى مِنْ أُجَرَاءَ يَتَوافَرُ لَهُم مِنَ الخُبْزِ ما يَكْفِيهِمَ وَيَفِيضُ عَنْهُمْ وَأَنا أَموتُ جُوعًا هُنَا؟»، يقولون هُم أيضًا فى أنْفُسِهم كم لأبيهم السَّمَاوِىِّ من خُدَّامٍ يرتعون فى ظِلِّ مَحبَّتِهِ التى لا تنتهى، ويشبعون من فَيْضِ نِعْمَتِهِ التى لا تَنْفَد، بل تكفى الجميع وتفيض عنهم. وعند استشعار الندم يبدأ العزم فى طَلَبِ المغْفِرَةِ، ويحلُّ التواضُعُ مَحَلَّ الكِبرياءِ. فكما قال ذلك الابن «إنِّى سَأَقومُ وَأَذْهَبُ إلى أَبِى وَأَقُولُ لَهُ: يا أَبِى قَدْ أَخْطَأْتُ إلى السَّماءِ وأمامَكَ، ولم أَعُدْ مُسْتَحِقًّا أن أُدْعَى لَكَ ابنًا، فاجْعَلْنِى كَأَحَدِ أُجَرَائِكَ»، يُقَرِّر أولئك النادمون هُمْ أيضًا أَنْ يعودوا إلى أبيهم السَّمَاوِىِّ، معترفين بخطئهم إليه، وبعدم استحقاقِهم - بسبب عقوقهم - أن يكونوا أبناء له مُرْتضين

أن يُعَامِلهُم كما يُعامِل السيِّد عبيده، لا كَمَا يُعَامِلُ الأب أبناءه. بَيْدَ أنهُمْ إذ يُفَكِّرون على هذا النحو لا يعلمون مَدَى صلاَحِ الله أو استعداده لِقَبول التَّوْبَة وَمَنْح الغُفران. لأَنَّهُ كما أنَّ أبا ذلك الابن الضال رآهُ وهو آتٍ من بعيد، فتحنَّن عليه وَرَكَض وألقى بنفسه فى عَطْفٍ وَفَرَحٍ على عُنُقِهِ وقَبَّلَهُ، هكذا يفعلُ اللّهُ بالذين يندمون ويتوبون عن خطاياهم ويأتون إليه ليطلُبوا غفرانه، إذ يَرَاهُمْ وَهُمْ آتون مِنْ بَعيد، فيتحنَّنُ عليهم ويفرح بهم ويُسَارِعُ إلى معانقتهم وتقبيلِهِمْ حتى قَبْلَ أن يفْضُوا إليه بِنَدَمِهِمْ وتَوبَتهِمْ، إذ يقول بِلِسان إشعياء النبىِّ «إنِّى قَبْلَمَا يَدْعُون أنا أجيب» (أشعياء ٦٥ : ٢٤). وهو يغفر لهم خطاياهم حتى قَبْلَ أنْ يطلبوا ذلك لأنَّه عَالِمٌ بما فى نُفُوسِهم، إذ يقول بلسان حزقيال النبىِّ «فإذا رَجَعَ الشِّرِّيرُ عن جميع خطاياه التى فَعَلَهَا، وَحَفِظِ كُلَّ فرائضى، وَفَعَلَ حقًّا وعدْلاً، فحياةً يَحْيا. لا يموت. كُلّ معاصيه التى فَعَلَها لا تُذْكرُ له» (حزقيال ١٨ : ٢١ و ٢٢). ومِن ثَمَّ فإنهُمْ - ولو قالوا كما قال الابن الضالُّ فى تواضع «لم أَعُدْ مُسْتَحِقًّا أنْ أُدْعَى لَكَ ابنًا»، يُعيد إليهم اعتبارهم ويردُّ إليهم صِفَةَ بُنُوَّتهم له كاملة، مقرِّرًا استحقاقهم لهذه البنوَّة ما داموا قد ندموا واستغفروا وعادوا إلى طاعته وارتضوا أن يعيشوا تحت رعايته. بل إِنَّهُ لفرحه بعودتهم إليه يحتفل بهم احتفال ذلك الأب بابنه الضَّالِّ فَكَمَا قال الأب لعبيده «أسْرِعوا وَأَخْرِجوا الحُلَّةَ الأُولَى وأَلبِسُوهُ إيَّاها» يُلْبِسُهم اللّهُ الحُلَّة الأولى التى كانوا يَلبَسونها حين كانوا أبرارًا قَبْل تمرُّدِهِم وَضَلالِهِم، وهى أفضل حُلَّةٍ وأفخرها وأكثرها بهاءً وضياءً، وأجدرُها بالفَرَحِ والبهجة، لأنها هى ثَوْبُ الخَلاصِ ورِداء البِرِّ الذى حين يلبَسهُ إنسانٌ لا يسعه إلاَّ أن يهتف مع إشعْياءَ النبىِّ قائلاً «فرَحًا أفرَح بالرَّبِّ. تبتهج نَفْسى بإلهى، لأنه قد ألبَسَنى ثياب الخَلاص، كسَانى رداء البر، مِثْل عَريسٍ يتزيَّن بِعِمَامَةٍ، ومِثْل عَرُوس تتزَيَّنُ بحُليِّها» (إشعياء ٦١ : ١٠).

وكَمَا وَضَعَ أبُو الابنِ الضَّالِّ خاتمًا فى يده تكريمًا له وإقرارًا ببنوَّتِهِ وما عَادَ يملك من سُلْطانٍ فى بَيْتِ أبيـه بهذا الاعتبار، هكذا يكرم الله التَّائبينَ العائدين إليه ويعطيهم سلطانًا كأبناء فى بيته، كما فَعَل فرعون حين أراد أن يمنح السُّلطانَ

لِيوسُف، إذ قال له كما جاء فى سِفْرِ التكوين «قد جَعَلْتُكَ على كُلِّ أرضِ مِصْر، وخَلَعَ فرعون خاتمه من يده وَجَعَله فى يَدِ يُوسف» (التكوين ٤١ : ٤١ و٤٢).

وكما وَضَعَ أَبُو الابنِ الضَّالِّ حِذاءً فى قَدَمَيهِ بَعْد أن جاءه حافيًا، فأعاد بذلك كرامتهُ ومكانتهُ كإنسان حُرٍّ، بَعْدَ أن كان عبدًا حافى القدَمَين، هكذا يُعيدُ الله للنادمين التَّائبين كرامتهم ومكانتهم بِحكْمِ ما ينبغى لَهُمْ من مكانَةٍ وكرامةٍ كأبناء لله.

وكَما ذَبَحَ أَبو الابن الضَّالِّ العجلَ المُسَمَّنَ لِيأْكُلَ مع أهل بيته، احتفالاً بعودة ابنه إليه، وإظهارًا لِفَرَحِهِ، قائلاً إنَّ ابنه هذا «كان مَيِّتًا فعاد إلى الحياة، وكان ضالاً فوجدناه» هكذا يَفْرحُ اللَّهُ بالنَّادمين التائبين العائدين إليْهِ، لأنهم كانوا - وَهُمْ فى حالة تمرُّدِهِم عَلَيْهِ وعنادِهم لَهُ وابتعادِهِم عنه وانقيادهم للشيطان - فى حُكْمِ الأموات، بل كانوا أمواتًا بالفِعْل، حتى إذا نَدِموا وعادوا إلى الحَياةِ وفقًا لقَولِ الوحى الإلهى فى الرسالة إلى أَهْلِ أفسُس «وأنتم، وقد كُنتُم فيما مَضى أمواتًا من جَرَّاءِ زَلَّاتِكم وخَطاياكُم التى كُنتُم تسيرونَ فيها سِيرَة هذا العالَمِ، مُتَّبِعينَ رئيسَ القوّاتِ الشريـرة فى الهواءِ، أى ذاك الـرُّوح الَّذى لايـزال يعملُ الآن فى أبنـاءِ المعصيةِ. وكُنَّا نحنُ كُلُّنا فى جُملةِ هَؤلاءِ يومَ كُنَّا نَعيشُ فى شَهواتِ جَسَدِنا، مُلَبِّينَ رَغَباتِهِ وأَهواءَهُ، وكُنَّا بِطَبيعَتِنا أبناءَ الغَضَبِ، كسائرِ النَّاسِ. ولكنّ اللَّهَ بواسع (غنى) رحمتِهِ وَفائقِ مَحَبَّتِهِ التى أحَبَّنا بها، أحيانا فى المسيحِ بَعدَ ماكُنَّا أمواتًا بِزلاّتِنا، فَبنعمةِ اللَّهِ نِلْتُم الخَلاصَ» (أفسس ٢ : ١-٥). ولأنهم كانوا ضالِّين عن طريق الله، هائمين فى الظلام خارج أسوار ملكوته النورانى فعادوا واهتدوا إلى باب ذلك الملكوت وطَرَقوه، ففتحه الله لهم، فَرِحًا بهم، غافِرًا كلَّ ذنوبهم منتقلاً بهم من الموت إلى الحياة ومن النقمة إلى النعمة، ومن الظلام إلى النور. وقد أَعَدَّ لهم وليمة فاخرة زاخرة، لابِلُحُوم العُجُولِ المسمَّنة، وإنما بأطايب البركات السَّماوية التى هى أشهى وأبهى من كلِّ مُسَمَّنات الأرض، والتى يفرح ويبتهج بها كل من يحظى بها، وينسى كلَّ ماتكبَّد فى العَالَمِ الشِّرِّير من آلام، وماسفَكَ من دموع، وما عانى من ذُلٍّ وعار، إذ قال إشعياء النبىّ «يصنع رب الجنـود. . . وليمة سمـائن. .

ويمسح السيِّد الرَّب الدموع عن كل الوجوه، وينزع عار شعبه عن كل الأرض» (إشعياء ٢٥ : ٦ - ٨). وهكذا يعمّ السماء كلّها فرح بعودة أولئك الأشرار الضالين إلى أبيهم السماوى، نادمين تائبين مستغفرين.

بَيْدَ أنَّ الفريق الآخر من أبناء الله الذين يرمز إليهم الابن الأكبر لذلك الأب الذى ذَكَرَه مُخَلِّصُنَا فى المَثَل الذى ضَرَبه، والذين ظلوا - ولو فى الظاهر - مُبدِين له الخضوع، والخشوع، ولا سيما الفَرِّيسيُّون والكتبة وأمثالهم من فقهاء الدين اليهودى، إذ لا يدركون مدى صلاح الله ورحمته ومحبته للبشَر جميعًا، لا يلبثون أن تأكل الغيرة قلوبهم، فيفعلون ما فعله ذلك الابن الأكبر حين عاد من الحقل وسمع أصوات الغناء والرقص فى بيت أبيه، وعلم بعودة أخيه وبما غمره به أبوه من حفاوة وتكريم. إذ أنهم سيغضبون كما غضب ذلك الابن، ويرفضون أن يجمعهم مكان واحد بأولئك الذين كانوا يعتبرونهم أشرارًا آثِمِين من العشَّارين وأمثالهم، فكانوا يزدرونهم ويحتقرونهم ويتجنبون مخاطبتهم أو مخالطتهم، متعالين عليهم، مقررين أنهم ملعونون من الله، ومفاخرين بأنهم هم وحدهم موضع رِضَى الله وورثة ملكوته، بل إنهم يروحون يتفاخرون على الله نفسه، وينكرون فضله عليهم، كما تفاخرَ ذلك الابن على أبيه وأنكر فضله عليه، إذ قال له «ها أناذا أَخْدُمُكَ هذه السنينَ كُلَّها، ولم أعْصِ لَكَ أَمْرًا قطُّ، وَمَعَ ذَلِك ما أَعْطَيْتَنِى فى يومٍ مِنَ الأَيَّامِ جَدْيًا لِأَفْرَحَ مَعَ أَصْحَابِى»، وكأنما كانت خدَمتهم له وطاعتهم له فضلاً أسدوه إليه، وليست واجبًا عليهم إزاءه، وكانت كل البركات التى أغدقها عليهم فى رعايته لهم لا تساوى جدْيًا يعيِّرونه بأنه لم يُعْطِهِ إياهم ليفرحوا مع أصدقائهم، فرحًا جسديًّا أرضيًا، لا فرحًا روحيًّا سماويًا، مما يدل على أن خدمتهم لله إنما كانت عن نفاق، وأن طاعتهم له إنما كانت عن رياءٍ، وأن صلاحهم الذى يتظاهرون به إنما ينطوى على أقبح صفات يتصف بها البشَر، وهى الحقد والحسد والغيرة من إخوتهم النادمين التائبين الذين شملهم الله برضاه وغفرانه. إذ أنهم كما فعل ذلك الابن الأكبر إذ قال لأبيه «وَلَكِنَّكَ ما إن جاءَ ابنُكَ هذا الّذِى بَدَّدَ ثَرْوَتَكَ مَعَ الزّانِياتِ، حَتَّى ذَبَحْتَ لَهُ العِجْلَ المُسَمَّنَ»، يفعلون هُمْ إذ يلومون الله

لأنه ساوَى بينهم - وهم الذين يعتبرون أنفسهم أبرارًا أطهارًا - وبين أولئك الذين يعتبرونهم أشرارًا فُجّارًا، مهما ندموا وتابوا. بَيْدَ أن الله فى صلاحه وحكمته ورحمته وَحِلمِهِ وَعِلمِهِ بضعف البشر، لا يقابل بغضبه غضب أولئك الذين يتفاخرون عليه وَينكرون فَضْله، بل يلومونه، وإنما يتأنَّى عليهم ويترفَّق بهم، ويوضح لهم حكمته فيما يعمل، ويصحح لهم فَهْمَهم الخاطئ لمعاملته الكريمة الرحيمة لإخوتهم الذين مهما كانوا قد تصرَّفوا من قَبْل فى شرٍّ وفجور، فإنَّ نَدَمهم وتوبَتهم يُطهرانهم من كلِّ شرٍّ ارتكبوه، ومن كلِّ فجور اقترفوه، ويجعلانهم أهلاً لعفوه وغفرانه اللذين لا حدود لهما ولا قيود عليهما - بل يجعلانهم مستحقين لأن يفرح ويبتهج بعودتهم إليه وخضوعهم له خضوع الأبناء لأبيهم. وهذا هو الذى يرمز إليه ما فعله الأب مع ابنه الأكبر فى المَثَلِ الذى ضَرَبَه مُخَلِّصنا حين غضب ورفض أن يدخل البيت حقدًا على أخيه العائد وحَسَدًا له، إذ خرج «وَراحَ يَتَوَسَّلُ إليه» قائِلاً له «يا بُنَيَّ أَنْتَ دائِمًا مَعِى، وَكُلُّ ما لِى فَهُوَ لَكَ، إلاَّ أَنَّنا كانَ يَنْبَغِى أَنْ نَفْرَحَ وَنَبْتَهِجَ، لِأَنَّ أَخاكَ هَذا كانَ مَيِّتًا فَعادَ إلى الحَياةِ، وكانَ ضالاًّ فَوَجَدْناهُ». وذلك لأنَّ الله كما يفرح بعودة أبنائه المتمرِّدين حين يعودون إلى طاعته، يحزن من تمرُّد أبنائه المطيعين حين يتمرَّدون عليه، ويبذل كلَّ جهد فى استرضائهم واستبقائهم تحت رعايته، مشمولين بعنايته ونعمته وبركته، ومتمتعين بالسلطان الذى منحهم إياه حين كانوا دائمًا معه باعتباره أباهم وباعتبارهم أبناءه، ذلك السلطان الذى بجعل كل ما للآب مملوكًا للابن وتحت تصرفه. لأنه إلى هذا المدى يبلغ حب الآب السماوىِّ لأبنائه من البشر، حتى إنه ليحتمل فى محبته تلك تذمُّرهم عليه، كما يحتمل كثيرًا من صور حماقتهم وغباوتهم، وقصورهم فى تفكيرهم، وتهورهم فى شعورهم، ويعمل بمقتضى رحمته على إصلاح تلك المساوئ والنقائص فيهم، مستخدمًا فى ذلك كل وسيلة وسالكًا كلَّ سبيل، حتى لا يعود ثمة من وسيلة أو سبيل لإصلاحهم، فيغضب عندئذ عليهم، ويقضى بمقتضى عدالته بهلاكهم.

ولئن كانَ هذا المثل الذى ضَرَبه مُخَلِّصنا ينطبق على الفَرِّيسيِّين والكَتَبة الذين كانوا يدَّعون لأنفسهم الصلاح وطاعة الله، والذين لاموه على قبوله للعشارين

والخطاة من اليهود الذين كانوايعتبرونهم أشرارًا ملعونين من الله، والذين كانوا يجيئون إليه باحثين لديه عن التوبة والخلاص، إنه ينطبق بصورة أعمّ على الأمة اليهودية كلها التى كانت تعتبر نفسها الشعب المختار من الله والمستحقة لملكوته السَّماوِيِّ وحدها دون سائر الأمم الوثنية التى إن كانت غارقة فى الشرور والآثام فإنها كانت مستعِدّة مع ذلك للتوبة وقبول الخلاص.

كما أن هذا المثل ينطبق بصورة أكثر عمومًا على كلِّ البَشَر الذين هم جميعًا فى الأصل أبناء الله، والذين توجد منهم فئة بارَّة أو تدَّعى البرَّ وتريد أن تحتكر لنفسها نعمة الله ونعيمه كما توجد منهم فئة أخرى أوغلت فى الشر وأسرفت فى الضَّلال. بَيد أنها إن ندمت وتابت ووعادت إلى الله طالبة غفرانه، فإنه يفرح بندمها ويقبل توبتها، ويمنحها ماطلبت من غفران. وفى هذه الحالة يكون «الابن الضال» هو كل إنسان شارد عن طريق الخلاص. ورجوعه إلى نفسه معناه أَنَّ الخاطئَ -كل خاطئ- يكون بشروره قد تاه هاربًا حتى من نفسه، فإذا «رَجَعَ إلى نَفَسِهِ» وثاب إلى رشده. والرجوع إلى النفس يقود النفس إلى خير عظيم، لأنه يمهد لها الطريق إلى مقام المراجعة والمحاسبة والفحص أمام محكمة الضمير. وحكم الضمير حاسم وصارم على النفس إذا ملكها. فإنه يحكم عليها أولاً باللوم، فتندم وتنسحق بالأسى أمام الله، وتذوب اتضاعًا وَمَسْكَنَةً وخشوعًا وخوفًا ورُعبًا وجزعًا، فتحتقر ذاتها، وتذرف الدمع جزعًا على ما صنعت، وأسفًا على ما فَقَدَت وخسرت وهذا هو معنى قول مخلِّصنا فى المثل الذى ضربه عن الابن الضال «فَرَجَعَ إلى نَفْسِهِ وَقالَ: كَمْ لِأَبِى مِنْ أُجَراءَ يَتَوافَرُ لَهُم مِنَ الخُبْزِ ما يَكْفِيهِم وَيَفِيضُ عَنْهُم، وَأَنا أَموتُ جوعًا هُنا». والضمير يحكم على النفس ثانيًا بالتوبة، أى بالرجوع عن الخطأ والعزم على تجديد السِّيرة، إذ يقول الابن الضال «إِنِّى سَأَقومُ وأَذْهَبُ إلى أَبِى، وأَقولُ لَهُ: يا أَبِى قَدْ أَخْطَأْتُ إلى السَّماءِ وَأَمامَكَ، ولم أَعُدْ مُسْتَحِقًّا أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا، فاجْعَلْنِى كَأَحَدِ أُجَرائِكَ». والضمير يحكم على النفس ثالثًا بإصلاح الخطأ والعمل فورًا على ذلك، بالاعتراف الصريح العلنى بالخطأ وتحمُّل نتائج الخطأ فى رضا كما فعل الابن الضال فى المَثَل إذ «قامَ وجاءَ إلى أَبيهِ. فقالَ لَهُ.. يا أَبِى قَدْ

أَخْطَأْتُ إلى السَّماءِ وَأَمامَكَ، ولم أعُد مُسْتَحِقًّا أن أُدعَى لَكَ ابنًا».

وليس الاعتراف الصحيح بالخطأ هو الاعتراف لله فقط. بل أيضًا إلى مَن أساء إليهم المخطئ بخطئه وخطيئته، ومن بينهم الكاهن حارس الشريعة التى اعتدى عليها الخاطئ وتجاوزها. ولذلك قال يشوع بن نون لعاخان بن كرمى الذى اقترف جريمة سرقة فتسببت فى الهزيمة فى الحرب لبنى إسرائيل «يا ابنى أعْطِ الآنَ مَجْدًا لِلربِّ إلهِ إسرائيلَ واعترِفْ له وأَخْبرنِى الآنَ مَاذَا عَملتَ. لا تُخْفِ عنِّى» (يشوع ٧ : ١٩).

فلما عاد الابن الضال نادمًا تائبًا معترفًا بخطاياه، مستعدًّا لأن يتحمَّل نتائج ضلاله والعقوبة التى يفرضها أبوه عليه وأن «يَجْعَلَهُ كَأَحدِ أُجرائِهِ»، لم يطرده أبوه خارجًا، وهذا يتفق مع قول فادينا «ومَنْ يُقبِلْ إلىَّ لا أُلقِى بِهِ خارِجًا» (يوحنا ٦ : ٣٧)، بل فتح له خزائن مراحمه، وأمر له بالحُلة الأولى. والحُلة الأولى هى المعمودية، وهى السِّرُّ الأَولُ من أسرارِ الروح القدس للخاطئ التائب، لأنه بها «يلبس المسيح» (غلاطية ٣ : ٢٧) بعد أن يُخلق «الخليقة الجديدة» (غلاطية ٦ : ١٥). كما أمر له بخاتم االنبوّة، الذى يثبت حقه فى البنوّة التى استردَّها من جديد. وخاتم «التثبيت» فى التوبة هو سِرّ المسحة المقدّسة أو المِيرون، المسمّى بسرّ التثبيت، الذى ينال به المعمَّد فيضًا جديدًا من مواهب الروح القدس لتثبيته فى نعْمة البنوَّة التى حصل عليها بالمعموديَّة. ولذلك يستخدم الكاهِنُ عند مَسْحِ أَعْضاءِ المُعَمَّدِ بالمِيْرونِ تعبير «خَتْم موهِبَةِ الرُّوحِ القُدُسِ». وَأَمَرَ له بالعِجْلِ المسمَّن الذى به يغتذى الابن الضالُّ الذى رجع إلى بيت أبيه جائعًا بعد أن ذاق من خرنوب الخنازير. وهذا يشير إلى الخبز السماوىّ الذى يناله المُعمَّدون بعد مَسْحهِم بالميرون، وهو سِرُّ التناول، والقربان المقدَّس خبز الحياة الذى لا يموت من يأكله بل يحيا إلى الأبد (يوحنا ٦ : ٥٠ و ٥١)، إذ قال الربُّ يسوعُ إنَّ «الخبزَ الذى أنا أعطى هو جَسَدِى الَّذِى أَبذُلُهُ من أجلِ حياةِ العَالَمَ» (يوحنا ٦ : ٥١).

وهكذا هدم مخلِّصنا بتلك الأمثال الثلاثة التى ضَرَبها للفَرِيسيِّين والكَتَبة، الاتهام الذى وجهوه إليه، ليكيدوا له ويسعوا إلى هلاكه، فأخرسهم وأخجلهم.

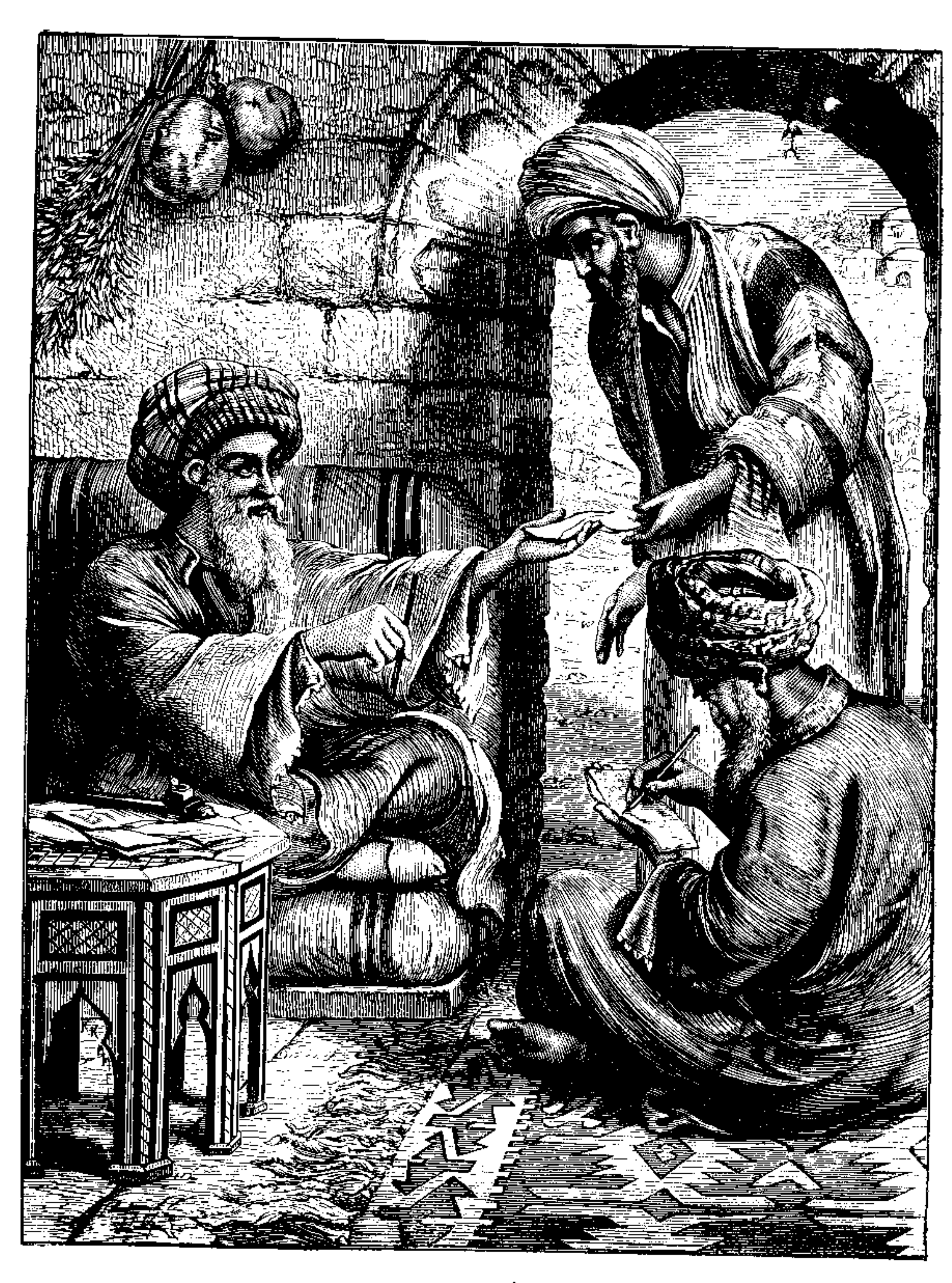
الفصل السادس عشر

١٦ : ١ - ١٣

وقد كان مُخَلِّصُنَا دائم التعليم لتلاميذه، ليجعل منهم طليعة المعلِّمين لتعاليمه وكان ممَّا لقَّنهَم من تعليم أن يُحسِنُوا استخدامَ كلِّ ما تحت أيديهم من ممتلكات هذا العالَم، لأنها غير مملوكة فى الحقيقة لهم وإنما هى كلُّها مملوكة لله، وما هُم إلَّا وكلاء عليها، فليستخدموها استخدام الوكلاء الحكماء الأمناء. ولكى يوضِّح لهم هذا المعنَى ضَرَب لهم مَثَلًا كعادته فى التعليم، قائلًا لهم «كانَ لِرَجُلٍ غَنِيٍّ وَكيلٌ، وقد بَلَغَتْهُ وِشَايةٌ عَنْهُ أنَّه يُبَدِّدُ أَموالَهُ، فَدَعاهُ إليهِ وقالَ لَهُ: ما هَذا الذى أَسْمَعُهُ عَنْكَ؟ قَدِّمْ الحِسابَ عَنْ وَكالَتِكَ، لِأَنَّكَ لا يُمكِنُ أَن تَكونَ وَكيلًا بَعْدَ الآنَ. فَقالَ الوَكيلُ فى نَفْسِهِ: ماذا أَفْعَلُ، فإنَّ سَيِّدِى سَيَعْزِلُنِى عَنْ وَكالَتِى، وَلَسْتُ قادِرًا على الفِلَاحةِ، كَما أَنَّنِى أَخْجَلُ أَنْ أَسْتَعْطِىَ؟. وقد استدعَى إليه كُلًّا من مَدينِى سَيِّدِهِ، وقالَ لِلأَوَّل: كَمْ عَلَيكَ لِسَيِّدِى؟ قالَ: مِائةُ مِكْيالٍ من الزَّيتِ. فقالَ لَهُ: خُذْ صَكَّكَ واجلِسْ سَريعًا واكتُبْ خَمْسينَ. ثُمَّ قالَ لِآخَر: وأنتَ كَمْ عَلَيكَ؟. قال: مِائَةُ مِكْيالٍ مِنَ القَمْحِ. فقالَ لَهُ: خُذْ صَكَّكَ واكتُبْ ثَمانينَ. فَأَثْنَى السَّيِّدُ عَلى الوَكيلِ غَيرِ الأَمينِ، إذ تَصَرَّفَ بِفِطْنَةٍ، لِأَنَّ أَبناءَ هذا الدَّهرِ أَكْثَرُ فِطْنَةً فى زمانِهِم من أَبْناءِ النُّورِ». ويرمز الرَّجُلُ الغَنِى هنا إلى الله المالك لكلِّ شىء. كما يرمز الوكيل إلى كُلِّ إنسانٍ لأن النَّاسَ جميعًا لا يملكون فى العالَم شيئًا مِمَّا فيه، وإنما هُم وكلاء من الله فى إدارته وتدبيره واستغلاله واستثماره. بَيْدَ أَنَّ كُلَّ إنسانٍ، أو فى القليل الغالبية العُظمى منهم لا يتصرَّفُون كما ينبغى فى إدارة ما استودعه الله إيَّاهم من ممتلكات فى هذا العالَم أو فى تدبيره أو استغلاله أو استثماره. وإنما هُم يُبَدِّدونه كُلَّه، أو يُبدِّدون بعضه، كأنَّه مملوك لهم، فى شهواتهم الأرضية وملذَّاتهم الدنيوية، غير حاسبين حسابًا للغد حتى فيما يتعلق بمصلحة أنفسهم. بيد أن الرَّجُل الغنىّ فى هذا المثل الذى ضربه مُخَلِّصنا لم يلبث أن بَلَغَتْه الأنباء بأنَّ وكيله يبدِّد أمواله، فاستدعاه

وطَلَب إليه أن يقدِّم الحساب عن وكالته. لأنه قرَّر عزله، إذ أثبت أنه غير أمين فى وكالته وعندئذ تصرَّف ذلك الوكيل تصرُّفًا ذكِيًّا، إذ وَجَدَ نفسه عاجزًا عن أن يكسبَ عيشه من سبيلٍ آخَرَ. وقد أَبَتْ عليه كبرياؤه أن يتسوَّل أو يستعطى، فعمل على استرضاء الناس واكتساب صداقتهم ومحبَّتهم، حتى إذا عَزَله سَيِّدُه عن وكالته استضافوه فى بيوتهم، فيتجنَّب بذلك الفاقة والعوز، ومِن ثَمَّ استَدْعَى كُلًّا من مدينى سيِّده، وخَفَّض لكُلٍّ منهم الدَّينَ المستحَقَّ لسَيِّده عليه. وقد استحقَّ هذا الوكيلُ الثناءَ على تصرُّفه هذا، لا لأنه بدد أموال سيِّده، أو لأنه خَدَعَه فيما له من استحقاق عند مدينه، وإنما لأنه كان ذافطنة فى تأمين مستقبله، لا فطنة أبناءِ السَّماءِ التى تنطوى على الأمانة الكاملة والصِّدق الكامِلِ، وإنما فطنة أبناء الأرضِ الذين يفكِّرون تفكيرًا دنيويًّا فيما يلجأون إليه من أساليب وسبل لاجتناب انقطاع سُبُل العيش أمامهم، فى حين أنَّ أبناء السَّماء حتى وهم على الأرض لا يمكن ولا ينبغى أن يلجأوا إلى مِثْلِ هذه الأساليب أو السُّبُل، لأنَّ أساليبهم دائمًا روحيَّة وسُبُلَهُمِ دائمًا سماوِيّة. وهذا هو معنى قول مخلِّصنا إن «أَبناءَ هذا الدَّهرِ أَكْثَرُ فِطْنَةَ فى زمانهم من أَبناءِ النُّورِ». بَيْدَ أنَّ مخلِّصنا يوضِّح فى هذاالمَثَل لتلاميذه وللبشَر جميعًا أنهم ينبغى أن يستخدموا ما هُم وكلاء عليه من أموال وأملاك أئتمنهم عليها فى هذا العالَم فى التخفيف من أعباء غيرهم من الناس الذين هم مدينون لله وعاجزون عن سداد ديونهم. لأنهم بذلك يكتسبون صداقة أولئك الناس أو محبتهم، حتى إذا غضب الله عليهم وسَلَبهَم ما ائتمنهم عليه من أموال وأملاك فى هذه الدنيا، وجدوا لدى أولئك الناس عونًا لهم فيما لهم من حياتهم على الأرض. كما أنَّ ما يفعلونه إنما يحتسبه الله صَدَقة يكافئهم عليها فى السماء.

وقد أوضح مخلِّصنا مغزى هذا المَثَل قائلًا لتلاميذه «وَأَنا أَقولُ لَكُمْ: اجعَلُوا لِأَنْفُسِكُم أَصدِقاءِ بالمالِ الّذِى لا يَحِقُّ لَكُم، حَتَّى إذا فَنِى يَقْبَلُونَكُم فى المساكن الأَبَدِيَّةِ. إنَّ الأَمينَ فى القَليلِ أمينٌ أيضًا فى الكَثيرِ، وَغَيرَ الأَمينِ فى القَليلِ غَيرُ أمينٍ أيضًا فى الكثيرِ، فإنْ كُنتُمْ غيرَ أُمناءَ فى المالِ غيرِ الحَقِّ، فَمنْ يَأْتَمِنُكُمْ على المالِ الحَقِّ؟ وإنْ كُنُتُمْ غَيرَ أُمَنَاء فيما هو لِلغيرِ، فَمَن يُعطِيكُم ما هُوَ لَكُمْ؟. ما مِنْ



« مَثَل الوكيل غير الأمين » (لوقا ١٦ : ١ – ١٣)

خادِمٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْدُمَ سَيِّدَيْن، فإنَّه إمَّا أَنْ يُبْغِضَ أَحَدَهُما وَيُحِبَّ الآخَرَ، وإمّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِأَحَدِهِما وَيَنْبُذَ الآخَرَ. لا يُمْكِنُكُم أَنْ تَخْدُموا اللّهَ والمالَ معًا». أى أنَّ عليهم أن يَجْعَلوا لأَنفسهم أصدقاءَ بالمال غير الحقِّ الذى هو مال هذا العالَم المادِيِّ الدنيوىّ الفانى، الذى لا يمثِّل البركة الحقيقية التى يتمتّع بها الإنسان، والذى لا يلبث أن يفقده بموته فيصبح بالنسبة إليه كالعَدَم. وإنما البركة الحقيقية هى النعمة الروحية السماوية الخالدة التى يتمتع بها الإنسان فى الحياة الأخرى ولا يفقدها أبدًا، وإنما يظلّ ينعم بها إلى الأبد. وهو المال غير الحق، إما لأنّ مالكه الحقيقى هو الله ولكن الإنسان مجرد وكيل، فإذا اغتصبه لنفسه، أو ادّعاه لها، فقد صار بالنسبة له مالاً غير حق. وإما لأن المال فى الحياة الدنيا اختلط بالسلب والسرقة والاغتصاب فصار غير حق بهذا المعنى. فإذا تصدَّق الإنسان بهذا المال غير الحق على المحتاجين إليه فى الدنيا يجعل لنفسه أصدقاء، لا بين أبناء الأرض أثناء حياته فى الدنيا فحسب، وإنما كذلك من أبناء السماءِ الذين يحيون فى مساكنهم السماوية الأبدية حياة أبدية. ومِنْ ثَمَّ إذا انتهَت حياتهم فى الأرض ففنيت بذلك حياتهم الأرضية وفنيت بالنسبة لهم أموالهم الأرضية، قبلوهم هناك فى تلك المساكن الأبدية فى السماء، فتمتَّعوا فيها بمايتمتّع به أُولئك من حياة أبديَّة مثلهم. وذلك لأن الذى بَرْهَن على أنه أمين فيما أودع لديه فى الدُّنيا من مالٍ دنيوىٍّ يعتبر قليلاً مهما بدا للناس كثيرًا، يبرهن بذلك على أنه خليق بأن يكون أمينًا فيمايودَع لديه من نعمة سماويَّة كثيرة جدًّا لا يساوى كل مال الأرض شيئًا بالنسبة إليها. وأما الذى يبرهن على أنه غير أمين فى ذلك المال الدنيوىّ القليل الذى أودِعَ لديه فى الدنيا، فإنما يبرهن بذلك على أنه سيكون غير أمين إذا أودع لديه من النعمة السماوية الكثيرة، ومِنْ ثَمَّ يبرهن على أنه غير خليق بتلك النعمة، لأنه إن كان غير أمين فى المال غير الحقِّ الذى هو زائف وزائل وَفَانٍ، فكيف يؤتمن على المال الحق الذى هو النعمة الحقيقية الباقية الخالدة؟ وإن كان غير أمين فى المال الدنيوىّ الذى لا يملكه هو وإنما يملكه الله، فكيف يكون خليقًا بالنعمة السماوية التى إذا نالها إنسان تصبح مملوكة له هو، لا ينتزعها أحد منه إلى الأبد؟. ذلك أنه إذا تشبثَ إنسان بالمال الدنيوى واستأثر به لنفسه هو

وحده، غير متصدِّقٍ منه على أحد سواه، وغير مستخدم إيَّاه فى الأوجه التى أرادها الله - وهو المالك الحقيقى لذلك المال - أن يستخدمه فيها، أصبح بذلك عبدًا لذلك المال وخادمًا له وحاصرًا كلَّ اهتمامه فيه، فأنساه الله وما يجب له من عبادة ومن خدمة ومن اهتمام. لأنَّ عبادته للمال تتعارض مع عبادته لله، ولأنَّ خِدْمته للمال تلهيه عن خدمته لله، ولأنّ اهتمامه بالمال يصرفه عن اهتمامه بالله. إذ أنه لا يمكن لإنسان أن يخدم سيِّدين فى وقت واحد، ولا سيِّما إن كان هذان السيِّدان متناقضين كلَّ التناقض فى طبيعتهما، فكان أحدهما سماويًّا ساميًا، وكان الآخَر أرضيًّا وضيعًا. فإنه إما أن يبغض هذا ويحب ذاك، وإما أن يتعَلق بهذا وينبذ ذاك. ومِنْ ثَمَّ لا يمكن عبادة المال وعبادة الله معًا، ولا يمكن خدمة المال وخدمة الله فى وقت واحد. ويخلُص من ذلك كلِّه أَنَّ حُبَّ الإنسان للمال يُبعده عن الله، فيبعدُ الله عه. وواضح أن نتيجة هذا هى غضب الله عليه، وقضاؤه بهلاكه.

١٦ : ١٤ - ١٨

وحين كان مخلِّصنا يلقِّن تلاميذه هذه التعاليم عن وجوب الابتعاد عن محبة المال التى تؤدى إلى الابتعاد عن محبة الله، ومن ثم تؤدى إلى الهلاك الأبدى. كان الفرّيسيّون كعادتهم مختلطين بالذين يسمعونه ليمسكوا عليه تهمة يتهمونه بها، فكانوا هم أيضًا يسمعون هذا كله. وقد كانوا - على الرغم من أنهم فقهاء الدين وعلماؤه والمتظاهرون بالتمسُّك به والعمل فى تزمُّت بمقتضاه - محبين للمال، شرهين فى جمعه، حريصين على اكتنازه، مسرفين فى استخدامه لشهواتهم الجسديَّة وملذاتهم الدنيوية. ومِنْ ثَمَّ استهزأوا بتعليم مخلِّصنا فى هذا الشأن، لأنهم وهم فقهاء الشريعة كانوا يفسّرون الشريعة لا على حقيقتها كما وضعها الله، وإنما على مقتضى مصلحتهم هم، وبما يتفق مع أهدافهم وأهوائهم. فلم يكونوا يرون تعارضًا بين عبادة الله وعبادة المال. مما يدلّ على أن عبادتهم لله كانت شكلية وسطحية وزائفة وكاذبة، ومنطوية على النفاق والرياء والتظاهر والغش. ولذلك وبَّخهم مخلِّصنا قائلاً لهم «أَنْتُم تُظْهِرُونَ أَنْفُسَكُم أَمامَ النَّاسِ أبرارًا، وَلَكِنَّ اللَّه

يَعْرِفُ قُلوبَكُم، لِأَنَّ المتعالى بَيْنَ النَّاسِ مَكْروهٌ عِندَ اللّهِ. لَقَد قامَتْ الشَّرِيعَةُ والأَنبياءُ حَتَّى زَمَنِ يُوحَنَّا. ثُمَّ مُنْذُ ذَلِكَ الحِينِ بَدَأَت البشارَةُ بِمَلَكوتِ اللّهِ. وَكُلُّ واحِدٍ يَشُقُّ طَرِيقَهُ عُنْوَةً إليه. وَإِنَّهُ لَأَيْسَرُ أَنْ تَزولَ السَّماءُ والأَرْضُ مِنْ أَنْ تَسْقُطَ نُقْطَةٌ واحِدَةٌ مِنَ الشَّرِيعَةِ. كُلُّ مَنْ طَلَّقَ زَوْجَتَهُ وَتَزَوَّجَ أُخْرَى فَقَدَ زَنَى. وَكُلُّ مَن تَزَوَّجَ الَّتِي طَلَّقَها زَوجُها فَقَدَ زَنَى». أى أَنَّ الفَرِّيسيين كانوا يتظاهرون أمام الناس بأنهم أتقياء أبرار، بل إنهم متزمتون فى تقواهم وبِرِّهم، ليمتدحهم الناس ويحترموهم ويكرّموهم ويجعلوا منهم أولياء وأئمة ومعلِّمين لهم. ولكن الله العارف بما تخفيه القلوب يعرف ما تمتلئ به قلوبهم من شرور وفجور وأدناس وأرجاس واستعلاء وكبرياء. ومِنْ ثَمَّ فَهُم مكروهون لديه لأنَّ كلَّ هذه الصِّفات الذميمة التى يتَّصفون بها إنما هى مكروهة لديه. وقد كانوا يفسِّرون الشريعة تفسيرًا لفظيًا ظاهريًا لمنفعتهم، متغاضين فى سبيل تلك المنفعة عن روح الشريعة، متغافلين عن جوهرها. وقد ظلوا يفعلون ذلك فى أيام أنبياء العهد القديم كلِّه، حتى بدأ يوحنا المعمدان يبشر بطلوع فجر العهد الجديد الذى يأتى فيه ملكوتُ الله، والذى لا يسود فيه لفظ الشريعة وإنما روحها، ولا ظاهرها وإنما جوهرها، ولا يأخذها الناس فيه - على ضوء تعاليم ذلك العهد الجديد - مأخذًا سهلاً، وإنما يعرفون ما تتطلب عقولهم لفهمها وقلوبهم للعمل بها على حقيقتها من جهد وجهاد، ومشقَّة وكفاح، ومعاناة ومكابدة، فلا يستطيعون أن يشقّوا طريقهم إليها وإلى ملكوت الله الذى لا تسود فيه إلا بالعزيمة الصادقة والإرادة الصلبة التى لا تلين ولا تتزعزع. لأن تلك الشريعة فى روحها وجوهرها ستظلّ أبدية خالدة، حتى إنه لأيسر أن تزول السماء والأرض من أن تسقط نقطة واحدة من أحكامها. ولئن كانت تلك الشريعة مَثَلاً تسمح فى ظاهرها بأن يطلِّق الرَّجُل زوجته، إنها على حقيقتها وفى جوهرها - كما عَلَّم بذلك الربُّ يسوع المسيح - لا تسمح بذلك أبدًا، وإنما تعتبر كُلَّ من طلَّق زوجته وتزوَّج أخرى زانيًا، كما تعتبر كُلَّ مَن تزوّج التى طلقها زوجها زانيًا ويستحقُّ كلٌّ من هذا وذاك جزاء الزُّناة وهو الهلاك. وهذا هو الشأن أيضًا بالنسبة لمحبة المال التى كان فقهاء العهد القديم يعتبرونها حقًّا وحلالاً، فى حين أنها فى

حقيقتها ليست إلا باطلاً وضلالاً، فلا يحقُّ للفرِّيسيين أن يتظاهروا إذن بأنهم أتقياء أبرار لمجرّد أنهّم نفّذوا أحكام الشريعة كما فهموها فهمًا خاطئًا، أو تعمّدوا أن يفهموها على هذا النحو لاستغلالها فى شهواتهم وملذّاتهم، لأنَّ نور العهد الجديد قد طلع عليهم ففضح نفاقهم ورياءهم وأوضح خبيئة نفوسهم وحقيقة شرِّهم ومكرهِم.

على أنَّ نصَّ ما يقوله السيد المسيح له المجد فيما يتصل بالطّلاق يضع علامة على الطريق هامَّةً فى فهم العلاقة بين الرَّجُل وزوجته كما يريدها الله أن تكون. وهذه هى شريعة السيد المسيح فى العهد الجديد. حيث رفع هذه العلاقة بين الرَّجُل وزوجته إلى درجة رباط إلهى مقدَّس، وإلى مرتبة سرٍّ من أسرار الرُّوح القدس فى الكنيسة، عُرِف بِسرِّ الزيجة المقدَّس. ولما كان الروح القدس، روح الله، هو الذى يجمع بين الرَّجُل وزوجته، لذلك «يَصِيرُ الاثنانِ جَسَدًا واحِدًا، فلا يَكونانِ بَعْدُ اثنَيْنِ إذَنْ وإنَّما جَسَدًا واحِدًا» (متى ١٩ : ٥,٦).

ومن هنا فإنَّ الزَّواج فى المسيحية لا يقبل الانحلال بطبيعة الرباط الإلهى الذى ربط بين الرَّجُل وزوجته «وَمِنْ ثَمَّ فَما جَمَعَهُ اللّهُ لا يَنْبَغِى أَنْ يُفَرِّقُهُ الإنسانُ» (متى ١٩ : ٦). فإذا طَلَّق الرجل زوجته بإرادته المنفردة لم يستطع طلاقه لها أن يحلّ الرِّباط المقدَّس بينهما، ولذلك فإنه إذا طلّقها بغير حكم كَنَسى وتزوَّج بامرأة أخرى صار زانيًا، لأنه مازال مرتبطًا بزوجته الأولى بالرباط الإلهى الذى ربطه الرُّوح القُدُس، وبالتالى فإنَّ زوجته التى طَلَّقها بإرادته المنفردة لاتزال مرتبطة به فى الواقع على الرَّغم من طلاقِهِ لها، فإذا تزوَّجها رجل آخَر، صار هذا الآخَر بزواجه منها زانيًا، لأنها مازالت مرتبطة بزوجها الأول. ولذلك يقول الوحى الإلهى إنَّ «المرأةَ تَظَلُّ مقيدة شرعًا بزوجها ما دام حيا، فإن رَقَدَ رجلها عادت حرة تتزوج من تشاء، ولكن زواجا فى الرب فقط» (١. كورنثوس ٧ : ٣٩ و ٤٠): ولا تصيرُ المرأة طالقة من زوجها بإرادة زوجها أو بإرادتها هى، وإنما بحكم الكنيسة، لأن الكنيسة هى التى ربطت بينهما بالسلطان الممنوح لها من الله. فالكنيسة هى وحدها التى

تملك أن تفصل بينهما إذا كانت هناك أسباب تقتضى فصم العلاقة المقدَّسة بين الزوجين «فَمَا جَمَعَهُ اللّهُ لا يَنْبَغِى أَنْ يُفَرِّقَهُ الإنسانُ».

١٦ : ١٩ - ٣١

وإذ رأى مخلِّصنا غلظة قلوب الفرِّيسيين وإغلاقهم إياها دون الاستماع إلى تعاليمه ولا سيَّما بشأن محبة المال وعاقبتها. بل إنهم رفضوها واستهزأوا بها. وإذ لم تقنعهم التعاليم التى نادى بها صراحة، كما لم تقنعهم التعاليم التى ضرب لهم الأمثال على سبيل الرمز والتشبيه ليتغلبوا بها على غبائهم أو تغابيهم، ويدركوا مغزاها، كشَفَ لهم النقاب عن مشهد من مشاهد السماء التى تتضح فيها عاقبة الأشرار الذين ينحصر همهم واهتمامهم فى التنعُّم والرفاهية واكتناز المال. كما تتضح فيها عاقبة الأبرار الذين يعانون فى الحياة ويلاتها ونكباتها فى وداعة وقناعة وصبر وطول احتمال. فقال لهم «كانَ ثَمَّةَ رَجُلٌ غَنِيٌّ يرتَدِى الأُرْجُوانَ والبَزَّ، وَيَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مُتَرَفِّهًا. وكانَ رَجُلٌ فَقِيرٌ اِسْمُهُ لَعازَرُ مُنْطَرِحًا عِنْدَ بابِهِ، وقد امْتَلأ جِسْمُهُ بِالقُروحِ. وكانَ يَشْتَهِى أَنْ يَشْبَعَ مِنَ الفُتاتِ الّذِى يَسْقُطُ مِنْ مائِدَةِ ذَلِكَ الغَنِيِّ، فَلَمْ يَكُنْ يُعْطِيهِ أَحَدٌ، وإِنَّما كانَتْ الكِلابُ تَأْتِى وَتَلْحَسُ قُروحَهُ. ثُمَّ ماتَ الفَقِيرُ فَحَمَلَتْهُ الملائِكَةُ إلى حِضْنِ إبراهِيمَ. وَماتَ الغَنِيُّ أَيْضًا وَدُفِنَ. وَفِى الجَحِيمِ رَفَعَ عَيْنَيْهِ وَهُوَ يُقاسى العَذابَ، فَرأَى إبراهِيمَ مِنْ بَعيدٍ وَلَعازَرُ فى حِضْنِهِ، فَنادَى وَقالَ: يا أَبِى إبراهِيمُ ارْحَمْنِىَ وأَرْسِلْ لَعازَرَ لِيَغْمِسَ فى الماءِ طَرَفَ إِصْبَعِهِ وَيُبَرِّدَ لِسانى، لِأَنِّى أَتَعذَّبُ فى هذا اللَّهِيبِ. فقالَ إبراهِيمُ: تَذَكَّرْ يا بُنَيَّ أَنَّكَ فى حَياتِكَ قد استَوْفَيْتَ مَسَرَّاتِكَ، وَأَمَّا لَعازَرُ فقد استَوْفَى بَلاياهُ. وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ الآنَ يَتَعزَّى وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ. وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ فإنَّ بَيْنَنا وَبَيْنَكُم هُوَّةً عَظِيمَةً راسِخَةً، بِحَيْثُ إنَّ الَّذِينَ يُرِيدونَ العُبورَ مِنْ هُنا إِلَيْكُمْ لا يَستَطيعونَ. كَما لا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ الَّذينَ يُرِيدونَ العُبوَر من عِنْدِكُم إلينَا. فقالَ: أَتوَسَّلُ إليكَ إذن يا أَبَتاهُ أَنْ تُرْسِلَهُ إلى بَيْتِ أَبِى، حَيْثُ لِى خَمْسَةُ إِخْوَةٍ حَتَّى يُنْذِرَهُمْ لِئَلَّا يَجِيئوا هُمْ أَيْضًا إلى مَكانِ العَذابِ هَذا. فَقالَ لَهُ إبراهِيمُ. إنَّ لَدَيْهِمْ مُوسَى وَالأَنْبِياءَ، فَلْيَسْتَمِعُوا إِلَيهِمِ. قالَ: كَلَّا



« مَثَل لعازر الفقير والرجل الغنيّ » (لوقا ١٦ : ١٩ — ٣١)

يا أَبِي إبراهيمُ، لَكِنَّهُمْ إذا ذَهَبَ إليهِمْ أَحَدُ الموتَى يَتُوبونَ. فَقالَ لَهُ: إِنْ كانوا لَمْ يَسْتَمِعُوا إِلى مُوسَى والأَنْبياءِ فَإِنَّهُمْ وإن قَامَ أَحَدُ الموتَى لا يَقْتَنِعونَ».

وندرك من هذا المشهد السَّمائى الذى وصفه مخلِّصنا أن ذلك الرَّجُل الغنى، كان عظيم الثراء، يرتدى رداءَ الملوك وهو الأُرجوان، ولا يرتضى لنفسه إلا أفخر وأفخم الأردية وأكثرها نعومة فى عصره وهو البزُّ، ويتنعَّم كلَّ يوم بأطايب المأكل والمشرب، ويترفه بكلِّ ما تتيح له أمواله الكثيرة من ألوان الرَّفاهية. ولكنه كان أنانيًّا قاسى القلب عديم الرَّحمة، إذ كان يرى ذلك الرَّجُل المُقْعدَ الفقير المسكين منطرحًا عند بابه، وقد ابتلى فضلاً عن فقره وعن بلواه التى أقعدته ببلوَى أخرى أفظع وأبشع تجعل جسمه كلَّه ممتلئًا بالقُروحِ التى لا تفتأ تنضح بالدماء، ولا تفتأ تؤلمه وتعذِّبه أشدَّ عذابٍ. وكان جائعًا يشتهى أن يَسُدَّ رمقه، لا ممَّا تزخر به مائدة ذلك الغنيِّ من أشهى ألوانِ الطَّعام، وإنَّما من الفُتَاتِ الذى يتساقط من تلك المائدة، والذى لا تأكله إلا الكلاب، فلم يكن ذلك الغَنِيُّ - لفَرْط أنانيته وقسوة قلبه وانعدام رحمته - يُلْقى إليه بشيٍ حتَّى من ذلك الفُتَات. أو يأمر عبيده وَخَدَمَه بأن يلقوا إليه منه شيئًا، تاركًا إياه تحت سمعه وبصره يتلوَّى من الجوعِ الذى كان ينهش أحشاءه. وياليت عناء هذا التَّعِسِ الشقىِّ كانِ يقف عند هذا الحدِّ، وإنما كان يزيد من تعاسته وشقائه وما يكابد من كَرْبٍ وعذابٍ أَنَّ الكِلابَ كانت تأتى وتلحس قروحه، فتزيده كَرْبًا على كرْبٍ، وعذابًا فوق عذاب. وهكذا مضت الأيام بذلك الرَّجُل الغنىِّ الذى لم تكن تزيده الأيام إلَّا ثراء وكبرياء، كما مضت بذلك الرَّجُل الفقير الذى لم تكن تزيده إلا أَلَمًا وعناءً، واحتمالاً وصبرًا على ما أصابه من بلاء. حتى جاءت النهاية المحتومة بالنسبة للغَنِيِّ وللفقير على السِواء، وهى الموت. فماذا كانت النتيجة؟ لقد مات لعازر الفقير فحملت الملائكة روحه إلى حضن إبراهيم، ومات ذلك الرَّجُلُ الغنِيُّ أيضًا فَدَفَنَ ذووه جسده فى الأرض التى طالما عشقها وحَصَرَ كُلَّ اشتياقه واشتهائه فيها، فتعفَّن وانتهى إلى تراب. وأمَّا روحه الأثيمة فلم تحملها ملائكة، وإنَّما هَوَت مع الشياطين إلى الجحيم الذى يتلَظَّى بكلٍّ نيران العذاب. وهناك رفع عينيه وهو يتقلَّب فى لهيب تلك النيران

ويكتوى بها، فرأى إبراهيم من بعيد. وقد استولت عليه الدهشة ولا شك، إذ رأى فى حضنه لعازر الذى كان يراه كلَّ يوم مُلْقًى كالحيوان الجائع الجريح عند بابه فلم يكن يأْبَه له أو يتنازل بالنظر إليه أو يتفضل عليه ولو بكسرة جافَّة فائضة عن مائدته الضخمة الفخمة الحافلة. بيد أنه فيما هو يعانى من عقاب جسيم وعذاب أليم استحقه بعدْلٍ نَسى كبرياءه، وصَرَخ فى مَذَلَّة، متوسِّلاً إلى إبراهيم مُلَقِّبًا إيَّاه بأنه أبوه، لأن اليهود جميعًا كانوا يتفاخرون دائمًا بأنهم أبناء إبراهيم. وعلى الرَّغم من أنه ولا رَيْبَ كان على يقين من أنه لم يَعُدْ الآن مستحقًا لتلك الأُبُوَّة من ناحية الرُّوح، فإنه قد تشبث بها ولو من ناحية الجَسَد، وتضرَّع إليه أن يُرسَل لعازر الذى كان من قبل يزدريه ويحتقره ولم يتصدَّق عليه قطّ فى أشدّ حالات عوزه ومحنته ليتنازل ويعمل معه معروفًا فيغمس فى الماء طرف أصبعه ويبرِّد لسانه وهو يتعذَّب فى ذلك اللهيب، ولكنَّ الموت يغلق أمام الأشرار باب الرَحمة إلى الأبد، وقد كان مفتوحًا أمامهم طوال حياتهم فى الدنيا على مصراعيه، وكان يمكنهم فى أى لحظة أن يطرُقُوه وأن يدخلوه. ولكنهم لم يفعلوا بسبب كبريائهم وفساد نفوسهم وسواد قلوبهم وسيطرة الشرِّ عليهم. ومِنْ ثَمَّ رفض إبراهيم طلَب الغَنِىِّ مبرِّرًا ذلك الرفض بسببين عظيمين فى مغزاهما، رهيبين فى مدلولهما، إذ قال له إنَّه فى حياته على الأرض كان مهتمًا كل الاهتمام بالمَسَرَّات الأرضية، مهملاً كُلَّ الإهمال البركات السمائية، فنال كل ما يشتهيه من مسرَّات على الأرض، وبذلك استوفَى كُلَّ استحقاقه الذى طَلَبه هُناك، فلم يَعُدْ له أى حقٍّ يطلب استيفاءه هنا فى بركات السماء. فى حين أن لعازر قد استوفى بلاياه على الأرض، وَتَعَزى هنا بقدر ما تعذَّب هناك، فى حين أنه هو - ذلك الغنىُّ الأنانىُّ الشرّير - يتعذَّب هنا بِقَدْرِ ما تمَتَّع هناك. بَيْدَ أنَّ ثَمَّة سَبَبًا آخر أعظم وأرهب لرفض إبراهيم التماس ذلك الغنى، يجعل الاستجابة لذلك الالتماس متعذِّرًا، بل مستحيلاً، وهو أنَّ بين الصالحين البررة، والأنانيين الأشرار وهم فى نار الجحيم، فَاصِلاً لا يمكن تَخَطِّيه أو اجتيازه، وهو هُوَّة عظيمة عميقة راسخة لا يمكن أن تتزحزح من مكانها أبد الدهر بحيث إنَّ الذين يريدون العبور من النعيم إلى نار الجحيم يستحيل عليهم ذلك. كما يستحيل

ذلك على الذين يريدون العبور من الجحيم إلى النعيم، لأنَّ هذه الهوَّة العظيمة هى بمثابة باب ضخم إذا أغلقه ربُّ البيت بعدَ أن أدخل خاصته معه، لا يستطيع خاصته، أو بالأحرى لا يريدون أو يرغبون أن يخرجوا منه. كما لا يستطيع أعداؤه الذين رفَضهم ورَفَضَ دخولَهم معه أن يدخلوا منه مهما طرقوا الباب، ومهما توسَّلُوا وتضرَّعوا. لأنَّ هذا الباب ظلَّ مفتوحًا أمامهم إلى آخر لحظة من لحظات حياتهم على الأرض، وكان لا يفتأ يدعوهم فى كُلِّ لحظة ليلاً ونهارًا إلى دخوله، فكانوا يرفضون، ومِن ثَمَّ كان الجزاء العادل بعد ذلك ألاَّ يدخلوه أبدًا، لأنهم برهنوا أثناء حياتهم الأرضيَّة على أنَّهم غير جديرين بدخوله، أو التمتُّع بالنور الإلهىِّ الذى يغمر الداخلين منه بالنعمة الأبديَّة. وإنَّما الأجدر بهم أن يظلُّوا هائمين فى الظلمة الخارجية، مضطرمين بما يؤدى إليه البُعْد عن نور الله من العذاب الأبدى. وإذ عرف ذلك الرَّجل الغنىُّ تلك الحقيقة التى لا تقبل مَزيدًا من الجَدَل، والتى تجعل طَلَبَهُ ضربًا مِن المُحَالِ، تقدَّم إلى إبراهيم بالتماسٍ آخر ظنَّ أنه ممكن الاستجابة. إذ أنَّه وقد اكتشف بعد فوات الأوان ما تمتلئ به نفسه من شَرٍّ، وعَرَفَ ما استوجبه ذلك الشرُّ لدى العدل الإلهى من عقاب، أراد أن يبعث بتحذير إلى إخوته الخمسة الذين كانوا لا يزالون على قيد الحياة فى الدنيا، والذين كانت تتَّصف نفوسهم بمثل ما تتصف به نفسه هو من شرٍّ، عسى أن يتوبوا فلا يكون مصيرهم هو نفس مصيره، ولا يلاقوا بعد موتهم من العذاب ما يلاقى هو. فَتَوَسَّل إلى إبراهيم أن يُرسِلَ لعازَرَ إلى أولئك الإخوة فينذرهم بما ينتظرهم. ولكنَّ إبراهيم رَفَض هذا الطَّلَبَ، لِأَنَّ إخوته وقد نادَى موسى وسائر الأنبياء بينهم بتحذيرات وإنذارات من الله كافية جدًّا لأن تجعلهم - إن كانوا يريدون التوبة حقًّا - يتوبون. ولو أنهم استمعوا إليها لَمَا أعوزهم بعد ذلك أى تحذير أو نذير. ولكنهم صمُّوا آذانهم عنها قاصدين وعامدين، وتجاهلوها معاندين لها، ومتمرِّدين عليها. بَيْدَ أَنَّ الغَنِيَّ الشرِّير أخذ فى هذه المرَّة يجادل إبراهيم قائلاً له إنهم وإن كانوا لم يستمعوا إلى موسى والأنبياء، فإنهم إذا ذَهَبَ إليهم أحد الموتى ووصف لَهُم ما رآه بعينيه وسمعه بأذنيه فسيكون ذلك كفيلاً بتوبتهم. وقد كانت هذه حجة واضحة

البطلان، لأنه كان معلومًا لدى اليهود جميعًا أن أقوال موسى والأنبياء إنما هى أقوال الله نفسه. والله أعلم بما بعد الموت من أى أحد من الموتى. وأصدق منهم جميعًا. ومن ثم أجاب إبراهيم قائلاً إنهم إن كانوا لم يستمعوا إلى موسى والأنبياء الذين كانوا ينطقون بأقوال الله العالم بكلِّ شىء، والصَّادق فى كلِّ ما قال، فإنهم بالأحرى وإن قام أحد الموتى الذين ليسوا إلا بشرًا لا يقتنعون أو يتوبون، وإنما سيظلون فيما هم غارقون فيه من شرٍّ وضلال.

والمعروف أن مَقَال ربِّنا يسوع عن الغَنِيِّ ولعازَرَ الوارد فى هذا الفَصْل هو واحد من أمثاله الجميلة المشحونة بالتعاليم الروحانية السمائية. وهذا لا ينفى أن المَثل هو فى نفس الوقت قصة حقيقة وواقعة تاريخية، إذ أن مخلِّصَنا يفتتحه بما يدلّ على أنه يحكى قصة وقعت بالفعل فيقول «كانَ ثَمَّةَ رَجُلٌ غَنِيٌّ يرتَدِى الأُرجوانَ والَبزِّ»، كما يذكر أشخاص القصة بأسمائهم، ومنهم لعازر الفقير، وإبراهيم الخليل أبو المؤمنين، كما يذكر وقائع حَدَثَت فعلاً، ومنها لعازر المطروح على باب الغنىِّ يشتهى الفتات المتساقط من مائدة الغنى، والكلاب تلحس قروحه، والغنىّ الذى له خمسه إخوة فى العالَمِ يشفق عليهم أن يكون مصيرهم كمصيره. أما الغنىّ، فحقًا أن الربَّ مخلِّصنا لم يذكُر اسمه، ولعلَّ السبب فى ذلك أنَّه شرّير، وفى هذا تعليم لنا حتى لا نقع فى خطيئة إدانة الأشرار، وأما الأبرار فنذكرهم، ولا سيما الذين انتقلوا إلى العالَمَ الآخر، تكريمًا لهم، ولكى ننسج على منوالهم.

وفى هذا المَثَل أو القصَّة الواقعية نلاحظ (أولاً) أن لعازر حملته الملائكة إلى حضن إبراهيم، ممَّايتبينَّ معه أنَّ من بين مهامِّ الملائكة وخدماتهم للنـاس، أنهم يحملون أرواح القدّيسين إلى النعيم، ولم يذكر الربّ يسوع عن الغنىّ أنه حَمَلَته الملائكة بعد موته إلى حضن إبراهيم الذى يرمز إلى مواضع الراحة والنعيم المخصّصة للأبرار والصِّدِّيقين، فَتَحْتَ كَنَفِ إبراهيم أبى المؤمنين يلتقى الأبرارُ والصِّدِّيقون. (ثانيًا) أنَّ الجحيم هو مقرّ العذاب لأرواح الأشرار. ولذلك فإن العذاب فيه عذاب مؤقّت للرُّوح دون الجَسَد لأنَّ الجسَد يبقى فى التراب إلى يوم القيامة العامَّة والحِسابِ العظيم. والجحيم هو عربون العذاب الأبدِىِّ الذى يَشْقَى

بِهِ الأشرار كاملاً فى جهنّم النار الأبَدِيَّة التى سَتُفْتَحُ للأشرار ولإبليس وملائكته بعد يوم الحساب والدينونة العظيم. (ثالثًا) أن مخلّصنا يوضِّح فى المَثَل عذابَ الأشرارِ فى الجحيم الآنَ وَقَبْلَ يومِ الدَّينونةِ، لأنَّه جاء على لسانِ الغَنِيِّ الشِّرِّير أنَّ له خمسة إخوة فى العالَم ما زالوا أحياء، وهو يريدهم ألَّا يأتوا إلى مكانِ العذاب الذى ذَهَبَ إليه هو. (رابعًا) أنَّ قول إبراهيم للغَنِيّ «إنَّ لَدَيهم موسَى والأنبياءَ» دليل على أنَّ المنتقلين إلى العَالَمَ الآخر، على علم بما حَدَثَ وما يحدث فى الأرض، إذ أنَّ موسى والأنبياء جاءوا بعد إبراهيم بمئات السنين. (خامسًا) أنَّ الحوارَ بين الغنيِّ الشِّرير وأبينا إبراهيم برهان على التعارفِ بينِ الأرواح فى العالَم الآخر، فالغنيُّ عَرفَ إبراهيم الخليل مُدْرِكًا أنَّه أبوه، كما عَرَف لعازَرَ باسمِهِ (سادسًا) أن تفكير الغنيِّ فى إخوته الذين فى العالَمَ دليل على أنَّ المنتقلين - ولو كانوا أشرارًا - لا يفقدون بالموت ذاكرتَهم وذكرياتهم، كما لا يفقدون بالموت عواطفهم ومشاعرهم والروابط الإنسانية والتاريخيَّة التى تربطهم بأقربائهم وأصدقائهم. وإذا كان الغَنِيُّ الشِّرِّير لَمْ يَنْسَ إخوته الذين فى العالَمَ، وطَلَبَ أن يذهَبَ إليهم لعازَرُ لينذرهُم بالتَّوبَةِ حتى لا يكون لهم مثل مصيره، فكم بالأحْرَى تكون مشاعِر القديسين من المنتقلين نحو إخوتهم الذين فى العالَم، وكيف بالأَوْلَى تكون رغبتهم فى خلاصهم ونجاتهم، والصلاة عنهم وبذل الجهود فى سبيل إنقاذهم من الهلاك الأبدى. ومن ثم فإن هذا المَثَل من فم مخلِّصنا دليل على أن المنتقلين يتمتعون بالحياة أعظم ما تكون الحياة، بكلِّ الذكريات والمشاعر والعواطف والاهتمامات الروحية. (سابعًا) أن المَثَل نفسه دليل على عدالة الجزاء الأُخْرَوِيِّ، وأنَّ ما يزرعه الإنسان فإياه يحصد أيضًا، وأنَّ المظلوم سيجد فى العالَمَ الآخَر إنصافًا وعدلاً وجزاء صالحًا. وأما الظالم فله عند الله عقابه. ولا رحمة فى العالَمَ الآخر لمن لم يعمل رحمة فى دنياه.



الفصل السابع عشر

١٧ : ١ - ١٠

وقد كانَ مُخلِّصُنَا وفادينا ومعلِّمنا جميعًا لا تسنح فرصة يختلى فيها بتلاميذه إلَّا يعلِّمهم فيها شيئًا مما ينبغى أن يكون عليه سلوكهم نحو الآخَرين ونحو أنفسهم، لتهيئتهم للرسالة العظيمة التى اختارهم لأدائها. ولتهيئَتهِم كذلك ليعلِّموا سائر الناس ما سبَقَ له أَنْ عَلَّمَهم هو، ومِنْ ثَمَّ قال لهم «لابُدَّ أن تَأتِيَ العَثَرَاتُ، وَلَكِنِ الوَيْلُ لِذَلِك الَّذِى تَأْتِى العَثَراتُ بواسَطَتِهِ. كانَ أَجْدَرَ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فى عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحا وَيُطْرَحَ فى البَحْرِ، مِنْ أَنْ يَتَسَبَّبَ فى إعْثارِ أَحَدِ هَؤلاءِ الصِّغَارِ». أَىْ أَنَّ البَشَرَ لِضَعفِ طبيعتهم مُعَرَّضون على الدَّوام لأن يعثروا أثناء مَسِيرَةِ حياتِهم فى هذه الدنيا، فيرتكبوا الخطيئة ويقترفوا الإثم، ومِنْ ثَمَّ يكونون مُعَرَّضين لَدَى العَدْلِ الإلَهى - إنْ لَمْ يندموا ويتوبوا - لأَنْ ينالوا العقاب الذى يستحقُّونه عن خطاياهم وآثامهم. بَيْدَ أَنَّ الذين يستحقون العقابَ الأشدَّ والعذَابَ الأكبرَ والوَيْلَ الذى ليس أشدّ ولا أكبر منه ويل أو هَوْلٌ، هم أولئك الذين يدفعون غيرهم لأن يعثروا، بأن يشجعوهم على ارتكاب الخطيئة، ويدفعوهم إلى اقتراف الاثم، ولا سيَّما رجال الدين ومعلِّميه الذين باسم الدين أو تحت سِتَارِهِ يُضَلِّلون الناس عن حقيقة مبادئهِ وعقائدِهِ، ويُؤوِّلون وصاياه وأحكامه لمصلحتهم الذاتية، فيصوِّرون لهم الشَّرَّ خَيْرًا، والفسادَ بِرًّا. أو يجعلون من أنفسهم فى سيرة حياتهم الشخصية قدوة شريرة فاسدة للناس، ولا سيَّما صغار السِّنِّ، أو قليلى المعرفة والخبرة، الذين سرعان ما يقتدون بهم، فيتحوَّلون من الخير إلى الشَّرِّ، ومِنَ البِرِّ إلى الفسادِ، ومِن حياة الفضيلة إلى موت الرَّذيلة. ومِنْ ثَمَّ تكون جريمة أولئك الذين تأتى العَثَرات بواسطتهم أشنع من جريمة القاتلَ أو المحرِّضِ على القتل، وتكون جريرتهم أبشع من جريرة الزانى أو المحرِّضِ على

الزِّنى. ويكون أجدر بمن يفعل ذلك منهم أن يكون عقابه أشنع وأبشع من كلِّ جريمة يرتكبها بَشَر، إذ يستحقُّ عندئذ أنْ يُطْرَحَ فى البحر بعد أَنْ يُعَلَّقَ فى عنقِهِ أثقل الأثقال كَحَجَرِ الرَّحَا كَىْ يغوص بأسرع ما يكون إلى أعمق الأعماق، فيختنق على الفور فى الماءِ، أو بالأَحْرَى فى اللهيب، ويهلك بأفظع أساليب الهلاك.

ثُمَّ قَالَ مخلِّصنا لتلاميذِهِ «احترِسُوا لِأَنْفُسِكُمْ. فإنْ أَخطأَ إليكَ أَخوكَ فَوبِّخْهُ، فَإِنْ تابَ فاغفِرْ لَهُ. وإن أَخطَأَ إليكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فى اليَومِ، ثُمَّ رَجَعَ إليكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ قائِلاً إنِّى تائِبٌ فاغفِرْ لَهُ». وهذا دَرْسٌ ثمين فى التَّسَامح والغفران ينبغى للتلاميذ وللناس جميعًا أَنْ يَسْمَعُوهُ فى حِرْصٍ واحتراس حتى لا يقعوا هم أنفسهم فى عَثْرَةٍ شرِّيرة هى عَثْرَةُ الحِقْدِ، وربَّما فى عَثْرَةٍ أشدّ شَرًّا وهى شهوة الانتقام. فإن أَخْطأَ إلى أَحَدِهِمْ أخوه، سواء أكان من بنى أَبيه وأُمِّهِ، أو كَانَ من بنى الإِنسانِ على العموم، فلا ينبغى أن يُسَارِعَ إلى الغَضَبِ منه غضبًا أَعْمَى، أو يندفِعَ إلى مُقَابلة ما لحقه منه من ضَرَرٍ مادِىٍّ أو معنوىٍّ بضَرَرٍ مثله أو يخاصمه ويقطع صِلَتَهُ بِهِ، مُعَادِيًا إياه أو معتديًا عليه. وإنما فَلْيُوبِّخْهُ معاتبًا إياه على ما بَدَرَ منه من خطأ عسى أن يتبيَّن له أنه كان وَاهِمًا وظالِمًا لأخيه، أو كان أخوه غير متعمِّدٍ ولا قاصِد الخَطأَ إليه، وعندئذ فليصافحه ويصافيه ويعتذر إليه عَنْ سوُءِ ظَنِّهِ فِيهِ. فَإِنْ تبيَّنَ له أَنَّهُ كان متعمِّدًا وقاصدًا الخطأ بالفِعل إليه ثم أعْرَبَ عن نَدَمِهِ على ما بَدرَ منه وتَوْبَتِهِ عَمَّا أخطأ بِهِ إليه فليغفر له وليسامحه وليمسحْ من نفسِهِ كُلَّ أَثَر للغَضَبِ منه أو الحِقْدِ أو الضغينَةِ عليه، عائدًا إلى مَوَدَّته، حريصًا كلَّ الحِرْصِ على محبَّته. وحتَّى إن أخطأ إليه فى نفس اليوم مَرَّة أخرى أو مرَّات كثيرة مهما كَانَ عددها، ثُمَّ رَجَعَ إليه فى كُلِّ مرة نادمًا تائبًا، فليغفر له كما فَعَل فى المَرَّة الأولى، جاعلاً قدوته فى ذلك أباه السماوىّ الذى فَتَح بَابَ مغفرتِهِ على مِصْرَاعَيْهِ لِكلِّ مَنْ يخطئ إليه من البشَر إلى آخر نسمة فى حياته على الأرض. على أَنَّ فى قَوْلِ مُخَلِّصِنا «إنْ أَخْطَأَ إِلَيكَ أَخوكَ فَوَبِّخْهُ، فإن تَابَ فاغِفرْ لَهُ. وإن أَخْطَأَ إليكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فى اليَومِ ثم رَجَعَ إليك سَبْعَ مَرَّاتٍ قائِلاً: إنِّى تائبٌ، فاغفِرْ لَهُ» بيانًا للسلوك المسيحى نحو المسيئين بصورة تقطع كُلَّ شكٍّ. فقد أعطى مُخَلِّصُنَا له المجد فى شريعته الحقَّ لمن أُسيءَ إليه

أن يوبِّخ مَنْ أساءَ إليه. والتوبيخ ينطوى على العتاب، بل أعطاه ماهو أكثر وهو الحق فى توجيه اللوم. فمعلِّمنا وفادينا الرب يسوع لم يطلب هنا ممن أُسيءَ إليه أن يصفح عمَّن أساء إليه مباشرة وبغير مقابل. وإنما إعطاه أوَّلاً حقَّ العتاب وتوجيه اللوم، فإذا رجع إليه المسيءُ واعتذر له عن خطئه. اعتذارًا صريحًا، قَبِل اعتذاره وتوبته وغَفَر له بروح المسيح والمسيحية، أى أنَّ الغفران هنا مشروط بشرط هو اعتذار المخطئ أو المسيء وتوبته عن خطئه. أما حق العتاب فأمر مقرَّر فى الكتاب المقدَّس، إذ جاء فى سِفْر يشوع بن سيراخ «عاتِبْ صديقَك فلعلَّه لم يفعل. وإن كان قد فَعَلَ فلايعود يفعل. عاتِبْ صديقَك فلعلَّه لم يَقُلْ. وإن كان قد قال فلايكرِّر القَوْلَ. عاتِبْ صديقَك فإنَّ النميمة كثيرة. ولاتُصَدِّقْ كُلَّ كلام. فَرُبَّ زالٍّ ليست زلَّته من قَلْبِهِ. وَمَنِ الذى لم يَخطَأْ بِلِسانِهِ» (ابن سيراخ١٩ : ١٣-١٧). ولقد مارَسَ مُخلِّصُنَا نفسه حَقَّ العتاب وتَوْجِيهِ اللَّوْمِ والتوبيخ عندما صفعه خادم رئيس الكهنة على وجهه، إذ «أجابه يسوعُ : إنْ كُنْتُ قد غَلِطْتُ فى كلامى فقل لِى فِيمَ غَلِطْتُ، فإن كنت قد تكلَّمت بالصواب فلماذا تضربنى؟» (يوحنا ١٨ : ٢٣).

بيد أن رسُلَ مُخلِّصنا بدا لهم ذلك الصفح عن الإساءة وذلك الغفران للمسيء أمرًا فوق الطاقة، إذ أن تعاليمه لهم وللبشر جميعًا تحتاج إلى قدر عظيم عميق من الإيمان لاستيعابها والعمل بها. وإذ كان التلاميذ لا يزالون فى بداية الطريق إلى ذلك الإيمان العظيم العميق، قالوا للربِّ «زِدْنَا إيمانًا». أى حدِّثنا عن ذلك المَدَى من الإيمان الذى نستطيع به أن نمتلك تلك القُدْرَة التى لا حَدَّ لها على الغفران، وامنحنا من الإيمان القَدْر الذى يؤهِّلنا لامتلاك تلك القدرة، فقال الربُّ «لو كانَ لَدَيْكُم من الإيمانِ مِثْلُ حَبَّةِ الخَرْدَلِ، لَقُلْتمْ لشَجَرَة التُّوتِ هَذِه انْقَلِعى مِن جُذورِكِ وانغَرِسى فى البَحْرِ فَتُطيعُكُم». أى أنهم لو كان لديهم من الإيمان الحقيقىِّ الرَّاسخ الصَّلْبِ الذى لا تَشُوبه شائبة من الشكِّ أو تُخالِطُهُ ذَرَّة واحدة من الرِّيبة أو التردُّد أو التأرجُح أو الحيرة ولو قدرًا ضئيلاً جدًّا لا يزيد فى حجمه على حَبَّة الخَرْدَل التى هى أصغر البذور حجمًا، لكان هذا القدر كافيًا وكفيلاً بأن يهبهم القُدْرَةَ على

صُنْعِ ما يبدو للناس من المعجزات أو المستحيلات. كأن يأمروا شجَرَةَ التُّوت التى كانت أمامهم عند ذاك بأن تنقلع من جذورها وأن تنغرس فى البحر لأطاعتهم وانقلَعَتْ من هُنَا على الفور وانغرست هُناكَ. ولعلَّ هذه المعجزة على غرابتها وما يبدو من استحالتها لا تساوى شيئًا إذا قُورِنَتْ بالمعجزات التى صنَعها التلاميذ بالفِعْلِ فيما بعد حين اكتَمَلَ إيمانهُم، إذ استطاعوا بقوة ذلك الإيمان بالربِّ مخلِّصهم ومُخَلِّصنا أَنْ يأمروا المُقعَدَ الكسيح أن يقومَ ويمشى فكان يقوم ويمشى (الأعمال ٣ : ١ - ١٠). بل استطاعوا أن يأمروا روح الميت بأن تعود إليه بعد أن فارقته فكانت تعود (الأعمال ٩ : ٣٦ - ٤١).

ثم تكلَّم مخلِّصنا مع تلاميذه عن وجوب خدمتهم لله دون أن يتوهموا إذا خدموه أنهم بذلك يداينونه، بل أَنْ يدركوا أنهم مهما خدموا الله فلن يستطيعوا أن يسدّدوا ما عليهم من دَيْنٍ له يتمثَّل فيما أغدقه عليهم من نعمة وبَركة لا حدود لها، وأَنَّهم مِنْ ثَمَّ سيظلُّون مدينين له إلى الأبد، إذ ضرب مُخلِّصُنَا لهم مَثَلاً يوضِّح لهم به هذا المعنى قائلاً لهم «مَن منكم إن كان له عبدٌ يَحْرِثُ أو يَرْعى، إذا عَادَ من الحَقلِ يقول له من فَوْرِه : هَلُمَّ اجلِسْ إلى المائِدَةِ؟ ألا يَقولُ لَهُ بالأَحْرَى هَيِّئْ لى العشاءَ، ثمَّ تَطَوَّقْ بِحِزامٍ واخدُمْنِي حَتَّى آكُلَ وأشرَبَ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تَأْكُلُ أَنْتَ وَتَشْرَبُ؟ فَهَلْ عَلَيهِ أن يَشْكُرَ ذَلِكَ الخادِمَ لِأَنَّه فَعَلَ ما أَمَرَهُ به؟ هَكَذا أَنْتُم إذا فَعَلْتُم كُلَّ ما تُؤْمَرون به، فقولوا إنَّنا عَبيدٌ لا نَسْتَحِقُّ الشُّكرَ، لِأَنّنا إنَّما فَعَلْنا ما كانَ واجِبًا عَلَيْنا أن نَفْعَلَهُ». وذلك أن الله هو سيِّد البَشَر، وقد كلَّفَ كُلًّا منهم بِعَمَلٍ يؤدّيه. حتى إذا أدَّاه لا يحقُّ له بعد ذلك أن يظنَّ أنَّه قَدَّم لِلَّهِ صنيعًا يستحقُّ من أجله أن ينالَ منه المكافأة على الفَوْرِ، وإنما الواجب عليه أن ينتظر لِيَتلقَّى منه أَىَّ تكليف بعمل آخر يتضمَّن خدمة الله فى استعداد عظيم وتعبُّد كامل. حتى إذا أنجز كُلَّ ما كلَّفه به الله يَحِقُّ له عِنْدَئِذٍ أَنْ يتطلَّع لأنْ يجلس إلى المائدة الإلهية لِيَنْعَمَ بما تزخريه من بَرَكات روحيَّةٍ وامتيازات سماويَّة. ومع ذلك لا يحقُّ له أن يَظُنَّ أَنَّ الله مدين له بالشُّكر لأنه فَعَلَ ما أمَرَهُ بِهِ، ومِنْ ثَمَّ يتسلَّط عليه الغرور أو تسيطر عليه الكبرياء، متوهِّمًا أنه قدَّم لله بذلك فضلاً، لأنَّ خدمته لِلَّهِ إنما هى واجب عليه باعتبار الله

سيِّده، ولأنه مهما بذَل فى خدمته، فلن يوازى ذلك شيئًا بالنِّسبة لفضل الله عليه، وإنما فليعترف بينه وبين نفسه، وبينه وبين الله، فى وداعة وتواضُع، أنه لا يستحق الشُّكر ما دام لم يفعلْ أكثر مما هو واجب عليه أن يفعله، وأنَّ سماح الله له بالجلوس إلى مائدته الإلهية لا يرجع إلى أنه مدين له بشيءٍ، وإنما ينبع من محض صلاح الله وَجوُدِهِ ونعمتِهِ وحنانِهِ ومحبَّتِهِ، ومِنْ سائر صِفاتِ كماله.

١٧ : ١١ - ١٩

وفيما كان مخَلِّصُنا ذاهبًا إلى أورشليم، مَرَّ فى طريقه إليها فى وسط السَّامرة والجليل. وإذ دَخَل إحدى القُرَى قابَلَهُ عَشَرَةُ رجالٍ مُصَابون بمَرَضٍ شنيعٍ بَشعٍ هو البَرَصُ، الذى كان منتشرًا انتشارًا كبيرًا بين اليهود، وكان يتعذّر شفاؤه. وإذ كان اليهود يعتبرون الأبرص نجسًا لا يصحُّ له أن يقترب من النَّاس أو يخالطهم، ولا يصحُّ للناس أن يقتربوا منه أو يخالطوه، بل لا يصحُّ لهم أن يَلْمَسُوهُ، فقد وَقَفَ أولئك العشرةُ من بَعيدٍ حين أبصروا مخلِّصَنَا، لا يجرؤون على الاقتراب منه. وإذ كانوا قد سمعوا بمقدرته على شفاء الأمراض التى لا سبيل إلى شفائها، رفعوا أصواتهم فى تَوَسُّلٍ وَضَرَاعةٍ قائلين «يا يَسوعُ المعَلِّمُ اِرْحَمْنا». وقد برهنوا بقولهم هذا على إيمانهم بقدرته وعلى إجلالهم له إذ لقّبوه بالمعلِّم، وقد كان هذا لقبًا جليلاً عند اليهود لا يلقِّبون بِهِ إلَّا كبار علمائهم وفقهائهم الدينيين. وكان إيمانهم به وإجلالهم له يتضمَّن يقينهم بأنه قادر على أن يرحمهم من الآلام الفظيعة التى يعانونها من جَرَّاء مَرَضِهِم اللعين، ومن جرَّاء ما يجرُّه عليهم ذلك المَرَض من نَبْذِ النَّاس لهم، ونفورِهِم منهم، ومِنْ ثَمَّ حرمانهم مِمَّا يتمتَّع به غيرهم من أسباب العيش الكريم، مما كان يسبِّب لهم من الآلام النفسية بقّدر ما كان يُسبِّب لهم من الآلام الجسَدِيَّةِ، وَرُبَّمَا أكثر بكثير، وإذ رأى مخلِّصُنا إيمانهم رحمهم بالفعل من شقائهم وتعاستهم، وقرَّر شفاءهم بمجرَّد إرادته الداخلية وحدها، دون أن ينطق كلمة واحدة. بَيْدَ أنَّه إذ كانت الشريعة اليهودية تُحتِّم على الأَبْرَصِ الذى تَمَّ شفاؤه أن يذهَبَ إلى الكَهَنةِ ليعلنوا شفاءه (اللاويين ١٤ : ١ - ١٤). وإذ كان مُخَلِّصنا

أثناء وجوده على الأرض يعمل بأحكام الشريعة ولا يخالفها، نَظَر إلى أولئك العشَرة وقال لهم «اذْهَبوا أَرُوا أَنْفُسَكُم لِلْكَهَنَةِ». فأطاعوه فى غير شكٍّ أو ريبة فى أنه قد استجاب لهم واتجهت إرادته إلى شفائهم. وبالفعل فإنهم فيما كانوا ذاهبين برئوا من مرضهم، ومِنْ ثَمَّ طَهرُوا من النجاسة التى كان ذلك المرض يلصقها بهم. ولعلَّ مخلِّصنا إذ أمرهم بأن يذهبوا إلى الكهنة بعد شفائهم أراد - فضلاً عن إتمام ما أوصَت به الشريعة - أن تكون هذه المعجزة شهادة لدِى الكهنة بقدرته الإلهية، عسى أن يكون فى ذلك سبيل إلى إيمانهم، وباب للخلاص الذى كان يفتحه للبشَر جميعًا ويدعوهم لأن يدخلوا منه وينعموا بنعمته.

وإذ رأى واحد من أولئك العَشَرة الذين استجابَ مُخَلِّصُنَا لِضَراعتَهِم أنه بَرِئٌ من مَرضه، أحسَّ بالواجب عليه نحو ذلك الذى بمعجزته التى صنعَهَا معه رحمه من تعاسته وأنقذه من محنته، فَرَجَعَ يُمَجِّدُ اللّهَ بِصَوتٍ عَظيمٍ، وَخَرَّ على وَجْهِهِ عِندَ قَدَمَىْ مُخَلِّصنا شاكِرًا إيَّاه، مُقَدِّمًا إليه أروع فروض التَّقديس والتبجيل وعِرفَانِ الجميل. مع أنَّ هذا الرَّجُلَ بالذَّات كَانَ سامِريًّا مِمَّنْ كانَ اليهودُ ينكرون عليهم انتسابهم إليهم، ويعتبرونهم ملعونين من الله، لأنهم - على الرَّغم من أنهَّم كانوا من أصلٍ يهودِىٍّ - كانوا لا يقبَلُون من أسفار التَّوْراةِ إلا أَسفارَ مُوسَى. وكانوا لا يقدمون قرابينَهم فى هيكل أورشليم وإنَّما فى جبل جرزيم. وأما التسعة الباقون الذين شفَاهُم مُخَلِّصُنَا فمع أنهَّم كانوا يهودًا لم يعودوا إلى مُخَلِّصِنَا ليشكروه على نعمة الشِّفاءِ التى أنْعَمَ بها عليهم، مِمَّا دَلَّ على ظلام قلوبِهم، ونكرانهم للجميل الناشئ عن غِلْظَةِ مشاعرِهم، ومِنْ ثَمَّ قال مُخَلِّصُنَا فى عِتَابٍ مَرير «أَلَيْسَ العَشَرَةُ قد طَهرُوا، فَأَينَ التِّسْعَةُ الآخَرونَ؟ أَمَا مِنْ واحِدٍ مِنْهم رَجَعِ لِيُمَجِّد اللّهَ إلا هذا الْمَختلِفُ الجِنْسِ؟»، أى هذا السَّامِرِىّ الذى كان اليهود يعتبرونه مِنْ غَيْر جِنْسِهِم. ثم التفَت مُخَلِّصُنَا إلى هذا السَّامِرِىِّ الذى أَبْدَى من نَقَاءِ القَلْبِ وَرِقَّةِ الشُّعُورِ مَا لَمَ يَصْدُرْ عن أولئك الذين كانوا يتفاخرون فى زَهْوٍ وكِبرْياءٍ بيهودِّيتهم، قائلًا له «انْهَضْ وامْضِ فى سبيلِكَ. إنَّ إيمانَكَ قد خَلَّصَكَ». فبِقدرْ ما ندَّد مُخَلِّصُنَا بمسلك أولئك اليهود التسعة الذين ذهبوا دون أن يَسْمَعَ منهم كَلِمةَ شُكْرٍ

واحِدةٍ على رَحْمَتِهِ لهم ونعمَتِهِ التى أسداها إليهم، مَجَّدَ ذلك السَّامِرىَّ الذى رَجَعَ شاكِرًا إياه معبِّرًا عن أَصْدَقِ آيات الإيمانِ بِهِ، وأَعْمَقِ مَشَاعِرِ الامتنانِ والعرفان بفضله والتكريم والتعظيم له. ومِنْ ثَمَّ أَعْلَنَ لهُ مُخَلِّصُنا أَنَّهُ لم يَشْفِهِ من مَرَضِهِ فقط، وإنما قَضَى بخلاصِهِ أيضًا، غافِرًا بذلك له خَطَايَاهُ، مُسْبغًا عليه فَضْلاً فَوْقَ فَضْلٍ، ونعمةً فوق نِعْمَةٍ.

١٧ : ٢٠ - ٣٧

وقد سأَلَ الفرِّيسيُّون مُخَلِّصَنا أثناء تعليمه الجُمُوع قائلين «مَتى يَأْتِي مَلَكُوتُ اللَّهِ؟». والرّاجح أنهم لم يكونوا يَقْصدون من سؤالهم هذا أن يستفيدوا من تعليم مُعَلِّمِنَا وَإنْ تَظَاهروا بذلك، لأنهُمْ كانوا على الدَّوام قد أغلقوا عقولهم وقُلُوبهم عن أن يستفيذوا من تعاليمه، بل لقد كانوا على الدَّوام مُعَانِدِين لها متمرِّدين عَلَيها. وإنَّما سَأَلوه كعَادَتهم ليتصيَّدوا من إجابته تُهْمَةً يوجِّهونها إلَيْهِ ليهلكُوه بمقتضاها. وقد كانوا يعتقدون أن مَلكوتَ اللّهِ هُوَ مَلَكوتٌ أرضيٌّ يؤسِّسُهُ المسيح الذى كانوا ينتظرونه ليعيد إليهم مَجْدَ مملكَةِ داوُد، ويقودَهُم إلى غَزْوِ العَالَمَ والتسلُّطِ على كُلِّ شعوبه، ومِنْ ثَمَّ كانوا يقصدون بالسؤال الذى وجَّهوهُ إليه أن يُجَاهِرَ بأَنَّه هو المسيح الذى ينتظرونه، وأَنْ يُحدِّدَ المَوْعِدَ الذى سيقوم فيه على هذا الأساس بثورته ضِدَّ الرومان لِيَطرِدَهم وَيَجْلِسَ هو عَلى عَرْشِ إسرائيل، فتكون هذه هى التهمة التى نصبُوا هذا الفخَّ ليلقوا به فى حبائِلِهَا وَيَشُوا بِهِ لَدَى الرومان لَيَقْتُلُوهُ. وَقَدْ عَلِمَ فادينا بحقيقة مَقْصِدِهِم، فَفَضَحَ - بطريقٍ غير مُبَاشِرٍ - تدبيرَهم الذى يُضْمِرونَهُ، وَأَوْضَحَ لهم - بطَريقٍ مُباشِر - أَنَّ هَذَا التَّدْبيرَ إِنَّمَا نَشَأَ عن جَهْلِهم وعن سوءِ فَهْمِهِم لمَلَكُوتِ الله عَلى حقيقته، إذ أجابَهُمْ قائلاً «إنَّ مَلَكوتَ اللّهِ لا يأتى بترَقُّبٍ، فَلا يُقَالُ هُوَذَا هُنا أو هُوَذا هُنَاكَ، لأَنَّ مَلكوتَ اللّهِ إنَّما هو فى داخلِكم». أىْ أَنَّ مَلَكوتَ اللّهِ ليس مملكةً أرضيَّةً ليترَقَّبُوا قيامها فى أىِّ زمانٍ مِنَ الأَزمنة أو مكانٍ من الأمكنة، ويتطلَّعوا إلى ما يرتّبونه فى فَهمهم الخاطِىءِ على قِيامِها من نَتَائجَ وآثارٍ دنيويَّةٍ، وإنما هُوَ مَلَكوتٌ روحِيٌّ سمَاوىٌّ تَسودُ فيه شريعة الله على الأرض كما هى

سائدة فى السَّماءِ، ولو شاءوا أن يفهموه على هذا الوجه ويقْبَلُوهُ على هذا الاعتبار لو أنهَّمُ فَتحوا عُقُولَهُم وقلوبَهُم لقَبُول تعاليمه التى تُبَشِّرُهُم بهذا المَلَكُوتِ وتدعُوهُم إِلَيْهِ، فإنهَّم لن يلبثوا أن يجدوه فى داخلهم فى هذه اللحظة ذاتها التى يوجِّهون فيها سُؤَالَهُم إِلَيْهِ.

وبعد أَنْ أَفْضَى مُخَلِّصُنَا بهذِه الحقيقة إلى الفرِّيسيِّين ليُحْبِط مكيدتهم هذه، ويعلِّمهم ما لم يكونوا يعلمون، ويوجِّهَهُم إلى الفَهْمِ الصحيح لِما لم يكونوا يفهمون، استخدم هذه الفُرْصةَ ليكشِفَ لتلاميذه على الخصوصِ بعض جوانِبِ هذه الحقيقَةِ بِصَدَدِ ذلك المَلَكوتِ الإلهيِّ الذى كانوا هم أيضًا بتأثير الفهم السائد لَدَى اليهودِ يخطئون فَهْمَ كُنْهِهِ، ويظنُّون أنَّه مملكة دنيويَّة سيقيمها على الأرض معلِّمُهُم الذى آمنوا بأنَّه هو المسيح الذى تنبَّأ بمجيئه الأنبياءُ، وأنهم سيكونون هم أمراءَ هذه المملكة ووزراءها، فقال لهم «سَتَأْتِى أيَّامٌ تَشْتَهُونَ فيها أن تَروا يَوْمًا واحِدًا مِنْ أيَّامِ ابنِ الإنسانِ فَلا تَرونَ. وَسَيَقُولُونَ لَكُم إنّه هُنا أو هُنَاكَ، فلا تَذْهَبوا ولا تَتْبَعُوهُم. لأَنَّهُ كما أَنَّ البَرْقَ الذى يَبْرُقُ فى ناحيةٍ مِنَ السَّماءِ يُضىءُ فى الناحيةِ الأُخْرَى منها، هكذا سيكون مَجِىءُ ابنُ الإنسانِ فى يَومِهِ. وَلَكِنَّهُ يَنْبَغِى أوَّلًا أن يُعانِىَ آلامًا كَثيرةً، وأن يَرفُضَهُ هذا الجيلُ. وَكَما كانَ فى أَيَّامِ نُوحٍ، هَكَذا سَيَكُونُ أيضًا فى أيَّامِ ابنِ الإنسانِ. فقد كانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَّخِذُ الرِّجالُ زَوْجاتٍ وَتَتَّخِذُ النِّساء أزواجًا إلى يومِ أَنْ دَخَل نُوحُ الفُلْكَ فجاءَ الطُّوفَانُ وأَهْلَكَ الجَميعَ. وَكَما كانَ فى أيَّامِ لُوطٍ، إذ كانوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَشْتَرُونَ وَيَبيعُونَ وَيَغْرِسُونَ وَيَبْنُونَ، ثُمَّ يَوْمَ أن خَرَجَ لوطٌ من سَدُوَم أَمْطَرَت السَّماءُ نارًا وكبريتًا فَأَهْلَكَتِ الجَميعَ، هَكَذا يكونُ فى اليَوْمِ الّذِى فيه سَيَظْهَرُ ابنُ الإنسانِ. فَمَنْ كَانَ فى ذَلِكَ اليَوْمِ عَلَى السَّطْحِ وأَمتِعَتُه فى البيْتِ فلا يَنْزِلْ ليَأْخُذَها. وَمَنْ كَانَ فى الحَقْلِ فلا يَرْتَدَّ أيضًا إلى الوَراءِ. تَذَكَّرُوا زَوْجَة لوطٍ. لأَنَّ مَنْ سَعَى لِأَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُها، وَمَنْ أَهْلَكَهَا يُحْيِيهَا. أَقولُ لَكُم إنَّه فى تِلْكَ الليلةِ سيَكونُ اثنانِ فى فِراشٍ واحِدٍ، فَيُؤخَذُ أَحَدُهُما ويُترَكُ الآخَرُ، وَسَيَكونُ اثنتانِ تَطْحَنانِ مَعًا، فتُؤخَذ إِحْدَاهُمَا وَتُتْرَكُ الأُخْرَى. سَيَكونُ اثنانِ فى الحَقْلِ فَيؤخَذُ أَحدُهُما ويُترَكُ الآخَرُ».

أىْ أنَّ التلاميذَ لا ينبغى أن يتوقعوا - كغيرهم من اليهود - مملكة أرضية، ولا ينبغى أَنْ يتوهَّمُوا أنَّهم إذ سيكون هو المِلِك على هذه المملكة سيكونون هم العظماء فيها، وإنما فليُدْركوا أَنَّ ذلك الجيل من اليهود الذى كانوا معاصِرين له سيرفضونه، ويعذِّبونه ألوانًا من العذاب يعانى من جَرَّائها كثيرًا من صنوف الآلام. ثُمَّ إذ يقتلونه ويصعد إلى السماءِ بعد قيامته، سيجدون أنفُسَهُم كاليَتَامى، يشتهون أن يَرَوْا يَوْمًا واحدًا من الأيام التى كانوا ينْعَمُون فيها بصُحبَتِهِ والاستماعِ إلى تعالِيمِهِ، والاستمتاع بالنِّعمةِ التى يُسْبِغُهَا عليهم، فلا يرون ذلك اليوم الذى يشتهونه. وإنما سيحدث على العكس أَنْ يحاوِلَ كثيرون أن يُقنعوهُم بأنَّهُ لم يَكُنْ هو المسيح الحقيقى، وإنما ذلك المسيح الحقيقىّ قد ظَهَر هُنَا أو هُنَاكَ ليقضوا على إيمانهم به. ومِنْ ثَمَّ حذَّرهم مخلِّصنا من أن يصدِّقوهم فيما يقولون أو يذهبوا وراءَهم حيث يزعُمون، أو يتبعوهُم إلى حَيْثُ يقودونهم، لأَنَّ مجيئه الحقيقىّ، أى انتصار إنجيله، وسيادة ملكوته الرُّوحىّ السَّمائى على الأرضِ، مهما تأخَّر ومهما لَقِىَ من مقاومة وعنادٍ واضطهاد، فإنه لن يلبث أن يسطع ضوءُه فى أىِّ مكانٍ من الأرض كلِّها، كالبرقِ الذى إذا سَطَعَ فى أىِّ ناحيةٍ من أنحاءِ السَّمَاءِ يمتدُّ ضياؤه على الفَوْر فى النَّاحية الأُخْرَى منها. فلئن لَقِىَ تلاميذ مخلِّصنا كُلَّ صنوف العَنتِ والعَسْفِ والعُنفِ والآلام والأوجاعِ من المقاومين لملكوته والمعَانِدِين لإنجيله والمُضْطَهِدين للمؤمنين به، فلا ينبغى أَنْ يضعفوا أو يفزعوا أو يتضعضعوا، لأَنَّ مجىءَ مَلَكوتِهِ بانتصارِ إنجيله وإن يكُنْ مصحوبًا بالنقمة والهلاك على مُقاومِيهِ وَمُعَانِدِيه ومضطهِدِيه من أبناءِ الأمة اليهودية على يَدِ الرُّومان الذين سيجيئون إليهم ويقضون عليهم، فإنهم هم الذين آمنوا به وصمدوا فى إيمانهم سينجون من هذه النقمة والهلاك، إذ سيمدّ يده الإلهية وينقذهم باعتبارهم رعيته ومختاريه.

وسيحدث عندئذ ما حدث فى أيام نوح، حين كان الناس تاركين طاعة الله متمردين عليه، منهمكين كلَّ الانهماك فى اهتمامات الدنيا، ومنغمسين كُلَّ الانغماس فى شهواتها وملذَّاتها، يأكلون ويشربون ويتزاوجون، عابدين الجسَدَ والجسديات، مهملين الرُّوح والرُّوحيَّات. حتى إذا غضب الله لذلك عليهم وقضى

بهلاكهم اختار الصالحين منهم وفى مقدِّمتهم نوح وأدخلهم الفُلك لينجيهم، ثُمَّ صبَّ طوفانه على مَنْ عَدَاهم من أهل الأرض جميعًا فأهلكهم. كما أنه سيحدث عندئذ ما حدث فى أيام لوط، حين كان الناسُ أيضًا فى مدِينة سَدُومَ تاركين طاعةَ الله، متمرِّدين عليه، منهمكين كُلَّ الانهماك فى اهتمامات الدنيا ومنغمسين كُلَّ الانغماسِ فى شهواتها وملذّاتها، يأكلون ويشربون ويشترون ويبيعون ويغرسون الأشجارَ ويبنون الدِّيار، عابدين هم أيضًا الجسَدَ والجسَدِيَّات، مهملين الرُّوح والرُّوحِيَّات. حتى إذا غضب الله عليهم وقضَى بهلاكهم، اختار الصّالحين منهم وفى مقدِّمتهم لوط وأَمَرَهُم بالخروجِ من سَدُومَ، حتى إذا خَرَجوا صبَّ نارًا وكبريتًا عَلى مَن عَدَاهُم من أهل تلك المدينة فأهلكهم جميعًا. وهذا هو الذى سيفعله مخلِّصُنا حين يُسخِّرُ الرُّومانَ لتنفيذ حكمه بهلاك الأمة اليهودية، فعندئذ سيعمل على نجاةِ المؤمنين به من هذا الهلاك. ومِنْ ثَمَّ نَصَحَ مُخلِّصُنا تلاميذه وكُلَّ الذين سيكونون قد آمنوا به فى اليوم الذى حَدَّده لهذا الهلاك، بِأَنَّهُم متى رَأَوْا الرُّومان قد حاصَروا أورشليم فليهربُوا منها على الفَوْرِ غير مبطئين لأىِّ سَببٍ مِنَ الأسبابِ، حتى ينزِلَ الذى يكون منهم عندئذ على سطح بيته إلى الطريق مباشرةً ولا يُفكرِّ حتى فى أن يدخل حجرات بيته ليأخذ معه بعضَ أمتعته، والذى يكون منهم فى الحقل خارجَ المدينة لا يُفكِّر فى أن يعود إليها لأىِّ سَبَبٍ من الأسباب، وإنما ينطِلق هاربًا فى شِعَابِ الجبال تاركًا كلَّ ما لَهُ من أمتعة وأموال، لأَنَّ إنقاذَ حياتِهِ أَهَمُّ وأثمنُ من كُلِّ أمتعتِهِ وأموالِهِ. ولأَنَّ الذى وَهُوَ هارِبٌ مِنَ المدينَةِ إذا نَظَرَ خَلْفَهُ إلى ما تَرَكَ فيها إنما يَدُلُّ بذلك على أنَّه لا يزال مُتَعَلِّقًا باهتمامات الدُّنيَا ومقتنياتها لا يُرِيدُ أَنْ يُفَارِقَهَا، فيكونُ مَثَلُهُ فى ذَلِكَ مَثَلَ زوجَةِ لوط التى وهى هارِبة معه بأَمْرِ الله من سَدُومَ نَظَرتْ خَلْفهَا فبرهَنَتْ بذلك على أنها مازالت متعلِّقة بتلك المدينةِ الفاسِدَة الفاسِقَةِ، ومِنْ ثَمَّ عاقَبهَا، اللّهُ بِأَنْ أحالَهَا على الفَوْر إلى عَمُودٍ من المِلْحِ (التكوين ١٩ : ٢٦). وَمِنْ ثَمَّ قَالَ مُخَلِّصُنا لتلامِيذِه محذِّرًا «تذكَّروا زوجَةَ لوط»، أى تَذَكَّروا ما حَدَثَ لِهذِهِ المرأةِ حين أَبْدَتْ تعلُّقَهَا بما فى مدينتها من فَسادٍ وفِسْقٍ، وما كَانَ يتضمَّنهُ ذلك مِنْ رَغْبةٍ فى الارتدادِ عن الطَّريق الذى أراده الله لخلاصها وإنقاذِها

مِنَ الهلاكِ. ولذلك استحقَّت أن تهلكَ هى الأُخرى بتلك الطريقة ذات المغزَى العميق التى دبَّرها اللّهُ بِحِكمتِهِ وعَدَالَتِهِ.

وإن كان مُخَلِّصُنَا فى هذه العباراتِ التى أفْضَى بها إلى تلاميذه يعنى ما سيحدُثُ فى يوم هلاكِ الأمَّةِ اليهودِيَّة، وما ينبغى على تلاميذِهِ وسائِر المؤمنين بِهِ أن يفعَلُوا فى ذلك اليَوْمِ لخلاصِهِم، فإنَّه كَانَ يعنى أيضًا، وربما فى المقام الأَوَّل، ما سيحدث فى يوم الدينونَة الأخير الذى سَمَّاه يومَ ابن الإنسان، والذى سيأْتى فيه هو ليدين البَشَر جميعًا فيقضى بخَلاص الأبرارِ وهَلاَك الأشرارِ طالِبًا إلى تلاميذِهِ وإلى البشَر جميعًا أَنْ يهربوا من الاهتمامات الدنيوية إلى الخَلاَص الأَبَدِيِّ فى مَلَكوتِ السَّمَاوات، لأنَّه سيجىء بغتة فى ذلك اليوم الذى لا يعلمه أَحَد، مضيئًا بنورهِ الإلهيِّ الكَوْنَ كُلَّه فى وقْتٍ واحدٍ ولحظة واحدة. وسيكون الأشرارُ مِنَ النَّاسِ عندئذ تاركين طاعةَ اللّهِ متمرِّدين عليه منهمكين كلّ الانهماك فى اهتمامات الدُّنيا ومنغمسين كُلَّ الانغِمَاس فى شهواتها ومَلَذَّاتها، يأكلون ويشربون ويتزاوجون ويشترون ويبيعون ويغرسون الأشجارَ ويبنونَ الدِّيار، عابدين الجَسَدَ والجَسَدِيَّاتِ، مُهملينَ الرُّوح والرُّوحيات. فأولئك سيهلكهم المسيح الدَّيَّانُ شَرَّ هلاك. وأمَّا الأبرارُ من النَّاسِ الذين آمنوا بالمسيح وعملوا بتعاليمه، تاركين حياة الجسَدِ إلى حَيَاةِ الرُّوحِ، ونابذين الاهتمام بالجسَدِيَّات، حاصِرينَ كُلَّ هَمِّهم واهتمامهم فى الروحيَّات. فأولئك هم مُخْتارو المسيح الذين سينقذهم من الهلاك ويَضُمُّهم إلى أحضانِ ملَكوتِهِ ليجعلهم رعيته فى ذلك المَلَكوت ورعاياه. لأَنَّ مَنْ سَعَى إلى الخَلاَصِ بانتهاجِ حَيَاةِ الرُّوح مُهْلِكًا بذلك فى نفسِهِ حياةَ الجَسَدِ، يستحقُّ الخَلاَصَ والحياةَ الأبدِيَّة فى مَلَكوتِ المسيح الذى هو مَلَكوتُ السَّمَاوات. وأمَّا مَن انهمَكَ فى حَيَاةِ الجَسَدِ مُهْلِكًا بذلك فى نفسِهِ حَيَاةَ الرُّوح فإنَّه لا يستحِقُّ إلَّا الهلاَكَ الأَبَدِيَّ. وبذلك ينقسمُ النَّاس فى ذلك اليَوم الرَّهيب المهيبِ - فى عَمَلِيَّة فَرْزٍ دقيقة - إلى فريقين، ولو كانوا إخوة يعيشون معًا فى بَيْتٍ واحدٍ، أو زَمَلاء يشتركون مَعًا فى عَمَل واحدٍ. فَرُبما كان اثنان نائمين معًا فى فراشٍ واحِدٍ فيهلَك الشِّرير منهما ويخلُص البارُّ. وربمَا تكون اثنتان تطحنان معًا على رَحى واحدةٍ فتهلك

الشِّريرة وتخلُصُ البَارَّةُ. وربما يكون اثنان يعملان معًا فى حقلٍ واحِدٍ فيهلك أَحَدُهُمَا لأنَّه من الأشرار ويخلُص الثَّانى لأنَّه من الأبرار. وإذْ قال مُخَلِّصُنا ذلك سَأَلَهُ تلاميذُه قائلين «أين يارَبُّ؟»، أَىْ فى أىِّ مَكَانٍ ستَحْدُث عمليَّةُ الفَرْزِ هذه بين الأشرار والأبرار؟. فأجابهم الربُّ قائلًا «حَيْثُما تَكُنِ الجُثَّةُ فَهُنَاكَ تَجْتَمِعُ النُّسُورُ»، أى أَيْنَمَا يوجد الأشرار فسيهلكون، وأَيْنَمَا يوجَدُ الأبرارُ فسيخلُصُونَ، لأنه كما أنه حيثما توجد جثَّة الفريسة ترقبها على الفور أَعْيُنُ النُّسور التى هى مَضْرَبُ المَثَلِ فى حِدَّةِ البَصَر، فتنقضُّ عليها وتختطفها، هكذا فإنه حيثما يوجَدُ الأشرار تَرْقبهم عَيْنا المسيح الدَّيَّان التى لا يحتجب عنها إنسانٌ، فيختطفهم إلى نارِ جهنم الأبدِيّة، وحيثما يوجد الأبرار تَرْقبهم عيناه فيختطفهم إلى النعيم الأبدى.

الفصل الثامن عشر

١٨ : ١ - ٨

وكما كان فادينا يُصَلِّى فى كُلِّ حينٍ ولا يفْتُرُ عن الصَّلاَةِ ولا يملُّ منها أبدًا، طَلَبَ إلى تلاميذه وإلى كلّ المؤمنين به أَنْ يُصَلُّوا هُمْ أيضًا فى كلِّ حين، ولا يَفْتُروا أو يَمَلُّوا. ولكى يوضِّحَ لهم أَثَرَ المداومة على الصَّلاة والإلحاح واللجاجة فيها، ضَرَبَ لهم هذا المَثَلَ قائلًا «كانَ فى مَدِينَةٍ قاضٍ لا يَخَافُ اللّهَ ولا يَهابُ إِنْسانًا وكانَ فى تِلكَ المدِينَةِ أَرمَلَةٌ لاَ تفْتَأُ تَجِى إليهِ قائِلَةً: اقْتَصَّ لى مِن خَصْمِى. فَظَلَّ زَمانًا لا يَشَاءُ ذَلِكَ. بَيْدَ أَنَّهُ بَعْدَ ذَلِك قَالَ فى نَفْسِهِ: وَإِنْ كنتُ لا أَخَافُ اللّهَ وَلاَ أَهابُ إنْسانًا، فإنَّنى مِنْ أَجْلِ أَنَّ هَذِهِ الأرمَلَةَ لا تَفْتَأُ تُزْعِجُنى، سَأَقْتَصُّ لَها حَتَّى لا تُرْهِقَنى بمَجِيئِها المسْتَمِرِّ». ثم قال الرَّبُّ: «اسْمَعوا ما يَقولُ القاضى الظَّالِمُ. أفَلاَ يَقْتَصُّ اللّهُ لِمُخْتَارِيهِ الّذين يَصْرُخُونَ إليهِ نَهارًا وَلَيْلًا؟ أَيَتَمَهَّلُ عَلَيْهِم؟. أقولُ لَكُمْ إنَّهُ يَقْتَصُّ لَهُمْ سَرِيعًا. وَمَعَ ذَلِكَ مَتَى جاءَ ابنُ الإنسَانِ يا تُرَى فَهَل يَجِدُ إيمانًا عَلى الأَرضِ؟».



« مَثَل القاضي الظالم » (لوقا ١٨ : ١ – ٨)

ففى هذا المَثَل نجد امرأة فقيرةً وضعيفة مات زوجها ففقدَت بموتِهِ عائلها الذى كان يصدُّ عنها غائلة الجوع، ويردُّ عنها طمعَ الطامعين وجَشَع الجشِعِين، ويحميها من شَرِّ الذين يَتطَلَّعونَ إلى القليلِ الّذِىَ تَرَكَهُ لها، فيغتصبون ذلك القليل عنوة وقهرًا، أو خيانةً وغدرًا، بعد أن يخدعوها بما يتظاهرون بِهِ من وَرَعٍ وتقوَى فتأتمنهم وتضع ما لديها بين أيديهم، ثقة فيهم واطمئنانًا إلى وَرَعِهِم وتقواهُم المزعومَيْن. وقد حَدَث بالفِعْلِ أن احتالَ عليها مُحتالٌ واغتالَ حقًّا من حقوقها، فَلَجأت إلى قاضى المدينة ليقتصَّ لها من خَصمها ويعيد إليها الحقَّ الذى اغتصبَه منها. بَيْدَ أَنَّ هذا القاضى كَانَ لسوء حظِّها قاضيًا ظالمًا لا يخافُ الله فى أداء واجِبِهِ، غاشِمًا لا يَهَابُ إنسانًا مهما كان مركزُه بين النَّاسِ. فظلَّ زمانًا لا يستجيب لها ولا يأبه لها ولا ينصفها من خَصمها، ربما انتظارًا لأَن تقدِّم إليه رشْوة يتطلَّع إليها، شأنَ القضاةِ الظَّالمين، أو ربما لمجرَّد أنه قَاسى القلبِ شِرِّير لا يحفل بالضُعَفَاءِ ولا يَرحَمُ المَساكينَ المظلومين. ولكنَّ المرأة إذ كانت مؤمنة بحقِّها المغتَصَبِ ومصمِّمة على استرداده من غاصِبِهِ، ظلَّت تُلاحِقُ ذلك القاضى الكافر الفاجر فى إلحاح ولجاجة وفى غير فتور ولا ملل، مُلاحِقَةً إيَّاهُ فى كُلِّ مَكَانٍ يذهَبُ إليه، صارخَةً إليه بشكواها فى غير يأسٍ ولا قنوطٍ، حتى أزعجته بملاحقتها الدَّائمة له وأرهَقَتْهُ بصراخها المستمرِّ إليه حتى اضطرته آخر الأمر لأن يستجيب لها ويستردّ لها حقَّها من خَصمها، لا بِدَافعٍ مِنْ عَدْلِهِ، أو مِنْ رشوة قَدَّمَتها إليه، أو من خَوفِهِ من اللّهِ أو النَّاسِ، فقد كان يَتَبَجَّحُ فى وقاحة بأنَّه لا يخاف اللّهَ ولا يَهَابُ إنسانًا، وإنما خَلاَصًا من إزعاجِ تلك المرأةِ له وإرْهاقِهَا إيَّاه.

فَإن كَانَ هذا ما فَعَلَهُ القاضى الظالم الغاشم إزاء تلك المرأة البائسة الضعيفة التى آمَنَتْ بحقِّها وصمَّمت على الحصولِ عليه، فَدَاوَمتْ على مُلاَحَقَتِهِ ليستمعَ إليها، والصّراخِ إليه ليستجيب لمطلبها، فكم بالأحرى يفعل اللّهُ الكَامِلُ العادِلُ الرَّحيم الكريم الرَّءُوف العَطُوفُ إزَاءَ المؤمنين بِهِ المختارين مِنْهُ، الذين ظَلَمَهَم الظَّالمُون، وَنَكَّلَ بِهِم الطُّغاة الغاشمون، وأثَمَ فى حَقِّهِمَ الأشرارُ الآثمون، وَطَارَدَهم المطَارِدُون، واضطَهَدَهُم المُضْطَهِدونَ، واعتدىَ عليهم الأعداء

المعتدون، فراحوا يصرخون إليه نهارًا ولَيْلاً، فى ضَرَاعَةٍ دائمة، وابتهَالٍ مستمرّ، وانسحاقٍ كامل، مُتَوَسِّلين إليه فى إيمان عميقابكمالِهِ وَعَدْلِهِ ورحمتِهِ وَكَرَمِهِ ورأفتِهِ وعطفِهِ، بأنْ يحميهم من أولئك جميعًا وأن يصُدَّ عنهم أذاهم ويرُدَّ إليهم ما سلبوه من حقوقهم، ويمسح بيديه الحبيبتين الحنونتين ما سبَّبوه لَهُم من آلام وأسقامٍ وأحزانٍ وأشجانٍ؟ هل يصمُّ الله أذنيه عن ضراعتهم الدائمة وابتهالهم المستمر، أو يغمض عينيه عن انسحاقهم الكامل وإيمانهم العميق؟ كلاَّ، فإنه وإن توانى أحيانًا بعض الوقت لحكمة يقصدها ولا يعلمها إلا هو، سيستجيب لهم بقدر ما يؤمنون، وسيقتصُّ لهم من ظالميهم بأسرع مما يظنون.

بيد أن مخلِّصَنَا إذ كان يعلم ضعف الإنسان وتقلُّب طبعه وتذبذب إيمانه، قرَّر فى صيغة الاستفهام أو صيغة الاستنكار أن أغلب أهل الأرض لن يظلوا متذرعين بذلك القدر من الإيمان الذى يدفعهم إلى مداومة الصلاة إلى الله، والاستمرار فيها بغير فتور ولا ملل، سواء عند مجىء ملكوته الذى كان يوشك أن يحلَّ على الأرض، أو عند مجيئه الثانى فى اليوم الأخير. فلن يظلَّ حافظًا لوصيته تلك ومحافظًا عليها إلاَّ القليلون. وهذا هو معنى قوله «وَمَعَ ذَلِكَ مَتى جاءَ ابنُ الإنسانِ يا تُرى فَهَلْ يَجِدُ إيمانًا على الأرضِ؟».

١٨ : ٩ - ١٤

ثم أراد فادينا أن يعلِّم تلاميذه والناس جميعًا أن يكونوا متواضعين فى علاقتهم بالجميع، ولا سيما بالله، فلا يتمادون فى الثقة بما يتوهمون أنهم يتَّصفون به من ورع وتقوى، وينقادون وراء هذا الوهم فَيَصِفونَ غيرهم بالشرِّ والفساد، محتقرين لذلك إياهم، متعالين عليهم، فضرب - له المجد - هذا المَثَل لقومٍ كانوا على الأرجح من الفَرِّيسيِّين، وكانوا يثقون فى أنفسهم بأنهم أبرار، ويزدرون غيرهم ولا سيَّما العشَّارين جُباة العُشُور أى الضرائب، مُتَّهمين إياهم بأنهم أشرار، قائلاً «صَعِدَ رَجُلانِ إلى الهَيْكَلِ لِيُصَلِّيا. وكانَ أَحَدُهُما فَرِّيسيًّا وَالآخَرُ عَشَّارًا فَوَقَفَ الفَرِّيسي لِيُصَلِّيَ فى نَفْسِهِ قائِلاً: اللَّهُمَّ أَشْكُرُكَ عَلَى أَنَّني لَسْتُ كَسائِرِ النَّاسِ المُغْتَصِبينَ

الظَّالِمِينَ الفاسِقِينَ، ولا كَهذا العَشَّارِ. فإنِّني أَصُومُ مَرَّتَين في الأَسْبوع ، وَأُؤدّي العُشُورَ عَنْ كُلِّ ما أَمْلِكُ. أمَّا العَشَّارُ فَوقَفَ عَنْ بُعْدٍ ولم يَجْرُؤْ حَتَّى عَلَى أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيهِ إلى السَّمَاءِ، وإنَّما أَخَذَ يَقْرَعُ صَدْرَهُ قائِلاً : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي أنا الخاطئُ. أَقولُ لَكُم إنَّ هَذا نَزَلَ إلى بَيْتِهِ مُبَرَّأً أَكْثَرَ مِنْ ذاكَ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ رفع نفسه اتَّضَعَ وَمَن خَفَضَ نَفْسَهُ ارتَفَعَ».

وهكذا نرى أنَّ ذلك الفرِّيسيَّ وقَفَ يُصلِّي، على الأرجح في مكان بارزٍ من الهيكل، كي يراه الناس فيتوهَّمون فيه الصَّلاَحَ، ومِنْ ثَمَّ يحترمونه وترتفع مكانته في أعينهم. لأن الفَرِّيسيِّين كما قال عنهم مخلِّصنا «كُلُّ أَعْمالِهِم يَعْمَلونَها بُغْيَةَ أَنْ يراهُمُ النَّاسُ» (متى ٢٣ : ٥)، ولأنهم كما قال عنهم أيضًا «يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا قائِمينَ في المجامِعِ وَفِي زوايا الشَّوارِعِ لِيَراهُمُ النَّاسُ» (متى ٦ : ٥). وَلَيْت هذا الفَرِّيسيّ فيما قاله عندئذ في نفسه كان يُصَلِّي فِعلاً، لأن صلاة الإنسان هي ابتهال إلى الله وضراعة يسكبها بين يديه. وإنما كان كلّ ما قاله مُجَرَّد افتخار بنفسه واحتقارٍ لغيره، لأنه شَكَرَ اللّهَ، لا على نعمته التي أسبغها عليه، وإنما لأنه كما تَوَهَّمَ في نفسه لم يكن كسائر الناس المغتصبين الظالمين الفاسقين. وقد كان في هذا يشير صراحة إلى العشَّارِ الذي كان يراه واقفًا يصلِّي هو الآخرَ، لأن الفرِّيسيين كانوا يتَّهمون العشَّارين بأنهم يغتصبون أموال الناس بالباطل، ويظلمونهم فيما يجبونه منهم بغير حق، ويحيون حياة الغِش والفجور، حتى لقد كانوا حين يذكرونهم يقرنونهم دائمًا بالزُّناة والخُطاة والأشرار. وإن كان ذلك الفرِّيسيّ لم يقصر تفضيله لنفسه على ذلك العشَّار وحده، وإنما على سائر النَّاس. وكأنه هو البارُّ وحده دون غيره من الناس جميعًا. بل ليت ذلك الفرِّيسيّ تفاخَرَ فيما قال على الناس جميعًا، بل إنه تفاخر على الله ذاته، إذْ راح يعدِّد مآثره على الله، ذاكرًا لله أومُذَكِّرًا إياه بأنه يصوم مرتين في الأسبوع، ويؤدِّي العشور عن كلِّ مايملك وكأنه إذ كان يفعل ذلك أصبح دائنًا لله، وأصبح الله مدينًا له بالمكافأة والثواب عن تلك الأفعال التي - وإن كانت من الفرائض التي أوصى بها الله في شريعته - لم تكن إلا مظهرًا من مظاهر تلك الشريعة وليست جوهرها الذي إذا انتفى ينتفي المظهر معها. لأنه ما قيمة الصيام



« مَثَل الفرّيسي والعشّار » (لوقا ١٨ : ٩ - ١٤)

وتأدية العشور إن كان الضمير فاسدًا والقلب فاسقًا والأفكار شرِّيرة والأفعال شائنة والأقوال متكبِّرة تتضمَّن التعالى على الناس جميعًا، بل على الله المتعالى نفسه؟

أمَّا العشَّار فلم يقف فى صدْر الهيكل رافعًا رأسه فى كبرياء واستعلاء كما فعل الفَرِّيسيُّ كى يراه الجميع. وإنما انزوَى فى مكانٍ بعيدٍ عن أعينِ الناس كى لا يراه أحد، وهو - إذ هو عالم بخطاياه معترف بها شديد الخجل منها - كان يشعر بأنه غير مستحق أن يقف فى أىِّ مكانٍ من بيت الله الطاهر القدُّوس، ومِن ثَمَّ لم يجرؤ - وهو فى استخفائه واستحيائه وتذَلُّلِهِ - حتى على أن يرفع عينيه إلى السَّماءِ، وإنما أخذ يقرع صدره فى لوعة النادِمِ المستغفر، وفى ضراعة الخاطئ المُقرِّ بخطاياه، المتوسِّل إلى الله أن يرحمه من عواقب تلك الخطايا، وأن يعفو عنه، بعد أن ندم وتاب، قانعًا-لو أنه نال ذلك العفو منه-بأن يقبله كأحقر عبيده، وكأنه يردِّد قول الابن الضالِّ حين عاد إلى أبيه قائلًا «يا أَبِى قَدْ أَخْطَأْتُ إلى السَّماءِ وَأَمامَكَ، ولم أَعُدْ مُسْتَحِقًّا أَن أُدْعَى لَكَ ابْنًا، فاجْعَلْنِي كأَحَدِ أُجَرائِكَ» (لوقا ١٥ : ١٨ و ١٩).

وفى النهاية نجد أَنَّ فادينا الإلهىَّ الدَّيَّان، العالم بما فى النفوس علمًا كاملًا، والعادل عدلًا مطلقًا، أصدر حكمه على هذين الطرازين من البَشَر: فقرَّر أنَّ العشَّار المتواضع، المُقِرَّ بخطاياه، النَّادِمَ عليها، الطالب الرحمة والمغفرة من الله بشأنها، قد نزل إلى بيته مقبولًا أمام الله، مبَرَّأً عن خطاياه أكثر من ذلك الفَرِّيسيِّ، بل ربما دون ذلك الفريسيِّ المترفِّع، المفاخِرِ بفضائله، الزاعم أنه دائن حتى لله بها. الذى لم ينطق بكلمة واحدة تدلُّ على أنه يطلب لنفسه أىَّ رحمة أو مغفرة. لأنَّ مَن ادَّعى الرفعة لنفسه، كان ذلك يتضمَّن استعلاء على الناس فيكرهونه، وينبذونه من مجتمعهم، ولا يتعاملون معه، فلا يلبث أن يؤدى به ذلك إلى الفقر إن كان غنيًّا، وإلى الضعف إن كان قويًّا، وإلى فقدان مكانته إن كان ذا مكانة عظيمة، وإلى الحِرمان من جاهه إن كان ذا جاهٍ عريض. كما أَنَّ ذلك يتضمَّن استعلاء على الله، وتَمَرُّدًا عليه، فيُسقِطُهُ الله كما سبق أن استعلى الشيطان على الله وتمَرَّدَ عليه فأسقطه الله وَهَوَى به إلى أسفل سافلين. وأمَّا مَنْ خَفَضَ نفسه ولو كان غنيًّا أو قويًّا أو عظيم المكانة أو عريض الجاه، مُحِبًّا للنَّاس، خادمًا لهم معاونًا إياهم، باذلًا من

ماله وقوَّته ومكانته وجاهه لتوفير سلامهم وسلامتهم، فإنَّ النَّاسَ يُحِبُّونه ويرحبون به أينما ذَهَبَ، ويبدون له التكريم والتعظيم حيثما رأوه، ومن ثَمَّ يزداد غِنى على غِنَاه وقوةً على قوَّته ومكانةً فوق مكانته وجَاهًا فوق جاهه، حتى ليرتضيه الناس كبيرًا عليهم وسيِّدًا لهم. كما أنه إذ يتواضع أمام الله، مطيعًا إياه، متفانيًا فى خدمته والولاء له، يرضى الله عنه ويجعله من مختاريه ورعايا ملكوته، فيمنحه بذلك شرف بُنُوَّتِهِ، ويرفعه بذلك إلى أعلى عِلِّيين، حيث ينعم مع الأبرار والقدِّيسين.

١٨ : ١٥ - ١٧

وقد آمن الناسُ بأنّ فادينا قدُّوس ومباركٌ، قادِرٌ بمجرَّدِ لمسة من يده أن يمنح البَركَة وما تتضمَّنه هذه البَرَكَة من نعمة إلهية لا حدود لها. وقد سبق لإشعياء النبىِّ أن تنبَّأ قائلاً «أَسْكُبُ روحى على نسلِك وبَركتى على ذرِّيتك» (إشعياء ٤٤ : ٣). ومِنْ ثَمَّ قدَّمَ بعض الحاضرين إلى فادينا أطفالهم - وهم أحبُّ الناس إليهم - ليلمسهم، فيسكب من روحه عليهم ويباركهم، ويمنحهم تلك النعمة الإلهية التى تفوق كلَّ نعمة فى السماء والأرض. بَيْدَ أنَّ التلاميذ حين رأوهم يفعلون ذلك انتهروهم، إذ كانوا كسائر النَّاس فى تلك الأيام ينظرون إلى الأطفال نظرة ازدراء واحتقار واستهانة واستخفاف. كما أنهم خشوا أن يكون فيما فعله أولئك القوم إزعاجًا لمعلمنا وإرهاقًا له وإضاعة لوقته. وأمَّا فادينا فَنَهى تلاميذه عن أن يفعلوا ذلك، ودعا الأطفالَ إليه قائلاً «دَعُوا الأَطْفالَ يَأْتُونَ إلَيَّ ولا تَمْنَعُوهُمْ، لأَنَّ لِمِثْلِ هَؤلاءِ مَلَكُوتَ اللّهِ». إذ أَنَّ الأطفال - فى وداعتهم وبراءتهم وطهارتهم - لم يتلوَّثوا بعدُ بشرور هذا العالمَ وآثامه، ولم يُدَاخلهم بَعد ما يُداخِلُ النَّاسَ مع تقدُّمِهِم فى السِّنِّ من خُبْثٍ ومكر، وخيانة وغدر، ورياء والتواء، وزهو وكبرياء، وشهوات وأطماع، وغلظة قلب ولؤم طِبَاع. فهم لا يزالون يتَّصفون بالصِّفات التى يتَّصف بها ملائكة السماء. ومِنْ ثَمَّ فلهؤلاء الأطفال - بعد أن يتطهَّروا من لوثة الخطيئة الأصليَّة الجدِّية. ولكلّ من احتفظوا بصفات هؤلاء الأطفال من الذين تقدَّموا فى

السِّنّ ولم يتغيَّروا – ملكوت الله. ولذلك أكَّد مُخَلِّصنا له المجد هذا المعنى قائلًا «الحَقَّ أَقولُ لَكُمْ إِنَّ مَنْ لا يَقْبَلُ مَلَكُوتَ اللّهِ مِثْلَ طِفْلٍ فَلَنْ يَدْخُلَهُ».

١٨ : ١٨ - ٣٠

وقد حدث أنَّ أحَد الرؤساء ذوى المكانة الرفيعة بين اليهود سأَلَ مُخَلِّصَنا قائلًا «أيها المعَلِّمُ الصَّالِحُ ماذا أَعْمَلُ كَى أَرِثَ الحَياةَ الأَبدِيَّةَ؟». ويبدو من الأسلوب الذى تكَلَّمَ به هذا الرئيس أنه كان مُخْلِصًا فى سؤاله، ولم يكن خبيثًا ماكرًا يبغى الإيقاع بمعلِّمنا أو اصطياد تهمة يوجهها إليه كما كان يفعل أعداء مُخَلِّصِنَا ومناوئوه، كما يبدو أنه كان يحترم معلِّمنا احترامًا حقيقيًا لا ظاهريًا، ويثق فيه ثقة صادِقَةً لا مُنَافِقَة، إذ دعاه بالمعلِّم الصالح. وقد كان لقب «المعلِّم» أرفع الألقاب فى المجتمع اليهودى وأكثرها دلالة على التكريم والتعظيم. ثم إِنَّه نَعَتَه بأنه «الصَّالِحُ»، إيمانًا خالصًا منه بصلاحه له المجد. فضلًا عن أنَّ السؤال الذى وجهه إليه كان يتضمَّن إيمانه بالحياة الأبدية فى السَّماء، التى لم يكن يؤمن بها بعض فقهاء اليهود أنفسهم وعلمائهم، ولا سيَّما الصَدُّوقيُّون الذين كان منهم كهنة ورؤساء كهنة. ومِنْ ثَمَّ وَجَدَ فادينا فيه إنسانًا صادقًا فى رغبته أن يتعلَّم، مُخْلِصًا فى نِيَّتِهِ أن يفهم ويتقدَّم فى الإيمان. ولذلك أراد أن يأخذ بِيَدِهِ ليتعَلَّم ويفهم حقيقة شخصية ذلك الذى جاء ليتعلَّم منه ويفهم على يديه. وإذ سمعه مُخَلِّصنا يدعوه بالمعلِّم الصالح، سأله سؤالًا أراد به أن يستدرجه إلى ذلك، قائِلًا له «لِماذا تَدْعُونِى الصَّالِحَ؟ فإنَّه ليس الصَّالِحُ إلا واحِدٌ هو الله». أى ما دام الله وحده هو الصّالح، وما دام هذا الرجل قد نَعَتَه هو بالصّالِح، فهو إِذَنْ ذلك الواحد الذى هو وحده الصّالح وهو الله ذاته. فلم يكن سؤال مخلِّصنا إذن سؤالًا استنكاريًا، ولا تَعَجُّبيًا، ولم يكن سؤالًا بسيطًا أى استطلاعيًا، وإنما كان سؤالًا «توليديًا». أى أَنَّ المقصود منه إثارة الشابِّ الغنىِّ على التفكير فى مدلول الكلمات التى نطق بها هو نفسه، ومنها استطاع الربُّ يسوع أن يولِّد فى ذهن الشابِّ الرئيس المعرفة الحقيقيَّة بشخص المسيح المبارك، وأنه المتَّصِف وحدَه بما لا يتَّصف به غيرُ الله وحده، «لأَنَّه

لَيْسَ الصَّالِح إلا واحِدٌ هُوَ اللّٰهُ». ثم بعد هذا الإيحاء والتوجيه غير المباشر، بدأ مُخَلِّصنا يجيبه عن سؤاله إجابة مباشرة وإنْ تكُنْ بسؤالٍ أيضًا، قائلًا له «أَتَعْرِفُ أَنْتَ الوَصايا: لا تَزْنِ. لا تَقْتُلْ. لا تَسْرِقْ. لا تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمْ أَباكَ وأُمَّك؟». وقد كانت تلك من الوصايا العشر التى هى أساس شريعة العهد القديم التى لو فهمها الإنسان على وجهها الصحيح وعمل بها فى روحها وحقيقتها وجوهرها، لا فى مُجَرَّدِ لفظها وشكلها ومظهرها، لكانت كفيلة بأن تجعله مستعدًّا لأن يسير فى الطريق الذى يؤدى به لأن يرث الحياة الأبدية. وقد أجاب الرَّجُلُ قائلًا «كُلُّ هذا قد حَفِظْتُهُ مُنْذُ حَداثَتِي»، أى أنه كان شأن الرَّجل المتديِّن قد حفظ هذه الوصايا كلَّها وحافظ عليها بالمعنى الذى تلقَّنه من رجال الدين اليهوديّ. بيد أَنَّ رجَالَ الدِّين هؤلاء قد لقَّنوهاإياها كما فهموها هُمْ فَهْمًا لفظيًّا سطحيًّا ظاهريًّا، لا فهمًا روحيًّا عميقًا جوهريًّا. فَلَم يكُن حِفْظُهُ لها ومحافظته عليها على هذا الوجه كافيًا لأن يبلغ به نَيْلَ الحياةِ الأبدية التى كان يشتهيها ويتطلَّع إليها. ومِنْ ثَمَّ فإنَّ مُخَلِّصَنَا لَمَّا سمع منه ذلك قال له: «يُعْوِزُكَ مَعَ ذَلِكَ شَيْءٌ آخَرُ. بِعْ كُلَّ ما تَمْلِكُ وَوَزِّعْهُ عَلَى الفُقَراءِ، فَتَقْتَنِي لَكَ كَنْزًا فى السَّماءِ وَتَعالَ اتْبَعْنِي». أى أنَّه لا يكفيه أنه عَرَف وصايا الشريعة وعمل بها على الوجه الذى فهمه بها، والذى أَدَّى به لأن يتمسَّك بالأرضيات غافلًا عن السمائيات، متشبِّثًا بالحياة الأرضية الفانية. مضحِّيًا فى سبيلها بالحياة السمائية الأبدية. فإن كان يشتهى حقًّا أن يَرِثَ تلك الحياة الأبدية ويتطلَّع إليها، فليبرهن على ذلك بأن يتخلَّى عن كلِّ ما يملك من مَتَاعِ الدُّنيا متصَدِّقًا به على الفقراء، فيقتنى له بذلك بدلًا من ذلك الكنز الأرضيِّ الزائل، كنزًا خالدًا فى السماء. وليتبع مُخَلِّصَنَا فى كلِّ تعاليمه ووصاياه التى تدعو كلُّها إلى السمائيات لا إلى الأرضيّات، وإلى التفرُّغِ تفرُّغًا كاملًا للاهتمامات السَّمائية لا إلى الاهتمامات الأرضية، لأنه لا يمكن للإنسان أن يسير فى وقت واحد فى اتجاهين متناقضين، ولا أن يعبدَ فى وقت واحد سيِّدين متضادَّين، أحدهما أرضيٌّ هو المال، والآخر سماويّ هو الله. فإن كان يريد عبادة المالِ فقد نَبذَ بذلك عبادة الله. وإن كان يريد عبادة الله فلينبذ عبادة المال. فلمَّا سمع الرَّجُل ذلك اغتَمَّ لأنه

كان غِنيًّا جدًّا، ولأنه على الرَّغم من أنه كان يطمع فى أن يختار عبادة الله ليرث الحياة الأبدية التى يتوق إليها، كانت أموالُه الكثيرة عزيزة عليه جدًّا بحيث جَعَلَت اختياره لعبادةِ الله ووراثته للحياة الأبدية بهذا الشرط أمرًا عسيرًا عليه، لا يطيقه ولا يحتمله، ومِنْ ثَمَّ فإنه كما جاء فى الإنجيل للقديس مَتَّى «مَضَى حَزِينًا» (متَّى ١٩ : ٢٢). فلما رأى مخلِّصنا ذلك قال «كَمْ هُوَ عَسِيرٌ عَلَى ذَوِى الثَّرَوَاتِ أَنْ يَدْخُلُوا مَلَكُوتَ اللّهِ. إنَّه لأَسْهَلُ أَنْ يَدْخُلَ الجَمَلُ فى ثَقْبِ الإِبْرَةِ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِىٌّ فى مَلَكوتِ اللّهِ». وذلك أن الإنسان الذى يحصر كلَّ همِّه واهتمامه فى جمع المال حتى يتوافر له منه قدر كبير، يتوهَّم أن فى ذلك المال سلامه وسلامته وقوَّته ومتعته فى هذه الدنيا، ويتخيَّل أنه بدونه لا يستطيع أن يحيا، ومِنْ ثَمَّ يجعل عليه كلَّ اتكاله من دون الله، بل يجعله من دون الله حاميًا يحميه، وسَنَدًا يسنده، وصنمًا يعبده. ولذلك يكون من أصعب الأمور عليه أن يعبد اللّهَ مع عبادته للمال، حتى ليغدو أسهل أن يدخل الجَمَلُ فى ثَقب الإبرة من أن يدخل غنىٌّ فى ملكوت الله، وذلك كناية عن الاستحالة المطلقة لأن يحدث هذا. ولما كان اليهود يعتقدون أن الأغنياء والأثرياء – وهم زعماؤهم ورؤساؤهم الدينيون والمدنيون على السواء، وهم الذين يهيمنون على السنهدريم أعلى سلطة دينية ومدنية لهم، ويسيطرون على الهيكل أقدس أمكنتهم، ويرأسون المجامع التى هى معابدهم ومحاكمهم ومدارسهم – هم أقدر النَّاس على التقرُّب إلى الله، وأجدر النَّاس بدخول ملكوته، أدهشهم ذلك القول من مخلِّصنا، فقال السامعون فى استغراب «فَمَنْ يَسْتَطِيعُ إِذَن أَن يَخْلُصَ؟». فقال مُخَلِّصُنا «غَيْرُ المُسْتَطاعِ عِنْدَ النَّاسِ مُسْتَطاعٌ عِنْدَ اللّهِ»، أى أنه إن كان الأغنياء والأثرياء عاجزين إلى درجة الاستحالة عن الخلاص ودخول ملكوت الله، فإنَّ الله الذى يستطيع كُلَّ شىء ولا يستحيل عليه شىء، ممّا هو مستحيل على الناس قادر على أن يحوِّل قلوب الأغنياء والأثرياء عن عبادة المال إلى عبادته هو، متى توافر لهم أو لبعضهم من الاستعداد ما يُؤَهِّلُ قلوبهم المظلمة لأن تتقبَّلَ قَبَسًا من نوره الإلهى، وما يُؤَهِّلُ ضمائرهم المائتة لأن تدبَّ فيها الحياة فى لحظات الإشراق الرُّوحىِّ الذى كثيرًا ما دفع ببعض الملوك لأن يتخلّوا عن

عروشهم، وكثيرًا ما دفع ببعض ذوى الجاه الدنيوىّ والاتّجاه الأرضىّ لأن يزدروا جاههم ويغيِّرُوا اتِّجاهَهُم، نابذين ذلك كلَّه، ومتخذين وجهتهم نحو السماء، رافعين أعينهم من أسفل إلى أعلى، وقد زالت الغشاوة عن أبصارهم وبصائرهم، فرأوا الله ومجدَ ملكوته، فانقطعوا لعبادته وتطلَّعوا إلى مجد ذلك الملكوت فى ندم وتوبة، وفى خضوع وخشوع، وفى انسحاق يُؤَهِّلهم لكلِّ استحقاق للخلاص من ربقة الدنيا والتحليق فى تحرُّرٍ وانطلاقٍ نحو السماء، حيث يطرقون أبواب ملكوت الله فيدخلونه ويصبحون من أبنائه وورثته.

وإذ قال فادينا لذلك الرَّجُل الغنىِّ إنه لكى يَرِثَ الحَياةَ الأبدية عليه أن يتنازل عن كلِّ ما يملك ويتبعه، قال بُطرس لمعلِّمه حين سمع منه ذلك «ها نَحْنُ أُولاءِ قَدْ تَرَكْنا كُلَّ شَىْءٍ وَتَبِعْناكَ»، قاصدًا بذلك أن يسأل «فَما هُوَ نَصِيبُنا إذ فَعَلْنا ذَلِكَ؟». فقال فادينا له ولكلِّ الذين كانوا حاضرين عندئذ يستمعون إلى تعاليمه «الحَقَّ أَقولُ لَكُمْ إنَّه ما مِنْ أَحَدٍ تَرَكَ بَيْتًا أو زَوْجَةً أو إِخْوَةً أَو أَبَوَيْنِ أَوْ أَبْناءَ مِنْ أَجْلِ مَلكوتِ اللّهِ، إلاَّ وَينالُ فى هذا الزَّمانِ أَضْعافًا مُضاعَفَةً، وفى الدَّهْرِ الآتِى الحَياةَ الأَبَدِيّةَ»، أى أنَّ أىّ تضحيات من جانب الإنسان بالممتلكات الأرضية أو العلاقات العائلية من أجل ملكوت الله إن كانت تَحُول بينه وبين التطلُّع نحو ذلك الملكوت، ينال عنها الإنسان فى هذا الدَّهر أثناء حياته على الأرض من البَرَكات الرُّوحية والتعزيات الإلهية، فضلاً عن أعمال المحبة والمَوَدَّةِ التى يلقاها من الناس، مالا يمكن تقديره بأىِّ مقتنيات أرضية، أو مقارنته بأى امتيازات دنيوية. وأما فى الدهر الآتى، أى فى الحياة الأخرى السماوية، فإنه ينال عنها الحياة الأبدية فى ملكوت الله، حيث يتنعَّم بكلِّ ما أعَدَّه الله لأبناء ذلك الملكوت من بركات وتعزيات لا يمكن أن يحدّها عقل أو يصل إلى مداها خيال. وتأسيسًا على ذلك القول الإلهىِّ، وتطبيقًا لكلمات مخلِّصنا له المجد، فإنَّ الآباء الرُّسُلَ وَمَنْ جَرَى مجراهم من خُدَّام الإنجيل، وكذلك الرهبان، ممن تركوا من أجل الله وظائفهم وأعمالهم السابقة التى كانوا يتعيَّشون منها، كما تركوا الأهل من «زَوْجَةٍ أَو إِخْوَةٍ أَوْ أَبَوَيْنِ أو أَبناءَ» من أجل خدمة الإنجيل وملكوت الله، قد نالوا ما عوَّضهم عن محبَّة أهلهم، محبةَ كثيرين

جدًّا ممن تلدهم كلمة الله عن طريقهم، فصار لهم - بفضل خدمتهم لله - إخوة وأخوات، وبنون وبنات، وآباء وأمهات، أكثر ممَّن تركوا أضعافًا مضاعفة. وهؤلاء يبدون نحوهم من مشاعِر المحبه والمَوَدَّةِ والاهتمام والرِّعاية ما يعوِّضهم عن محبَّة الأهل الذين تركوهم من أجل الإنجيل وملكوت الله. على أنَّ خُدَّام الله لا يكسبون هذا وحده على الأرض، وإنما يكسبون أيضًا فى الحياة الأخرى الجزاءَ الصالح الأُخْرَوِيَّ، والحياة الأبدية مع الله.

١٨ : ٣١ - ٣٤

بَيْدَ أَنَّ مُخلِّصَنَا أراد - إذ صرَّح بالمجد الذى يناله أولئك الذين يتركون كلَّ شيْءٍ ويتبعونه - أَلَّا يُخْطِئَ تلاميذُه فَهْمَ ذلك فيظنون أنَّ هذا المجد الذى وعدهم به هو مجدٌ دنيوىّ، كما كانوا لا يزالون إلى ذلك الحين يتوهَّمون، وكما كان اليهود جميعًا يظنون فيما يتعلَّق بالمسيح الذى ينتظرونه، على مقتضى ما لقَّنهم فقهاؤهم وعلماؤهم الدينيون، موهمين إياهم أنَّ المسيح الذى تنبَّأ بمجيئه الأنبياء سيجىء كملك أرضىٍّ وكقائد حربىٍّ يقودهم ليفتح بهم العالَم، كى يعيد إليهم مملكة داود التى فقدوها ويجعلهم سادة كلِّ الشعوب، فانتحى فادينا بتلاميذه الاثنى عَشَر وصرَّح لهم بالحقيقة التى تتعارض مع كلِّ ظنونهم، وتتناقض مع كلِّ أوهامهم، فَيَحُول من جهةٍ بينهم وبين أن تلعب المطامع برءُوسهم فى أن يكونوا هم الأمراء والوزراء فى تلك المملكة الأرضية التى يحلمون بها، وليمهِّدَ أذهانهم لتلك الأحداث الرهيبة التى تنتظره وتنتظرهم معه، مشجِّعًا إياهم فلا تصدمهم حين تقع أو تثبِّط هممهم أو تؤدِّى بهم إلى اليأس والقنوط، وإنما يكونون مستعدِّين لها متوقعين وقوعها، عاقدين العزم على مواجهتها بإيمان عميق وجنان ثابت، فقال لهم «ها نَحْنُ أُولاءِ صاعِدُونَ إلى أُورشليمَ، وَسَيَتِمُّ كُلُّ ما هو مَكْتُوبٌ بالأَنْبِياءِ عَنْ ابنِ الإِنْسانِ، فَإِنَّهُم سَيُسَلِّمُونَهُ إلى الوَثَنِيينَ وَيَهْزَأُونَ بِهِ وَيُهِينُونَهُ وَيَبْصُقونَ عَلَيْهِ، وَبَعْدَ أَنْ يَجْلِدُوه يَقْتُلُونَهُ، وَفِى اليومِ الثَالِثِ يَقُومُ». وقد كان ذلك بالفعل هو الذى تنبأ به الأنبياء عن المسيح المنتظر حين يجىء، مقرِّرين أنَّ اليهود على الرَّغم ممَّا سيصنع

بينهم من معجزات إلهية وينادى به من تعاليم سماوية، سينكرونه ويتنكرون له ويهينونه ويستهينون به ويعادونه ويعتدون عليه، ويُحارِبونه ويتآمرون ضده، ثم يُمسِكونه ويتّهمونه كذبًا ويشهدون عليه زورًا ويحكمون عليه ظلمًا، ثُمَّ بعد أن يوسعوه ضربًا وتعذيبًا، وهزءًا وسخرية، ومهانة وعارًا، يقتلونه بأشنع وسائل القتل وأبشعها وحشيَّةً وقسوةً وإيلامًا. إذ جاء فى نبوءات المزامير «تآمَرَ الرُّؤساءُ مَعًا على الربِّ وعلى مسيحه» (المزمور ٢ : ٢). وجاء فى نبوءات إشعياء النبى بِلسانِ المسيح «بَذَلْتُ ظهرى للضاربين وخدّى للناتفين. وجهى لم أسترُ عن العار والبَصْق» (إشعياء ٥٠ : ٦). وجاء فى نبوءات إرميا النبىِّ بِلِسَان المسيح أيضًا «صِرْتُ للضحك كلَّ النهار. كلّ واحد استهزأ بِى. . لأنَّ كلمةَ الرَّبِّ صارت لى للعار وللسُّخرية كُلَّ النهار» (إرميا ٢٠ : ٧ و ٨). وقد أشارت النبوءات إلى أنَّ اليهود سيقتلون المسيح بوسيلة كانوا لا يستخدمونها إلَّا مع أخطر اللصوص وأحقر المجرمين، وهى تسمير يَدَىْ المحكوم عليه وقَدَمَيْه فى خَشَبَةٍ على هيئة الصليب يعلِّقونه عليها حتى يموت. وقد جاء فى نبوءات المزامير بِلِسَانِ المسيح «أحاطت بى كلاب. جماعةٌ من الأشرار اكتَنَفَتْنِي. ثَقَبُوا يدىَّ ورِجْلَىَّ» (المزمور ٢١ : ١٦). كما ذكرت النبوءات صراحةً أنَّ المسيح بعد أن يموت على الصليب ويُدْفَنَ يقومُ فى اليوم الثالث من بين الأموات حيًّا، إذ جاء فى نبوءات هوشع النبىِّ بِلِسَان المسيح «يُحْيِينَا بعد يَوْمَينِ. . فى اليوم الثالث يُقيمُنَا فَنَحْيَا أَمامَه» (هوشع ٦ : ٢). ويَدُلُّ ذلك على أَنَّ فادينا كان يَعْلَم بكلِّ ما سيحدث له عِلْمًا كاملاً وبتفصيل دقيق، يتَّفِق مع النبوءات التى تنبأ بها الأنبياء والتى كان ينبغى فى التدبير الإلهىِّ أَنْ تتمَّ بحذافِيرها. ولكنَّ تلاميذه لم يفهموا من ذلك الذى قاله لهم شيئًا، لأنَّ فقهاء اليهود كانوا قد أخفوا عنهم تلك الحقائق الواردة فى نبوءات أنبيائهم، والمدوّنة فى أسفارِهم المقدَّسة، عمَّا سيحدُث للمسيح الآتى إليهم، ولم يُصَرِّحوا لهم إلَّا بالأمجاد التى سيحققها لهم. وياليتهم فهموا تلك الأمجاد فهمًا روحيًّا سماويًّا صحيحًا، وإنَّما اوَّلوها على مقتضى أطماعهم وشهواتهم تأويلاً ماديًّا دنيويًّا خاطئًا، وَمِنْ ثَمَّ فهمها التلاميذ كما فهمها سائر اليهود ذلك الفهم المادىَّ الدنيوىَّ، فلم يفقهوا مِمَّا قاله لهم

مُعَلِّمُهُم عندئذ شيئًا. وقد كان معناها الصحيح محجوبًا عنهم، لِأَنَّ عُقولهم القاصرة كانت عاجزة عن أن يفهموه، ولأَنَّ قلوبهم التى كانت لا تزال مغلقة حالَتْ بينهم وبَينْ أن يفقهوه، فلم يفهموه أو يفقهوه إلَّا بعد أن تحقَّق فِعلاً، وعندئذٍ شهدوا به، وجاهدوا حتى استشهدوا فى سبيل إعلانه للعالَم أجمع.

١٨ : ٣٥ - ٤٣

وعلى الرَّغم من أَنَّ مُخَلِّصَنا وهو فى طريقه إلى أورشليم، كان يعلم أَنَّه فى هذه المرَّة فى طريقه إلى المَوْتِ على يد اليهود، لم ينقطِعْ عن أن يقدِّمَ إليهم الخِدْمَةَ والرَّحمَةَ اللتين تنطويان على أعْمق وأسمى معانى الحُبِّ والْحَدْبِ والحَنانِ. فقد حَدَثَ أنَّه لما اقترَبَ من أريحا التى تقع فى الطريق إلى أورشليم، كانَ رَجُلٌ فقيرٌ أَعْمَى جالِسًا فى مَدْخَلِ الطَّريق يستعطى. فلمَّا سَمِعَ ذلك الرَّجُلُ جَلبَةَ الجَمْعِ الذين كانوا لا يفتأون يتزاحمون حَوْلَ فادينا أَيْنَما ذَهَبَ والذين كانوا مجتازين معه فى هذه المرَّةِ أيضًا، سأَلَ «ما عَسَى أن يَكونَ هذا؟»، فأخبروه بأَنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِىَّ مُجتازٌ. وإذ كان مخلِّصُنا يسوع المسيح الذى كانوا يلقّبونه - إذ عاش فى الناصرة - بالناصِرِىِّ، قد ذاعَتْ شهْرَتُه فى كلِّ فلسطين وأنحائها بسبب تعاليمه التى كان لا يفتأ ينادى بها ومعجزاتِهِ التى كان لا يفتأ يصنعها، انتهز ذلك الأعمى المسكين هذه الفرصَةَ الذهبيَّةَ التى أُتيحت له، فَصَرَخ قائلًا «يا يَسوعُ ابنَ داودَ ارحَمْنِى». وقد دَلَّ قوله هذا على أنَّه قد آمَنَ بأَنَّ يسوعَ الناصِرِىَّ هذا هو نفسه المسيح ابن الله الذى تنبَّأ الأنبيا بأَنَّهُ سيجىءُ من نَسْل داودَ، ولذلك لقَّبَهُ بابنِ داود. وقد طَلَبَ منه أن يَرْحَمَهُ لأَنَّ الأنبياءَ كانوا قد تنبَّأوا بأَنَّ المسيحَ الذى ينتظرونه حين يجىء سَيَرْحَمُ الضعَفَاءَ البائسين، إذ تنبأ إشعياءُ النبىُّ بأَنَّه «على بائسيه يترحَّم» (إشعياء ٤٩ : ١٣). وإذ ظَنَّ الذين كانوا يسيرون فى مُقَدِّمَةِ الجَمْعِ أَنَّ هذا الرَّجُلَ بِصراخِهِ سَيُزعِجُ المُعَلِّمَ، انتهروه ليسكت، ولكنه - لِعُمْقِ إيمانه بالربِّ يسوعَ، وحاجتِهِ لأن ينالَ الرَّحْمَةَ منه، وثقَتِهِ بأنَّه لن يخيِّبَ رجاءَهُ، أَخذَ يصرخُ ويصرُخُ أكثر فأكثر فى إلحاحٍ ولجاجةٍ قائلًا «يا ابنَ داودَ ارحَمْنِى»، فوقَفَ مُخَلِّصُنا له المجد وأَمَرَ بأن يأتوا به



« إنزال جسد السيد المسيح عن الصليب »
مأخوذة عن أيقونة أثرية بكنيسة أبي سرجة بمصر القديمة بالقاهرة



« التلميذان اللذان كانا ذاهبين إلى عمّاوس »(لوقا ٢٤ : ١٣ – ٣٥)

للفنان العالمي يوجين برنارد



« السيد المسيح على مائدة تلميذى عمّاوس بعد قيامته » (لوقا ٢٤ : ٣٠)

بريشة الفنان العالمى مارتينيتى

القول اعترافًا من الرَّجُلِ بأخطائه وخطاياه، وإعلانًا لندمه وتوبته، وتعهُّدًا بأنه إن كانت أمواله هى الحائل بينه وبين قبول هذا الندم وهذه التوبة، فسيتنازل عن نصفها للفقراء، وبأنه إن كان فى مزاولته لعمله كرئيس للعشّارين قد غَبَنَ أَحَدًا فاستولى منه على أكثر مما هو مستحق عليه من الضرائب، فَسَيَرُدُّ له أربعة أضعافِ ما غَبَنَهُ فيه، مُعَوِّضًا بذلك إياه التعويض الكافى الذى يزيل به عنه الغبن وينصفه ويرضيه، فكان ذلك مَثَلاً من أمثلة قدرة الله التى سبق أن أشار إليها فادينا على أن يغيرِّ نفوس الأثرياء فى لحظة ليعيدها إلى حظيرته ويفتح لها أبواب ملكوته. ومن ثَمَّ قال فادينا له المجد «اليَوْمَ قَدْ صارَ الخَلاصُ لِهذا البَيْتِ، إِذْ أَنَّهُ هُوَ أَيْضًا ابنُ إبراهيمَ، لِأَنَّ ابْنَ الإنْسانِ إِنَّما جاءَ لِيَسْعَى فى طَلَبِ الَّذِى قَدْ ضاعَ ويُخَلِّصُهُ». أى أنَّ زكّا بندمه وتوبته قد أصبح مستحقًّا للخَلاصِ الذى هو نعمة إذا دخَلَت بيتًا عَمَّتْ كُلَّ مَن فيه، لأنه إن كان خاطِئًا فإنه بتوبته واعترافه قد صار مقبولاً أمام الله، وصار منذ تلك اللحظة أهلاً - وهو من نسل إبراهيم - للبَرَكة التى وَعَدَ الله بها نَسلَ إبراهيم، إن أطاعوه وأظلُّوا على ولائهم له، ولم يضلّوا عن الطريق التى رسمها لهم، ولم يبيعوا أنفسهم للشيطان فيضيعوا، ولأنَّ فادينا ما جاء إلى العالم إلا ليبحث عن مثل هذا الخاطئ الذى ضَلَّ وضاع ويخلِّصه.

إن ما قاله زكّا يبرهن على توبة، وما قاله الربُّ يسوع يبرهن على أن توبة زكّا كانت توبة صادقة، ومِنْ ثَمَّ فهى توبه مقبولة. وذلك أن عناصر التوبة الحقيقية أربعة : أولها ندامة فى القلب على الماضى، مصحوبة بانسحاق حقيقى قِوامُهُ احتقار النفْس للنفس التى تردَّت فى الخطيئة، وكراهية الشرِّ. وثانيها عزم صادق على تجديد السيرة. وثالثها رجاء فى الله لا يخيب، رجاء فى رحمته الواسعة وغفرانه للخطاة التائبين، ورابعها اعتراف عَلَنِىّ صريح بالخطيئة أو الخطايا، اعتراف بالقلب واللسان، اعتراف للرب على يد الكاهن، مصحوب باستعداد كامل لتَحَمُّل تَبِعة الفعل ومسئوليته، وتصحيح الأخطاء والخطايا تصحيحًا عمليًّا، وتَحَمُّل نتائجها.

وقد توافرت هذه العناصر الأربعة فى توبة زَكَّا، إذ قد ندم على خطاياه، وعزم

على تجديد سيرته، ممتلئًا بالرجاء والفرح فى قبول المسيح له. ثم إنه اعترف بخطاياه متعهِّدًا بتحمُّل نتائجها والعمل على تصحيحها بتقديم نصف أمواله للمساكين، وبتعويض مَنْ غَبَنهم أربعة أضعاف. وهكذا تكون كلُّ توبة حقيقية مقبولة أمام الله. ولقد كان السيِّد المسيح له المجد فى توبة زكّا هو الرب وهو الكاهِن، ممارسًا اختصاصه ككاهن أولاً فى سماع اعتراف زكّا. ثم فى مَنْحِهِ الحلَّ عن خطاياه بقوله له «اليومَ قد صارَ الخَلاصُ لِهذا البَيْتِ».

على أَنَّ الخَلاصَ فى قول الربِّ يسوع «اليَوْمَ قد صارَ الخَلاصُ. . » ليس معناه أَنَّ زكّا قد حصل على الخَلاصِ كاملاً قبل موت المسيح وعمل الفِدَاءِ الذى كان لابُدَّ منه ليتمّ الخلاصُ التامّ، وإنما معناه أن زَكَّا بتوبته الصادقة المقبولة قد استحقَّ الخَلاصَ وصار ضامِنًا له بوعد المسيح إياه. حتى إذا ماتَ المسيحُ الفادى تمَّ بموته الخلاصُ الكامل. . «لأِنَّه لَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الخَلاصُ» (الأعمال ٤ : ١٢).

ثم إنَّ فى قول الرب «اليومَ قد صارَ الخَلاصُ لِهذا البَيْتِ»، بيانًا لأهمية رَبِّ البيت بالنسبة لأهله وعياله، وإبرازًا لدوره القِيادى فى توبةِ أهل بيته، وبيّنة على مسئوليته بصفته رأس الأسرة وراعيها.

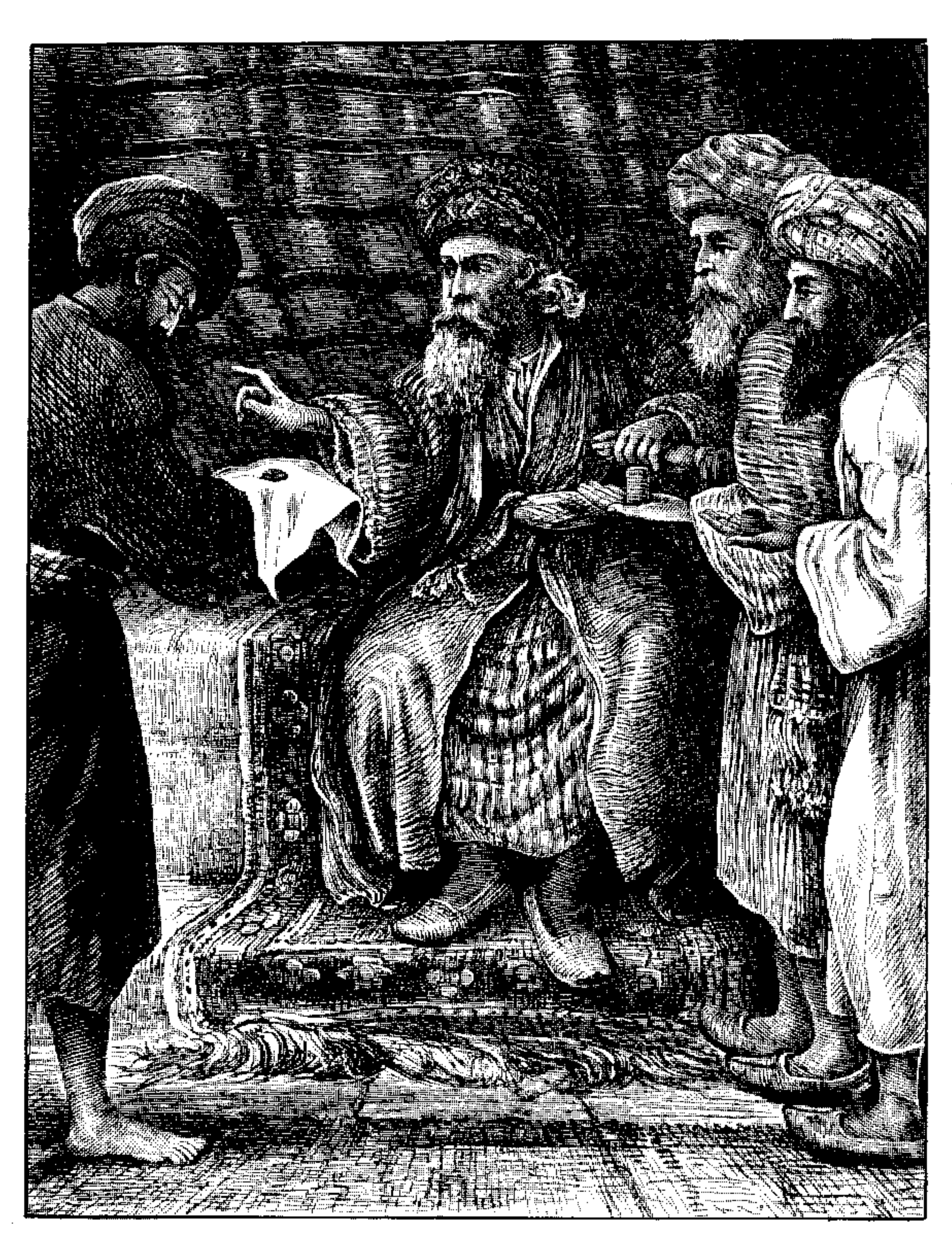
١٩ : ١١ - ٢٧

وقد كان مُخَلِّصُنا حين حَدَث هذا الذى حدث فيما يتعلّق بِزَكَّا رئيس العشَّارين فى مدينة أريحا، قريبًا من أورشليم التى كان فى طريقه إليها. وكان تلاميذه يعتقدون أنه سيدخل أورشليم فى هذه المرَّة دخول الفاتح الظافر ليجلس على العرش ويحكم مملكة اليهود ليجعلهم سادة كل الشعوب، ويجعل أورشليم عاصمة الأرض كلها. وقد كانت تراود التلاميذ حينذاك الآمال العريضة - على مقتضى اعتقادهم الخاطئ هذا - فيما سيكون لكلٍّ منهم من منصب رفيع ومركز ممتاز فى تلك المملكة الدنيوية العظيمة الشأن المترامية الأطراف. ومن ثَمَّ أراد مُخَلِّصُنا أَنْ يُصَحِّح هذا الفهم الخاطئ لرسالة معلِّمهم ولرسالتهم هم أنفسهم، وأن يُوضِّح لهم المفهوم الحقيقى الصحيح لتلك الرسالة كى ينير لهم الطريق الذى عليهم أن

يسلكوه، بعد أن يتركهم ويرتفع إلى السماء. ومِنْ ثَمَّ فإنه بعد أن سمعوا منه قوله إنَّ «ابنَ الإنْسانِ إنَّما جاءَ لِيَسْعَى فى طَلَبِ الَّذِى قد ضاعَ وَيُخَلِّصَهُ»، ضَرَبَ لهم هذا المَثَل قائلاً «إنَّ رَجُلاً مِنَ الأشرافِ ذَهَبَ إلى بَلَدٍ بعيدٍ لِينالَ المُلْكَ لِنَفْسِهِ وَيَعودَ، فَدَعَا عَشْرَةَ خَدَم له وَأَعْطاهُمْ عَشْرَ وَزَناتٍ مِنَ الفِضَّةِ. وقالَ لَهُم تَاجِروا بِها حَتَّى أَجِيءَ وَلَكِنَّ أَهْلَ بَلَدِهِ إذ كانُوا يَكْرَهُونَهُ أَرْسَلوا فى إِثْرِهِ سُفَراءَ عَنْهُم يَقولونَ: لا نُريدُ أَنْ يَمْلِكَ هذا عَلَيْنا. فَلَمَّا عادَ بَعْدَ أَنْ نَالَ المُلْكَ أَمَر باستِدْعاءِ أُولئِكَ العبيدِ الذّينَ أَعْطاهُمْ الفِضَّةَ لِيَعْرِفَ ماذَا فَعَلَ كُلُّ واحِدٍ فى تجارتِهِ. فَجاءَ الأَوَّلُ قائِلاً: يا سَيِّدِى إنَّ وَزْنَتَكَ قَد رَبِحَتْ عَشْرَ وَزَناتٍ. فقالَ لَهُ: أَحْسَنْتَ أَيُّها العَبْدُ الصَّالِحُ، وإذ كُنْتَ أَمينًا فى القَليلِ، فَلْيَكُنْ لَكَ السُّلْطانُ عَلى عَشْرِ مُدُنٍ. ثُمَّ جاءَ الثَّانى قائِلاً: يا سَيِّدِى إنَّ وَزْنَتَكَ قَدْ رَبِحَتْ خَمْسَ وَزَناتٍ. فقالَ لِهذا كَذَلِكَ: فَلْتَكُنْ أَنْتَ أَيْضًا عَلَى خَمْسِ مُدُنٍ. ثُمَّ جَاءَ آخَرُ قائِلاً: ها هى ذى وَزْنَتُكَ مَوْضُوعَةٌ عِنْدِى وَقَدْ صَرَرْتُها فى مِنديلٍ. فَإِنِّى خِفْتُ مِنْكَ لِأَنَّك رَجُلٌ قاسٍ تَأْخُذُ مَا لَمْ تُودِعْ، وَتَحْصُدُ ما لم تَزْرَعْ. فقالَ لَهُ: مِنْ ذاتِ فَمِكَ سَأَدِينُكَ أَيُّها العَبْدُ الشِّرِّيرُ. ما دُمتَ تَعْرِفُ أَنِّى رَجُلٌ قاسٍ آخُذُ ما لم أُودِعْ، وَأَحْصُدُ ما لَمْ أَزْرَعْ. فَلِماذَا لم تُودِعْ فِضَّتِي مائِدَةَ الصَّيارِفَةِ، حَتَّى إذا جِئْتُ أَسْتَرِدُّها مَعَ رِبْحِها؟. ثُمَّ قالَ لِلواقِفِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ: خُذُوا مِنْهُ الوَزْنَةَ وَأَعْطُوها لِلَّذِى عِنْدَهُ العَشْرُ الوَزَناتِ. فَقالُوا له: يا سَيِّدُ إنَّ عِنْدَهُ عَشْرَ وَزَناتٍ. قالَ: إِنِّ أَقولُ لَكُمْ إنَّ كُلَّ مَنْ له سَيُعْطَى. وأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ، فَحَتَّى الَّذِى عِنْدَهُ سَيُؤْخَذُ مِنْهُ. فَأَمَّا أَعْدائِى أُولَئِكَ الَّذِين لَم يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِم، فَجِيئُوا بِهِم إلى هُنا واذْبَحوهُم أَمامِى».

وواضحُ أن الرَّجُلَ من الأشراف الذى يتحدَّث عنه مُخلِّصُنًا فى هذا المَثَل إنما يرْمِزُ بِهِ إلى نفسه. وإذ قال إنَّ هذا الرَّجُلَ ذَهَبَ إلى بَلَدٍ بعيدٍ لينَالَ المُلْك لنفسِهِ ويعود، إنما يشير بذلك إلى اعتزامه هو أن ينطلق إلى السَّماء البعيدة كُلَّ البُعْدِ عن الأرض من حيث طبيعتها، ليجلس على عرش مَلَكوته السماوى، على خلاف ما كان تلاميذُه يعتقدون أنه ذاهب إلى مدينة أورشليم القريبة ليجلس على عرش مملكة أرضيَّة. كما يشير إلى عودته فى مجيئه الثانى عندما يحين الموعدِ المحدَّد لذلك فى

التدبير الإلهى. وإذ قالَ مُخَلِّصُنا إنَّ ذلك الرَّجُلَ من الأشراف قَبْل ذهابِهِ إلى البلد البعيدِ دَعَا عَشْرَةَ من خَدَمه وأعطاهم عَشْرَ وَزَناتٍ من الفِضَّة وقال لهم تاجِروا بها حتَّى أَجىءَ، إنما كان يرمز إلى تلاميذه وإلى سائر المؤمنين به الذين أعطاهم مواهب وطلب إليهم أن يستثمروها فى خدمة كلمته وكنيسته حتى يحين موعد مجيئه الثانى. وأما أهلُ بَلَد ذلك الرَّجُل الذين إذ كانوا يكرهونه أرسلوا فى إثره سفراءَ منهم يقولون «لا نُريدُ أَن يَمْلِكَ هَذا عَلَيْنا»، فيرمز بهم مُخَلِّصنا على الخصوص إلى اليهود الذين كانوا يكرهونه. وقد رفضوا أن يعترفوا بأنه هو المسيح ابنُ الله مَلِكُهُم الإلهىّ الذى كانوا ينتظرونه، ومِنْ ثَمَّ رفضوا أن يملك عليهم، وظلُّوا مُصِرِّين على رفضهم إياه حتى بعد أن صنع معجزته الكبرى، إذ بعد أن مات على الصَّليب أقامَ نفسه فى اليوم الثالث من بين الأموات وصعد إلى السماء. كما يرمز بهم مخلِّصنا على العموم إلى كُلِّ الذين كرهوه من غير اليهود ورفضوه مَلِكًا عليهم من سائر الأمم وفى كلِّ الأجيال، على الرغم من كُلِّ ماعَرَفوه عنه من فم رُسُلِهِ ودم شُهَدائه، ومِنْ كُلِّ الأدلّة الساطعة والبراهين القاطعة التى لا تقبل الشكَّ ولا تحتمل الرِّيبة على أنه هو المسيح ابن الله مخلِّص البشر وفاديهم، وديّانهم فى اليوم الأخير، الذى يرمز إليه مخلِّصنا فى المَثَل الذى ضَرَبَه باليوم الذى عَادَ فيه الرَّجُل الشريف بعد أن نَالَ المُلْكَ. كما يرمز مخلِّصُنا بما فَعَلَهُ ذلك الرَّجُل إذ أَمَرَ باستدعاء عبيده ليحاسبهم، إلى ما سيفعله هو حين يَستدعى أمامه البَشَرَ جميعًا فى ذلك اليوم الرهيب ليحاسبهم على أعمالهم. فكما جاء العبد الأوَّل قائلاً «يا سيِّدى إنَّ وَزْنَتَكَ قد رَبِحتْ عَشْرَ وَزَناتٍ» فكافأهُ سَيِّدُه على أمانته بأن أعطاه السلطان على عشر مدن، هكذا سيجىء واحد من تلاميذ مخلِّصنَا أو المؤمنين به على العموم ويقرِّر مخلِّصنا أنه استخدم المواهب التى منحه إياها بكلِّ ما فى طاقته من جهد حتى ضاعفها عشرة أمثال، فيمتدحه مُخَلِّصنَا على أمانته فى استثمار القليل الذى ائتمنه عليه قائلاً له «أَحْسَنْتَ أَيُّها العَبْدُ الصَّالِحُ». ثم يكافئه على أمانته بأن يمنحه عشرة أمثال ما بذل من جهد، لا سلطانًا أرضيًّا كما فَعَلَ المَلِك الأرضىُّ فى المَثَل، وإنما مجدًا سماويًّا لا يُعتَبُر أعظم سلطان أرضىّ شيئًا على الإطلاق بالنسبة إليه. وكما جاء



« مَثَل الوزنات » (لوقا ١٩ : ١١ - ٢٧)

العبد الثانى قائلاً «يا سَيِّدِى إنَّ وَزْنَتَكَ قد رَبِحَتْ خَمْسَ وَزَناتٍ»، فكافأه سيِّدُه كذلك على أمانته بأن أعطاه السُّلطان على خَمْسِ مُدُنٍ، هكذا سيجىء تلميذٌ آخر من تلاميذِ مُخَلِّصِنا أو المؤمنين به على العموم ويقرِّر أنه استخدم المواهب التى منحه إياها بقدر طاقته حتى ضاعفها خَمْسَةَ أمثال، فيمتدحه مخلِّصنَا كذلك على أمانته فى استثمار القليل الذى ائتمنه عليه وإن لم يكُن بالقَدْر الذى فَعَلَه الأوّل، ثم يكافئه على أمانته بأن يمنحه من المجد السَّمَاوِىِّ خمسة أمثالِ ما بذل من جهد، لأنه على قدر الجهد تكون المكافأة. وأما ذلك العبد الذى جاء إلى سيِّده وأعاد إليه وزنته مُقرِّرًا أنَّهُ صَرَّها فى منديل وأهملها، بحجة أنه خافَ منه لأنه قاسٍ يستخدم عبيده فى أن يتاجروا بفضته، ثم يأخذها منهم مضافًا إليها ماربحوه بالاتِّجار بها، فيأخذ بذلك مالم يُودع. ويحصد مالم يزرع، فيرمز به مخلِّصنا إلى ذلك الذى يمنحه مخلِّصنا المواهب كى يستخدمها فى خدمة كلمة الإنجيل ورسالة الخلاص التى تتضمَّنها، فلا يعمل بها، بل لا يأبه لها، بل يهملها كُلَّ الإهمال، وَيُلْقى بها فى زوايا النسيان، كَمَنْ يَصرُّ شيئًا ثمينًا فى منديل ويُلقى به بعيدًا فى ركن من الأركان، فلا ينتفع هو بتلك المواهب الثمينة ولا يَدَعُ أَحَدًا غيره ينتفع بها. حتى إذا جاءت ساعة الحساب وسأله مخلِّصنا عَمَّا فَعَلَ بمواهبِهِ التى منحه إياها كان عُذْرُهُ أقبح من ذنبه، إذ يجيب عن سؤال مخلِّصنا، لا فى اعتذار أو تبرير معقول أو مقبول، وإنما فى صفاقة وَتَبجُّحٍ بأنه خاف منه لأنه قاسٍ يأخذ ما لم يُودع، ويحصد ما لم يزرع، مع أَنَّ المواهب التى يمنحها اللَّهُ للبشَر هى دليل رحمته لا قسوته، ولأنه يقصد بها خيرًا لا لنفسه وإنما للبَشَر، لأنه هو مصدر الخير، بل إنَّه هو الخير ذاته وهو الخير كلَه. فلئن طَلَبَ الخير إنه لا يطلبه إلاَّ لمن هو فى حاجة إليه، ولئن أودَعَ الإنسانَ شيئًا منه، ثم استردّه ولو أضعافًا، إنه يستردّ ما يملك أصلاً. ولئن حَصَدَ ما زَرَعَهُ فى قلب الإنسان ولو أضعافًا مضاعفة، إنه يحصد ما زرع وما يملك أصلاً كذلك. فمهما استثمر الإنسان من المواهب التى منحه إياهـا مخلِّصنا الإلهى وتعب فى استثمـارها، فـالثَّمر ليس ثَمـر تَعَبِهِ هـو، وإنما ثَمـر نعمة الله التى وهبـه إياهـا. وفى ذلك يقـول بـولس الـرسـول «أَنَــا تَعِبْتُ أكـثر منهم جميعهم، ولكن لا أنا بل نعمة الله التى معى»

(١ . كورنثوس ١٥ : ١٠). بل إنَّ العبد الصالح فى المَثَل الذى ضَرَبَهُ مخلِّصنا لم يَقُلْ لسيِّدِهِ إنه هو نفسه الذى ربح من وزنته العشر الوزنات، وإنما قال إنَّ وزنة سيِّده هى نفسها التى ربحت العشر الوزنات. وهكذا قال العبد الصالح الآخَر الذى ربِحَتْ وزنتُه الخمسَ الوزنات. وأما العبد المستهتر غير الأمين وغير العامل وغير العابئ، فلم يَكْفِهِ ما أبداه من إهمال، وإنما زاد على ذلك بذاءته فى مخاطبة سَيِّده، ومغالطته مغالطة سَافرة وسَفيهة فى التماس العذر لنفسه، مِمَّا يَدُلُّ على تَأَصُّلِ الشرِّ فى نفسِهِ، ومِنْ ثَمَّ قال له سيِّدُه «مِن ذاتِ فَمِكَ سَأَدِينُكَ أَيُّها العَبْدُ الشِّرِّيرُ. ما دُمْتَ تَعْرِفُ أَنَّنِي رَجُلٌ قاسٍ آخُذُ ما لم أُودِعْ، وأَحْصُدُ ما لم أَزْرَعْ، فَلِماذا لم تُودِعِ فِضَّتِى مائِدَةَ الصَّيَارِفَةِ، حَتَّى إذا جِئْتُ أَسْتَرِدُّها مَعَ رِبْحِها؟» وهذا هو مُؤَدَّى ما سيقوله مُخَلِّصنا فى يوم الدينونة لذلك الذى أهمل ما منحه من مواهب ولم يستثمرها، إذ سَيسأله فى استياء واستنكار قائلاً له إذا كان هو بسبب شرِّه ومكْرِهِ لم يكترث بالانتفاع بتلك المواهب لخير نفسه، فلماذا لم يترك للآخَرين أن ينتفعوا بها ويستثمروها مستخدمين ثمارها وأرباحها لخيرهم ولخير الكنيسة والناس؟.
لذلك فكما قال الملك الأَرْضِيُّ للواقفين بين يديه فى المَثَل الذى ضَرَبَهُ مخلِّصنا أن يأخذوا الوزنة من العبد الشرير الذى لم يُتاجر بوزنته، ويعطوها للذى عنده العشر الوزنات، هكذا سيفعل الملك السَّمَاوِيُّ الدَّيَّانُ، إذ سيقول للملائكة الذين سيكونون واقفين بين يديه فى يوم الدينونة أَنْ يأخذوا المواهب التى كان قد منحها لذلك الإنسان الخامل الكسلان غير الأمين وغير المجتهد فأهملها ولم يستخدمها ولم يستثمرها، وأن يعطوها للذى استخدم المواهب الممنوحة له بأقصى ما فى طاقته، واستثمرها أفضل استثمار وأكمله، لينال نعمة فوق ما كافأه به من نعمة. فإن تساءل بعض المتسائلين قائلين إنَّ عنده أكبر قدر من المواهب، وقد نال أكبر قدر من النعمة، قاصدين أنه لم تَعُدْ به حاجة إلى زيادة، أجابهم مخلِّصنا قائلاً «إنِّى أَقولُ لَكُم إنَّ كلَّ مَنْ له سيُعْطى، وأما مَنْ ليس له، فَحَتَّى الّذِى عِنْدَهُ سَيُؤخَذُ مِنْهُ»، أى أنَّ كلَّ مَنْ مَنَحَهُ قدرًا من المواهب فاستخدمها واستثمرها فى أمانة واجتهاد، سيزيد له من هذه المواهب، لأنَّ الأمين والمجتهد فى القليل، أمين ومجتهد أيضًا فى

الكثير. وأمَّا مَن لم يستخدم المواهب التى منحه إياها ولم يستثمرها وإنما أهملها فى غير أمانة ولا اجتهاد. فإنَّ العدل يقضى بانتزاعها منه، لأنه برهن على أنه غير جدير بها ولا يستحقها، وإعطائها لمن برهن على أنه جدير بها ويستحقها.

وكما قال الملك الأرضىّ فى المثَل الذى ضربه مُخَلِّصُنَا « فأمَّا أعدائِى أُولَئِكَ الَّذِين لم يُرِيدُوا أن أَمْلِكَ عَلَيْهِم ، فَجِيئُوا بِهِم إلى هُنا واذبَحوهُم أَمامِى »، هكذا سيفعل مخلِّصنا فى يوم الدينونة، إذ سيقضى بهلاك اليهود الذين رفضوا أن يعترفوا بأنه هو المسيح ابن الله مَلِكهُم السماوىّ الذى تنبأ كلُّ أَنبيائهم بأنه سيجىء إلى العالَمَ متخذًا جسد إنسان لخلاصهم وخلاص البشَر جميعًا، ورفضوا أن يملك بتعاليم عهده الجديد على قلوبهم وأرواحهم، بل إن اليهود قد نالوا عربونًا لهذا الهلاك الذى قضَى به مُخَلِّصنا عليهم بعد سنوات قليلة من رفضهم له وإنكارهم إياه وتآمرهم على قَتِله، إذ جاء الرُّومان وحاصروا بلادهم وذبحوا الغالبية العظمى منهم، وأَسَرُوا البقية الباقية من فلولهم فعاشوا مُسْتَعبدينَ مُشرَّدِين مُحْتَقَرِينَ مُزْدَرِينَ مَنبُوذِينَ نَبْذَ الدَّنِسين، معزولين عَزْلَ النَّجِسينَ فى كلِّ مكانٍ وفى كلِّ زمان، وسيظلّون هكذا إلى أن يقفوا فى نهاية الزمان أمامَ الإله الدَّيَّان فيقضى عليهم كما يقضى على جميع الأشرار بالهلاك الأبدىّ.

١٩ : ٢٨ - ٤٠

وبعد أنْ ضَرَبَ مُخَلِّصُنا هذا المثَل لتلاميذه ولكل الذين كانوا يرافقونه فى رحلته إلى أورشليم، صعد متقدِّمًا جميع أولئك إلى تلك المدينة، وهو يَعْلَمُ أنَّه فى هذه المرة إنما يسعى بقدميه إلى الموت، إذ كان يعلَم أنَّ اليهود فى هذه المرَّة سينجحون فى التآمُر عليه وقَتْلِهِ، ولكنه لم يتضعضع أو يتراجع. بل تقدَّم فى تصميم وعزيمة، وبمحض اختياره وبكامل إرادته. لأنه ما جاء إلى العالَمَ إلا لهذه الغاية وهى أن يقدِّم نفسه ذبيحة ليكفِّر بدمه عن خطايا البَشَر ويرفع عنهم حكم الهلاك الذى قضت به العدالة الإلهية عليهم بسبب شرورهم وآثامهم. فإن كان اليهود هم الذين قتلوه بدافع من حسدهم وحقدهم عليه - وقد استحقوا لذلك جزاء جريمتهم، وهو

الهلاك الذى هو جزاء القاتلين ظُلْمًا وَبغْيًا وطُغْيَانًا - فإنه هو من ناحيته، إنما بَذَلَ دمَه طوَاعيةً واختيارًا، لا جَبْرًا ولا قَسْرًا ولا قَهْرًا، وإنما بدافع من محبته للبَشَر ورغبته فى خلاصهم، ومَسَرَّته مع أبيه السماوىِّ الذى هو واحد معه أن يتمِّم هذا التدبير الإلهى. وقد قرَّر هو نفسه ذلك صراحة، إذ قال كما وَرَدَ فى الإنجيل للقدّيس يوحنّا «أنا هو الرَّاعى الصّالِحُ، والرَّاعى الصَّالِحُ يَبذُلُ نَفْسَهُ عن الخِراف. . . لذلك يُحِبُّنِي. أبى، إذ أَبْذُلُ نَفْسى، كىْ اسْتَرِدَّها. ما مِنْ أَحَدٍ يَنْتَزِعُها مِنِّى، وإنَما أبذُلها أَنَا وَحْدِى من ذاتِى. فلى سُلْطانٌ أن ابذُلَها، ولى سُلْطانٌ أن أسْتَرِدَّها» (يوحنا ١٠ : ١١ - ١٨). كما قال «ما مِن حُبٍّ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَبْذُلَ أَحَدٌ نَفْسَهُ عَنْ أَحِبَّائِهِ» (يوحنا ١٥ : ١٣). وعلى هذا الأساس ولتحقيق هذه الغاية، تقدَّم مخلِّصنا صاعدًا إلى أورشليم.

ولقد أراد مخلِّصُنا وفادينا أن يكون دخوله أورشليم الأرضية لآخر مرة رمزًا لدخوله أورشليم السمائية فى مجده الملكى الإلهى. بيد أنه حتى فى دخوله المجيد هذا لم يشأ وهو فى جَسَد تواضعه أن يتنازل عن ذلك التواضع الذى لازَمَهُ طوال حياته على الأرض، فلم يدخلها كعادة ملوك الأرض مُعْتَلِيًا عَرَبَةً مَلكيَّةً، أو ممتطيًا جوادًا مطهمًا يحيط به الأمراء والوزراء والكبراء وحامِلو البيارق والأعلام فى فخامة الفاتِحين المنتصرين وضخامة مظاهر القادة الظافرين، وإنما اختار أكثر وسائل الركوب تواضعًا وأكثر مواكب المرافقين وجموع المستقبلين بساطة وفقرًا وبؤسًا. إذ أنه حين اقترب من بيت فاجى وبيت عنيا اللتين كانتا ضاحيتين من ضواحى أورشليم عند الجبل المسمَّى جبل الزيتون، أرسل اثنين من تلاميذه قائلاً لهما «اذهَبا إلى القَرْيَةِ التى تجاهَكُما، فَحِينَ تَدْخُلانها سَتَجِدانِ جَحْشًا مَرْبُوطًا لم يَرْكَبْهُ أَحَدٌ مِن قَبْلُ، فَحُلاَّهُ وجِيئا بِهِ. وإنْ سْأَلَكُما أَحَدٌ لِماذا تَحُلاَّنِهِ، فَقُولا لَـهُ هَكَذا : إن الرَّبَّ مُحْتاجٌ إليهِ». فمضى الرُّسُولانِ فَوَجَدا كما قالَ لَهُما. وَفِيما هُمَا يَحُلاَّنِ الجَحْشَ قالَ لَهُمَا أَصْحابُهُ «لِماذا تَحُلاَّنِ الجَحْشَ؟» فَقالا «إنَّ الرَّبَّ مُحْتاجٌ إليهِ»، (لوقا ١٩ : ٢٩ - ٣٤) ثم جاءا إلى مُخَلِّصِنا. وهكذا فإنَّ فادينا له المجد حتى فى تواضعه برهن على علمه الإلهى بوجود ذلك الحيوان حيث كان مربـوطًا، كـما برهن عـلى سلطانه

الإلهىَ على نفوس البشر، إذ أَوْحَى إلى أصحاب هذا الحيوان بحاجته إليه فأذعنوا له فى الحال. ولم يعارضوا تلميذيه فى أن يَحُلَّاه ويأتياه به. وإذ لم يكن لدى التلميذين الفقيرين سَرْجًا من المخمَّل أو الحرير المطعَّم بالذهب أو الفضة يليق بجلوس ملك عليه ليضعاه على الجحش الذى سَيركبه فى دخوله عاصمة مملكتِه أو بالأحرى ملكوته، ولم يكونا يملكان غير ثيابهما البسيطة البالية التى يرتديانها، ألقياها على الجحش وأركبا مخلِّصنا. كما أنه فيما هو ماضٍ لم يكن لدى التلاميذ أبسطة فخمة فاخرة يبسطونها فى طريقه، كما ينبغى أن يفعل أهل الأرض فى استقبال ملوكهم. ولم يكونوا أيضًا يملكون غير ثيابهم البسيطة البالية التى يرتدونها، فبسطوها فى طريقه وهو راكب الجحش. وهكذا تحققت نبوءة زكريًّا النبىّ عن دخول المسيح المنتظر إلى أورشليم التى كانوا يُسَمُّونها كذلك صهيون، إذ قال «ابتهجى جدًّا يا ابنة صهيون. اهتفى يا بنتَ أورشليم. هوذا مَلِكُكِ يأتى إليك. هو عادلٌ ومنصور. وديع وراكب على حِمارٍ وعلى جَحْشٍ ابنِ أتان» (زكريا ٩ : ٩). ونلاحظ هنا أن الجحش لم يكن بمفرده حين أتى به التلميذان، وإنما كانت معه أمه الأتان كما ورد فى الإنجيل للقديس متى (متى ٢١ : ٢ - ٧). غير أَنَّ الأناجيل الثلاثة الأخرى لم تذكر إلا الجحش، وذلك لأن السيد المسيح له المجد قد ركب الجحش ودخل به أورشليم. ووفقًا لما جاء فى الإنجيل للقديس متىّ لابُدَّ أن الرب يسوع قد ركب الأتان أولاً، ثم تركها وركب الجحش بعد ذلك ودخل به أورشليم. ولما كان الجحش يرمز إلى الوثنيين لنجاسته، يكون دخول مخلِّصنا به أورشليم رمزًا لدخوله بالوثنيين إلى حظيرة الخلاص.

ولما اقتربَ فادينا من منحدر جبل الزيتون وأوشك أن يدخل أبواب أورشليم الأرضية، فَعَل جمهورُ التلاميذ بوحى من روح القدس ما تفعله الملائكة وهى تستقبل فادينا الإلهى عند دخوله أوشليم السمائية، إذ أخذوا يتهلّلون ويسبِّحون الله بصوت عظيم من أجل كل أعمال القدرة التى شاهدوا فادينا يصنعها أمام أعينهم، مردّدين ذات العبارة التى تردّدها الملائكة فى استقبال ملك السماء والأرض، قائلين «مُبارَكٌ المَلِكُ الآتِى باسمِ الرَّبِّ، السَّلامُ فى السَّماءِ والمَجْدُ فى

الأعالى» وقد ذكرت نبوءات المزامير هذا الهتاف الذى تهتف به الملائكة عند دخول فادينا أبواب مجده والذى هتف به التلاميذ، إذ بعد أن قالت على لسان فادينا «افْتَحوا لى أبوابَ البِرِّ أَدْخُلُ فيها» ردّدت هتاف الملائكة عندئذ وهم يسبّحون قائلين «مُبارَكٌ الآتِى باسمِ الرَّبِّ» (المزمور ١١٧ : ١٩ و ٢٦). كما ردّد التلاميذ ذات العبارة التى كانت تردّدها الملائكة الذين ظهروا للرعاة فى ليلة ميلاد فادينا، إذ كانوا يُسَبِّحونَ قائلِين «المجدُ لِلّهِ فى الأعالِى وعَلَى الأَرْضِ السَّلامُ» (لوقا ٢ : ١٤). فحيثما حَلَّ ربُّ المجد، فهناك السلامُ. إذ حين تواضَعَ وَحَلَّ على الأرض، قالت الملائكة «عَلى الأَرضِ السَّلامُ». وحين أزمع أن يرتفع ليدخل فى مجده السماوىِّ قال التلاميذ بروح القدس «السَّلامُ فى السَّماءِ».

وقد كان بعض الفرِّيسيِّين من بين الجَمْع الذى تَجَمْهَرَ عند دخول فادينا أورشليم، إذ كانوا يتبعونه أينما ذَهَبَ ليتجسسوا عليه ويتآمروا ضده، فتملَّكهم الغيظ مِمَّا يهتف به تلاميذه، وتقدموا إليه قائلين «يا مُعَلِّمُ انْتَهِرْ تَلامِيذَكَ»، فأجابَ وقالَ لهم «أَقولُ لَكُمْ إِنَّهُ إنْ سَكَتَ هَؤلاءِ صَرَختِ الحِجارَةُ»، أى أنه وهو ربُّ المجد كُلِّه لا يفتأ الكون كلُّه يترنَّم بتسبيحه، سواء فى ذلك الحىّ منه والجماد. فلئن لم يسبِّحه الأحياء مختارين أو مضطرين، سَبَّحتهُ الحجارة التى لا اختيار لها ولا اضطرار، بحكم كونها خليقته، وطائعة له، وخاشعة بطبيعتها لربوبيته، فهى كما يقول الربُّ على لسان حبقوق النبىّ «تَتَكَلَّمُ ولا تَكْذِبُ» (حبقوق ٢ : ٣).

١٩ : ٤١ - ٤٤

ولما اقترب فادينا من مدينة أورشليم نظر إليها وبَكَى عليها، إشفاقًا عليها من المصير الرَّهيب الذى كان ينتظرها، مع أنها كانت فى العهد القديم هى أقدس مكان، أو ينبغى أن تكون أقدس مكان، لأَنَّ الله اختارها دون غيرها من مدن الأرض ليقوم فيها هيكله الأوحد الذى لم يكن يجوز وفقًا للشريعة تقديم القرابين له إلَّا فيه وحده، ولا سيَّما الذبائح التى لم تكن إلَّا رمزًا لتقديم فادينا نفسَهُ ذبيحةً للتكفير عن خطايا البَشَر، فكان جديرًا بتلك المدينة المختارة من الله لتكريمه

وتقديسه أن تكون هى المتقدِّمة على كلِّ المُدن فى تقواه والتمسُّك بتعاليمه ووصاياه. ولكنها على العكس عادَته ونَبذَت عبادَته وعَبَدَت الأصنام من دونه، وأصبحت أفسد المدن وأفسقها، وأكثرها شرورًا وفجورًا، وإثمًا وظُلمًا، وسفكًا للدِّماء وبَغْيًا على المساكين والضعفاء والأرامل والأيتام والأبرياء، حتى لقد خاطَبهَا الله بِلِسانِ حزقيال النبىّ قائلاً لها «أيتها المدينةُ السافكة الدم.. الصانعة أصنامًا لنفسها لتتنجَّسَ بها. لقد أَثِمتِ بدمك الذى سَفَكْتهِ ونجَّستِ نفسكِ بأصنامك.. يا نجسة الاسم يا كثيرة الشَّغْبِ. هوذا رؤساءُ إسرائيل كل واحد حسب استطاعته كانوا فيكِ لأجل سَفْك الدَّمِ. فيكِ أهانوا أبًا وأُمًّا. وفى وسطك عاملوا الغريب بالظُّلم. فيك اضطهدوا اليتيم والأرملة. لقد ازدريتِ أقداسى ونجَّسْتِ سُبُوتى. كان فيكِ أناسٌ وُشَاةٌ لسفكِ الدَّم.. فى وسطك عَمِلوا رذيلةً. فيكِ من كشَفَ عَوْرَةَ أبيه. وفيكِ أَذِلت المتنجِّسَةَ بطمْثِها. إنسانٌ فَعَلَ الرِّجْسَ بامرأة قريبه. وواحد نجَّس كنَّتَهُ برذيلة. وواحد أذَلَّ فيكِ أخته بنتَ أبيهِ. فيكِ أخذوا الرَّشوة لسفكِ الدم وأنت أخَذْتِ الرِّبا والمرابَحةَ، وسَلَبْتِ أقرباءك بالظُّلْم ونَسيتِنِي يقولُ السِّيدُ الرَّبُّ.. أكْثَروا أراملها فى وَسَطِها. كهنتها تعدَّوا شريعتى ونَجَّسُوا أقداسى، ولم يميِّزوا بين المُقَدَّسِ والمدنَّسِ ولم يُعلموا الفرق بين النجس والطاهر.. رُؤَسَآؤها فى وسَطها كذئاب خاطِفة خَطْفًا لِسَفكِ الدَّم، لإهلاكِ النُّفوسِ. لاكتسابِ كَسْبٍ. وأنبياؤُها قد طَيَّنوا لهم بالطُّفَال، رائين باطلاً وعارفين لهم كذبًا، قائلين هكذا قال السَّيِّدُ الرَّبُّ والرَّبُّ لم يَتَكلَّمْ. شَعْبُ الأرض ظَلَمُوا ظُلْمًا وَغَصَبُوا غَصْبًا، واضْطَهَدُوا الفقير والمسكينَ وظَلَموا الغريب بغير الحَقِّ.. فسكبتُ سُخْطِى عليهم. أَفْنَيْتُهُم بنار غَضَبى. جَلَبْتُ طريقَهُم على رؤُوسِهِم يَقولُ السيِّدُ الرَّبُّ» حزقيال٢٢ :٣-٣١). ولقد كان فى مجىء السيِّد المسيح فرصة أخيرة أمام أورشليم لتندم على ذنوبها وآثامها، وتتوب عن شرورها وكل مظاهر فجورها، ولكنها بدلاً من أن تنتهز هذه الفرصة أضاعتها، وبدلاً من أن تؤمن بابن الله الذى تواضع واتَّخذَ جَسَد إنسانٍ لينقذها أنكرته وتنكَّرَت له وعادَته واعتَدَت عليه. ومع كلِّ ذلك فإن قلبه الرحيمَ الرفيقَ، المحِبَّ الشَّفيقَ، تألم عليها لدرجة البكاء وهو ربُّ الأرض

والسَّماء، ضَارِبًا للبَشَرِ بذلك أروع وأرفع مثال لِمَا ينبغى أن تكون عليه قلوبهم من رَحْمَةٍ ورِقَّةٍ ومحبَّةٍ وَشَفَقَةٍ، وخاطَبَ تلك المدينة العزيزة عليه والدُّموع تتدفَّقُ من عَيْنَيْهِ، فى تَوَجُّعٍ لها وَتَفَجُّعٍ عليها، وهو يَرَى بعلْمه الإلهىِّ نهايتها الموجِعَةَ المُفْجِعَةَ، قائلًا لها «لو أنَّكِ أَنتِ أيضًا كُنْتِ تَدْرِين على الأَقلِّ فى هذا اليومِ الذى هُوَ لَكِ ما هو لأَجْلِ سَلامك؟ ولكنه الآن مَحْجوبٌ عن عينيك. فإنّه ستأْتِى عليكِ أيامٌ يُحيطُ بكِ فيها أَعداؤُكِ بالمتاريس، وَيُطَوِّقونَكِ ويُحاصِرُونَكِ من كُلِّ جِهَةٍ، وَيَدكُّونَكِ وبَنُوكِ فيكِ، فَلاَ يَتْرُكُونَ فيك حَجَرًا على حَجَرٍ، لأنَّكِ لم تَعْرِفى زمانَ افْتِقَادِكِ»، أى أنَّ أُورشليم لو أنها على الأقلِّ فى هذا اليَوْم الذى جاءَ فيه مُخَلِّصُهَا الذِى تنبأ بمجيئه كلُّ أنبيائها ليمنحها السلام، كانت تدرى حقيقة شخصيته ورسالته لَتحقَّقَ لها فى هذا اليوم خلاصُها وسلامُها. ولكنَّها عَمِيَتْ عيناها عن أَنْ ترى شَمْسَ البِّر المشرقة فى حلكة ظلامها، لأنها جهلت أو تجاهلَت أن هذا هو الموعِد الذى حدّده التدبير الإلهى على فم أنبيائها لمجىءِ الربِّ ليتفقَّدَها ويمسك يَدَها ليقودها نحو شاطئ الخلاص والسلام، وَمِنْ ثَمَّ استحقَّت تنفيذ قضاءِ اللّهِ بهلاكها على يَدِ أعدائها الذين جعلهم اللّهُ واسطة لتنفيذ ذلك القضاء عليها. وبالفعل لم تمض خمسة وثلاثون عامًا على نُطْقِ مُخَلِّصنا بهذه العبارة التى تنبأ فيها بهلاك أورشليم على مقتضى العدل الإلهى، حتى حاصرها الرُّومان بجيوشهم ثم اقتحموها ودكوها دكًا، ودمَّروها تدميرًا، وأضرموا النار فيها وفى هيكلها بعد أن هدموه فلم يتركوا فيه حجرًا على حَجَرٍ، حتى أصبح كومة من الرَّماد، ثم أعملوا السَّيْفَ فى رقاب اليهود، حتى أصبحت دماءُ قتلاهم كالبحيرات فى شوارع المدينة. وتكوَّمت الجثث أكداسًا فى ساحاتها. وقد ذَكَرَ يوسيفوس المؤرخ اليهودى الذى عاشَ فى ذلك العصر أن الرُّومان كانوا يأتون باليهود ويصلبونهم بالمئات فى هُزْءٍ وَسُخْرِيةٍ حتى ضاقَت السَّاحاتُ بالصُّلبان، وضاقت الصُّلبان بالجثث. وقد ذبحوا أكثرَ من مليون ومائة ألف رَجُل. ومِنْ ثَمَّ لم يَسَع يوسيفوس إلاَّ أَنْ يُقِرَّ قائلًا «إنَّنِى لا يُمكِنُ أَنْ أُفَكِّرَ فى سَبَبٍ لِهذا إلاَّ أَنَّ اللّهَ قد حَتَّمَ خَرابَ هذه المدينة النجسة، إذ سَمَحَ بهلاكِ أولئك المدافعين عنها. لأنّه حتى أولئك الذين كانوا يرتدون الملابس

المقدَّسة ويرأسون الصَّلَوات العامَّة وكانوا موضع التبجيل من الناس جميعًا قد طُرِحُوا عُراةً فى الوَحَل وصارُوا مأكلًا للكلاب وطعامًا للحيوانات المفترسة». وقال آخَرُون من مُؤَرِّخى اليهود الذين شاهدوا خراب أورشليم «إنَّ هذهِ المدينة قد استوفت عِقابها، لأنَّها أَنجبت جيلًا من الرِّجال كانوا سبَبَ تعاستها».

۱۹ : ٤٥ و ٤٦

ولئن كان مَلِكٌ من ملوك الأرض حين يدخل عاصمة مملكته يتَّجه مباشرة إلى القَصْر المَلَكىِّ الذى هو بيته، إنّ فادينا حين دَخَلَ أورشليم اتَّجه مباشرة إلى الهيكل الذى هو بيت الله، وهو فى ذات الوقت بيته هو، لأنه هو والله الآب واحد، إذ قال إنَّ «مَنْ رَآنِى فَقَدْ رَأَى الآبُ» (يوحنا ١٤ : ٩). وبذلك تحققت نبوءة ملاخى النبىّ إذ قال «يأتى بَغْتَةً إلى هَيكَلِهِ السَّيِّدُ الذى تَطْلُبُونَهُ» (ملاخى ٣ : ١).

وكان هيكل أورشليم هو مركز العبادة اليهودية، ورمز تاريخ اليهود وموضع فخارهم وزَهْوِهِم. وقد شيَّدَه المِلِك سليمان قبل ميلاد السيِّد المسيح بألف سنة، وأنفق بإسرافٍ عظيم على بنائه وزخرفته، حتى لقد احتاج فى ذلك إلى عشرة آلاف عامِل، وألف عَرَبة، وألف كاهن فى ثيابهم المزركشة، ليضعوا أحجاره فى أمكنتها بعد أن قام النَّحَّاتون بتسويتها وصقلها. وقد أتى له سليمان بالذهب من ترشيش، وبالخشب من لبنان، وبالأحجار الكريمة من اليمن. ثم بعد سبع سنوات من العمل المتواصل تكامل بناء الهيكل فكان آيةً من آيات الدنيا فى ذلك الزمان. ولكنَّ يد الخراب لم تلبث أن امتدَّت إلى الهيكل مرَّات عديدة، إذ كان هَدَفًا دائمًا للغزاة الفاتحين والطامعين ينهبون ما بِهِ من كنوز ثم يشِيعُون فيه الدمار. حتى قام هيرودس الكبير بتجديد بنائه، فأنفق فى هذا السبيل أموالًا طائلة، إذ كان يريد أن يُضْفِى على نفسِهِ مَجْدَ سليمان، وكان يطمع فى الوقت نفسه فى أن يُرْضِى اليهود الذين كانوا يبغضونه ويرفضونه كملك عليهم. وقد استغرق بناء الهيكل فى هذه المَرَّة ستًّا وأربعين سنة، أصبح بعدها صرحًا ضخمًا فخمًا، وتحفة بديعة رائعة فى فن

المعمار، بجدرانه الشاهقة، وأساساته الرُّخامية الفاخرة، وفسيفسائه الثمينة، وأخشابه العطرة، وسقوفه الذهبية اللاَّمعة، وسُجُفِهِ المزركشة المُحَلاَّةِ بالورود الأرجوانية، وحوائطه المُوَشّاةِ بالذهب والفضة والأحجار الكريمة، والإيوانات الفارهة بأعمدتها الباسقة. وقد استمرَّت هدايا الملوك للهيكل حتى آخر زمانه، فكان يزخر بالكنوز التى لا تُقدَّر بِثَمَن، والتى تخطف الأبصار بروعتها ورونقها وبهائها. ولكنَّ اليهود اعتدوا على قُدْسِيَّةِ هذا الهيكل، وأهانوا رونقه وفخامته، إذ لم يلبثوا أن أحالوه إلى سوق للبيع والشراء، فَتَزَاحَمَ فى ساحته بائعو الثيران والكِبَاشِ والحَمَام، حتى امتلأتْ بهم ساحته، وأصبح لقذارته أقرب إلى مربط البهائم. كما كانت تكتنف الهيكل مكاتب الصيارفة، التى لا يفتأ يتعالَى فيها رنين النقود مختلطًا بصوت الناس وهم يستبدلون ما بِيَدِهِم من دراهِم. فقد كان الكهنة فى الأعياد يجمعون الفريضة المقدَّسة القديمة وهى نصف الشاقل بالعملة اليهودية عن كلِّ إسرائيلى، سواء أكان غنيًّا أم فقيرًا، فِدْيَةً عن نفسِهِ. وكانت هذه الضريبة تُخَصَّص لخدمة الهيكل، فلم يكن يجوز فى حكم الشريعة أن يُؤتى بهذه الفِدْيَةِ من عُمْلَةٍ أجنبية، ولا سِيَّما إذا كانت من النحاس الأحمر أو الأصفر، المنقوشة بِصُوَرٍ وثنية أو كتابات كُفْرِيَّة. ولذلك كان اليهود يضطرون لأن يُبَدِّلوا نقودهم بالعُمْلَةِ المطلوبة، أى الشاقِل الفِضىِّ، ومِنْ ثَمَّ احتلَّ الصيارف مداخل الهيكل وشاركوا تُجَّارَ الماشية فى تحويل ذلك المكان المقدَّس إلى سوق للبيع والشراء، تختلط فيه البهائم بالناس، وتطغى فيه أصوات خُوَار البَقَرِ وثُغَاءِ الأغنام على صلوات الكهنة وتراتيل اللاويين. وكان الكهنة يشتركون فى هذه التجارة، ويأخذون ضرائب لأنفسهم من التُّجَّارِ ويُشَارِكونهم فى أرباحهم التى كانوا يلجأون فى اكتسابها إلى كُلِّ ما هو معروف عن تُجَّار اليهود وصيارفتهم من أساليب الغش والخديعة والمكر والاحتيال والاستغلال التى تنطوى فى حقيقتها على السرقة واللُّصُوصيَّةِ فى أشنع وابشع الصُّوَر والأشكال. ومِنْ ثَمَّ فإنَّ مخلِّصَنا حين دخَلَ الهيكَلَ تَألم أَلَمًا شديدًا، وشَرَعَ فى غَضَبٍ مُقدَّسٍ يطرد الذين كانوا يبيعون ويشترون بِداخِلِهِ، قائلاً لهم «مَكتُوبٌ أَنَّ بَيْتِى هُو بَيْتُ الصَّلاَةِ وَلَكِنَّكُمْ جَعَلْتُمُوهُ وَكْرَ لُصوصٍ». وقد كان

فادينا فى قوله هذا يشير إلى قول الله بِلِسَان إشعياء النبىِّ إنَّ «بَيْتِي بَيتَ الصَّلاةِ يُدْعَى لِكُلِّ الشعوبِ» (إشعياء ٥٦ : ٧)، وإلى قوله بِلِسانِ إرميا النبىِّ «هل صار هذا البيتُ الّذى دُعِيَ باسمى عليه مغارة لصوص فى أعينكِم ؟» (إرميا ٧ : ١١).

١٩ : ٤٧ و ٤٨

وكان فادينا بعد ذلك يُعَلِّم كُلَّ يوم فى الهيكل، مُناديًا بمبادئ العهد الجديد، مُوَضِّحًا لليهود حقائق تعاليم العهد القديم، وَمُصَحِّحًا لهم ما أخطأوا فى فهمه منها، وقد أغاظ هذا رؤساءَ الكهنةِ والكَتَبَةَ وكُبَرَاءَ الشَّعْبِ من أعضاء مجلس السنهدريم، ولا سيَّما بعد أن رأوه يطرد البائعين والمشترين من الهيكل، متصرِّفًا فيه بسلطانِ مالِكِ البَيْتِ فى بَيْتِهِ، فكانوا يبتغون أن يقتلوه، وقد روّعَهُم وأفزعهم ما شهدوه من تأثيره فى اليهود بشخصيته القويّة وتعاليمه السَّماوِيَّة، ومعجزاته الإلهية، وقد خشوا أن يسلبهم مَا لَهُم على الشعب من مكانةٍ وسيطرة وسلطان. وخافوا أن ينادى به الشعب مَلِكًا عليه فيكون فى ذلك القضاء الأخير عليهم وعلى مناصبهم ومكاسبهم. ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا، لأنَّ الشعب كله كان متعلِّقًا بفادينا، وبالاستماع إليه، والاستمتاع بالنعمة الخارجة من بين شفتيه.

الفصل العشرون

٢٠ : ١ - ٨

وإذ كان ربُّنا يسوع المسيح فى أحد الأيام القليلة الباقية على صَلْبِهِ يُعلِّم الشعب فى الهيكل ويُبشِّر بالإنجيل، اشتدَّ الغيظ برؤساءِ الكهنةِ والكَتَبَةِ والشيوخِ من أعضاء مجلس السنهدريم، وقد بلغ حنقهم ذروته، فجمعوا شملهم واتَّجهُوا إليه فى تحَفُّزٍ وتَهجُّمٍ واستفزاز، وخاطبوه قائلين «قُلْ لَنَا بِأَيِّ سُلْطانٍ تَفْعَلُ هَذَا؟ أَمْ مَنْ الّذِى أعطاكَ هذا السُّلطانَ؟». وقد كانوا يعلمون كلَّ العِلْم وحقَّ العِلمِ بأى

سلطان يفعل ما يفعله. وكانوا يعلمون كلَّ العِلْم وحَقَّ العِلْمِ مَن الذى أعطاه هذا السلطان، إذ كان واضحًا وضوح الشمس فى وقت الظهيرة من تعاليم الربِّ فادينا التى كان ينادى بها ومن معجزاته التى كان يصنعها، ومن الموعد الذى ظهر فيه، ومن كُلِّ الظروف التى أحاطت بحياته على الأرض، أنَّ هذا هو المسيح ابن الله الذى تنبأ كلُّ أنبيائهم بمجيئه، وبموعد مجيئه، وبما سيقول، وبما سيفعل، وبكلِّ صِفَاتِهِ وكُلِّ تصرُّفاته وكلِّ حقائق حياته بين الناس، ودقائق تلك الحياة، مِمَّا لا يَدَعُ مجالاً لأىِّ شكٍّ أو محلاً لأىِّ سؤال. ولكن أولئك الكهنة والكَتَبة والشيوخ كانوا قد أغمضوا أعينهم لكى لا يروا، وصمُّوا آذانهم لكى لا يسمعوا، وأغلقوا قلوبهم وعقولهم لكى لا تعْلَم أو تَفْهم أو تدرِك أنَّ هذا هو المسيح الحقيقى، لأنهم كانوا يعلَمون ويفهمون ويُدركون أنه سيفضح ما تزخر به نفوسهم من شَرٍّ ومكْرٍ ورياءٍ وكبرياء، ومِنْ ثمَّ سيقضى على مكانتهم التى أخذوها بغير استحقاق، ويحرمهم كُلَّ ما كانوا يستأثرون به من مناصب دنيويَّة، ومن مكاسِبَ مادِيَّة، وما كانوا يتمتعون به ويحرصون عليه من ملذّات جسديَّة وشهوات بهيميَّة، ومن نفوذ وسيطرة وسلطان ووجاهة وجاهٍ وَهَيْلَمَان. ولذلك أنكروه وأصرُّوا على إنكارِه، وتنكّروا له واستمروا فى تنكُّرِهِم، بل استنكارهم لكلِّ ما قالَ وكلِّ ما فَعَلَ، محرِّضين عامَّةَ الشعب على أن يشايعوهم ويتابعوهم فى أفكارهم وتنكُّرِهِم واستنكارهم. ولذلك لم يشأ مُخَلِّصُنَا أن يجيبهم عن سؤالهم الذى كان يعرف أنهم يعلمون إجابته، وَإِنْ تظاهَروا بأنهم يجهلونها ويفهمون الحقيقة بشأنها وإنْ تغافَلوا عنها وَهُمْ فى أعماق نفوسهم لا يغفلونها. فلا جَدْوَى وهذه حقيقةُ حالهم من الإجابة عن سؤالهم، ولا سِيَّما أنهم لم يوجِّهوه إلى الرب يسوع إلَّا وهم يُضْمِرُون له الشَّرَّ، آمِلين أنْ تكون فى إجابته عنه ما يعتبرونه تُهمة يتهمونه بها ويقتلونه بسببها. وقد علمَ له المجد بما يُضْمِرُونه ويدبّرونه فلم يُجِبْهُم عن ذلك السؤال إجابة مباشرة، وإنما وجَّهَ هُوَ إليهم سؤالاً لو أنهم أجابوا عنه لكان فى ذلك إجابة عن سؤالهم. ولكنه كان واثقًا من أنهم لن يجرؤوا على الإجابة عنه، وبذلك يَتَفَادَى الفَخَّ الذى نَصَبوه له، فيجعلهم يقعون فيه هم أنفسهم، ومِنْ ثَمَّ يفضح رياءهم ويكشف عن

فُجُورِهِم، ويردُّ كَيْدَهم إلى نحورهم، إذ أجاب وقال لهم «وَأنا كَذَلِكَ أَسْأَلُكُم قَوْلًا واحِدًا فَأَجِيبُونِي: أَكانَتْ مَعْمُودِيَةُ يوحَنَّا مِنَ السَّماءِ أم مِن النَّاسِ؟». ويوحنا هنا هو يوحنَّا المعْمَدَان الذى وضَح للناس جميعًا - من سيرته وتعليمه - أنه نبىٌّ من عند الله، وقد أتى ليعمِّد الناس مُبشِّرًا إياهم ومُنْذِرًا لهم باقتراب مَلَكُوتِ السماء، ولكن رؤساء الكهنة والكتَبة وشيوخ اليهود، بسبب شرِّهم فعلوا معه ما فعلوه مع فادينا نفسه، إذ أنكروا أنه نبىٌّ من عند الله، وأنَ معموديته ليست من الأرض وإنما من السماء، حَسَدًا له أيضًا وحِقدًا عليه، وخوفًا على أنفسهم من التفاف الشعب حوله. ومن ثَمَّ فإنهم حين سمعوا سؤال الربِّ إيَّاهم عمَّا إذا كانت معمودية يوحنَّا من السماء أم من الناس، تداولوا فيما بينهم قائلين «إذا قُلْنا مِنَ السَّماءِ يقولُ لَنا فَلِماذا إِذَنْ لم تُؤْمِنوا بِهِ؟ وَإذا قُلْنا مِنَ النَّاسِ يَرْجُمُنَا الشَّعْبُ كُلُّهُ، لِأَنَّهُم كانوا يُؤمِنونَ بِأَنَّ يُوحَنَّا نَبِىٌّ»، ثم أجابوا فى تَخَاذُلٍ واستخذاء بأنهم لا يعلمون من أين كانت. فقال لهم فادينا «ولا أَنا أَقولُ لَكُم بِأَىِّ سُلْطانٍ أَفْعَلُ هَذا»، مبرهنًا لهم من امتناعهم عن الإجابة عن سؤاله أنهم قوم فاسقون مُنافقون، يعلمون الحق وينكرونه، ويفهمون الحقيقة ويمارون فيها، فَهم لا يستحقون منه إجابة عن سؤال يسألونه فى لؤم وخبث ورياء، بل لا يستحقون منه إلا الاستنكار والازدراء.

٢٠ : ٩ - ١٩

بيد أن الرب يسوع المسيح وإن كان قد رفَض أن يجيب رؤساء الكهنة والكَتَبَة وشيوخ اليهود عن سؤالهم الذى لم يكونوا فى حاجة إلى الإجابة عنه، لأنهم يعرفونها، ولأنهم ما وجَّهوه إليه إلا عن مكرٍ وشرٍّ، أراد أن يفضح مكرَهُم وشرَّهُم، ويوضح للشعب حقيقة حالهم ونتيجة أعمالهم، فأخذ يخاطبه بهذا المَثَل قائلًا «غَرَسَ رَجُلٌ كَرْمًا وسَلَّمَهُ إلى كَرَّامِينَ، وَرَحَل زَمانًا طَويلًا. وفى أَوانِ الثَّمَرِ أرسَلَ إلى الكَرَّامِينَ خادِمًا لِيُعْطوهُ من ثَمَرِ الكَرْمِ، وَلَكِنَّ الكَرَّامِينَ ضَرَبُوهُ وَصَرَفوهُ فارِغَ اليَدَيْنِ. فَعادَ وَأَرْسَلَ خادِمًا آخَرَ فَضَرَبوهُ أيضًا وَأَهانُوهُ وَصَرَفُوهُ فارِغَ اليَدَيْنِ.

ثُمَّ عادَ فَأَرْسَلَ ثالثًا، فَطَرَحُوا هَذا أَيْضًا فى الخارِجِ جَرِيحًا، وَمِنْ ثَمَّ قالَ رَبُّ الكَرْمِ : ماذَا أَفعَلُ؟ أُرْسِلُ ابْنِي الحَبيبَ لَعَلَّهُمْ إِذَا رَأَوْهُ يَهابُونَهُ. وَلَكِنَّ الكَرَّامِينَ حِينَ رَأَوهُ تَآمَرُوا فيما بَيْنَهم قائِلينَ : هُوذَا الوارِثُ، هَلُمَّ نَقْتُلْهُ فَيَصيرَ الميراثُ لَنا. ومِنْ ثَمَّ طَرَحُوهُ خارِجَ الكَرْمِ وَقَتَلوهُ. فَماذَا يَفْعَلُ بِهِمْ رَبُّ الكَرْمِ ؟ إِنَّهُ يَأْتِي فَيُهْلِكُ أُولَئِكَ الكَرَّامِينَ وَيُعْطِى الكَرْمَ لِآخَرِينَ». وواضح أن ربنا يرمز بالرجل الذى غرس كرمًا وسلّمه إلى كرّامين، إلى الله الآب الذى غَرَسَ مبادئ شريعته فى الأرض وسلَّمها إلى اليهود الذين أعلن لهم تلك الشريعة وكلَّفهم برعايتها كما يَرْعَى الكَرَّامون أشجار الكَرْمِ ويداومون العَمَلَ فيه حتى يأتى بأكبر قدر من الثمر وأجوده ثم تركهم الزمنَ الكافى لِأن تُثْمِرَ أشجار الكرم، حتى آن أوان الثَّمرَ، فأرسل الله الآب إلى اليهود نبيًّا يرمز إليه ذلك الخادم الذى أرسله ربُّ الكَرْمِ، ليعطوه مايرمز إليه الثَّمرُ من فضائل أثمرتها الشريعة فى قلوب اليهود، ولكنَّ اليهود كانوا – وقد أهملوا الشريعة – قد عاثوا فى الأرض فسادًا، وبدلاً من أن يتخذوها تربة لرعاية تلك الشريعة ومراعاتها والحصول على أكبر وأجود الفضائل منها، اتّخذوها مرتعًا للشرور والآثام والفجور وعبادة الأصنام، وَمِنْ ثَمَّ حين جاء النبىّ الذى أرسله الله إليهم ضربوه واضطهدوه وطردوه، فعاد إلى الله فارغ اليدين من أىّ ثَمر أثمرته الشريعة فى الأرض نتيجة لإهمال الكرَّامين ونذالتهم وخيانتهم للأمانة التى ائتمنهم الله عليها. بَيْدَ أنَّ اللّهَ بسبب رحمته وطول أناتِهِ مَنح اليهودَ فرصة أخرى عساهم أن يثوبوا إلى رشدهم ويتوبوا عن شرِّهم. ثم عاد فأرسَلَ إليهم نبيًّا آخَرَ ليحصل منهم على ما لم يحصل عليه النبى الأول، ولكنهم ضربوا هذا أيضًا وأهانوه واضطهدوه وطردوه فعاد فارغ اليدين كذلك. بيد أنَّ الله أجْزَل لهم مزيدًا من رحمته، وبذَلَ لهم مزيدًا من طول أناته، فمنحهم فرصة أُخرى، ثم عاد فأرسَلَ إليهم نبيًّا ثالثًا، ولكنهم هذه المرَّة لم يضربوه أو يهينوه فحسب، وإنما أصابوه بجراح من فَرْط قسوتهم عليه، ولم يطردوه فحسب، وإنما طرحوه وهو مثخن بجراحه خارج أرضهم وهكذا كانوا كُلَّما أرسل الله إليهم نبيًّا من أنبيائه ازدادوا إيذاء له واعتداء عليه وعنفًا فى طَرْدِهِم لَهُ وَنَبْذِهِمْ إيَّاه، ومع ذلك فإن الله

الذى ليس لرحمته نهاية، ولالطول أناته حدّ، لم يشأ أن يترك سبيلاً إلاانتهجه لتقويم اعوجاج اليهود، وتقديم كلِّ عَوْنٍ لهم لينزع الشَّرَّ والرَّذيلة من قلوبهم، ويستحثَّهم للعمل على الانتفاع بشريعته، والاستمتاع بثمرتها، ليجنوا منها الصلاح بدلاً من الشَّرِّ، والفضائل بدلاً من الرذائل، وإذ لم يتمكّن أنبياؤه من ذلك على مَدَى أزمان طويلة، قرَّر الله آخِرَ الأمر أن يرسل إليهم ابنه الحبيب ذاته، الذى هو واحد معه، والذى هو من ذات جوهره، والذى هو كلمته، منْ ثَمَّ فهو قادر على أن يكلِّمهم بكلمة الله، لَعَلَّهم إذا رأوه يهابونه ويرهبونه، متأثرين بجلاله الذى هو جلال الله ذاته، وبِهَيْبَتِهِ التى هى هَيْبَةُ الله ذاته، وبِقُدْرَتِهِ التى هى قدرة الله ذاته، ولكنَّ اليهود كان قد بلغ بهم الشَّرُّ والضلالُ ماأعمى أبصارهم وبصائرهم، وطَمَسَ أفكارهم ومشاعرهم، وأظْلَمَ عقولهم وقلوبهم. وقد تحكَّمَ الشيطان فيهم حتى لقد دَفَعَ بهم لأن يتبعوه فى ذات الطريق التى سلكها هو من قبل، إذ تمرَّد على الله، فتمردوا هم أيضًا عليه تَعَالَىَ ولم يعودوا يهابونه أويهابون ابنه، ولم يعودوا يرهبونه أويرهبون ابنه، ولم يعودوا يطيعونه أويطيعون ابنه، ولم يعودوا يستمعون إليه أو إلى كلمته. وَمِنْ ثَمَّ فإنَّهُم حين جاء إليهم فادينا ابن الله وكلمته، لم يهابوه أو يرهبوه أويطيعوه أويستمعوا إلى كلمته، وإنما على العكس تآمروا ضده قائلين فيما بينهم إنَّ هذا هو وارث الكَرْمِ الذى يرمز إلى مملكة الله وملكوته، فيقتلوه ليستولوا لأنفسهم على الكَرْمِ الذى ظَنُّوه مملكة أرضية لاملكوتًا سماوياً، فيظَلُّوا هم مالكيه وملوكه، وحاكميه والمتحكمين فيه، والمنتفعين به والمستمتعين بما فيه من مناصب أرضيَّةٍ، ومكاسب دنيويَّةٍ، وملذَّات جسديَّة، وشهوات بهيمية. ومِنْ ثَمَّ أمسكوا ابن الله وطرحوه خارج الكَرْمِ الذى يرمز هنا بالتخصيص إلى مدينة أورشليم، وقتلوه خارج أسوارها. فماذا عسى أن يكون جزاؤهم على هذه الجريمة الشنيعة البشعة التى ارتكبوها ؟. هذا هو التساؤل الذى طرحه الربُّ يسوع فى المَثَل الذى ضَرَبَهُ لكى يُرتِّبَ عليه النتيجة الطبيعية التى لابُدَّ أن تترتَّبَ عليه، إذ قال « فَماذَا يَفْعَلُ بِهِمَ ربُّ الكَرْمِ ؟ ». ثم أجاب قائلا : « إنَّهُ يَأْتِى فَيُهلِكُ أُولَئِكَ الكرامين ويعطى الكرم لآخرين »، أى أن الهلاك هو

الحُكمُ الذى استحقه أولئك الذين فعلوا ذلك من اليهود، ومِنْ ثَمَّ سيهلكهم الله، ويعطى شريعته لشعب آخر غير الشعب اليهودىّ، ويعطى مسئولية الكَرْمِ لوكلاء آخرين، ليكونوا هم الكرامين غى كرمه، والخادمين لشريعته، والأمناء على كنيسته. وهؤلاء هم تلاميذ المسيح الاثنا عشر ورسله السبعون، وَمَنْ يقيمونهم من بعدهم خلفاء عنهم ووكلاء أسْرارِ الله فى الأرض.

فلما سمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ اليهود هذا المثل الذى ضَرَبَه ربنا ومعلِّمنا، أدركوا أنه إنما يعنيهم بهذا المَثَل، فقالوا فى فَزَعٍ «مَعَاذَ الله» أى «نعوذ بالله مما تقول»، ولكنه أكَّد لهم معنى هذا المَثَل ومغزاه ومرماه، والنتيجة التى رتَّبها عليه، مُسْتَشْهِدًا فى ذلك بما جاء فى نبوءات أنبيائهم هم أنفسهم، المكتوبة فى كتُبِهم، إذ نَظَر إليهم وقال «فما هُوَ ذَلِكَ المَكْتُوبُ: إنَّ الحَجَرَ الّذِى نَبَذَه البَنَّاؤُونَ هُوَ الّذِى أَصْبَحَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ، وَكُلُّ مَنْ سَقَطَ على هذا الحَجَرِ تهَشَّمَ. أمَّا مَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيهِ فإنَّه يَسْحَقُهُ»، مشيرًا بذلك إلى ما جاء فى نبوءات المزامير إذ تقول إنَّ «الحجر الذى رفَضَه البنَّاؤون قد صار رأسَ الزاوية» (المزمور ١١٧ : ٢٢). أى أنَّ السيِّدَ المسيح الذى رفضه اليهود أصبح هو حجر الأساس فى بناء كنيسة العهد الجديد، وهو الصخرة التى تقوم عليها هذه الكنيسة، التى هى ملكوت الله على الأرض وفى السماء. ومُّشيرًا بذلك كذلك إلى ما جاء فى نبوءات دانيال النبى وهو يُفسِّر للملك «نُبوخَذْ نَصَّرْ» ملك بابل حُلمًا رأى فيه تمثالاً ضخما من ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ونحاس وحديدٍ وَخزَفٍ، يمثِّل ممالك العهد القديم، ثم رأى حَجَرًا يسقط على هذا التمثال فيحطِّمه، إذ قال دانيال للملِكِ «كُنْتَ تَنْظُرُ إلى أن قُطِعَ حَجَرٌ بِغَيرِ يَدَيْنِ، فَضَربَ التمِثالَ على قَدَمَيْهِ اللَّتَينْ من حَدِيدٍ وَخَزَفٍ فَسَحقَهُما، فانسَحَقَ حينئذٍ الحَدِيدُ والخَزَفُ والنَّحاسُ والفِضَّةُ والذَّهَبُ مَعًا، وصارَتْ كَعُصافَةِ البيْدَرِ فى الصَّيْفِ، فَحَمَلَتْهَا الرِّيح فلم يُوجَد لها مكان. أما الحَجَر الذى ضَرَبَ التِّمثَالَ فَصَار جَبَلاً كبيرًا وَمَلأَ الأَرْضَ كلَّها» (دانيال ٢ : ٣١ - ٣٥). وقد كان هذا الحجر الذى حطَّمَ ممالِك العهد القديم ثمَّ ظلَّ يتعاظم حتَّى ملأ الأرض كلَّها، رمزًا للسيِّد المسيح الذى هو حَجَر الأساسِ فى كنيسة العهد الجديد. وقد قرَّر له

المجد أَنَّ كُلَّ مَنْ سقطَ على هذا الحَجَر، أى لم يؤمن بالسيد المسيح يهْلك وأَمَّا كلّ مَنْ عاداه وعانَدَه عن عَمْدٍ وفى إصْرارٍ، فإنَّ غَضَبَ السَّيِّد المسيح ينقضُّ عليه انقضاض ذلك الحجر فيسحقه سحقًا، ومِنْ ثَمَّ يكون هلاكه أشنع وأبشع. وقد كان هذا ما فعله رؤساء كهنة اليهود وكَتَبَتهم وشيوخهم، إذ عادوا الربَّ يسوع وعاندوه، متعمِّدين ذلك تَعَمُّدًا وَمُصِرِّين عليه إصرارًا، ومِن ثَمَّ تأكَّدوا أنه قال هذا المثَلَ عليهم، وعندئذ هَمُّوا بأن يقبضوا عليه فى تلك الساعة ليقتلوه، ولكنهم خافوا من الشعب الذى كان فى ذلك الحين مُلْتَفًّا حوله، مُتَعَلِّقًا بِهِ، تَوَّاقًا لأَنْ يستمع إليه، ويتمتع بكلمات النِّعمة التى تخرُج من بَيْنِ شَفَتَيْهِ.

٢٠ : ٢٠ - ٢٦

بيد أن زعماء اليهود - وقد طالما أفحمهم بِحُجَّتِهِ القويَّة، وأَحْبَطَ مكايدَهُم ضدّه بحكمته التى تفوق كُلَّ حكمة بَشَرِيَّة - لم يَمَلُّوا أو يتخلَّوا عن مؤامراتهم للتخلُّص منه بكلِّ حيلةٍ ووسيلة. وَمِنْ ثَمَّ راحوا يلاحقونه ويراقبونه ويتجسَّسون عليه، حتَّى تفتَّقَ تفكيرهم الخبيث الماكر وتدبيرهم الشِّرِّير الغادر عن مكيدة جديدة كانت تنطوى فى الواقع على فكرة شيطانية يتجَسَّم فيها كلُّ خُبثهم وَمَكرِهِم، وشرِّهم وغَدْرِهِم. إذ أرسلوا إليه جواسيس يتظاهرون بأنهم أبرار، مُدَّعين البراءة وحُسْنَ النيَّةاوسلامة الطَّوِيَّةِ والرَّغبة الصَّادِقة فى الاستئناس برأيه والانتفاع بتعليمه، فى موضوع جاءوا يعرضونه عليه، وكأنهم مختلفون فيما بينهم بشأنه. غير أنهم كانوا فى الحقيقة يضمرون أن يصطادوه بكلمة فى إجابته تثير ضدّه الوالى الرومانى صاحب السلطان الأعْلى فى البلاد، فيقتله بموجب سلطانه، بعد أن أخفقوا هُمْ فى الحكم عليه بموجب شريعتهم. فقد سأل أولئك الجواسيس الرَّبَّ يسوع قائلين «يا مُعَلِّمُ، نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ بالاستِقامَةِ تَتَكَلَّمُ وَتُعَلِّمُ، ولا تُحابِى وَجْهَ إنسانٍ، وإنَّما تُعَلِّمُ طَرِيقَ اللّهِ بالحَقِّ. أَيَحِلُّ لَنا أَنْ نُعْطِىَ جِزْيَةً لِقَيْصَرَ أمْ لا يَحِلُّ؟». وقد خاطبوه بذلك اللقب الجليل قائلين «يا مُعَلِّمُ» كما كان يخاطبه تلاميذه والمؤمنون به، ولم يكن اليهود يطلقون هذا اللقب إلا على أكبر علمائهم وفقهائهم وأصحاب المكانة

فيهم، وعلى الرغم من أنَّ فادينا هو حقًّا المُعَلِّمُ الأَوَّلُ، بل الأَوْحَدُ، فإنَّ أولئك الجواسيس اللؤماء لقَّبوه به، لا إجلالاً حقيقيًا له، وإنما عن نِفَاقٍ وخُبْثٍ وتَملُّقٍ مقصود، مُتَوَهِّمين أنهم بذلك سيكسبون رضاه عنهم واطمئنانه إليهم. كما أنه على الرَّغم من أنَّه بالحقيقة كان بالاستقامة يتكلَّم ويُعَلِّم ولا يحابي وَجْهَ إنسانٍ. وإنَّما يعلِّم طريق الله بالحقِّ، فإنهم قالوا له ذلك، لا تقديرًا حقيقيًّا له، وإنَّما تمادِيًا فى ظَنِّهم بأنهم بذلك المديح سيتملقونه ويخدعونه عن سوء قَصْدِهِمْ وَخُبْثِ تدبيرهم. وبالفِعْلِ فإنهم لم يلبثوا أن نَصَبُوا له فخًّا ذا وجهين، حتَّى إذا نَجا من أَحدِهِمَا وَقَعَ فى الآخَرِ فيتمكنوا على الحالَيْنِ من اصطياده والإيقاع به فى حبائل مكيدتهم، إذ سألوه عَمَّا إذا كان يجوز لليهود أن يؤدُّوا الجِزْيَةَ لقيصر الرُّومان الذين كانوا يحتلُّون بلادهم. فإذا أجابَ بأنه يجوز ذلك أغضبوا عليه اليهود الذين كانوا يكرهون الرومان، ويتطلّعون إلى التحرُّر من عبوديتهم، ومِنْ ثَمَّ ينفضُّ من حَوْلِهِ حَتَّى الذين آمنوا بأنه هو المسيح الذى ينتظرونه، لأنَّ اليهود كانوا يعتقدون أن المسيح لن يجىء إلَّا ليحرِّرهم من العبودية ويجعلهم سادة العالم كُلِّهِ، وبذلك تُتَاح الفُرْصَةُ لزعماء اليهود - وقد أثاروا الشعب ضدَّه - أن يقتلوه بغير خوف من ذلك الشعب الذى يحبه ويلتفُّ حوله ويريده مَلِكًا عليه. وأما إذا أجاب مخلِّصُنا بأنه لا يجوز أن يؤدِّى اليهود الجزية لقيصر الرومان، أغضب ذلك عليه الرومان وعلى رأسهم قيصرهم، فاعتبروه متمرِّدًا على سلطتهم، وقتلوه كما قتلوا كُلَّ مَنْ فَعَلَ ذلك من قبله. وبذلك يتحقق لزعماء اليهود ما تَصْبُو إليه نفوسهم ويَنْصَبُّ عليه كل تفكيرهم وتدبيرهم، وتهدف إليه كل مؤامراتهم ومكايدهم. بَيْدَ أَنَّ مُخَلِّصَنَا فَطَنَ لخبثهم، لأنه كان كما جاء عنه فى إنجيل القدِّيس يوحنا «كان عارفا بكل أحد، ولم يكن بِحاجَةٍ لأن يُخْبِرَهُ أَحَدٌ عَنِ الإنسانِ، لأَنَّهُ كان يَعْلَمُ ما فى الإنْسانِ» (يوحنا ٢ : ٢٤ و ٢٥). فقال الربُّ يسوع لأولئك اللئام المخادِعين المتآمرين الماكرين «لِماذَا تُجَرِّبُونَنِي؟ أَرُونِى دِينارًا»، فَأَرَوْهُ، فقالَ لَهُمْ «لِمَنْ هَذِهِ الصُّورَةُ الَّتِي عَلَيْهِ وَهَذِهِ الكِتابَةُ؟». فأجابوا وقالوا «إِنَّها لِقَيْصَرَ»، فقال لهم «أَعْطُوا إِذَنْ ما لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وما لِلّهِ لِلّهِ». وَمِنْ ثَمَّ فَضح رياءَهُم وأَحْبَطَ مكيدتهم، بمنطقه

السَّاطِع الوضوح، الواضح البساطة مع ذلك. لأنَّ اليهود إنْ كانوا قد ارتضوا أن يتعاملوا فيما بينهم بالعُمْلَةِ الرُّومانية التى تحمل صورة قيصر الرومان على أحد وجهيها، وتحمل اسمه على الوجه الآخر، فإنَّ هذا فى ذاته يتضمَّن رضاءهم بسلطان قيصر الرومان عليهم. وإن كانوا قد ارتضوا سلطان قيصر الرومان عليهم كشعب خاضع له، فقد ارتضوا تَبَعًا لذلك أن يدفعوا الجزية التى يفرضها كلُّ حاكم على الشعوب الخاضعة له. فليعطوا إِذَنْ ما لقيصر لقيصر من جِـزيةٍ هُمْ مَدينون له بها بمحض رضاهم. بَيْدَ أَنَّ خضوعهم لقيصر الذى هو صاحب السلطان عليهم فى حياتهم الدنيوية والمادية، وإعطائهم إياه ما له عليهم من حقٍّ دنيويٍّ مادِيٍّ، لا ينبغى أن يَحُولَ بينهم وبين خضوعهم لله الذى هو صاحب السلطان عليهم فى حياتهم الدينية والرُّوحية، وإعطائهم إيّاه ما له عليهم من حقٍّ دينيٍّ روحيٍّ، وذلك بعبادته والولاء له والعمل بوصاياه. فلئن كان قيصر هو الذى يملك السلطان على الجَسَد والجَسَدِيَّات، فإنَّ الله هو الذى يملك وحده السلطان على الروح والرُّوحيَّات.

وبهذه الإجابة التى تتضمَّنُ الصِّدْقَ والحِكْمةَ معًا، لم يُغْضِبْ فادينا اليهود عليه، كما أنه لم يُغْضِب الرومان، إذ أَعْطَى كُلَّ ذى حقٍّ حقَّه. فلم يستطع أعداؤه أن يأخذوا عليه كلمة أمام الشعب، وتعجَّبوا من إجابته السليمة السديدة، التى أفحمتهم وألجمتهم، فخجلوا وخرسوا، وأغلقوا أفواههم وصَمَتُوا.

ثُمَّ إنَّ إجابة الربِّ يسوع على اليهود قد أرْسَتْ مبدأ أساسيًّا فى فَصْلِ الدِّين عن الدَّوْلة، وَعَدَمِ الخَلْطِ بين السلطة الدينية والسلطة الزَّمنية، إذ قال «أَعْطُوا إِذَنْ ما لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ، وما لِلّهِ لِلّهِ». هذا المبدأ هو الذى يميِّز رسالة كنيسة المسيح فى العهد الجديد. إنها رسالة روحيَّة خالصة، ولا تُقحِمُ نفسها فى أمور زمنية ومادِّيَّة عابرة، إذ أَنَّ رسالتها عبر الزمان والمكان، هى رسالة الخَلَاصِ لكُلِّ إنسانٍ فى كل زمانٍ ومكان. وانطلاقًا من هذا المبدأ فإنَّ قادة الدين المسيحىِّ لا يَدَّعون لذواتهم سلطانًا زمنيًّا، بل يحترمون الحكومات الشرعية القائمة، ولها عليهم وعلى شعبهم الولاء والخضوع. وعلى رجال الدولة من المسيحيين أَلَّا يُقْحِمُوا أنفسهم فى الشئون

الدينية الرُّوحيَّة، بل يتركوها لرجال الدين، لأنها من صميم اختصاصاتهم، ويحترموا الشريعة المسيحية وقوانينها ورجالها، ولا يتجاوزوا حدود اختصاصاتهم وسلطتهم الزمنية إلى السلطة الروحية.

٢٠ : ٢٧ - ٤٠

وإذ أخفق أعداء مُخَلِّصِنَا من الفريسيِّين والكَتَبَةِ فى مكايدهم المتكررة ضدّه ليصطادوا منه كلمة تدينه أمام فقهاء الشريعة اليهودية، يتهمونه فيها بمخالفة شريعتهم، أو تدينه أمام السلطات الرُّومانية، يتهمونه فيها بالتمرُّدِ على الرُّومان، فيقضى أولئك أو هؤلاء عليه، تَصَدَّت له طائفة أخرى من طوائف اليهود الدينية، وهى طائفة الصَّدُّوقيِّين التى كانت تضمُّ رؤساء كهنة، والتى اشتقّت اسمها من اسم صادوق سليل فنحاس الذى مارس الكهنوت حين انتهى نسل أولاد هارون الذين كانت تنحصر فيهم رئاسة الكهنوت، والتى كانت بينها وبين الفَرِّيسيين خصومة دائمة. إذ كان الصَدُّوقيُّون لا يعترفون إلا بأسفار موسى الخمسة ويرفضون غيرها من الأسفار، فى حين كان الفَرِّيسيُّون يؤمنون بجميع تلك الأسفار التى كتبها النبيُّ موسى ومَنْ جاءَ بعده من الأنبياء اللاحقين، فضلا عن أنهم كانوا يتمسَّكون بتقاليد الآباء وتعليقاتهم على الشريعة، ويَعُدُّونها فى حكم الشريعة، بل يعدّونها فوق الشريعة. وكان الصَّدُّوقيون متهاونين ومتساهلين حتى فى تطبيق الأحكام المكتوبة للشريعة، فكانوا قومًا مادِّيين دنيويِّين لايؤمنون بالقيامة ولابالأرواح ولابالملائكة، ومِنْ ثَمَّ أقبلوا على الدُّنيا، يحيون فيها حياة التنعُّم والرفاهية، متكالبين على جَمْع المال بكلِّ الوسائل والأساليب، حتى أثْروا ثَرَاءً فاحشًا، وحتَّى تحالفوا مع المستعمرين الرومان ضد شعبهم اليهوديِّ ليعاونوهم فى الاحتفاظ بوظائفهم الكهنوتية العُليا التى كانوا يستغلّونها فى جْمع المال من الشَّعْبِ، فى حين كان الفرِّيسيُّون يتظاهرون بالتزمُّت فى الصَّلاح والتقوى، وفى مقاومة السُّلطة الرُّومانية. بَيْدَ أَنَّ الصَّدُّوقيين على الرغم من تلك الخصومة التى كانت قائمة بينهم وبين الفَرِّيسيين، انضمُّوا إليهم فى عدائهم لمُخَلِّصِنَا وتدبير المكايد له للتخلُّص

منه، لأنَّ تعاليمه كانت تهدِّد أولئك وهؤلاء على السواء فيما لَهُم على الشعب من نفوذ وسلطان، وَمِنْ ثَمَّ جاء إليه قوم من الصَدُّوقِيين، ليتهكَّمُوا على تعليمه بصدد القيامة التى كانوا ينكرونها، وليصطادوا هُمْ أيضًا منه كلمة يدينونه بها ويهلكونه بسببها، وتَقَدَّمُوا إليه قائلين «يا مُعَلِّمُ قَدْ كَتَبَ لَنا مُوسَى أَنَّهُ إنْ ماتَ رَجلٌ مُتزَوِّجٌ بِغيرِ وَلَدٍ فَلْيَأْخُذْ أخوهُ زَوْجَتَهُ لِتُقيمَ نَسْلاً لأَخيهِ. وَقَدْ كانَ ثَمَّةَ سَبْعَةُ إِخْوةٍ، فَتزَوَّجَ الأَوَّلُ ثُمَّ ماتَ بِغَيرِ وَلَدٍ، فَتَزَوَّجَها الثانى، ثُمَّ ماتَ بِغير وَلَدٍ فَتزَوَّجَها الثَّالِثُ - وهكذا السَبْعة، ولم يُخلِّفُوا نَسْلاً وماتُوا، ثُمَّ آخِرَ الكُلِّ مَاتَتْ الزَّوجَةُ أَيْضًا. ففى القِيامَةِ لِمَنْ مِنْهُم تكونُ زَوْجَةً، لأَنَّ السَّبْعَةَ قَدْ تَزَوَّجوها». وقد ظنَّ الصَدُّوقيُّون بهذا الافتراض السَّخيف الذى ساقوه إلى الربّ يسوع أنهم سيربكونه، لأنه إن كانت ثمة قيامة بالمعنى الذى فهموه، متوهمين أن القيامة فى الحياة الأخرى تتلوها حياة شبيهة بالحياة على الأرض وتكون استمرارًا لها، فإنَّ تلك المرأة التى تزوَّجت سبعة إخوة فى حياتها على الأرض سيتعذَّر فى الحياة بعد القيامة أن يختصَّ بها واحد منهم، كما سيتعذَّر أن تكون لهم جميعًا، وَمِنْ ثَمَّ يكون هذا دليلاً فى نَظَرِهم على أن القول بالقيامة بعد الموت أمر غير ممكن أو معقول. وقد برهنوا بذلك على أنهم لم يكونوا ينكرون القيامة إلاَّ لأنهم لم يكونوا يفهمون معناها على وجهها الصحيح، مع أنها كانت أَحَد الأسس التى تقوم عليها شريعتهم ذاتها. وَمِنْ ثَمَّ صَحَّحَ لهم مُخَلِّصُنَا هذا الفهم للقيامة قائلا لهم «إنَّ أَبناءَ هذا الدَّهْرِ يَتزَوَّجُونَ وَيَتزَوَّجْنَ. أمَّا الّذين استَحَقُّوا أن يَنْعَموا بالدَّهرِ الآتى وبالقِيامةِ مِنْ بَيْنَ الأَموات، فلا الرِّجالُ يَتزَوَّجونَ، ولا النِّساءُ يَتزَوَّجْنَ. ذَلِكَ أنهم لا يُمكِنُ أنَ يموتوا ثانيَةً، لأَنهْم مُساوُونَ للملائكةِ، وَهُمْ أَبناءُ اللّهِ، لِكَوْنِهم أبناءَ القِيامَةِ. أَمَّا أَنَّ المَوْتَى يَقومُونَ فَقَدْ دَلَّ عليه مُوسَى فى كلامِهِ عن العُلَّيقة، إذ يقول إنَّ الرَّبُّ هو إلهُ إبراهيمَ وإِلهُ إسْحَقَ وإلهُ يَعقوبَ. فاللّهُ لَيْسَ إلهَ أَمواتٍ وَإنَّما هو إلهُ أحياءٍ، لأَنَّ الجَميعَ لَدَيهِ أَحْياءٌ». أَىْ أَنَّ الحَياةَ على الأرض بالجَسَدِ الأَرْضِيِّ تنتهى بالموت فى أجل محدود، وقد اقتضى ذلك وجوب التزاوج بين الرِّجال والنِّساءِ ليتوالدوا فيجيئوا بِرِجالٍ ونِسَاءٍ آخَرينَ بَدَلاً من الذين ماتوا حتى تستمرَّ بهم الحياة على الأَرضِ إلى اليَوْمِ الذى

عَيَّنَهُ اللّهُ لنهاية هذه الحياة الأرضية. وَلَمَّا كانت الأرواح تنفصل بالموت عن الأجساد. ثُمَّ لَمَّا كانت الأرواح ذات طبيعة تختلف عن طبيعة الأجساد فإنَّها بَعدَ المَوْتِ لا تتوالَدُ. وَمِنْ ثَمَّ لا يغدو الزواج بينها ممكنًا، ولا تغدو له فى التدبير الإلهى ضرورة، لأَنَّ أرواحَ الذين ماتوا لا تموت ثانية فى العَالَمِ الآخَر، فلا يعود ثمة موجب للاستعاضة عنها، وإنَّما تظلّ هناك إلى يوم القيامة الذى يقوم فيه جميع الذين ماتوا. وفى ذلك اليوم يقف الجميع أمامَ الدَّيَّانِ ليؤدُّوا حسابًا عن حياتهم التى عاشوها على الأرض بأجسادهم الأرضيَّة، وعندئذ يَفْرِزُ الدَّيَّان بين الأبرار والأشرار، فأمَّا الأبرار الذين يستحقون أن يَنْعَمُوا بالحياة الأبديَّة، فإنهم يصبحون مساوين للملائكة. ولما كان الملائكة بطبيعتهم أرواحًا لا يموتون، وَمِنْ ثَمَّ لا يَتَزوَّجون، هكذا يكون الأبرار بطبيعتهم الرُّوحانية لا يموتون، وَمِنْ ثَمَّ لا يتزوَّجون، وقد استحقوا أن يكونوا أبناءَ اللّهِ، وتكون قيامتهم مشابهة لقيامة المسيح ابن الله، وأما الأشرار فإنهم لا يستحقون بمقتضى العدل الإلهىِّ إلَّا الهلاك.

فهناك إِذَنْ مَرْحَلَتانِ لأرواح البَشَرِ بعد موتهم، إحداهما مرحلة يكونون فيها أرواحًا فى انتظار يوم القيامة الذى هو يوم الدينونة، والثانية هى المرحلة التى تجىء بعد ذلك اليوم الذى فيه يفرز الديَّان بين الأبرار والأشرار، فيحيا فيها الأبرار حياة أبدية باعتبارهم أبناء الله. وأما الأشرار فيهلكون باعتبارهم أبناء الهلاك. بيد أنه فى المرحلتين لا يكون ثمة مساواة بين حياة البشَرَ فى الجسد على الأرض قبل الموت، وحياتهم بعد أن تفترق بالموت أرواحهم التى تَبْقَى عن أجسادهم التى تفنى. فلا الرجال يتزوّجون فى المرحلتين ولا النساء يتزوجن، ويبرهن ذلك على ضلال الصدّوقيين فى اعتقادهم أن الحياة تنتهى بالموت، وقد أعطاهم فادينا دليلاً على ذلك من أسفارهم المقدَّسة ذاتها التى يؤمنون بها.. ولم يأت لهم إلا بما جاء فى أحد أسفار موسى الخمسة، إذ جاء فى سفر الخروج أن موسى نبيهُّم حين كان يَرْعَى الغَنَم فى صحراء سيناء «ظهر له ملاك الرب بلهيب نارٍ من وَسَط عُلَّيْقَةٍ» وأنه «ناداه من وسط العليقة.. ثم قال أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب» (الخروج ٣ : ٢ - ٦). ولما كان الله لا يمكن أن ينسب نفسه إلى أموات وإنما إلى

أحياء، دَلَّ ذلك على أَنَّ إبراهيم وإسحق ويعقوب كانوا حين كلَّمَ اللَّهُ موسى أحياء في العالَم الآخرَ، ولم تَنْتَهِ حياتهم بموتهم، ولذلك قال الله إنه فى الحاضر إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب، ولم يقُل إنه كان فى الماضى إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب. ومِنْ ثَمَّ فأولئك جميعًا أحياء لديه، لأن الجميع أحياء لديه. وهذا دليل على أن هناك حياة أخرى بعد الموت تواصل فيها الأرواح حياتها بعد انفصالها عن أجسادها. وهذا بالتالى دليل على أنَّ ثمة أرواحًا فى العالَم الآخر على نقيض ما كان الصدُّوقيون يزعمون، إذ ينكرون وجود الأرواح وينكرون وجود العالَم الآخرَ، مخالفين بذلك الإنكارِ حتى ما وَرَدَ صراحة فى أسفارهم المقدسة، وهم رؤساء الكهنة الذين كان المفروض أن يكونوا هُمْ أعلم الناس بما وَرَدَ فى تلك الأسفار، وأجدرَ الناس بتعليم الناس إياها. وهكذا أفحم فادينا الصدُّوقيين بتلك البراهين الساطعة التى ساقها إليهم، حتى إنَّ قومًا من الكَتَبَةِ الذين كانوا من أشدّ أعدائه لم يَسَعهم - إذ كانوا يؤمنون بالقيامة والحياة الأخرى - إلاَّ أن يبدوا تأييدهم له واستحسانهم لِمَا قَالَهُ، قائلين «يا مُعَلِّمُ حَسَنًا قُلْتَ». ومنذ ذلك الحين لم يجرؤ أحد من زعماء اليهود على أن يسأله عن شيء، بِقَصْدِ إحراجِهِ أو استدراجِهِ إلى ما يعتبرونه خطأً يلومونه عليه فى حق شريعتهم، ويتخذونه ذريعة للتخلُّص منه.

٢٠ : ٤١ - ٤٧

بيد أن ربنا يسوع المسيح وإن كان بعض الكتَبة قد أيَّدوه واستحسنوا ما قاله للصدّوقيِّين خصومِهم حين بَرْهَنَ لهم على ضلالهم إذ ينكرون القيامة التى كان الكتَبَةُ يؤمنون بها - قد أراد له المجد أَلَّا ينخدع تلاميذُه بتأييد الكتَبَة لمعلِّمهم واستحسانهم لتعليمه بشأن القيامة، فيظنونَ فيهم الصَّلاحَ والعِلْمَ بالشريعة فينساقون لتعاليمهم. ومِنْ ثَمَّ فإنه لكى يفضح فساد الكتبة وجهلهم بالشريعة التى يدَّعون العلم بها وَجَّه إليهم هذا السؤال قائلاً «كَيْفَ تَقُولونَ إنَّ المسيحَ هُوَ ابنُ داودَ، فى حِينَ أَنَّ داودَ نَفْسَهُ يَقولُ فى سِفْرِ المزامير: قَالَ الرَّبُّ لرَبِيِّ اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَجْعَلَ أَعْداءَكَ تَحْتَ قَدَمَيْكَ، فَدَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبَّهُ، فَكَيْفَ يَكونُ ابنَهُ؟».

ونَعْلَم من الإنجيل للقِدِّيس متَّى أنهم عجزوا عن الإجابة عن هذا السؤال وسكتوا (متى ٢٢ : ٤٦). وبذلك برهنوا على جَهْلِهم المُطْبق بما وَرَدَ فى أسفارهم المقدَّسة التى تتضمَّن شريعتهم ومزاميرهم ونبوءات أنبيائهم، والتى تتضمَّن الإجابة الواضحة كُلَّ الوضوح عن ذلك السؤال الذى وجَّهه الرب يسوع إليهم، وهى أَنَّ المسيح هو ابن داود بناسوته، لأنه من جهة الجَسَدِ كإنسانٍ سيولد من نَسْلِهِ، وأمَّا بلاهوته فهو ربّ داود وإلهه، لأنه ابن الله الآب الذى هو فى نفس الوقت ربّ داود وإلهه. لذلك قال داود بروح النبوَّةِ «قالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي» أى «قال الرَّبُّ الآبُ الّذِى هُوَ رَبِّي، لِلرَّبِّ الإبْنِ الّذِى هُوَ رَبِّي، اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي».

ولكنَّ الكتَبة ومعهم الفريسيون وأمثالهم من فقهاء اليهود كانوا لا يفهمون ما جاء فى شريعتهم إلَّا فَهْمًا سطحيًّا دنيويًّا يبعد كلّ البعد عن إدراك ما تتضمَّنه من المعانى العميقة السَّمَاويَّة، فراحوا يُرَدِّدون كالببَّغاوات فيما بينهم وعلى مسامع الشعب أنَّ المسيح هو ابن داود فحسب، وأنه لن يجىء إلا ليعيد لهم مجد مملكة داود الأرضيَّة، ليحققوا بها مطامعهم فى السيطرة والسلطان والسيادة عَلى كُلِّ بنى الإنسان، وما يتضمّنه ذلك من منافع مادِّيَّة يتطلعون إليها، ويسعون بِكُلِّ حيلة ووسيلة إلى تحقيقها والاستمتاع بها استمتاعًا جَسَدِيًّا أرضِيًّا بعيدًا كُلَّ البُعد فى معناه عن أىّ معنى روحى أو سماوى. وإذ أوضح السيد المسيح جَهْلَ الكتَبَةِ على هذا الوجه الواضح الفاضح لشريعتهم، حَذَّر تلاميذَه منهم على مسمع من كلِّ الشعب قائلاً لهم «احْذَرُوا من الكَتَبةِ الَّذِين يَشْتَهونَ المشىْ بالحُلَلِ الضَّافِيَةِ، وَيُحِبُّونَ التَّحِيَّاتِ فى الأَسْواق، والمجالِسَ العُلْيا فى المجامِعِ، والمقاعِدَ الأُولَى فى الولائمِ. أُولَئِكَ الّذِين يَأْكُلُونَ بُيوتَ الأرامِل بزَعْمِ أَنَّهُمْ يُطِيلُونَ صَلَواتِهِم. لِذَلِكَ سَيَنالونَ دَيْنونةً أَعْظَمَ». فقد كانَ الكتَبَة والفرِّيسيُّون وأمثالهم من الفقهاء والعلماء الدِّينيين، لشغفهم بمظاهر العَظَمةِ والكرامة الدنيويَّة، وكبريائهم، واشتهائهم التعظيمَ والتكريمَ من الناسِ، يرتَدُونَ أفخر الأردية وأفخمها، والحلل الضافية الفضفاضة، والعمائم الكبيرة ذات الطيَّات الكثيرة، ليتميزوا بها عن سائر الفقهاء والبسطاء، فيخدعونهم بذلك ويدفعونهم إلى الوقوف لهم والانحناء بين

أيديهم، وإلقاءِ تحيات الإجلالِ والإكبار إليهم، وهم يتهادون فى الطرقات والأسواق بينهم، متبخترين منتفخى الأوداج فى خيلاء واستعلاء، ويستأثرون بالمجالس العُليا فى صَدْر المجامع، والمقاعِد الأولى المخصَّصة فى الولائم للعظماء والكبراء. كما أنهم لجشعهم وطمعهم وتكالبهم على جمع المال الحرام ولو من الأرامل والأيتام، يتظاهرون بالوَرَع والتَّقْوى والتزمُّت فى شئون الدين، فيطيلون صلواتِهم على مَرْأى من النَّاس ليخدعوهم بذلك ويدفعوهم إلى الثقة فيهم والاطمئنان إليهم وائتمانهم على ما لديهم من حطام الدنيا، فَبَدَلاً من أن يحافظوا عليه لهم، ويستثمروه نيابةً عنهم، يسلبونه منهم ويحتفظون به لأنفسهم بأساليب الغشّ وألاعيب الصيارف والمرابين. وَبَدَلاً من أن يعيدوه إليهم مع ربحه، يوُدِعونه فى جيوبهم، ويأكلونه فى بطونهم، مبرهنين بذلك على لؤم تفكيرهم، وخُبث شعورهم، ومَوْتِ ضميرهم. ولَمَّا كانوا هم رجال الدين الذين هُمْ أعْلَمُ الناس بوصايا الدين، وهم الأمناء على الشريعة الذين هُمْ أدْرَى الناس بأحكام الشريعة، ينالون لَدَى العَدَالة الإلهية دينونة أعظم من سائر الناس الجاهلين بالدين غير العارفين بالشريعة، الذين إن ارتكبوا الخطأ فقد يكون لهم بعض العذر فى اقترافِ خطيئتهم، فيخفف ذلك لَدَى الرَّحمة الإلهية من دينونتهم. وأمَّا هُمْ فلا عُذْر لهم فى خطئهم أو خطيئتهم، فَهُمْ مِنْ ثَمَّ لا يستحقُّون أىّ رحمة، وإنما تحقُّ عليهم الدينونة كاملة وعادلة.

الفصل الحادى والعشرون

٢١ : ١ - ٤

وفيما كان الرب يسوع جالسًا فى الهيكل تطلَّع فَرأَى الأغنياء يلقون عطاياهم فى الخِزَانَةِ المخَصَّصةِ لجمع التبرُّعات التى هى فى حُكم القرابين. ونعلم من الإنجيل للقديس مرقس أنَّ عطاياهم هذه كانت مبالغ كبيرة من المال (مرقس ١٢ : ٤١). ثم رَأَى أرملة فقيرة ألقت فى تلك الخِزَانة فَلْسين لا يساويان أكثر من ملّيم واحد،

فقال لتلاميذه «الحَقَّ أَقولُ لَكُمْ إنَّ هَذِهِ الأَرْمَلَةَ الفَقِيرَةَ قَدْ أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنَ الجَميعِ، لِأَنَّ هَؤلاءِ كُلَّهُمْ أَلْقَوا عَطايا للّهِ مِمّا فَضُلَ عَنْهُمْ. وَأَمَّا هِيَ فَمِعَ عَوَزِها أَلْقَتْ كُلَّ ما تَمْلِكُ». وذلك أَنَّ الأغنياء مهما كان ما ألقوه فى الخِزانة كثيرًا، فإنهم ليسوا بحاجة إليه ولن يؤثِّر على ما لديهم من ثروات وفيرة. فَهُمْ حتَّى لو كانوا قد بَذَلوه بِقَصْدِ الصَّدَقة لِوَجْهِ الله - وليس بِقَصْدِ التَّباهى والتَّفَاخُر وإرضاء كبريائهم والتظاهُر أَمام الآخَرين بِوَرَعِهِم وتقواهم، وهو الاحتمال الأرجح - فإنَّه لا يدلُّ دلالة قاطعة على تأَصُّلِ روح الإحسان والبَذْلِ فى قلوبهم، ولا يدلُّ دلالة قاطعة على نِيَّة التضحية بِما هُمْ مُحْتاجون إليه للفقراء الذين هم أَحْوَجُ إليه منهم، لأَنَّ ما يلقونه إنَّما هو فائض عنهم ولا ينطوى تخلِّيهم عنه على أىِّ تضحية من جانبهم.

وأمَّا تلك الأرملة الفقيرة فإنها إذ أَلْقَت فى الخزانة بهذا المبلغ الضئيلِ جِدًّا، إنما بَرهَنَت على امتلاء قلبها بالرَّحمة، لأنها وهى الأحَقّ بالرحمة، قد أَحَسَّت أنه ربما يكون ثمة مَنْ هُمْ أحقّ بالرَّحمة منها، وأَحْوَجُ إلى المِلّيم الذى جاءت به مما هى فى حاجة إليه، مع أنها لا تملك غيره. فهذه هى التضحية فى أَرْوَع وأَرْفَع صُوَرِها.

وهذا هو الدليل الذى ليس أبدع ولا أبلغ منه دليل على إيمانها بأنَّ الله وقد تخلَّت عن كُلِّ ما تملك للفقراء مثلها أو الأكثر فقرًا منها، لن يتخلَّى عنها، وإنما سيبذل لها من فَيْض رحمته ورأفته مثل ما بذَلَت وأكثر ممَّا بَذَلت. وهذا هو المَثَل الأَعْلى فى الاتّكالِ على الله بقلْبٍ نقىٍّ وضميرٍ حَىٍّ ونيَّةٍ صافِيَةٍ ورغبةٍ صادقةٍ فى الصَّدَقة والعَطَاءِ لِوجْهِ اللّهِ وحده والاتجاه إليه دون سواه فى غيرِ تَبَاهٍ أو تَفَاخُرٍ أو كبرياء، أو تظاهُرٍ بأَىِّ غَرضٍ آخَر من أغراض الحياة. ولذلك كان المِلّيم الذى ألقته فى الخِزانة أكثر فى قيمته وأكبر فى معناه من كُلِّ ما ألقاه أَىُّ غَنِىٍّ مهما بَلَغَ ما ألقاه. لِأَنَّ الله لا ينظر إلى ما يبذل الإنسان من جيبه وإنما ينظر قبل كلِّ شىءٍ إلى قلبه، وما ينطوى عليه من مشاعر وأحاسيس.

٢١ : ٥ - ٩

وَتَحَدَّثَ البَعْضُ عَنِ الهَيْكَلِ وَعَمّا اِزْدانَ بِهِ مِنَ الأَحْجارِ الضَّخْمَةِ وتُحَفِ

النُّذورِ. ونَعْلَمُ من الإنجيل للقديس مَتَّى أَنَّ ذلك حَدَثَ فيما كان منصرفًا من الهيكل، وأنَّ أولئك البعض الذين تَحَدَّثوا عنه هُمْ تلاميذه، وقد تقدَّموا إليه «يَسْتَوْقِفونَ نَظَرهُ عَلى أَبنيةِ الهيكَل» (متّى ٢٤ : ١). كما نَعْلَم من الإنجيل للقدّيس مرقس أنَّ أحد تلاميذه قالَ له «انظُرْ يا مُعَلِّمُ. يا لَها مِنْ حِجارَةٍ عَظيمَةٍ وَيالَها مِنْ أَبْنِيَةٍ!» (مرقس ١٣ : ١). وفِعْلًا لقد كان هيكل أورشليم من أَرْوَع أبنية العالَم فى ذلك العَصر. وقد استغرق بناؤه ستًّا وأربعين سنة. وكان هيرودس الكبير يهدف من بنائه على أنقاض الهيكل القديم الذى بناه الملك سليمان إلى أَنْ يُضْفِى على مُلْكِهِ مَجْدَ سليمان، كما كان يهدف إلى استرضاء اليهود الذين كانوا يكرهونه ويرفضونه مَلِكًا عليهم، وَمِنْ ثَمَّ أَسْرَفَ إسرافًا عظيمًا فى الإنفاق عليه حتى أصبح صَرْحًا شامخًا، ذا أحجار ضخمة، وأروقة فخمة، تقوم على مائة واثنين وستين عمودًا شاهقًا من الرُّخام، وتكتسى جدرانها بالذهب والفضة، وتُحيط بها ثلاثة أسوار هائلة ذات عشر بوَّابات عظيمة من النحاس، تزدان بزخارف على شكل عناقيد العنب الكبيرة المصنوعة من الذهب الخالص. ولم تفتأ الهدايا الثمينة والنذور الفاخرة التى كان الملوك والأثرياء يغدقونها على الهيكل تزيد من رَوْعَتِهِ وبهاء بنيانه، حتى أصبح تُحفَةً من التُّحَف النَّادرة فى زمانه. فلا عَجَبَ أن انبهر برؤيته تلاميذ فادينا الذين لم يكونوا إلَّا قومًا ريفيين بُسَطاء وفُقراء لم يألَفوا مِثْل هذا المظهر الباهر من مظاهِر الفخامة والثراء. بَيْدَ أَنَّ الربَّ يسوع أثار جَزَعَهُم ودهشتهم إذ قال لهم «هَذِه الَّتِي تَرَوْنَها سَتَأْتِي أَيَّامٌ لَنْ يُتْرِكَ مِنْها حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ إلَّا يُهْدَمُ». فسألوه فى لهفة قائلين «مَتَى يَحْدُثُ هَذا يا مُعَلِّمُ وَما هِيَ العَلامَةُ الّتِي سَتُنْبِئُ بِهَذا حِينَ يُوشِكُ أَنْ يَحدُثَ؟»، إذ كانوا يعتقدون أَنَّ خرابَ هذا الهيكل العظيم وانتهاءه لن يكون إلَّا بِخَرَاب العالَمِ وانتهائه، ومِنْ ثَمَّ سألوا الرَّبَّ عن الموعد الذى سيكون فيه ذلك، وعن العلامات التى يعرفون بها اقتراب ذلك الموعد، فأوضَحَ لهم السيِّد الربُّ خطأ اعتقادهم، وشَرَحَ لهم أن خراب الهيكل – وإن كان سيصحبه خراب أورشليم وهلاك الأمة اليهودية – ليس معناه خراب العالَمَ فى اليوم الأخير، وأنبأهم بعلامات كُلٍّ من الحادثتين، محذِّرًا إياهم من أن ينقادوا وراء

المضلِّلين الذين سيأتون بعده محاولين أن يبلبلوا أفكارهم بأمور غير صحيحة من شأنها أن تزعزع إيمانهم به، وتدفع بهم إلى أن يَتَضَعْضَعُوا أو يتراجعوا عن أداء الرِّسالة التى كلَّفهم بأدائها، إذ قال لهم «احْذَرُوا مِنْ أَنْ يُضِلَّكُمْ أَحَدٌ، فإنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ باسْمِى قائِلينَ: إنِّى أنا هُوَ المسيحُ، وإنَّ الوقْتَ قَدْ اقْتَرَبَ، فَلا تَذْهَبُوا وَراءَهُم»، أى أَنَّ كثيرين سيأتون بعد صعوده - له المجد - إلى السَّماءِ، زاعِمًا كلٌّ منهم أنه هو المسيح الذى تنبأ عنه الأنبياء، وأنه جاء على مقتضى اعتقاد اليهود ليخلِّصهم من ربقة الرُّومان، وأنَّ الوقت قد اقترب ليقيم لهم مملكة أرضيَّة، ويقودهم إلى غَزْوِ العَالَمِ كُلِّه ليكونوا هُمْ سادة كلِّ الشعوب. فليحذر التلاميذ من أنْ يصدِّقوهم أو يذهبوا وراءهم بعد أن جاءهم المسيح الحقيقى وآمنوا به، وبأنَّه لن يقيم لهم مملكة أرضيّة، وإنما مملكة سماوية، إذ طَالَمَا صَرَّحَ لهم بأنَّ مملكته ليست من هذا العالَمَ.

ثم قال الربُّ لتلاميذه «وإنْ سَمِعْتُمْ بِحُروبٍ واضْطِراباتٍ، فَلا تَجْزَعُوا، لأَنَّهُ لابُدَّ أن يَحْدُثَ هَذا أوَّلاً، وَلَكِنَّ النِّهايَةَ لن تَعقُبَ ذَلِكَ فَوْرًا»، أى أنهم من الجهة الأُخرى إن سمعوا بقيام حروب وحدوث اضطرابات، فلا ينبغى أن ينزعجوا، معتقدين أنَّ تلك علامات على اقتراب نهاية العالَمَ، لأنه لابد أن تقومَ حروب وأن تَحدُثَ اضطرابات ما دامت ثمة حياة على الأرض، لأَنَّ هذه هى طبيعة البَشَر الذين فيهم أشرار لا يفتأون يُعَادون الأبرار ويعتدون عليهم. بَيْدَ أَنَّ ذلك ليس معناه أنَّ نهاية العالَمَ قد أتت.

٢١ : ١٠ - ٢٤

أمَّا علامات اقتراب خراب الهيكل وأورشليم وهلاك الأمة اليهوديَّة فقد أوضحها فادينا لتلاميذه، قائلاً لهم «سَتَقُومُ أُمَّة على أُمَّةٍ، ومَملكةٌ على مَملكةٍ، وَتَقَعُ زَلازِلُ عَنِيفَةٌ فى أَماكِنَ شَتَّى، وتَحْدُثُ مَجاعاتٌ وأوْبِئَةٌ، وَتَظْهَرُ فى السَّماءِ مَناظِرُ مُرْعِبةٌ وَعَلاماتٌ مَهُولَةٌ. بَيْدَ أنَّه قَبْلَ أن يَحْدُثَ ذَلِك كُلُّهُ، سَيَقْبِضونَ عليكم، وَيَضْطَهِدُونَكُم، وَيُقَدِّمونَكُم إلى المجامعِ، وَيُلْقُونَ بِكُمْ فى السُّجون، وَيَسُوقُونَكُم

إلى الملوكِ والوُلاةِ من أجلِ اسمِى ، فَيؤُولُ ذَلِك إلى ظَفَرِكُم بالشَّهادَةَ. فَوطِّنوا أنفُسَكُم على ألَّا يُساوِركُم الْهُم بِشَأْنِ ما عَساكُمْ أن تُجِيبوا بِهِ، لِأَنَّنِي سَأُعْطِيكُم طَلاَقَةَ فَمٍ وحِكْمةً، لن يستطيعَ كُلُّ خُصومِكُم أن يُقاوِموها أو يُناقضُوها. وَسَيخُونُكُم آباؤكُمُ وإِخوَتُكم واقاربكم وأصدِقاؤكم، وَيَقْتُلُونَ أُناسًا منكم، وَتكونونَ مَكْرُوهِينَ من الجَميعِ من أجلِ اسمِى. بَيْدَ أَنَّ شَعْرةً واحِدَةً من رُؤُوسِكُم لن تَهلِك. فَبِثَباتِكُم تَكْسَبُونَ أَنْفُسَكُم. وَمَتى رَأَيْتُم أُورُشَلِيم قد أحاطَتْ بها الجُيوشُ، فاعْلَمُوا أنَّ خَرابهَا قَرِيبٌ، وَعِنْدَئِذٍ فَلْيَهْرُبِ الذَّينَ فى اليَهودِيَّةِ إِلى الجبالِ، والذَّين فى داخِلِها فَلْيُبارِحوها، والذَّينَ فى الرِّيفِ خارِجَها فلا يَدْخُلوها، لِأَنَّ هذِهِ سَتكونُ أيَّامُ انتقامٍ لِيَتِمَّ كلُّ ما هو مَكْتُوبٌ. والوَيْلُ لِلْحَبالَى والمرضِعاتِ فى تِلكَ الأيَّامِ، فإِنَّه سَيكونُ ضيقٌ عظيمٌ فى الأرضِ، وَسُخْطٌ عَلى هذا الشَّعْبِ، وَسَيَسْقُطونَ بِحَدِّ السَّيْفِ وَيُؤْخَذُون أَسْرَى إلى كُلِّ الأُمَم، وَتَكونُ أُورُشَليمُ مَدُوسة مِنَ الأُمَمِ إلى أَنْ تَنْقَضِى أَزْمِنَةُ الأُمَمِ». أَىْ أنَّ خراب الهيكل وأورشليم وهلاك الأُمَّة اليهودِيَّة لن يَحْدُثَ فى الغَدِ القَريب، وإِنَّما ستمضى قبل ذلك فترةٌ تكثُرُ فيها الحُرُوب بَيْنَ الأُمَم والممالِك، وتقع زلازل عنيفة فى كثير من بِقَاعِ الأَرْضِ، وتَحدث مجاعات وأوبئة نتيجة لهذه الحروب والزلازل أو لِغَير ذلك من الأسبابِ، وتظهر فى السَّماءِ مناظر مُرعبة وعلامات مَهُولة حتى لَيَبْدو أَنَّ القيامة توشك أن تقوم. بَيْدَ أَنَّ الذى سيحدُثُ فى الغد القريب هو ما سيحلّ بالتلاميذ أنفسهم فى الأيام القليلة التى تلحق بِصَلْبِ سيِّدنا يسوع المسيح وقيامته وصعوده إلى السماء، إذ سيبدأون هُمْ بعدَ ذلك رسالتهم التى كَلَّفهم بها، وهى التبشير به وبتعاليمه فى كُلِّ أَنحاءِ الأَرضِ. وعِنْدَئِذٍ سيقبض أعداؤه عليهم ويضطهدونهم، ويقدِّمُهُم رؤساء اليهود إلى المَجامعِ التى هى معابِدُهُم، والتى كانت فى الوقت نَفْسِهِ محاكمهم، مُتَّهِمين إِيَّاهُم بمخالَفَة الشريعة اليهوديَّة، ويلقون بهم فى السُّجونِ، ويسوقونهم إلى الملوك والوُلاةِ بتُهمة انتمائهم إلى طائفة متمرِّدة على السُّلطات المدنية أو السُّلطات الدينية، تَحْمِل اسمَه وتَنْتَسِبُ إِلَيْهِ. وقد تَحقَّقت هذه النبوءات كلّها بالفِعْل، إذ لم تمض ثلاثة أيَّامٍ عَلى نُطْقِ فادينا بها، حتى أمسكه اليهود وصلبوه،

وبعد ثلاثة أيّام أُخْرَى قامَ من بَيْنِ الأموات وظَهَرَ لتلاميذِه. وبعد أربعين يومًا صعد إلى السَّماءِ أمام أعينهم. ثُمَّ فى يوم الخمسين حَلَّ الرُّوح القدس عليهم، وعندئذ بدأوا يبشّرون اليهود بأنَّ هذا الذى صَلَبوه إنما هو المسيح مخلِّص العالم الذى تنبَّأ بمجيئِهِ كلُّ الأنبياء. وقد استطاعَ تلميذه القِدِّيس بطرس ومعه الأحد عشر رسولاً فى ذلك اليوم وحده الذى نَزَلَ فيه الروح القدس أن يضمّ إلى المؤمنين بفادينا يسوع المسيح نحو ثلاثة آلافٍ من اليهود (الأعمال ٢ : ٤١). فلم يلبث زعماء اليهود ولا سيّما الكَهَنَة ورؤساؤهم أَنْ بَدَأوا فى مطاردتهم واضطهادِهِم، فقبَضُوا على التلميذين بطرس ويوحنَّا وألقوا بهما فى السِّجن، ثُمَّ قَدَّموهما إلى السّنهدريم الذى هو أعْلى مجلس قضائى لَدَيهم، وكان يَضُمُّ شيوخَهم ورؤساء كهنتهم وزعماء طوائفهم الدينية كالكَتَبةِ والفرِّيسيين والصّدّوقيين (الأعمال ٤ : ١-٦). وبعد ذلك قبضوا على كلّ تلاميذ فادينا ورسله وسجنوهم (الأعمال ٥ : ١٧ و١٨) وقتلوا استفانوس (الأعمال ٧ : ٥٨)، ثم قتلوا يعقوب أخا يوحنَّا (الأعمال ١٢ : ٢) ثم حاولوا قتل بطرس (الأعمال ١٢ : ٤)، وراحوا يضطهدون كلَّ المؤمنين بالمسيح فى أورشليم حتى اضطروهم إلى الهرب منها إلى فينيقية وقبرص وأنطاكية وغيرها من البلاد (الأعمال ٨ : ١)، (٩ : ١). وحين آمن القديس بولس بالسيِّد المسيح وانضمَّ إلى رسله بعد أَنْ كان يضطهدهم، تآمر عليه اليهود فى دمشق ليقتلوه فهرب إلى أورشليم (الأعمال ٩ : ٢٣ و٢٦)، ثم راح ينتقل من مدينة إلى مدينة مبشِّرًا بفادينا حتى بلغ أنطاكية فاضطهده يهود تلك المدينة وطردوه منها (الأعمال ١٣ : ٥٠) فذهب إلى أيقونية، وهناك حاول اليهود قتله فهرب إلى لسترة (الأعمال ١٤ : ٥)، وهناك رجموه حتى أشرف على الموت فهرب إلى دربه (الأعمال ١٤ : ١٩ و٢٠) وحين بلغ مدينة فيليبى جلده ولاتها وألقوه فى السجن حيث وضعوا رجليه فى المقطرة (الأعمال ١٦ : ٢٢ - ٢٤). وحين ذَهَبَ بعد ذلك إلى لسترة حَاوَلَ اليهود الذين فيها قَتْلَهُ فَهَرَبَ إلى بيريَّة (الأعمال ١٧ : ٥ - ١٠)، فتعقَّبوه إلى هناك فَهَرَبَ إلى أثينا (الأعمال ١٧ : ١٣ - ١٥)، وهناك قَبَضَ عليه يَهودُ تلك المدينة وساقوه إلى حاكمها مُتَّهمينَ إيَّاه بمخالفة الشريعة اليهودية، ولكنَّ

الحاكِمَ أطلق سراحه إذ لم تكن تعنيه الشريعة اليهوديَّة فى شيء (الأعمال ١٨ : ١٢-١٦). فَرَاحَ بولُس يطوفُ مُبَشِّرًا بالمسيح فى كُلِّ بَلَدٍ يَذهَبُ إليه «حتى سَمِع جميع سُكَّان آسِيَّة من اليهود واليونانيين كلمة الربِّ» (الأعمال ١٩ : ١٠). وحين عادَ بولس من جَوْلَتِهِ التبشيرية إلى أورشليم قَبضَ اليهود عليه هناك وانهالوا عليه ضربًا حتى أوشكوا أن يقتلوه لَوْلاَ أَنْ رآهُم قائد رومانى فأمسك بولس ووضع فى يديه سلسلتين من الحديد وساقه إلى المعسكر، وهناك تأهَّب لأن يجلده لَوْلاَ أن ذَكَرَ بولس أنه يتمتَّع بالرعويَّة الرُّومانية فكفَّ عن جَلْدِه، وفى الغد أَمَرَ بإحضار رؤساء الكهنة وكلّ أعضاء مجلس السنهدريم وأقام بولس أمامهم. فلمّا أراد بولس أن يتكلَّم التَفَتَ رئيس الكهنة حنانيا إلى أتباعه وأَمَرَهُم بأن يضربوه على فمه، وإذ خشىَ القائد الرّومانىّ عندئذ أن يفتك رؤساء اليهود ببولس انتزعه من بين أيديهم وعاد به إلى المعسكر. بَيْدَ أنَّ رؤساء اليهود صمَّموا على أن يحتالوا ليظفروا ببولس ويقتلوه. فلمّا عَلِمَ القائد الرومانى بهذه المؤامرة أخرج بولس ليلاً وأرسله مخفورًا إلى فيليكس الوالى الرّومانى فى قيصريَّة، فَأَمَرَ هذا باستدعاء رؤساء اليهود. وحين حضروا قال أحدُهم للوالى «إذ وَجَدْنا هذا الرَّجُلَ مُفْسِدًا، ومهيج فتنة بين جميع اليهود الذين فى المسكونة وزعيم شيعة الناصريين، وقد شَرَعَ أن ينجِّس الهيكل أيضًا أمسكناه وأردنا أن نحكم عليه حَسَبَ شريعتنا». (أعمال ٢٤ : ٥ و ٦). فَصَرَفَهم الوالى وألقى بولس فى السجن، فظلَّ فيه مُقَيَّدًا بالأغلال سنتين كاملتين. وقد حَدَث بعد ذلك أن الملك اليهودى أغريباس حفيد هيرودس الكبير زار قيصرية، فأمر الوالى الرومانى بإحضار بولس لمحاكمته أمامه. وقد دافع بولس عن نفسه وعن إيمانه ببلاغة عظيمة حتى لقد قال له أغريباس «تكاد تقنعنى بأن أصير مسيحيًّا». ولكنَّ هذا الملك لم يفصل فى قضيته، لأن بولس كان قد طَلَبَ إحالة دعواه إلى قيصر الرّومان فى روما. وَمِنْ ثَمَّ قادوه مع غيره من الأَسْرَى إلى سفينة أقلعت به، وبعد أهوال قاسية فى الطريق وصل بولس إلى روما، وهناك قَتَلَهُ الإمبراطور الرومانى نيرون. وقد كان ما حدث لبولس مثالاً لِمَا حَدَثَ لباقى تلاميذ الرب يسوع ورسله، إذ أنهم طبقًا لِمَا أنبأهم به معلِّمهم اضطهدوهم

وقدّموهم إلى المجامع وألقوا بهم فى السجون وساقوهم إلى الملوك والوُلاة من أجل اسمه، إذ كانت التهمة التى وَجّهها رؤساء اليهود إلى القِدِّيس بولس هى أنه «زعيم شيعة الناصريين» نِسْبَةَ إلى تلقيب مُخَلِّصِنَا بيسوع الناصِرِىِّ. كما تَدُلُّ العبارة التى قالها له الملك أغريباس على أنهم كانوا يلقّبون المؤمنين بالمسيح أيضًا بالمسيحيين، لأنهم كانوا يُبَشِّرون بأَنَّ يسوع الناصِرِىِّ هو المسيح الذى تنبَّأ بمجيئه الأنبياء. كما جاء فى سِفْر أعمال الرُّسُل أنه «وفى أنطاكية تسمَّى التَّلاميذُ أَوَّلَ مَرَّةٍ بالمسيحيينَ » (أعمال الرسل ١١ : ٢٦).

وبعد أن أنبأ المعلِّم تلاميذه بما سيكابدون من الأوجاع وأنواع العَنتِ والعَسْفِ والاضطهادِ والاستبداد وتقديمهم إلى المحاكم والحكَّام، أوضَحَ لهم ما فى ذلك كلِّه من خَير، قائلاً «فَيَؤُول ذَلكِ إلى ظَفرِكُم بالشَّهادَةِ»، أى أَنَّ ذلك كلّه سيتيح لهم الفُرْصة للشهادة بإيمانهم أمامَ المنكرِينَ، عَسَىَ أن يقنعوهم ويهدوهُم إلى الإيمان. كما أنه سيمنحهم نِعْمة الاستشهادِ فى سبيل ذلك الإيمان. وهذا ما حَدَثَ بالفِعْلِ، إذ كان مُثُول التلاميذ والرُّسُلِ أمام المحاكم والحُكَّامِ أثمن فُرْصة يشرحون فيها عقيدتهم، وقد دَفَعَتْ بالكثيرين إلى الاقتناع بتلك العقيدة السَّمائية السَّامِيَةِ بعد ما رأوا من إخلاصِ التلاميذ والرُّسُل فى المجاهرة بها، وحرارتهم فى الدفاع إلى آخِر نَسَمة فى حَياتِهم عنها. كما أتاحَ ذلك للتلاميذ والرُّسُلِ الظَّفَرَ بِنِعْمة الاستشهاد التى هى أَعلى وأَغْلىَ نِعمة يمكن أن ينالها المؤمن جزاء إيمانه لأنه بِها وإِنْ خَسِرَ حياته الفانية على الأرض، يفوز بالحياة الأبدّية فى السَّماءِ. وتلك هى غاية الغايات، وأرْفَعُ وأَرْوَعُ ما يتطلَّعُ إليه الإنسان من ثِمَارِ جهودِه وجِهَادِه وما يُلَاقى فى الدُّنيا من متاعب ومصاعب، ومن مصائب ومشقَّات. وهذا ما حَدَثَ بالفِعْلِ أيضًا، إذ أن تلاميذ المسيح ورُسُله بَعْدَ أن شهدوا به أَمامَ العالَمِ كُلِّهِ استشهدوا جميعًا فى سبيله وفى سبيل إيمانهم به وتفانيهم فى حُبِّهِ، فكان استشهادهم هو الدليل على صِدقِ شهادتهم، وكان هو السبيل الذى استحقُّوا إذ سلكوه أَنْ يَنْعَمُوا بالحياة الأَبَدِيَّةِ فى ملكوتِ السَّماوات.

وقد أراد الرَّبُّ يسوع أن يشجِّع تلاميذه ويقوّيهم ويعزّيهم وَيُطْمئن قلوبهم بعد

كُلّ ما أنبأَهُم بِهِ مِمَّا سيكابِدون من شدائد ومكايد ومحاكمات أمام المجالس والملوك والمحاكم والحُكّام، فأَوْصاهُم قائلاً «فَوَطِّنُوا أَنْفُسَكُم عَلَى أَلاَّ يُساوِرَكُم الهَمُّ بِشَأْنِ ما عَساكُم أَنْ تُجِيبُوا بِهِ، لِأَنَّنِي سَأُعْطِيكُم طَلاَقَةَ فَمٍ وحِكْمَةً، لن يَسْتَطِيعَ كُلُّ خُصومِكُم أن يُقاوِموها أو يناقِضوها». فقد كان التلاميذُ قَوْمًا بُسَطَاءَ لم ينالوا قِسْطًا وافِرًا من التعليم، ولم يَتَمَرَّسُوا بأساليب ذوى الخُبْثِ والدَّهاءِ، وربَّما أَقْلَقَتهم الخشية من أن يعجزوا - حين يواجهون تلك السُّلطات كلّها - عن أن يُدافعوا عن أنفسهم وعن إيمانهم، أو يترافعوا مُرَافعة المحامين المحنَّكين القادرين ببلاغتهم وقُوَّة حُجَّتهِم عَلى تفنيد الاتهامات ومقاومة المفتريات ومناقضة الادّعاءات التى يدَّعيها الخصوم الأقوياء والأعداء الأَلِدَّاء. ولذلك أَكَّدَ لَهُم مُعَلِّمُهُم - وهم العارفون بحقيقة شخصيته، العَالِمون بمَدَى قُدْرَتِه - على أنه حتى بعد انطلاقه إلى السماء سيظلُّ معهم وفقًا لقوله لهم «ها أناذا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّام إلى انقِضاءِ الدُّهور» (متىّ ٢٨ : ٢٠)، وسيعطيهم بِمَا لَهُ من سلطانٍ إلهيٍّ من الفصاحة والبلاغة والحِكْمَةِ وقُوَّةِ الحجَّة وسَدَادِ المَنْطِقِ والقُدْرةِ على المدافعة والمرافعة ما يستطيعون به أن يدفعوا كل اتهامات خصومهم ومُفْتَرَيَاتِهم الباطلة وادّعاءاتهم المضلِّلَةِ، وأن يرفعوا رايات الحقِّ فى وجوه أولئك الخصوم فيُفحموهم وَيُلجِمُوهم ويُلجِئُوهم إلى السُّكوت والصَّمْتِ، كارهين مقهورين مدحورين.

كما أراد فادينا أن يشجِّعَ تلاميذه ويقوّيهم ويعزّيهم ويُطمئنَ قلوبهم بعد أن أنبأَهم بمزيد مما سيكابدون من متاعب وتجارب قد لا يحتملها بَشَر لِفَرْط شناعتها وبشاعتها وقسوتها على النفس وشِدَّة وطْأتها على الشعور والحِسِّ، إذ قال لَهُم: «وَسَيَخونُكُم آباؤُكُمْ وإِخْوَتُكُمْ وأقارِبُكُم وأَصْدِقاؤُكُمْ وَيَقْتُلُونَ أُناسًا مِنْكُم وَتَكُونونَ مَكْروهِينَ مِنَ الجَميعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِى. بَيْدَ أَنَّ شَعْرَةً واحِدةً من رُؤوسِكُمْ لَنْ تَهْلِكَ. فَبِثَباتِكُمْ تَكْسَبُونَ أَنفُسَكُمْ». إذ ستبلغ شراسة وضراوة الحرب التى سَيُضْرِمها الشيطان لمقاومة الإيمان بالمسيح يسوع والحَيْلُولَة دون انتشار إنجيله، حتىَّ إنَّه سَيُحَرِّض الآباءَ ضدّ أبنائهم الذين يعتنقون العقيدة المسيحيَّة، درجةً يفقدون معها عاطفة الأُبوَّةِ ذاتها فيَخونونهم ويُبلغون السُّلطات عنهم

لتقتلهم، وربّما يقتلونهم هُمْ بأيديهم. كما يفعل ذلك الأخ ضدّ أخيه، والقريب ضدّ قريبه، والصَّديق ضدّ صديقه، وقد اضطرَمَتَ نارُ الكراهية فى قلوب الجميع نحو تلاميذ المسيح ونحو المسيحيين جميعًا، ولو كانوا من أقرب أقربائهم وأصدَق أصدقائهم. وتبلغ شِدَّة اضطرام نار تلك الكراهية حَدَّ الخيانة النّكراء، بلْ حَدّ سَفْكِ الدِّماء لمجَرَّدِ أَنهَّم آمنوا بذلك الذى ارتضى الموتَ سافِكًا دَمَه على خَشَبةِ الصليب لخلاصهم وخلاص البَشَرِ جميعًا، ولمجرَّدِ أنهَّم نسبوا أنفسهم إليه واتّخذوا من اسمه لَقَبًا لهم. بَيْدَ أنَّه يَجْدُر بأولئك المؤمنين بالمسيح سواء من تلاميذه أو من سائر المسيحيين ألّايفزعوا مع ذلك أويجزعوا، لأنَّه مهما أصابهم مِن شَرٍّ ولو أَدَّى إلى هلاك حياتهم الأرضيَّة، لن يمسّ حياتهم السَّمائية بأىِّ سوء، وإنما سيخرجون من تلك المحنة منتصرين انتصارًا مجيدًا، سالمين سلامة كاملة، وكأنَّ شعرة واحدة من رءوسهم لم تهلك. فليصمدوا غير متزعزعين ولا متضعضعين، ثابتين على إيمانهم، غير متراجعين عنه، لأنهم بذلك يكسبون أنفسهم، إذ يكسبون الحياة الأبديَّة لأنفسهم، لأنَّ هذه هى الحياة الحقيقية فى السَّماءِ، التى لا تُعتَبر حياتهم على الأرضِ بالنسبة لها إلَّا سرابًا كاذبًا، وَوَهمًا باطِلًا، ووجودًا زائلًا، سرعان ما يضمحلّ وَيفنى.

بَيْدَ أنَّ فادينا ومخلِّصنا له المجد حين بدأ يتكلَّم عن خراب الهيكل وأورشليم وهلاك الأمة اليهودية الذى كان قد تقرَّر فى التدبير الإلهىّ، والذى كان السيد المسيح يعلم أنه لن تمضى بضع سنوات حتى يتمّ، أوضح لتلاميذه العلامات التى تنبئ بوشك وقوعه، ونصحهم كما نصح المؤمنين جميعًا بأن يعملوا على النجاة من ذلك الهلاك، حتى يحفظ لهم حياتهم، ليكونوا هُمْ خميرة المؤمنين فى كُلِّ الأرض، ولا يهلكوا مع مَن سيهلكون فلا تجد شُعلة الإيمان مَن يحملها مِن بَعْدِهم، إذ قال لهم «وَمَتَى رَأَيْتُمْ أورُشَلِيمَ قَدْ أَحاطَتْ بِها الجُيوشُ فاعلَموا أَنَّ خَرابَها قَريبٌ. وَعِنَدئِذٍ فَلْيَهْرُبِ الّذين فِى اليَهودِيَّةِ إلى الجبَالِ، والَّذينَ فى داخِلِها فَلْيُبارِحُوها، والّذِين فى الرِّيفِ خارِجَها فَلا يَدْخُلوها، لِأَنَّ هَذِهِ سَتَكونُ أَيّامُ انتقامٍ لِيَتِمَّ كُلُّ ما هو مَكْتوبٌ والوَيْلُ لِلحَبالَى والمرْضِعاتِ فى تِلْكَ الأَيّامِ، فَإِنَّهُ سَيكونُ ضِيقٌ

عَظيمٌ فى الأَرض ، وَسُخطٌ على هذا الشَّعْبِ، وَسَيَسْقُطونَ بِحَدِّ السَّيفِ وَيُؤْخَذُونَ أَسْرَى إلى كُلِّ الأُمَم، وَتَكونُ أُورُشَليمُ مَدُوسَةً مِنْ الأُمَم إلى أَنْ تَنْقَضِىَ أزمِنَةُ الأُمَمِ ». وذلك هو ما تحقَّق بالفعل، فلم يمضِ أقل من أربعين عامًا من النُّطق بهذه النبوءة حتى تحقَّقت بحذافيرها، إذ لم يلبث الرومان أن ضاقوا ذرعًا بخبث اليهود ومكرهم وعنادهم وتمرُّدهم وما يحيكونه من دسائس وما يُضْمِرونه من ثورات، فأرسلوا إليهم عام ٧٠ ميلادية جيشًا ضخمًا بقيادة فسباسيان، فحاصر أورشليم وَظَلَّ يضيِّق الخِناق عليها. فلمَّا انتخبه الجيش فى هذه الأثناء إمبراطورًا للدولة الرُّومانية خَلَفَه فى القيادة ابنه تيطُس، فاستمرَّ فى حصار أورشليم وواصَلَ الضغط على اليهود. ولم يكُن هؤلاء على الرَّغْمِ من الخَطَر المحدق بهم ليتخلَّوا عن صفاتهم الشّكسة الشّرّيرة التى تنزع إلى الشّقاق فيما بينهم ومحاربة بعضهم بعضًا. فقد كانوا أثناء الحصار المضروب حولهم منقسمين إلى حزبين متنافرين متعادين، أحدهما يتزعَّمه رَجُلٌ يُسَمَّى شمعون، وكان يحتلّ مرتفعات المدينة، وقد انضمَّ إليه عشرة آلاف من اليهود وخمسة آلاف من الأدوميين، والآخر يَتزعمه رجُل يُسَمَّى يوحنَّا، وكان يحتلّ الهيكل والساحة المحيطة به، وقد انضمّ إليه سبعة آلاف من اليهود. وقد هَدَّ هذا النزاع الدّاخلى من قوَّة الأمة اليهودية. حتى لَيَقُول يوسيفوس المؤرِّخ اليهودى أن اليهودَ نالهم من جَرّاء الصِّراع بين أحزابهم فى ذلك الحين أكثر مما نالهم من حصار الرُّومان. وقد عَضَّ الأمّهات الجوع فأكلن أطفالهن، ومِن ثَمَّ لم تلبثْ أورشليم أن وقعت أخيرًا فى قبضة تيطس، فاقتحم أسوارَها وأشاع فيها الخراب والدَّمار، وأضرمَ النارَ فى هيكلها بعد أن سَلَب كُلَّ ما فيه من نفائس وأموال، ثُمَّ راح يذبح اليهود وقد صمَّم على أن يفنيهم من على الأرض ويقطع دابرهم، حتى لقد أصبحت دماؤهم كالبحيرات فى الشوارع وفى أروقة الهيكل التى أصبحت حطامًا وأكوامًا من الرَّماد. وقد حَمَل الرُّومان ستمائة ألف جثة فألقوها خارج الأسوار. كما أَسَروا بضعة آلاف مِمَّن تبقّوا بعد المذبحة وعلَّقوهم على الصلبان، حتى لقد تجاوز عدد المذبوحين والمصلوبين مليونًا من القَتْلى. وقد أَسَرَ الرومان سبعة وتسعين ألفًا آخرين ساقوهم للعمل فى المناجم والمحاجر حيث هَلَكَ

معظمهم تحت وطأة ما سامُوهُم من مَذَلّة واستعباد. وقد وصف يوسيفوس خراب أورشليم فقال «إننى لا يمكن أن أفكِّر فى سبب لهذا إلا أنَّ الله قد حتَّم خراب هذه المدينة النجسة، إذ سمح بهلاك أولئك المدافعين عنها، لأنه حتى أولئك الذين كانوا يرتدون الملابس المقدّسة ويرأسون الصَّلَوات العامَّة وكانوا موضع التبجيل من الناس جميعًا قد طُرِحوا عُرَاة فى الوَحَل وصاروا مأكلاً للكلاب وطعامًا للحيوانات المفترسة». ثُمَّ وَصَفَ يوسيفوس المذابح التى اجتاحت منطقة الجليل كذلكَ وَمحْتَهَا مَحْوًا، فقال «حقًّا إن الله هو الذى سخّر الرومان لمعاقبة الجليليين وإبادة مدنهم واحدة بعد أُخرى. وقد قتلوا عشرات الألوف، فبعضهم ذبحوه بالسَّيْف وبعضهم الآخر طعنوه بالحِرَاب. حتى إذا أراد البعض منهم أن ينجوا بأنفسهم سابحين فى البحيرة كانت النِّبالُ تلحق بهم فتشجُّ رءوسهم، وإذا تشبَّثوا بالسُّفُن الرُّومانيَّة بُتِرت أيديهم أو قُطِعَت رقابهُم حتى غَدَت البحيرة مغطّاة بالدماء ومكتظة بالجثث. وقد كانت العين ترى على الشاطئ فى الأيام التالية منظَرًا بشعًا يملأ النفس رُعبًا وفَزَعًا، إذ اكتظّت الخلجان بالجُثث المنتفخة وقد ضَرَبَتها الشَّمس، فَانْبَعَثَت منها رائحة الموت وتساقَطَت عليها الطيور تنهشها وتبعثر فى كُلِّ الأرجاء أشلاءها».

وهكذا ألحق الرومان الخراب والدَّمار بأورشليم عاصمة اليهود، كما ألحقوا الخراب والدَّمار بأكثر من ألف مدينة وقرية أُخرى من مدنهم وقُرَاهم. وقد أبادوا معظمهم. فلم يتبَقّ منهم إلاّ عدد قليل تَفرَّقوا هائمين على وجوههم فى كُلِّ أنحاء الأرض. وظلُّوا على مَرِّ العصور غرباء مشرَّدين مطرودين مكروهين محتقرين من الناس فى كُلِّ أرضٍ وفى كُلِّ جيل. فتحققت بذلك نبوءات أنبياء اليهود أنفسهم المكتوبة فى أسفارهم المقدَّسة عن انتقام الله منهم بسبب شرورهم. ومن ذلك ما تنبَّأ به إرميا النبىّ إذ قال «ها هى ذى أيام تأتى، يقول الرَّبُّ، تصير جثث هذا الشعب أكلاً لطيور السَّماءِ ولوحوش الأرض.. وأجعل أورشليم رجمًا ومأوَى بنات آوَى، ومدن يهوذا أجعلها خرابًا بِلاَ سَاكنٍ... ها أنا ذا أُطْعِمُ هذا الشَّعبَ أَفْسَنْتِينًا، وأسقيهم ماء العَلْقَم وأبدّدهم فى أمم لم يعرفوها هم ولا آباؤهم، وأطلِق وراءهم السَّيف حتى أفنيهم. وأوكِّل عليهم أربعة أنواعٍ، يقول الرب: السَّيف للقَتْل،

والكلاب للسَّحْبِ، وطيورَ السَّماءِ ووحوشَ الأرض للأكْل والإهلاك، وأدفعهم للقلق فى كُلِّ ممالك الأرض» (إرميا ٧ : ٣٢)؛ (٩ : ١١ و١٥ و١٦)؛ (١٥ : ١ - ٤). كما قال إرميا النبىّ يصف خراب أورشليم ويرثيها «جَلَسَتْ وَحْدَها المدينة الكثيرةِ الشعب.. صارَت كأرملة.. كلّ أبوابها خَرِبة.. نَجحَ أعداؤها لأنَّ الرَّبَّ قد أَذَلَّها لأجل كثرة ذنوبها. ذَهَبَ أولادُها إلى السَّبى أمام العدوّ.. رأَتْها الأعداء فضحكوا على هلاكها. قد أَخْطَأَت أُورشليم خطيئةً. مِنْ أَجْلِ ذلك صارت رَجسة.. نجاستها فى أذيالها.. بَسَطَ العدوُّ يَدَه على كلِّ مُشتهياتها.. الأُمَمُ (أى الوثنيون) دَخَلُوا مَقْدِسَهَا.. غَطَّى السيِّد بغضبه ابنة صهيون بالظلام.. نَقَض بسخطه حصونَ بنت يهوذا. أَوْصَلَهَا إلى الأَرْضِ.. كَرِهَ السيِّد مذبحه.. رَذَل مَقْدِسَه. حَصَرَ فى يَدِ العدُوِّ أسوار قصورها.. قَصَدَ الرَّبُّ أن يُهلِكَ سور بنت صهيون.. أهلك وحطَّمَ عوارضها.. شيوخ بنت صهيون يجلسون على الأرض.. يرفعون التراب على رءوسِهِم، يتنطّقون بالمسوح.. فَعَلَ الرَّبُّ ما قَصَد. تَمَّمَ قَوْلَهُ الذى أَوْعَدَ به منذ أيام القِدَم. قد هَدَمَ ولم يُشْفِق. فلم يكُن فى يوم غَضَب الربِّ ناجٍ ولا باقٍ.. صَارَ علينا خوفٌ ورُعبٌ : هَلاكٌ وَسَحْقٌ انهالت حجارة القُدْس فى رأس كُلِّ شارع.. لَصِقَ لِسَان الرَّاضع بِحَنَكِهِ من العَطَشِ. الأطفال يسألون خُبزًا وليس مَنْ يَكْسِره لهم. الذين كانوا يأكلون المآكل الفاخرة قد هَلَكوا فى الشوارِع. الذين كانوا يتربّون على القِرْمِزِ احتضنوا المزابل.. لَصقَ جِلْدُهُم بعظمهم. صَارَ يابِسًا كالخشَب. كانت قَتْلى السَّيْف خيْرًا من قَتْلى الجوع.. أيادى النساء الحنائن طَبَخَتْ أولادَهُنَّ. صاروا طعامًا لَهُنَّ.. أَتَمَّ الرَّبُّ غَيْظَهُ. سَكَب حُمُوَّ غَضَبِهِ وأشْعَلَ نارًا فى صهيون فأكلَت أُسُسَهَا.. مِنْ أجل خطايا أنبيائها وآثام كَهَنَتها السافكين فى وسطها دمَ الصدِّيقين. تاهوا كعُمْىٍ فى الشوارع وتلطّخوا بالدَّمِ حَتَّى لم يستطع أحَد أن يمسَّ ملابسهم.. لم يرفعوا وجه الكهنة ولم يترأفوا على الشيوخ.. كملت أيامنا لأَن نهايتها قد أَتَتْ. صَارَ طارِدونا أخفّ من نسور السَّماءِ. على الجبَال جَدُّوا فى أَثرنا. فى البرِّية كمنوا لنا.. قد تَمَّ إثْمُكِ يا بنت صهيون.. قد صار ميراثنا للغرباء. بيوتنا للأجانب. صِرنَا أَيْتَامًا..

أمّهاتنا كأرامل. . جلودنا اسْوَدَّت كتنّور من جرى نيران الجوع. . الرؤساء بأيديهم يُعلَّقون. وَلَمْ تُعْتَبر وجوه الشيوخ. . أخذوا الشبّان للطحن والصبيان عثروا تحت الحَطَب. . مَضَى فَرَحُ قَلْبِنَا. صار رَقْصنَا نوحًا. سقَطَ إكليلُ رأسنا. وَيْلٌ لنا لأننا قد أخطأنا. . اظلمّت عيوننا من أجل جَبَل صهيون الخَرِب. . الثعالب ماشية فيه» (مراثى إرميا ١ – ٥).

وقد نَفَّذ الله بذلك وعيده لليهود إن خانوا عهده وتمرَّدوا عليه، إذ قال لهم على فم نَبِيِّهم موسى «إنْ لم تسمعوا لى. . وإن رفضتُم فرائضى وَكَرِهَتْ أنفسكم أحكامى. أجعل وجهى ضدّكم فَتُهزَمون أمام أعدائكم، ويتسلَّط عليكم مُبْغِضوكم. . وأخربكم. . وأُوَدبكُم سبعة أضعافٍ حَسَب خطاياكم. فتأكلون لَحم بنيكم ولحم بناتكم. . وأُذَرِّيكُمْ بين الأمم، وأُجَرِّد وراءكم السيف فتصير أرضكم موحِشَةً، ومدنكم تصير خَرِبَةً. . والباقون منكم أُلْقِى الجَبَانَةَ فى قلوبهم فيهزمهم صَوْتُ وَرَقة مندفعة، فيهربون كالهَرَب من السَّيف. . ولا يكون لكم قيام أمام أعدائكم، فتهلكون بين الشعوب، وتأكلكم أَرْضُ أعدائكم. . والباقون منكم يفنون بذنوبهم. . وأيضًا بذنوب آبائهم معهم» (اللاويين ٢٦ : ١ – ٣٩).

وقال الله لبيت إسرائيل «إنْ لم تسمع لصوت الربِّ إلهك، لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التى أنا أوصيك بها اليوم. . يجعلك الرَّبُّ منهزمًا أمام أعدائك. فى طريقٍ واحدة تخرج عليهم وفى سبع طُرُقٍ تهرب أمامهم. وتكون قلقًا فى جميع ممالك الأرض. وتكون جثتك طعامًا لجميع طيور السَّماء ووحوش الأرض. . يُسَلَّم بنوك وبناتك لشعبٍ آخر. . فلا تكون إلاَّ مظلومًا ومسحوقًا كلَّ الأيام. . يذهَب بك الربُّ وبمَلِكِكَ الذى تقيمه عليك إلى أمَّةٍ لم تعرفها أنت ولا آباؤك. . وتكون دَهْشًا وَمَثَلاً وَهُزْأَةً فى جميع الشعوب الذين يسوقك الربُّ إليهم. . الغريب. . الذى فى وسطك يَسْتَعْلى عليك مُتَصَاعِدًا وأنتَ تنحطُّ متنازلاً. . هو يكون رأسًا وأنتَ تكون ذَنَبًا. . تُستَعْبد لأعدائك الذين يرسلهم الربُّ عليك فى جوعٍ وَعَطَشٍ وعرْىٍ وعوزٍ كُلِّ شىء. . فيجعل نير حديد على عنقك حتى يهلكك. يجلب الربُّ عليك أُمَّةً من بعيد، من أقصاءِ الأرض كما يطير

النِّسر. أُمَّة لا تفهم لسانها. أُمَّة جافية الوَجْه لا تهاب الشيخ ولا تحنّ إلى الوَلَدِ.. تحاصرك فى جميع أبوابك حتى تهبط أسوارك الشامخة الحصينة.. الرَّجُلُ المتنعِّم فيك والمترفِّه جدًّا تَبْخَلُ عينه على أخيه، وامرأة حضنِهِ وبقيَّة أولاده الذين يبقيهم، بأن يعطى أَحَدهم من لحم بنيه الذى يأكله، لأنه لم يَبْقَ له شىء فى الحصار والضيقة التى يضايقك بها عدوُّك فى جميع أبوابك.. والمرأة المتنعِّمة فيك والمترفِّهة.. تَبْخل عينها على رَجُلِ حضنها وعلى ابنها وابنتها بمشيمتها الخارجة من بين رجْلَيها، وبأولادها الذين تلدهم، لأنها تأكلهم سرًّا.. ويبدِّدك الرَّبُّ فى جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها.. وفى تلك الأمم لا تطمئن ولا يكون قرار لقَدَمِك.. وترتعب لَيْلاً ونهارًا.. ويَرُدك الرب إلى مصر.. فَتُباعون هُنَاك لأعدائك عبيدًا وإماء وليس مَنْ يشترى» (التثنية ٢٨ : ١٥ - ٦٨). ولقد كانَ فى مجىءِ السَّيِّد المِسيح فُرصة أخيرة أمام اليهود لِيَرْتدُّوا عن شرورهم، وَيَرْتَدِعُوا عن آثامهم، لو أنهم آمنوا به وعملوا بتعاليمه. ولكنهم على العكس أنكروه وتنكّروا له وتذمروا على تعاليمه وتآمَروا عليه، ثم أخيرًا قتلوه. فاستحقوا سخط الله وغضبه عليهم وقضاءه العادل بهلاكهم، بعد أن أرسَلَ إليهم نبيًا بعد نبىٍّ، وأنذرهم إنذارًا بعد إنذار، وأطال أناته عليهم آلافًا من السنين، حتى أرسل إليهم أخيرًا ابنه الحبيب، ففتكوا به، وسفكوا دمه على خشبة الصليب.

وقد نَصَحَ فادينا تلاميذه وكُلَّ المؤمنين به بأنهم متى رأوا أورشليم قد أحاطت بها الجيوش فليعلموا أن خرابها قد أوشك، وعندئذ فليهرب الذين يكونون داخل المدُن منهم إلى الجبال التى فى خارجها ليختبئوا فيها، والذين يكونون خارج المدُن فلا يدخلوها لِئلاَّ تدهمهم تلك الجيوش التى ستنهمر على أورشليم وكلّ المدن اليهودية انهمار السَّيْلِ الجارِفِ مُسْرِعَةً مُرَوِّعة كاسحة فى طريقها كلَّ شىء، فلن ينجو من بطشها إلا الذين يُسْرِعون بالفرار والاختباء بين الصخور وفى بطون الأغوار. وأمَّا الحَبَالى والمرْضِعات اللاتى يعوقهنَّ عن سُرْعة المسير ما يحملنه فى أحشائهن أو على أَذْرُعِهِنَّ من أَجِنَّة أو أطفال صغار، فالويل لَهُنَّ لأنهنَّ سيعانين فى فرارهن أشدّ المعاناة، وسيكابدن أبشع وأشنع المشقَّات. وفِعلاً قد هرب

المسيحيون طاعةً لنصيحة المسيح الرَّبِّ إلى الجبال المجاورة عبر الأردن وَلا سيَّما إلى بلدة فيها كانت تُسمَّى «بِلاَ»، فنجوا مما أصاب سائر اليهود من هلاك.

وقد تنبَّأ مُخَلِّصُنَا بأن أورشليم عاصمة اليهود ستظل بعد هلاكهم «مَدوسةً من الأُمَم إلى أَن تَنْقَضِىَ أَزْمِنَةُ الأُمَمِ»، أى أنَّ أورشليم ستظل مَدوسة تحت أرجل الوثنيين والأمم غير اليهودية فترة من الزمان جعلها الله الآب فى سلطانه، معلومة لَدَيه تعالى، وإن ظلَّت غير معلومة للناس.

٢١ : ٢٥ - ٣٦

وبعد أَنْ وَصَفَ الرَّبُّ يسوعُ علامات خراب أورشليم والهيكل وهلاك الأمة اليهودية، شَرَعَ يصف، لتلاميذه علامات خراب العَالَم المادِىِّ وهلاك الأشرار من البَشَر جميعًا. وَلَعَلَّ مِمَّا يَدُلُّ عَلى أَنَّ الخرابَ الأوَّل الخاصّ بأورشليم والهيكل والهلاك الأوّل الخاصّ باليهود غير المؤمنين، إنما هو رَمْز للخراب العام للعالَم كُلِّه فى يَوْم الدَّينونة والهلاك العام لكلِّ الأشرار فى ذلك اليوم، أنَّ العلامات التى تسبق الحادثتين كما وصفها مخلِّصنا تكاد أن تكون واحدة، حتى إن الوصف متداخل فى الحالتين وشامل لكلتيهما، إذ قال له المجد «وَسَتَكونُ ثَمَّة عَلاماتٌ فى الشَّمْسِ والقَمَرِ والنُّجومِ، وَيَكونُ عَلىَ الأَرْضِ كَرْبٌ لِلشُّعوبِ وَبَلْبَلَةٌ، وَيَضِجُّ البَحْرُ وَتَزْأَرُ الأَمواجُ، وَيُغْشَى على النَّاسِ مِنَ الرُّعْبِ وَمِنْ تَوقُّعِ ما قَدْ يَنْزِلُ بِالعالَم، لِأَنَّ قُوَّاتِ السَّماواتِ تَتَزَعْزَعُ. وَعِندَئِذٍ سَيَرَوْنَ ابنَ الإنسانِ آتِيًا فى السَّحابِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ عَظيمٍ، فمتى بَدَأَ هذا يَحْدُثُ، فَتَطَلَّعُوا إلى الأَعالِى رَافِعينَ رُءوسَكُم، لِأَنَّهُ عِندَئِذٍ يَكونُ خَلاصُكُم قد اقْتَرَبَ». فالعلامات المخيفة التى تظهر فى الطبيعة تسبق خراب أورشليم والهيكل وهلاك اليهود، كما تسبق بصورة أشدّ هَوْلاً خراب العالَم وهلاك الأشرار فى اليوم الأخير، وتكون فى الحالتين دليلاً على اقتراب مجىء مُخلِّصنا ابن الإنسان، وإنْ كانت تدلّ فى الحالة الأولى على اقتراب مَلَكوته على الأرض وانضمام الناس أفواجًا إلى صفوف رعاياه والمؤمنين به، وتدلّ فى الحالة الثانية على اقتراب مجيئه الثانى للدَّينونة ومكافأة الأبرار ومعاقبة الأشرار. وفى كِلْتَا الحالتين

يبشر فادينا تلاميذه وكلّ المؤمنين به على مَدَى الزمان بأنّ خلاصهم من ربقة هذا العالَم وشروره يكون بظهور تلك العلامات قد اقترب، ومِنْ ثَمَّ يدعوهم لأن يتطلّعوا إلى الأعالى فى فَرَح وأن يرفعوا رءوسهم فى فخر، إذ تكلَّل جُهْدُهُم وَجِهَادُهم أخيرًا بالظَّفر والنصر.

ولكى يُوضِّح الربُّ يسوع هذا المعنى لتلاميذه، ضَرَبَ لَهُم مَثَلاً كعادته قائلاً لهم «تأمَّلُوا شَجَرَةَ التِّينِ وسائِرَ الأَشْجارِ، فإنَّها مَتى أَوْرَقَتْ تُدرِكُوا مِنْ أَنْفَسِكُم إذْ تَرَوْنَها أنَّ الصَّيْفَ قد اقتَرَبَ. هَكَذا أيضًا مَتَى رَأَيْتُم هَذِهِ الأُمورَ تَحْدُثُ، فاعْلَموا أنَّ مَلَكوتَ اللّهِ قَريبٌ. الحَقَّ أقولُ لَكُمْ إنَّه لَنْ يَمْضِيَ هذا الجيلُ حَتَّى يَحْدُثَ كُلُّ هَذا. تَزولُ السَّماءُ والأَرْضُ، أمَّا كَلامِي فلا يَزولُ. فانْتَبِهوا لأنفسكم لِئَلَّا تَصيرَ قُلوبُكُم مُثْقَلَةً بِالتُّخْمَة والسُّكْرِ والانغماسِ فى المشاغِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَيُفاجِئَكُمْ ذَلِكَ اليومُ بَغْتَةً، لِأنَّه سيُطْبِقُ كالفَخِّ على جَميعِ أَهلِ الأرضِ كُلِّهَا. فاسْهَرُوا إِذَنْ، مُواظِبينَ على الصَّلاةِ فى كُلِّ حِينٍ، كَىْ تَصيرُوا أَهْلاً لِلنَّجاةِ مِنْ كُلِّ هذا المزمَعِ أَنْ يَكونَ، وَلِأَنْ تَقِفُوا بَيْنَ يَدَى ابنِ الإنسانِ» أى أنه كما أنَّ انبثاق الأوراق الخضراء فى غصون الأشجار التى جفَّت فى الخريف هو الدليل على اقتراب فصل الصيف، هكذا يكون حدوث تلك الأمور التى ذكَرَها له المجد هو الدَّليل على اقتراب ملكوت الله. وقد أكَّدَ فادينا أنَّ هذه الأمور سَتحدُث قريبًا بالنسبة لخراب أورشليم والهيكل وهلاك الأُمة اليهودية، فَلْيَعْلَمْ تلاميذُه وَليَعْلَم كل المؤمنين به ذلك عِلْمَ اليقين، لأَنَّ كَلامَ الربِّ مخلِّصهم ومخلِّص البَشَر جميعًا، إنما يعبرِّ عن إرادة الهيِّةِ أكثر رسوخًا من السَّماءِ والأرض، حتى إن السماء والأرض إذا زالتا، لن يمكن أن يزول هذا الكلام، فَلْيَسمَعُوا وَلْيَعُوهُ وَليطيعُوهُ كحقيقة مقرَّرة لا ريب فيها ولا مناصَ منها. ومِن ثَمَّ فليعملوا بنصائحه التى وجهها إليهم للنجاة من ذلك الخراب والهلاك الذى سيحلّ قريبًا ببلاد اليهود وبأُمَّة اليهود.

وقد ذكر المؤرخ اليهودى فلافيوس يوسيفوس فى كتابه «حروب اليهود، أو تاريخ خراب أورشليم» (المجلد الرابع. الجزء السادس، الفصل الخامس، الفقرة الثالثة) جملة علامات حدثت قبل خراب أورشليم مطابقة لِمَا سَبَقَ وأنذر به السيد

المسيح تلاميذه والمؤمنين به بقوله «وتظهر فى السماء مناظر مرعبة وعلامات مَهُولة» (لوقا ٢١ : ١١) منها أن نجمًا يشبه السيف ظَهَرَ فوقِ أورشليم، يصاحبه مذنَّب، وقد استمر ظهورهما سنة كاملة. ومنها أنه قبل بدء حرب اليهود مع الرومان، فى عيد الفطير الذى يوافق اليوم الثامن من شهر نيسان، وفى الساعة التاسعة من الليل، سطَعَ نور عظيم حول المذبح والهيكل كأنه نور الشمس، واستمر ظهوره على هذا لنحو حوالى نصف ساعة. ومنها أنه فى ذلك العيد نفسه كانت عِجْلة صغيرة يسوقها رئيس الكهنة لتقديمها ذبيحة، فَوَلَدَتْ حَمَلاً فى وسط الهيكل. ومنها أن البوّابة الشرقية لساحة الهيكل وكانت ضخمة ثقيلة جدًّا مصبوبة من النحاس الخالص، لا يستطيع أن يغلقها كل مساء أقل من عشرين رَجُلاً، وهى مستقرة على قاعدة مسلحة بالحديد، ولها مزالج ثابتة بعمق فى الأرضية التى كانت تتكوَّن من حجر واحد عظيم الضخامة - هذه البوابة تنفتح من تلقاء نفسها فى الساعة السادسة من الليل، فجاء حُرّاس الهيكل يركضون نحو قائد الهيكل وأخبروه عنها، فقام وأغلقها مع أعوانه بعد مجهود عظيم. ويقول يوسيفوس إن هذه الحادثة بدت للعامَّة أعجوبة تشير إلى أن الله فتح لليهود باب السعادة، ولكنَّ العُلَماء منهم فهموا منها أن أمْنَ هيكلهم قد زال من تلقاء ذاته، وأنَّ البوَّابة قد انفتحت لمصلحة أعدائهم. وكان ذلك علامة على الخراب الذى حَلَّ باليهود. وأما يوسيفوس فقد كانت تدل هذه العلامة فى نَظَرِه على تخلِّى العناية الإلهية عن اليهود. ثم يقول يوسيفوس إنه فى اليوم الأول، وفى اليوم العشرين من شهر أيار، بعد عيد الفطير بأيام، حدثت ظاهرة عجيبة أخرى لا يكاد العقل يصدقها، وتبدو خرافة لولا أن الذين رووها هم الذين شاهدوها بأعينهم، إذ يقولون إنَّه قبل غروب الشمس شوهدت مَرْكَبَاتٌ وجمهرة من الجند مسلَّحين بدروعهم يَجْرُون بين السُّحُب، ويحيطون بالمدن، وفى عيد العنصرة فيما كان الكهنة داخلين ليلاً إلى الفناءِ الداخلى للهيكل كعادتهم لأداء خدماتهم الدينية المقدّسة، قالوا إنهم أَحَسُّوا بزلزلة وسمعوا جلبة عظيمة، ثم إذا بصوت يدوِّى كأنه صادر عن جمهور كثير يقول «امضوا بنا من هنا». على أن ما هو أفظع من كل هذا، هو ذلك الرجل المُسمَّى

« ابن أنانوس »، وكان فلاَّحًا عاميًا جِلفًا، إذ ظل أربعة أعوام متوالية قبل أن تبدأ حرب اليهود مع الرومان – وكانت أورشليم لا تزال فى رخاء وسلام عظيمين – لا يفتأ يصرخ بصوت عظيم قائلاً « صوتٌ من المَشرِق. صوت من المغرب. صَوْتٌ من الأربعة الرِّياح. صَوْتٌ ضدّ أورشليم والهيكل المقدّس. صوت ضدّ العَرِيس وضِدّ العَرُوس. صَوْتٌ ضدّ الشَّعْبِ كلِّه ». وقد كان ذلك الرجل يصرخ ليلاً ونهارًا بهذه العبارات فى جميع شوارع أورشليم وأزقّتها، حتى لقد استاء كثيرون من عُظَمَاءِ الأمّة من صيحاته تلك وأخذوا الرَّجُلَ وضربوه ضربًا موجِعًا، ومع ذلك استمرّ يردِّد العبارات نفسها التى كان يصرخ بها مِنْ قَبْل. فاشتدّ حنق حكام اليهود عليه وجاءوا به إلى الحاكم الرومانى، وجلدوه حتى تعرَّت عظامه، ولكن مع ذلك لم يتأوَّه أو يتوجع أو يتوسّل إليهم أن يكفُّوا عن تعذيبه، وإنما أخذ يصرخ بأكثر شدّة وبأعلى صوته، قائلاً مع كل جلدة يصيبونه بها « الويل. الويل لأورشليم ». فلما سأله ألبينوس حاكم اليهود « مَن أنت؟ ومِن أين أتيت؟ ولماذا تصرخ بهذه العبارات »، لم يُجِبْ بِشَيءٍ وإنما واصل ترديد هتافه المرير الحزين، ومِنْ ثَمَّ اعتبره ألبينوس مخبولاً، وأطلق سراحه. فراح يردِّد ذلك الهتاف فى كل لحظة وكأنما قد أخذ على نفسه عهدًا بهذا. ويقول يوسيفوس « حقًّا لقد كان هذا نذير شؤم عَمَّا كان مزمعًا أن يحدث ». وقد ظل ذلك الرجل يردد صرخته المشئومة تلك سبع سنوات وخمسة أشهر متوالية، حتى جاء الرومان بالفعل وحاصروا أورشليم ، وعندئذ أخذ يدور حول سور أورشليم صائحًا بأَعْلى صَوْته وبكلِّ قوته « الويل، الويل للمدينة، وللشعب، وللهيكل المقدس »، ثم أخيرًا قال « الويل، الويل لى أنا أيضًا » وعندئذ أصابه حجر من الأحجار التى كان المتحاربون يتقاذفونها، فمات على الفور وهو لا يفتأ يردد نذيره حتى أسلَم الروح. وقد ردّد هذه الأحداث الغريبة أوسابيوس أسقف قيصرية فى كتابه « تاريخ الكنيسة وشهداء فلسطين » (الكتاب الثالث، الفصل الثامن)، نقلاً عن المؤرّخ اليهودى يوسيفوس.

وأما فيما يتعلّق بما يرمز إليه خراب أورشليم والهيكل وهلاك الأمة اليهودية مما سيحدث فى يوم القيامة الأخير، فقد نصح الربُّ مخلِّصُنا تلاميذَه وكُلَّ المؤمنين

به بأن ينتبهوا لأنفسهم، لِئَلاَّ تجرفهم الشهوات الدنيوية من مأكل ومشرب ومن المطالب الجسدية، فتقتل فيهم المواهب الرّوحية، وتلهيهم المشاغِل الأرضيَّة عن التطلُّع إلى الأمجاد السماوية، ثم يجىء فجأة ذلك اليوم الرَّهيب المهِيب الذى سَيُطبِقُ كَالفَخِّ على أَهْلِ الأرضِ كلّها فى لحظة لا يتوقعونها، فيجدُهم مُتْخَمِينَ بالطَّعام، سَكَارَى من كثرة الشَّرَاب، مثقلين بهموم الدنيا واهتماماتها، عبيدًا لِلْجَسَدِ والجَسَدِيَّاتِ، مُقَيَّدين بالأرضِ والأرضيات، بعيدين كُلَّ البُعْدِ عن العناية بالرُّوح والرُّوحيَّات، مُتَغَافلين كلّ التَّغَافُلِ عن الاتِّجاه نحو السَّماءِ والسَّمَائيات، متعلِّقين بِكُلِّ ما هُوَ هَالك وَفَان، فلا يكون مصيرهم لَدَى العَدْل الإلهىِّ إلَّا الهلاك والفناء، منصرفين عن كُلِّ ما هو خالدٌ وَبَاقٍ، فلا يكونون مستحقِّين بأَىِّ حالٍ مِنَ الأَحْوَالِ حَيَاةَ الخلود والبقاء. فليسهرْ التلاميذ وكلُّ المؤمنين بالرَّبِّ يسوع المسيح إذَنْ فى كُلِّ الأجيال، فى انتظار ذلك اليوم لئَلاَّ يفاجئهم بَغْتَةً فى أَىِّ لحظة من اللحظات، مواظبين على الصَّلاةِ إلى الله فى كُلِّ حين، وبغير انقطاع، لتكون قلوبهم على الدَّوام متَّصِلَة بالله، متجهة إليه، منصتة له، متعلقة به، مطيعة إياه، خاضعة لمشيئته، خاشعة بين يَدَيْهِ، بحيث لا يكون لهم اهتمام إلَّا بِهِ، ولا اتكال إلَّا عليه، ولا سبيل إلَّا سبيله، ولا غاية إلَّا رِضَاهُ دون سواه. لأنهم بذلك وحده يصيرون أهلاً للنجاة من كُلِّ هذا المزمع أن يكون فى يوم الدَّينونة من أهوال تصيب الأشرار الذين آثَروا الضَّلالَ عَلى الإيمان، وَعَبَدُوا الشَّهْوَةَ والمال مِن دون الله، ولأنهم بذلك وحده يستطيعون الوقوف فى ذلك اليوم بين يَدَى ابنِ الإنسان الذى هو مُخَلِّصُنَا ابن اللّهِ الدَّيَّان، رافعى الرأس غير خجلين، مطمئنِّى النَّفْس غير وَجِلين، مضيئين كالشمس فى ملكوت أبيهم.

٢١ : ٣٧ - ٣٨

وقد كان الربُّ يسوع المسيح فى ذلك الوقت - على الرَّغم من علمه بأنَّ اليهود سيقتلونه بعد أيَّامٍ قلائل - لا يفتأ مُواظِبًا كعادته على التعليم فى الهيكل، لم ينقطع عن ذلك لحظة واحدة، مُشَجِّعًا المؤمنين به فى سائر الشعب على ماسَيُلَاقونه من

الآلام، وَمُوَبِّخًا المعاندين له من رؤساء الكهنة والكَتَبَة والفرِّيسيين وغيرهم على ما يرتكبونه من الخطايا والآثام. حتى إذا جَاءَ الليل كان يخرُج ويبيت فى الجَبَل المُسمَّى بِجَبَلِ الزَّيتون، وكَانَ مُتَاخِمًا للهيكل، كى ينفرد هناك فى هَدْأةِ الظَّلَام للتأمُّلِ والصَّلاة، وكى يَتَسَنَّى له أن يعود إلى الهيكل مُبَكِّرًا بمجرَّد أن يبزغَ الفَجْرُ، لِأَنَّ كُلَّ الشَّعْبِ كانوا يبكِّرون إليه هناك ليستمعوا إلى تعاليمه وعِظَاتِهِ، ويستمتعوا بوجود شَخْصِهِ الإلهىِّ بينهم، مستشعرين ما فى كَلَامِهِ من نِعْمَةٍ وَعَزَاءٍ، وما فى شخصيَّته من وَدَاعة وسُمُوٍّ.

الفصل الثانى والعشرون

٢٢ : ١ - ٢

ولم يلبث أن اقتربَ مَوْعِدُ عيد الفطير، المُسَمَّى الفِصْحَ. والفِصْح لفظ عِبْرِىٌّ معناه العبور. وقد سُمِّىَ العيد بهذا الاسم لأنه تَقَرَّر تذكارًا لعبور الملاك المُهْلِكِ عن أبواب البيوت الملطَّخَة عتباتها العُلْيَا وقائمتاها بالدم (الخروج ١٢ : ٢٢ - ٢٧) ثم عبور اليهود البحر الأحمر أثناء خروجهم من مصر (الخروج ١٤ : ١٥ - ٢٢ و ٢٩). وَسُمِّىَ كذلك بِعِيدِ الفَطِير لأنهم أَكَلُوا خُبزهم ليلة الخروج قبل أن يختمر، أى أَكَلُوه فَطِيرًا. وكانوا أثناء الاحتفال بهذا العيد يأكلون فطيرًا كذلك. وكانت الاحتفالات بهذا العيد تستمرُّ سبعة أيام، وتبدأ من اليوم الخامس عشر من الشهر الأَوَّل من شهور السنة العبريَّة وهو شهر أبيب، الذى أصبحوا يُسَمُّونه بعد السَّبْىِ نِيسَان. وكان ذلك اليوم هو الذى خرج اليهود فيه من مصر، وتنتهى فى مساء اليوم الحادى والعشرين من الشهر المذكور. وكان اليهود يقيمون فى أَوَّل أيام هذا العيد محفَلًا مُقَدَّسًا يمتنعون فيه عن العَمَل، وفى آخِرِ أَيَّامه مَحْفَلًا مُقَدَّسًا يمتنعون فيه عن العَمَل كذلك. وكانوا طوال السبعة الأَيَّام يأكلون فَطِيرًا بدلًا من الخُبْزِ المُخْتَمِرِ، ويمارسون الطقوس المقرَّرة لذلك العيد ابتداء من عشية اليوم السابق عليه، وكانوا يُسَمُّونه يوم الاستعداد، وهو اليوم الرابع عشر من شهر

أبيب أو نيسان، وهو الذى نُسَمِّيه اليوم أبريل. وكان أوَّل هذه الطقوس وأهمَّها أن تذبح كُلُّ عائلة يهوديَّة فى عِشيَّةِ يوم الاستعداد خَروفًا، وتُلَطِّخ بِدَمِهِ قائمتى باب البيت وعتبته العُلْيَا، وتشْويه بأكمله دون أن تكسر عَظْمةً منه، ثُمَّ تأكُلُ لحمه داخل البيت مع الفطير وبعض الأعشاب المرَّة، وما بقى منه إلى الصَّبَاحِ تحرقه بالنار. ويرمز ذلك إلى الخروف الذى ذَبَحَتْهُ كُلُّ عائلة يهوديَّة ليلة خروج اليهود من مِصر ولطَّخَت بِدِمائه قائمتى باب بيتها وعتبته العليا. حتى إذا أهلك ملاك الله فى تلك الليلة أبكارَ المصريين تجاوَزَ بيوت اليهود الملطَّخة بالدِّماءِ فَلَمْ يهلك أبكارهم. وكان اليهود يأكلون لحم ذلك الخروف ليلة الفِصح فى عَجَلَةٍ، وأحقاؤهم مشدودة، وأحذيتهم فى أَرْجُلِهِم، وعِصيُّهم فى أيديهم، كما فَعَلُوا ليلة خروجهم مِن مِصْر. وكانَ ذَبْحُ ذلك الخَرُوفِ هو محْوَرُ طقوس ذلك العيد كلِّها، حتى لقد أصبحوا يسمّون الخروف نفسه بالفِصْحِ. ويرمز دمُ الخروف إلى الفِداءِ والخَلَاصِ الذى أَنْعَمَ الله بِهِ على اليهود فى تلك الليلة. وترمز الأعشاب المرَّة إلى ما كان اليهود يلقونه من عُبُودِيَّةٍ فى مِصْر. وأمَّا الفطير فكانَ المقصود به تذكير اليهود بعبوديَّتهم فى مصر وطَرْدِهِم منها، إذ جاء فى سِفْر الخروج «فَحَمَلَ الشَّعْبُ عجينهم قبل أن يختمر ومعاجنهم مصرورة فى ثيابهم على أكتافهم... وخَبَزُوا العجين الذى أخرجوه مِن مِصْر خُبْزَ ملَّةٍ فطيرًا، إذ كان لم يختمر، لأنهم طُرِدوا من مصر ولم يقدروا أن يتأخَّرُوا، فلم يصنعوا لأنفسهم زادًا» (الخروج ١٢ : ٣٤ - ٣٩). كما يرمز الفطير إلى طهارة القلب التى يريد الله من المؤمنين به أن يكونوا متَّصِفين بها، مبتعدين عن الفَسَادِ الذى يرمز إليه الخمير. وقد اهتمَّت الشريعة اليهودية اهتمامًا كبيرًا بِعِيدِ الفِصْح وَشَرَحَت طقوسَه شَرْحًا دقيقًا مُفَصَّلاً كى يلتزمها اليهود التزامًا كاملاً، إذ جاء فى سفر الخروج «وكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وهارونَ فى أَرْضِ مِصْر قائلاً : هذا الشهر (الذى خرج فيه اليهود من مِصْر) يكونُ لكُم رأْسَ الشُّهُور. هُوَ لَكُم أوَّل شهور السَّنَةِ. كَلِّما كُلَّ جماعة إسرائيل قائلين : فى العَاشِرِ مِنْ هذا الشهر يأخذون لهم كُلُّ واحِدٍ شَاةً بِحَسَبِ بيوت الآباء. شَاةً للبيت.. تكون لكم شاة صحيحة ذَكَرًا ابن سَنَة، تأخذونه من الخِرْفانِ أو مِنَ المواعِزِ، ويكون عندكم تَحْتَ

الحِفْظِ إلى اليوم الرّابع عَشر مِن هذا الشَّهر. ثم يذبحه كلُّ جمهور جماعة إسرائيل في العَشِيَّةِ. ويأخذون من الدَّم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا. . . مَشْوِيًّا بالنَّار مع فطير، على أَعْشَاب مُرَّةٍ يأْكُلونه. لا تأكلوا منه نَيِّئًا أو طبيخًا مطبوخًا بالماءِ بل مَشْوِيًّا بالنَّار. رأسه مع أَكَارِعِهِ وَجَوْفِهِ، ولا تبقوا منه إلى الصَّبَاح. والباقي منه إلى الصَّبَاح تحرقونه بالنَّارِ. وهَكَذَا تأكلونه، أحقاؤكم مشدودة، وأحذيتكم في أرجُلكم، وعِصِيُّكم في أيديكم، وتأكلونه بِعَجَلَةٍ، هو فِصْحٌ للرَّبِّ. . ويكون لكُم هذا اليوم تذكارًا فتُعَيِّدونه عِيدًا للرَّبِّ. في أجيالِكُم تُعَيِّدُونه فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً. سبعة أيام تأكلون فطيرًا. اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم. فإنَّ كُلَّ مَن أَكَلَ خَمِيرًا في اليوم الأَوَّلِ إلى اليوم السابع تُقْطَعُ تلك النَّفْسُ من إسرائيل. ويكون لكم في اليوم الأوَّل محفل مُقدَّس. وفي اليوم السَّابع محفل مُقَدَّس. لا يُعْمَل فيهما عَمَلٌ ما إلَّا ما تأكله كُل نَفْسٍ فذلك وحده يُعمَل منكم. . في بَيْتٍ واحِدٍ يؤكل. . لا تُخْرِج من اللحم من البيت إلى الخارج. وَعَظْمًا لا تكسِروا منه. كلّ جماعة إسرائيل يصنعونه» (الخروج ١٢ : ١ - ٤٧). وجاء في سِفْر التثنية «لا يَحِلُّ لَكَ أن تذبَح الفِصْحَ في أَحَدِ أبوابك التي يعطيك الرَّبُّ إلهك، بل في المكان الذي يختاره الرَّبُّ إلهك ليحلَّ اسمه فيه. هُناك تذبح الفِصْحَ مساءً نحو غروب الشمس في ميعاد خروجك من مِصْرَ» (التثنية ١٦ : ١ - ٦). وهكذا نَرَى أَنَّ الشريعة كانت تقضي أَوَّلًا بأن تذبَحَ كُلُّ عائلة خروف الفِصْح في بيتها. ثم قَضَت بعد ذلك بأن يكون ذلك في «المكان الذي يختاره الربّ»، أي في خيمة الاجتماع، أو في هيكل أورشليم بعد إقامة ذلك الهيكل. غير أنَّ اليهود ظَلُّوا، ولا سِيَّما في نهاية عَهْد أُمَّتهم - يذبحون الفِصْحَ في بيوتهم. وقد غَيَّروا بعض الطقوس التي نَصَّت عليها الشريعة، فأصبحوا يأكلونه متكئين لا واقفين (متى ٢٦ : ١٧ - ٢٠)؛ (مرقس ١٤ : ١٢ - ١٩)؛ (لوقا ٢٢ : ٧ - ١٤)؛ (يوحنا ١٣ : ١ و١٢). فكان ربُّ البيت يأخذ كأس خمر يمزجها بقليل من الماء ويقول «فليكن الربُّ مباركًا الذي أَبْدَعَ ثمرَ الكَرْمَةِ» ثُم يأخذ منها رشفَةً، وهكذا يفعل مثله كل أهل البيت. وكانوا يُسمُّون هذه الكأسَ كأسَ المرارة رَمْزًا لَمَا ذاقه الإسرائيليون من مرارة العبودية قبل

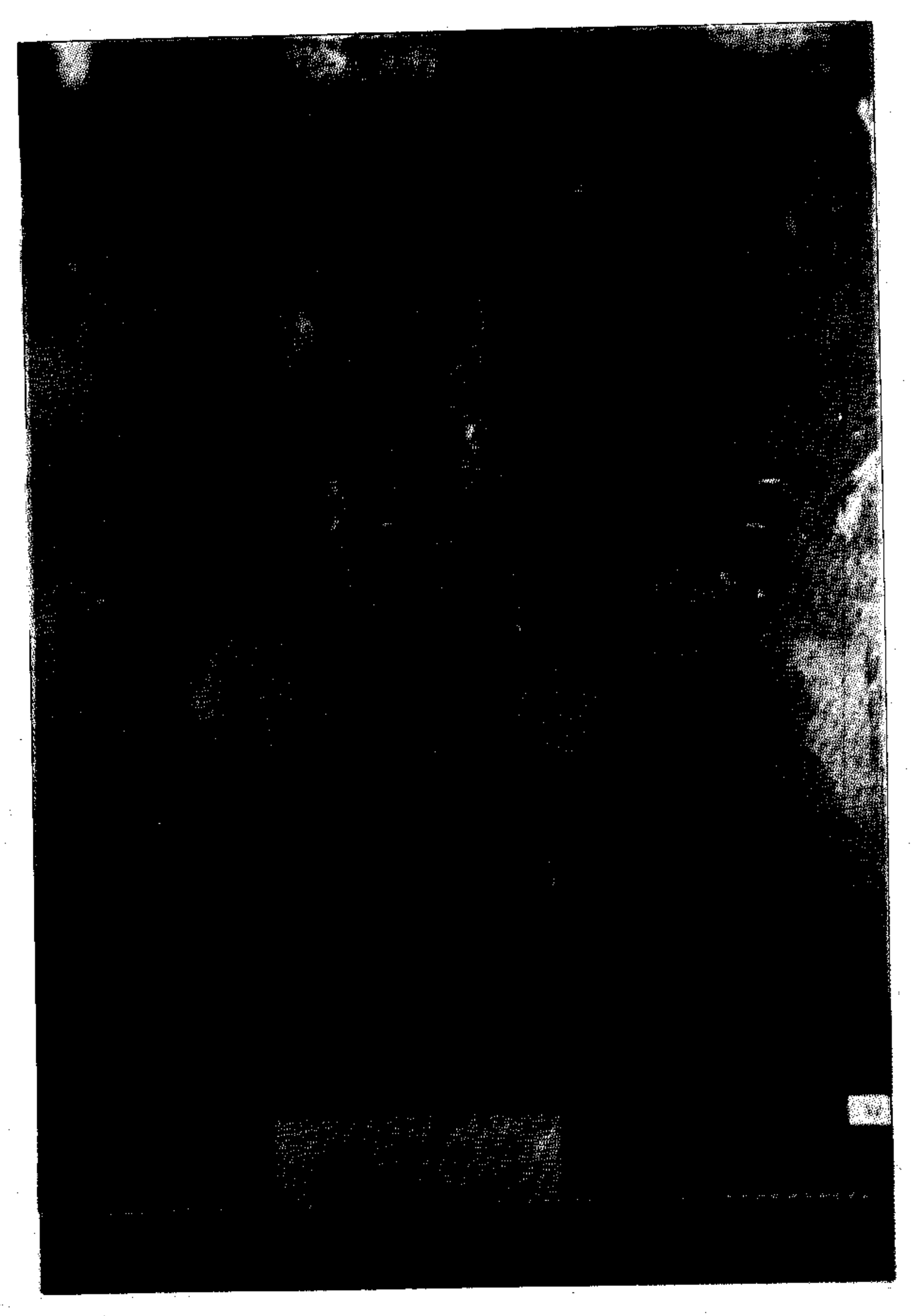
أن يعبروا إلى أرض فلسطين. حتى إذا فرغوا من ذلك جاءوا بِطِسْتٍ من الماء فيغسلون أيديهم وينشّفونها بالمنشفة، وذلك إشارة إلى عبور الإسرائيليين البحر الأحمر، ثم يضعون على المائدة خروف الفِصْح مَشْوِيًّا وعلى جوانبه الأعشاب المُرَّة والفطير والمَرَق المصنوع من البلَح واللوز والزبيب والتين والخلّ والقِرفة وغيرها من الأفاويه، يسمُّونه «الشَّاروسيث»، ثُمَّ يغرسُ ربُّ البيت بعض الأعشاب المُرَّة فى صحفة من الشاروسيث ويأكلها، وهو يبارك الربَّ على خيراته، ثم يوزِّع منها على الجميع. وبعد ذلك يتناوَل كأسًا أُخرى من الخمر يسمّونها كأس الفَرَح. ثُمَّ يَتَّجه أصغر الموجودين سِنًّا إلى ربِّ البيت ويسأله عن معنى الفِصْح، فيشرَحُه له كما وَرَدَ فى الشريعة، مُبَيِّنًا له أن الأعشاب المُرَّة ترمز إلى مرارة العبودية التى عانوها فى مصر، وأمَّا المَرَقُ فيرمز بِلَونِهِ إلى طين فيثوم ورعمسيس المدينتين اللتين أجبر فرعون مصر الإسرائيليين على بنائهما بالقهر والقَسْرِ، وأمَّا الصَّحفَة بشكلها وطولِها فتشير إلى اللَّبِنِ الذى كانوا يصنعونه ويستعملونه فى البناء. ثم يترنَّمون بِصَلاَةٍ يسمّونها «التهليل»، وكانت تتضَمَّن المزمورين ١١٣ و١١٤، ثم يشرب ربُّ البيت كأسًا ثالثة من الخمر يسمّونها كأس البَركة، يتلوها بِصَلاَةٍ وترتيل قائلين «ليس لنا يارب، ليس لنا ولكن لِاسْمِكَ أَعْطِ مَجْدًا». ثم يكسر ربُّ البيت الفطير ويباركه ويوزّعه على أهل البيت، فيأكل كلٌّ منهم كِسْرَةً منه بعد أن يغمسها فى صحفة الأعشابِ المُرَّةِ، ثُمَّ يتناول ربُّ البيت خروف الفصح ويوزِّع منه على الجميع بحيث لا يبقى منه شيءٌ. ثم يشرب كأسًا رابعة يسمّونها كأس التهليل. ثم يترنَّم الجميع ببَاقى صَلاَةِ التهليل، وكانت تتضمَّن المزامير من ١١٥ إلى ١١٨، وبذلك ينتهى الحَفْل. وكان اليهود فى أواخر عهد أُمَّتهم قبل خراب أورشليم يحتفلون بهذا العيد احتفالاً صاخبًا زاخِرًا بالرَّقص والغناء والموسيقى، حيث يحتشد؛ مئات الألوف منهم فى هيكل أورشليم من جميع أنحاء العالم المعروف فى ذلك الحين. وقد كانت ذبيحة الفِصْحِ بكلِّ طقوسها التى وَرَدَت فى الشريعة، رمزًا لفادينا الحبيب الرَّبّ يسوع المسيح الذى كانَ مُقرَّرًا فى التدبير الإلهيِّ أن يُقَدِّم نفسه ذبيحة على الصليب لِخَلاَصِ البَشَر وفِداء عنهم، بنفس الطريقة المقرَّرة لذبيحة

الفِصح وفى نفس المْوِعد وفى نَفْسِ المكان وعلى مقتضى كلّ التفصيلات المرسومة لتلك الذبيحة، خطوةً خطوة، ومَرْحَلَةً بعدَ مَرْحَلَةٍ، كما سَيَتَبَيَّنَ لنا فيما يلى ممَّا وَقَعَ من أَحْدَاث سَبَقت تقديم فادينا الحبيب نَفْسَهُ ذبيحةً على الصليب، أو صَاحَبَتْ ذلك، أو جاءت بَعْدَه.

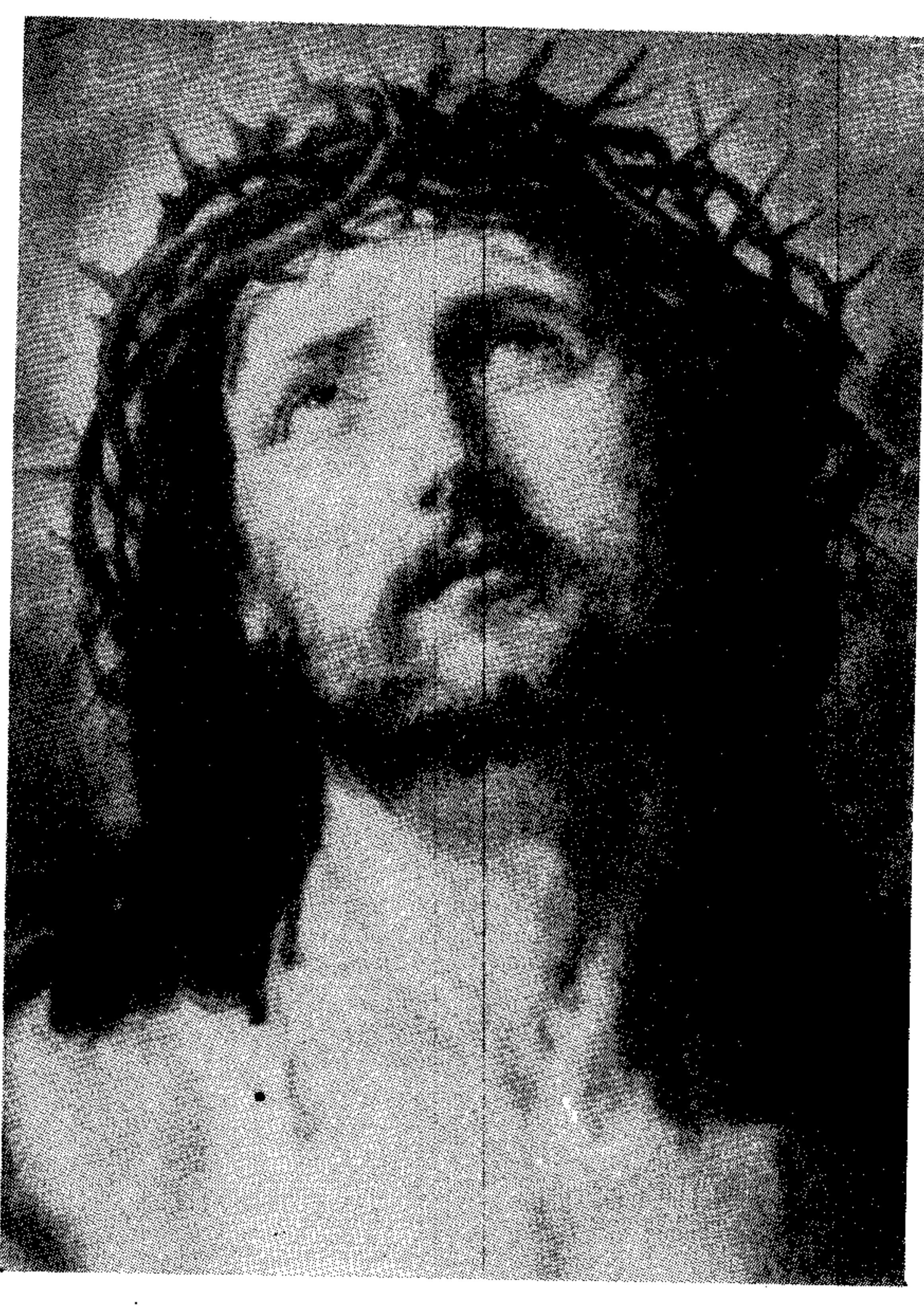
وقد كان رؤساء الكهنة والكَتَبَة قد ملأهم الغيظ من ربِّنا يسوع، واستَبدَّ بهم الحِقْدُ عَلَيْهِ بسبب التفافِ الشَّعْبِ حَوْلَهُ وَتَعَلُّقِهم بالاستماع إلى تعليمه وهو لا يفتأ كُلَّ يوم من الأيَّام السَّابِقةِ على العيد يَعِظ فى الهيكل فيفتن القلوب بحديثه الرَّقيق، ويخلب الألبابَ بمنْطِقِهِ العميق، وحكمته السَّماوية السَّامية. فكان أولئك الأعداء لا ينقطعون عن التَّشاوُر والتَّآمُرِ فيما بينهم، باحثين عن الوسيلة التى يقتلونه بها بعيدًا عن أَعْيُنِ ذلك الشَّعب الذى كانوا خائفين من ثورته عليهم وفَتْكِهِ بهم لو أنهم تَعرَّضوا عَلانيَةً لمعَلِّمِهِ الذى يُحِبُّهُ، وزعيمه الرُّوحىّ الذى ينضوى تَحْتَ لوائه، مُتَطَلِّعًا لأن يكون هو الملِكَ المْوعودَ به ليُنقِذَهُ من رِبقَةِ الرُّومانِ أعدائه الأَلِدَّاءِ، ويُعيد إليه مملكة داود، عَلىَ مُقتضىَ فَهْمِهِ لنبوءات الأنبياء.

٢٢ : ٣ - ٦

وقد كان الذى حَدَث بَعْدَ ذلك لا يمكن أن يَخْطُرَ عَلى بَالِ أعدَاءِ فادينا، بل لا يمكن أن يَخْطُرَ عَلى خَيَالِ أَحَدٍ من أعدائه أو أَحِبَّائه على السواء. إذ فيما كان رؤساء الكهنة وقُوَّاد الجُنْد يتباحثون معًا فيما يمكن أن يفعلوه ليقبضوا على المُخلِّص فى الخَفَاءِ بعيدًا عن أَعْيُنِ الرُّقَباءِ، تَقَدَّمَ إليهم واحِدٌ من أقرب النَّاسِ إليه، وأَلْصَقِهم بِهِ، لأنَّه كانَ واحِدًا من تلاميذه الاثْنَيْ عَشَر الذين اصطفاهُم دون الناسِ جميعًا ليكونوا هُمْ صَفْوَةَ خُلَصَائه والصفّ الأوّلِ مِن مُريديه، وأسبغ عليهم عَطْفَهُ وَحَنَانَه، وَعِنايَته وَرعَايَته، وَخَصَّهُم بما يخصُّ به الوَالِدُ أبناءه من حُبٍّ وَحَدْبٍ، وما يخُصُّ بِهِ المعَلِّم تلاميذه من تعليم وتقويم، وأشركَهم مَعَهُ فى أخصِّ خُصُوصِيَّات حَيَاتِهِ، باعتبارهم أسرته، ينامون ويُصْبحون مَعَه حيث ينامُ وَيَصْحو، ويأكلون ويشربون معه ممَّا يأكل ويشرب، وَيُصَلُّون معه حين يُصَلِّى،



« السيد المسيح على الصليب »
مأخوذة عن أيقونة أثرية بالمتحف القبطى بالقاهرة



«آلام السيد المسيح» (لوقا ٢٣ :١٣- ٢٦)

بريشة الفنان العالمى رينى

ويصومون معه حين يصوم، ويَفْرَحُون مَعًا ويحزنون معًا، ويُقيمون معًا ويَرْحَلُون معًا، ويقتسمون مَعًا سَرَّاء الحَيَاةِ وضَرَّاءها، شأن أَحَبّ الأَحِبَّاءِ، وأَصْدَقِ الأَصْدِقاء، وأخصّ الأَخِصَّاء، ومع ذلك خانَه بِغَيرِ سَبَبٍ على الإطلاقِ، وَمَضَى يَتَحَدَّث مع أولئك الرؤساء والقُوَّاد مِنْ أعدائه بشأن الوسيلة التى بها يُسلِّمه إليهم ليقتلوه. وكان ذلك هو يهوذا الملقب بالأسخريوطيّ، وقد دَخَلَ الشيطان قلبه فى لحظة من لحظات الحقْد الأَسْوَد والغيرة القاتلة، مُبَرْهِنًا بذلك على ما يمكن أن ينطوى عليه قلبُ الإنسان من شرٍّ حتى نحو أولئك الذين يُقَدِّمون إليه كُلَّ الخير، ومن كراهيةٍ حتى نحو أولئك الذين يكنُّون له كل الحُبِّ، وَمِنْ غَدْرٍ حتى نحو أولئك الذين يضمرون له كُلَّ الوفاء، وَمُبَرْهِنًا بذلك كذلك على أَنَّه بين أقدس القديسين وَأَبَرِّ الأبرار يمكن أن يظهر أخطر الخاطئين وأشرّ الأشرار. وقد تحقَّقت بهذه الخيانة الشنيعة البشعةِ نبوءة داود النبىِّ حين صَرَخ فى أَلمٍ ومرارة بِلسان السيِّد المسيح قائلاً «رَجُلُ سَلاَمَتِى الذى وَثِقْتُ به، آكِلُ خُبزِى رَفَعَ عَلَىَّ عَقِبَهُ» (المزمور ٤٠ : ٩). وقد فرح أعداء فادينا بهذا الخائن الذى لم يكُن لِيَخْطُرَ لهم على بال، بل لم يكُن ليخطُرَ لهم على خَيَال، وقد ساقه إليهم الشيطان حليفه فى مؤامرتهم ضد عَدوِّه وَعدُوِّهم. ومِنْ ثَمَّ اتفقوا معه على أن يعطوه مبلغًا من النقودِ الفضيَّةِ، يذكر لنا الإنجيل للقديس مَتَّى أنه كان ثلاثين قطعة من العُملة اليهودية المُسَمَّاةِ بالشَّاقِل، وهو مبلغ يساوى نحو أربعة جنيهات مصرية. وقد كان هذا هو الثَّمن المُتعارف عليه لِشِرَاء عَبْدٍ حَسَبَ الشريعة اليهودِية (الخروج ٢١ : ٣٢). وهكذا ارتضى ذلك الخائن الخسيس أن يبيع ربَّهُ ومُرَبِّيَهُ ومُعَلِّمَهُ وصاحبَ الفضل عليه الذى اختاره ضِمْنَ أعظم الرُّسُل فى تاريخ البشَرِيّةِ واصطفاه ليكون سَيِّدًا من أرفع وأسْمَى السَّادة فى كُلِّ الأرض، نظير قدْر من المال ياليته كان كبيرًا تنهار أَمَامَ إغرائه عزيمة الرِّجال، ولكنه كان تافهًا ضئيلاً لا يتعدَّى ثمن عبد!. فما أدْنأ وأحقر الخيانة وما أدنأ وأحقر الخائن وبِئْسَ ما اقترف على مَرِّ العصور والأجيال. وقد فَرح الخائن الخبيثُ بالقَدْر الضئيل الذى عَرَضَه عليه أعداء سيِّدِهِ من المال، فواعَدَهم، وأخذ يترقَّبُ فُرصَةً لِيُسلِّمه إليهم تحت جنح الظلام فى المكان الذى كان يَعرفُ أنَّه يختلى

فيه بتلاميذه، بعيدًا عن أعيُن الشعب الذى كان أولئك الأعداء يخافونه ويخشون ثَوْرَتَهُ عليهم وفَتْكَهُ بهم لو أنَّهم قبضوا على معلِّمِهِ وزعيمه البارِّ علانية على رءوس الأشهاد وفى وضح النهار.

٢٢ : ٧ - ١٨

ثُمَّ جَاءَ يَوْمُ الفَطير الذى كان ينبغى أن يُذْبحَ فِيهِ الفِصْحُ، وكانَ فى تلك السَّنَةِ يوافق يوم الخميس الثالث عشر من شهر نيسان أى أبريل، وهو الذى دَرَجَ المسيحيُّون بعد ذلك على تسميته بخميس العهد، لأَنَّ فيه - كما سَنرىَ - أعطى السيِّد المسيح تلاميذه وسائر المؤمنين به العهد الجديد الذى حَلَّ مَحَلّ العهد القديم الذى أعطاه الله لموسى النبىِّ وللشعب اليهودِىِّ فى صحراء سيناء بعد خروجهم من مصر. وإذ كان فادينا قد أخضع نفسه بإرادته لكل طقوس الشريعة اليهودية، خَضَعَ لهذا الطقس الذى كان أهم تلك الطقوس. بيد أنه بخضوعه له هذه المَرَّة قد خَتَمَهُ وأنهاه، لأَنَّ ذبيحة الفِصْحِ التى كان ينبغى تقديمها لم تكُن إلَّا رمزًا للذبيحة الحقيقية وهى الربُّ يسوع نفسه. وإذ كان يَعْلَم أنه سَيُصْلَبُ فى اليوم التالى باعتباره ذبيحة كفَّارة، فقد تحقق بذلك المرموز إليه، وحلَّ المرموز إليه مَحَلَّ الرَّمز.

وقد احتفل الرب يسوع بالفصح قبل احتفال اليهود به بيوم واحد، بدليل قول الإنجيل للقديس يوحنَّا وهو يتحدث عمَّا حدث فى اليوم التالى الذى صدر فيه الحكم بالصَّلْب على مُخَلِّصِنَا «وأما يسوعُ فجاءوا به فى الصباح الباكر من عند قيافا إلى دار الولاَيةِ، ولم يَدْخُلُوا هم دارَ الوِلاَيَةِ مَخافَةَ أَنْ يَتَنَجَّسُوا، فلا يتمكنوا من أن يأكلوا الفِصْح» (يوحنا ١٨ : ٢٨)، أى أنَّ اليهود فى صباح يوم الجمعة الذى صلبوا فيه السيِّد المسيح لم يكونوا قد أكلوا الفصح بعد. كما يدل على ذلك قولُ الإنجيل وهو يتحدث عن محاكمة فادينا أمام بيلاطس «وكان يومئذٍ يوم الاستعداد للفِصَح، وكانت السَّاعَةُ نَحْوَ السَّادِسَةِ» (يوحنا ١٩ : ١٤) أى أن يوم الجمعة كان هو يوم الاستعداد والتَّهْيِئَة للفِصح ولم يكن هو عيد الفِصْحِ، ويدلّ

على ذلك أيضًا قول الإنجيل بعد أن تحدث عن تنفيذ حكم الصَّلْب فى مُخَلِّصِ «وإذ كانَ ذَلِكَ هو يَوْمُ الاستعداد، ولئلا تَبقَى الأجسادُ على الصَّليبِ يومَ السَّبْتِ، لأنَّ يوم السبت هذا كانَ عَظيمًا، طلبَ اليهودُ إلى بيلاطسَ أن يكسِرُوا سيقانَهم» (يوحنا ١٩ : ٣١)، مما يَدُلُّ على أَنَّ يَوْم الجمعة الذى صُلِبَ فيه الفادِى كان سابقًا على عيد الفِصح عند اليهود، ولذلك سُمِّىَ بيوم التَّهْيِئَةِ أو الاستعداد. ويدلُّ قوله إن يوم السبت ذاك كان عظيمًا، على أن عيد الفِصح وَقَعَ فى يَوْمِ السَّبت، فأضاف إلى أهمية يوم السَّبت سَبَبًا جديدًا لأن يجعله عظيمًا أكثر من أى يومِ سَبْتٍ آخر. كما يـدلُّ على ذلـك أيضًا قـول الإنجيل بعـد أن تحدَّث عن دفن المخلِّص فى القبر «وكان فى الموضع الذى صلبوه فيه بستان، وفى البستان قَبْرٌ جَديدٌ لم يُوضع فيه من قبل أَحَدٌ قطّ، فوضعوا يسوع فيه، بسبّب الاستعداد عند اليهود، لأن القبر كان قريبا» (يـوحنا ١٩ : ٤١ و٤٢). أى أن يـوم الجمعة كـان يوم التهيئـة للفصح وللعيد. فإذا كان عيد الفطير قد وقع تلك السنة فى يومِ السبت، وكان يوم ذبح الخروف هو مساء الجمعة، فلماذا بَاشَر الربُّ يسوع الفِصح فى مساء الخميس، أى قبل موعده بيوم واحد؟ الواقع أنَّ هذا كان فى ظاهر الأمر فقط، والحقيقة أن الرَّبَّ يسوع قد باشَرَ الفِصح فى موعده الحقيقى، وفى نفس اليوم الذى كان ينبغى على اليهود أن يذبحوا فيه خروف الفِصح ويأكلوه، ولكنهم لمكْرِهِمْ وغدرهم قد تعمَّدوا فى تلك السنة أن يؤخروه عن موعده الحقيقى يومًا واحدًا حتى يفرغوا من قتل المسيح. وقد قال بهذا عدد من المؤرخين منهم يوسيفوس اليهودى، كما قال به بعض آباء الكنيسة منهم القدّيس يوحنّا ذهبىّ الفم (المقال ٨٣ من تفسيره لإنجيل يوحنا)، ومنهم مار أفرام، وهيبوليطوس، وأوسابيوس، ويوحنا أسقف دارا وأكثر المعلمين. (أنظر كتاب «الدر الفريد فى تفسير العهد الجديد» للعلاَّمة مارديونيسيوس يعقوب ابن الصليبى السريانى مطران مدينة أمد وهى ديار بكر - الجزء الثانى).

وإذا لم يكن للرب يسـوع بيت يسكنه على مقتضى الفقر الاختيـارى الذى ارتضـاه فى حيـاتــه عـلى الأرض رأى أن يحتفـل بـالفصـح فى منـزل أحـد

أحبَّائه، فأرسَلَ تلميذيه بطرس ويوحنا قائلاً لهما «اذْهَبا وأَعِدَّا لنا الفِصحَ لِنَأْكُلَهُ» فقالا له «أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ نُعِدَّهُ». قال لهما «متى دخلتما المدينة فسيلقاكما رَجُلٌ يَحْمِلُ جَرَّةَ ماءٍ فاتبَعاهُ إلى البَيْتِ الذى يَدْخُلُهُ وقولا لِرَبِّ البَيْت: يقول لك المعلِّمُ أينَ القاعَةُ التى فيها سَآكُلُ الفِصْحَ مَعَ تَلاميذِى؟ ولسَوْفَ يُرِيكُما قاعَةً عُلْيا مُؤَثَّثَةً. فَأَعِدَّاهُ هُناكَ». وما من شك فى أنَّ فادينا كان يعرف مكان ذلك البيت وكان يمكنه أن يحدِّد مكانه لتلميذيه. بل إنَّ الراجح أن تلميذيه كانا يعرفان مكان ذلك البيت لو أَنَّ معلِّمهما ذكر لهما اسم صاحبه الذى كان ضِمن السبعين رسولاً. ولكنَّ الربَّ يسوع إذ كان يَعْلَمُ بالمؤامرات التى تجرى فى الخفاء للقبض عليه وقتله، أراد-لكى لا يتمَّ ذلك قبل الموعِدِ المقرَّر فى التدبير الإلَهىِّ - أن يَظَلَّ ذلك البيت سِرًّا إلى اللحظة الأخيرة، حتى بالنسبة لِبَاقى تلاميذه، لأنه كان يَعْلَم أَنَّ أحدهم وهو يهوذا الأسخريوطىّ متواطؤ مع أعدائه على تسليمه إليهم فى أَوَّل فُرصَةٍ تسنح له. وقد كان الرَّب يَسُوعُ يشاء ألَّا يَتِمَّ تسليمه لليهود قبل أن يتمِّمَ الفِصْحَ القديم، ويتمم الفِصْحَ الجديد، وما صحب كل ذلك مِن إجراءات ووصايا ونصائح وتعاليم. بَيْدَ أَنَّ الوسيلة التى أوضح بها له المجد لتلميذَيه كيف يهتديان إلى البيت الذى لم يُحَدِّد لهما مكانه، هى دليل واضح من الأدِلَّة الكثيرة التى مَرَّت بنا عَلى عِلْمِهِ الإلهى بالغيب، لأنَّ بُطْرُسَ ويوحَنَّا حين أطاعا أمره وانطلَقَا إلى أورشليم ودخلاها لَقِيَهُمَا بالفِعل رَجُلٌ يحمل جَرَّة ماءٍ فتبعاه إلى البيت الذى دَخَلَهُ، وهُنَاكَ قَالاَ لِرَبِّ البَيْتِ ما طَلَبَ إليهما مُعَلِّمُهُمَا أن يقولاه، فأراهما بالفِعْلِ قاعة مؤثَّثه فأَعدَّا الفِصح هناك على مقتضى ما تقضى به الشريعة من ترتيبات وإجراءات وطقوس.

ولَّما حَانَ الوقتُ الذى ينبغى فيه بَدْءُ الاحتفَالِ بالفِصْح جَلَسَ الرَّبُّ يسوعُ إلى المائدة مع تلاميذه الاثنَىْ عَشَر. ونلاحظ أنه على الرَّغم مِنْ أنَّه كان يَعْلَمُ أَنَّ يهوذا الأسخريوطىّ قد خانه وقد اتَّفَق مع أعدائه على تسليمه إليهم ليقتلوه، سمح له أن يَجْلسَ مَعَهُ على المائدة مع باقى تلاميذه، مُعْتَبرًا إيَّاه حتى ذلك الحين واحدًا منهم، رُبَّمَا لِيُفتحَ له بابَ النَّدَمِ والتَّوْبَةِ إلىَ آخرِ لحظة، أو رُبَّما لأَنَّ خيانته كانت فى الخفَاءِ فَلَمْ يَشأْ أَنْ يدينه عنها قبل أن تتحقَّق علانية، أو بَعْدَ أَنْ يعترف بها الخائن

بنفسِهِ أمَامَ زملائه، كى يُعَلِّمنا بذلك نحن المؤمنين به - ونحن بَشَر - ألَّا ندين أحَدًا عن أمور منسوبة إليه ولكنها ما زالت فى طَىِّ الخفاءِ، عَسَى أن ينكُصَ عنها أو أن يكون بريئًا منها، فلا نحرمه قبل الأوان شركته ومحَبَّتنا له ومحبته لَنَا. أو لَعَلَّهُ - له المجد - سمح للخائن له أن يأكُل معه لكى تتحقَّق نبوءة داود النبىِّ عن ذلك بحذافيرها حين هَتَفَ بِلِسَانِ فادينا قائلاً «آكِلُ خُبزى رَفَع علىَّ عَقِبَهُ» (المزمور ٤٠ : ٩).

وقد بدأ مخلِّصُنا الحديث مع تلاميذه حين جَلَسُوا معه جميعًا إلى المائدة قائلاً لهم «شَهْوَةً اشْتَهَيْتُ أن آكُلَ فِصْحِى هذا مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ أتألَّمَ، لِأَنِّى أقولُ لَكُمْ إنِّى لَنْ آكُلَهُ بَعْدَ الآن حَتَّى يَتِمَّ فى مَلَكوتِ اللّهِ»، أى أنه تاقَت نفسهُ لِفرْطِ محبته لتلاميذه أن يأكُلَ هذا الفصْح اليهودىّ الذى يأكله لآخِر مَرَّة معهم، والذى دَعَاهُ فصْحَهُ هُوَ، لأنه سيكون بعد ذلك هو نفسه ذبيحة الفِصْح التى سَيُقَدِّم فيها نفسه بنفسه بعد أن يذوق أَشَدَّ الآلام وأفظعها وأبشعها، ثُمَّ لن يأكُلَهُ بَعْدَ هذه المرَّة حتى يتمَّ فى ملكوت الله، أى أنَّ هذا هو الفِصحُ الأخيرُ الذى يأكله الرَّبُّ يَسُوعُ مع تلاميذه قبل أن يذهَبَ عنهم وَيُصْلَب ويموت. فهذا الفِصح لن يتكرر، لأنه هو الفِصْح الذى خَتَمَ به رب المجد يسوعُ المسيح العَهْدَ القديم. ولذلك قال «إنِّى لَنْ آكُلَهُ بَعْدَ الآن»، أى لن يكون هناك فِصْحُ آخرَ بعد هذا، فهو الفِصْحُ الختامِىُّ بالنِّسبة للعهد القديم. وبعد ذلك يصير بإتمامِهِ تنفيذ شريعة العهد القديم. وأما قوله «حتَّى يَتِمَّ فى مَلكوتِ اللّهِ»، فليس معناه أنه سيأكله مرة أُخْرَى فى مَلَكوت الله، فقد كان مثل هذا التعبير مألوفًا فى اللغة العبرية لتوكيد حكم ما بعد لفظ «حتَّى» لِمَا هو قطعًا، كقول الكتاب المقدَّسِ «لَمْ تَلِدْ ميكال حتى ماتت» (٢. صموئيل ٦ : ٢٣)، أى أنها لم تَلِدْ أَبدًا، وكقوله «لا يغفرنَّ لكم هذا الإثمَ حتى تموتوا» (إشعياء ٢٢ : ١٤) أى أنه لن يغفر لكم هذا الإثم أبَدًا. وأمَّا أنَّه يتمّ فى ملكوت الله، فمعناه أنَّه يصير تمامُه أو وَفاؤه فى العهد الجديدموت المسيح لأنه هو الفِصْح الحقيقى. والمعنى الشَّامِل لهذه العبارة أنَّ هذا هو الفِصْحُ الأخير الذى آكلُه معكم ولن آكُلَ غيره معكم، لأنه بإتمامه يصير وفاؤه وانقضاؤه وانتهاؤه، وبعد ذلك أدخُلُ

معكم فى العهد الجديد بِدَمى، وهذا هو ملكوت الله.

ثُمَّ تناوَلَ - لَهُ المَجْدُ - كأْسًا وشَكَرَ عَلى مُقْتَضَى الطقوس المعمول بها فى الاحتفالِ بالفِصْحِ باعتبارِه هُوَ ربّ البَيْتِ. وقال لتلاميذه الذين هُمْ أُسْرَتُهُ «خُذُوا هَذِهِ اقتسِمُوها بَيْنَكُم، فَإِنِّ أقولُ لَكُمْ إنَّنى لَنْ أَشْرَبَ من عَصِير الكَرْمَةِ بعدَ الآنَ حَتَّى يأتِىَ مَلَكُوتُ اللَّهِ»، أَىْ أَنَّ هذه آخِرِ مَرَّةٍ يَشْرَبُ فيها -له المجد- الخمر الأرضيَّة التى هى نتاج الكَرْمَةِ الماديَّة، كجزء من مُمارسات وطقوس الفِصح القديم. وبهذا يختم السيد المسيحُ العَهْدَ القَدِيمَ، ويفتح العَهْدَ الجديد فى ملكوت الله بِفِصْح جَديد هو سِر جَسَدِ المسيح وَدَمِهِ. ولهذا سُمِّىَ اليومُ الذى تَمَّ فيه هذا فى المُصْطَلَح الكنسىّ «خميسَ العهْدِ» أى العهد الجديد الذى أعطاه الرب يسوع.

٢٢ : ١٩ - ٢٠

وقد كان ماقاله الرَّبُّ يسوع لتلاميذِهِ عقب أَنْ ناولهم الكَأْسَ خِتامًا للاحتفالِ بالفِصْحِ اليُهودِىِّ عَلى مُقْتَضَى العهد القديم. وقد أَكَلَ فيه مَعَهم ذبيحة ذلك العَهْد التى لم تكُنْ إلَّا رَمْزًا لذبيحة العهد الجديد. ثُمَّ بَدَأَ بعد ذلك العشاء الربَّانىّ الذى افتتح به الرَّبُّ العْهدَ الجديد، إذ أخَذَ خُبزًا وَشَكَرَ وقَسَّمَهُ وَناولَهم قائِلًا «هذا هُوَ جَسَدِى الذى يُبْذَلُ عَنْكُم، اصْنَعوا هذا لِذِكْرِى». وقد كان تقسيمه للخُبْزِ فى هَذِه المَرَّة تعبيرًا عن تقسيم جَسَدِه هُوَ، باعتباره الذبيحة المرموز لها، التى بَذَلَ بها فادينا نَفْسَهُ عن تلاميذه وعن كُلِّ الذين يؤمنون بِهِ فى كُلِّ العصور. وقد مَنَحَ الرَّبُّ لَهُمْ أن يتناوَلوا من هذه الذبيحة التى هى جَسَده هو ذاته لتكتمل بذلكَ الشركة الرُّوحِيَّة التى كانت لَهُم معه، كى يكون هو واحدًا معهم، ويكونوا هُمْ وكُلّ الذين يؤمنون به واحدًا معه ومع أبيه السَّمَاوِىِّ الذى هو واحِدٌ معه، مِصْدَاقًا لقوله كما وَرَدَ فى الإنجيل للقدّيس يُوحَنَّا وهو يَرْفَع صَلاته فى تلك الليلة إلى الآب السماوِىّ «لستُ أَطلُب من أَجْلِ هَؤُلاءِ فَقَط، وإنما أيضًا من أجل أولئك الذين يُؤمِنونَ بِى بِكلامِهِم، ليكونوا جميعهم فى وَحْدةٍ، كما أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآب فىَّ وأنا أيضا فيك، ليكونوا هُمْ أيضًا فى وحدة فينا. . قد أَعْطَيْتُهُمُ المجْدَ الّذِى أعْطَيْتَنِى،

لِيَكُونوا فِيَ وحْدَةٍ كما أَننا نَحْنُ أيضا فى وحدة. أنا فيهم وأنتَ فِيَّ ليكونوا هم أيضا فى وحدة كاملة» (يوحنَّا ١٧ : ٢٠ - ٢٣). ثم طَلَبَ - له المجد - إلى تلاميذِهِ وإلى كُلِّ الذين يؤمنونَ بِهِ أنْ يَفْعَلُوا فى كُلِّ حين ما فَعَلَهُ هو فى تلك الليلة. فليأخذ خُدَّامُه من الكَهَنَةِ الذين أنابهَمُ عنه فى الأرضِ خُبزًا، وليتلوا عليه الصَّلَوات لاستدعاءِ الرُّوح القدس عليه فيتحوَّل إلى ذات جسدِ الرَّبِّ يسوع ويقسِّموه ويناوِلوه للمؤمنين بِهِ كما فعل هو، فيمتزج بهم روحًا وجَسَدًا، وتمتزج أرواحهم بِهِ ويصيروا بِفعِلِ السِّرِّ المُقدَّسِ - سِرِّ التناوُل - واحِدًا معه. وفِعْلاً لقَدْ دَرَجَ تلاميذُه على ممارسة هذا السِّرِّ بعد انسكاب الروح القدس عليهم (الأعمال ٢ : ٤٢ و ٤٦). وكذلك نَاوَل رَبُّنَا تلاميذه الكأس بعد أن ناولَهُم منَ الخُبْزِ السَّمَاوِيِّ، قائلاً لَهُم «هَذِهِ الكَأسُ هى العَهْدُ الجديدُ بِدَمِى الّذِى يُسْفَكُ عَنْكُم». وقد تحوَّلَت الخَمْرُ التى فى الكأسِ عندئذٍ إلى الدَّمِ الحقيقىِّ الذى لا يتمّ التكفير عن خطايا البَشَرِ إلَّا بِهِ، «لأن الدَّمَ يكفِّر عن النَّفْس» (اللاويين ١٧ : ١١). وَمِنْ ثَمَّ كانت هذه الكأسُ التى تَحَوَّلَ ما بِها من الخَمْرِ إلى دَمِ الفَادِى الإلَهِىِّ الذى سَفَكهُ عن البشَرِ لمغفرة خطاياهُم، إذ كَانَ الدَّمُ فى كُلِّ العُصُور هو أَصْدَق ما يُكَرِّسُ به مانح العهد عهده. وفى كُلِّ مَرَّةٍ يتلو خُدَّام السيد المسيح من الكَهَنَةِ وهُمْ وكلاؤُه على الأرض، الصَّلَواتِ على الخمر ويستدعون الرُّوح القدس عليها تتحوَّل إلى ذاتِ دَمِهِ، ويُناولونها للمؤمنين به، يكون ذلك تجديدًا وتثبيتًا لذلك العهد الجديد الذى قَطَعَهُ فادينا بِدَمِهِ مع البَشَر، ليكونوا واحِدًا معه ويكون هُوَ واحِدًا معهم، وحْدَةً رُوحِيَّةً خالِدَةً أَبدِيَّةً مُوَشَّحَةً بكل ما لِدَم المسيح من نعمة وبَركَةٍ ومجدٍ سمَاوِيٍّ خالِدٍ أَبدِيٍّ.

٢٢ : ٢١ - ٢٣

ثُمَّ لم يلبث فادينا أَنْ أَمَاطَ اللِّثَامَ عن السِّرِّ المؤْلِم المرير الذى لم يَكُن يعلمه أَحَد إلَّا هُوَ، إذ قَالَ فى أَلَمٍ وَمَرَارةٍ «إلَّا أَنَّ يَدَ الذى سَيُسَلِّمُنِى ها هِى ذِى مَعِى على المائدِةِ. إنَّ ابنَ الإنسان ماضٍ كَما هُوَ مُقرَّرٌ، وَلَكِنِ الوَيْلُ لِذَلِكَ الّذِى يُسَلِّمُهُ».

وعلى الرغم مِمّا فى هذه الخيانة الخسيسة التى ارتكبها أَحَدُ تلاميذه من الشَّناعة والبَشَاعَةِ ما يَدْعو إلى فَضْحِ صاحِبِها والتشهير به، فإنَّ المخلِّصَ لم تَشَأْ له وداعتُه وَسَمَاحته أنْ يُعْلِنَ اسم مرتكبها، وإن كانَ قد أعلن رأيه فيه وحُكمَهُ عليه. إن كان تسليم الرَّبِّ يسوع وموته على الصليب قد تقرَّر فى التدبير الإلهىِّ، لأنَّه سُلِّم ومات على الصليب «بتدبير اللَّهِ المرسوم وَعِلْمِهِ السَّابق» (الأعمال ٢ : ٢٣) فإنَّ هذا لا يُعفى الذى خَانَهُ وسَلَّمَهُ من عقوبة جريمته النكراء، لأنه ارتكبها لا بإرادة الله حتى يُعفيه الله من جريرتها وإنما بمحض إرادته هو، وبكامل اختيارِهِ، عَمْدًا ومع سَبْقِ الإِصْرار والتَّرَصُّدِ عَلى حَدِّ تعبير القوانين الحديثة فيما يتعلَّق بجرائم القتل، ولم يفعل ما فعل بِقَصْدٍ نبيل أو نافع للناس، وإنما اشتهاء للمال الذى أعطاه اليهود إياه. ولما كانت عقوبة القاتل فى هذه الحالة هى الهلاك فى القوانين السماويَّةِ والأرضيَّةِ على السَّواء، حقَّت على ذلك الخائن القاتل تلك العقوبة التى تتضمَّن الويل فى أَشَدِّ دَرَجاتِهِ وعلى مُقْتَضى أَقْوَى مُبَرِّراته. وقد جزع التلاميذ من ذلك التصريح المُفْزِعِ المُرَوِّع الذى فاجأَهُم بِهِ مُعَلِّمُهُمْ، فيما عدا يهوذا الأسخريوطىّ بطبيعة الحال، وإنْ كانَ الغَالِبُ أنه قد تظاهَرَ بالجزَعِ هو أيضًا. وأمَّا الباقون فقد أَخَذَوا يتساءلون فيما بينهم : مَنْ مِنهمُ الذى سيفعل ذلك. وقد بدأ كُلٌّ منهم يَشُكُّ فى نفسه، خشية أن تخور عزيمته فى لحظة من لحظات الضعف البَشَرِىِّ فيرتكب هذه الجريمة النكراء. بَيْدَ أَنَّ يهوذا - على الرَّغم من تظاهُرِه أَوَّلاً بالجزَعِ - لم يلبث أن أدرك أَنَّ سِرَّه قد انكشف لَدَى مُعَلِّمه الذى لايَخفَى عليه شىء. وقد أراد أن يتأكَّدَ من ذلك، فقال له كما جاء فى الإنجيل للقدّيس مَتىّ «هَلْ أَنا هُوَ يا مُعَلِّمُ ؟ » فقال له : «نَعَم أنتَ هُوَ» (مَتى ٢٦ : ٢٥). وقد كانت الفُرْصة عندئذ وحتى هذه اللحظة مُتَاحة ليهوذا ليخجل ويندم ويرجع إلى صوابه وينكُصَ عن ارتكاب جريمته، ولكنَّ الشَّرَّ كانَ قد أَعْمَى بَصَرَهُ وأَغْلَظَ قلبه وأنام ضميره، فخرجَ فى التَّوِّ ليُنَفِّذَ تلك الجريمة التى أصبح بها مضربَ الأمثالِ فى الخيانة والخِسَّةِ عَلى مَرِّ العصور.

٢٢ : ٢٤ - ٣٠

وقد ظلَّ تلاميذ الرَّبِّ يسوعَ حتى هذه اللحظة التى أوشك فيها أن يتم رسالته الخَلاصيَّة التى جاء من أجلِها إلى العالم، يتوهَّمُون أنه سيقيمُ مَمْلَكَةً أَرْضِيَّةً، يكونون هم فيها الأُمَرَاء والوُزراء. ولذلك فإنهم فيما هُمْ مجتمعون معه بعد العشاء، حَدَث بينهم نزاعٌ فيمن ينبغى أن يُعَدَّ الأعظم فيهم، ليحتلَّ المنصب الأَعْلَىَ فى المملكة التى يتوَهَّمُونها. فقال لهم فادينا «إنَّ مُلوكَ الأُممِ يسودُونَهُم، والمُتَسلِّطِينَ عَلَيْهِمْ يُحْسَبُونَ ذَوِى الفَضْلِ فِيهِمْ. أمَّا أَنْتُمْ فَلا يَنْبَغِى أَنْ يكونَ هَكَذا فِيما بَيْنَكُمْ، وَإِنَّما الأَعْظَمُ فِيكُمْ فَلْيَكُنْ كَالأَصْغَرِ، والرَّئِيسُ كالّذِى يَخْدُمُ. لأَنَّهُ مَنْ هو الأَعْظَمُ : أَهُوَ الّذِى يَجْلِسُ إِلى المائِدَةِ أَمِ الّذِى يَخْدُمُ؟ أَلَيْسَ الّذِى يَجْلِسُ إِلى المائِدَةِ؟ وَلَكِنَّنِى بَيْنَكُمْ كالّذِى يَخْدُمُ». وقد أوضح المخلِّص بذلك لتلاميذه مفهومًا جديدًا للعَظَمَةِ صَحَّحَ بِهِ المفهومَ الخاطئَ الذى كان يسود المُجتَمع الإنسانىَّ كُلَّه حتى ذلك الحين. فقد كان الناس يعتبرون العظيم هو الذى يَسُودُهُم ويتسلَّطُ عليهم ويستذِلّهم ويستغلّهم ويستولى لنفسه على جُهْدِهِم وثمرَةِ تَعَبهم، مُعْتَبِرًا نفسه مالِكًا لهم، لا يملكون إزاءَه إلَّا السَّمْعَ والطَّاعةَ. وأَمَّا فى المفهوم المسيحى فعظيمُ القوم هو خادِمُهم الذى يقومُ على رعايتهم والعِنَاية بهم وبَذْلِ كُلِّ ما يملك من جُهْدٍ لإسعادِهِم وتوفيرِ أكبر قَدْرٍ من الرَّاحِة والطمأنينة لهم، بحيث يعيشون فى محبَّةٍ وسلام. وقد ضَرَب الربُّ يسوعُ المَثَلَ بنفسِهِ فى ذلك، فكان بين تلاميذه وهو سَيِّدهم يبدو كأنَّه خادمهم، مِنْ فَرْطِ رِعايتِهِ لَهُمْ وعنايَتِهِ بهم وسَهَرِهِ على راحتهم وطمأنينتهم وسلامِهِم.

ثمَّ قال له المجد لتلاميذه «أَنْتُمُ الّذِينَ ثَبَتُّمْ مَعِى فى تَجارِبِى، قَدْ عَيَّنْتُ لَكُمْ مَلَكوتًا، كَما أَنَّ أَبِى عَيَّنَ لِى مَلَكوتًا، لِتَأْكُلُوا وَتَشْرَبُوا عَلى مائِدَتِى فى مَلَكُوتِى، وَتَجْلِسُوا عَلَى عُروشٍ لِتَدينوا أَسْبَاطَ إسرائِيلَ الاثْنَىْ عَشَرَ». أى أنهم إن كانوا لن ينالوا المناصِبَ العُلْيا التى يتطلَّعون إليها فى المملكة الأرضية التى يحلمون بها على مُقْتَضَى فَهمهم الخاطئ، فإنَّه سيكافئهم على إيمانهم به وتخلِّيهم عن كلِّ ما يملكون

ليتبعوه ويشاركوه فى آلامِهِ، مكافأة تفوق فى المجد كُلَّ مافى الأرض من أمجاد، إذ جَعَلَ لَهُم لا مناصِب فى مملكة أرضيّة زائلةٍ، وإنما مناصب خالدة فى ملكوت السَّماوات، الذى هو ملكوت أبيه، والذى هو ملكوته هو فى الوقت نفسه لأنه واحد مع أبيه. فَكَمَا يملكُ هو فى ذلك الملكوت مع الآب، هكذا سيجعلهم شركاء له فى ذلك الملكوت، يتناولون مِمَّا تزخر به مائدته من أطايب لا تتمثَّلُ فى طعامٍ وشرابٍ مادِىٍّ، وإنما فى فَيْضٍ من النعمة الرُّوحيَّة التى لا حدود لها، ويجلسون حول المسيح الدَّيَّان فى يوم الدَّيْنُونَةِ على عروشٍ تمثِّل القُوَّة والسلطان، ليُشارِكوا فى إصدار الحكم بالإدانة عَلى أَسْبَاط إسرائيل الاثْنَىْ عَشَر، وهم اليهود الذين نَقَضُوا عَهْدَ اللّهِ وَخَالَفُوا شريعته وقَتَلُوا أنبياءه وأنْكروا خَلاَصَهُ الذى جاءَهُمْ بِهِ ابنُه الحبيب يسوع المسيح. وتنكَّرُوا له وصَلَبوه، فَحقّ عليهم غَضَب اللّهِ، واستحقّوا حُكْمَهُ عليهم بالهلاكِ الأَبَدِىِّ.

ولابُدَّ أن يكون قوله «وَتَأْكُلونَ وَتَشْرَبونَ عَلَى مائِدَتِى فى مَلَكُوتِى» منطويًا على الإشارة إلى «مائَدةِ الرَّبِّ» فى العهد الجديد، وملكوت السَّمَاوات على الأرض وهى الكنيسة، تلك المائِدَة التى منها يأكلون ويشربون غِذاءً لأرواحهم وَقُوتًا لنفوسِهم، لأنها بعينها المائدة السَّمَاويّة التى سلَّمها إليهم فى خميس العهد، وليلة آلامه، وهى سِرُّ القُرْبانِ والتناوُل وفصح العهد الجديد. ولعلها هى المائدة التى تنبأ عنها داود النبىّ بقوله «هَيَّأْتَ قُدَّامى مائدة قبالة الذين يحزنوننى» (المزمور ٢٢ : ٥)، والتى تحدَّث عنها الوحى الإلهى فى الرسالة إلى العبرانيين إذ قال «لَنا مَذْبَحٌ لايَحِقُّ لِلَّذِينَ يَخْدُمونَ المَسْكَنَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهُ» (العبرانيين ١٣ : ١٠).

وأما قوله «وَتَجْلِسوا على عُروشٍ لِتَدينُوا أَسْباطَ إِسْرائيلَ الاثْنَىْ عَشَرَ»، فليس المقصود منه أَنَّ الرُّسُل الاثنى عَشَر سيشاركون المسيح له المجد فى الدَّينونة الأخيرة، فالمعروف والمُقرَّر أن المسيح وَحْدَه هو الدَّيان «فإِنَّ الآبَ لَا يدِينُ أحَدًا، وإِنَّما سَلَّمَ القَضاءَ كُلَّهُ لِلابنِ» (يوحنا ٥ : ٢٢ و٢٧ و٣٠)؛ (متى ١٦ : ٢٧)؛ (٢٥ : ٣١ - ٤٦)؛ (الأعمال ١٠ : ٤٢)؛ (١٧ : ٣١)؛ (رومية ٢ : ١٦)؛ (١٤ : ١٠)؛ (٢. كورنثوس ٥ : ١٠)؛ (٢. تيموثاوس ٤ : ١)؛ (١. بطرس ٤ : ٥)؛

(الرؤيا ٢ : ٢٣)؛ (٢٢ : ١٢)، ولكنه بقوله له المجد لتلاميذه «وَتَجْلِسُوا عَلَى عُرُوشٍ لِتَدِينُوا أَسْبَاطَ إِسْرائيلَ الاثْنى عَشَرَ» يؤكِّد على السلطان الذى مَنَحَهُ إيَّاهم فى كنيسته التى هى مَلَكوته على الأرض، وبهذا السُّلطان يدبِّرون الكنيسة ويحكمون المؤمنين، فقد جعلهم مُلوكًا وكَهَنَةً لِلّه (الرؤيا ١ : ٦)، وجعلهم يملكون على الأرض (الرؤيا ٥ : ١٠) بما وَهَبَهم من سُلْطانٍ روحِىٍّ، وملكوتهم هو الكنيسة. وبهذا السُّلْطان عينه يدينون اليهود أيضًا من أسباط إسرائيل الاثنىْ عشَر، لأنَّ رُسُلَ المسيح مع أنهم أصلاً من بين اليهود، ولكنهم إذ آمَنُوا بالمسيح وتبعوه، سيوبِّخون اليهود ويخجلُونهم ويحكمون على قِلَّة إيمانهم وسوء معاملتهم للمسيح له المجد. ولقد قال الربُّ عن مَلِكَةِ الجَنُوبِ وأهل نينَوى إنهم سيدينون اليهود أيضًا، بمعنى «أنَّ مَلِكَةِ الجَنُوبِ سَتَقومُ فى يَوْمِ الدَّيْنُونَةِ مَعَ أُناسِ هَذا الجيلِ وَتَدِينُهُمْ، لِأَنَّها أَتَتْ مِنْ أَقاصى الأَرْضِ لِتَسْمَعَ حِكْمَةَ سُلَيْمانَ، وهُوَذا أَعْظَمُ مِنْ سُلَيْمان هُنا. وَأَهْلُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فى يَوْمِ الدَّيْنُونَةِ مَعَ هذا الجِيلِ وَيَدِينُونَهُ، لِأَنَّهُمْ تابوا عِنْدَما أَنْذَرَهُمْ يُونانُ. وَهُوَ ذَا أَعْظَمُ مِنْ يونانَ هُنا» (لوقا ١١ : ٣١ و٣٢)؛ (متى ١٢ : ٤١ و٤٢). غير أنه له المجد خَصَّ الرُّسُلَ الاثْنى عَشَر بأنهم يجلسون على عروشٍ ليدينوا، فى حين أنه لم يَقُلْ ذلك عن مَلِكَةِ الجنوب ولا عن أَهْلِ نِينَوَى. وذلك بيانًا لَمَا للرُّسُلِ من مكانة وسُلْطانٍ خاصٍّ فى كنيسة المسيح، باعتبارهم وكلاء أسرار الله وسُفَرَاء عن المسيح، ورؤساءِ كهنة العهد الجديد. وقد وَرَدَ هذا التعبير عينه عن الرُّسُل فى الإنجيل للقديس متى، إذ قال لهم مُخَلِّصُنا «الحَقَّ أقولُ لَكُمْ إنَّكُم أَنْتُمْ يا مَن تَبِعْتُمونى، مَتى جَلَسَ ابنُ الإنسانِ عَلى عَرْشِ مَجدِه عِنْدَ تَجْديدِ كُلِّ شَىْءٍ، سَتَجْلِسونَ أَنْتُمْ أيضًا على اثنَىْ عَشَرَ كُرْسيًّا، وَتَدِينُونَ أَسباطَ إسْرائيلَ الاثنَىْ عَشَرَ» (متى ١٩ : ٢٨). وقد يثور التساؤل : كيف يكون يهوذا الأسخريوطىّ معدودًا بين الرُّسُل وهو الذى خان سَيِّدَه ومعلِّمه وارتكب أشنع جريمة وأبشعها إذ باع مُخَلِّصَ العالم بثلاثين قطعة من الفضة؟. بيد أن الحقيقة أن هذا التصريح من ربِّ المجد يدلُّ على الكرامة التى كان قد أعطاها ليهوذا، إذيجَعَلَه بين تلاميذه ورسله، ثم إذ برهن يهوذا على أنه لم يكن مستحِقًّا لهذه

الكرامة، سُحِبتْ منه وأُعْطِيَتْ للرسول الآخر الذى حَلَّ محلَّه وهو متّياس الرسول (الأعمال ١ : ٢٦).

٢٢ : ٣١ - ٣٨

ثم قال الرَّبُّ لتلميذِهِ بطرس «سِمعانُ سمعانُ هُوذا الشَّيطانُ قد سَعَى جاهِدًا لِأَنْ يُغَرْبِلَكُم كالحِنْطَةِ. وَلكِنَّنى دَعَوْتُ لك أَلَّا يَفْنى إيمانُك. فمَتى اهتَدَيْتَ فشَجِّعْ إخوتَك». وقد كانَ المخلِّص يعلم أَنَّ تلاميذه فى تلك الليلة نفسها سيتركونه جميعًا حين يرون الخَطَرَ يهدِّده ويهربون. كما كانَ يَعلَم أَنَّ بطرس بالذات سيُنكِره ويُنْكِر أنَّه يعرفه، إذ سيحاوِل الشيطان أن يهزَّهم هَزًّا عنيفًا كالحنطة فى الغربال، ليطيح بالشَّجاعة من قلوبهم، ويتركهم فَرِيسة الفَزَعِ والجزَعِ، عَسَى أن يطيح ذلك بإيمانهم، فلا يعود للمسيح الرَّبِّ أحدٌ يؤمن به أبدًا. ومِنْ ثَمَّ أراد فادينا أن يُشَجِّعَ تلاميذه لكى لا يسقطوا فى هذه التجربة، وأراد أن يشجِّع بطرس بالذّات لأنه سيكون أشدّهم خَوْفًا وسيكون إيمانه أشدّ تعرُّضًا للاهتزاز والتَّزَعْزُعِ والانهيار، فَأَنبأه بأنَّه دعا له لكى لا يَفْنى إيمانه، وَطَلَبَ إليه متى اهتدىَ وَهَدَأت عاصفة فَزَعِهِ وَجزَعِهِ أن يُشَجِّع زُمَلاءه. ولكن بطرس وهو لا يعلم مَدَى ضعفِهِ قد ساءَه أَنْ يقول عنه مُعَلِّمُهُ ذلك فقال «يارَبُّ إنِّى مُسْتَعِدٌّ أَنْ أمضىَ مَعَكَ وَلو إلى السِّجن وإلى الموتِ». فأجابه الرَّبُّ قائلًا «أقولُ لكَ يا بُطرُسُ إنه لن يصيحَ الدِّيكُ اليومَ حتَى تكونَ قد أنكَرْتَ ثلاثَ مَرَّات أَنَّك تَعْرِفُنى. أقولُ ذَلِكَ لِتَعْلَمَ»، أى أنَّه يقول ذلك لبطرس ليتذَكَّره حين يتحقَّق بالفِعْلِ، فَيُعِينه ذلك على استرداد صَوابه واستعادة إيمانه بمعَلِّمِهِ.

ثُمَّ خاطَبَ الرَّبُّ تلاميذه قائلًا لهم «عندما أَرسَلْتُكُمْ بِغَيرِ كِيسٍ ولا حَقِيبَةِ زادٍ ولا حِذَاءٍ، هَلْ أَعْوَزَكُمْ شىءٌ؟». قالوا «لا». فقال لهم «أَمَّا الآنَ فَمَنْ مِنْكُمْ لَهُ كيسٌ فَلْيَحْمِلْهُ. وكذلك حَقِيبَةُ زادِهِ، وَمَنْ مِنكُمْ لَيْسَ لَدَيهِ سَيْفٌ، فَلْيَبِعْ ثَوبَهُ وليشْتَرِ سَيْفًا، لِأَنِّى أَقولُ لَكُم إنَّهُ يَنْبَغِى أَنْ يَتِمَّ فِىَّ هذا المكتوبُ: قَدْ أُحْصىَ مع أَثمةٍ لِأَنَّ كُلَّ ما يَخْتَصُّ بِى لابُدَّ أَنْ يتمَّ»، أى أنه حين كان معهم لم يكونوا يحتاجون

إلى أىّ شىء، مع أنهم كانوا بغير كيس للنقود، ولا حقيبة للزادِ، ولاحذاء لِلقَدَمَينْ، لأنَّ مُجرَّد وجودِه معهم كان كافِيًا لأن يُشْعِرَهُم بالطمَأْنينة وَعَدَم الحاجة إلى أىّ شىء، ولكِنَّ الأمر لن يلبث منذ تلك اللحظة أَنْ يتغير، لأنَّهُ سَيُؤخَذُ منهم، ليتمَّ فيه كل ما وَرَدَ فى النبوءات التى جاءت فى الكتب المقدَّسة عنه، والتى ينبغى أن تَتمَّ بحذافيرها، ولاسِيَّما نبوءة إشعياء النبىّ التى تتحدَّث عن موته وهو مُعَلَّق على الصليب بين لِصَّينْ فتقولُ إنَّه قد أُحْصِىَ مع أثمةٍ (إشعياء ٥٣ : ١٢). ولسوف يُعانى تلاميذُه منذ تلك اللحظة من ألوانِ الضِّيق والعَنتِ والعَسْفِ والهوان والمطاردة من مكانٍ إلى مكان، ما لم يسبق لهم أن رأوه مِنْ قَبْلُ وهو معهم. فعندئذ سيشعر مَنْ ليس له كيس للنقود منهم بأنه محتاج فى هَرَبِه إلى كيسٍ للنقود، ومَنْ ليست له حقيبة للزاد بأنه محتاج فى غُرْبَتِهِ إلى حقيبة للزاد، ومَنْ ليس له سَيْفٌ يُدافع به عن نفسه ضدّ قوات الشرّ التى تطارده بأنه محتاج لأن يبيع ثوبه ويشترى بِثَمَنِه سَيْفًا. ولم يكُنْ فادينا يتحدَّث هُنا عن السَّيْفِ المعدنى، فإنَّه لم ينصح باستعماله قطّ، وإنما عن سَيْفِ الرُّوح الذى هو كلمة الله (أَفَسُس ٦ : ١٧)، والذى هو أقْوَى وأَمْضَى من كُلّ السيوف المعدنيَّة وكُلّ أسلحة الأرض. غير أنَّ تلاميذه لم يفهموا حقيقة قَصْدِه فقالوا « يارَبُّ، هُوَذَا هنا سَيْفَان » ويقول القدّيس يوحَنّا ذَهَبِىُّ الفم إنهما لم يكونا سيفين عادِيَّين وإنما كانا سكّينتين كبيرتين من سكاكين الفِصْحِ حملهما التلاميذُ معهم للدِفاع عن أنفسهم وعن معلِّمهم بعد أن سمعوا أنّ اليهود آتون لقتالِهم. وإذ وَجَدَ مخلِّصنا أن تلاميذه قد أخطأوا الفَهم قال لهمْ « كَفَاكُم »، أىْ : كُفُّوا عن هذا الفَهْم الخاطئ، فما تكلَّمتُ عن هذا النَّوع من السّيوف.

٢٢ : ٣٩ - ٤٦

ثُمَّ خَرَجَ الرَّبُّ يسوعُ وَمَضى إلى المكانِ الذى اعتادَ أن يختلى فيه بتلاميذه، وهو بستان يقع عند سفح جَبَل الزَّيتون، يُدْعَى بستان جثسيمانى (متى ٢٦ : ٣٦). وتبعه تلاميذه إلى هُناكَ. فَلَمَّا وَصَلَ إلى ذلك الموضع قال لهم « صَلُّوا لِئلاَّ تَدْخُلوا فى تَجْرِبَةٍ »، إذ كان يَعْلَمُ أيّة محنة قاسية سيتعرَّضون لها بعد لحظاتٍ قصيرةٍ، فكانت

الصَّلاةُ هى العَاصِم الوحيد لهم من أَنْ يفشَلُوا فى مجابهة هذه المحنة فيتبدَّد إيمانهم.
وأمَّا هو فإذ كان يَعلَم أيَّة محنة أشدّ قسوة سيتعرَّض لها هو نفسه منذ هذه اللحظة،
نَأى عن تلاميذه نحو رَمْيَةِ حَجَرٍ، وَخَرَّ على رُكْبَتَيهِ وَصَلَّى قائلاً «يا أَبَتاه إنْ شِئتَ
فَجَنِّبنِي هذهِ الكَأْسَ. لُكِنْ لِتَكُنْ لا مَشْيِئَتِي بل مَشْيِئَتُك». فَعَلىَ الرَّغم من أنّه
بِلاهوتهِ باعتباره ابن الله قد ارتضى بمحض اختياره أن يموت فِداءً عن البشَرِ لمغفرة
خطاياهم، لم يَلْبَثْ حين اقْتربَت اللحظة التى يزمع أن يقدِّمَ فيها نفسه ذبيحة، أن
ثَقُلَت عليه بناسوته باعتباره ابن الإنسان وطْأَةُ الأَلم من عَارِ الصَّليب. وَمِنْ ثَمَّ
تضَرَّعَ إلى أبيه السَّمَاويَّ أَن يُعفيه من وصمة ذلك العار التى لا يمكن أَنْ يحتملها
إنسان، فَبَرْهَنَ بذلك - له المجد له على أنه إنسان كامل كما أنه فى الوقت نفسه إله
كامل. فضلاً عن أنه بقولِهِ ذلك دلَّل على وطأة تلك الآلام التى كابَدَها، وأنها
كانت آلامًا شديدة وحقيقية. وفى هذا ردّ كافٍ على بعض الهراطقة الذين أنكروا
أن المسيح قد جاء فى الجَسَد (٢. يوحنا ٧)، ومنهم الغنوسيُّون، كما أن منهم أتباع
يوطاخى الذين أنكروا حقيقة ناسوت المسيح، وأنكروا بالتالى أن تكون آلامه
حقيقية بِدَعْوَى أن ناسوته قد ذَابَ فى لاهوتِهِ، وأنّ اللاهوت قد امتصَّ الناسوت،
فضاعَ النَّاسوت فى اللاهوت كما تضيع نقطة من الخلِّ فى المحيط. بَيْدَ أَنَّ فادينا
حتى بناسوته أظهر خضوعه التام لمشيئة الله الآب، فَفَوَّضَ أَمْرَه إليه، ولو أدَّى ذلك
إلى تَجُّرعِهِ تلك الكأس المريرة التى تفيض بأقسى ألوان الألم والعذاب. وهنا - فيما
يبدو - بَيَانٌ لمشيئتين، هما مشيئة الابن ومشيئة الآب، ولكنَّ فى قول المسيح له
المجد «لتكن لا مَشْيِئَتى بل مَشْيِئَتُكَ» إيضاح للوحدة بين أُقنومَى الآب والابن فى
المشيئة، فَهُمَا واحدٌ معًا ومع الروح القدس فى الجوهر وفى الطبيعة وفى المشيئة
المُقدَّسة وسائر الكمالات الإلهية. كما يبدو فى قول السيد المسيح تصريح باختلافٍ
بين مشيئتين فى طبيعة الإله المتجسِّد، هما مشيئة إلهية ومشيئة إنسانية، إذ قد يدلّ
على ذلك ظاهر اللفظين «مشيئتى.. ومشيئتك»، وهذا ما يستند إليه القائلون بأن
فى السيّد المسيح طبيعتين ومشيئتين. وأما الواقع والحق فهو أن السيّد المسيح هنا
ينفى الاثنينية مبيِّنًا الوحدة التامّة فى المشيئة بين الناسوت واللاهوت. فالنّاسوت

وإن كان طبيعيًّا أن ينفر من الألم، لكنه قَبِلَ مشيئة اللاهوت فى الخلاص، ولم يفترق عنها، ومِنْ ثَمَّ صارت مشيئة الناسوت هى بعينها مشيئة اللاهوت، فهى مشيئة واحدة بغير افتراق، وذلك بطبيعة الاتحاد الحقيقىّ التام بين الناسوت واللاهوت فى الطبيعة، وبالتالى فى المشيئة. على أننا نجد فى صلاة الربّ يسوع فى بستان جثسيمانى صورة مثاليّة للإنسان المؤمن الذى يخضع خضوعًا تامًّا لمشيئة الآب السَّمَاوِىّ، ومهما بَدَت له رغبته الخاصَّة قَوِيَّة، ومهما كان اقتناعه بها، فإنه لِفَرْطِ إيمانِهِ بِصلاحِ الله، وثقته فى حكمته، يُسقِط رغبته أمام مشيئة الله، عن رِضى وتسليم مُطْلَق، عَالمًا أنّه إذ يُسقِط هذه الرغبة يَلْحَقُهُ عن هذه الفضيلة خَيْرٌ عظيم. فهو إذَن بإرادته يُسْقِطُ إرادته، وبمشيئتِهِ يُسَلِّم لله مشيئتَه وهذا ما يُعْرَف باتحاد الإرادة بين الإنسان والله، وهو أَسْمَى ما يبلغُ إليه المؤمن الحقيقى فى مراحل الرُّوحانيّة العالية، إذ تصبح إرادة الله إرادته، ومشيئة الله مشيئته، أى يُصبح مع الله إرادة واحدة ومشيئة واحدة..

وفى هذه اللحظة التى رفع مخلِّصنا إلى أبيه السماوىّ صلاته، ظهر له ملاك من السماءِ يقول له «لَكَ القُوَّةُ»، مُمجِّدًا بذلك لاهوته، ليتقوَّى بذلك ناسوته أمام تلك المحنة الطاحنة. وإذ كان يكابد آلامًا عنيفة تحت وطأة خطايا البَشر التى حملها فى تلك اللحظة كلّها ليطهِّرها بِدَمِه، مصداقًا لنبوءة إشعياء النبى إذ قال إن «الرَّبَّ وَضَعَ عليه إثْمَ جميعنا» (إشعياء ٥٣ : ٦)، أَخَذَ يُصَلِّى بأَشَدِّ حرارة وهو جاثٍ على ركبتيه، وكان عَرَقُه كَقطَرَات الدَّم يتساقط على الأرض، مِمَّا يَدُلُّ على أنه قد بَدَأَ يموت منذ تلك اللحظة، لِأَنَّ الحُزن العنيف قد أَفْسَدَ دَمَهُ فَتَسَمَّمَ. وقد عبَّر له المجد عن ذلك بقوله «إنَّ نَفْسى حَزِينَةٌ حَتَّى الموتِ» (متى ٢٦ : ٣٨). ولَوْلَا مُسَانَدةُ اللاهوت للنَّاسوت لكان المسيح قد مات فى بستان جثسيمانى قَبْل صَلْبِهِ.

حتى إذا نهض من الصَّلاةِ جاء إلى تلاميذه فوجدهم نائمين من فَرْطِ الحُزْنِ، بَعْد أن استمعوا إلى كلمات الوداع المؤثِّرة التى وَدَّعهم بها مُعَلِّمُهُم، فقال لهم «ما بالُكُمْ نائِمينَ؟ انهَضُوا وَصَلُّوا لِئلاَّ تَدْخُلُوا فى تَجْرِبَةٍ». وهكذا كانت نصيحته الدائمة لَهُم لكى لا يدخلوا فى تجربة، أو بالأحْرَى لكى لا يسقطوا فى الخطيئة إذا

دَخلوا فى تجربة، هى أنْ يصلُّوا مبتهلين إلى الآب السماىّ أن يساندهم ويعضّدهم ويقوّيهم أمام المحن ويأخذ بأيديهم ليجتازوا التجارب ويتغلّبوا على الصعاب ويحتملوا كُلَّ ألوان الألم والعذاب.

٢٢ : ٤٧ - ٦٢

وفيما كانَ المخلِّص يتكلَّم إذا جماعة من الغوغاء مُقبِلَة يتقدّمها المدعو يهوذا الأسخريوطى، أحد تلاميذه الاثنى عشر، وقد اقترب من مُعَلِّمه ليُقَبِّلَهُ فقال له المُعَلِّم مُعَاتِبًا فى مرارة «يا يهوذا أَبِقُبْلَةٍ تُسَلِّمُ ابنَ الإنسانِ؟». وهكذا بلغت الخِسَّة بهذا الخائن أنَّه جَعَلَ من القُبْلَةِ التى هى أبلغ مظاهِرِ المحبَّة والإخلاص أداة لأدنأ صُوَر الحِقْدِ وأحقر ألوان الخيانة. وقد كان تلاميذ فادينا عندئذ يحيطون به، فلما رأوا ما يحدث احتدموا غضَبًا وقالوا له «يارَبُّ أَنَضْرِبُ بالسَّيفِ؟»، ثم استَّلَّ واحد منهم سَيْفَه، وهو تلميذه بطرس (يوحنا ١٨ : ١٠)، وَضَرَب عَبْدَ رئيس الكَهَنَة الذى كانَ ضِمْنَ الغوغاء فَقَطَعَ أذنه اليُمنى. فانتهر الربُّ تلميذه قائلاً له «كَفى ولا تَزِد». ثم لَمَسَ أذن العبد فأَبْرَأها، فكان هذا أسطع برهان على قدرته الإلهية التى لو شاء لاستخدمها فى تشتيت شَمْلِ أولئك المتهجّمين عليه، ولكنه لما يَشأْ، لأنه كان ماضيًا بمحض اختياره فى تنفيذ التدبير الإلهى الذى كان يقتضى أنْ يقطع الطريق إلى نهايته نحو الصليب ليموت مُعَلَّقًا عليه، إتمامًا لِعَمَل الفِدَاءِ الذى جاء من أجله إلى العَالَمَ. كما دَلَّل بذلك على حنانه ورأفته بالبَشَر، وتسامحه حتى فى الوقت الذى تجمهروا عليه ليعتقلوه ويقتلوه. فأىّ تَسامُحٍ وأىّ حُبٍّ أعظم من هذا؟ وَمَنْ من الناس صنَعَ مثل هذا الصنيع مِن قبل فأحسن إلى مَن أساءَ إليه؟. وهكذا عمل له المجد بما عَلَّمَ به إذ قال «أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُم، بارِكُوا لاعِنيكُم، أَحْسِنُوا إلى مُبْغِضِيكُم» (متى ٥ : ٤٤). بيد أنه له المجد مع ذلك اشتدَّ فى توبيخ أولئك المقْبِلِين عليه من رؤساء الكهنة وقُوَّاد جُنْدِ الهيكل والشيوخ أعضاء مجلس السنهدريم الذين لم تمنعهم شيخوختهم ولا هيبة مناصبهم من أن ينضموا إلى الرّعاع فى التسلُّل إليه فى خلوته ليقبضوا عليه تحت جنح الظلام، قائلاً لهم

«كَأَنَّكُم عَلى لِصٍّ خَرَجْتُم بِسيُوفٍ وعِصِيٍّ. حين كنتُ مَعَكُم كُلَّ يَومٍ في الهيكَلِ لم تَمُدُّوا عليَّ يَدًا، ولكنَّ هَذِه هي ساعَتُكُم وسُلْطانُ الظُّلْمةِ»، فإنهم كانوا يعرفونه كُلَّ المعرفة، وقد كان معهم كُلَّ يوم في الهيكل، وكان يمكنهم أن يقبضوا عليه هناك في وضح النهار بغير حاجة إلى التَّرَبُّصِ له هكذا في اللَّيْلِ كأنَّهُ لصٌّ، وبغير حاجة إلى مهاجمته بهذا الجمع الصاخب المُسَلَّح بالسيوف والعصيِّ، كأنَّه سيصدُّهم بجيش جرّار، مع أنهم يُدرِكون كُلَّ الإدراكِ أنه وديع ومُسالِمٌ ولا يحمل أيَّ سِلاحٍ ولا يحتمي بأيِّ جيشٍ. وقد كان أبلغ دليل على ذلك أنه وَقَفَ الآنَ أمامهم أعزَلَ وَديعًا هادئًا لا يُقاوِم، وحين أراد أحد الذين معه أن يقاوِمَ انتهرَه لِيَكُفَّ عن ذلك. ولكنهم ما كانوا ليُدْرِكوا ذلك كُلَّهُ، لأنهم كانوا قد أعمتهم الفَرْحَةُ بالظَّفَرِ بِهِ بعد أن حاولوا ذلك طويلاً. وقد جاءت الآن ساعتهم ليتلَذَّذوا بتعذيبه والتنكيل به، كما جاءت ساعة الشيطان سُلطان الظُّلمةِ الذى يحرِّكهم ويحرِّضهم كي يَتَلَذَّذ بالانتصار عليه وهو عَدُوُّه الأكبر. ولكنها ساعة واحدة لن تطول ولن تتكرَّر، ثم يأتي بعد ذلك النصر النهائي الأبَدِي لِرَبِّ الخَلاصِ والحياةِ والنور.

وقد أمسَكَ أولئك الأجلاف سَيِّدَنا وساقوه وجاءوا بِهِ إلى دارِ رئيس الكَهَنَةِ، حيث كان أعداؤه مُتَرَصِّدين ليجمعوا ضِدَّه الأَدِلَّةَ التي تَصْلُحُ لأن تكونَ سَنَدًا عاجِلاً للحكم عليه بالموت، لتقديمها في الصَّباحِ إلى مجلس السنهدريم.

ولئن كانت قصةُ خِيانة يهوذا تتضَمَّن طعنة أليمة تَلَقَّاها مُخَلِّصُنا من واحد من أقرب النَّاس إليه، وكانت من أسباب أَسَاه ومرارته، لقد كانت دار رئيس الكهنة مَسْرَحًا لِقِصَّةٍ أُخْرَى تتضمَّن طَعْنَةً أشدّ إيلامًا تَلَقَّاها - له المجد - من واحد آخر من أقرب الناس إليه كذلك، بل من أَلْصَقِ الناسِ به وحماسًا في حُبِّهِ. وذلك هو تلميذه بطرس الذى قال له في تِلْكَ الليلة نفسها «يارَبُّ إنَّني مُسْتَعِدٌّ أن أَمْضيَ مَعَكَ ولو إلى السِّجْنِ وإلى الموتِ». إذ ما أمسك رؤساءُ اليهود بالرَّب يسوع حتى امتلأ بالخوف قلب بطرس، وإذ كان يحبُّه بالفِعْلِ تَبِعَه ولكن من بعيد، وحين دَخَلُوا به دار رئيس الكهنة دَخَلَ هو بَعْدَه. وأثناء محاكمة الفادي داخل الدَّار كان البرد قد اشتدّ في الخارج بعد منتصف الليل، فأضْرَمَ العبيد والخَدَم والجُنْدُ نارًا في فناءِ الدار

وجلسوا حولها يستدفئون، فَجَلَس بُطْرُسُ بينهم كأنه واحد منهم، وإذ رأته جارية على ضوء النَّارِ تَفَرَّسَت فيه وقالت «إِنَّ هَذَا أَيضًا كانَ مَعَهُ». وعندئذ انهارت شجاعته تمامًا، واسْتَوْلَىَ الخَوفُ استيلاءً كامِلاً على قَلْبِهِ، فَأَنكر مُعَلِّمَهُ قائلاً للجارية «لَسْتُ أَعْرِفُهُ يا امرَأَةُ». ثُمَّ بعد قليل رآه آخَر مِّمن كانوا فى الفناء فقال «أَنتَ أَيضًا مِنْهم»، أى من أتباع يسوع النَّاصِرِيِّ الذى تجرى محاكمته داخِلَ الدَّار. فقالَ بُطْرُسُ «لَسْتُ مِنْهُمْ يا رَجُلُ». ثُمَّ بَعْدَ نَحْوِ ساعةٍ قَالَ آخَرُ مُؤَكِّدًا «الحقّ أنَّ هذا أيضًا كانَ مَعَهُ، فإِنَّه جَليليٌّ كذلك». فقال بُطرُس «لَسْتُ أدرِى يا رَجُلُ عَمَّ تَتَحَدَّثُ». وفى الحالِ وهو يتكلَّم صَاحَ الدِّيك، وكان المخلِّص عندئذ فى موضعٍ قريبٍ من بطرس فَتَلَفَّتَ ونَظَر إليه نظرةً تفيض بالألم المُمِضّ وبالعِتَابِ المرير، وإِنْ كانت تفيض مع ذلك بالإِشفاقِ الأبوىّ على ما انتابَ هذا التلميذ الشجاع المُخْلِصِ من ضَعْفٍ بَشَرِيٍّ أمام المِحْنَةِ المفاجئة. فتذكَّر بُطرُسُ عندئذ كلمة الرَّبِّ إذ قَالَ له «لن يصيحَ الدِّيكُ اليومَ حَتَّى تَكُونَ قَدْ أَنكَرْتَنِي ثَلاثَ مَرَّاتٍ»، فَمَضَى بطرس إلى الخارج وَبَكَى بُكَاءً مُرًّا، وقد غَسَلَ بدموع نَدَمِهِ وتوبتِهِ ما وقَعَ فيه من خطيئة كادت أن تطيح بإيمانه وتؤدِّى به إلىَ الهلاك. ولقد بَرْهَنَت هذه الواقعة على ضَعْفِ الإِنسانِ أمام المواقف الصعبة مالم يكُن مُتسلِّحا بِرَصيدٍ وَافِرٍ مِنَ الإيمان بالله وبالحياة الأخرى. فالمحبَّة المُخْلِصَةُ وحدها لا تكفى، لأن القديس بطرس عندما قال لمعلِّمِهِ «يارَبُّ إِنَّنِي مُسْتَعِدٌ أن أَمْضِىَ مَعَكَ ولو إلى السِّجْنِ وإلى الموتِ» إنَّما قال ذلك عن حُبٍّ وإخلاص، ولم يخطر على بالِهِ أن يخدَع سَيِّدَه وَمُعَلِّمَه بقَوْلِهِ هذا. كما برهنت هذه الواقعة نفسها على أن المؤمن الحقيقى لا يرتمى بقلبه على إيمان كامِلٍ بالناس مهما تكُن صداقتهم ومحبتهم، فقد تخونهم صداقتهم وقد تخونهم محبتهم فى اللحظة الحرجة. ولذلك يقول الكتاب المقدَّس «هكذا قَالَ الرَّبُّ: ملعونٌ الرَّجُلُ الذى يتّكِل على الإنسانِ، ويجعلُ البَشَرَ ذِراعَهُ، وعن الرَّبِّ يحيد قلبه» (إرميا ١٧ : ٥). لقد طَلَبَ يوسف الصّدّيق من رئيس السُّقاةِ أن يَذْكُرَه بالخَيْر أمام فرعون ليخرجه من السِّجن. . «ولكن لم يذكر رئيسُ السُّقَاةِ يوسف بل نسيه» (التكوين ٤٠ : ٢٣). ثم إن موقف بطرس

يستحقُّ الرِّثاءَ لأنه يُرينا خَطَأَ الاعتماد المُطْلَقِ عَلى الذَّاتِ، وشَرَّ الغرور بالنفس، والاعتقاد المصحوب بالوهْم في أَنَّهُ أفضل من غيره. فقد قَالَ بطرس «إِنْ شَكَّ فيكَ الجميعُ فَلَنْ أَشُكَّ أَنا أَبَدًا» (متى ٢٦ : ٣٣)، ولكنه كان هو أسبق من غيره في الشّك في سَيِّدِهِ ومُعَلِّمِهِ، بل إنه لَعَنَ وَحَلفَ أنه لا يعرفه (متى ٢٦ : ٧٤). وذلك فضلاً عن أن بُطرُسَ أخطأ بانضمامه في ساعة التجربة إلى زُمْرَةِ المستهزئين من العَبِيدِ والخَدَمِ والجُنْد، ومشاركتهم مجلسهم. فما كان أَلْيَق به أن يهرب من مثل هذا الوسَط الرَّدىءِ لأنه «طوبى للرَّجُلِ الذى.. في مجلس المستهزئين لم يجلس» (المزمور ١ : ١).

٢٢ : ٦٣ - ٦٥

وكان الرجال الذين قبضوا على فادينا يهزأون به ويضربونه بعد أن وقع فريسة في أيديهم، وقد غطّوا عَيْنَيْهِ وَأَخَذُوا يَلْطِمُونَهُ على وَجْهِهِ، ثُمَّ يَسْأَلُونَهُ قائِلِينَ «تَنَبَّأْ لَنا مَن هُوَ الّذِى لَطَمَكَ؟»، ساخرين بذلك مما كان قد ذاع عنه من أنه نبىٌّ يَعْلَمُ الغيب، وَوجَّهوا إليه إهانات أخرى كثيرة، مُجَدِّفين عليه، مُوسِعين إيَّاه طول الليل ضَرْبًا ولَطمًا وَبَصْقًا وهُزْءًا وسُخْرِيَةً، وهو صامت لا يتكلَّم، صابر لا يحتجُّ ولا يشكو، تَارِكًا قُوَى الشَّرِّ تصنع أَقْصَى ما عِندَها وهى تجود بآخر أنفاسها، لأن هذا كان جزءًا مِنَ الآلام التى يتعينَّ عليه في الترتيب الإلهى أن يعانيها قبل أن يُقَدِّمَ نفسه ذبيحة لغفران خطايا البَشَرِ، وقبل أن ينتصر على الشَّرِّ، وعلى الشيطان مصدر الشرِّ، الانتصار الحاسِمَ الأَبَدِيَّ.

٢٢ : ٦٦ - ٧١

وما إن طَلَعَ النهار حتى اجتمع شيوخ الشعب ورؤساء الكهنة وساقوا مخلِّصنا إلى مجلس السنهدريم. وإذ كانوا قد أخفقوا طوال الليل في اختلاق تهمة يلصقونها به ليقدِّموها إلى ذلك المجلس كى يستند إليها في الحكم عليه بالموت، راحوا أثناء انعقاد المجلس في الصباح يحاولون أن يتصيَّدوا تهُمَةً من فَمِهِ هو تَصْلُحُ للاستنادِ إليها في قَتْلِهِ، فقالوا له «أَأَنْتَ المسيحُ؟ قُلْ لَنا». وقد كانوا يَعْلَمُونَ أَنَّه وَإِنْ

صَمَتَ وامتَنَعَ عن الإجابة عن كُلِّ أسئلتهم، لن يصمت ولن يمتنع عن الإجابة عن هذا السؤال. وَفِعْلاً لقـد قالَ لَهمُ «إنْ قُلْتُ لكُم فَلَنْ تُصَـدِّقوا، وإن سَـأَلْتُكُم فَلَنْ تُجِيبُوا. إنَّ ابنَ الإنسانِ مُنْذُ الآن سَيكونُ جـالِسًا عن يَمِـينِ قُدْرَةِ اللَّهِ»، فقـالوا «أَفَأَنتَ إِذَن ابنُ اللَّهِ؟». قَالَ «نَعم أنا هُوَ كَقَوْلِكُم». فقالوا «ما حاجَتُنا بَعْدُ إلى شَهادَة شُهوُدٍ؟ فإنَّنا بأنفسِنا قد سَمِعْنا من فَمِهِ هُوَ». وهكذا نجحوا فى التوصُّل إلى اعتراف منه بأنه هو المسيح ابن الله، وقد اعتبروا ذلك جريمة تستحقّ الموت، فلا حاجة بهم لأن يُتْعِبُوا أَنْفُسَهُم فى البحث عن شهود زورٍ يشهدون ضِدَّه، ولا حاجة بهم إلى أىِّ دليل آخَر يَفْتَعِلُونَه افتِعَالاً ويلفِّقونه تلفيقًا. فها هوذا يَشْهَد عَلى نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ، ويُقدِّمُ الدليلَ بِذَاتِ فَمِهِ على أَنه يقول إنه ابن الله. وهذا يكفيهم ليشفوا منه غليلهم وينفِّذوا فيه حُكْمَ الْموتِ الذى طالما اشتهوه وسعوا بمؤامراتهم إليه.

الفصل الثالث والعِشرون

٢٣ : ١ - ٧

وقام أولئك المتآمِرون جميعًا ضدّ فادينا، وكانوا من أعضاءِ مجلس السنهدريم الذى يضمّ رؤساء الكهنة والكتَبة وشيوخ اليهود وساقوه إلى الوَالِى الرُّومَانِىِّ بيلاطس البنطى، لأنهم إذ لم يجدوا تهُمَةً يستحقُّ عليها الموت حَسَبَ شريعتهم يُلْصِقُونها بِهِ، وإِذْ لم يَكُنْ فى سُلْطَانِ مجلِسِهم الحكم عليه بالموت حتى لو وَجَدُوا مِثْلَ هذه التهُّمةِ، لأَنَّ الحُكْمَ بالْموتِ كَانَ من اختصاص السُّلْطاتِ الرُّومانيَّة وحدها، اتجهوا إلى الوالى الرّومانىّ، ليتهّموهُ لَدَيهِ بتُهْمَةٍ يُلَفِّقُونهَا تتضَمَّنُ جريمة تستحقّ الموت، لا ضِدّ الشريعة اليَهوديّة التى لم تَكُنْ تهمُّ ذلك الوالى فى شىءٍ، وإنما ضدّ الدَّولة الرُّومانية التى يمثّلها ذلك الوالى والتى من وَاجِبه أَنْ يُحَافِظَ عَلى سَطْوَتها وسُلْطَانِها على بلاد اليهود، وأن يبطِشَ بِكُلِّ مُتَمرِّدٍ على تلك السَّطْوَةِ،

ويُنَكِّلَ بِكُلِّ ثائر على ذلك السُّلْطان. فلمَّا بلغوا دارَ الولاية أَخَذوا يتَّهِمُونَ المخلِّص بِكُلِّ ما فيهم من خُبثٍ وَمَكْرٍ ودهاء، قائلين «إنَّنا وَجَدْنَا هذا يُفْسِدُ الأُمَّةَ، ويقول بالامتناعِ عن أَداءِ الجِزْيَةِ لقَيْصرَ، مُدَّعيًا أَنَّهُ هو المسيحُ المَلِكُ». وقد كانت هذه التُّهمة تَتَضمَّن عِدَّةَ مُغالَطات مكشوفةٍ وأكاذيب صَارِخَة: لأنهم زعموا أنَّ الرَّبَّ يسوع يُفْسِدُ الأُمَّةَ، أي يحرِّضها ضد الرومان، مع أنَّه لم تَصْدُر عنه خلالَ حياتِهِ التعليميَّةِ كُلِّها كلمة واحدة تتضمَّن التحريض ضدّهم، وإنّما كان أولئك الذين يتَّهمونه من زُعَماءِ اليَهُودِ أنفسِهم ولا سِيَّما الفرِّيسيُّون هم الذين يُحَرِّضون الأُمَّة ضِدَّ الرومان ويسعون علانية إلى التحرُّرِ من ربقتهم. وقد زَعَمُوا أَنَّ ربّنا يسوع يقول بالامتناع عن أداء الجزية لقيصر، مع أنَّه حين استفتاه الفَرِّيسيون والصدُّوقيون في هذا الأمر قال لهم صراحة «أَعْطُوا ما لِقَيْصَرَ لقيصرَ» (متى ٢٢ : ٢١). وقد زَعَمُوا أخيرًا أنَّه يَدَّعِي أَنَّهُ مَلِكٌ، مِمَّا يوحي بأنه يُزَاحِمُ قَيصرَ الرُّومان



« محاكمة السيد المسيح أمام بيلاطس البنطي » (لوقا ٢٣ : ١ — ٢٥)

فى سُلطانه على اليهود ويعمل على الاستئثار دونه بحكمهم، مع أَنَّ القول بأنه مَلِكٌ هنا إنما يستتبع القول بأنه هو المسيح الذى تقول نبوءات الأنبياء بأنه سيكون مَلِك اليهود، ولكن لامَلِكًا أرضِيًا، وإنما مَلِكًا سماوِيًا، يملك لافى هذا العالَمَ الدّنيوىِّ الأسفل وإنما فى العالَمِ الروحىِّ الأَعْلَى. وقد استرْعَتْ هذه التهمة الأخيرة انتباه بيلاطس فَسَأَلَ الرَّبَّ يسوع المسيح قائلاً «أَأَنْتَ مَلِكُ اليهود؟»، فأجابه وقال «نَعَم أَنا هُوَ كَقَوْلِكِ». وكان يَعْنِى أنَّه هو المَلِكُ السَّمَاوىُّ لا الأَرضىُّ وقد جاء فى الإنجيل للقديس يوحنا أنه قال لبيلاطس إنَّ «مَمْلَكَتِى لَيْسَتْ مِنْ هَذا العالَمَ» (يوحنا ١٨ : ٣٦). فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع «إِنِّنِى لا أَجِدُ شَرًّا فى هَذَا الرَّجُلِ». وهكذا حكم ذلك الوالى الوَثَنِى ببراءة فادينا، «إذ كانَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ سَلَّمُوهُ حَسَدًا» (متى ٢٧ : ١٨). ولكنَّ أولئك الحاقدين الموتورين أَلَحُّوا فى إصرار قائلين «إنَّه يُهَيِّجُ الشَّعْبَ وَيُعَلِّمُ فِى كُلِّ اليَهودِيَّةِ ابتِداءً من الجَلِيلِ إلى هُنا». وقد كانت تلك عبارة مبهمة لا يَتَّضِح منها ضِدّ مَنْ كانَ مُخَلِّصُنا يهيِّجُ الشعب، وأيّة تعاليم تلك التى كان يُعَلِّمها ابتداء من الجليل إلى أورشليم. بَيْدَ أَنَّ بيلاطس إذ كان متضَجِّرًا من أولئك اليهود المشاغبين، وكَارِهًا النَّظر فى دعواهم تلك التى قدَّموها إليه ضدّ إنسانٍ وَديعٍ كان من الواضح أنه لم يرتكب شرًّا، لَمَّا سَمِعَ ذِكْرَ الجليل سأَلَ عَمَّا إذا كان الرَّجُلُ جَلِيلِيًّا، فما إنْ عَلِمَ أنَّه تابع لولاية هيرودس مَلِك الجليل حَتى اعتزَمَ أَنْ يتخلَّصَ من هذه الدَّعوَى المُلَفَّقة، وأرسل المخلِّصَ إلى هيرودس الذى كان هو أيضًا فى أورشليم فى تلك الأيام لحضور احتفالات عيد الفِصْحِ، كى يَتَوَلَّى هو محاكمته.

٢٣ : ٨ - ١٢

ولَمَّا رأى هيردوسُ الرَّبَّ يسوعَ ابتهج ابتهاجًا عظيما، لأنه كان يتوقُ لأن يراه منذ زمانٍ بعيدٍ، بسبب ما كان يسمعه عنه. وكانَ يَوَدُّ أَن يَرَى إحدى العجائب التى تجرِى عَلَى يَدَيْهِ. فضلاً عن أنه كان يخشاه معتقدًا أنه هو يوحنا المعمدان قد قام من بين الأمواتِ لينتقم منه بعد أَنْ قَطَعَ هو رأسه (مرقس ٦ : ١٦). كما كان

يخشاه بسبب ما كان يبلغ مسامعه من تَزَايُدِ التفاف الشعب حَوْلَهُ، فكانَ يخاف منه على عَرْشِهِ، ولا سيَّما أنَّ اليهود كثيرًا ما حاوَلوا أَنْ يُنَادوا به مَلِكًا عليهم (يوحنا ٦ : ١٥). ولذلك فإنه حين رآه أمامه أسيرًا مُقَيَّدًا بالحِبالِ شَمتَ بِهِ واستخفَّه الفَرَحُ بوقوعه تحت رحمته، وراح يسأله بِكَلَامٍ كثير ينضح بالاستهانة والاستخفاف، ولكنَّ المخلِّص لم يُجِبْهُ بشيءٍ. وكان رؤساءُ الكهنة والكَتَبَةُ واقفين وقد أَخَذُوا يتَّهِمُونَه بِعُنْفٍ، مُرَدِّدين ضدّه المُفْتَرَيَاتِ التى سَبَق لَهُم أن ردّدوها أمام بيلاطس، ومُضِيفين إليها اتهّاماتٍ أُخْرَى تتعلَّق بشريعتهم التى كانَ هيرودس على العكس من بيلاطس يعرفها ويُدْرِكُ من وجهة النَّظَر اليهوديّة خطورتها. وقد اهتمَّ هيرودس على الخصوص باتهامهم إيّاه بأنَّه يقول عن نَفْسِهِ إنَّه مَلِك، فَهَزَأ به من أجل ذلك مع جنوده وسَخِرَ منه، وألبسه ثَوْبًا بَرَّاقًا يشبه ثياب الملوك إمعانًا فى التهَّكُّم عليه، ثم أعادَه إلى بيلاطس دونَ أن يستطيع إثبات أَىِّ تهمة تدينه، فكانَ هذا بمثَابَةِ حُكْمٍ آخَرَ ببراءة فادينا. وقد أصبح بيلاطس وهيرودس صديقين فى ذلك اليوم، بعد أن جَامَلَ كُلٌّ منهما الآخَرَ على هذا النَّحو مُتَخَلِّيًا له عن حَقِّ الحكم فى تلك الدَّعْوَى، وقد كانت بينهما مِنْ قَبْلُ عَداوَةٌ.

٢٣ : ١٣ - ٢٥

ودعا بيلاطس إليه رؤساء الكهنة والعظماء والشعب، وقال لهم «لقد جِئْتُمونى بهذا الرَّجُلِ كَمُفْسِدٍ لِلشَّعْبِ، وها أنا ذا قد استَجْوَبْتُهُ أَمامَكُم فلم يَثْبُتْ لى أَىُّ شرٍّ مِمّاتَتَّهِمونَ بِهِ هذا الرَّجُلِ، ولاثَبَتَ هذا لِهيرُودُسَ أَيْضًا، إذ أعادَهُ إِلَيْنا. فها أَنْتُمْ أُولاءِ تَرَوْنَ أنَّه ما مِنْ شيءٍ يَسْتَوجِبُ الموتَ قد صَدَرَ عَنْهُ، ومِنْ ثَمَّ فإنَّنى سَأَجلِدُهُ ثُمَّ أُطلِقُ سَراحَهُ». وقد كان لِزامًا عليه أن يطلق لهم سراح سجين فى كُلِّ عيد، كما جَرَت بذلك العادة. فَصَرَخُوا جميعًا بِصَوْتٍ واحِد قائلين «بل اصْلِبْ هذا وأَطْلِقْ لنا سَرَاحَ باراباس»، وكان باراباس هذا قد أُلْقِىَ به فى السِّجن بسبب عِصْيانٍ حَدَثَ فى المدينة وَقَعَتْ أثناءه جرائم اغتيالٍ. بَيْدَ أَنَّ بيلاطس، إذ كانَ يرغب فى إطلاق سراح المخلِّص، وقد تأكدت له براءته، ناداهُم مَرَّةً أُخرىَ عَسَى

أن يُقْنِعَهُم بالعُدُول عن اتّهامهم الظالم ورغبتهم الوحشيَّة فى قتل إنسانٍ برىءٍ. ولكنهّم صَرَخُوا قائلين «اصلِبْهُ. اصلِبْهُ». فَقَالَ لَهُم للمرَّة الثَّالِثَةِ «أَىَّ شَرٍّ فَعَل؟ إنَّنى لم أَجِدْ فِيهِ عِلَّةً تَسْتَوْجِبُ الموتَ. لِذَلِكَ فإنَّنى سَأَجْلِدُهُ وأُطْلِقُ سَراحَهُ». فَصَرَخوا بِصَوتٍ عظيم مُصِرِّين على صَلْبِهِ، وقد اشتدّ صَخَبُهُمْ وصَخَبُ رُؤساءِ الكَهَنَةِ. وعندئذ تَغَلَّبَ خَوْفُ بيلاطس من هذا الشعب المشاغِبِ على رغبته فى الحُكم بالعَدْلِ، وفى إنقاذ إنسانٍ برىء يراه سيقع فريسة تعطُّش أولئك المتوحِّشين إلى دَمِهِ، مع أنه كَانَ فى سُلْطانِهِ باعتباره الوالى صاحب السُّلطة السِّيَاسِيَّة والقضائية العُلْيا أن يحكم ببراءته. ومِنْ ثَمَّ قَضَى بإجابتهم إلى طَلَبِهِم، وأطلقَ لهم سَرَاح الرَّجُل الذى أرادوه وهو باراباس الذى كان مسجونًا بتهمة العصيان والاغتيال. وأمَّا فادينا فَسَلَّمَهُ إليهم كما أرادوا، فأخذوه ليصلبوه.

٢٣ : ٢٦ - ٣١

وكانت العادة قد جَرَت على أن يحمل المحكوم عليه بالصَّلْبِ صَلِيبَهُ مارًّا بِهِ فى شوارع أورشليم إلى الموضع المخصَّصِ لتنفيذ الحكم عليه خارجَ أسوارِهَا، تشهيرًا بِهِ، وإذلالاً له، وإمعانًا فى تعذيبه. وقد حَمَلَ فادينا صليبه الذى كان ثقيلاً جِدًّا. وإذ كان قد أرهقه ما كابَدَهُ طولَ اللَّيْلِ من ضَرْبٍ وَلَطْمٍ وَرَكْلٍ وَجَلْدٍ وغير ذلك من ألوان التنكيل والإهانة والهزْءِ والسُّخْرِية، فَضْلاً عَمَّا عاناه من صراعٍ فى بستان جثسيمانى، لم يَعُد قادرًا عَلى حَمْلِ ذلك الصَّليب. فكان لا يفتأ يسقط تحت وطأته. وإذ كان أعداؤه يتعجَّلون قَتْلَهُ، ولَعَلَّهُم خافوا كذلك من أن يموت تحت عِبءِ الصليب قبل أن يرفعوه عليه ويُشْبِعُوا نُفُوسهم الخبيثة الحاقدة الشِّرِّيرة المتوحِّشَة المتعطِّشَة إلى الدِّماءِ من أن تَتَلَذَّذَ برؤيته وقد نَزَفَ دَمُهُ وتحطَّمَ عَظْمُهُ واشتَدَّ أَلَمُهُ وجلَّلَهُ العار الذى يجلِّل كُلَّ مصلوبٍ. ففيما كانوا يسوقونه إلى الخارِجِ أمسَكُوا رَجُلاً قيروَانيًّا، أى من القيروان إحدى مُدُن ليبيا، يُسَمَّى سمعان، وكان آتيًا مِنَ الحقل، وَوَضَعُوا عليه الصَّليب ليحمله خَلْفَ مُخَلِّصِنا الحبيب. وتبعه جَمْعٌ عظيمٌ من الشَّعْبِ، كما تَبِعَتْهُ نِسْوَةٌ كُنَّ يَنْدُبْنَ وَيَنُحْنَ عليه، وقد أَشْفَقَت قلوبهنَّ الرَّقيقةُ

على ذلك الإنسانِ الوديعِ النبيلِ البرىءِ الذى يسوقونه كالشَّاةِ تُسَاقُ إلى الذَّبح.
فالتفت الربُّ يسوع إليهن وقال لهن «يابَنات أُورشَليمَ لا تَبْكِين عَلىَّ، بل ابكِينَ عَلَى أنْفُسِكُنَّ وَعَلى أبنائِكُنَّ، لأنَّه هِيَ ذِى أيامٌ تأْتِى سَيقولونَ فيها ما أَسْعَدَ العَواقِرَ والبُطونَ الّتِى لم تَلِدْ والثُّدِىَّ الّتِى لم تُرضِعْ. عِندَ ذاكَ يَبْتَدِئونَ يَقولونَ للجِبالِ اسقُطِى عَلَيْنا وللآكامِ غَطِّينا. لأَنَّهُمْ إنْ كانُوا يَفْعَلونَ هَذا بالعُودِ الرَّطْبِ، فَكَمْ بِالأَحْرَى يَفْعَلُونَ باليابِسِ؟». وكان سَيِّدنا له المجد يتنبأ فى عبارته هذه بما سَيَلْحق بأورشليم وكُلّ البلاد اليهوديَّة عَلى يَدِ الرُّومان من خرابٍ قريب، وما سيقع لليهود عند ذاك من مذابح رهيبة تسيل فيها الدِّماء كالأنهار، وتتكدَّس جثث مئات الألوف من القَتْلى فى كُلِّ مكان، فتصير مأْكلًا لوحوش الأرْض وطيور السَّماءِ. ويفزَعُ الناس أمام هذه الأهوال فيتمنَّون لو لم يولَدوا لِئلَّا يكابدوها، ويشتهون أن تقع الجبال عليهم ليختبئوا فى كهوفها، وأن تسقط الآكام عليهم لتغطّيهم وتخفيهم عن أَعْينِ أعدائهم الذين يسعون خَلْفَهُم بالسيوف ليقطعوا رقابهم. لأنه إن كان المسيح البرىء البارّ الذى يشبه العُود الرَّطْبَ النَّضِير المثْمِرَ قد لَحِقَ به من العَسْفِ والعذاب ما لَحق به، فكم بالأحرى يلحق باليهود الأشرار الجائرين الفُجَّارِ الذين يشبهون العُود اليابِس الذى لا نضرة فيه ولا ثَمَرَة له ولا يَصْلُح إلَّا وَقُودًا للنار، جزاء لهم أمام العدالة الإلهيَّة على شَرِّهِم وجورِهِم وَفُجُورِهِم.

٢٣ : ٣٢ - ٤٣

وإمعانًا فى النِّكاية بمخلِّصنَا والتشهير بِهِ ومحاولة إظهارِهِ بمظهر المجرمين الخطرين، جاء اليهود باثنين من المجرمين ليقتلوهما معه. فلَمَّا بَلَغُوا المِوضِع المُسَمَّى الجُمْجُمَة، أو باللغة العبرية الجَلْجَلْثَا (مرقس ١٥ : ٢٢)، وهو المكان الذى يعتقد البعضُ أن جمجمة أبينا آدم مدفونة فيه، صلبوا مُخَلِّصَنا هناك، وصلبوا معه المُجْرِمَين، أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، وهو فى الوَسَطِ كأنه هو الأشدُّ خَطَرًا والأكثر إجرامًا. وعندئذ قال المُخلِّص «يا أَبَتاهُ اغفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لا يَدْرُون ما هُمْ فاعِلُونَ»، فَضَربَ لَهُ المَجْدُ بذلك المَثَل الأَعْلى فى التَّسَامُح والغفران بصورةٍ

لا مثيل لها فى تاريخ البَشَر، ولا يمكن أن يتصوَّرها أو يقدر عليها بَشَر، إلا الفادى وحده، والقديسون الذين تعلَّموا منه وتمثَّلوا بِهِ وعملوا بمقتضى وصاياه السَّمَائية السَّامية التى يقول فيها «أَحِبُّوا أَعْداءَكُمْ، بارِكُوا لاعِنيكُمْ، أَحْسِنُوا إلى مُبغِضيكُمْ، وَصَلُّوا مِنْ أَجْلِ الذّينَ يُسيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَضْطَهِدُونَكُمْ» (متى ٥ : ٤٤)، ويقول فيها «إنْ غَفرتُم للنَّاسِ زَلَّاتِهم، فإنَّ أَباكُمْ السَّماوِىَّ يَغْفِرُ لَكُمْ أَنتُمْ أيضًا زَلَّاتِكُمْ. أَمَّا إِنْ لم تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلَّاتِهِم فَلَنْ يَغفِرَ لَكُمْ أَبوكُمْ زَلَّاتِكُمْ» (متى ٦ : ١٤ و ١٥). فالقديس اسطفانوس رئيس الشمامسة وأَوَّل الشُّهدَاءِ رَجَمَهُ اليهود بسبب شهادته للرب يسوع. ومع ذلك «جَثَا على ركبتيه وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عظيم : يارَبُّ لا تَحْسُبْ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الخَطِيئَةَ» (الأعمال ٧ : ٦٠) وقد كان هذا أبلغ بُرْهَانٍ عَلى أَنَّ فادينا ومُخَلِّصَ نُفوسِنا لم يكن يطلب من النَّاس إلا ما يفعله هو نفسه، ولو كان أَعْسَرَ الأمور على النفس، وأَكثرها احتياجًا إلى قُوَّةِ الإرادة وضَبْطِ النفس والتَّسامى إلى أَعْلى دَرَجَات الكمال.

أَمَّا الذين صَلَبُوا سَيِّدنا فبينما كان هو يعانى أشدّ ألوان العذاب والعار على الصَّليب، أَخَذُوا هُمْ يُرَفِّهون عن أنفسهم ليقطعوا الوقت بأن راحوا يقتسمون ثيابه ويقترعون على ما لا يمكن قِسْمَتُهُ منها، فَتَحقَّقَت بذلك نبوءة داود النبىّ التى يقول فيها على لِسَان مُخَلِّصِنَا «يَقْتَسِمونَ ثِيابِى بَيْنَهُم وَعَلى لِباسى يَقْتَرِعُونَ» (المزمور ٢١ : ١٨).

ووقَفَت جموعُ اليهود تنظر إلى البارّ المصلوب فى استخفاف وفُضُول، وَرُبَّما فى حِقْدٍ وشَمَاتةٍ، وكأَنَّهُم لم يستقبلوه منذ أيَّامٍ قليلةٍ استقبالَ الملوكِ على أبواب أورشليم، هاتفين «المَجْدُ لِمُخَلِّصِنا ابنِ داوُدَ. مُبَارَكٌ الآتى باسمِ الرَّبِّ. المَجْدُ لِمُخَلِّصِنا فى الأَعالى» (متى ٢١ : ٩). فياله من شَعْب مُذَبْذَبٍ مُتَقَلِّبٍ، متمرِّس على الخيانة والغدر، ينقلبُ بين عَشِيَّة وضحاها من النقيض إلى النقيض، وَيُعَادِى اليَوْمَ من أَحَبَّهُ بالأمس، ويكْفُرُ فى المساء بمن آمَنَ بِهِ فى الصَّباح، لأنَّه لم تكن تُوَجِّهه نعمة الله الذى لم يَعُدْ يَعْرِفُهُ، وإنَّما توجِّهُهُ إرادة الشيطان الذى أصبح مُتَسَلِّطًا عليه.

كما وقَفَ رؤساءُ الكهنةِ وأعضاء مجلس السنهدريم يهزأون بالقُدُّوس البَارِّ قائلين «قد خَلَّصَ آخَرِينَ، فَلْيُخَلِّصْ نَفْسَهُ إِنْ كانَ هُوَ ابنَ اللّهِ المختارَ». ولو كانَ أولئك المتفقِّهون فى الشريعة اليهودية يعرفون شريعتهم حَقَّ المعْرِفَةِ ويَفْهَمُونَ نبوءات أنبيائهم الفَهْمَ الصحيح، لأدركوا أنَّ هذا الذى صَلَبُوهُ ووقفوا الآن يهزأون بِهِ قَادِرٌ فِعْلاً عَلى أن يُخَلِّصَ نَفْسَهُ لَوْ أراد لأنه هو المسيح ابن الله القادر على كُلِّ شيءٍ، ولكنه لا يريد ذلك لأنَّه ما جَاءَ إلى العَالَمِ إلاَّ لِيُقَدِّمَ نَفْسَهُ ذبيحة لمغفرة خطايا البَشَرِ، ومِنْ ثَمَّ أَسْلَمَ نفسه بإرادته ومحض اختياره إلى جَلاَّديه ليسفكوا دَمَه تحقيقًا لهذه الغاية. وقد قال له المجد قبل أن يصلبه اليهود «وسأبذلُ نفسى عَنْ خِرافى.. لِذَلِكَ يُحِبُّنِى أبى، إذ أبذل نفسى، كى استردَّها. ما من أَحَدٍ ينتزعها مِنِّى، وإنَّما أَبذُلُها أنا وحدى مِن ذاتِى. فلى سُلْطانٌ أن أبذلها، ولى سلطان أن استردَّها» (يوحنا ١٠ : ١٥ - ١٨) كما قال «ما مِن حُبٍّ أَعْظَمُ من أن يَبْذُلَ أَحَدٌ نَفْسَه عن أَحِبَّائِهِ. وأنتم تكونون أحِبَّائِى» (يوحنا ١٥ : ١٣ و ١٤). ولكن أولئك الرُّؤساء والفقهاء الأغبياء قَدْ عَمِيَتْ عن هذه الحقيقة أبصارهم وبصائرهم، وقد انْصَبَّ كُلُّ تفكيرِهم وتَدبيرِهم عَلى الخَلاص من هذا الذى خافوا منه على مناصبِهِم ومكاسِبِهِم، حتى إذا وَقَعَ فى أيديهم نسوا وَقَارَ شيخوختهم وهَيْبَةَ وظائفِهِم ووَقَفُوا أَمامَ صليبِهِ المُعَلَّقِ عَلَيْهِ ليشفوا غليلهم برؤيته مُثْخَنًا بالجِرَاحِ ممَزَّق اللَّحْمِ محَطَّمِ العَظْمِ مجَلَّلاً بالعار.

وكذلك الجنود المُكَلَّفون بِحِرَاسَتِهِ كانوا يَسْخَرُون منه، وقد دنوا منه وقدَّموا له فى عَطَشِهِ بَدَلَ الماءِ خَلاًّ، ليزيدوا فى إيلامِهِ وتعذيبه، لأنَّ الخَلَّ لا يَـرْوِى من عَطَشٍ وإنما يزيد العطشان ظمأ. فتحقَّقت بذلك نبوءة داود النبيِّ التى يقول فيها على لِسَان مُخَلِّصِنَا «فى عَطَشى يسقونَنِى خَلاًّ» (المزمور ٦٨ : ٢١). وقد فَعَلُوا ذلك وَهُمْ يُرَدِّدون كَـلاَمَ رؤسـاءِ اليهــود وكهنتهم قـائلين لــه «إِنْ كُنْتَ أنتَ مَلِكَ اليهــودِ فَخَلِّصْ نَفْسَكَ». وَلَمْ يَقُلِ الإنجيل للقِدِّيس لوقا ما إذا كان السَّيِّد قد شَرِبَ الخَلَّ الذى قَدَّموه له، ولكنَّ الإنجيل للقِدِّيس مَتَّى يقول «حَتَّى إذا بَلَغُوا مَوْضِعًا يُسَمَّى الجُلْجُثَةَ، أَىْ مَوْضعَ الجُمْجُمَةِ، أَعْطوهُ خَمْرًا ممزُوجَةً بِمَرارةٍ لِيَشْرَبَ، فَلَمَّا ذَاقَها أَبَى

أن يَشْرَبهَا » (متى ٢٧ : ٣٣ و ٣٤). كما يقول الإنجيل للقِدِّيس مرقس « وَأَعْطَوهُ خَمْرًا مَمْزُوجَةً بالمُرِّ، وَلَكِنَّهُ لم يَأْخُذْها » (مرقس ١٥ : ٢٣). في حين يَذْكُرُ الإنجيل أيضًا أَنَّ الرَّبَّ يسوع عندما صرخ وهو على الصليب قائلاً « إِيلِى إِيلِى لَمَا شَبَقْتَنِى ؟ » أى « إِلَهِى إِلَهِى لماذا تَخَلَّيْتَ عَنِّى ؟ »، . . « على الفَوْرِ جَرَى واحِدٌ مِنْهُم وَأَخَذَ إسفَنْجَةً وَمَلأَها خَلاًّ وَوَضَعَهَا على قَصَبَةٍ وَسقاهُ » (متى ٢٧ : ٤٦ - ٤٨) وكذلك (مرقس ١٥ : ٣٤ - ٣٦). ويقول الإنجيل للقدِّيس يُوحَنَّا « وَبَعْدَ ذَلِكَ رَأى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيءٍ قد اكتمَلَ، فَلكَىْ يَتِمَّ قولُ الكتاب قَالَ « أنا عَطْشانٌ ». وكَانَ ثَمَّةَ إِناءٌ مَوْضوعٌ ممتلئٌ خَلاًّ، فَمَلأُوا إِسْفَنْجَةً بالخَلِّ وَرَفَعوها على قصبة من الزوفاء وأدنوها من فَمِهِ. فَلَمَّا ذاق يَسُوعُ الخَلَّ، قَالَ : قدْ تمّ كل شيء » (يوحنا ١٩ : ٢٨ -٣٠).

والواضح من النُّصُوص المُتَقَدِّمِة معًا، أَنَّ الذين صلَبُوا سَيِّدنَا الربَّ يَسُوعَ قَدَّموا له الخَلَّ مَرَّتين (١) ففى المَرَّة الأُولىَ كان الخلُّ ممزوجًا بمَرارَةٍ أو بمُرٍّ. وأما فى المَرَّة الثانية فَكَان الخلُّ صِرفًا (٢) وفى المرَّة الأولى ذَاقَ الرَّبُّ وَأَبَى أَن يَشْرَبَ، وأما فى المرة الثانية فَقَد شَرِبَ. (٣) وفى المرَّة الأولى قَدَّموه إليه قُبَيْلَ تعليقه على الصليب، وأمَّا فى المرَّة الثانية فَقَدَّموه إليه وهو مُعَلَّقٌ عَلىَ الصَّليبِ، بعد أن قال « أنا عَطْشان ». والمعروف أَنَّ الخَلَّ المزوج بِالمرِّ كان يُعطَى للمصلوبين قُبَيْل الصَّلْبِ كَمُخَدِّرٍ يخفِّف عنهم آلاَمَ الصَّلبِ. وَأَمَّا مُخَلِّصُنَا « فَلَمَّا ذاقَها أَبَى أَنْ يَشْرَبَهَا » لأنه أَرادَ أن يحتَمِلَ الأَلَمَ كامِلاً. وَأَمَّا فى المرَّة الثَّانية فكَانَ إعطَاؤه الخَلَّ وهو على الصليب، إمعانًا فى تعذيبه، حتى يَزداد عَطَشُه مع أنه قال « أنا عطشان ». ولقد شَرِبَ الرَّبُّ مع ذلك لِيُبَرْهِنَ عَلى أنه لم يرفض الأَلَم، بل لَقَد شَرِبه كاملاً حَتَّى الثُّمالة. والغريب العجيب حقًّا أنَّ المسيح الفادى مع أَنَّ الماءَ قَدْ جَفَّ من جِسْمِهِ بِفِعْلِ الصِّراع فى بستان جثسيمانى حتى صَارَ عَرَقُهُ كقطرات الدَّمِ يتساقط على الأَرْضِ ، وبِفِعْلِ الضَّرْبِ عَلى جَسَدِه، والجَلْدِ على ظَهْرِهِ، وبِفِعْلِ حَمْلِ الصليب الثقيل، ثم دق المسامير فى يَدَيْهِ وَقَدَمَيهِ، ونَزْفِ الدَّمِ مِن جَسَدِه فى الخارِجِ والدَّاخِلِ، ولكنه مع كُلِّ ذلك بَعْدَ أَنْ ماتَ جَرَى منه دَمٌ وماء، إذ جاء فى الإِنجيل للقدِّيس يوحنا « وأما يسوعُ فلمّا جاءُوا إليه وَجدُوه قد ماتَ . . إلا أَنَّ واحِدًا من

الجُنْدِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ، فخرج منه على الفور دم وماءٌ» (يوحنا ١٩ : ٣٣ و ٣٤). فَوَاقعة خروج الماء والدَّم هذه عندما طعنوا جنب الرَّبِّ يَسُوع بعد موته لا يمكن تفسيرُها أو فهمُها طبيعيًّا، لأنها معجزة خارقة فوق الطبيعة لا يُفَسِّرها إلَّا وجود اللاهوت مُتَّحدًا بالنَّاسوت حتى بعد الموت. ولـذلك فقـد كان السيـد المسيح هـو المرموز إِلَيْهِ بالصَّخْرَةِ التى ضَرَبَهَا مُوسَى النَّبىُّ فى حوريب فَنَبَع منها ماءٌ على غَيْرِ قانون الطبيعة. وكان الربُّ قد قال لموسى «فتضرب الصخرة فيخرُج منها ماء» (الخروج ١٧ : ٦) وجاء فى سِفْر التثنية «الذى أَخْرَجَ لَكَ ماء من صخرة الصَّوَّان» (التثنيـة ٨ : ١٥). وقد وَرَدِ هـذا المعنى أيضًا فى (سفـر العـدد٢٠ : ١١)(المـزمـور ٧٧ : ١٥ و١٦ و ٢٠)؛ (١٠٤ : ٤١)؛ (١١٣ : ٨)؛ (نحميا ٩ : ١٥)؛ (إشعياء ٤٨ : ٢١). وأما العهد الجديد فيقول صَرَاحة إن «الصخرة كانت المسيح» (١. كورنثوس ١٠ : ٤).

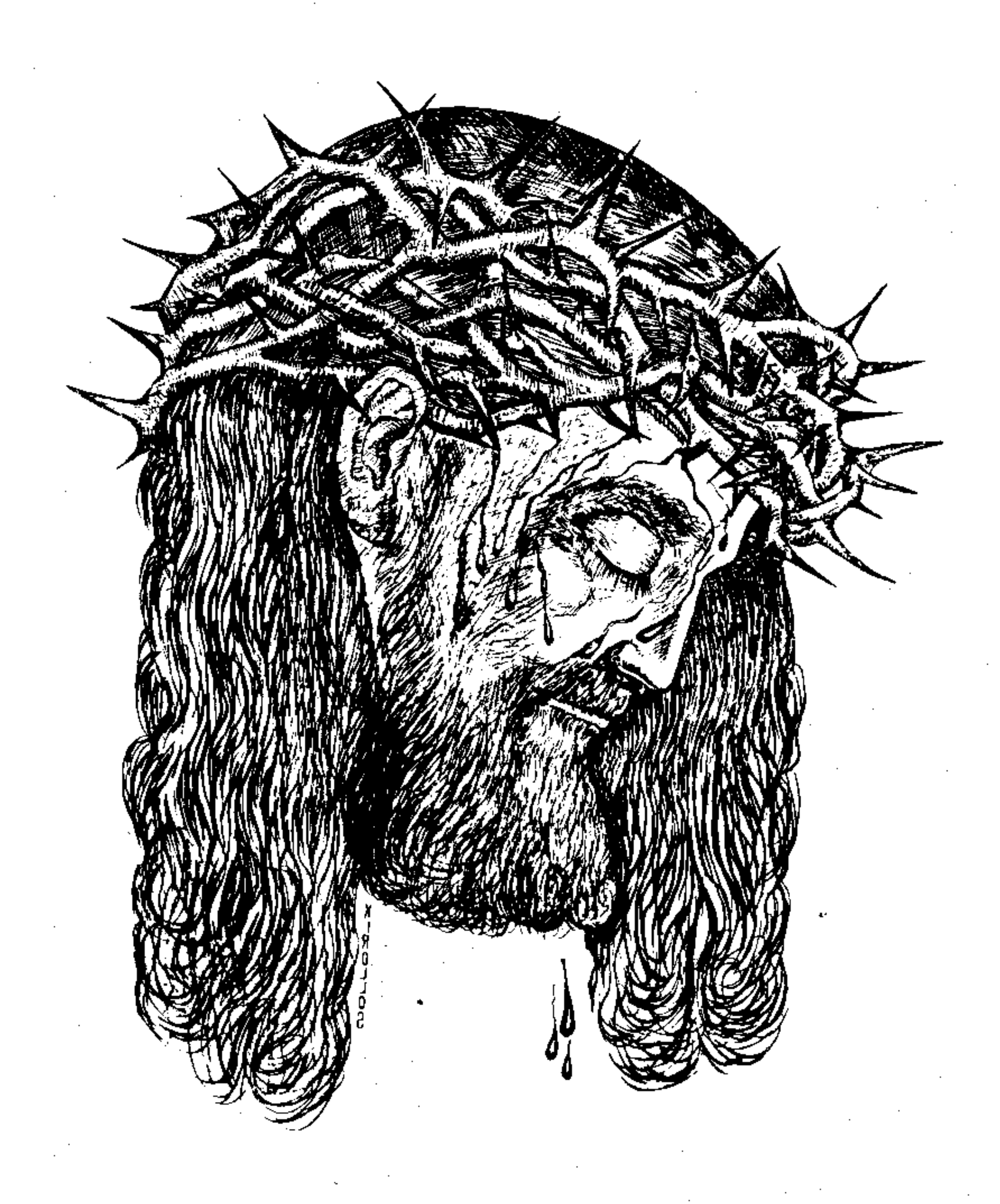
وكان ثَمَّةَ لافتةٌ موضوعة فَوْقَ رأسِ فادينا وهو معلَّق على الصَّليب أَمَرَ بِوَضْعِهَا بيلاطس البُنطى (يوحنًا ١٩ : ١٩)، وَقَد كتب عليها بالعبرانية واللاتينية واليونانية «يسوعُ الناصرىُّ مَلِكُ اليهودِ». وكانت العادة قد جَرَتْ على تعليق لافتة فَوْقَ رأس كُلِّ مصلوب تتضمَّن تهمته. وإذ كان بيلاطس غير مقتنع بالتُّهْمَةِ التى وجَّهها اليهود إلى مُخَلِّصِنَا والتى قَتَلوه من أجلها وهى قَوْله عن نَفْسِهِ إِنَّهُ مَلِكُ اليهود، كتَبَ هذه العبارة لِيَسْخَرَ من اليَهُود، ولم يَكُنْ يَدْرِى أنَّه بذلك قد قَرَّر الحقيقة الأزَلِيَّة التى تتضمَّن أَنَّ هذا المصلوب هو مَلِكُ اليَهُودِ بالفِعْل، وَمَلِكُ البَشَرِ جميعًا، وَإِنْ يَكُن مَلَكُوتًا سَمَاوِيًّا لا يحيط به زَمَن ولا تحدُّه حدود.

وأخذ أحد المجرمَيْن المصلوبَين معه يُجَدِّف عليه قائلاً «أَلَسْتَ أنتَ المسيحَ ؟ إذَن خَلِّصْ نَفْسَكَ وَخَلِّصْنا». وقد دلَّلَ ذلك المجرم بذلك على أنه عريق فى الإجرام وغِلْظَةِ القلب، لأنَّ الشُّركاء فى المحنة يعطفون بعضهم على بعض. وأما هذا فقد كانَ سفيهًا سليط اللسان حتَّى مع ذلك الذى كانَ يراه مُعَذَّبًا مثله، مسفوكَ الدَّم، مُثْخَنًا بالجِرَاحِ. وَمِنْ ثَمَّ أجابه اللصُّ المصلوب على الجانب الآخر من مُخَلِّصنا قائلاً «أَمَا تخافُ اللّهِ، وَأَنْتَ نَفْسُكَ تَحْتَ هذا القِصاصِ بِعَيْنِهِ؟ نَحْنُ بِعَدْلٍ

جُوزِينا لِأَنَّنا نَنالُ جَزاءَ أَعْمالِنا. أَمَّا هَذا فَلَمْ يَفْعَلْ سُوءًا». وفى هذه اللحظة انفتح قَلبُ ذلك اللِّصِ للإيمان بمُخَلِّصِنا، على الرَّغم مِمَّا كان فيه له المجدُ مِنْ عَذابٍ وَهَوان، فالتفَتَ إليه وقال له «أذْكُرْنِي يارَبُّ مَتَى جِئْتَ فى مَلَكُوتِكَ». فقَال له مُخَلِّصُنا «الحَقَّ أقولُ لَكَ إنَّكَ اليَوْمَ تَكونُ مَعِى فِى الفِرْدَوسِ». وهكذا نَالَ ذلك اللِّصُّ الخاطِئُ بإيمانِهِ غُفْران خطاياه واستحقاقه لفردوس النَعيم فى آخِرِ لحظة من حَياتِهِ، مِمَّا يَدُلُّ على أَنَّ باب الخلاص مفتوح أَمامَ كُلِّ إنسان إذا آمَنَ بالرَّبِّ يسوع، ولو كان ذلك وهو يجود بآخِرِ أنفاسِهِ.

وَيَدُلُّنا التقليد الكَنَسِيّ عَلى أَنَّ اللِّص صاحب القلب الرّقيق الذى آمَنَ بالمسيح المصلوب وهو عَلى عُودِ الصَّليب، وتاب تَوْبَةً نصوحًا، وأعلن إيمانه بالمسيح مَلِكًا وَرَبًّا وإلهًا، وأنَّه سيأتى فى مجيئه الثَّانى دَيَّانًا، ولذلك سأله أن يكون مَقْبُولاً فى مَلَكوتِهِ الآتى، هو اللِّص اليمين الذى كان إلى ناحية الجَنْب الإِلَهِيّ الذى طعنه أحدُ الجنود بِحَرْبَةٍ فَجَرَى منه دَمٌ وماءٌ (يوحنا ١٩ : ٣٤). كما وَصَلَ إلينا من التَّقليد المُدَوَّن فى كتب الكنيسة أن اسم ذلك اللص اليمين هو «ديماس»، لأنه بالطَّبع كان معروفًا به فى وقتِهِ. وَلَقَد نَالَ هذا اللِّصُّ الخَلاَصَ بإيمانِهِ بالمسيح الرَّب وبموته معه. فكان موته مع المسيح معموديَّة له، وقد ذكر الوحى الإلهى هـذا النوع من المعمودية فى الرسالة إلى أهل روما إذ قال لهم «أم تجهلون أن كُلَّ مَن اعتَمَدَ مِنَّا بالمسيح يسوع اعتمد لموته، فَدُفِنَّا معه بالمعمودية للموت» (رومية ٦ : ٣ و٤). وهذه هى معمودية الدم، أو معموديَّة الشهادة، وهى فى الحقيقة المعمودية الأُولى، لأَنَّ المعمودية فى مفهومها الأصيل هى موت مع المسيح، وهى دَفْنٌ مَعَهُ، وقيامة به ومعه، وفى ذلك جاء فى الرسالة إلى أهل كولوسى «مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أيضًا أُقِمتُم معه بالإيمان بعمل الله» (كولوسى ٢ : ١٢).

وقد قال الرَّبُّ لِلِّصِّ اليمين «إنك اليومَ تَكونُ مَعِى فى الفِرْدوسِ»، وهذه هى أَوَّل مَرَّة يَرِد فيها ذِكْرُ الفِردوسِ بَعْدَ أَنْ ظلَّ مُغْلَقًا فى وجه الإِنسانِ آلافًا من السنين منذ أَنْ سَقَطَ أَبَوانا آدم وَحَوّاء فى الخطيئة، فَطَرَدَ الرَّبُّ الإِنْسانَ – كما جاء

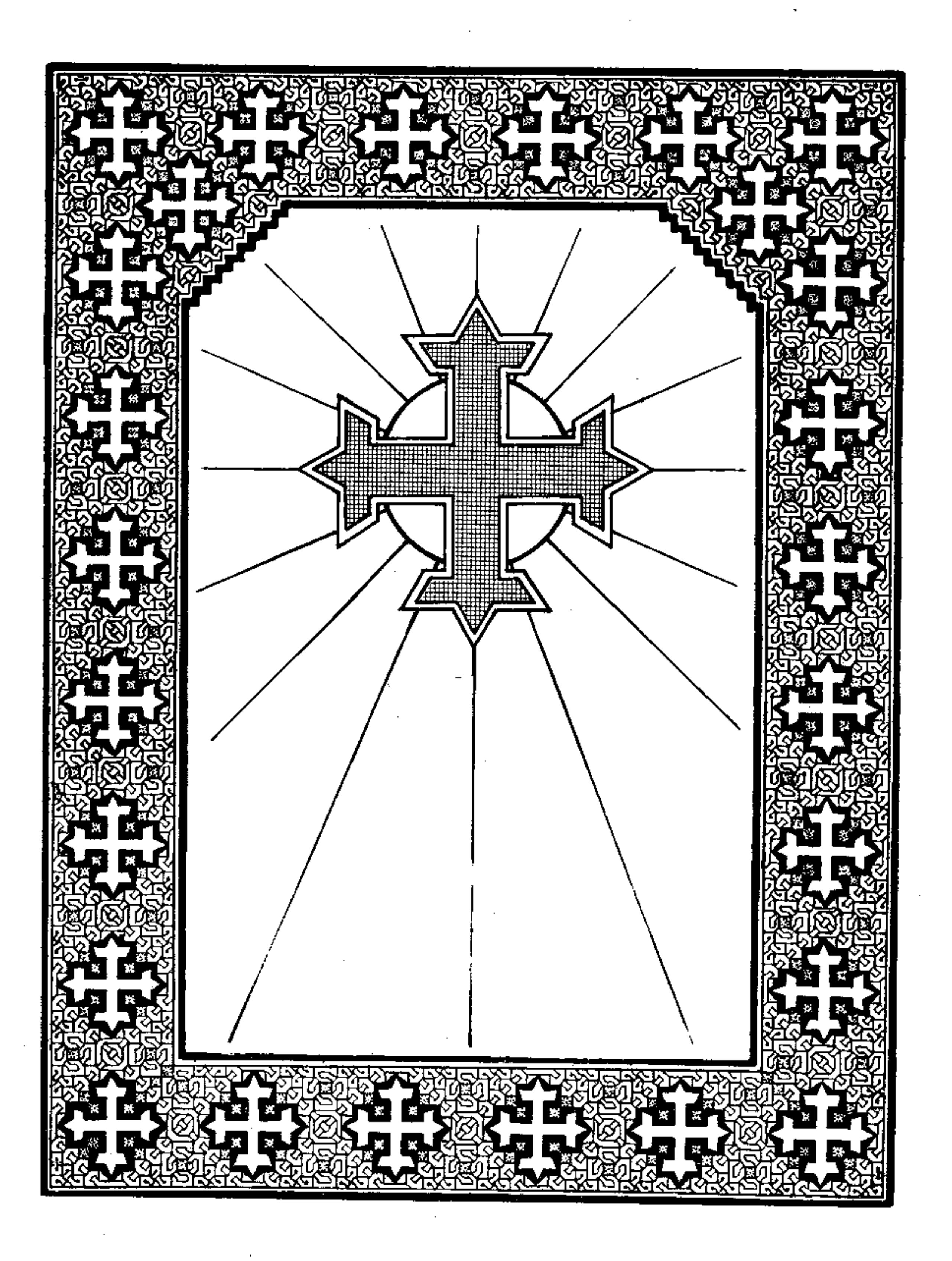


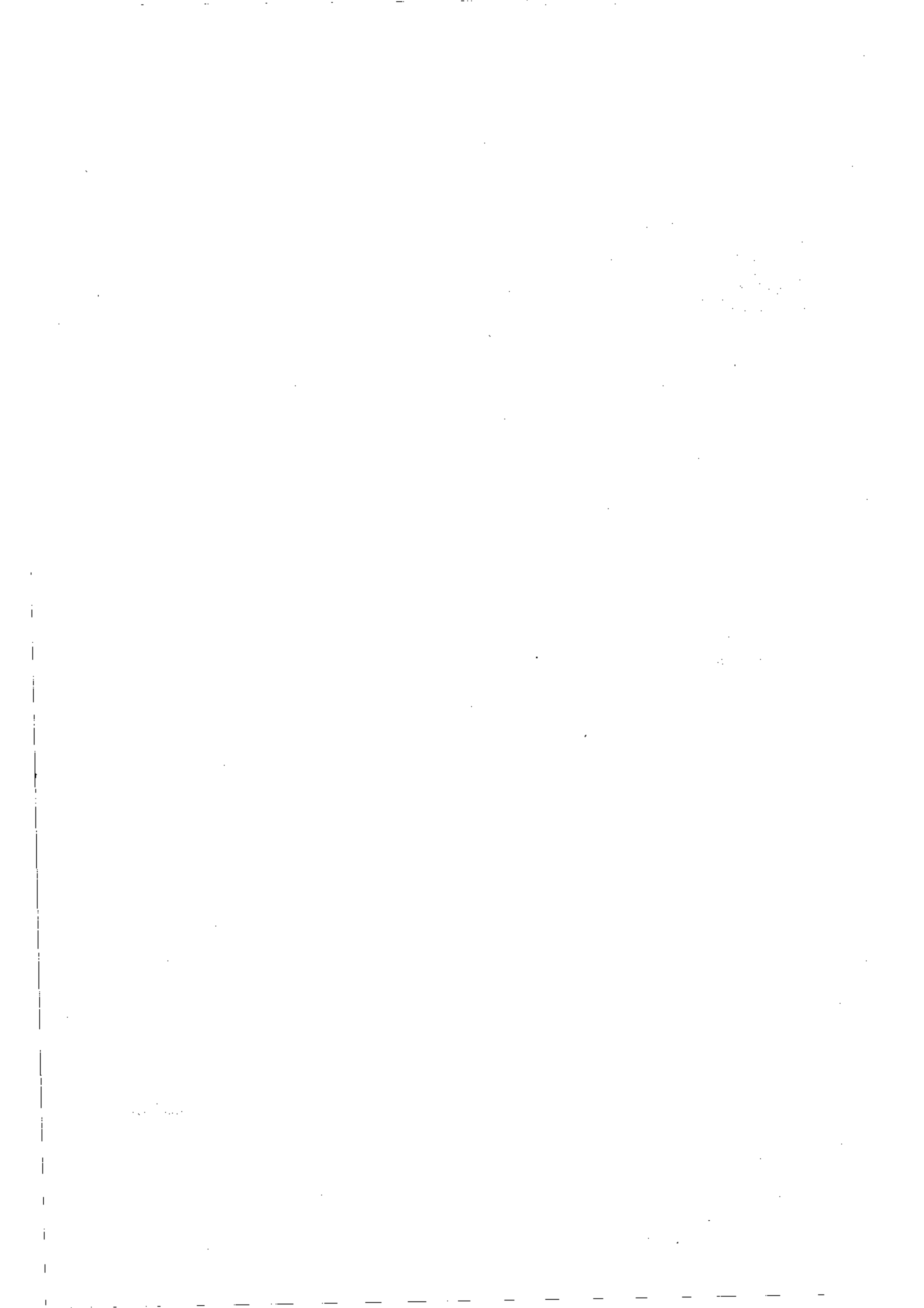
« آلام المسيح »

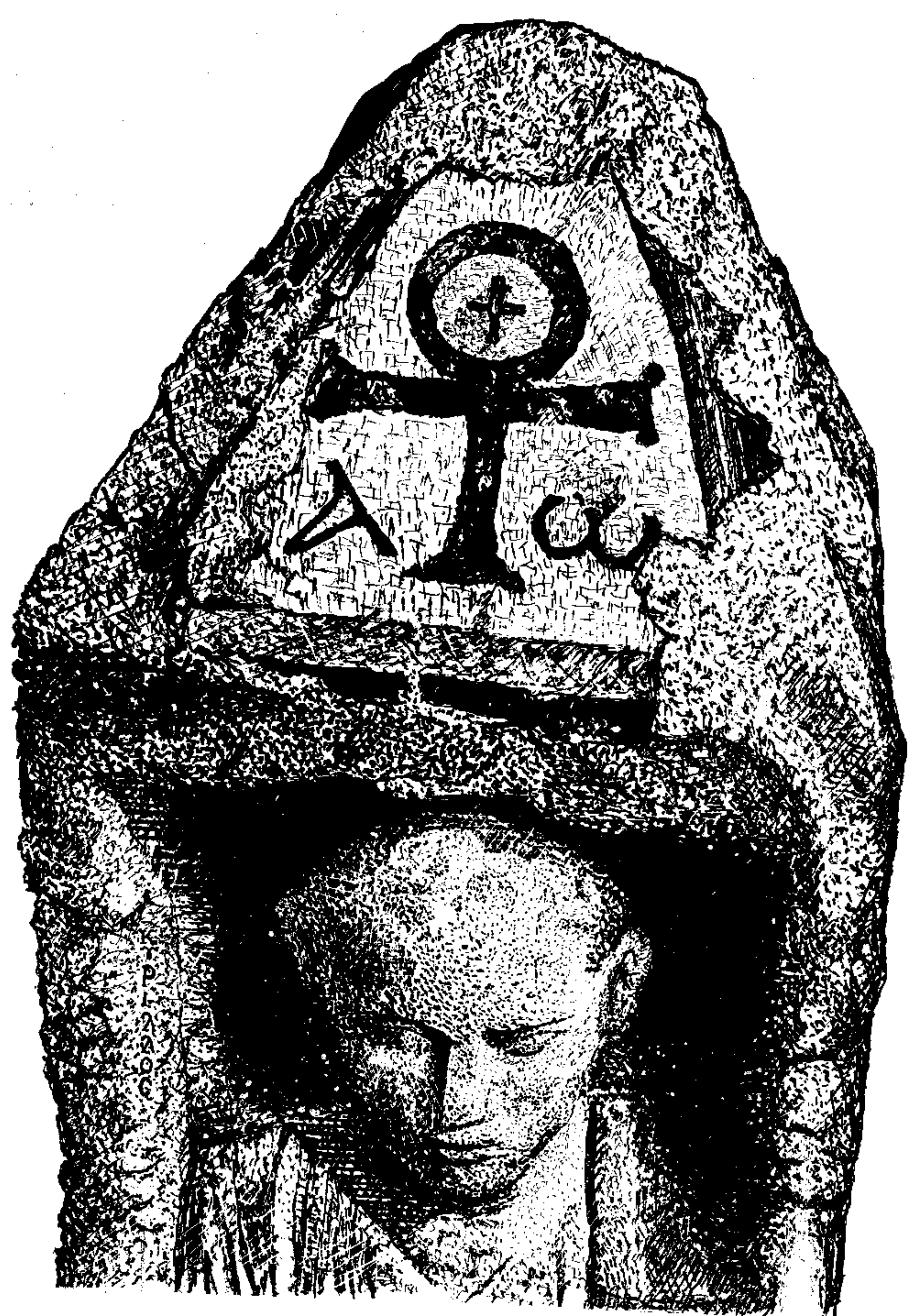
فى سِفر التكوين - وأقام شرقىّ جنّة عدن الكروبيم ولهيب سَيْفٍ متقلّبٍ لِحراسة طريق شجرة الحياة (التكوين ٣ : ٢٤). ومعنى هذا أنَّ السَّيِّدَ المسيح قد فَتَحَ بِصَلْبِهِ ومَوْتِهِ بَابَ الفردوس، فَكانَ الصليب هو «مفتاح الحياة». ولذلك صَارَ الصليب «عَلامَة المسيح» (مَتَّى ٢٤ : ٣٠)، وشعار المسيحيين فى كُلِّ العصور. وبانفتاح الفردوس دَخَلَ إليه جميعُ الذين كانوا محبوسين فى الجحيم. وبذلك ردّ المسيح أبَانَا آدم وبنيه إلى الفردوس. فيقول الوَحْىُ الإلهى «فإنَّ المسيح أيضًا مَاتَ مَرَّةً واحِدَةً من أجل الخطايا. البارُّ من أَجْل الأَثَمَة، لكى يُقَرِّبنا إلى الله مُمَاتًا فى الجَسَدِ ولكن مُحْيَى فى الرُّوحِ فانطلق فى الروح يبشر الأرواح السجينة» (١. بطرس ٣ : ١٨ و١٩). ويقول كذلك «نَزَلَ أيضًا أَوَّلاً إلى أسافل الأَرض».. «سبى سبيًا وأعطى الناس عطايا» (أفسس ٤ : ٩ و٨). وقال الرَّبُّ بِفَمِ زَكريّا النبى «وأنتِ أيضًا فَإِنّى بدَمِ عَهْدِكِ قد أَطْلَقْتُ أَسْرَاكِ من الجُبِّ الذى ليس فيه ماء. ارجعوا إلى الحصن يا أَسْرَى الرَّجاءِ» (زكريا ٩ : ١١ و١٢) كما قال الرب بِفَمِ إشعياء النبى إنه أخرج «من الحبس المأسورين. من بيت السِّجن الجالسين فى الظُّلمة» (إشعياء ٤٢ : ٧) - «قائلاً للأَسْرَى اخْرُجوا» (إشعياء ٤٩ : ٩)؛ (٥١ : ١٤)؛ (٦١ : ١)؛ (لوقا ٤ : ١٨).

وتسجيلاً لهذه الحقيقة غَيَّر الأقباط بعد أن اعتنقوا العقيدة المسيحية، تاريخ شم النسيم - وهو عيد الرّبيع - فجعلوه يأتى دائمًا فى اليوم التالى لعيد القيامة المجيد، وأصبح خروجهم فيه إلى الحدائق العامَّة مظهرًا لابتهاجهم بعودة المَفْديينَ بِدَمِ المسيح إلى الفردوس.

فمنذ اللحظة التى مـاتَ فيها السيِّـد المسيح عَـلى الصَّليب، وأسلم الرّوح (متى ٢٧ : ٥٠)؛ (مرقس ١٥ : ٣٧)؛ (لوقا ٢٣ : ٤٦)؛ (يوحنا ١٩ : ٣٠) نزل إلى عَالَم الأرواح السُّفلى (أَفَسس ٤ : ٩)، أى إلى الحبس أو الجحيم (١. بـطرس ٣ : ١٩)، واقتحم الجحيم فَأَنارَ عـلى الجاسـين فى الظُّلْمـة وظِلاَلِ المـوت. وهذا هـو السبب فى تسمية يوم السبت الكبير بيوم «سَبْتِ النُّور» لأن المسيح لـه المجد نـزل







« الصليب رمز الحياة »

فيه إلى الجحيم، فأنار عَلى سُكّانِه هؤلاء الذين نَظَرُوا المواعد عن بُعْد وَصَدَّقُوها وَحَيَّوها (العبرانيين ١١ : ١٣)، وإلى ذلك أشار الرَّبُّ فقال بِفَم إشعياء النبيِّ «الشَّعْبُ الجالِسُ فى الظُّلْمَةِ أبْصرَ نورًا عظِيمًا. والجالِسونَ فى أرْض الموت وظلاله أشرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ» (إشعياء ٩ : ٢)؛ (متى ٤ : ١٦).

وكذلك يُسَمّى يوم السبت الكبير بِسَبْتِ الفَرَح، نظرًا لِفَرَح القدّيسين الذين فى الجحيم بإتمام الخَلَاص الذى كانوا يترقّبونه، ذلك الفرح الذى أشار إليه رب المجد إشارة مباشرة وصريحة إذ قال لليهود «لقد تهللَّ إبراهيم أبوكم مشتهيا أن يَرَى يومِى، وقد رأى وفَرِح» (يوحنا ٨ : ٥٦). أما بالنسبة لتلاميذ السيِّد المسيح فقد كان يوم السبت هذا يوم حُزْنٍ عظيم قضوه فى يأس وأسى، وفى رُعب وخوف من اليهود (يوحنا٢٠ : ١٩). ولذلك أَمَرَ الآباء الرُّسُلُ بأن يكون يوم السبت الكبير يوم صَوْم دونًا عن جميع السُّبوت، لأنّ المسيح كان فيه فى القبر، وقد جاء فى كتاب الدسقولية تعاليم الرسل «يجب أن يُصَام فى ذلك السبت وحده لأَنَّ صانِعَ كُلِّ البَرِيَّة كان فيه مقبورًا فى المقبرة» (الباب الثامن عشر)، كما جاءَ فيه «وَأَمّا يومُ الجمعةِ والسَّبتِ (من أسبوع الفِصح) فَصوموهُمَا الاثنينِ معًا. ومَنْ لَمْ يقدِرْ أَنْ يَصومَ اليومَيْنِ مَعًا فليحفَظْ يومَ السَّبْتِ» (الباب الواحد والثلاثون).

٢٣ : ٤٤ - ٤٩

ثم فى نحو السَّاعَةِ السَّادِسَةِ بالتوقيت الشرقىّ القديم، وهى تقابل السَّاعَة الثانية عشرة ظُهْرًا بالتوقيت الحديث، وَقَعَتْ ظُلْمَةٌ على الأرض كُلِّها حتَّى السَّاعَة التاسعة، أى حتى الساعة الثالثة بعد الظُّهر. وكانت تلك هى الفترة التى كابَدَ فيها فادينا علَى الصَّليب أشدّ الآلام وأعنفها، والتى أشار إليها ربُّ المجد بَقَوْلِهِ «رئيس هذا العَالَم يَأْتِى ولا يملكُ فِىَّ شيئًا» (يوحنا ١٤ : ٣٠) وَبِقَوْلِهِ «رَئِيس هذا العَالَم قد أُدِينَ» (يوحنا ١٦ : ١١) لأنَّ المسيحَ كما قَرَّر الآباءُ قد صَرَعَ الشيطان فى ساعَةِ الظُّلْمَةِ حيث كانت ساعته المناسِبة وقد بلغ سلطانُه أَوْجَهُ (لوقا ٢٢ : ٥٣). وكأنَّ الطبيعة بِهَذِه الظُّلمة التى وقَعَتْ على الأرض كُلِّها تُشارِكُ رَّبها فى آلامه، وتُبْدِى

الحُزْنَ وتلبس ثوب الحداد، وهى تراه يُعَانى سَكَرَاتِ الموْت. وقد احتجبت الشمس فى وقت الظهيرة طوال تلك الساعات الثلاث، ولم يكن مجرّد احتجابٍ وراء غمام، لأن «الظُّلمة وقَعَتْ على الأرضِ كلِّها» مما يدلُّ على أَنَّ هذا الاحتجاب كان كسوفًا للشمس، وكَانَ القَمَرُ بدرًا فى دور التمام، إذ كان التاريخ ١٤ نيسان. وهى ظاهِرة لم تَحدث فى تاريخ الكون قطّ، ولا يمكن إلا أن تكون معجزة إلهية صَاحَبَتْ موت ذلك الشخص الإلهىِّ الذى بَرْهَنَ مِن قَبْل بمعجزاته على سلطانه على العاصفة إذ أَمَرَها أَنْ تهدأ فَهَدَأت على الفور، وَبَرْهَنَ على سلطانِهِ على مياه البَحْرِ إذ مَشَى عليها فحملته كأنها قطعة من اليابسة، وقد ذُهِل ديونسيوس الأريوباغى من وقوع تلك الظُّلمة على الأرض فى وقت الظهيرة حين كان بمصر يدرس فيها عِلْمَ الفَلَكِ، ولم يفهمها إلا حين سمع القدِّيسَ بولس وهو يبشِّر بالسيد المسيح فى أريوس باغوس بأثينا فى اليونان، ومِنْ ثم آمَنَ ذلك العَالِمُ الفلكىّ بالسيِّد المسيح (الأعمال ١٧ : ٣٤)..

وفى الوقت نفسه الذى وقَعَتْ فيه الظُّلْمةُ انْشَطَرَ حجابُ الهيكل إلى نِصْفَين كمظهر آخر مِن مظاهِرِ الحُزْنِ صَدَرَ عن بَيْتِ اللّهِ مُشَارِكةً مِنه فى آلامِ ابن الله. وذلك يشير فى الوقت نفسِهِ إلى زوال الحاجز الذى كَانَ يَفْصِلُ بين الله والناس، فأصبح الناس بَعْدَ زَوَالِهِ قادرينَ عَلى التَّقَدُّم بِثِقَةٍ إلى عَرْشِ النِّعمة بغير حائل ولا حجاب (العبرانيين ٤ : ١٦). بل يرمز إلى زوالِ العداوة بين الله والنّاس، وإلى عَمَل المصَالَحَةِ الذى تَمَّ بالفِداء، وإلى انفتاح باب السماء أَمَامَ وَجْهِ الإنسانِ بعد أَنْ كَانَ مُغْلَقًا. وأما الحجابُ فى كنيسة العهد الجديد فلم يَعُد مُغْلَقًا تمامًا كما كان الحالُ فى العهد القديم إذ كَانَ مُغْلَقًا تمامًا، ولا يدخُل منه أَحَد إلَّا رئيس الكهنة وحده مَرَّة واحدة فى السَّنة (اللاويين ١٦ : ٢ - ١٤)، وإنَّما تَحَوَّلَ فى العهد الجديد إلى حجاب يمكن فَتْحُهُ فى كُلِّ يوم، فلم يَعُدْ سِوَى مجرّد حاجز يفصل بين مكان المذبح والذبيحة وخدّامها من كهنة وشمامسة وبين صفوف المؤمنين من مُتَنَاولين من الأسرار المقدَّسة وسامعين، تَوْقِيرا لتلك الأسرار المقَدَّسة، وتهيُّبًا إيَّاها، واحترامًا للموضع الأكثر قداسَةً من جميع مواضع الكنيسة الأخرى، لأنَّ فيه

يتجلّى الرَّبُّ فى سِرِّ القربان المُقدَّس. كما أن لحجاب كنيسة العهد الجديد وظيفة أُخْرَى، فقد صَارَ حَامِلاً للأيقونات المقدّسة، إذ يحمل صُوَر الرَّبِّ يسوع، والعذراء مريم والـرُّسُل وكِبَـار القدِّيسـين، ولِذلـك يُسَمى «الإيكونـوستاس» أى «حامل الأيقونات».

وفى تمام الساعة التاسعة، أى الساعة الثالثة بَعْدَ الظُّهْرِ صَرَخ فادينا بصوت عظيم قائلاً «يا أَبَتاهُ فى يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِى»، وإذ قال هذا أسلم الروح. وقد كان صُراخُه له المجد بِصَوتٍ عظيم قبيل أن يُسْلِم الروح دليل القُوَّة العظيمة الإلهية على الرَّغم من ضعف الجَسَد الإنسانىِّ. كما كان دليل الانتصار والغلبة على الشيطان عدوِّ الإنسان. وشُكْرًا لله أَنَّ فادينا أَسْلَمَ الرُّوح، لا فى ساعة الظُّلْمَةِ، بل بعد أن عاد النور وانقشع الظلام، مِمَّا يَدُلُّ على أَنَّ عَمَلَ الخَلاصِ قد تَمَّ.

وكان قائد المائة الرومانى الوثنىّ المُكَلَّف مع فِرْقَتِهِ بحِرَاسة فادينا وهو على الصليب، واقفًا فى تلك اللحظة، فَلَمَّا رأَى المعجزات التى صَاحَبَتْ موتَ ذلك المصلوب العجيب وما انتاب الطبيعة كلّها من لَوْعَةٍ وَجَزَعٍ عليه، مَجَّدَ الله قائلاً «حَقًّا كَانَ هَذَا الإنسانُ بَارًّا». وكُلّ جموع اليهود الذين احتشدوا عند هذا المَشْهَد لَمَّا رأوا ما حَدَثَ عند موت فادينا رجعوا وَهُمْ يَقْرَعون صُدُورهم نَدَمًا عَلى ما ارتكبوه فى حَقِّهِ، وقد تأكَّدُوا الآنَ من براءته مِمَّا نَسَبُوه كَذِبًا إليه. كما تأكّدوا من ألوهيتِهِ التى كانوا ينكرونها عليه. وكان كلّ معارِفِهِ والنسوة اللاتى تَبِعْنَهُ مِنَ الجليل واقفين من بعيد يشهدون هذا كُلَّه، يمنعهم من الاقتراب خوفهم من اليهود، وإِنْ كَانَ الرَّاجح أنهم حين أَسْلَمَ الرُّوح اقتربوا منه - على الرَّغم مِنْ كلِّ خَطَر- لِيُوَدِّعوه الوداع الأخير.

٢٣ : ٥٠ - ٥٦

وكان ثَمَّةَ رَجُلٌ من رؤساء اليهود اسمه يوسف، كان عضوًا بمجلسهم الأَعْلى وهو مجلس السنهدريم، وكَانَ رَجُلاً صَالِحًا بَارًّا، يؤمن بِمُخَلِصِّنَا، «وكانَ تلميذًا لِيَسوعَ وإن يكن خفية لخـوفه من اليهـود» (يوحنـا ١٩ : ٣٨). ولم يكُن راضيًا عن

رأى شيوخ المجلس فى مُخَلِّصنا أو عَملهم على قَتْلِهِ. وهو من الرّامة إحدى مدن الجليل، ومعنى اسمها «المرتفعة» لأنها كانت مبنية على جَبَل أفرايم، ولذلك يُلَقَّب بيوسف الرَّامى. وكانَ هو أيضًا ينتظر ملكوت الله وفقًا لتعاليم فادينا. وقد تَقَدَّم إلى بيلاطس وطَلَبَ جَسَدَ فادينا الرَّبِّ يسوع. ثم أنزله ولفَّه بكتّانٍ وسجاهُ فى قَبْرٍ كَانَ قد نَحَتَهُ فى الصَّخْر، ولم يكن قد دُفِنَ فيه أَحَدٌ مِن قَبْلُ. وكان اليومُ هو الجُمعَةُ، وهو يوم التَّهْيِئَةِ والاستعداد لِلْفِصْح، ولذلك تَمَّ دَفْنُ مُخَلصنا فى سُرْعَةٍ قبل انتهاء ذلك اليَوْمِ لِئَلَّا يبدأ بانتهائه يوم السبت الذى لا يجوز فيه القيام بأَىِّ عَمَل ولو كَانَ تكفين الموْتَى وَدَفْنهم. وقد تَبِعَتْهُ النِّسْوَةُ اللاّتِي كُنَّ قد أَتَيْنَ مَعَهُ من الجَليلِ، فَرَأَينَ القَبْرَ وَشَهِدْنَ جَسَدَهُ وهو يُسَجَّى فِيهِ، ثُمَّ رَجَعْنَ وأَعدَدْن عُطورًا وأطيابًا لِيُضَمِّخنَهُ بها بعد انتهاء يوم السبت، ثُمَّ استَرَحْنَ فى السَّبْتِ عَمَلاً بالوصيَّة التى تتضمَّنها الشريعة اليهوديَّة.

الفصل الرابع والعِشْرُون

٢٤ : ١ - ١٢

وبعد انقضاء يوم السَّبْتِ، جاءت النسوة إلى القبر مُبَكِّرات عند مَطْلَعِ فَجْرِ يَوْمِ الأَحَدِ أول أيام الأسبوع، حامِلاتٍ العطور التى أَعْدَدْنَها، وجاءت مَعهُنَّ نِسْوَةٌ أُخْرَيات من المؤمنات بفادينا، فَوَجَدْنَ الحَجَرَ الضَّخْمَ الذى كان مَوْضوعًا على بابِ القَبْرِ دُحْرِجَ، وَدَخَلْنَ فلم يَجِدْن جَسَدَ الرَّبِّ يسوع. وفيما كُنَّ مُتَحَيِّراتٍ فى ذلك، إذا بملاكَيْن ظَهَرا لَهُما فى هيئة رَجُلَيْن قد وقَفَا بهنَّ فى ثياب بَرَّاقة. وإذ انتابَهُنَّ الخَوفُ ونَكَّسْنَ وجُوهَهُنَّ إلى الأرض، قالا لَهُنَّ «لماذا تَطْلُبْنَ الحَىَّ بينَ الأَمْوَات؟ إنَّه ليس هُنا، وإنَّما قد قام. اُذْكُرْنَ ما كَلَّمَكُنَّ به وهو بَعْدُ فى الجليل، قائلاً إنَّ ابن الإنسانِ ينبغى أن يُسَلَّمَ إلى أَيْدِى أُناسٍ خُطَاةٍ ويُصْلَبَ، وفى اليومِ الثَّالِثِ يَقومُ». وعندئذٍ تَذَكَّرْنَ كَلَام مُعَلِّمِهِنَّ، وعُدْن من القبرِ وأخبرْنَ تلاميذه الأَحَد

عَشَرَ والباقين جميعًا من أتباع الرَّبِّ يسوع. وقد كانوا مختبئين مَعًا خَوْفًا من اليهود. وكانت مريم المَجْدَلِيَّة وَيُوانًّا ومريمُ أمّ يعقوب وَمَنْ كُنَّ معهنَّ من النِّسْوَةِ الأُخْرَياتِ هُنَّ اللاتى قُلْنَ ذلك للرُّسُل، الذين طَالَما قَالَ لهم المُخَلِّصُ أثناء وجوده معهم إنَّ اليهود سيقتلونه، وإنَّه سيمكث فى القبر ثلاثة أَيَّام ثُمَّ يَقُومُ حَيًّا من بين الأموات، ومع ذلك نسوا هذا كُلَّه، وحين سَمِعُوا من النِّسْوَةِ أنَّه قَامَ بدَا لَهُمْ كَلامُهُنَّ هذا كالهذيان ولم يُصَدِّقوهُنَّ. ثم قامَ بُطرس وركَضَ إلى القبر ليتأكَّد بنفْسِهِ من صِحَّةِ ما سمِعَهُ منهُن، وهناك انْحَنَى فَرَأى بداخله الأكفان وحدها موضوعة جانبًا، فانصَرَفَ إلى حَيْثُ كانَ، مُتَعجِّبًا فى نَفْسِهِ مِمَّا حَدَثَ، وقد تملّكته الحيرة كما تملّكت التلاميذ جميعًا، إذ أَنَّ وجود الأكفان موضوعةً وحدها دليل على أن المسيح له المجد قد قامَ فعلاً. فالأكفان تكون عادة لاصِقَةً بالجُثَّةِ. ولو كان تلاميذ المسيح هم الذين سَرَقُوه كَمَا زَعَمَ قَادَة اليهود ورؤساء كهنتهم وكما لقّنوا الحُرَّاس لِيقُولوا ذلك (متى ٢٨ : ١٣) لَكَانوا قد أَخَذُوا الجُثَّة بأكفانها، ولا سِيَّما أَنَّ الذى يسرق يُسارِع بالهَرَب، ولا يكون لديه الوقت الكافى لأن يفصِلَ الأكفان عن الجثة فى تَسَرُّعِهِ وفَزَعِهِ من اكتشاف أَمْرِهِ.

٢٤ : ١٣ - ٣٥

وكان اثنان من تلاميذ مُخَلِّصنا مُنْطَلِقَيْنِ فى ذلك اليوم إلى قرية تبعد عن أورشليم نحو ستين غَلْوَة، أى نحو سبعة أميال، اسمها عمَّاوس، فى شمال غربى أورشليم. وَكَانَ اسم أَحَدِ هذين التلميذين كليوباس كما هو وارد فى هذه البشارة، وأمَّا التلميذ الآخَر فيبدو أنه هو القدّيس لوقا نفسه كاتب هذه البشارة، وقد امتنع عن ذِكْرِ اسمِهِ تَوَاضُعًا وتَأَدُّبًا. وكانَ هذان التلميذان يتحدّثان معًا عن هذه الأحداث كلّها المتعلّقة بالرَّب يسوع. وفيما هما يتطارحان الكَلاَمَ ويتناقشان، اقترب الرَّبُّ يسوع نفسه منهما، وَسَارَ معهما، ولكنهما كان قد أُخْفِىَ عن أَعْيُنِهما لكى لا يعرفاه. ويبدو أنه قَصَد أن يَظْهَرَ لهما فى هيئة تختلف عن هيئته التى يعرفانها لكى يُصارِحاه بأفكارهما بِصَدِده دون حَرَجٍ، ولكى يُوَضِّحَ لَهُما الحقيقة فى شأنِ

قيامته بالتدريج قَبْل أن يكشف لهما عن شَخْصِيته، لِئلاَّ تُفْزِعهما رؤيته إذا ظَهَر لهما فجأةً بغير هذا التمهيد بعد أن رأياه يموت على الصليب، وكانا يعتقدان أنه مازال مدفونًا فى القبر. وقد اقترب منهما وقال لهما «ما هذا الكَلامُ الّذِى تَتطارَحانِهِ؟». فَوَقَفا مُكْتَئِبَيْنِ، ثم أجاب أحَدُهما وهو كليوباسُ قائلاً «أأنتَ المتغَرِّبُ الوحيدُ فى أورشليمَ الّذِى لا يَعْلَمُ بِالأُمورِ التى حَدَثَتْ هُناكَ فى هذه الأيامِ؟»، إذ كانت أحداث مُحاكمة المُخلِّص وقتله على الصليب موضوع حديث أورشليم كلها يومذاك. فلم يَعُد أَحَدٌ من أهلها أو من الغُرَباءِ الذين فيها لا يَعْلَمُ بهذه الأحداث. بيد أنَّ المسيح له المجد أراد أن يستدرجهما إلى الكلام فسألهما قائلاً «أَيُّ أُمورٍ؟». فقالا له «تِلكَ المُخْتَصَّةُ بِيسوعَ النَّاصِرِيِّ، الذى كانَ نَبِيًّا مُقْتَدِرًا فى الفِعْلِ والقَوْلِ لَدى اللّهِ وكُلِّ الشَّعْبِ، وكيف أَنَّ رؤساءَ الكَهَنَة وحُكَّامنا قَضَوا عليه بالموتِ وصَلَبوهُ، وقد كُنَّا نَرْجو أنْ يكونَ هو المزمِعَ أَن يُخَلِّصَ إسرائيلَ. ولَكِنْ مَع ذَلِكَ كُلِّهِ فَإنَّ هذا هو اليومُ الثَّالِثِ مُنْذُ أَنْ حَدَثَ ذَلِكِ، غير أَنَّ بَعْضَ النِّسْوَةِ من جَمَاعَتِنا قد أدْهَشْنَنا، إذ ذَهَبْنَ باكِرًا إلى القَبْرِ، فلم يَجِدْنَ جَسَدَهُ، وقد جِئنَ قائِلاتٍ إنَّهُنَّ رَأَيْنَ مَنْظَرَ مَلائِكَةٍ قالُوا إنَّه حَيٌّ. وقد مَضَى بَعْضُ الّذِين كانوا مَعَنا إلى القَبْرِ فَوَجَدُوا كَما قالَتِ النِّسْوةُ. أَمَّا هُوَ فَلَمْ يَرَوْهُ». وَيَدُلُّ هذا القول على أنَّ تلاميذ مُخَلِّصِنَا كانت فكرتهم عن حقيقة شخِصيَّةِ مُعَلِّمِهِم لا تَزَال غامضَةً، ولا تَدُلُّ دلاَلة صريحة على أنهم أدركوا تمامًا أَنَّ هذا هو المسيح الذى تَنَبَّأ بمجيئه الأنبياء لِيُقَدِّمَ نفسه فِدْيَةً لِخَلاص البَشَرِ، وإنَّما كانَ كلّ ما أدركوه أنه نبىّ ذو قدرة عظيمة فيما يفعل ويقول، وأنهم كانوا يراودهم الأمل فى جلوسِهِ على عَرْشِ الأُمَّةِ اليهودية لِيُخَلِّصَ اليهود من عبودية الرّومان ويعيد إليهم مَجْدَ مملكة داود، ولكنهم خاب أملهم إذ رأوا رؤساء كهنتهم وحُكّامهم يقضون عليه بالموت ويصلبونه. ومع أنّه طالَمَا صَرَّحَ لتلاميذه حين كان معهم بأنّه بعد موته سيقوم فى اليوم الثالث من بين الأموات، لم يُصَدِّقوا الأنباء التى سمعوها بأنه قام بالفعل، وقد استولت عليهم الحيرة فى هذا الأمر وامتلأت عقولهم وقلوبهم بالبلبلة الناشئة من عدم إيمانهم الإيمان الصحيح. ومن ثَمَّ وبّخ السَّيِّد المسيح هذين التلميذين اللذين ظَهَر لَهُما

قائلًا « أيُّها الغَبِيَّانِ والبَطِيئا القَلْبِ فى الإيمانِ بِكُلِّ ما نَطَقَتْ به الأنبياءُ، أَمَا كانَ يَنْبَغِى أن يُكَابِدَ المسيحُ هَذِهَ الآلامَ ثُمَّ يَدْخُلَ إلى حَيْثُ مَجْدُهُ؟ ». ثُمَّ أَخَذَ يُفَسِّرُ لَهُما مُبْتَدِئًا من موسى وَمِنْ جَمِيعِ الأنبياءِ الأُمورَ المُخْتَصَّةَ بِهِ فى جميع الأسْفارِ المقَدَّسَةِ. حَتَّى إذا اقتربوا مِنَ القَرْيَةِ التى كانا يَقْصِدانِ إليها، بَدَا كما لَوْ كانَ مُتَّجِهًا إلىَ مَكانٍ أَبْعَدَ، فَتَشَبَّثَا بِهِ فى قُوَّةٍ قائِلَيْنِ « امكُثْ مَعَنَا، لأَنَّهُ حانَ المساءُ وقد انقضَى النَّهارُ »، فدخلَ دارَهُمَا لِيَمْكُثَ مَعَهُما. وَلَمَّا جَلَسَ مَعَهُما لِتَناوُلِ الطَّعَامِ أَخَذَ الخُبْزَ وباركَهُ وقَسَّمَه وناوَلَهُما بنفسِ الطريقةِ التى كان يفعل بها مُعَلِّمهما ذلك قبل موته، ولا سِيَّما فى ليلة العشاء الرَّبَّانِىّ، فانفتَحَتْ أَعْيُنُهُما وَعَرفاه. وعَنْدَئِذٍ اخْتَفَى عنهما. فقال أحدُهما للآخَرِ « أَمَا كانَ القَلْبُ مُضْطَرِمًا فِينا وهو يُكَلِّمُنا فى الطَّرِيقِ وَيُوضِّحُ لَنا الأَسفارَ المقَدَّسَةَ؟ » وقاما على الفورِ وَرَجَعا إلى أورشليمَ فَوجَدَا الأحد عَشر تلميذًا والذين معهم مجتمعين وهم يقولون « إنَّ الرَّبَّ قد قَامَ حقًّا، وقد ظَهَرَ لِسِمعانَ ». فأَخْبَرَاهُمْ بما حَدَثَ فى الطَّرِيقِ، وكَيف عرفا الرَّبَّ عندما قَسَّمَ الخبزَ.

٢٤ : ٣٦ - ٤٩

وفيما كان التلاميذ يتكلمون بهذا، وقف الرب يسوع نفسه فى وَسَطِهم وقال لهم « السَّلامُ لَكُم »، ففزعوا وارتعبوا، وقد ظنوا أنهم يَرون رُوحًا، فقال لهم « ما بالُكُم مُضْطَرِبين، وَلِماذَا تَثُورُ شُكوكٌ فى قُلوبِكُم؟ انظُرُوا إلى يَدَىَّ وإلى قَدَمىَّ. إنِّى أَنا هُوَ بِنَفْسى، جِسُّونِى وَتَحَقَّقُوا، فإِنَّه لَيْسَ لِلرُّوحِ لَحْمٌ ولا عِظامٌ كما تَرَوْنَ لى » وفيما كان يقول هذا أراهم يديه وقدميه، وإذ كانوا لا يزالون غير مُصَدِّقين أنفسهم من فَرْطِ الفَرَحِ والدَّهشةِ قال لَهُم « أَعِنْدَكُم هُنَا ما يُؤكلُ؟ »، فَقَدَّموا له بعضًا من السَّمَك المشوِىِّ وشَهْد العَسَلِ، فَأَخَذَ وَأَكلَ أمامهم، مما يَدُلُّ على أنه قَامَ من بين الأموات بِجَسَدٍ مادىَ حقيقىٍّ، وأنّه الجَسَد عينه الذى كان له قبل موته، بدليلِ أنه احتفظ فيه بثقوب المسامير فى يَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ، وبِأَثَرِ طَعْنَةِ الحَرْبَةِ فى جَنْبِهِ. فَكَانَ بذلك باكورة الرَّاقدين الذين يقومون فى اليوم الأخير بأجسادِهم نفسها التى كانت لهم أثناء حياتهم على الأرض، وإن كان لابُدَّ من تَغَيُّرٍ فى الصورة والشكل

(١. كورنثوس ١٥ : ٢٠و٢٣و٥١و٥٢). فالجَسَدُ الفاسِدُ يصير غير قابلٍ للفَساد، والجَسَد القابِل للموت يصير غَيْرَ قابلٍ للموت (١. كورنثوس ١٥ : ٥٣ و ٥٤). وقد كانت قيامة السيد المسيح هى أبلغ بُرهان على صِحَّةِ عقيدة القيامة التى كان ينكرها الكثيرون من فقهاء اليهود ولا سيَّما الصدّوقيين.

وبعد أن أقنع الرَّبُّ تلاميذه بأنه هُوَ مُعَلِّمهم وقد عادَ إلى الحَياةِ كما سبق أن أنبأَهُم مرارًا، قال لهم «هذا هُوَ الكَلامُ الذى كَلَّمتُكُم بِهِ وأنا بَعْدُ مَعَكُمْ، إذ قلتُ لكم إنَّه لابُدَّ أن يَتِم ما هو مَكتوبٌ عَنِّى فى شَرِيعة موسى ونُبُوءاتِ الأنبياءِ والمزامير». حينئذ فَتَحَ أذْهانَهُم لِيَفْهَموا الأسْفَارَ المقدَّسة، وقال لَهُم «هَكذا هو مَكْتوبٌ، وهكذا كانَ يَنْبَغِى أن يَتَأَلَّمَ المسيحُ ثُمَّ يَقومُ مِنْ بَيْنِ الأمواتِ فى اليوم الثَّالِثِ، وَيَنْبَغِى أنْ يُبَشَّرَ باسمِهِ بالتَّوبةِ وَمَغفِرةِ الخَطايا بَيْنَ كُلِّ الأُمَمِ ابتداءً من أُورُشليمَ، وَأَنْتُم شُهودٌ لِذَلِكَ. وَها أنا ذا أُرْسِلُ إلَيْكُم ذَلِكَ الّذِى وَعَدَ بِهِ أبى. فامكُثوا فى مَدينةِ أورشليمَ إلى أنْ تَحِلَّ عليكم القوة مِنَ الأعالى». وقد كانَ له المجد يعنى أنَّه سيُرسِلُ إلى تلاميذه موهبة الروح القدس، الذى سيحلّ عليهم فيمنحهم نعمة إلهية يستمدّون منها القُوة والقُدرة على صُنْع المعجزات والنُّطْقِ بالتعاليم السَّماويَّة التى تجذب الناسَ فى كُلِّ أنحاء الأَرْضِ إلى حظيرة رَبِّ المَجدِ، والثبات أَمَامَ كُلِّ ما سَيُلاقونه فى سبيل التبشير به من ألوان الاضطهاد والعنتِ والعَسْفِ والتشريد والتعذيب إلى حَدِّ الاستشهاد. ولقد سبق له المجد فَوَعَدَهُم أكثر من مَرَّةٍ بحلول الروح القدس عليهم، إذ قال لهم «وأَمَّا المُعَزِّى وهو الرُّوحُ القُدُسُ الذى سيرسله الآبُ باسمِى، فهو سَيُعَلِّمُكُم كُلَّ شَىءٍ ويُذَكِّرُكُم بِكُلِّ ما قُلْتُهُ لَكُم» (يوحنا ١٤ : ٢٦) وقال لهم «وَمَتى جاءَ المُعَزِّى الذى سَأُرسِلُهُ أنا إلَيْكُم من عند أبى، روحُ الحَقِّ المنبثقُ من الآبِ» (يوحنا ١٥ : ٧ و٢٦).

٢٤ : ٥٠ - ٥٣

ثُمَّ خَرَجَ له المجد بتلاميذه إلى بيت عنيا إحدى ضواحى أورشليم، وهى تلك القَرْيَة التى شَهِدَتْ كثيرًا من الأَحداث، فقد باتَ الرَّبُّ يَسوع فيها كثيرًا، وَمَرَّ بها

فى طريقه إلى أورشليم يوم أَحَدِ الشعانين (مرقس ١١ : ١)؛ (لوقا ١٩ : ٢٩)، وفيها قَبِل دعوة سِمعان الأبرص ودخل بيته وَجَلَس إلى مائدته، وهناك سَكَبَت مريم أخت لعازر قارورة طيب كثير الثَّمَنِ على رأسه (متى ٢٦ : ٦)؛ (مرقس ١٤ : ٣)؛ (يوحنا ١١ : ٢) كما أَنَّ فيها صَنَع الرَّبُّ معجزة إقامة لعازر من بين الأموات، إذ كان لعازر وأختاه مريم ومرثا من هذه القرية (يوحنا ١١ : ١).

وإذ بلغ الربُّ مع تلاميذه بيتَ عنيا رَفَعَ يديه وباركهم. وقد سبَق له كما وَرَدَ فى الإنجيل للقديس مرقس أنه وضع يده على الأطفال وباركهم (مرقس ١٠ : ١٦) وبذلك نجد فى الإنجيل تُكَأَةَ لمنح البركة بوضع اليد. ونجد تأييدًا لهذا فى العهد القديم منَ الكتاب المُقدَّسِ، إذ قال يشوع بن نون إنه «امتلأ روحَ حِكمة إذ وَضَعَ موسى عليه يديه»(التثنية ٣٤ : ٩)؛ (العدد ٢٧ : ١٨ و٢٣).

وفيما كان الربُّ يبارك تلاميذه افترق عنهم وصعد إلى السماء. فكان هو الوحيد



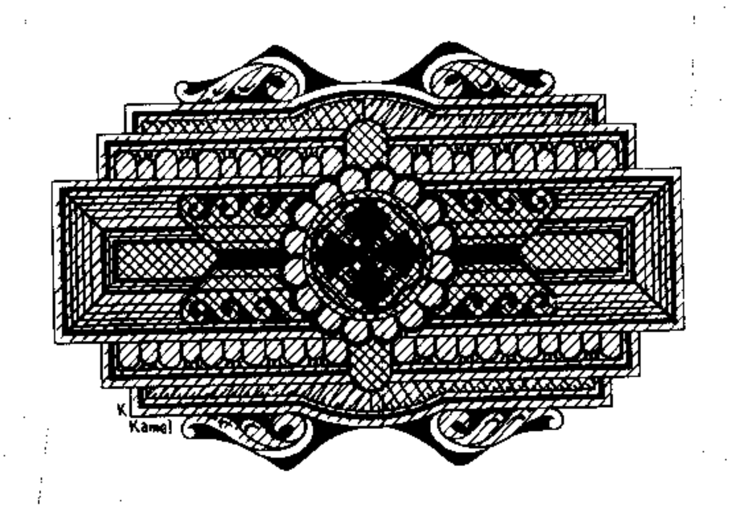
« أيقونة أثرية فى المتحف القبطى للسيد المسيح والعذراء والقديسين »

الذى صعد إلى السماء بقوة لاهوته. فلم يَرِد عن أَحَدٍ آخر من البشَر أنه صعد إلى السماء بذاته، مصداقًا للوحى الإلهى إذ يقول «ما مِن أَحَدٍ صَعِدَ إلى السَّماءِ إلاَّ ذَلِكَ الّذِى نَزَل مِنَ السَّماءِ. ابنُ الإنسانِ الّذِى هُوَ فى السَّماءِ» (يوحنا ٣ : ١٣) - وانظر (الأمثال ٣٠ : ٤)؛ (مرقس ١٦ : ١٩)؛ (لوقا ٩ : ٥١)؛ (يوحنا ٦ : ٦٢)؛ (١٦ : ٢٨)؛ (الأعمال ١ : ٢ و٩ و١١)؛ (أفسس ٤ : ٨ و٩ و١٠)؛ (١. تيموثاوس ٣ : ١٦)؛ (١. بطرس ٣ : ٢٢). حقًّا لقد جاء فى الكتاب المقدَّس أَنَّ إيليًّا صَعِد فى العاصفة إلى السَّماءِ، ولكن إيليا لم يصعد بقوَّة ذاته بل حملته مركبة من نار وخيل من نار (٢. الملوك ٢ : ١١). كما أن جَسَدَ السيدة العذراء مريم صعد إلى السماء، ولكن محمولاً على أجنحة الملائكة. وأَمَّا الرَّبُّ يسوعُ فهو وحده الذى صَعِد إلى السَّماءِ بقوة لاهوته. وقد كان صعوده هذا إلى السماء هو الختام الظافر لعمل الفِدَاءِ، وقد عبَّـر عن ذلك الـوحى الإلهى قائـلاً إنَّ الربّ يسوع «ليس بِدَمِ تُيوسٍ وعُجول، بل بِدَمِهِ هو نفسه دَخَلَ الأقداسَ مَـرَّة، فَوَجَد فِداءً أَبَدِيًّا» (العبرانيين ٩ : ١٢)؛ (٤ : ١٤)، (٧ : ٢٦)؛ (٨ : ١).

وأما التلاميذ فحين رأوا معلِّمهم يصعد أمام أعينهم إلى السماء سجدوا له سجود العبادة كإله، ثم رجعوا إلى أورشليم بِفَرَحٍ عظيم، ولم يعودوا حَزَانى كما كانوا بعد موته، إذ عَرَفوا حقيقته وآمنوا بألوهيته. فتحقق بذلك قوله لهم «الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكُم إنَّكم أنتم سَتَبْكُونَ وتَنُوحُونَ والعالَمُ يَفرحُ. أَنْتُم سَتَحْزَنونَ ولَكِنَّ حُزْنَكُمْ سَيَتَحَوَّلُ إلى فَرح.. أنتم الآن محزونون، ولكننى سأعودُ فأراكم فَتَفْرَحُ قُلوبُكُمْ، وَلا يَنْزِعُ أَحَد فَرَحَكُمْ مِنْكُمْ» (يوحنا ١٦ : ٢٠ - ٢٢).

وكـان التلاميـذ بعد ذلـك كل حـين فى الهيكل يسبِّحـون الله ويباركـونـه. والهيكـل هنـا هو الهيكل اليهودىّ الذى كانوا يترددون عليه كما كان يفعل معلِّمهم (الأعمال ٣ : ١)؛ (٢١ : ٢٦ و٢٧)؛ (٢٤ : ١٨)؛ (٢٦ : ٢١). ولو كان اليهود قد آمنوا بالمسيح وقَبِلُوا ديانته لَظَلَّ الهيكل هو بيت الرَّب بعد تطويره وتغييره ليصير موافقًا ومناسبًا للتعليم المسيحىّ، ولَتَحَوَّلَ إلى كنيسة مسيحية. ولذلك فإنَّ عِلِّيَّة صهيون

لم تلبث أن صارت هى البديل للهيكل بالنسبة لتلاميذ المسيح ، وقد أصبحت أول كنيسة مسيحية، وهى التى سبق للسيّد المسيح أن أَكَلَ فيها الفِصح مع تلاميذه، وسَلَّم فيها لهم العشاءَ الرَّبّانىّ، ومن ثم أصبحوا يجتمعون فيها بعد صعوده إلى السماء (الأعمال ١ : ١٣) وحَلَّ عليهم فيها الروح القدس فى يوم الخمسين (الأعمال ٢). آمين.



فهـرس

صفحـة

صفحـة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

رقم الإيداع		١٩٩٣ / ٧٩٢٠
الترقيم الدولى	977 – 02 – 4243 – 8	ISBN

١ / ٩٠ / ٢١٨
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)